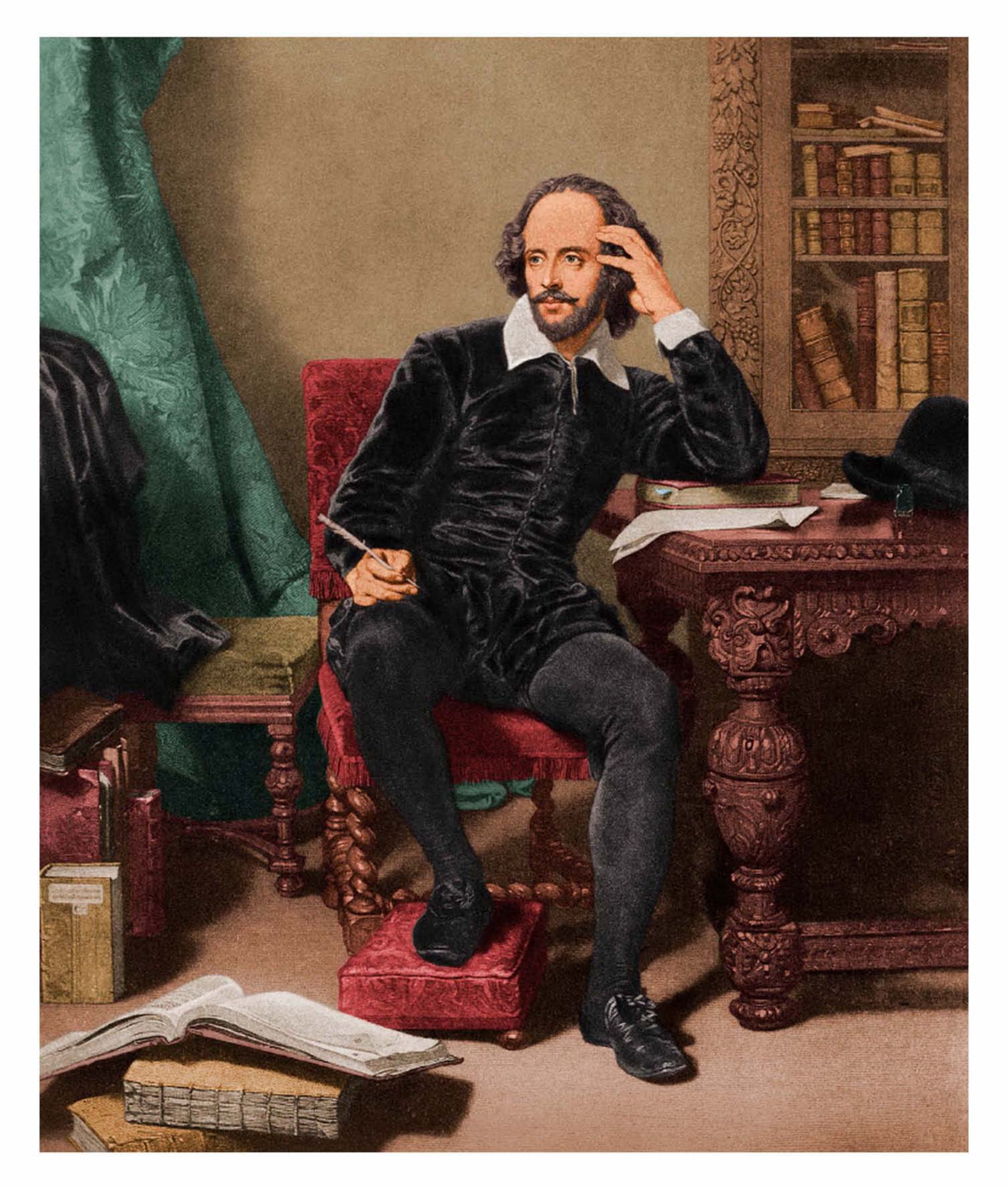
24.2.2022

أدباء

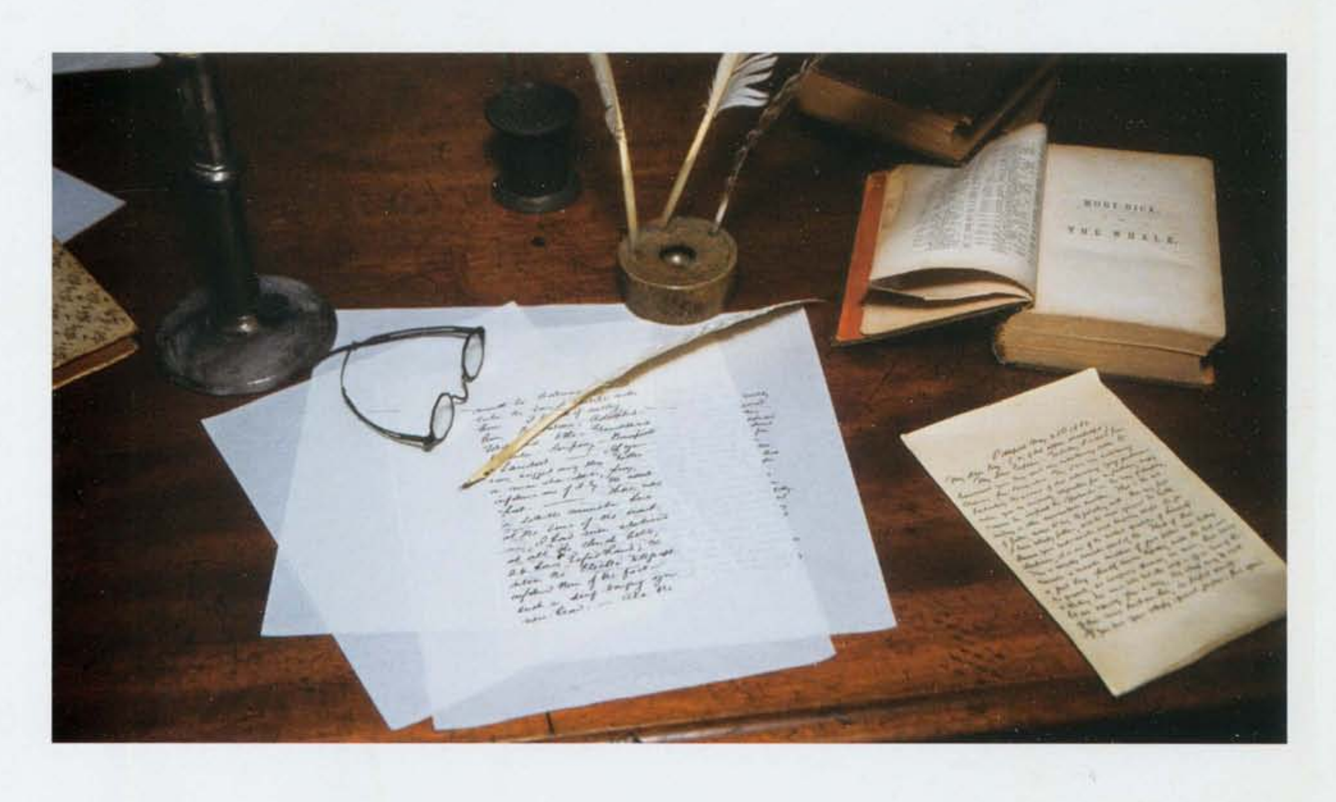
حياتهم وأعمالهم


أدباء
حياتهم وأعمالهم









ترجمة: مؤمن الوزان

مراجعة: آية علي

تقديم

عبدالله السفياني

جيمس ناوغني

هـذا الكتـاب صـادر عـن مشـروع «مـدْ» للترجمـة الـذي تقـوم عليه دار أدب للنشـر والتوزيـع ضمـن مبـادرة إثـراء المحتـوى إحـدى مبـادرات مركـز الملـك عبـد العزيز الثقافي العالمي (إثراء)

هذه الترجمة هي الترجمة العربية عن الإنجليزية لكتاب:

writers
THEIR LIVES AND WORKS

تنشر هذه الترجمة عن النسخة الأصلية للكتاب.

بموجب اتفاق مع:

Dorling Kindersley Limited

الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار





أدب adab

ⓒ دار أدب للنشر والتوزيع، ١٤٤٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ناوغتي، جيمس
أدباء، حياتهم وأعمالهم. / جيمس ناوغتي؛ مؤمن الوزان .- الرياض، ١٤٤٢هـ
٣٥٣ ص ؛ ٢٥ * ٣٠ سم
ردمك: ٦-٧٥٥١-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١-الأدباء ٢-التراجم أ. الوزان، مؤمن (مترجم) ب. العنوان
ديوي ٩٢٨ ٦٨٢٩ / ١٤٤٢

رقم الإيداع: ٦٨٢٩ / ١٤٤٢
ردمك: ٦-٧٥٥١-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ = ٢٠٢١م

iiinfo@adab.com adab.com @adab
المملكة العربية السعودية-الرياض

المساهمون:

كاي سيلتل
الأستاذ الدكتور في التاريخ، يعمل الآن كاتبًا وباحثًا ومحررًا، بعد مسيرة متنوعة في مجال النشر، والتدريب، والمزادات.

هيلين كليري
تعمل من منزلها، في ريف جنوب ويلز، في الكتابة والتحرير وإنتاج المطبوعات الفنيّة. تخرجت في جامعة كامبريدج، قسم الأدب الإنجليزي، وحائزة على شهادة الماجستير في الكتابة الإبداعية.

ر. ج. غرانت
يكتب على نحو مكثَّف في حقول التاريخ والسيرة الذاتية والثقافة. ساهم في كتابة كتابي
1001 books you must read before you die (2006), 501 Great Writers (2008).

آن كرامر
كاتبة ومؤرخة كتبت عددًا من الكتب لعامة القراء في مواضيع تراوحت ما بين تاريخ النساء مرورا بالأدب والفن.

ديانا لوكسلي
محررة مستقلة وكاتبة ومديرة تحرير سابقة لشركة نشر في لندن. حائزة على شهادة الدكتوراة في الأدب.

إيستر ريبلي
كاتبة ومحررة بدأت مسيرة في مجال الصحافة وكانت مديرة التحرير في دار د.ك. درست الأدب والفلسفة وتكتب في مواضيع ثقافية متعددة.

كريستي سيمور-يور
خريجة الأدب الإنجليزي والإيطالي في جامعة دورهام. تعيش اليوم في إيطاليا، وهي كاتبة خبيرة مستقلة ومحررة.

برونو فينسنت
كاتب ومحرر يعيش في لندن. كتب وساهم بكتابة قرابة ثلاثين كتابا من بينها The Enid Blyton for Grown Ups series.

ماركوس ويكس
كاتب وعازف. كتب وساهم بكتابة عدة كتب في الفلسفة والأدب والفنون، من بينهما بضعة كتب لسلسلة د.ك. «Big Ideas Simply Explained».

آين زاكتشيك
درس الفرنسية والتاريخ في كلية وادام، جامعة أكسفورد. كتب أكثر من ثلاثين كتابا في جوانب الأدب المتعددة، والتاريخ، والفن.

بيتر هيوم: مستشار محتوى
أستاذ الأدب الفخري في جامعة إيسكس، حيث درَّس أربعين سنة.

قدَّم للكتاب:
- جيمس ناوغتي:
فاز بجائزة أفضل مقدم إذاعي ومذيع. بدأ مسيرته صحفيًا قبل أن ينتقل إلى التقديم الإذاعي في عام ١٩٨٦. اشترك في تقديم برنامج اليوم لإذاعة بي بي سي ٤ لأكثر من عشرين عاما. ترأس نادي الكتاب الشهري في الإذاعة الرابعة منذ انطلاقه في عام ١٩٩٨. وترأس أيضًا كلا من لجنتي تحكيم جائزة المان بوكر، وصامويل جونسون، وكتب عددًا من الكتب غير الروائية من بينها:
The Rivals: The Intimate Story of A political Marriage,The Accidental American: Tony Blair and The presidency, The Making of Music, and The New Elizabethans and two novels, The Madness of July and Paris Spring

- د.عبدالله رفود السفياني:
مدير الموسوعة العالمية للأدب العربي «أدب»
شاعر وناقد في مجال النقد والفكر والأدب.
أخرج العديد من الكتب والدراسات والدواوين الشعرية.
شغل منصب نائب رئيس لجنة الثقافة والإعلام في مجلس الشورى السعودي في دورته السابعة.
قدم العديد من المحاضرات والندوات الثقافية في العالم العربي وخارجه.

صفحة ٢: رسمة ملونة لوليم شيكسبير مقتفية التشابهات المبكرة، ١٧٥٠.

صفحة ٣: طاولة مكتب هرمان ملفل في آروهيد، بيتسفيلد، ماساتشوستس، الولايات المتحدة الأمريكية.

◄ يوهان فولفغانغ فون غوته في مكتبه رفقة مساعده، ج. ج. شميلر، ١٨٥١.



مقدمة
للطبعة العربية

هذه مقدمة ليست أكاديمية تتذرع بآليّات البحث العلمي؛ بل هي محاولة للولوج إلى منطقة تعتبر من أهم مناطق الجمال الكوني، التي ارتادها الإنسان عبر تاريخه البشري، عرف الإنسان اللغة وكانت وسيلته المحورية في التعرف على ذاته والكون من حوله، ولم تكن اللغة هذا الكائن الغريب الذي ما زال يحظى باهتمام متزايد من الباحثين والدارسين لمعرفة كنهه وأسراره، لم تكن لتبخل على الإنسان، فلا تمنحه إلا وظائف لغوية محدودة يعبر فيها عن أغراضه اليومية، واحتياجاته الضرورية، بل أشرعت له أبواباً لا تكاد تحدها حدود، يقلب فيها الأدباء أوجه الكلام على صور من المتعة والجمال.

وليس من عجب -حينئذ- أن يُطلّ السؤال المحوري التاريخي برأسه في كل حقبة زمنية أمام النقاد: ما وظيفة الأدب؟

إنه سؤال وإن كان سؤالا علميا مشروعا، إلا أنه أيضا يحمل إشارات وإلماحات من التعجب والغرابة التي تكتنف هذا الكائن الأدبي، الذي يحرك بشغف فضول الباحثين والنقاد ليكرروا السؤال في كل حقبة يتعرض فيها الأدب لتحولات عميقة، يعتقد فيها بعضهم أنه أصبح لا جدوى من الأدب ولا فائدة منه، فهو كلام بكل بساطة لا يصلح لشيء!، بل حتى صناعته للمتعة والجمال زاحمته فيها الحضارة الإنسانية منذ نهاية القرن التاسع عشر بصنوف من الأجناس الجديدة، التي تصنع متعة وجمالا تفوق ما يقدمه الأدب.

هذه الحجة وإن بدت للوهلة الأولى صادمةً، إلا أن الأدب بكافة أجناسه لم يتأثر بها أو ينحسر معها، فما زال يتّقِد جمالاً، ويفيض متعةً، ويتناسل الأدباء من كل حدب، يرسمون بكلماتهم مداراتٍ لا حصر لها، من فنون القول التي يتزاحم عليها القراء؛ لأنهم يجدون فيها ما يبحث عنه الباحثون عن وظيفة الأدب!

إن بعضا من الأسئلة العلمية لا تصلح إلا في حدودها الأكاديمية الجافة، يتصارع حولها العلماء والنقاد، وتظل الحقيقة التي يبحثون عنها قريبة جداً، وملاصقة حدّ التماهي لنا نحن معشر القراء البسطاء، الذين تطيش عقولنا فرحاً لكلمة عابرة، ترسم في فضائنا قوس قزح من الدهشة، أو نطأطئ رؤوسنا حزناً أمام جملة تحفر في عمق مأساتنا، ونسير خلفها كما سار درويش خلف جنازة الغريب دون أن يكلف نفسَه سؤال من هذا الغريب الذي يسير في جنازته؟

وقد نسير في ركب أوسكار وايلد وغيره ممن يرون أن الأدب كماله الخاص في داخله، وليس في خارجه، والأشياء الجميلة هي الأشياء التي تخصّنا، ولا هدف لها من الناحية العملية؛ فالفن الخالص لا علاقة له بأيّ شيء كان!

ولكننا لا يمكن أن نغفل ما يمكن أن نسميه: عزاءات الأدب، التي يقدمها لنا كلما ضاقت علينا دوائر الحياة، حيث نفزع إليه لنجد أدباء عظماء صقلتهم التجربة، فجاؤوا من عمق الماضي أو أتون الحاضر؛ ليعبّروا عمّا يختلج في أرواحنا، ويكونوا هم منافذ الروح التي تتنفس من خلالها هواء اللغة.

إنه التأسي حين تجد حولك من ذاق مرارة الحياة، فتشتد إرادتك؛ لأنك لست وحيدا في مغامرات هذه الحياة المتقلبة؛ لتقول مع الخنساء المفجوعة بأخيها صخر:

ولولا كثرة الباكين حولي   على أحبابهم لقتلت نفسي!

الأدب هنا بمنظور الخنساء درع وحجاب يحول بيننا وبين أن نقتل أنفسنا، حين نظن أننا وحدنا نواجه هذا المصير المرعب، بينما يأتي الأدب يحمل تجارب أدباء شربوا من نفس الكأس، وسكبوا لنا من ماء الشعر والنثر ما يقوي عزائمنا لمواصلة الطريق!

وفي هذه الموسوعة الفاخرة ستجد كوكبة من أعظم أدباء العالم شرقا وغربا، وستقرأ في سيرهم المختصرة هنا عن حياتهم التي لا يخلو معظمها من فجائع وآلام، انعكست على أعمالهم بجدارة، ولا تخلو كذلك من ومضات الفرح وصدف السعادة، وهكذا هو الإنسان بكل بساطة!

لقد مُنِح الأدباء سحر الاستعارة التي مكنتهم من الغوص بعيدا في أعماق الحياة، هذه الأداة المحلّقة «والقوة الأكبر خصوبة التي يملكها الإنسان، ففعاليتها تصل إلى تخوم تحقيق الخوارق، وتبدو أنها أداة الابتكار التي تركها الرّب في واحد من مخلوقاته حينما خلقه، فهي وحدها التي تتيح لنا الانفلات وتخلق بين الأشياء الواقعية شعابا خيالية». (Ortega y Gasset)

ولطالما كان الخيال للأدباء والشعراء منفذا للجماليات التي لا تنتهي، والابتكار الذي يصنع لنا الجديد حتى قال ماكس مولر: «حينما يتعلق الأمر بابتكار علمٍ جديد، فإن الحاجة إلى خيال الشاعر تكون أشد ضرورةً من دقة العالم».

مدير الموسوعة العالمية للأدب العربي «أدب»

د.عبدالله رفود السفياني

٢٠٢١/٣/٢٣

المحتويات

الفصل الرابع

بواكير القرن العشرين

الفصل الخامس

منتصف القرن العشرين

الفصل السادس

أدبــــــاء عصــــرنا

تقديم الكتاب

اعتذر إليّ مؤلفٌ معروف ذات مرة عن اختفائه زمنًا من المشهد العام، قائلا «لقد كُنت في تجاذبٍ مع رواية ستَّةَ أشهر». ما من حاجة إلى توضيحاتٍ أخرى. كان لزاماً عليه أن يعود إلى النزاع فلا يمكن طرحُ التجاذب جانبًا دون تسويته بطريقة أو أخرى. قلمٌ باليد، وتحتّم عليه التحديق إلى الورقة الفارغة مرة أخرى.

استمعَ الأدباء المُبدعون جميعًا -الروائيون والشعراء في هذا السِّفر، وجمهرةٌ لا تحصى من الآخرين- إلى النداء المِلحاح، ساحبًا إياهم إلى تخومٍ بعيدة. لقد تعلموا أيضًا، بدرجات متفاوتة من النفور والرغبة، بأنَّ الموضعَ الذي أُخذوا إليه كان المكان الذي يتعيّن عليهم أن يكونوا فيه، لا يتمثّل الفعل الأول للأديب في أول كلمة يُسطّرها على الورقة، بل في إدراكه لزومِ الإنصات حين يأتي النداء.

وينطبق هذا على الأدباء الذين يُقادون بدافع مواجهة العالم المحيط بهم -كالمُتهكِّم جوناثان سويفت، أو ديكنز، أو كافكا- بقدر ما ينطبق على أولئك الذين يرغبون في بناء عالمٍ جديد وبعيد لخيالاتهم. فالجميع واعون بما وصفه بعض الشعراء أو الروائيون بأنّه أقرب لوظيفة كهنوتية؛ كما لو أنهم يُؤوّلون حقيقةً أسمى لأولئك الراغبين بتدخُّلِهم وهَدْيهم ليروها ويدركوها لأجلهم.

ولعلك تطلق عليه 'إيمانًا ملائمًا' كونه يربطُ جميع الأمور بغموض، ويوحي بأنَّ ثمة أسرارًا لا يُمكن أن تُكشفَ أبدًا من الغرباء. لا يزال هذا صحيحا، فالأدباءُ الذين لا يتفقون على أنهم في رحلة إلى المجهول لن يُنتجوا أدبًا يدوم. حتى المؤلفون المنشغلون بلا هوادة مع صراعات الحياة اليومية لتجارتهم سيعودون مرارًا وتكرارًا إلى سِمَة القوة التي تحثُّهم، والتي يتّعذر تفسيرها عليهم. وحينما وصف جورج أورويل الكتّاب بأنهم «مُختالون وأنانيون وكُسالى»، أردف يقول إنَّ الأمرَ لم يكن وهْنًا أخلاقيًا من النوع الذي يُبقيهم عنده -آلية إنتاج كتابٍ في نظره أشبه بتحمُّل ألمٍ مرير ومديد- لكنّه حضور روحٍ لا يتمكنون من مقاومته وتفهُّمه.

يملك الشعراء ترف كونهم أكثر انفتاحًا بشأن هذا الأمر من الروائيين بالطبع لأنه يُتوقع منهم دائما في كل ثقافة أن يكونوا على تماس مع وحيٍ من نوع ما يعد محرّما على أيّ شخصٍ آخر. منذ وقت طويل، طرحَ الرومانسيون الإنجليز في بواكير القرن التاسع عشر جانبًا المرآةَ التي تعلَّم الشعراء من قبلهم أن يرفعوها للطبيعة، واستعاضوا عنها بمصباح سيُضيء حياتهم الداخلية، فكانت القصيدة مَرْكَبةً تمكّنت من أخذهم خارجَ العالم؛ تمامًا كسردٍ لحكايةِ ثقافةٍ شفهيةٍ مزجت التاريخ بالغموض والخيال حين تُورَّثُ الأشعارُ والقِصصُ بحبٍ إلى الأجيال.

عاد شيموس هيني -الحائز على جائزة نوبل في الأدب في أواخر القرن العشرين- إلى الإنيادة لتكون آخر أعماله المنشورة، مُترجمًا الكتاب الخامس من ملحمة فرجيل، والتي تصف كيف نزل البطل الطروادي آينياس إلى العالم السفلي وقطع الغصن الذهبي ليحميه أثناء سيره؛ تلك القصّة الأسطورية التي ألهمت الشعراء ابتداءً من دانتي في العصور الإيطالية الوسطى، إلى الشاعر الإنجليزي الأمريكي ت. س. إليوت الذي شرع في الكتابة بعد الحرب العالمية الأولى، أي بعد ما يقرب من ستة قرون. لقد انجذب دانتي وإليوت، مثلهما مثل هيني، إلى القصص القديمة التي نرغبُ بتأويلها المرّة تلو أخرى لتفسر لنا مَنْ نَحنُ، ولمَ نتصرف على هذا النحو.

لا يمكن لكاتبٍ بارع أن يهرب من هذه المهمة. يقول السارد نيك

كاراواي في نهاية رواية ف. سكوت فيتزجيرالد **غاتسبي العظيم**»: لذا فقد جدَّفنا، والقوارب عكس التيار، بلا توقف إلى الماضي». لم تكن هذه محض صرخة ندم بحق عالم الثراء الوهمي الذي جذَب كاراواي في أول الأمر ثم صدَّه، لكنَّه شعور فيتزجيرالد المُتغلغل في ذاته بأنَّ رحلته لم يكن مقدَّرًا لها أن تنتهي أبدًا. وهي على صلة بقصة الحياة الأمريكية الكاملة؛ بحدَّة مشابهةٍ للصراع البدائي ضدَّ قوى الطبيعة الهائجة في رواية هرمان ملفل **موبي ديك**. لم تكن الأجيال اللاحقة بمنأى عن ذلك، إذ كان الروائي جون أبدايك يُصارع ذات السؤال في الثقافة نفسها: ما الذي يدفعنا للاستمرار؟

سواء بالانشغالات الخاصة بالقوة وبالمسؤولية الشخصية التي حفَّزت الكتَّاب الأوربيين خلال قرون -أنتجت أعظم صوت شعري مُهيمن في اللغة الإنجليزية: شيكسبير- أو في الأدب الشرقي بامتداده التاريخي الشاسع وإحساسه الأسطوري، فكاتب الشّعر أو النثر الذي لا يواجه ذاك السؤال قد يبقى محكومًا عليه أن يتزلجَ بلا وجهةٍ على السطح ويتلاشى في البُعد حيث يطويه النسيان. لن يختفي أيُّ أديب في هذا السِّفر؛ سيُعلو قدرهم كساردي قصص شجعان أو ناسجي خيال عظيم أو شباب غُضَابى) أو مسنون) ونساء غَضَابى، لأنهم بطريقة ما؛ بومضة عبقرية أو كدح حياة بائس، قد خلَّفوا لقرَّائِهم شخصية أو مأساة لا يمكن لها أن تندثر.

نعلمُ جميعًا أننا سنعود إليهم. كم واحد منا يتوق لالتقاط كتابه المفضَّل والاستغراق في سطر افتتاحي لا يُنسى أو الالتقاء بصديقٍ قديم في الفصل الأول؛ ليس لأننا في بحث عن تجربة جديدة فحسب بل لأننا نرغب في أن نعيشَ من جديد تجربة لا يمكننا نسيانها؟ أو الشروع بقراءة قصيدة يُمكننا سماعها أيضًا في رؤوسنا؟ يعلم الأدباء هذا أيضا، ولعلّ الدافع الغامض الذي يحثُّهم على الاستمرار يتمتّع بعنصرٍ واحدٍ -على الأقل- يُمكننا جميعًا تمييزه: رغبةً لجوجة في العطاء. إنهم ينوِّرنا ويُمتعونا، ويزعجونا ويحيِّرونا. إنهم يرتقون بنا.

هذا قدر ما نعرفه. واللغز المتبقي على الأرجح -سؤال « كيف تمَّ العمل» المُحيّر والعصيّ على الحل - هو الذي نقدّره أيضًا، لأننا نعرف بأنَّ الأدباء المُبهِرين هم أناسٌ مختلفون. إنهم يفعلون ما نعجز عنه، ولهذا فنحن بحاجة إليهم، ولا يعترينا أغلب الوقت شعور الحسد.

وكيف نفعل ذلك؟ إنهم مُوثَّقون على عجلة نيرانهم. حاول إرنست هَمِنغوَي ذات مرة، بأسلوبه الفضّ والعنيف، أن يجعل الكتابة تبدو يسيرة لكنه نجح في فعل النقيض عندما قال: «كُلُّ ما عليك فعله كتابة جملة صادقة واحدة. أُكْتُبْ أصدق جملة تعرفها».

ولكن حينها تبتدئ العراقيل.

جيمس ناوغتي

ماقبل القرن التاسع عشر

الفصل الأول

دانتي أليغييري

(١٢٦٥-١٣٢١) إيطالي

مؤلف الملحمة الشعرية (الكوميديا الإلهية) وأحد الشخصيات البارزة في تاريخ الأدب. ألهم عمله الدرامي بأجزائه الثلاثة (الجحيم والمطهر والفردوس) كثيرا من الكتّاب والفنانين حتى وقتنا الحاضر.

ولد دانتي في فلورنسا/ إيطاليا، على الأرجح في شهر أيار/ مايو من عام ١٢٦٥. كانت فلورنسا في ذلك الوقت ولاية مستقلة وثرية لا نظير لها، ويُنظر لها بإعجاب وحسد، ومثالا للاستقرار السياسي، تتخللها منافسة بين العوائل غالبا ما تكون عنيفة من أجل إحكام القبضة على حكومة المدينة.

كان والد دانتي قانونيًّا ومُرابيا، وينتمي إلى زمرة السياسيين المعروفة بـ«الغويفلز The Guephls»، وعندما كان دانتي بسن الحادية عشرة، خُطب لجيما دوناتي، ابنة عضو لعائلة متنفذة في زمرة الغويفلز. امتدت ترتيبات الزواج طويلا ورغب الزوجان بإنجاب ثلاثة أطفال. لكن دانتي لم يذكر حياته الزوجية مع جيما في كتاباته قط. أما المرأة التي جسّدت موضوع الحب فكانت جارته الفلورنسية «بياتريس بورتيناري».

يحكى دانتي قصة حبه الغريبة لبياتريس في مجموعته الأولى لكتاباته الشعرية والنثرية النقدية (الحياة الجديدة، ١٢٩٤)، إذ يقول إنه التقى بها عندما كان في سن التاسعة (وكانت هي في العاشرة) ووقع بحبها من أول نظرة. رآها بعد ذلك مرة واحدة فقط بعد تسع سنوات، عندما تبادلا تحيةً عابرة في الشارع. كانت تلك النظرة كافية وكفيلة بجعل بياتريس رمزًا لأهم تطلعاته الروحيّة. وإلى جانب أنها كانت ملهمته لكتابة كلمات نثره الأولى، فقد عاد دانتي لذكرها في كتاباته الأخيرة «المطهر» و«الفردوس» في الكوميديا الإلهية.

مُعلّموه الأوائل

في بدايات عصر النهضة، كانت فلورنسا مركز الإبداع الفني والفلسفي من خلال إعادة اكتشاف كتابات المؤلفين اللاتينيين والإغريق التي كانت داعمة ومصدرا بديلا لسلطة الكنيسة. تأثّر ذكاء وفطنة دانتي باثنين من المعلمين الفلورنسيين: العلّامة برونيتو لاتيني (١٢٢٠-١٢٩٤) الذي عرّف نفسه بآخر مفكرٍ إنساني، وشاعر الحب غويدو كافالكانتي الذي استخدم أسلوبه الخاص في الكتابة الشعرية. كتب كافالكانتي باستعمال (الأسلوب الجديد الجميل) الذي كان تتويجا للأعراف القروسطية بالكتابة عن الحب العَذب (Courtly Love)، حيث يحتفي الشاعر بحبّه العفيف لامرأة رآها من بعيد.

كانت قصة حب دانتي لبياتريس مثالية جدا لهذا النوع من الحب، لدرجة تشكيك العديد من الأعمال النقدية فيها وعدّها مجرد قصة من



▲ (دانتي وبياتريس)
يُظهر هذا المشهد المتخيل الذي رسمه الفنان الإنجليزي هنري هوليدي في القرن التاسع عشر، وكان قد أُلهمه من نص دانتي «الحياة الجديدة»- دانتي ومحبوبته بياتريس «ذات الثوب الزُبديّ اللون» التي تتجنب نظرة دانتي بتعمُّد، وتصحبها رفيقتيها بالقرب من جسر بونتي فيكيو في فلورنسا.

جيوتو دي بوندوني

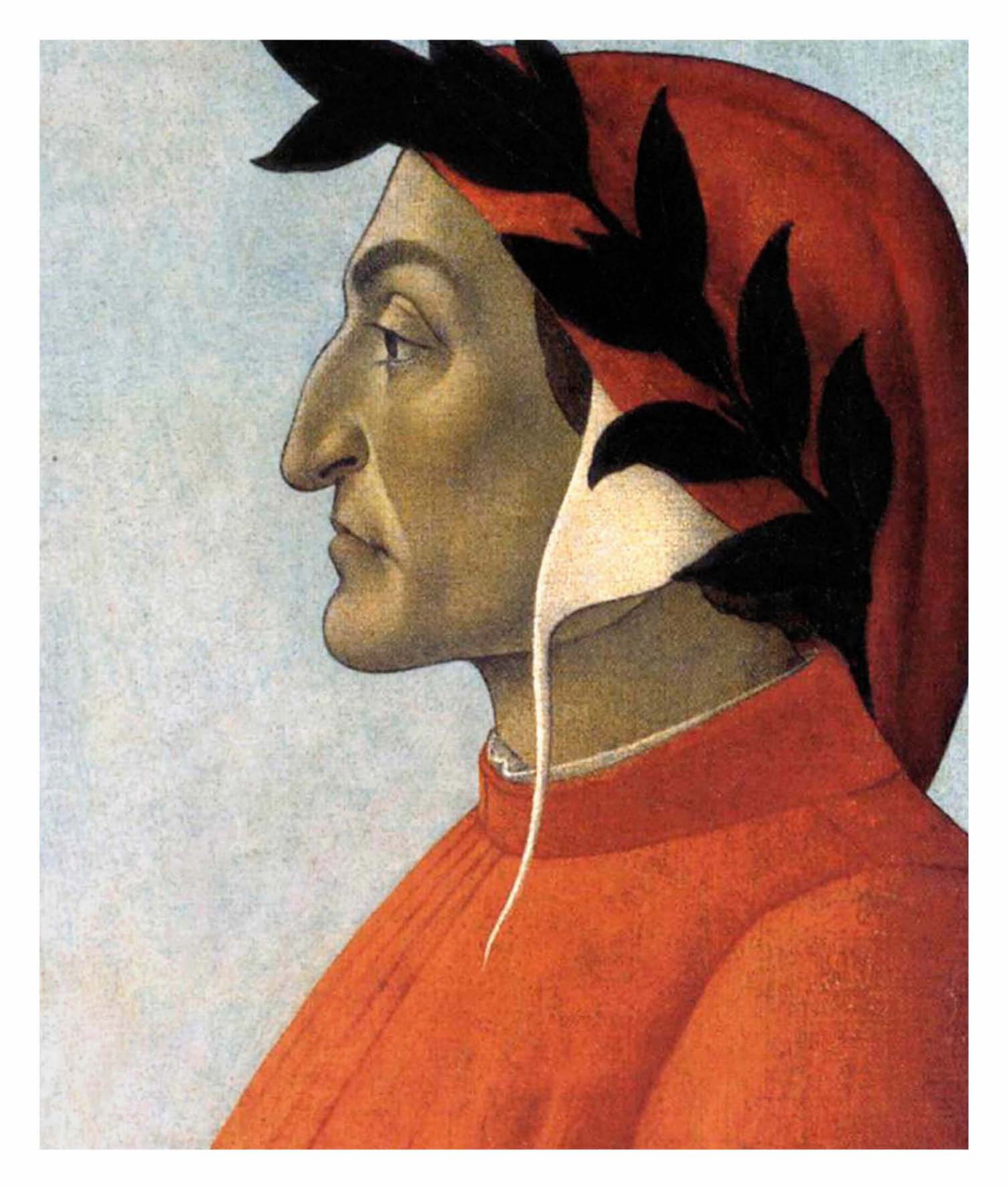
ولد الفنان جيوتو (١٢٦٦-١٣٣٧) في فلورنسا، وكان معاصرا لدانتي. يُعترف بجيوتو على أنه أعظم رسام في عصره، واستخدم جيوتو الواقعية النّضرة في وصف المشاهد الدينية. كان دانتي صديقا لجيوتو وأحد معجبيه، ومن المحتمل جدا أنه قد تأثر بلوحاته، ولا سيما بلوحاته الجدارية داخل معبد سكروفيجني في بادوا. يمثل دانتي وجيوتو، جنبا إلى جنب، الثنائي المبشّر لعصر النهضة الإيطالية.



الحكم الأخير، جيوتو، ١٣٠٦.

◄ (بورتريه الإجلال)
ألهمَ دانتي الكثير من الفنانين المحليين في فلورنسا. يُظهر هذا البورتريه (١٤٧٥) دانتي يُزين رأسه إكليل الغار -رمز الإنجاز العظيم- الذي رسمه ساندرو بوتيتشيلي الفنان المشهور في أوائل عصر النهضة.

> ما من حزن أشدُّ كمداً من تذكّر زمنِ السعادة وقتَ التعاسة.
>
> دانتي - الجحيم.



نسج خيال الشاعر كي تناسب هذا النمط من الكتابة؛ على الرغم من أن بياتريس كانت شخصية حقيقية عاشت وتوفيت في سن الرابعة والعشرين.

صراع مدني

أصبح دانتي في فلورنسا معروفا لكونه كاتبا شعريا، فضلا عن نشاطاته المدنية، ولأنه عضو في زمرة الغويلف فقد لعب دورا فعّالا شيئا فشيئا في حياة المدينة السياسية. قاتلَ دانتي في جيش الغويلف الذي هزم منافسيه من الـ«غيبيلينز Ghibelliens» في معركة كامبالدينو في سنة ١٢٨٩، ومنذ سنة ١٢٩٥، أصبح الممثل المنتَخب في نظام الحكم الجمهوري المعقود لفلورنسا، وأُنتخِبَ كذلك في صيف سنة ١٣٠٠ رئيسًا لقنصلية الأديرة السادس في فلورنسا. توالت بعدها مصائبُ شخصية، فقد دعم الغويلفُ البابا ضد منافسيهم العلمانيين لتكون السلطة العليا بيد المسيحية -الأباطرة الرومان المقدسون- لكنهم انقسموا إلى مؤيدي البابوية «الغويلف السود» ومعارضي البابوية «الغويلف البيض» الذين كان دانتي ينتمي إليهم.

أُرسِل دانتي- كونه رئيسَ دير المدينة- مع وفدٍ إلى البابا بونيفاس الثامن في محل إقامته خارج مدينة روما، فاحتُجز هناك من قبل البابا وعُومِلَ سجينًا. أحكمَ الغويلف السود قبضتهم على المدينة، وذلك بعد تحريض البابا وإطلاقه حملة شاملة لاضطهاد الغويلف البيض، نُفي دانتي على إثرها وصُودرت ممتلكاته، وحُذِّرَ بأنه سيُحرق حيًا في حال وطأت قدماه فلورنسا مرةً أخرى.



▾ (الجحيم)

يحمل دانتي نسخة من الكوميديا الإلهية في هذه اللوحة الجصيّة التي رسمها الفنان دومينيكو دي ميتشيلينو في عام ١٤٦٥. يظهر خلف الشاعر وصف جحيمه الهرمي، وبالقرب منه تنتصب مدينة فلورنسا.

في المنفى بعيدًا عن فلورنسا

تنقّل دانتي في منفاه بين العديد من المدن الإيطالية، لا سيما فيرونا، حيث رحّبت به عائلة سكاليغار الحاكمة. اشتاط دانتي غضبًا متخليًا عن دماثته ومسامحته تجاه أعدائه الفلورنسيين؛ انضمَّ إلى منفيين آخرين في مؤامرات باءت بالفشل من أجل انتزاع فلورنسا من الغويلف السود بالقوة. كان ترحيله عن مدينته الأم دافعا له للارتقاء بكتاباته إلى مستوى جديد، فكتب في سنين نفيه الأول مقالته المؤثرة «De Vulgari Eloquentia» باللغة اللاتينية، والتي كانت اللغة الأدبية العالمية للمُثقفين الأوروبيين في وقته. طالبت المقالة – على نحو مثير للتناقض- بإعطاء العاميّة الإيطالية مكانةً مساوية للغة اللاتينية في أن تكون لغةً أدبيّةً، وناقشَ أيَّ نسخةٍ من اللغة الشعبية المنطوقة يتعين تهيئتها لتكون ملائمة لهذا الغرض.

الكوميديا الإلهية

بدأ دانتي في كتابة أفضل أعماله، الكوميديا الإلهية، نحو عام ١٣٠٧؛ القصيدة الشعرية المكونة من أربع عشرة ألف بيت شعري، والتي تصف رحلة الشاعر -دانتي- في الجحيم والمطهر والفردوس ورؤية الله. اقتيدَ دانتي في الجزء الأول «الجحيم» من الشاعر اللاتيني فرجيل، واتّبعَ حبيبته بياتريس مرشدةً روحانيةً له في الجزئين الثاني والثالث «المطهر» و«الفردوس». وطوال الطريق، كان يقابل شخصيات من الحياة المعاصرة والتاريخ والأسطورة، ولكل منهم قصة يحكيها. كان جزء «الجحيم» الجزء الأكثر قراءةً من بين بقية الأجزاء، إذ أوحى التصوير المُحكَم للخطايا والعقوبات في السعير بالرعب والشفقة. لم يتردد دانتي في الثأر من أعداء حياته الحقيقيين وتعذيبهم بعد إدانتهم، لكنه تعاطف مع بعض الملعونين، كالحبيبين باولو مالاتيستا وفرانسيسكا دي



◂ (بونيفاس الثامن)

يُزين نُصب البابا بونيفاس الثامن واجهة كاتدرائية فلورنسا إحياءً لذكرى هذا البابا الذي كان عدوًا لدانتي. انتقم دانتي من البابا في صفحات الكوميديا الإلهية بلعن البابا في الجحيم قبل وفاته في عام ١٣٠٣.

تيرزا ريما Terza rima

طوّر دانتي لكتابة الكوميديا الإلهية أسلوبًا شعريا جديدا عرف بـterza rima حيث تتألف فيه القصيدة من مقاطع شعرية، ويتكون كل مقطع شعري من ثلاث أبيات شعرية تتشابه فيها قافية البيت الأول مع البيت الثالث، وتتشابه قافية البيت الثاني من كل مقطع مع قافية البيت الأول والثالث من المقطع اللاحق له. تُعطي هذه «السلسلة في المقاطع الشعرية» زخمًا قويًا تصاعديًا للقصيدة، وقد تبنى العديد من الشعراء فيما بعد هذا الأسلوب، مثل: جيوفري تشوسر، وبيرسي بيش شيلي، ووليم كارلوس وليمز، وسليفيا بلاث.



مخطوطة لدانتي من الكوميديا الإلهية، القرن الرابع عشر.

ريميني المدانين بالاستسلام للشهوات، ومعلمه المسن برونيتو الذي قُبض عليه لممارسته الشذوذ الجنسي. كان عوليس، الشخصية الميثولوجية، في الجحيم هو الآخر (عقابًا له على حيلة حصان طروادة)، لكن دانتي يصف سعي عوليس الدؤوب للمعرفة على نحوٍ يجعله يبدو بطوليًا أكثر من كونه ملعونًا. وبالإضافة إلى تصوير الكوميديا الإلهية للحياة الآخرة، فإنها تُظهر كذلك اعتراضات دانتي على الوضع السياسي المعاصر. فالعالم المثالي الذي آمن به دانتي في نهاية حياته هو عالم مسيحي موّحّد تحت قيادة الإمبراطورية الرومانية، وبزعامة روحية للبابا، إرضاءً لمشيئة الرب على الأرض. طوّر دانتي هذا الفكر والرؤيا في مقالته De Monarchia ورسائله المعبرة عن دعمه للإمبراطور هنري السابع، والذي قاد جيشًا باتجاه إيطاليا سنة ١٣١٠. أنهى موت الإمبراطور سنة ١٣١٣ آمال دانتي بأي تقدم واقعي باتّجاه عالمه المثالي الذي حلم به.

لم يعُد دانتي إلى فلورنسا قط، لكنه قضى آخر سنوات عمره في قصر عائلة بولينتا، حكّام رافينا. وأكمل كتابة عمله الكوميديا الإلهية قبل موته في سنة ١٣٢١ وهو في عمر السادسة والخمسين. عُثِرَ على آخر مقطع من قصيدة طويلة له في الحمام بعد دفنه.

▲ (فلورنسا دانتي)

كانت عُرى الارتباط وثيقة لم تنفصم ما بين دانتي ومدينته فلورنسا التي تظهر في هذا المنظر الجوي. تُزيّن صور هذا الشاعر العظيم المدينة سواء في اللوحات الجصيّة المتنوعة، أو النُصب، أو النقوش.

أبرز أعماله:

- **١٢٩٤** الحياة الجديدة: مجموعة شعرية ونثرية، استعرض فيها دانتي حبه المثالي لبياتريس.
- **١٣٠٣** مقالة De Vulgari Eloquentia: دعا فيها إلى استخدام العامية التوسكانية الإيطالية كلغةٍ أدبية.
- **١٣٠٧-١٣٠٩** الجزء الأول من الكوميديا الإلهية (الجحيم): يصف فيه دانتي رحلته إلى الجحيم، ويقوده فيه الشاعر فرجيل.
- **١٣٠٨-١٣١٢** الجزء الثاني من الكوميديا الإلهية (المطهر): تسلق فيه دانتي جبلَ التطهير حيث يُطهّر المذنبون من خطاياهم.
- **١٣١٤** مقالة In Monarchia: دعا فيها دانتي إلى تقسيم السلطة بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة والبابا.
- **١٣١٦-١٣٢١** الجزء الثالث والأخير من الكوميديا الإلهية (الفردوس): يرسم صعود دانتي عبر درجات الجنة لرؤية الله.

جيوفاني بوكاشيو

(١٣١٣-١٣٧٥) إيطالي

وضعت قصص بوكاشيو المُذهلة لحياة أُناس عاديين أُسُس السرد النثري في الأدب، وألهمت كلًا من كُتّاب عصر النهضة والأجيال اللاحقة.

ولد بوكاشيو في إيطاليا سنة ١٣١٣، وهو الطفل غير الشرعي للثري المصرفي الفلورنسي بوكاشيو دي تشيلينو. ترعرع بوكاشيو في كنف كل من والده ومارغريتا دي ماردولي، وهي امرأة ذات أصل نبيل أصبحت فيما بعد زوجة والده. وفي عام ١٣٢٧، انتقلت العائلة من فلورنسا إلى نابولي، حيث كانت الآمال معقودة على بوكاشيو في أن يتبع سبيل والده في المهنة والعمل، بيد أن كان الشاب كان يملك أفكاره الخاصة. كان قد درس القانون ست سنوات، ثم نمّى حبّه للأدب، ولا سيما دانتي (والذي وصفه بوكاشيو بـ «مُرشدي الأول في دراساتي»). مُبتعدًا عن القانون والتجارة؛ كرّس بوكاشيو كل مجهوداته في القراءة، ما نتج عنها اكتسابه لمعرفةٍ واسعة في مجالات الثقافة والعلوم والأدب. لقد مكّنته حياة الامتيازات التي عاشها من الحصول على رؤى وأفكار متبصّرة حول ما يدور في العالم الملكي؛ بلاط ملك نابولي روبرت الحكيم، وهي ملاحظاتٌ سيستعين بها في كتاباته اللاحقة.

(سيرتالدو، توسكاني)
اعتزل بوكاشيو الحياة في فاقة عام ١٣٦٣، وذهب إلى بلدة سيرتالدو التوسكانيّة. عاد برهةً قصيرة إلى فلورنسا عام ١٣٧٣ ليمنح قراءاتٍ لكوميديا دانتي الإلهية.

الشُّعلة الصغيرة

وقع بوكاشيو عندما كان في نابولي بحب امرأة، ويعتقد بعض الناس أنها ابنة الملك. وعلى الرغم من أن هويتها بقيت غامضة، فقد ظهرت بشخصية فياميتا في عمله الشعري المبكر «الشعلة الصغيرة»، وفي «الديكاميرون». ظهرت المرأة كذلك في عمله مرثاة «السيدة فياميتا» (١٣٤٣-١٣٤٤)، والذي يعتقد بأنّه أول رواية نفسيّة في الأدب الغربي. تروي الرواية مراحل علاقة غرامية مع بانفيلو؛ سيرة ذاتية شخصية بنحو فضفاض. وفي عام ١٣٤١، انضم بوكاشيو من جديد لوالده الأرمل في فلورنسا التي مزقها الطاعون والاضطراب السياسي. ورث بوكاشيو أباه بعد أن توفي نتيجة الطاعون عام ١٣٤٨، وحظي باستقلاله المادي، وأصبح منزله مكانًا لاجتماع المفكرين والكُتّاب والعلماء. كتب بوكاشيو في السنوات الثلاث اللاحقة أفضل أعماله المعروفة على نطاق واسع «الديكاميرون»، وتحرك مبتعدا عن عالم العصور الوسطى بمناقبه ورذائِله باتجاه رؤية أكثر إنسانية. كانت شخصياته تتمتع بأبعادٍ حقيقية تمكّن من خلالها أن يعكس مقدرة الناس على تشكيل أقدارهم وتحديدها، وعلى تقبّل إمكانياتهم البشرية المحدودة بكلّ أريحيّة.

سنوات أخيرة

كوّن بوكاشيو علاقات صداقة مقربة ومتينة مع الشاعر بيتراك؛ أشهر كاتب في جيله، وكرّس نفسه بعد عام ١٣٥٠ للعلم والمعرفة، وكتب عدة أعمال باللاتينية، وتولى أيضا مناصب برلمانية ومدنيّة مُهمة في مدينة فلورنسا. أصبح رجلا بائسًا وكثير الأوهام في آخر عمره، وألهمته وفاة صديقه بيتراك عام ١٣٧٤ لكتابة واحد من آخر أعماله، والذي كان قصيدة غنائية. تُوفي بوكاشيو بعدها بعام ودفُن في قرية سيرتالدو بالقرب من فلورنسا.

الديكاميرون

تحكي الديكاميرون لبوكاشيو قصة عشرة شُبّان وشابّات فلورنسيين هربوا من الموت الأسود الذي مزّق مدينتهم، وانتقلوا إلى قرية في الريف. اتفقوا على أن يحكي كلّ واحدٍ منهم قصةً كل يوم. وهكذا، فالكتاب مقسم إلى عشرة أيام وعشر قصص، تربط سردية المؤلف بعضها ببعض. وفّرت هذه الخاصية لبوكاشيو حقل عمل يمكّنه من استعراض أنواع مختلفة من المواضيع مثل (التعاسة والحزن، والحب، والخلاعة)، واستطاع أن ينوّع وتيرة عمله؛ فينتقل من الهزل إلى الفُحش إلى التراجيديا.



رسم من القرن التاسع عشر لساردي الديكاميرون العشرة.

(العلّامة الكلاسيكي)
يُظهر هذا البورتريه لرسام مجهول بوكاشيو رجل التعليم الكلاسيكي، يُكلل رأسه الغار.

> لا وجود لشيء غير لائق لا يمكن قوله لشخص آخر إذا أُستخدمت الكلمات المناسبة لإيصاله.
>
> بوكاشيو - الديكاميرون.



جيفري تشوسر

(١٣٤٣-١٤٠٠) إنجليزي

كان تشوسر أحد المناصرين الكبار للعاميّة الإنجليزية في الأدب. ظلّت توصيفاته الجليّة للحُجّاج في مجموعته القصصيّة «حكايات كانتربيري» حيّة وشهيرة منذ العصور الوسطى.

ولد تشوسر في لندن ابنًا لتاجر خمور. لم تمنع قلة المعلومات المتوفرة حول حياته المُبكّرة وتعليمه من توثيق حياته المهنيّة بإتقان، وذلك لأنه كان موظفًا مدنيًا وبيروقراطيًا خدم بمنصبٍ دبلوماسي في دوائر بلاط إدوارد الثالث ثمّ بلاط ريتشارد الثاني. وجد الحماية والرعاية في ظل جون غاونت الذي أصبح فيما بعد صهره. ربما ساهمت أحداث حياته المهنية الزاخرة في جعل كتاباته غنيّة، على الرغم من ندرة إتيان التقارير المُعاصرة له على ذكر شِعره. كافأه إدوارد الثالث بـ«غالون من الخمر يوميًا حتى مماته» في يوم القديس جورج سنة ١٣٧٤، وهي حقبة كان يُحتفى فيها بالمساعي الفنيّة.

التأثير الأوروبي

منحت الحياة الدبلوماسية لتشوسر الكثير من الخبرة الخارجية. كان يخرج في مهمات إلى فرنسا وكّله بها ليونيل أنتويرب؛ الابن الثالث لإدوارد الثالث. كما ألقي القبض عليه في فرنسا عام ١٣٥٩، لكن أُطلق سراحه بفدية مدفوعة من الملك، والذي أرسله فيما بعد في مهمات دبلوماسية أخرى إلى فلاندرز، وإسبانيا، وإيطاليا حيث كان عُرضة للأفكار الراديكالية الجديدة للنهضة الإيطالية، ويُحتمل أن تكون أعمال دانتي وبوكاشيو من تلك الكتابات. ففي الوقت الذي كانت فيه القصص الدمثة في مرحلة العصور الوسطى تُكتب عن شخصيات مثالية ومُتشرّبة للعقيدة المسيحية؛ كان كتّاب النهضة الإيطالية متأثّرين عكس ذلك بالحضارة الكلاسيكية. كانوا يكتبون من منظورهم الإنساني عن شخصيات عادية وهموم يومية، بل وزادوا من وتيرة كتابتهم بالعامية ليُوسعوا دائرة قُرائهم. اقتفى تشوسر خُطاهم واختار الكتابة بالإنجليزية المتداولة في الوقت الذي كانت أغلب الكتابات في إنجلترا باللغة اللاتينية أو الفرنسية: لم تعد الإنجليزية لغة رسمية بعد الغزو النورماندي لبريطانيا عام ١٠٦٦، وكانت الفرنسية لغة النُبلاء والسلطة. تطورت اللغة الإنجليزية الوسطى -وهي لغة الناس العاديين- استجابةً لذلك.

القصائد الأولى

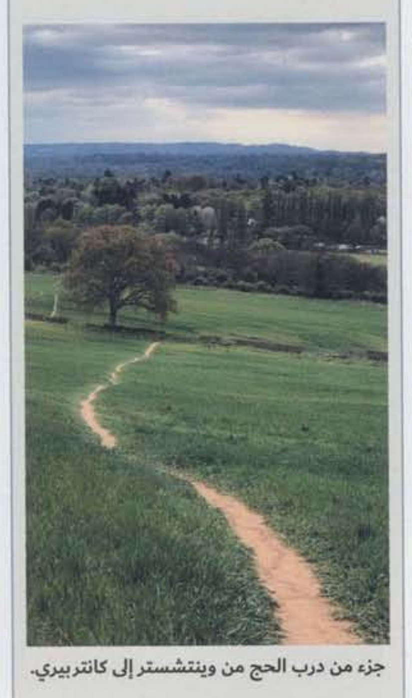
نشر تشوسر قصائده الكبرى الأولى قبل سن الثلاثين، منها «كتاب الدوقة»، وهو مرثية لبلانتش، دوقة لانساستير، وكانت الفكرة المركزية لتلك المرثية تدور حول لعبة من الشطرنج كانت بلانتش الزوجة الأولى لجون غاونت، وهو

▸ **(التصميم البصري، تشوسر)**

أنتج وليم موريس، الكاتب والمصمم الإنجليزي، في عام ١٨٩٦ مجموعة مزخرفة من أعمال تشوسر في مطبعته للتصميم البصري Kelmscott.

الحج

تعدّ فكرة الرحلة المقدسة -تُؤدّى لإزهار الروح- سمةً مميزةً في العديد من الأديان. كان أول الحجيج في العالم المسيحي مَنْ اقتفوا خُطى المسيح إلى الأرض المقدسة، وحواريه، وأول الشهداء في روما والأماكن الأخرى. تحفّز الحجيج لاحقًا لأداء الرحلة الورعة لتساهل الكنسية في منح وعود المغفرة من الذنوب مقابل أدائها، وكذلك لرغبتهم بالهرب من الحجر داخل منازلهم، ورؤية العالم الخارجي. ارتحل بعض الحجيج في رحلات طويلة وخطرة إلى أماكن مثل القدس، أو إلى سانتياغو دي كومبستيلا في إسبانيا، في حين قرر آخرون زيارة معابد قريبة تضم آثار القديسين وحسب.



جزء من درب الحج من وينتشستر إلى كانتربيري.

> هذا العالم ليس إلا درباً مليئاً بالمشقة، ونحن حجيج في رحلة ذهاب وإياب.
>
> جيفري تشوسر - حكايات كانتربيري.

▸ **(تشوسر، لوحة فنان مجهول)**

يُعتقد أنّ هذه اللوحة التي تُزين بودليان ليبراري، أكسفورد، قد رُسمت بعد وفاة تشوسر، والرقم ١٤٠٠ المكتوب على اللوحة يشير إلى السنة المفترضة لوفاة تشوسر.



Caucer 1400



▲ **(نعش بيكيت)**

قُتل المطران توماس بيكيت في التاسع والعشرين من كانون الأول/ ديسمبر ١١٧٠ داخل كاتدرائية كانتربيري من قبل أربعة فرسان تابعين لهنري الثاني. صدمت هذه الجريمة المسيحيين وقادت إلى تقديس بيكيت في عام ١١٧٣، وجعلت من كانتربيري وجهة الحجيج الأهم في إنجلترا. زُخرف هذا النعش المتقن بمشاهد من شهادة بيكيت وصنع ليضم رفاته.

على الأرجح من كلّف تشوسر بكتابة مرثيّةٍ فيها. ضمّت كتاباته الأولى الأخرى قصائد قصيرة مثل «أنليدا وآرسيت»، و«بيت الشهرة» التي أشار فيها صراحة إلى شعراء إيطاليين ورومان، مثل أوفيد، وبوكاشيو، ودانتي. لقد وضعه انجذابه نحو الطليان، والتطور السريع لمهاراته وإمكانياته الأدبية، في مرحلة متقدمة عن روّاد النهضة الأدبية في إنجلترا، والتي يعود تاريخ معظم أعمالها إلى أواخر القرن الخامس عشر.

تعيينات رسمية

تزوج تشوسر من فيليبا ريوت نحو عام ١٣٦٦، وقد كانت سيدة في انتظار أن تكون وصيفة للملكة، ورزق الزوجان بثلاثة أطفال. كما تزوجت أخت فيليبا من جون غاونت. وفي عام ١٣٧٤، عُيّن تشوسر مُراقبا جمركيا للندن، وهو منصب ذو هيبة رفيعة نظرا لأهمية الجمرك حينئذ، والذي كان مصدرًا لثروة المدينة. كوّن المنصب له أعداء يشغلون مناصب مؤثرة، وحين فقد حماية راعيه -عُمدة لندن- شُنّع عليه واضطر للهرب إلى أقربائه في كينت، حيث أصبح عضوا في برلمان المدينة عام ١٣٨٦، وخدم في القضاء.

▶ **(كاتدرائية كانتربيري)**

جعل تشوسر الحجَّ إلى كانتربيري لتكون بيئة عمله وتنظم قصص مجموعة متباينة من الشخصيات من طبقات المجتمع المختلفة، والذين لن يلتقوا معا إلا في هكذا رحلة.

شغل لاحقا مناصبَ لإدوارد الثالث وريتشارد الثاني، من ضمنها منصب مُدوّن أعمال الملك، مع تحمله مسؤولة تشييد وإصلاح السكن الملكي والمتنزهات، والأسوار، والجسور، ومجاري تصريف المياه على طول نهر التايمز.

حكايات كانتربيري

كتب تشوسر بغزارة خلال السنوات الاثنتي عشرة التي خدم فيها مراقبًا جمركيًّا فأنتج قصائد مثل «أسطورة النساء الصالحات»، وعمله الملحمي الذي حظي بتقديرٍ كبير «ترويلوس وسريسيدا»، وهو يحكي قصة عاشقيْن في الوسط الإنجليزي على غرار قصة حصار طروادة. أما عن أكثر أعماله شهرة فهو حكايات كانتربيري، والذي بدأ بكتابته في أوائل عام ١٣٨٠. يتكون الكتاب من أربع وعشرين قصة واقعية، وتُروى بسردٍ قصصي على لسان مجموعة من الحجيج الذين قدموا من أماكن مختلفة ويعملون بحِرفٍ متنوعة، وذلك خلال رحلتهم إلى ضريح القديس توماس بيكيت في كانتربيري. استلهم تشوسر عمله هذا على الأرجح من قصص الديكاميرون لبوكاشيو (١٣٥٣)، وهي مجموعة من مئة حكاية نثرية يسردها عشرة أشخاص عاديين يجمعهم سكن ريفي بالقرب من فلورنسا، وذلك أثناء هربهم من الموت الأسود. يكاد يكون من المؤكد استعانة تشوسر في نسجه لحكايات كانتربيري بحياة أناس حقيقيين؛ فصاحب النُزل كان يحمل اسم شخصية معاصرة معروفة من لندن، كما اقترح باحثون هُوياتٍ حقيقية لكل من: زوجة باث، والتاجر، ورجل القانون، وطالب العلم. أكد تشوسر بأن كل شخصية عكست بحديثها وأسلوبها حالة وحرفة مُعيّنة، وتتجاوز حكاياتهم مداها إلى الحياة الواقعية بمرجعياتها الفَكِهة ومواضيعها النابضة بالحياة. أكّد تشوسر كذلك على قوتّه شاعرا هجائيا بتقديمه لرئيس المجلس البلدي متحدثا بلهجةٍ محلية، وفضحه للنفاق الديني، وذلك في حكاية المسامح. نالت هذه القصص الكثير من الإعجاب نظرا لفكاهتها وبذاءتها؛ فالعاشق سيئ الحظ لزوجة الطحّان خُدع ليُقبّل عجيزة معشوقته. وزوجة باث تروي ببهجة كيف أنها تلاعبت بخمسة أزواج وبقيت تعيش في سعادة بدون أطفال. يكوّن القراء المعاصرون من خلال تلك الحكايات نظرة عن الآراء والحياة اليومية لقوم القرن الرابع عشر، والذين لا يهتمون كثيرا لأمر نقائهم الرّوحي، ويبدون اهتمامًا أعظم بكثير بحالتهم الاجتماعية والرضا المادي.



▼ **(موضع الانطلاق)**

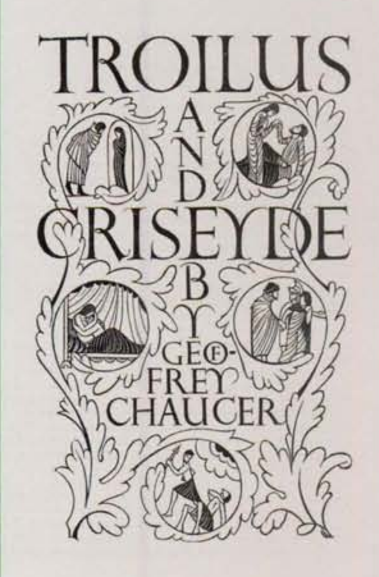
تصوّر لوحة إدوارد هنري كوربولد (١٨٤٣) حجيجَ تشوسر في نُزل تابارد في ساوثوارك، جنوبي لندن، حيث شرع الحجيج برحلتهم إلى كانتربيري.

(الحياةُ قصيرةٌ جدًا، وتعلّم حرفةٍ يحتاج إلى وقتٍ طويل).

برلمان الطيور - تشوسر.

القافية الملكية

عُرف تشوسر بابتكاره العروض الشعرية واختراعه الشعري، إذ ابتكر نظم القافية الملكية. يتكون كل مقطع شعري في هذا النظم من سبعة أسطر، ينظم في العادة باستخدام الوزن الخماسي العمبقي iambic pentameter، وكان تشوسر من الشعراء الأوائل في استخدام خمسة سطور شعرية بقافية ثُنائية. تعد القافية الملكية مزية لشعر تشوسر، ووظّفها في قصائده الطويلة مثل ترويلوس وكريسيدا، وبرلمان الطيور، وظهرت في أربع من حكايات كانتربيري: حكاية رجل القانون، وحكاية الكاتب، وحكاية الراهبة الثانية، وحكاية رئيسة الدير. وأعتمدت القافية الملكية نَظما شعريا أساسيا في اللغة الإنجليزية.



صورة غلاف طبعة عام ١٩٢٧ لعمل تشوسر ترويلوس وكريسيدا، للفنان إيريك غِل.

ومن الجوانب المهمّة كذلك في حكايات تشوسر «الاستهلال العام»، والذي قدم فيه السارد الحجيج وشرح الكيفية التي التقوا بها في نُزل تابارد في ساوثوارك. يصبح الراوي كُلّي المعرفة ساردًا بضمير المتكلم -الشخص الأول- في السطر العشرين، ويلتمس الألفة: قوّض تشوسر نفوذه في قصته من خلال توضيح رغبته في وصف كل حاج من منظوره الشخصي، مُلمّحا إلى أن قصصه قد تكون غير موضوعيّة ومتأثرةً برأي شخصي. تُعرّف كل شخصية بحالته أو حالتها الاجتماعية، لتبدو وكأنها المحور الرئيس للقصيدة (قصائد قصصية).

ثرواتٌ في تراجع

لم تكتمل تحفة تشوسر الفنية، فقد مات في عام ١٤٠٠ دون أن يتسنّى لجميع الحجيج الذين ورد ذكرهم في الاستهلال سرد قصصهم. ويبدو أن تشوسر عانى من ضائقة مالية في أواخر حياته. وعلى الرغم من أنه كان يستلم مُرتّبًا تقاعديا من ريتشارد الثاني، فقد رفض الملك الجديد، هنري الرابع (٣١٤١-٧٦٣١) الوفاء بما وعدَ به سلفُه. نظمَ تشوسر قصيدته «شكوى تشوسر لمحفظته»، وهي واحدة من آخر أعماله كانت بمثابة قصيدة حُبّ في محفظة نقوده ومناشدة للملك الجديد كي يعيد إليه قسطه السنوي. كان تشوسر أول شاعر يُدفن في ركن الشعراء في دير ويستمنستر، وشُيّد شاهد قبره بعد أكثر من قرن على وفاته. من المرجّح أن تكون وفاته في الخامس والعشرين من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٤٠٠، لكن بالنظر إلى الكثير من الأحداث في حياة تشوسر، فليس بوسعنا التيقّن من صِحّة هذا التاريخ.

أعماله:

(١٣٧٩-١٣٨٠) بيت الشهرة: قصيدة طويلة من ألفي سطر شعري. يسرد فيها رؤيا منامٍ يُقاد فيه السارد من قبل ملاك.

(١٣٨١-١٣٨٢) برلمان الطيور: أشار فيه تشوسر بالإنجليزية لأول مرة إلى يوم خاص بإحياء ذكرى الحب - الفالنتاين.

(منتصف القرن الرابع عشر - ١٣٨٠) ترويلوس وكريسيدا: استُلهم هذا العمل من عمل بوكاشيو الديكاميرون.

(١٣٨٦-١٣٨٨) أسطورة النساء الصالحات: يسرد هذا العمل قصص عشر نساء فاضلات من العالم القديم.

(١٣٨٧-١٤٠٠) حكايات كانتربيري: أصبحت بعد نشرها أفضل أعمال تشوسر.

فرانسوا رابليه

(١٤٩٣/١٥٥٣-٥٤) فرنسي.

كان رابليه كاتبا، وطبيبا، وعلّامة، وقسا، ومفكرا كبيرا في القرن السادس عشر في فرنسا. وأصبح اسمه مرادفا للفكاهة والسخرية نتيجةً لأهم أعماله، غارغانتوا وبانتغرويل.



◂ (لا ديفينير)

وُلد رابليه وترعرع في هذا الكوخ بالقرب من قرية سيويلي. وجرت بواكير معارك غارغانتوا في الريف المحيط بالكوخ.

وُلِد فرانسوا رابليه في أواخر القرن الخامس عشر في شينون، ابنًا لفلاح ثري ومالك أرض في منطقة الخمر في تورين. توصف هذه الأرض بالكامل في مغامرات بطله العملاق، غارغانتوا، والذي تجري معاركه مع جاره الغاضب بيكروكولي عبر الحقول والجداول والقلاع العظيمة المحيطة بمنزل طفولة رابليه.

درس رابليه القانون في بداية القرن السادس عشر، لكن بعد أن التحق بدير الفرانشسكي في لا باومي، ونهل من الأوامر المقدسة في مدينة بويتو، شعر بالكره تجاه الفرانشسكيين لمنهجهم التعليمي التقليدي ضيّق الأفق. انجذب رابليه عوضا عن ذلك إلى النهضة الإنسانية (مسار فكري وُجِد من خلال العودة إلى الأفكار الكلاسيكية)، وضمّ صوته إلى صوت الطلبة الذين كانوا يستخدمون الترجمات الجديدة للمخطوطات اللاتينية والإغريقية ليدعموا تعليم الفلسفة التنويرية على نحو أوسع وأكبر. كانت تحليلاتهم للنص في المخطوطات القديمة تضع الأُسُس للترجمات الحديثة للكتاب المقدس. لكنَّ ديره الفرنسي عدَّ شغفه باللغة الإغريقية هرطقةً ويُحتمل أن يضم بين جنباته تبنّيًا لأفكار خطرة. مُنح رابليه إعفاءً من البابا كي يستمر بدراسته في دير البينديكتين، لكنه نقض عهده عام ١٥٣٠ وانتقل إلى جامعة مونبلييه ليدرس الطب. رُزق رابليه بطفليه من امرأة مجهولة الاسم، ويُحتمل أنهما ولدا في هذه المدة. وُظّف بعدها طبيبا في مستشفى ديو-هوتيل في ليون، واستند في علاجاته إلى ترجماته الخاصة لأعمال غالين وهيبوقراطيس، وأشيد به لاعتنائه بضحايا الموت الأسود (الطاعون).

أجندة النهضة

عاش رابليه في أوقاتٍ هائجة. قادت الحرب الفرنسية الطويلة ضد الإمبراطور الروماني المقدس تشارلز الخامس حول الأراضي الفرنسية في إيطاليا إلى هزيمة مُذِلّة عام ١٥٢٥، حين أُلقي القبض على فرنسيس الأول، وأُجبر على دفع الفدية. تزامن كذلك صعود الإنسانوية مع حركة الإصلاح في ألمانيا، وشَجَبت المنشورات في الشوارع الفرنسية تعاونَ الكنسية والممارساتِ الكاثوليكية التي كان له تداعيات عنيفة، كما في اتهام اللوثريين بالهرطقة وحرقهم بعد ربطهم بالأوتاد. دارت بعدها عجلة التغيير بسرعة في العالم، وبدأ رابليه بكتابة الحكايات التي لم تكن لها أي صلة بآداب القرون الوسطى. ارتبطت

اختراع الهزليّة

لكونه لغويا فقد سُرَّ رابليه بقوة اللغة وتأثيرها الكوميدي، وغالبا ما حشا فصوله بلعبة الكلمات والقوائم. فعلى سبيل المثال، ضمّت التصنيفات المطولة للكتب في مكتبته في دير القديس فيكتور تعابير مثل «حقول الحقن الشرجية»، و«القردة الثرثارة بمسبحة الصلاة». ولرابليه تأثير عظيم في الكتابة الفرنسية، فقد اختلق كلمات جديدة، وأشاع تعبيرات مثل «بلا أي قيمة تذكر» و«الطبيعة تمقت الفراغ». تستخدم اليوم كلمة «رابليهي» لوصف الطُرف الفاحشة، و«البانتغرويليّة» لوصف فرحة العقل لكن لغرض ساخر تهكمي، و«غارغانتويّ» لوصف جميع الأشياء المذهلة، مثل ذكاء رابليه وحبّه للاستطلاع.



صورة غلاف منقوشة لكتاب رابليه «بانتغرويل»، ١٥٣٢.

◂ (كاتب نثر مُبتكر)

خُلّد ذكر رابليه في هذا البورتريه الذي يعود إلى القرن السابع عشر، والمُعلّق في قصر فرساي قرب باريس. حرّر إرث رابليه كتابة النثر من إكراهات القرون الوسطى.

> قلمي يكتبُ للضحك لا الدموع. والضحك يخص المرء وحده. عِشْ بمرح.
>
> غارغانتوا - رابليه.





▲ (حقيبة أدوات رابليه)

كان رابليه في وقته طبيبًا رفيع الشأن، وترأس محاضرة في علم التشريح تضمنت تشريحًا عموميًا لجثة رجل مشنوق.

قصصه بمغامرات اثنين من العمالقة: غارغانتوا وابنه بانتغرويل. نشر رابليه عمله «بانتغرويل» (العنوان الكامل: الأعمال الشنيعة والمرعبة وكلمات المجدد بانتغرويل الشهير، ملك دبسوديس) في عام ١٥٣٢ تحت اسم مستعار، وهو ألكوفريباس Alcofribas نصير (إعادة ترتيب لاسم رابليه Rabelais) وأتبعه بنشر عمله «غارغانتوا» عام ١٥٣٥ (الحياة المذهلة لغارغانتوا العظيم).

ازدحمت حكاياته بالفُحش وغالبا بالفكاهة الخرائية (دعابات مرتبطة بالبراز Scatological Humour): بعض الفصول مملوءة بقوائم من الشتائم المبتذلة، وبعض الشخصيات أُعطيت أسماء فظّة، وعناوين الفصول نفسها إشارة لحسّ رابليه الفكاهي (كيف أدرك غراندجوسي ذكاءه الخارق باختراعه الممسحة التافهة). وتحت هذه العناوين، كان الهجاء والبصيرة الفلسفية يتدفقان عبر هذه الحكايات.

إيراسموس

عدَّ رابليه رواد الإنسانوية الفرنسية -أمثال بييرا آمي، وغويلامو بودي، وآندريه تيراكويه- حلفاء، والإنسانوي النهضوي الهولندي إيراسموس بأنه الضوء المُرشِد. كان رابليه تابعًا مخلصا لتعاليم هذا الرجل، وإنسانيته، وحذاقته، وقال برأيه الذي ينص على أنّ قلبَ المبادئ الإنسانية والثروة المعرفية يُمكن أن يكون مصدره الإغريق القدماء والمخطوطات اللاتينية. تراسل رابليه مع إيراسموس، وقَوَّلبَ مساعي حياته الفكرية، والطبية، والكتابات الهزلية على غرار «أبيه الروحي».



إيراسموس، كوينتين ميتسيس، ١٥١٧.

خطوات عملاقة

كان رابليه ضليعا في عادات الشهامة الرومانسية التراثية للقرون الوسطى، وملأ حكايته البطولية باحتساء الخمر، والنهم للطعام، والفسوق، والممارسات الجسدية، وأفعال غريبة غير متوقعة: على سبيل المثال، يُكافئ غارغانتوا راهبه بديرٍ ذهبي ليديره ويعيش الرهبان فيه بترف ويتزوجون. يبدو الهزل والضحك أساس كتابه، لكن رابليه يدعو قرّاءه لاكتشاف الغايات الفكرية في حكاياته، مثل الصراع الأصولي عديم الجدوى، والعقيدة الدينية، والأفق التعليمي الضيّق. وفي البحث عن معنى الحياة، يكشف عمالقته ورفقائهم عن براعةٍ في القانون، والعلوم، والفلسفة، والشعر، والطب، والطبيعة، والسلاميّة. يستعير رابليه من شعر العصور السابقة ونثرها، لكنه يربطهم بحكمة عصره الحديث، كما صاغ كلمات جديدة ذات أصول إغريقية ولاتينية، ومن الأمثال «الجهل أصل كل شر» و«الطبيعة تمقت الفراغ» والعديد من الأمثال التي ما زالت تستخدم حتى اليوم.

الحماية والرقابة

تلقّى كتابي بانتغرويل وغارغانتوا الترحاب من العامة، إلا إنّ الرقابة في كلية السوربون أدانته لفحشه، وقدمت تقريرا تلتمس فيه من البلاط السامي حظر هذا الكتاب لمحتواه السياسي والهرطقي. لكن رابليه كان له أصدقاء نافذون، وتمتع بحماية بيان السيد غيوم دو بيلي وصاحب المنصب الرفيع الليبرالي الكنسي الكاردينال جين دو بيلي وآخرين، وكان أيضا عضوا في مجموعة شعراء وكتّاب مفضلة لمارغريت نافارا، أخت فرانسيس الأول. منح الملك ووريثه هنري الثاني رابليه امتيازًا ملكيا لنشر أعماله، الذي استمر خلال حياته. ارتحل الكاتب إلى روما في عام ١٥٣٥، مرافقًا وطبيبًا للكاردينال دو بيلي، فأُعطي غفرانا من البابا من التزاماته المقدسة (كونه كان راهبا). عاد إلى فرنسا ليكون كاهنا



▲ (مارغريت نافارا)

استفاد رابليه من رعاية مارغريت نافارا (أخت فرانسيس الأول الكبرى). رُسمت في هذه اللوحة من قبل الرسام جون كلوت، رسام بلاط فرانسيس.

> المآثر الحسنة التي تتأتّى للإنسان اللبيب تنمو من أفكاره النبيلة وذكرياته.
>
> غارغانتوا - رابليه.

علمانيا ويمارس الطب، وأصبح رئيس الأطباء في مونبلييه عام ١٥٣٧.

مجلدات جديدة

مرت عشر سنوات قبل أن يمسك رابليه بخيط قصة بانتغرويل ورفيقه المحتال البائس بانورج في كتابه الثالث. وفي هذه الأوقات، تُوفي أهم اثنين من داعميه النافذين، وشهدت فرنسا تصعيدًا خطيرا في جو من التعصب الديني. أجبر رابليه على الهرب إلى مدينة ماتز الألمانية لينعم بالحرية، وعملَ طبيبا، وقرأ عمل مارتن لوثر، وبقي متشبثا بموقفه في أعماله. اكتشف اللاهوتيون الذين هاجموا بقسوة أعماله الأولى أنه سخر منهم في كتابه الهزلي الرابع، والذي أعدّه رابليه خلال مدة قضاها في إيطاليا مع الكاردينال جين دو بيلي. وبفضل داعميه النافذين الآخرين، وبالرغم من الإدانة المتكررة ورقابة السوربون والبلاط السامي، فقد طُبعت فصول جديدة من أعمال بانتغرويل. وبعد عودة رابليه إلى فرنسا مُنحَ أبرشية ميدون وأبرشية كريستوف دو جامبي لدعمه في آخر حياته، لكنه لم يتولاهما رسميا قط. توفي رابليه في ريو دو جاردين في باريس عام ١٥٥٣، وكشفت كلماته الأخيرة عن عقل متنور متأهب لمغامراته القادمة: أنا ذاهبٌ للبحث عن احتماليّةٍ عظيمة.

أبرز أعماله:

١٥٣٢
بانتغرويل: بدأ رابليه بتفاصيل جمَّة عن ولادة العملاق ثم وصف كيف خلقَ مخلوقات ضئيلة الحجم عبر الضراط.

١٥٣٤
غارغانتوا: عرض استخدام العملاق المبتكر الوزَّة ممسحةً عميقة للمؤخرة. وانجرار والد غارغانتوا إلى معركة طفولية بسبب كيك مسروق.

١٥٤٦
الكتاب الثالث: يُقدَّم فيه بانورغي، المحتال الذي يبحث عن نصيحة فيما لو يتزوج بعد أن تُنبئ له أن سيصبح ديوثًا.

١٥٥٢
الكتاب الرابع: يذهب بانتغرويل وبانورغي في رحلة بحرية فيخوضان معركة مع نقانق، نصفها بشرية ونصفها نقانق.

١٥٦٤
الكتاب الخامس: نُشرَ بعد وفاته، ويصف رحلات إلى مجموعة جزر خيالية. قد لا يكون من ضمن أعمال رابليه.



(غارغانتوا، دور، ١٨٧٣)
جلب غوستاف دور، الطبَّاع الفرنسي، غارغانتوا إلى حياة البذخ في القرن التاسع عشر بهذه التصاوير الخشبية المنقوشة. ويظهر في هذه الصورة الرجالُ وهم يطعمون فم العملاق الخردلَ بمِغرفة.



ميشيل دي مونتين

(١٥٣٣-١٥٩٢) فرنسي.

ولد مونتين لعائلة أرستقراطية ليتمتع بمسيرة رجل دولة ناجح قبل أن يتحول إلى الكتابة. أسس عمله الإبداعي العظيم «المقالات» لتكون نوعا أدبيا.

ولد ميشيل دي مونتين عام ١٥٣٣ في جينيه (مقاطعة فرنسية قديمة) جنوب غربي فرنسا، وهو سليل عائلة نبيلة، وتلقى تعليمه الأول في منزله باللاتينية. أُرسِل بعدها إلى كلية جينيه في بوردو، والتي حظيت بسمعة طيبة لتدريسها الفنون الحرّة. ومن هناك تقدم لدراسة القانون في جامعة تولوز، ليأخذ بعدها مقعدا في برلمان بوردو، ورافقت الرجل الشاب مسيرة ناجحة في الحكومة. وفي عام ١٥٦٨، فوّضه والده بترجمة المقالة اللاهوتية «اللاهوتية الطبيعية» في القرن الخامس عشر لريموند سيبوند، وهي مهمة غذّت شغف مونتين بالأدب والفلسفة. توفي والد مونتين في السنة نفسها، وورث عن أبيه لقب السيد الإقطاعي في عائلته، إضافة لما ورث من ممتلكات. بدأ بتحرير نفسه من مسؤولياته في بوردو، وتمكن من التحرر في النهاية عام ١٥٧١، حينما تقاعد من البرلمان وانتقل إلى جينيه للاستقرار الدائم فيها.

تبرعم الفكرة

نذر مونتين نفسه للكتابة، واختار البرج الجنوبي لتشاتو مكان عملٍ له، وأعاد تصميمه ليكون منزل دراسته ومكتبته. شرع في هذا المكان بكتابة سلسلة قصيرة مكوّنة من قطع نثرية فقهية أطلق عليها «مقالات» غطّت مواضيع كثيرة، ابتداءً من السياسة والفلسفة وانتهاءً بالحب والجنس والغضب وأكل لحوم البشر وآداب الحوار. لم تحترم كتاباته النظريات التراثية، والحقيقة أنه تبنّى موقفا غير ثابت، وغالبًا ما كان يناقض نفسه. لقد جعله مزجه بين خبراته الشخصية وبين التساؤلات الفلسفية واحدًا من أكثر المفكرين أصالة في عصره. انتهى مونتين في عام ١٥٨٠ من كتابة هذه القطع النثرية القصيرة وطبعها بمجلّدين ليكوّنا الطبعة الأولى من المقالات.

السنوات الأخيرة

عانى مونتين من حصى الكلى في وقت لاحق، وارتحل إلى إيطاليا سعيا للعلاج. واكتشف أثناء وجوده في إيطاليا بأنه انتُخِب عمدة لمدينة بوردو في غيابه، فعاد بعدها إلى المدينة ليؤدي واجباته. وعلى الرغم من أن عمله الجديد سيُقاطع كتابته والوظيفة وما حوتها من إدارة الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت في هذه الحقبة، فإن هذا لم يمنعه من إيجاد وقت لمراجعة مقالاته وكتابة أُخرى جديدة، ناشرًا بعضها في طبعات لاحقة، وتُوِّجت كاملة بثلاثة مجلدات في طبعتها الخامسة، عندما أنهى كتابة جميع مقالاته قبل وفاته بثلاث سنوات عام ١٥٩٢.



◂ (قصر دي مونتين)
بُنيت هذه القلعة في القرن الرابع عشر في مدينة جينيه، بيريغورد، وكانت منزل مونتين. أُعيد بناء معظم هذا القصر بعد الحريق المدمِّر في عام ١٨٨٥.

المقالة

يعد مونتين المؤسس لما يعرف اليوم بالمقالة: قطعة نثرية قصيرة تعرض وجهة نظر شخصية. اختار كلمة مقالات (محاولات) ليصف خبرته داخل هذا الإنموذج، واختيرت هذه الكلمة (مقالة) لاحقا لتكون اسما لنوع من القطع النثرية الصغيرة التي توضح مناقشة أو رأيا (ويتضمن هذا المقالة الأكاديمية الرسمية). وكان نهجه الذاتي الذي ألهم تطور المقالة لتصبح نوعًا أدبيا، وفي الأخص بين كتّاب اللغة الإنجليزية


ESSAIS
MICHEL SEIGNEVR DE MONTAIGNE
A PARIS,

صفحة عنوان الطبعة الخامسة (١٥٨٨) من المقالات.

◂ (كاتب ورجل دولة)
رُسم هذا البورتريه لميشيل دي مونتين من فنان مجهول في الربع الأول من القرن السابع عشر، ويُزيّن جدران قصر فرساي البهيّ بالقرب من باريس.

> إنها ذاتي التي أصفها...أنا نفسي موضوع كتابي.
>
> المقالات - مونتين.

ميغيل دي سرفانتيس

(١٥٤٧-١٦١٦) إسباني

عاش أشهر كتّاب إسبانيا، سرفانتيس، في القرن السادس عشر، وكان جنديا، وشاعرا، وكاتبا مسرحيا، وروائيا. يصنّف عمله المُميّز دون كيخوته بأنه أول أعظم رواية في الأدب الحديث.

◄ (تشابه غير مثالي)
تشابه غير موثوق لسرفانتس الحقيقي: رسم هذا البورتريه في الغالب الرسام خوان دو خورخي، وهي الأساس للعديد من صور الكاتب، من بينها تلك التي تزيّن عملات اليورو الإسبانية.

كان سرفانتيس في السجن للمرة الثالثة في حياته حين بلغ الخمسين عاما، وهناك بدأت القصة تتشكل في مخيلته. وفي السنوات التي تلت إطلاق سراحه، حرّر بطله على الورق: دون كيخوته، الفارس الذي يكاد يصاب بالجنون بسبب قراءته روايات الفروسية، امتطى صهوة حصانه الهزيل روزنانت، بصحبة حامل الدروع الملكي ومساعده سانشو بانزا ليُلاحق مساعيه في إقليم لا مانشا بإسبانيا. طُبع الجزء الأول من رواية دون كيخوته عام ١٦٠٥ ولم تكن شبيهة بأيّ عمل سبقها في تاريخ الأدب، إذ أصبحت بمثابة منصة القفز لقرون من التجارب حول شكل الرواية. أنتج الكتاب صفة خاصة به «كيخوتي Quixotic» تصف المثاليّة اليائسة، وهي كلمة تنطبق تمامًا، وبجدارة، على حياة سرفانتيس، بصعودها وهبوطها في حياته الحربية وحبسه، والسرد القصصي الذي غمر مُدّة من التاريخ الإسباني المشحون بالصراع.

حياته المبكرة والتعليم

ولد ميغيل في يوم القديس ميشيل (٢٩-أيلول) سنة ١٥٤٧ في ألكالا دي إيناريس بالقرب من مدريد، وكان ميغيل الابن الرابع بين سبعة ولدوا لِلينور دي كورتيناس، ابنة رجل نبيل، ورودريغو دي سرفانتيس، مساعد جراح متنقل وحلاق. لا نعرف عن حياة سرفانتيس المبكرة سوى القليل، لكنه كان يدرس في سن الحادية والعشرين تحت رعاية بروفيسور إنسانوي يدعى خوان لوبيز دي أويوس في مدريد، والذي وصفه بأنه «تلميذه المحبوب». وبحلول سنة ١٥٦٩، انتقل سرفانتيس إلى روما (على الأرجح بسبب جرحٍ تعرض له من منافس في مبارزة) وعمل هناك مساعدا لكاردينال.

الصراع والحبس

شكلت إسبانيا تحالف قوى كاثوليكية مع البندقية والبابوية في كفاحها من أجل انتزاع السيطرة على البحر المتوسط من سطوة السلطان العثماني سليم الثاني. وفي عام ١٥٧٠، آمن سرفانتيس وأخوه رودريغو بأفكار الحملة، وانضمّا للجيش الإسباني في نابولي. أبحرا مع الأسطول على مركب الماركيزا واشتركا في معركة ليبانتو الدموية بالقرب من كورينثو، والتي انتهت بهزيمةٍ

▲ (معركة ليبانتو)
أُثخنَ سرفانتس جراحًا في معركة ليبانتو عام ١٥٧١، وتُظهر هذه اللوحة من القرن السادس عشر المعركة التي هزمَ فيها الأسطول البحري المسيحي القوات التركية.

عن الحقيقة والخيال في رواية دون كيخوته

جرّب سرفانتس العديد من الصيغ والأشكال الأدبية في حياته، لكنه خلق في دون كيخوته قاعة من المرايا. وبالرغم من أن البطل يرتحل في عالم الواقع مع رفيقٍ واقعي، فإن القارئ يُسحب إلى خيالات البطل المجنون. تطفو الفكاهة، والمأساة، والتوترات الاجتماعية لذلك العصر على السطح بتفاعل ما بين الحقيقة والوهم. الرواية عَرَضية، بقصص من شخصيات متعددة توسع المشهد، وبمرجعية ذاتية هزلية: كانت الشخصيات واعية دورها في العمل، واستغل السارد الظهور المنتظم لها لمناقشة حيلة عمله وتأثيرات الخدعة في الأدب.


EL INGENIOSO HIDALGO DON QVIXOTE de la Mancha.
Compuesto por Miguel de Ceruantes Saauedra.
DIRIGIDO AL DVQVE DE Bejar, Marques de Gibraleon, Conde de Benalcaçar, y Bañares, Vizconde dela Puebla de Alcocer, Señor de las villas de Capilla, Curiel, y Burguillos.
Impresso con licencia, en Valencia, en casa de Pedro Patricio Mey, 1605.
A costa de Iusepe Ferrer mercader de libros, delante la Diputacion.

صفحة العنوان للجزء الأول من دون كيخوته المنشورة في عام ١٦٠٥.

> لأجلي وحدي ولد دون كيخوته ولأجله ولدت، له قوة العمل ولي قوة الكتابة.
>
> دون كيخوته - سرفانتس.





▲ **(عبدٌ في خمس سنوات)**
حُبس سرفانتس وبيعَ عبدًا. كتب اعتمادًا على خبرته في الحبس حكاية دون كيخوته واثنين من مسرحياته التي تجري وقائعهما في الجزائر.

ساحقة للأتراك. أصيب سرفانتس بطلقتين في صدره، وأصيبت يده اليسرى إصابة بالغة بطلقة بندقية ثالثة، ثم تماثل للشفاء ليقاتل في معارك أخرى. ملأت خبراته قصصه اللاحقة، لكن وجوده فوق التراب الإيطالي لم يكن مُقدَّرا أيضا؛ إذ كان قارئا نهما، وعاب عصر النهضة الفلسفي والثورة الأدبية في موطن ولادتها. أبحر الأَخَوان عائدين إلى إسبانيا عام ١٥٧٥، عندما هاجم القراصنة البرابرة سفينتهم، وألقوا القبض على الطاقم، فباعوهم عبيدا في الجزائر؛ مركز المسلمين لتجارة العبيد المسيحيين. كان سرفانتس يحمل رسائل توصية من جهات عليا، على أمل تأمين شارة قيادة في إسبانيا، لكن هذه الرسائل تسببت في وضع جائزة مقابل أسره ومبلغا كبيرًا على رأسه.

◄ **(فخر الأرض)**
أصبحَ سرفانتس ومخلوقه دون كيخوته رمزًا لإسبانيا نفسها. وينتصب تمثال سرفانتس في ساحة سرفانتس في بلدته في ألكالا دي إيناريس.

ويصف ما دُوِّن من كلام العبيد الآخرين في ذلك الوقت سرفانتس بأنه كان قائدا شجاعا حاول الهرب أربعَ مرات، لكن حُمي من العقوبة، بل والموت، عبر توصية عُليا من قبل آسريه. مكث سرفانتس طويلا في السجن: مدة خمس سنوات، وكان على وشك أن يُرسلَ إلى القسطنطينية ليباع هناك، حين حصلت عائلته على مساعدة عبر ترتيبات رهبان الثالثوية، ودفعت لأجله ٥٠٠ إسكيودو ذهبية لتحريره وجلبه إلى إسبانيا.

العودة إلى إسبانيا

كان الجندي المحارب من ليبانتو، وهو اللقب الذي اشتهر به سرفانتس، يكافح من أجل توفير لقمة العيش في إسبانيا، فتحول إلى الكتابة. ازدهرت إسبانيا باستعمارها لأمريكا، كانت في منتصف عصرها الذهبي -مرحلة الأوج الإبداعي في الفن والأدب- حين أثَّر سرفانتس بوضوح من خلال مسرحيتيه الأوليتين. كتب مسرحيته «زنازين الجزائر المُحصّنة» عن المدة التي قضاها عبدا مسيحيا في الجزائر، وتحكي «نومانتيا Numantia» قصة الحصار القاسي لنومانتيا من الرومان. كتب سرفانتس الرواية أيضا، فكانت روايته الرعوية لا غالاتيا La Galatea، عن قصة راعيين وقعا في حب حورية بحر غالاتيا. لم يجنِ سرفانتس مالا كافيا ليعين نفسه ووضع عائلته المعقد رغم ما يتلقاه من مال مقابل كتاباته. التقى -في سن السابعة والثلاثين- حب حياته «آنا فرانسا»، امرأة متزوجة أنجبت له طفلته

تراجع إسبانيا

كانت إسبانيا إبان ولادة سرفانتس قوة عظمى، تملك المقاطعات في الهند الشرقية، والبلدان المنخفضة (هولندا والفلاندر)، وإيطاليا. اغتنت إسبانيا كثيرا بكميات الذهب الهائلة الواردة من الأمريكيتين، بالإضافة لكونها مركز الفن الأوروبي، والأدب، والفلسفة. أُنتِجت أعمال سرفانتس الرئيسة وقت تراجع بلاده، وغلب على حكم كلٍّ من فيليب الثاني (١٥٢٧-١٥٩٨)، وفيليب الثالث (١٥٩٨-١٦٢١) القمعُ، ومحاكمُ التفتيش الدينية المتطرفة سيئة السمعة، والإصلاحُ الكاثوليكي للحد من انتشار البروتستانتية، وكذلك الانحدار السريع لثروات للمستعمرات الإسبانية، وهزيمة الأسطول البحري الإسباني.



اليوم السابع من المعركة ضد الأسطول البحري الإسباني، هندريك كورنيليس. فرووم، ١٦٠١.

الوحيدة «إيزابيل دو سافيدرا». تزوّج بعدها كاتالينا دي بالاسيوس، لكنه هجرها وسافر إلى الأندلس مندوبًا لمؤن للأسطول الحربي البحري الإسباني. أفل العصر الذهبي للدولة القوية سريعًا بهزيمة الأسطول الحربي الإسباني على يد الإنجليز عام ١٥٨٨. حاولت الملكية إصلاح الاقتصاد المترنح بفرض ضرائب عقابية على الناس الذين يعملون في إسبانيا. عُيّن سرفانتس جامع ضرائب بالرغم من تناقضات دفاتر الحسابات في مرحلته الأولى من جمع الحبوب، وحُبس في إشبيلية مدة قصيرة بتهمة الاختلاس قبل أن يطلق سراحه ويحبس مرة أخرى. استمر سرفانتس بكتابة السونيتات والمسرحيات في حبسه، وكتابة قصته العظيمة «دون كيخوته» التي وضع تفاصيلها داخل السجن.

دون كيخوته

رأى سرفانتس في سنة ١٦٠٥، وبسن السابعة والخمسين، أعظم أعماله، دون كيخوته، يُطبع، وبدأت أفضل مرحلة إبداعية كتابية له. كانت الرواية بارودية «أدبا ساخرا» من الفرسان الشّهام وسيداتهم في العصور الوسطى، وتعليقا ساخرا على المجتمع الإسباني المعاصر له. لاقت الرواية نجاحا سريعا، وأصبح اسم سرفانتس معروفا في إنجلترا وفرنسا كما في إسبانيا، وتُرجمت وطُبعت في أماكن كثيرة في العالم. تحسنت أوضاعه مدة مؤقتة لأنه باع حقوق الكتاب، وانتقل إلى مدريد حيث عاش مع الكُتّاب والشعراء، واستمر بالكتابة فكتب «روايات مثالية (١٦١٣)» و«رحلة إلى بارناسوس (١٦١٤)». أغضبه ظهور جزء ثانٍ مزيف من مغامرات دون كيخوته كتبه كاتب مجهول، فنشر تكملته الخاصة من دون كيخوته سنة (١٦١٥).

مات سرفانتس «شيخا، وجنديا ورجلا محترما وفقيرا» في الثاني والعشرين من نيسان/ أبريل عام ١٦١٦، ودُفن في دير باريفوت الثالثوي في مدريد. أُنتشلت في ٢٠١٥ شظايا من عظامه، ومُنح أعظم كاتب لإسبانيا دفنا رسميا، ووضع له نصب تذكاري، بعد أربعمئة عام من وفاته تقريبا.

أبرز أعماله:

١٥٨٥ لا غالاتا: أول عمل رئيس لسرفانتس، وهي قصة حب رعوية شائعة في ذلك الوقت تنتهي على نحو مفاجئ في منتصفها في الجزء الثاني.

١٦٠٥ نشر الجزء الأول من دون كيخوته الذي حظي بنجاح هائل.

١٦١٣ روايات مثالية: مجموعة من اثنتي عشرة قصة تمثّل مشاكل إسبانيا في القرن السابع عشر.

١٦١٦ نشر الجزء الثاني من دون كيخوته بعد ظهور جزء تكميلي مزيف لكاتب مجهول.

١٦١٧ بيرسيليس: أنهى سرفانتس هذا العمل قُبيل وفاته بأيام.



(مبارزة طواحين الهواء)
تحوّلت الحياة اليومية إلى عالم سرفانتس الاستثنائي، حيث بارز بطله غريب الأطوار «دوت كيخوته» طواحينَ الهواء على نحوٍ ذائع الصيت، إذ اعتقدَ أنها عمالقة تجوب سهول لا مانشا.

وليم شيكسبير

(١٥٦٤-١٦١٦) إنجليزي.

الشاعر المبدع ومسرحي إنجلترا في عصر النهضة، كتب أكثر من ثلاثين مسرحيةً، كما كتب القصائد القصصية والسونيتات. إنه أستاذ للتراجيديا والكوميديا، ولا مثيل له في الأدب الإنجليزي.



◂ (منزل الطفولة)
ولدُ شيكسبير وترعرع في هذا المنزل ذي الإطار الخشبي في ستراتفورد-آبون-آفون. قُسم المنزل إلى قسمين، قسم لسكن العائلة، وقسم لعمل الأب.

ولد وليم شيكسبير في سوق بلدة ستراتفورد-أبون-أفون، وارويكشاير، في نيسان/ أبريل عام ١٥٦٤. لا نعرف التاريخ الصحيح لميلاده لكنه يمنح في العادة اليوم الثالث والعشرين من نيسان؛ يوم القديس جورج. كان والده رجلا طموحا ولد لعائلة من الفلاحين المُستأجرين، لكنه غادر ليعمل صانع قفازات في ستراتفورد، حيث ازدهر عمله وتزوج ابنة مالك الأرض، عائلة أردين، التي كان يدفع الإيجار لها. لعب والد شيكسبير دورا بارزا في حياة بلدة ستراتفورد وامتلك بيتين. نجا الابن الأكبر، شيكسبير، من بين خمسة أطفال من الموت في طفولته، وأُرسل إلى مدرسة القواعد المحلية لتلقي التعليم، ووصفه لاحقا زميله المسرحي بين جونسن بأنه يملك «لاتينية قليلة وإغريقية أقل»، لكن مما لا شك فيه أن مدرسته عرّفته على مؤلفي الأعمال اللاتينية الكلاسيكية؛ الأساس الضروري لأي متعلم في عصره. ما نعرفه من تقدم شيكسبير من جذوره المحلية إلى نجاحه في العمل ممثلا مسرحيًا في لندن بمثابة شذرات صغيرة وحسب، وهي المؤكدة في هذه القصة.

حياته المبكرة في ستراتفورد

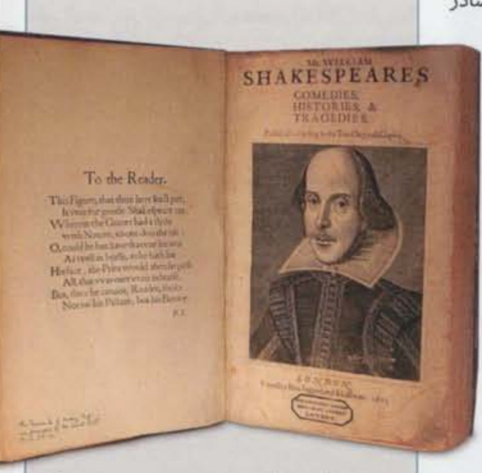
تزوج شيكسبير آن هاثوي، أكبر منه بثماني سنوات، وكانت على وشك الولادة حين وصلوا إلى مذبح كنيسة البلدة، لتلدَ توأمين بعد طفلتهما الأولى سوزانا. عُمّد الولد التوأم باسم هامنيت والبنت التوأم باسم جوديث. كان شيكسبير في الثالثة والعشرين من عمره ويعيش في منزل والده مع زوجته وأطفاله الثلاثة، عندما انتقل إلى لندن تاركا عائلته خلفه. ووفقا لبعض المصادر فإنه كان مضطرا لمغادرة ستراتفورد بعد اتهامه باصطياد غير مشروع لغزال، ويشير المصدر الآخر أنه هرب من قيود زواجٍ بلا حب. لكن يحتمل أن يكون وعيه بامتلاك موهبة استثنائية في النثر ما دفعه للمغادرة -بوجيز القول- من أجل تحقيق حياةٍ من الشهرة والثروة.

لندن لأول مرة

وصل شيكسبير إلى لندن في عام ١٥٨٧، وكانت المشاهد المسرحية في المدينة وقتها في مرحلة النشأة، فقد بُنيت بعض المسارح

الأوراق رباعية الطيات وأحادية الطيّة

كتب شيكسبير مسرحياته لتُؤدى على الخشبة لا لتُقرأ مطبوعة، وتعود ملكية مخطوطاته إلى الجماعة التي عمل معها. طُبع في حياته عدد ضئيل من مسرحياته في طبعاتِ أوراقٍ رباعية الطيات (Quarto) بتخويل من الجماعة، وبعضها قُرصِنَ عبر أفراد من الجمهور دونوها بسرعة وخلسة عندما كان الممثلون يتحدثون. وحتما كان هناك أخطاء نثرية في «الأوراق رباعية الطيات السيئة»، لكن بعد وفاة شيكسبير نُشرت مسرحياته الكاملة في طبعاتِ أوراقٍ أحادية الطية (Folio) محضّرة بعناية أكبر. وتُعدّ أول هذه الطبعات أحادية الطية مصدرا معتمدا لأغلب مسرحياته.



الطبعة الأولى «أحادية الطيّة» التي تحتوي ستًا وثلاثين مسرحية لشيكسبير.

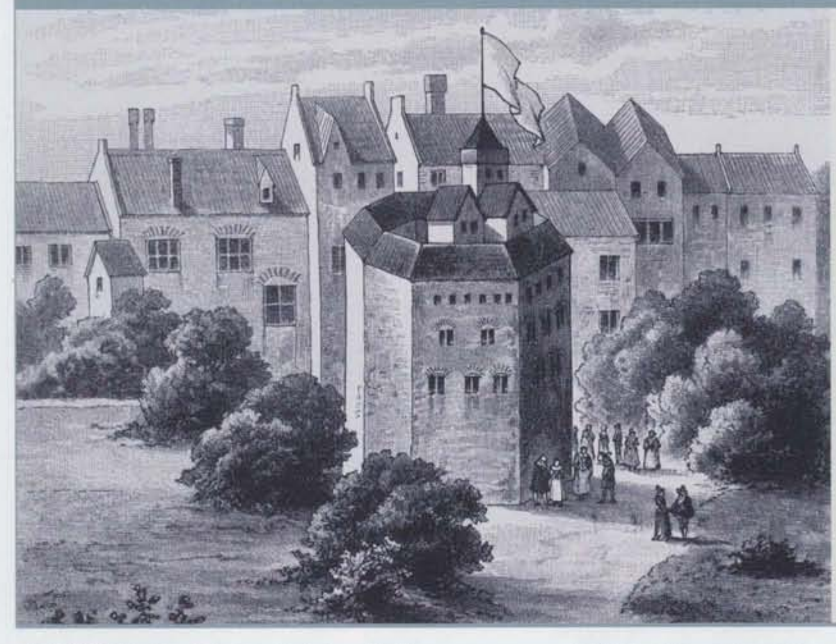
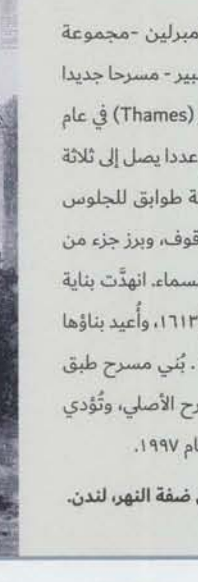
◂ (بورتريه كوبيه، ١٦١٢)
يُعتقد أنَّ هذا البورتريه هو الوحيد الذي رُسم لوليم شيكسبير أثناء حياته، وفوض راعي الكاتب، إيرل ساوثامبتون، فنانا مجهولا لرسمه. واسم البورتريه «كوبيه» بالنسبة إلى اسم العائلة التي تملك اللوحة.

> نحن كالأشياء، كالأحلام نُصنع، وحياتنا القصيرة مُحاطة بالنوم.
>
> العاصفة - شيكسبير.



مسرح غلوب

بنت جماعة رجال السيد تشامبرلين -مجموعة التمثيل التي انتمى إليها شيكسبير- مسرحا جديدا فوق الضفة الجنوبية لنهر التيمز (Thames) في عام ١٥٩٩. استوعبت صالة المسرح عددا يصل إلى ثلاثة آلاف متفرج، موزعين على ثلاثة طوابق للجلوس ومساحة صغيرة من الأرض للوقوف، وبرز جزء من خشبة المسرح مكشوفا تحت السماء. انهدَّت بناية المسرح الأصلية محترقة في عام ١٦١٣، وأُعيد بناؤها وبقيت مفتوحة حتى عام ١٦٤٢. بُني مسرح طبق الأصل بالقرب من موقع المسرح الأصلي، وتُؤدي فوق خشبته المسرحيات منذ عام ١٩٩٧.

مسرح شيكسبير «غلوب» على ضفة النهر، لندن.



SHAKE-SPEARES

SONNETS.

Neuer before Imprinted.

AT LONDON
By *G. Eld* for *T. T.* and are
to be solde by *Iohn Wright*, dwelling
at Christ Church gate.
1609.

◂ (السونيتات، الطبعة الأولى)
ظهرت الطبعة الأولى لسونيتات شيكسبير في عام ١٦٠٩، ومن المحتمل أنها أُلِّفت ونُظِّمت من قبل شيكسبير نفسه. تحتوي هذه السونيتات على أشهر قصائد الأدب الإنجليزي.

الثابتة خارج المدينة التي لم تتجاوز العقد من الزمن. وكان هناك حفنة من الشعراء المعلِّمين، من ضمنهم توماس ناش، وروبرت غرين، وكريستوفر مارلو، الذين ابتدأوا بكتابة أعمال أصيلة لمجموعة من الممثلين ليؤدوها. أمّا كيف قدَّم شيكسبير نفسه إلى عالم المسرح الناشئ بالضبط فهي مسألة تخمين لا أكثر. تقول الأسطورة إنه بدأ بالاعتناء بالخيول خارج أحد المسارح، لكن المعروف بأنه وضع أساسا له ممثلا وكاتبا مسرحيا. كانت إنتاجات المسرحيين الإليزابيثيين نشاطاتٍ تعاونية، ولعل أولى مسرحيات شيكسبير – والتي تضمنت ثلاثة أجزاء لهنري السادس وريتشارد الثالث- قد كتبت بالاستعانة بمساهمات من مسرحيين آخرين من أمثال مارلو أو ناش، وقد جعل النجاحُ الهائل من شيكسبيرَ بارزا بما فيه الكفاية لينال هجوما مرا ومركَّزًا من كاتب مسرحي منافس يدعى روبرت غرين، والذي اتهمه بأنه كـ«غراب محدث نعمة... غارق في غروره (Shake-scene) الوحيد في البلاد»(*).

(*) تلاعب باسم شيكسبير ويقصد به صدمة المسرح أو المصدوم استخفافًا به.

الطاعون والشعر

قوطعت مهنة شيكسبير المسرحيّة من عام ١٥٩٢ إلى ١٥٩٤ بانتشار كبير للطاعون الذي أصاب سكان لندن. أُغلقت كل المسارح مدة من الزمن، وظهرت مطبوعة أثناء التوقف عن المسرح أولى أشعار شيكسبير «فينوس وأدونيس»، وهي قصيدة حب قصصي نُشرت في ١٥٩٣ وأهديت إلى صاحب العشرين عاما، هنري ريوثيزلي، إيرل ساوثامبتون. طُبعت قصيدة شيكسبير القصصية الثانية «اغتصاب لوسريس» في السنة اللاحقة وأهديت أيضا إلى الإيرل. بمرور الوقت، بدأ شيكسبير بكتابة سلسلة من السونيتات؛ نوع شعري حديث انتشر عبر إدموند سبنسر. ومن المحتمل أن يعود زمن كتابة هذه السونيتات إلى ما بين ١٥٩١ و١٦٠٣، وكانت أول طبعة لهن جميعا في ١٦٠٩. سردت المئة والأربع والخمسون سونيتة على نحو فضفاض حبّ الشاعر لـ«الفتى اللطيف» و«السيدة الغامضة». حاول عديد من الدارسين تعريف هذه الشخصيات على أنها حقيقية في حياة شيكسبير، مثل الحروف الأولية الغامضة «Mr W. H.» للشخص الذي أهديت إليه السونيتات. تُشير القصائد إلى احتمالية أن يكون شيكسبير مثليًّا أو مزدوج الميول الجنسية، ويناقش بعض الدارسين بأن «الفتى اللطيف» قد يكون هو إيرل ساوثامبتون أو راعي شيكسبير اللاحق، إيرل بيمبروك. ومن المحتمل أيضا أن هذه القصائد متخيلة تماما وتحمل القليل من حياة شيكسبير الخاصة، وهنَّ بالتأكيد من أجود القصائد باللغة الإنجليزية.

منصة النجاح



◂ (ويل كيمب)
يظهر الممثل الإنجليزي والمهرج الشعبي ويل كيمب (تُوفي عام ١٦٠٣) وهو يرقص في هذا العمل الخشبي. كان كيمب واحدًا من ممثلي شيسكبير الأصيلين، وذُكر اسمه في اتجاهات المسرح في بعض بواكير الطبعات الرباعية المبكرة لمسرحيات شيكسبير (مدخل ويل كيمب).



عندما خفَّت موجة الطاعون وأُعيد فتح المسارح في ١٥٩٤؛ انضمَّ شيكسبير لجماعة عُرفت باسم رجال السيد تشامبرلين (سُميت بهذا لأن راعيها كان أمير هونسدون، هنري كاري). ضمت الجماعة اثنين من أفضل الممثلين في عصره، وهما الممثل الكوميدي وليم كيمب والممثل التراجيدي ريتشارد بوربايج. أدى شيكسبير أدوارا على المنصة، لكن دوره الرئيس كان خلق مواد جديدة. ففي السنوات الخمس اللاحقة، كتب شيكسبير عشْر مسرحيات، من ضمنها روميو وجوليت، والمسرحيات الكوميدية حلم ليلة منتصف الصيف، وكما تشاء، والمسرحيات التاريخية لريتشارد الثاني وهنري السادس. لاقت هذه الأعمال نجاحا متزامنا لدى كلا من الجمهور الشعبي والملكي حين مُثلت في بلاط الملكة. لم يكتب شيكسبير قصصه من بُنيات أفكاره، فقد أُستعيرت حبكاته من مصادر منوع- لكنه نفث الحياة إلى عدد كبير من الشخصيات بحيوية لغوية لا مثيل لها. أثار مزج المأساة المؤلمة بالسخرية الطفيفة والرومانسية والخلاعة- قلق المتعلمين الإليزابيثيين حول القواعد الكلاسيكية للمسرح، لكنهم استسلموا في آخر الأمر لقوة إبداعاته وخياله. وفي حين واجه الكتّاب المسرحيون الآخرون مصائر مختلفة، فقد قُتل مارلو في شجار

▲ **(أوفيليا)**

تظهر أوفيليا في هذه اللوحة (١٨٥١-٥٢)، التي رسمها الفنان الإنجليزي السير جون إيفريت مالياس -مشهد من مسرحية شيكسبير «هاملت» (الفصل السادس، المشهد السابع)- عائمةً في جدول بعد أن أغطست نفسها بالماء بعد التوتر الكبير الذي انتابتها إثر سماعها أن حبيبها هاملت قد قتل والدها.

كل العالم مسرح، والرجال والنساء ممثلون فحسب.

كما تشاء - شيكسبير.

الملكة إليزابيث الأولى

امتدَّ حكم الملكة إليزابيث الأولى من عام ١٥٥٨ إلى عام ١٦٠٣، وأشرفت على عصر النهضة الإنجليزي، وقدمت الحماية والرعاية للفنانين، والشعراء، وكتّاب المسرحيات. عكست مسرحيات شيكسبير التاريخية الافتخار الوطني الذي ألهمته الملكة، إلا أن حُكمها لُعنَ بالانقسام الديني، وقاومت الأسطول البحري الإسباني الذي توجه نحو إنجلترا بإمرة الملك الكاثوليكي الإسباني فيليب الثاني. على الرغم من أن عائلة شيكسبير ذات نزعة كاثوليكية، فإن شيكسبير تجنب المشاكل حتى عندما كان راعيه السابق إيرل ساوثمبتون متورطا في الانقلاب الفاشل في إسكس عام ١٦٠١. ورث جيمس السادس ملك إسكتلندا العرش بعد وفاة ابنة عمه العزباء إليزابيث.



إليزابيث الأولى، ١٥٨٨.

حانة، وسُجن جونسون مرتين لإهانته السلطات؛ بقي شيكسبير بعيدا عن المشاكل، وجمع ثروة متوسطة. اشترى منزل «نيو بالاس»، وهو منزل فخم في ستراتفورد، وامتلك لاحقا أرضا خارج البلدة. حين بنت جماعة تشامبرلين مسرح غلوب في لندن عام ١٥٩٩، كان شيكسبير واحد من المالكين للمسرح، إذ كان مستثمرا فيه. لكن النجاح العام طغى عليه الحدث الجلل في حياة شيكسبير الخاصة، والذي تمثَّل في موت ابنه هامنيت عام ١٥٩٦.

سواد المسرح

لاحظ العديد من النقّاد قتامة مزاج شيكسبير في مطلع القرن السابع عشر، والذي نجده منعكسا في مجموعة المسرحيات المأساوية المتتابعة التي كتبها، من يوليوس قيصر (١٥٩٩) وهاملت (١٦٠١) إلى عُطيل، والملك لير، وماكبث (١٦٠٤-١٦٠٦) وأنطوني وكليوباترا وكوريولانوس (١٦٠٦-١٦٠٧). وثمة شكوك بأنه قد يكون مصابا بمرض تناسلي أثار ردودا عنيفة نافرة من الأداء الجنسي في بعض مسرحياته. من ناحية أخرى، كانت تلك المرحلة التي كتب فيها مسرحيته الكوميدية الطريفة «الليالي الاثنتا عشرة». وبما أن التراجيديا كانت تعد أسمى أشكال الدراما، فليس من المفاجئ أن يتحول كاتب مسرحي في قمة نجاحاته نحو معالجة موضوعات مأساوية عظيمة الشأن. وبعد وفاة إليزابيث الأولى في عام ١٦٠٣، تحولت رعاية جماعة تشامبرلين إلى الملك الأسكتلندي الجديد الذي تولى العرش، جيمس الأول. أصبحوا إثرها رجال الملك وازدهروا بتواتر، وتلقوا المال بسخاء لأدائهم في البلاط. وفي كتابته للمسرحية الأسكتلندية، ماكبث، كان شيكسبير من منزله الريفي يلبي رغبات جيمس على الرغم من أن المسرحية المأساوية بالكاد أظهرت مداهنة للرؤية السياسية لحياة شمال البلاد.

تغييرات في الأسلوب

استمر شيكسبير في كتابة المسرحيات وتمثيلها في مسرح غلوب، بجوه العام الذي جمع ما بين الجمهور الصاخب والراقي، ودفعه تأثير البلاط تدريجيا نحو تحسين أسلوبه المسرحي، بخط مواز للذائقة التعليمية. شُجِّع هذا التوجه على نحو أوسع حين بدأوا بأداء فوق خشبة مسرح أصغر، مسرح بلاكفرايرز المسقّف، وجذب هذا المسرح حضورا أكثر رُقيا. كانت مسرحيات مثل بيركليس وحكاية الشتاء أكثر زخرفة وأقل حيوية في نهاية أسلوب شيكسبير المسرحي. كُتبت «مسرحية العاصفة» قرابة عام ١٦١٦، وربما كانت آخر مسرحيات شيكسبير التي كتبها بأسلوبه الخاص. إنها الخُطبة الأخيرة، إذ ينادي الساحر بروسبيرو الحضور بـ «حرّروني»، والتي فُسِّرت غالبا بأنها وداعية شيكسبير للمسرح. بقي شيكسبير يكتب لجماعة رجال الملك، ولا سيما بالشراكة مع جون فليتشر. غير أنّ أول أداء لشيكسبير وفليتشر في مسرحية الملك هنري الثامن في عام ١٦١٣ تسبب بكارثة، فقد تسببت طلقة مدفع استُخدمت لتكوين تأثير خاص إلى نشوب حريق في سقف مسرح غلوب أتى على آخره، ثم أعيد بناؤه، وبقي شيكسبير



▲ **(ماكبث)**

تصف هذه اللوحة «ماكبث (١٨٢٠)»، التي رسمها الفنان جون مارتن، مشهدًا من مسرحية شيكسبير حيث يلتقي ماكبث وبانكو ثلاث ساحرات (يظهرن على يسار اللوحة) فوق أرض بور.

أبرز أعماله:

١٥٩١-٩٢ ثلاثية هنري السادس: مسرحيّة ركزت على الحرب الوردتين.

١٥٩٦ حلم منتصف الليل: مسرحية هزلية تتضمن تقاليد ريفية لعالم خيالي.

١٥٩٩ يوليوس قيصر: مسرحية مأساوية رومانية وأول المسرحيات التي تُؤدى على مسرح غلوب.

١٦٠١ هاملت: قصة قتل معقدة، وجنون، وانتقام تدور أحداثها في الدنمارك وهي أطول مسرحيات شيكسبير.

١٦٠٤ عُطيل: وهي مسرحية مأساوية لغيرة جنونية للجندي عطيل البربري، التي تقوده لقتل زوجته البريئة.

١٦٠٦ ماكبث: واحدة من أتعس مسرحيات شيكسبير المأساوية، وتصف التأثيرات التآكلية للذنب في عقليْ قاتليْ ملك.

١٦٠٩ السونيتات الكاملة: من المحتمل أنها كتبت ما بين العقد الأخير والأول من القرنين السادس عشر والسابع عشر.

١٦١١ العاصفة: تسرد المسرحية قصة ساحر مزدهر وابنته، وهي آخر مسرحيات شيكسبير الكاملة.

الحياة ليست سوى ظلٍ جوَّال، ممثلٌ رديء الذي يتبختر ويهتاج أثناء دوره فوق خشبةٍ المسرح.

ماكبث - وليم شيكسبير.

شريكا في شئون تمثيل الجماعة.

ووفقا لإشاعة قوية، فإن شيكسبير أصيب بالحمى التي قتلته في رحلة العودة إلى ستراتفورد من لندن في طقس قاس، بعد فصل بديع مع شعراء زملاء في ميرمايد ترافن. مات شيكسبير في نيسان/ أبريل ١٦١٦، ربما في عيد ميلاده الثاني والخمسين. خلّف وصية تعكس اهتماما بسيطًا بمستقبل أفراد أسرته، والشيء الغريب، الذي يسترعي الملاحظة، وصيته بـ «ثاني أفضل سرير» يملكه لزوجته. قيل -وعلى نحو مقنع- بأن السرير الثاني يعني سرير الزوجية، وأن السرير الأفضل كان السرير المخُصص للضيوف. شيّدت عائلة شيكسبير نصبا له في كنيسة الثالوث المقدسة، حيث دُفن.



◂ **بن جونسون**
هذا البورتريه لجونسون، صديق شيكسبير ومنافسه، رسمه الفنان أبراهام فان بلينبيرخ، ١٦١٧. وصف جونسون كتابات شيكسبير في قصيدة بأنها «كتابات لا يمكن لامرئ ولا ربة إلهام أن يبالغا بمديحها».

▾ **(كنيسة الثالوث المقدسة)**
دُفن شيكسبير (في الخامس والعشرين من نيسان ١٦١٦) في ذات الكنيسة التي عُمِّد بها (في السادس والعشرين من نيسان ١٥٦٤). دُفنت زوجته وابنته الكبرى معه.


ILLVMINA
NOSTRAS DOMINA

جون دون

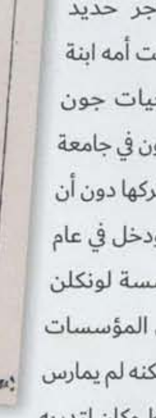
(١٥٧٢-١٦٣١) إنجليزي

امتلك جون سيرة غنية ومنوعة، فكان جنديا، وسياسيا، ورجل بلاط، ودبلوماسيا، ورجل دين، لكن ما أعلى ذكره كان شِعره المذهل الأصيل الذي جعله واحدا من أفضل شعراء عصر النهضة.

ولد جون دون في لندن. كان والده تاجر حديد وخرداوات، وكانت أمه ابنة كاتب المسرحيات جون هايوود. درس جون في جامعة أكسفورد لكنه تركها دون أن يأخذ الشهادة. ودخل في عام ١٥٩٢ إلى مؤسسة لونكلن للقانون (إحدى المؤسسات التابعة للبلاط) لكنه لم يمارس مهنة القانون قط وكان لتدربه في مجال القانون تأثير واضح جدا في كتاباته. أصبح دون في عام ١٥٩٦ جنديا، وانضمّ إلى حملة إيرل إيسكس ضد الإسبان. ألهمته الأحداث التي رآها هناك لكتابة قصيدتين، وهما "الهدوء" و"العاصفة"، وأعانته ليتقلد أول منصب مهم له: مساعدا للسير توماس إيغرتون، السيد الصائن للختم الملكي. انتُخِبَ في عام ١٦٠١ عضوا في برلمان باركلي؛ المقعد الذي كان هدية من إيغرتون.

مصائب الحب

كتب دون أجود قصائد الحب في هذه الأثناء لكن ومن المفارقات فقد قاده الحب إلى خرابه الكبير. ففي عام ١٦٠١، تزوج سرًّا آنا مور، ابنة أخ السيدة إيغرتون. الأمر الذي سبب عاصفة من الاحتجاج. خافت آنا من محاولة والدها بأن يلغي الزواج، وطُرد دون من منصبه، وسُجن مدة من الزمن. بلا عمل ومُشَرَدَيْن، اعتمد الزوجان برهة من الوقت على كرم الأصدقاء، وكان لدون الفرصة للدراسة وتطوير كتاباته. لكن جهوده بإيجاد منصب عام باءت بالفشل.


PSEVDO-MARTYR. Wherein OVT OF CERTAINE Propositions and Gradations, This Conclusion is euicted. THAT THOSE WHICH ARE of the Romane Religion in this Kingdome, may and ought to take the Oath of Allegeance.

LONDON Printed by W. Stansby for Walter Burre.

▸ (الشهيد المزيّف)
صفحة عنوان طبعة عام ١٦١٠ لكتاب الشهيد المزيَّف لجون دون، ويظهر خط الشاعر واضحا في أعلى وأسفل الصفحة.

مهنة في الكنيسة

أدرك دون بأن أمله الوحيد في تحسين وضعه هو مع الكنيسة، لكنه نشأ كاثوليكيا، وكانت تلك الأوقات عصيبة على الكاثوليكيين؛ بعد مؤامرة البارود لعام ١٦٠٥ التي حاول فيها المتمردون الكاثوليكيون تفجير مبنى البرلمان. تحول ولاء دون بمرور الوقت لكنيسة إنجلترا، حتى إنه كتب عريضة دينية؛ الشهيد المزيّف Pseudo-Martyr (١٦١٠)، حثَّ فيها الآخرين على اتّباع أثره. وُسِّم دون كاهنا في عام ١٦١٥ وحصل على سلسلةٍ من الترقيات، فأصبح قسّيسًا ملكيا، وقائدا روحانيا في مؤسسة لونكلن، وأخيرا، كبير كهنة القديس باول. ووعظ بحضرة كل من الملكين جيمس الأول وتشارلز الأول، وأُختير في مهمة مُهيبة لتحقيق السلام في ألمانيا (١٦١٩-١٦٢٠). كتب دون الشعر والنثر، مستعرضا كلا المواضيع العلمانية والدينية، ونظم الشعر أيضا لينال رضا عرّابين محتملين. كان شِعره في الحب لامعا ومفعما بالحياة وفيه الكثير من المحافظة، مثل توجيهه إلى معشوقة متخيلة: «لأجل الله احفظي لسانك، ودعيني أحب...» («التقديس»). غالبا ما يكون شعره ذا تورية رائعة أو مجازات، لكنه قد يكون لطيفا كذلك على نحو مثيرٍ للريبة: أتعجبُ، بحق إخلاصي، كيف كنتِ وكنتُ/ قبل أن نحب بعضنا؟ (الغد المشرق). ركّز دون على الشعر الديني في آخر محطات حياته، وأفضل مثال لهذا الشعر قصيدة السونيتات المقدسة. كان دون موقّرا بكونه سيّدًا عندما طُبعت قصائده، لكن نجمه خبا في القرن الثامن عشر، وذاع صيته مجددا في القرن العشرين حين أشاد به ت. س. إليوت بأنه السلف الرئيس للشعر الحداثي.

▸ جون دون، ١٦٩٥
يُظهر هذا البورتريه -رسمه فنان إنجليزي مجهول- دون في هيئة عاشق مكتئب. ويقول وصف اللوحة: «يا سيدتي، أنيري ظلمتنا» لذا فيُقترح أنَّ امرأة هي سبب تعاسة الشاعر.

الشعراء الميتافيزيقيون

يوصف دون على نحو تقليدي بأنه أبرز الشعراء الميتافيزيقيين. لم تُشكل لهم مدرسة رسمية على الرغم من اشتراكهم بمزايا أسلوبية. وقد ضمت هذه المجموعة أشخاصا مثل جورج هيربت، وهنري فاوغان، وأندرو مارفل، وتوماس تراهيرن. وفي الأصل، فإن هذه اللفظة «الميتافيزيقيون» كانت تحقيرا، استخدمها دريدن ودكتور جونسون لنقد الشعراء «أوهام بعيدة المنال، وتلاعب مدروس بالكلمات». لم يعجب جونسون بشعرهم، ولا سيما بـ «اكتشافهم لتشابه غامض لأشياء تبدو مختلفة».


أندرو مارفل، فنان مجهول، ١٦٥٥.

▾ (معركة في إسبانيا)
انخرط الجندي دون في الحرب الإنجليزية-الإسبانية، حين هاجمت القوات الإنجليزية والهولندية مدينة قادش. يوضح هذا النقش (يعود إلى عام ١٥٩٦) القوات وهي تنزل مهاجمة السفن الإسبانية في الميناء.





(ميلتون، ١٦٣٩)
يصوِّر هذا البورتريه -رسمه فنان مجهول- ميلتون في الثلاثينات من عمره، ومن المحتمل أثناء دراسته في جامعة كامبريدج. بدأ الشاعر بالكتابة حينما كان شابًا وأنتجَ عددا من القصائد المهمة وهو لا يزال طالبًا.

جون ميلتون

(١٦٠٨-١٦٧٤) إنجليزي.

كان مؤلف القصيدة الملحمية، الفردوس المفقود، كاتبا منخرطا في السياسة ودعا لإعدام تشارلز الأول. عانى في آخر عشرين عاما من حياته من شقاء العمى التام.

ولد ميلتون في لندن عام ١٦٠٨ لمحامٍ ثري، وأصبح الطفل المجتهد فصيحا باللاتينية، والعبرية، والإيطالية. أُرسل بعدها لإكمال دراسته في جامعة كامبردج، لكنه وجد التعليم والرفقة مملين. وفي عيد ميلاد سنة ١٦٢٩، كتب أول قصيدة مهمة له، بعنوان: «في صباح ميلاد السيد المسيح» ثم ألحقها بقصيدتي لا أليغرو وأل بينسيروسو اللتين تُعدان نموذجين متميزين من الأسلوب الرعوي. ترك ميلتون جامعة كامبردج في عام ١٦٣٢ مقتنعا بأنَّ مصيره يكمن في الشعر.

تُظهر قصائدُ ميلتون الأولى تصارعا إبداعيا ما بين إيمانه البروتستانتي الجديّ وعالم الميثولوجيا، والذي انبثق قُبالته عبر قراءته للكلاسيكيات اللاتينية. كتب ميلتون في عام ١٦٣٤ عمله Comus، والذي كان ماسك Masque (شكل من أشكال التسالي الأرستقراطية)

الحرب الأهلية وقتل الملك

شهدت هذه المدة صراعا مفتوحا ما بين البرلمان الإنجليزي والملك تشارلز الأول، وقاتل البرلمان من أجل الدفاع عن حقوق التجارة ضد الملكية ورفض السلطة البابوية على الحياة الدينية. وبلغت هذه الأزمة أوجها بقَطع رأس الملك تشارلز الأول في لندن في عام ١٦٤٩ بعد هزيمة القوات الملكية، وأصبح أوليفر كرومويل على نحو مؤثر دكتاتورا عسكريا حتى وفاته عام ١٦٥٨ إذ استعادت الملكية السلطة بعدها بسنتين تقريبا. آمن ميلتون بأن بناء جمهورية فاضلة هو عمل الرب وكتب مدافعا عن أوليفر كرومويل.

أوليفر كرومويل

للعقل عالمه الخاص، وفي ذاته يمكنه أن يصنع جنة من الجحيم، وجحيما من الجنة.

جون ميلتون - الفردوس المفقود.

الذي تنتصر فيه الفضيلة المسيحية على حفلات القصف الفاسقة، ثم نظم قصيدة ليسيداسLycidas في رثاء موت صديق، دامجا فيها بعرضٍ غزير بين المعرفة الكلاسيكية والهجوم على سقوط رجال الدين الإنجليكانيين.

الكراريسي الجمهوري

لم يعرف ميلتون شاعرا إلا على مستوى محدود في عام ١٦٤٠، لكنه برز أكثر ليكون شخصية مهمة في النقاش حول نموذج حكومة إنجلترا ودينها. وقف ميلتون مع الجانب البرلماني في الحرب المدنية وخدم مساعدًا مدنيًا في حكومة الجمهوريين بزعامة أوليفر كرومويل. وكان نثره الجدلي المشهور، الأريوباجيتيكا (The Areopagitica) لعام ١٦٤٤ حجةً متقدةً لحرية الخطاب.

آمن ميلتون بأن بناء جمهورية فاضلة هو عمل الرب، ودافع في كتاباته عن أوليفر كرومويل، ولم يتخلّ عن مذهبه الجمهوري، وحالفه الحظ بهروبه من العقاب بعد أن عادت الملكية للحكم عام ١٦٦٠.

خَبَرَ ميلتون المشاكل وخسر حياته الخاصة. تزوج ميلتون ماري بويلفي ذات الستة عشر عاما في عام ١٦٤٢، وهي ابنة عائلة مترفة. وعلى الرغم من أنه كان متأسفا على زواجه وطلب الطلاق، فقد عاش الزوجان معا بعدها وأنجبا ثلاثة أطفال بقوا أحياءً جميعًا. تزوج ميلتون مرة أخرى بعد وفاة ماري في ١٦٥٢، لكنه ترمّل مجددا في عام ١٦٥٨. وفقد بمرور الوقت بصره كليا، ليضطرّ إلى إملاء أعماله على مساعدٍ.

كتب ميلتون سنويتتين عميقتي الشجن عن مصابه «عماه» و«بدا لي أن رأيت قديسي الراحل» نقلا عن حلم بزوجته الميتة وعودة بصره المؤقتة. تزوج ميلتون للمرة الثالثة في عام ١٦٦٣ من إليزابيث مينشول، وهي امرأة كانت تصغره بثلاثين عاما، وكان زواجه -بالرغم من كلّ المعوقات- سعيدا.

الفردوس المفقود

كرّس ميلتون نفسه في أواخر العقد السادس من القرن السابع عشر لكتابة شعره الملحمي الفردوس المفقود، وهي رؤية كونية شاسعة تمتد من ثورة إبليس على الله إلى نزول آدم وحواء. طُبعت في عام ١٦٦٧، وتألفت من أكثر من عشرة آلاف سطر شعري، محبوكة جيدا ومتأثرة بالأسلوب اللاتيني، ووضعت ميلتون فيما بعد ضمن أعظم الشعراء الإنجليز. ضمت الملحمة الشعرية مواضيع متعددة حول هبوط الإنسان، والخير والشر، والعلاقة بين الإرادة الحرة والسلطة. حظيت الطبعة الأولى من الفردوس المفقود بقراءة محدودة، نظرا لآرائه السياسية ورؤاه الدينية. وكتب ميلتون في سنواته الأخيرة «الفردوس المُستعاد» ردا على ملحمته الأولى، ثم الدراما المأساوية، وساسمون أغونيستس (Samson Agonistes) في عام ١٦٧١، وكانتا استحضارا صارخا لكل من العمى والاستعباد.

Paradise Lost. A POEM, In Twelve Books. The AUTHOR JOHN MILTON. The THIRTEENTH EDITION. To which is prefix'd An ACCOUNT of his LIFE. LONDON: Printed for JACOB TONSON in the Strand. MDCCXXVII.

▲ (الطبعة الأولى)

حظيت الطبعة الأولى من الفردوس المفقود بقراءة محدودة، نظرا لآرائه السياسية ورؤاه الدينية. وضمت الملحمة الشعرية مواضيع متعددة حول هبوط الإنسان، والخير والشر، والعلاقة بين الإرادة الحرة والسلطة.



◄ (مكتب ميلتون)

مكتب ميلتون في كوخه في قرية تشافونت سانت غيلز، بوكينغهامشاير، حيث أنهى أفضل أعماله الفردوس المفقود.

موليير

(١٦٢٢-١٦٧٣) فرنسي

برع موليير، أعظم كاتب مسرحي كوميدي فرنسي، في كل جوانب ووظائف المسرح وأدار مجموعته الخاصة فكتب، وأنتج، وأخرج مسرحياته، ومثّل فيها أيضا.

ولد جون-باتيست بوكلان في باريس، ابنا لموظف بلاط. وتعلم في كليرمون، مدرسة يسوعية مشهورة، وبدأ بعدها بدراسة القانون. حصل والد موليير على وظيفة مزود الأثاث في البلاط لابنه، لكن لم تأتِ مخططاته بشيء مهم: فقد أعلن الشاب في عام ١٦٤٣ مللـه من وظيفته ودراسته القانون، وأراد أن يصبح ممثلا. لم تتضح الأسباب الحقيقية التي نمّت رغبته تلك في المسرح، فربما ألهمته المسرحيات الهزلية والمأساوية اللاتينية التي كانت تؤدّى في مدرسته، أو ربما أغراه المسرح بسبب حبه لـ مادلين جيرار Madeleine Bjerart، وهي ممثلة تصغره بأربع سنوات وأصبحت فيما بعد عشيقته.

عملا معا في ذات المجموعة- المسرح الشهير illustre -théâtre-، وبدآ تأدية المسرحيات في ملعب تنس كان قد تحوّل إلى مسرح في باريس. أسس موليير نفسه خلال سنة ليكون قائد المجموعة ويتخذ اسم موليير ليكون اسمه المسرحيّ. لم ينجح عمل الفرقة في بادئ الأمر، ووجد موليير نفسه بعد شهور محاطا بالديون. غادرت المجموعة باريس لوقف خساراتها، وقضت الثلاث عشرة سنة اللاحقة في التجول بين المقاطعات. كان هذا الأمر ربما في طياته من صالحه، إذ مكّن كاتب المسرحيات الصغير من تعلّم مهنته بعيدا عن النقد الدقيق المتفحص. أدت الفرقة مجموعة من المسرحيات الهزلية والمأساوية المشهورة، إضافة لمسرحيات موليير. وكانت بعض هذه المسرحيات هي تطويرات للسيناريوهات الهزلية الإبداعية في الفن الهزلي the commedia dell'arte، في حين كان بعضها الآخر يركّز، على نحو خاص، على الهجاء الاجتماعي الذي أصبح سمته المميزة.

نجاح في البلاط

جاء تقدم موليير الخارق بعد أداء إحدى مسرحياته الكوميدية (مفقودة الآن) في اللوفر في تشرين الأول/ أكتوبر سنة ١٦٥٨ أمام البلاط ولاقت إعجاب أخ الملك، الذي أمّن له مكانا في العاصمة تَشَارَكه مع مسرحيي تيبيريو فيوريللو الإيطاليين. قدم موليير أعظم مسرحياته خلال العقد اللاحق، وتضمنت هزليات ونماذج إيطالية، وتطويرات من أعمال موليير كذلك. أتقن موليير مسرحيات كوميديا العادات، فهجا مجموعات مثل نساء المجتمع المتكلفات (السيدات الشابات المتكلفات)، والرجال الذين يودُّون أن يصبحوا رجالا محترمين (البرجوازيون المحترمون)، وخلق شخصيات مسرحية معقدة يختلط فيها الهزل الصاخب بالرؤى النافذة. كانت بعض من أكثر شخصياته الكوميدية المعروفة ذات هواجس غريبة الأطوار (البخيل)، والمواقي* اليائس (مريض بالوهم).

غراميات فاضحة

كانت مسرحيات موليير مشهورة على نحو كبير، لكن مهنته لم تخلُ من الجدل. سبّب له زواجه بأرماندا جيرار Armande Bjerart فضيحةً (لذيوع إشاعة أنه على علاقة بابنة عشيقته السابقة)، وتعرضت مسرحيته (المرائي) التي تناولت النفاق الديني للحظر عدة سنوات، وهي المسرحية التي أدّيت لأول مرة عام ١٦٦٤، وطبعت المخطوطة بعد خمس سنوات، وكُتبت بأكملها بقوافٍ ثنائية يحتوي كل سطر منها على اثني عشر مقطعا. ورغم الفضيحة فإنه استمر بالتمثيل حتى النهاية. من المفارقات أنه قضى نحبه بعد ظهوره في مسرحية (مريض بالوهم).

-----

*وسواس الإصابة بالمرض.

LE TARTVFFE, OV L'IMPOSTEVR, COMEDIE. PAR I. B. P. DE MOLIERE.

Imprimé aux despens de l'Autheur, & se vend A PARIS, Chez IEAN RIBOV, au Palais, vis-à-vis la Porte de l'Eglise de la Sainte Chapelle, à l'Image S. Louis.

M. DC. LXIX. AVEC PRIVILEGE DV ROY.

▲ المرائي Tartuffe

أدّيت هذه المسرحية أول في مرة عام ١٦٦٤، وطبعت المخطوطة بعد خمس سنوات، وكُتبت بأكملها بقوافي ثنائية يحتوي كل سطر منها على اثني عشر مقطعا.

◄ (موليير في زي قيصر)

اعتاد موليير أن يأخذ دور القيادة في إنتاجات مجموعته المسرحيّة. ويظهر في هذا البورتريه -رسمه نيكولاس مينارد- مثل يوليوس قيصر في مسرحية موت بومباي عن دور بيري كورنيليا.

الفن الهزليّ

اعترف موليير بالفضل الكبير للفن الهزلي وأنه مدين له. كان هذا الشكل من المسرح في إيطاليا قد تأسس في القرن السادس عشر، وأصبح متعارفا عليه في فرنسا وأجزاء أخرى من أوروبا. ولم يكن الممثلون الذين يرتدون الأقنعة وملابس العرض يؤدون الأدوار من سيناريوهات مكتوبة، بل يرتجلون الأداء بفضل مساحة فضفاضة في تكوين السيناريوهات التي يتخللها مشاهد كوميدية متنوعة (Lazzi). كان موليير قادرا على متابعة الإيطاليين من مواضع قريبة حين يرتقون المسرح في باريس. وقد ألهمه هذا الأمر بعض الشخصيات مثل- العجوز الجشع، والزوج الغيور، والخادم المغرور، واستعار العديد من أساليبهم الهزلية.



أزياء خاصة بالفن الهزليّ





أفرا بن

(١٦٤٠-١٦٨٩) إنجليزية.

يُشاد بأفرا كونها أول امرأة بريطانية تكسب المال عبر القلم. كتبت الرواية، والمسرحيات، والقصائد، ولها تأثير كبير في تطور الرواية. وكانت أيضا جاسوسة حكومية.

في الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية والحملات الاستكشافية تتوسع بسرعة هائلة في القرن السابع عشر؛ كانت الشهية البريطانية للقراءة حول الأراضي البعيدة والروايات التي شكلت جزء من «تعزيز أسطورة الإمبراطورية» في ازدياد. ربما من غير المفاجئ أن تنال رواية أورونوكو Oroonoko نجاحا مدويا فور نشرها عام ١٦٨٨، فهي قصة عبد عابرة للأطلس تحدث في سورينام، برؤية «الهمجي النبيل» في محورها، وما لفت الأنظار أكثر كان أن كتابة أفرا بن حدثت في وقت غابت فيه أصوات النساء على نحو كبير عن الصعيد العام. بالرغم من احتجاجها المتكلف في بداية رواية أورونوكو، حيث كتبت «مجرد قلم أنثى»، فقد كان ما كتبته في نهاية النص التماسا أشدّ حدة حول وضعها كمؤلفة، إذ كتبت: «آملُ أن تكون سمعة قلمي جديرة بالاعتبار بما يكفي لتصنع له اسما مُتألّقا يبقى على مر العصور».

بدايات غامضة

تعدّ تفاصيل حياة بن سطحية ومشوشة. يبدو كأنها ولدت باسم أفرا جونسون، بخلفية متواضعة في كانتربيري. قضتْ أفرا بعض الوقت عام ١٦٦٣ في سورينام (بلد في شمال أمريكا الجنوبية تحت الاستعمار الإنجليزي)، حيث تشكّلت لاحقا خلفية عملها الشهير، رواية أورونوكو. عادت بعدها بمدة إلى إنجلترا عام ١٦٦٤، وتزوجت جوان بن، تاجر ألماني أو ذا نسب هولندي، لكن هذا الزواج لم يدم طويلا. جُنِّدَتْ أفرا بعد سنتين جاسوسةً حكومية وأُرسلت إلى هولندا.

◂ **(أفرا بن، ١٦٧٠)**

اشتهرت بن في حياتها، ولا سيما بسبب مسرحياتها «الفضائحية» وشعرها المثليّ الإيروتيكي. رُسم هذا البورتريه من السير بيتر ليلي، فنان هولنديّ المولد وأصبح رسام البلاط الإنجليزي.

إنتاج متعدد المجالات

كتبت أفرا في كل الأنواع الأدبية وبعدد كبير من المواضيع، من الحب، والزواج، والدعارة، والجنسانية، إلى السياسة، وعالم العبودية والاستعمار المتوحش. ناقشت على نحو متفرد ولافت في عصرها رغبات الأنثى في أغنية من مسرحيتها الثالثة، «الحبيب الهولندي ١٦٧٣»، وتشكيكات في أدوار النوعين (الجندرية) في قصيدتها المشهورة «خيبة الأمل ١٦٨٠». كتبت ما بين سنتي ١٦٧٠ و١٦٨٨ تسع عشرة مسرحية من مسرحياتها (الهزلية والمأساوية) ثم مثِّلت على المسرح. بالرغم من الاعتراف بأنها كاتبة عصرها الرئيسة فإن شهرة بن تضاءلت لقرنين بعد وفاتها، لأنَّ أعمالها صنِّفت فاحشة وفقا لمعايير عصرها أضف إلى ذلك أن حقيقة كونها كاتبة امرأة قد أعاقت النقاش الجاد بشأن نصوصها لسنوات عديدة. لكن بغض النظر عن فطنة وألمعية الكثير من قصائدها ومسرحياتها وقصصها القصيرة، تعدّ روايتها أورونوكو واحدة من الروايات الأولى التي كان لها عظيم الأثر في تطور هذا النوع الأدبي. حتى أنها فاقت في أهميتها رواية روبنسون كروزو (١٧١٩) لديفو التي تصنف في معظم الأحيان أوّل روايةٍ إنجليزية. جذبت رواية بن الاهتمام والاحتفاء مجددا. ، لا سيما من النسويات ومنظري الأدب والثقافة.

توفيت بن في عام ١٦٨٩، ودفنت في دير وستمنستر. وبعد قرنين ونصف القرن، أشادت بها الكاتبة النسوية الطليعية فرجينيا وولف في روايتها (غرفة تخص المرء وحده) عام ١٩٢٩، قائلة: «على النساء جميعا أن يضعن الأزهار فوق ضريح أفرا بن... التي كان لها الفضل في حصولهن على حق التعبير عما يجول في عقولهن».



▴ **(مسرح دورست غاردن)**

أديت العديد من العروض الأولى لمسرحيات بن في مسرح شرق لندن «دورست غاردن» (يُعرف أيضًا باسم مسرح الدوق)، الذي بُني في عام ١٦٧١. عاشت بن بالقرب من المسرح وبالقرب من صديقها وزميلها الكاتب المسرحيّ والشاعر جون دريدن.

العميلة السرية

كان الإنجليز في حرب ضد الهولنديين (منذ عام ١٦٦٥ إلى عام ١٦٦٧) بسبب ممرات التجارة. كانت أفرا ذات ولاء ملكي ومن حزب المحافظين، وجُنِّدتْ جاسوسة من حكومة تشارلز الثاني وأُرسلت إلى أنتويرب -شمال بلجيكا حاليا- بمهمة لكشف أي مخططات لمهاجمة إنجلترا أو محاولة زعزعة الحكومة. أرسلت أفرا مستخدمة الاسم الحركي «١٦٠» و «أستريا» تقاريرًا إلى مكتب الوطن، يتضمن إنذارا واحدا لهم عن خطة الهولنديين بإرسال أسطول بحري إلى التيمز. عادت إلى لندن في عام ١٦٦٧، وكانت غير قادرة على تسديد ديون النفقات التي تكبدتها من أجل خدمة التاج، لذلك أودِعَت في حبس المدينين. وبعد إطلاق سرحها، مفلسة بلا أي بنس، اتجهت لكتابة المسرحيات لجني المال.



أسطول رجال الحرب الهولنديّ، لودولف باكهويزن، ١٦٦٥.

ماتسو باشو

(١٦٤٤-١٦٩٤) ياباني

سما باشو، شاعر اليابان الأشهر، بالهايكو إلى نوع من الفن الرفيع. إذ انتقل من مدارات أدب المدينة إلى التجول الريفي بحثًا عن التجربة الروحانية التي شكلت أسّ شعره الرفيع.

ولد باشو باسم ماتسو مونيفوسا في إينو Ueno، بالقرب من كيوتو، الابن الثاني لساموراي صغير. توفي والده حين كان باشو بسن الثانية عشرة. دخل باشو بعد ست سنوات في خدمة ساموراي محلي كبير خادمًا لابنه، تودو يوشيتادا. جمع الشابين حبُّ الشِّعر، ونشر باشو أول قصيدة معروفة له عام ١٦٦٢، تحت اسم سوبو Sobo. ترك باشو خدمة سيده النبيل بُعيد وفاة يوشيتادا المبكرة عام ١٦٦٦، وعاش مدة في كيوتو. كان باشو -في سبعينيات القرن السابع عشر- يعزز صيته كاتبا وجامعا لمختارات شعرية مثل «لعبة الصَّدف (١٦٧١)». وانتقل إلى إدو (طوكيو اليوم) بسن الثامنة والعشرين حيث نال وظيفة في محطّات المياه في حين استمر بالكتابة تحت اسم توسي Tosei. كان الأسلوب الشعري الهزلي والهجائي السائد هو هايكي نو رينغا Haiki no renga، وهو إنتاج جماعي- يجتمع الشعراء معا لكتابة أبيات قصيرة التي ستشكل جزءا من قصيدة أطول وفقا لنظم الشعر التقليدي. في إدو، انضم باشو إلى مدرسة دانرين الشعرية تحت إشراف الشاعر المُجدد نيشيياما سوين Nishiyama Soin.

الرحلات الروحانيّة

أصبح باشو معلما موقرا في الكتابة بحلول عام ١٦٨٠، لكنه لم يكن مرتاحا، لذا فقد بدأ بدراسة فن الزن البوذي. انتقل من مدينة إدو الصاخبة إلى كوخ صغير في أطراف المدينة في السنة نفسها. بدأ بالكتابة في تلك المدة تحت اسم باشو (يعني: شجرة موز) إذ أصبح شعره أكثر إبداعا وغموضا في أسلوبه. انقلبت بعدها حياة باشو في عام ١٦٨٢ رأسا على عقب، فقد احترق كوخه بالكامل، وأُعلِمَ بوفاة أمه. استقر مع أصدقاء له في مقاطعة كاي، مكثفا في دراسته الزن. وبدأ بالتجول في الريف بحلول عام ١٦٨٤ بحثا عن الإلهام. كانت نتيجة جولاته الأولى هي صحيفة المسافر- مشاهدات نحيل مسفوع، كتبت بأسلوب الـ هايبون- شكل كتابي مكون من الشعر والنثر.

شرع باشو في عام ١٦٨٩ رحلة الألفي كيلو متر التي ستكون موضوع أفضل أعماله «الدرب الضيّق إلى شمال البلاد» بصحبة كاواي سورا إذ استكشف الأراضي البعيدة والوعرة في أقاصي شمال البلاد في رحلة مثمرة روحانيا بقدر ما هي متعبة جسديا. كتب بجانب أرض معركة قديمة:

أعشاب الصيف / كل ما تبقى / من أحلام المحاربين

*

وأظهر فكاهته، وحسه البشري الساخر أثناء هبوب عاصفة فكتب:

براغيث وقمل / حصان يتبول الآن / قرب وسادتي

*

انشغل باشو أكثر بحياته شاعرا مشهورا بعد عودته إلى إدو في عام ١٦٩١ التي عرقلت رغبته في العزلة. وضع باشو في هذا الوقت مفهوم «الإشراق Lightness» الذي سنعرف به الباقي من شعره.

وبدأ رحلته الأخيرة في عام ١٦٩٤. تُوفي باشو باعتلال معوي بعمر يناهز الخمسين عاما في أوساكا، محاطا بمريديه. وكانت آخر قصيدة له:

في الرحلة، مريض / أحلامي تطوف حولي / فوق رسوٍ ذابل

*

▾ **إلهام البريّة**

ارتحل باشو عبر البريّة في شمالي اليابان. وأُلهم شعره من تجربة الطبيعة المباشرة مثل سكون الحجر وحركة الماء.

شعر الهايكو

كانت أبيات الهايكي مترابطة منذ البداية ولمدة طويلة. وبرع باشو جدا في نظمها، إذ تتشكل من مقطع شعري بثلاثة أسطر و١٧ مقطعا صوتيا موزعة على الأسطر (٥-٧-٥) سُمِّيت بالهوكو. وتحت تأثير باشو وبفضله نال شعر الهوكو الأهمية وأصبح يُعرف بالهايكو. يهدف الهايكو إلى نقل جوهر الطبيعة عبر لفظة موسمية (تعرف بالـ kigo)، غالبا ما ترتبط بصورتين أو فكرتين متناقضتين (تُعرف بالـ Kireji). طوّر باشو الهايكو معتمدا على فن الزن البوذي وبنحوٍ أكبر على النظم الشعري الصيني ليصل به بالرغم من إيجازه إلى شكل شعري كثيف الرنين، ومعبر بقوة.

كما في أشهر قصائده (١٦٨٦): بركة قديمة/ ضفدع يَقْفِزُ/ صوت الماء.

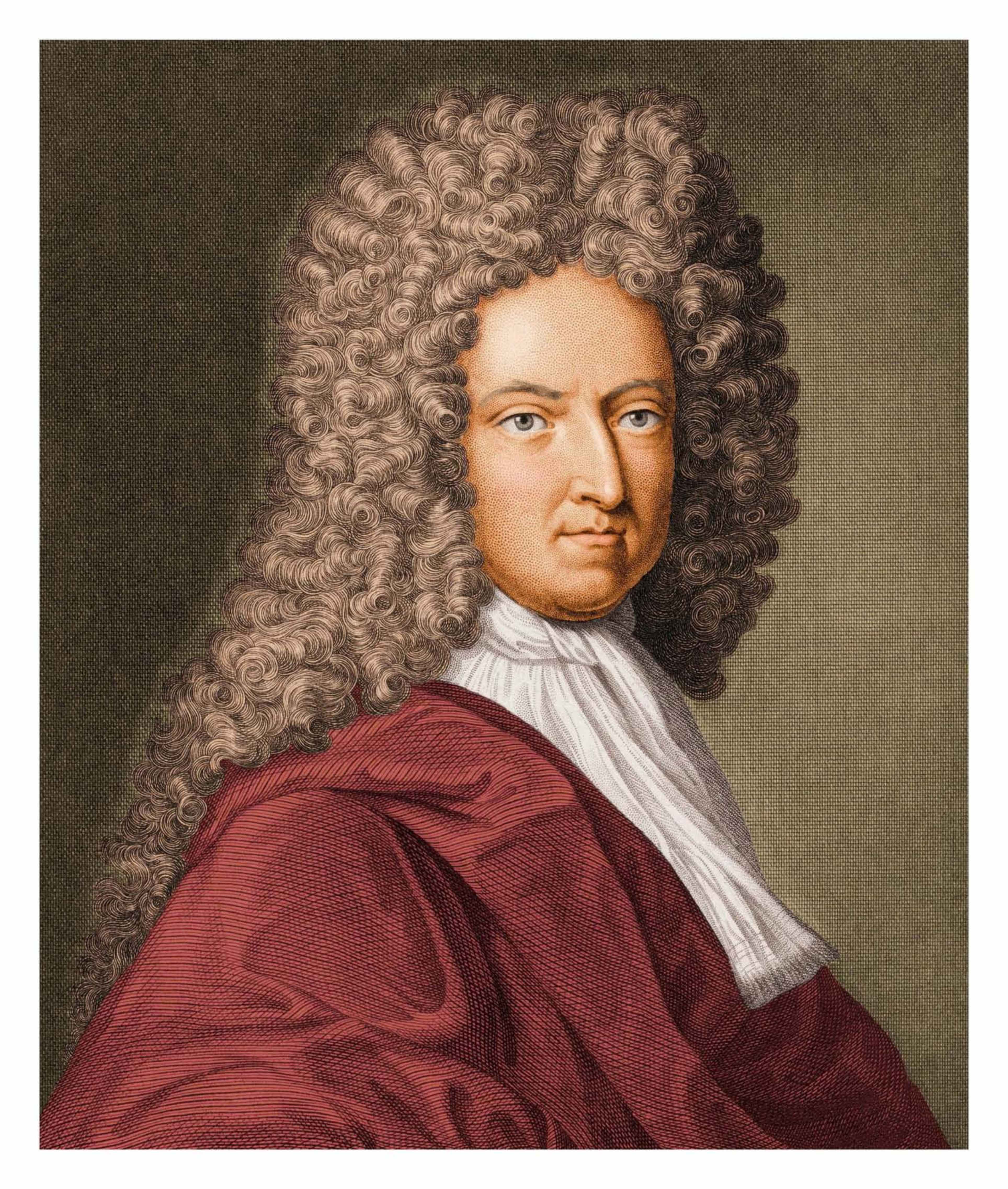


قصيدة هايكو منحوتة على الحجر.

◂ **المشي التأمليّ**

يُظهر هذا العمل الفني الخشبيّ (القرن التاسع عشر) للفنان تسوكيكا يوشيتوشي- باشو في واحدة من رحلاته العديدة وهو يتحدث مع رجلَين على جانب الطريق.





دانييل ديفو

(١٦٦٠ - ١٧٣١) إنجليزي

مشيخي ورع[1]، وتاجر، وكاتب، وصحافي، وجاسوس حكومي، ومؤلف كراريس، ومروج دعائي. كان ديفو رجلا متعدد المواهب ولأعماله الخيالية تأثير ثقافي هائل وبعيد المدى.



◂ **(المؤامرة والخيانة)**
يصف هذا الرسم تنفيذ الإعدام بحق دوق مونموث بعد مؤامرته غير الناجحة في الانقلاب على جيمس الثاني. هُزم الدوق من قبل قوات الملك في معركة سيدغيمور.

كان أفضل ما عرّف بدانييل ديفو كراريسه الهجائية، فضلا عن كونه أديبا طلائعيا، إلا إنَّ حياته الشخصية لم تخلُ من التميُّز كذلك. ولد ديفو لعائلة تاجر في سانت جيلس، لندن، قبل ست سنوات من حريق لندن العظيم في عام ١٦٦٦، سُمِّيَ في الأصل دانييل فو، وأضاف إلى اسمه «دي De» فيما بعد في كل عناوينه، ليعطي لنفسه المنزلة العالية والأرستقراطية. كانت عائلته مشيخية ذات أصل فلمنكي وكانوا يُعَدُّون مخالفين -لا يدينون بالأنجليكانية، التيار الديني الرئيس في المجتمع الإنجليزي (لا سيما البلاط) - الأمر الذي كان عائقاً أمام ديفو لدخول الجامعات الإنجليزية الكبرى. وعوضا عن هذا، درس في أكاديمية لندن للمخالفين التي يديرها تشارلز مورتون، الوزير الذي أصبح نائب الرئيس لكلية هارفارد في ماساتشوستس، الولايات المتحدة الأمريكية.

مهنة التجارة

بدا أن ديفو كان مُعدا ليكون وزيرا، لكنه عوضا عن ذلك اختار ميدان التجارة. ابتدأ العمل في بيع ملابس النبلاء وقت زواجه عام ١٦٨٤ (الذي انتهى بإنجابه ستة أطفال من زوجته ماري)، وبنى تجارة مزدهرة من بيع التبغ والخمور والعقارات بحلول تسعينيات القرن السابع عشر. وسّع نشاطاته لاحقا في مشاريع مضاربة، تضمنتها غزوة مشؤومة في صناعة التأمين جلبت له كارثته في عام ١٦٩٢، إذ قضى العقد اللاحق يسدد ديونه. أثناء انشغاله في تجارته، بقي ديفو نشيط المشاركة في السياسة وكتابة الكراريس ليدعم معتقداته المخالفة. انضمَّ ديفو إلى تمرد المونموث حين اعتلى الكاثوليكي السابق جيمس الثاني العرش عام ١٦٨٥، وبالكاد نجا من الإعدام لمشاركته في محاولة قلب عرش الملك.

◂ **(دانييل ديفو)**
أحبَّ ديفو أن يبالغ في إظهار ثروته ويتباهى في تأنق ثيابه، كما يظهر في هذه اللوحة في بواكير القرن الثامن عشر. وكان يُفضِّل لبس باروكة طويلة، وشريط قماش مكشكش، وغالبا ما كان يحمل سيفًا.

---

(١) المشيخية Presbyterianism: تشير إلى الكنائس التي تتبع تعاليم اللاهوتيّ البروتستانتيّ جون كالفين.

> العدالة هي العنف تجاه الحزب المخالف، فكل إنسان بريء في عينيه.
>
> الطريق الأقصر مع المخالفين - ديفو.

وليم أورنج William of Orange

ولد وليم (١٦٥٠-١٧٠٢) في هاوخ في الجمهورية الهولندية، وكان مقررًا أن يكون على رأس الدولة الهولندية. نُظر إلى وليم على أنه بطل بروتستانتيّ حين أجبر القوات الفرنسية الكاثوليكية على الجلاء من الجمهورية الهولندية في عام ١٦٧٣. وتزوّج في عام ١٦٧٧ ابنة عمه «ماري» التي كانت ابنة جيمس، دوق يورك- ووريث العرش الإنجليزي. وعندما أصبح جيمس ملكًا في عام ١٦٨٥، خشي الكثير من معارضيه البروتستانتيين من إيمانه الكاثوليكي، وخافوا من خلافة كاثوليكية حين عيَّنَ جيمسُ وريثًا في عام ١٦٨٨. رغَّب معارضوا الملك سريًا وليم على غزوا إنجلترا، وبعد أن نزلت قواته على السواحل في عام ١٦٨٨ استسلم الملك جيمس، وحكم وليم مع زوجته ماري البلاد.

تمثال نصفي من الخزف المزجج لوليم أورنج (وليم الثالث).

المحافظون Toris والأحرار Whigs

جلبت الثورة المجيدة في عام ١٦٨٨ وليم أورنج إلى العرش الإنجليزي، الذي أسس على نحو دائم البرلمان ليستتّم حكم البلاد. تُشير كلمة Whig وTory إلى العصب المتعارضة في البرلمان البريطاني خلال القرن الثامن عشر. واستخدمت كلا الكلمتين في الأصل للتعبير عن إهانة، فـ Whig تشير إلى لص الخيول وTory تشير إلى الخارج على التعاليم البابوية. كان المحافظون في عصر ديفو من الطبقة النبيلة، التي آمنت حتى وقت قريب بالحقوق الإلهية للملوك والمعارضة للتسامح الديني. في غضون ذلك، مثّل الأحرارُ ملّاكَ الأراضي الساعين لإبقاء الملوكية والطبقة الثرية الوسطى الجديدة تحت السيطرة.



رسم كاريكاتوريّ للمحافظين (على اليسار) والأحرار (على اليمين)، توماس ساندرس، القرن الثامن عشر.

الهجاء والتحريض

كان ديفو داعما مخلصا لـ وليم أورنج الذي أصبح العاهل في عام ١٦٨٩. وكان لثورة وليم المجيدة عام ١٦٨٨ الأثر البارز في التحول إلى النظام البرلماني في بريطانيا والتأكيد على أفضلية المعتقد البروتستانتي، وخلقت مناخا حميدا من الحرية للمخالفين. بعد وفاة وليم عام ١٧٠٢، نجحت الملكة الإنجليكانية المتعصبة آن، التي احتقرت المخالفين وتعاطفت مع المحافظين، في الوصول إلى العرش الإنجليزي وبترت فورا نشاطات المخالفين. في المقابل، نشر ديفو كراسة بعنوان «الطريق الأقصر مع المخالفين»، وهي ساخرة جدا من تفكير المحافظين، إذ ناقش فكرة ضرورة التخلص السريع من المخالفين بـ: الآن دعنا نصلب اللصوص Now let us Crut-cifie the Thieves. غضبت المؤسسة حين أُفصِح عن مقصد الكراسة الهجائية بوضوح، وأتهم ديفو بالتحريض على التمرد، وأرسل إلى المشهّرة الخشبية ثلاث مرات، وإلى سجن نيوغايت مرة حيث التقى بمول كنغ، المُلهمة لرواية مول فلاندرز. رأى روبرت هارلي، وزير الخارجية (قائد من المحافظين) أن من الأفضل استخدام مهارات ديفو الخطابية ومكره وبراعته في خدمة الصالح العام، فأمّن إطلاق سراحه وإرساله خارج البلاد ليؤسس شبكة جواسيس في أسكتلندا، حيث بذر ديفو الخلاف والشكوك في جدوى التصويت على قانون الدولة لعام ١٧٠٧، الذي ستتحد وفقًا له الدولتان معا. ومن المحتمل جدا أن ديفو استخدم أسماء مستعارة في رحلاته تحت عدد من الهُويات المزيفة.



◂ (بيت ستوك نيونغتون)

لم يتمكن ديفو المنشق أن يكون جزءًا من المؤسسة الإنجليزية. لذا فقد ابتنى بيتًا يبعد مسافةً عن لندن، في ستوك نيونغتون.

سؤال الحقيقة

دخل ديفو إلى الرواية في مرحلة متأخرة من حياته، بكتابة «الحياة والمغامرات المفاجئة والغريبة لروبنسون كروزو» العمل الأكثر شهرة له في سن السابعة والخمسين. كُتبت رواياته ونُشرت على أنها حقيقية وسير ذاتية لأشخاص: قاد القراء للتصديق بأن روبنسون كروزو ومول فلاندرز كانا المؤلفَين لهذه الأعمال تواليا. لم يظهر اسم ديفو في أي طبعة: روبنسون كروزو كُتبت بالأسلوب المباشر لليوميات العائدة لروبنسون نفسه، الذي كان بطل الرواية، ورواية مول فلاندرز التي ادّعت أنها كتبتها من مذكراتها الشخصية. تعامل بالمثل مع روايته مجلة عام الطاعون، المنشورة عام ١٧٢٢، التي يؤرخ فيها مشاهدات رجل أثناء الانتشار الهائل للطاعون في لندن عام ١٦٦٥، واعتقد قرّاؤه بدون أدنى شك بأن عمله كان عملا صحافيا دقيقا، وأن ديفو كان محرِّر الكتاب أكثر من كونه مؤلفه. تضمن العمل معلومات مُعتنى بها بدقة عن تواريخ وأماكن، وجداول مكررة عن ضحايا الطاعون، وأظهر ديفو فيها دقته الصحافية في إعداد العمل. في الحقيقة، بدا على نوايا ديفو الإيثار، لا سيما وقت انتشار الشائعات عن موجة طاعون جديدة قادمة من فرنسا، عبر تصويره الأحداث بدقة، إذ رجا ديفو أن يمنح للقراء أفضل فرصة للنجاة.

> خلَّفت الطبيعة هذه الصبغة في الدم، فكل الرجال سيصبحون طغاة إن تمكَّنوا.
>
> تاريخ العريضة الكينتيّة - ديفو.

أبرز أعماله:

١٧٠٢
الطريق الأقصر مع المخالفة: كرّاسة هجائية، قضى مدة في الحبس بسببها.

١٧٠٤
العاصفة: كتبها عن قصة عاصفة ضربت إنجلترا في عام ١٧٠٣، وتعد واحدة من أوائل الأعمال الصحفية الحداثية.

١٧١٩
روبنسون كروزو: حقق نجاحًا مع هذا العمل، وأتبعه بكتاب المغامرات الأبعد لروبنسون كروزو في ذات السنة.

١٧٢٢
مجلة عام الطاعون: نشرها تحت اسم هـ. ف. (الحروف الأولى من اسم عمه هنري فو، الذي عاش خلال الطاعون).

١٧٢٢
مول فلاندرز: رواية تشرديّة حول تغيّرات في ثروة امرأة جميلة ولدت في سجن نيوغايت.

الرواية الحديثة

نُشرت رواية روبنسون كروزو في عام ١٧١٩، التي يُنسب لها مع رواية سرفانتيس «دون كيخوته (١٧٠٥)» بأنهما أول مثالين يُطلق عليهما رواية. اشترك هذان العملان بعناصر معينة. على سبيل المثال، كان هناك قصص نثرية تخييلية، يُراد منها أن تُقرأ على انفراد بدل من أن تُقرأ على العامة، على العكس من ملاحم الشعر والنثر في العصور السابقة، التي تُكتب لتُؤدى. كُتبت هذه الروايات لتكون جديدة ومزدهرة، وموجهة إلى الطبقة الوسطى المثقفة، واختلفت تماما عن قصائد ميلتون ومسرحيات شيكسبير إذ لم تحو على الأباطرة، والملوك، والآلهة كما كان الأبطال الرئيسون لتلك الأعمال من عامة الناس، وكانت قصصهم قريبة من أحوال القرّاء ويُمكن أن يصدقوها.

روايات الجزيرة

ضرب روبنسون كروزو على الوتر الحساس للجمهور (طُبعت لأربع مرات في أول سنوات نشرها) إلى حد ما لكونها قصة إنسانية مُقنعة- حكاية رجل جُرف إلى جزيرة مجدبة، يصارع فيها كل عناصر «الحظ السيئ» للبقاء حيا. قرأت بعض النقودات النص على أنه مجاز عن مكافحة لحياة الإنسان. وفي نظر الآخرين فإن أهمية العمل تكمن في الحقيقة في أنه ابن عصره وأظهر بفهم قاصر الأيديولوجية التي قادت أوروبا لاستعمار أجزاء كبيرة من هذا العالم. ظهرت العلاقة بين المُستعِمر والمُستعمَر في تفاعل الرواية بين فرايدي، ساكن الجُزيرة المحلي، وكروزو، حامل «الحضارة» بمساعدة البندقية. علّم كروزو فرايدي الهمجي ليدرك قيم العالم الغربي- عبر إخضاعه بالقوة للسلطة. كان هناك العديد من حطام السفن والمارونينغز[1] Maroonings في أيام ديفو، وقصص كثيرة مما عمّم حقيقة هكذا تجارب حياتية. ومن الممكن أن ديفو استخدم عديدا من هذه المصادر لتلهمه كتابة حكاية جزيرته، ومن ضمن هذه المصادر ألكسندر سيلكيرك، الذي قضى سنوات في المحيط الهادئ، وهنري بتمان، المنبوذ الذي هرب من منفى مستعمرة الكاريبي.

قضى ديفو سنوات حياته الأخيرة عليل الصحة، ومديونا متخفيا من دائنيه. مات في عام ١٧٣١ ومن المحتمل جدا بسبب سكتة دماغية بعد سبع سنوات من نشر روايته الأخيرة روكسانا. وله نصب تذكاري مُشيّد في بونهيل فيلدز، شمالي لندن.

(١) المارونينغز: هو الشخص الذي يُترك في جزيرة أو مكان غير مأهول، والكلمة مستمدة من كلمة مارون Maroon والتي تعني العبد الهارب.

THE
LIFE
And Strange Surprizing
ADVENTURES
OF
ROBINSON CRUSOE,
Of YORK, Mariner:
Who lived eight and twenty Years all alone in an un-inhabited Island on the Coast of America, near the Mouth of the Great River of Oroonoque;
Having been cast on Shore by Shipwreck, wherein all the Men perished but himself.
With an Account how he was at last as strangely deliver'd by Pyrates.
Written by Himself.
The Second Edition.
To which is added a Map of the World, in which is Delineated the Voyages of Robinson Crusoe.
LONDON: Printed for W. Taylor at the Ship in Pater-Noster-Row. MDCCXIX.

▲ **روبنسون كروزو، طبعة عام ١٧١٩**
حكاية الاستعمار والنجاة لديفو تعد واحدة من أنجح الكتب عبر العصور. وثاني أكثر كتاب تُرجمَ في العالم. الكاتب.



▼ **(جزيرة روبنسون كروزو)**
تبعد هذه الجزيرة الواقعة في المحيط الهادي قرابة ٦٥٠ كم عن شرق ساحل تشيلي المركزي، وكانت الموطن المؤقت للأسكتلندي الهارب «ألكسندر سيلكيرك»، الذي يُعتقد أنه واحد من عدة مصادر ألهمت ديفو قصة جزيرته المشهورة.



(سويفت، كبيرُ كهنة سانت باتريك)
يُظهر هذا البورتريه المرسوم في عام ١٧١٨ من الفنان تشارلز جيرفاس- الكاتب سويفتَ وهو يرتدي الثوب الإكليريكيّ والياقة. وعلى الطاولة نسخٌ من كتب إيسوب، هورايس، لوسيان.

جوناثان سويفت

(١٦٦٧-١٧٤٥) أيرلندي

كان سويفت كاتبا هجائيا بارزا، اشتاط غضبا ضد الحرب والإمبريالية. وسخر من جشع ولا معقولية البشرية في عمله الفانتازي رحلات جيلفر.

الهجاء نوع من المرايا حيث يكتشف الناظرون في العادة وجوه كل الأشخاص عدا وجوههم.

جوناثان سويفت - معركة الكتب.

ولد جوناثان سويفت بعد سبعة شهور من وفاة والده المفاجئة، موظف قانوني في الكنغز إينز The king's Inns في دبلن. عادت أمه، ابنة رجل دين إنجليزي، إلى إنجلترا لمواجهة الفقر تاركةً إياه في رعاية عمه. أرسل الولد إلى مدرسة كليكني، أفضل مدرسة في أيرلندا، وتخرج في كليّة ترينيتي، التي غضت الطرف عن مخالفته قوانينها. قرأ سويفت بنهم ما بين أعوام (١٦٨٩ و١٦٩٤) في مكتبة مور بارك، في مدينة سُري، حيث عمل سكرتاريا للبرلماني السير وليم تيمبل. وقابل إستر جونسون، الشابة المتواضعة ابنة مدبرة المنزل، التي ستُصبح صديقته وتلميذته. درس سويفت في أكسفورد بعد وظيفة دينية في أيرلندا، وعاد إلى مور بارك ليجد فتاته الجميلة التي أصبحت «أجمل وأرق وأعذب شابة في لندن، لكنها سمينة بعض الشيء فقط».

تغيير الوجهة

في الثلاثينات من عمره، نشر سويفت سلسلة من الأعمال الهجائية مجهولة الكاتب أحيانا وبأسماء مستعارة في أخرى. سخر في «حكاية الحوض (١٧٠٤)» من أخلاق وآداب سلوك عصره، وهدم في كراسة «بيكرستاف Bickerstaff» في سنتي (١٧٠٨-١٧٠٩) مهنة المنجم المعروف جون بارتريدج بتنبُّئه بموته. أنشأ سويفت في لندن رفقة الشاعر ألكسندر بوب والمسرحي وليم كونغريف وجون غاي نادي سكريبليروز Scriblereus Club. وعمل محررا أيضا لصحيفة The Examiner، وأصبح مروجا لحزب المحافظين. أمَلَ سويفت أن ينال موقعا دينيا مهما في إنجلترا، لكنه بدلا من هذا عُيِّن كبير كهنة كاتدرائية القديس باتريك في دبلن عام ١٧١٣.

كان ثمة مداعباتٌ حميمية، لا سيما مع إيستر فانومرغ (لُقبت بـ فانيسا) التي برزت في قصيدة سويفت (Cadenus and Vanessa)، لكن طوال تلك المدة كان سويفت يكتب إلى إستر جونسون (لُقبت بـ ستيلا)، وله رسائل صريحة تحدث فيها عن حياته في لندن حيث جُمعت ونُشرت بعد وفاته بصفتها يوميات إلى ستيلا. يبقى زواج سويفت من إستر محل شك حتى اليوم.

نُفي سويفت إلى أيرلندا بسقوط حكومة المحافظين في عام ١٧٢٤، ونشر «Drapier's Letters» التي كانت هجوما عنيفا ضد الإخضاع الإنجليزي للحياة الأيرلندية، وبعد ذلك بسنتين فقط نشر رحلات جيلفر التي كُتب عليها «لتنكّد على العالم لا تسليه». أُتبع العمل بـ«عرض زواج محتشم» (١٧٢٩)، والذي اقترح فيه أن يباع الأطفال الأيرلنديين كأطعمة شهية، لكونها عنصر التجارة الوحيد غير المقيّد من الإنجليز.

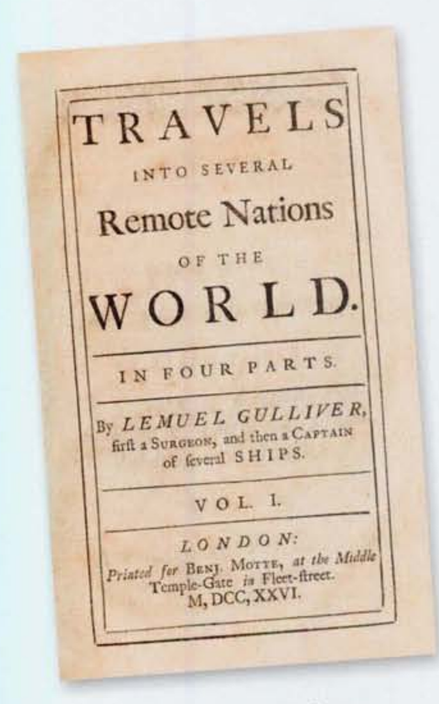
تركت السكتة الدماغية سويفت مشلولا في عام ١٧٤٢ تقريبا، وغير قادر على الحديث. مات بعدها في عام ١٧٤٥، بعمر السابعة والسبعين، ودُفن بجوار إستر جونسون، في كاتدرائية القديس باتريك. ونُقش على ضريحه قوله الذي يقول فيه: «حيث لا يستطيع السخط الوحشي أن يمزق قلبه بعد».

السياسة والدين

كان سويفت -مثل أي أنجليكاني- معارضا للملك جيمس الثاني في محاولته لاستعادة الملكية الكاثوليكية، ودعم المبادئ المدنية للحزب ألWhig. والحرية الدينية والملكية تحت سلطة البرلمان. وغيّر ولاءه لحكومة المحافظين في حقبة الملكة آن، لكنّ المحافظين انقلبوا بعد وفاتها وأنهوا الآمال حول تقدمية الكنسية الأنجليكانية. ومن المفارقة أنه أصبح بطلا لدى التيار الكاثوليكي المدني في أيرلندا بسبب كتاباته التي سلطت الضوء على الحكم الإنجليزي الاستعماري الجائر.



الملكة آن، ميشيل دال، ١٧١٤.


TRAVELS
INTO SEVERAL
Remote Nations
OF THE
WORLD.
IN FOUR PARTS.
By LEMUEL GULLIVER, first a Surgeon, and then a Captain of several SHIPS.
VOL. I.
LONDON:
Printed for Benj. Motte, at the Middle Temple-Gate in Fleet-street.
M, DCC, XXVI.

▲ **(الطبعة الأولى، ١٧٢٦)**

هي مغامرات متتابعة للمنبوذ ليمويل جيلفر مع الأقزام الصغار والعمالقة، في أرض فيها الخيول المتحضرة التي تدعى هويهنهنمز Houyhnhnms تسيطر على مخلوقات حقيرة ومتوحشة ذات أشكال بشرية. هذا العمل هجاء تآكلي تجاه جميع الجوانب البشرية.



◀ **مور بارك، سُري**

يُظهر هذا الرسم لتشارلز هيربرت وودبيري المنزلَ الذي عاش فيه سويفت ما بين سنتي ١٦٨٩ و١٦٩٩، وهنا بدأ بكتابة عمله «حكاية حوض».



فولتير

(١٦٩٤-١٧٧٨) فرنسي

كان فولتير مثالا تجسيديا لعصر التنوير. سخرت أعماله الغزيرة من خرافات الكنيسة الكاثوليكية والإجراءات الاستبدادية للسلطة الحاكمة، إذ دافع عن حرية التعبير والتسامح الديني.

ولد فرانسوا-ماري آروويه، الذي عُرف باسمه المستعار فولتير، في باريس عام ١٦٩٤، ابن موظف بلاط صغير، درس في كلية لويس لا غراند العريقة، حيث ولّد فيه النظام اليسوعي الصارم الشك العميق أكثر من الإيمان الذي أُعدَّ له. وكونه شابا، فقد اتجه بعيدا عن مهنة القانون التي تُوقِّع أن يلتحق بها، وانغمر في دراسة الأدب.

بدأ فولتير التحرك في دوائر النُخب بتكرار عبر تفكيره التحرري اللا محدود، ونال المعجبين بفضل جرأة آرائه الفذّة الناقدة للسلطات الدينية والسياسية. حُبِس لأحد عشر شهرا في عام ١٧١٧ بسبب تخطيه حدوده وافترائه على وصي العرش. تباهى فولتير بحبسه في الباستيل بأن السجن منحه الوقت للتفكير وكتابة أول أعماله التراجيدية، أوديب، والتي أدِّيت في باريس عام ١٧١٨، وجنى منها المكانة والمال. أُلحقت بملحمة شعرية، The Henriade عام ١٧٢٣، والتي وظفت قصة الملك الفرنسي هنري الرابع، لشجب الخرافات الدينية والتعصب.

خبرات في إنجلترا

رحل فولتير إلى إنجلترا إثر خلاف مع شوفاليه دي روهان Chevalier de Rohan، أحد أفراد أسرة نبيلة نافذة. بلور فولتير في السنتين اللاحقتين فكره حول التسامح الديني، والحرية السياسية، وأهمية العلم المدعَّم بالدليل. وفيما يتعلق بعودته إلى فرنسا، فقد نشر كتابه «رسائل فلسفية (١٧٣٣)» الذي انتقد فيه سياسات حكومة بلاده، والكنيسة، والمجتمع، مقابلا إياها مع الممارسات في الضفة الأخرى من القناة. شُجبت هذه المقالات بتهمة مناهضتها للكنيسة، ولجأ فولتير إلى سويسرا، قبل أن يستقر سرًا في سيري (منطقة في شمال شرق فرنسا)، في منزل ريفي لعشيقته، مدام دو شاتليه Madame du Chatelet.

(فولتير حاملا La Henriade)
يحمل فولتير في هذا البورتريه (١٧٢٨) نسخة من قصيدة «The Henriade» التي استخدمت قصة حصار باريس لتسبر غور الحالة السياسية لفرنسا.

الكتابات الهجائية

أُعجب فولتير بفريدريك الثاني، حاكم مملكة بروسيا، ووصفه أنه «طاغية متنوّر»، وقضى ثلاث سنوات في بلاط فريدريك الثاني في برلين، في بدايات العقد السادس من القرن الثامن عشر قبل هربه إذ لُوحق بسبب فضيحة مرة أخرى. استقر فولتير في فيرني في جنوب الشرق من فرنسا، مع ابنة اخته الشابة، على أنها عشيقته. من هناك شنَّ سلسلة من الحملات ضد الظلم المستوحى دينيا في فرنسا، مثل تعذيب الهمجي وإعدامات شوفاليه دي لا بار بحق المجدّفين عام ١٧٦٦.



كانت حكايات فولتير- الروايات القصيرة الأكثر ذيوعا وقراءة، إذ سخر فيها من المجتمع المعاصر له والأفكار الفلسفية، وأشهرها كانديد (١٧٥٩). هاجم فولتير بشراسة في هذا العمل الآراء -المنسوبة إلى ليبينز- «من أجل أفضل عالم ممكن». وخلص إلى أن الجواب المنطقي الوحيد هو الانسحاب المشترك من هذا العالم و«السعي لفردوس واحد».

توفي فولتير عام ١٧٧٨، بعد عودة مزهوة إلى باريس من أجل أداء مسرحيته المأساوية الأخيرة، إيرين Irene.

(كانديد، طبعة ١٧٥٩)
على الرغم من أن هذه الرواية كُتبت بأسلوب رشيق وحاذق فقد قدمت رؤية كئيبة لدولة العالم بلا عقلانيتها وقسوتها التي تبزغ في كل مكان.



إذا كان هذا أفضل العوالم الممكنة، فكيف هي العوالم الأخرى؟

فولتير، كانديد.

السيدة دو شاتليه Madame du Chatelet.

كانت شاتليه (١٧٠٦-١٧٤٩) عشيقة فولتير مدة خمس عشرةَ سنة ابتداءً من سنة ١٧٣٣، وامتازت بكونها امرأة موهوبة لها كتابات مؤثرة في فلسفة العلم والفيزياء. ترجمت مبادئ الرياضيات لإسحاق نيوتين إلى الفرنسية، مع تعليقات اقترحت فيها مسلكا جديدا في علم الميكانيك. واعترف فولتير بمساهمتها في عمله عناصر فلسفة نيوتن (١٧٣٨). اتخذتْ في عام ١٧٤٨ عشيقا شابا، وفي السنة اللاحقة ماتت أثناء الولادة.



منمنمة للسيدة دو شاتليه، من علبة سعوط.

ملحق الفصل الأول

فرانسوا فيلون

(١٤٣١ - غير معلوم) فرنسي.

أشهر شاعر فرنسي في أواخر العصور الوسطى، تخرج فرانسوا فيلون في جامعة باريس عام ١٤٥٢. اتَّخذَ رفقة وضيعة وبعد أربع سنوات قتل قسًّا في شجار شارع، ومنذ ذلك الحين فصاعدا أضحت حياته حكاية يائسة لحياة الصعلكة والعقوبة. أُجبر فيلون على الهرب من باريس بعد سرقته عملات ذهبية، وكان قد سُجن في عام ١٤٦١، واعتقل مرة أخرى في باريس عام ١٤٦٢ بعد أن حُكم عليه بالشنق ليخفف الحكم بعدها إلى النفي، ثم لم يظهر أي أثر عن حياته ونجاته بعد ١٤٦٣. امتاز شعر فيلون بكونه تهكميا، ولاذعا، ومَرِحا، وحنونا، وشفوقا على الذات، وتحدث فيه ببلاغة عن الفقر، والجريمة، والظروف السيئة، وتقدم العمر، والموت. استخدم فيلون في مناسبات كثيرة اللهجة العامية، لكن عمله الأخير «العهد» امتاز بإشراق مُبهج. وأفصح أحيانا عن تجربته الخاصة مباشرة ولا سيما في «أنشودة الرجال المشنوقين».

أبرز أعماله:

الوصية (١٤٥٧)، العهد (١٤٦١)، أنشودة الرجال المشنوقين (١٤٦٣).

لويس فاز دي كامو

(١٥٢٤-١٥٨٠) برتغالي.

حظي أشهر شاعر برتغالي محتفًى به بحياة مغامراتية. فقد دي كامو في شبابه بصر عينه عندما كان يقاتل المسلمين في المغرب، وقضى أغلب سنين نضجه في المستعمرات الأمامية للإمبراطورية البرتغالية في أماكن مثل غوا في الهند ومكّاو في الصين. عاد إلى البرتغال في عام ١٥٧٠ بعد عديد التقلّبات حاملا معه مخطوطة ملحمة تاريخية هائلة «لوسيادس The Luciads». وهي قصة تخيلية لرحلة المستكشف البرتغالي فاسكو دي غاما إلى الهند، نُظمت القصيدة استنادا على تجارب رحلات المؤلف في المحيط المحفوفة بالمخاطر والأراضي الغريبة. مُزجت الواقعية بالأسطورة وبآلهة الأولمبوس التي تحكمت بمصير الإنسان. وعلى الرغم من أن «لوسيادس» أكسبت كامو معاشا ملكيا، فإنه قضى آخر سنوات حياته في الفاقة ودُفن في مقبرة شعبية. لم تنشر أشعاره الغنائية -من ضمنها سونيتاته المعقدة عاطفيا وفكريا- إلا بعد وفاته.

أبرز أعماله:

لوسيادس (١٥٧٢)، ريتماس (١٥٩٥) Rhythmas، ريماس (١٥٩٨) Rimas.

توركواتو تاسو

(١٥٤٤-١٥٩٥) إيطالي.



كان تاسو طفلا معجزا وابنَ شاعر ورجل بلاط، كتب أول قصيدة ملحمية «رينالدو Rinaldo» بسن الثامنة عشرة، ثم أصبح مفضلا في بلاط النهضة لعائلة D›Esta في فيريرا، ناظما مئات قصائد الحب لسيدات البلاط وكتب مسرحية رعوية أمينتا Aminta لتؤدى في البلاط. كتب تاسو في سبعينات القرن السادس عشر أبرز أعماله الملحمة التاريخية «تسليم القدس»، وفقا لأحداث الحملة الصليبية الأولى، ومزج فيها بين قصص أبرز المعارك والأحصرة وبين حكايات الحب السوداوية. لسوء الحظ فقد بدأ تاسو بعدها يفقد سلامته العقلية، وعجّل النقد الذي طال ملحمته «تسليم القدس» بأنها غير قومية في دينها وعباراتها الأدبية على تفاقم علته وإصابته بهوس الاضطهاد، ثم حُجر عليه في دار المجانين سبع سنوات. أطلق سراحه في عام ١٥٨٦، وتوفي في روما حيث كُلِّل قبره بالغار من قبل البابا لكونه أشهر شاعر في عصره.

أبرز أعماله:

أمينتا ١٥٧٣ Aminta، تسليم القدس ١٥٨١، Re Torrismondo ١٥٨٧.



▲ توركواتو تاسو، فنان مجهول.

لوبي دي فيجا

(١٥٦٢-١٦٣٥) إسباني.

يعد لوبي دي فيجا ذو الأصل المتواضع واحدا من أغزر الكتّاب إنتاجا في عصر إسبانيا الذهبي. هرب من الكلية اليسوعية وبدأ التدرّب في الكهنوت من أجل مسعاه خلف المرأة، ومؤسسا نمطًا من حياة الغراميات العاصفة، إضافة إلى زواجه مرتين. شرع لوبي دي فيجا بكتابة المسرحيات قبل أن يخدم جنديا في الأسطول البحري الإسباني الذي أرسلَ لغزو إنجلترا في عام ١٥٨٨. وأصبح فيجا كاهنا في عام ١٦١٤ إلا إنَّ هذا لم يؤثر في أسلوب حياته. كسّرت مسرحياته، ومن ضمنها «العباءة والسيف» والمسرحيات الكوميدية والتاريخية، القواعدَ الكلاسيكية لجذب المتفرجين من عامة الشعب، مستخدما «لغة المغفلين ما دام أنهم من يدفعون لنا». نظمَ فيجا الشعر أيضا من ضمنه «La Dragonta»، وملحمة شعرية عن السير فرانسيس درايك، و«La Gatomaquia» ملحمة ساخرة عن القطط.

أبرز أعماله:

El Acero Madrid 1608،

Peribanez y el comendador de Ocana 1609،

Fuente Ovejuna 1613.

كريستوفر مارلو

(١٥٦٤-١٥٩٣) إنجليزي.

يعد مارلو أول المسرحيين العظماء في العصر الإليزابيثي، وله الفضل في التأسيس للمسرحية التراجيدية لتكون أرفع نوع في المسرح الإنجليزي. كانت الحياة القصيرة لابن صانع أحذية في كانتربيري



▲ جين دي لا فونتين، هياسنت ريغاود، ١٦٧٥-٨٥.

مليئة بالغموض، فقد تخرج في جامعة كامبريدج، وربما كان جاسوسا حكوميا. أما موته إثر طعنة في حانة قد لا يكون مجرد نتيجة عراك مخمورين حول النقود.

كتب مارلوا لجماعة مسرح «رجال الأدميرال»، وأنتج الأعمال المسرحية الأكثر شعبية في إنجلترا، وأظهر براعة متساوية سواء في نظم الشعر المقفى وغير المقفى. عبّدت مسرحياته التراجيدية مثل «تامبرلين العظيم» و«الطبيب فاوست» الطريقَ وليم شيكسبير، وفي الواقع يُعتقد أن مارلو قد اشترك في كتابة بواكير مسرحيات شيكسبير. وبعيدا عن تراجيدياته فقد لفت مارلو الأنظار بقصيدته الغنائية «الراعي الشغوف بحبيبته» إضافة إلى قصيدته الحسيّة الطويلة «البطل وليندر».

أبرز أعماله:

تامبرلين العظيم ١٥٨٦-١٥٨٧، يهود مالطا ١٥٩٠، والطبيب فاوست ١٥٩٢، إدوارد الثاني ١٥٩٣.

جين دي لا فونتين

(١٦٢١-١٦٩٥) فرنسي.

عرف لا فونتين لأساطيره الماكرة والحاذقة التي أعاد سردها من القصص القديمة في نظم شعري بارز. قضى لا فونتين معظم حياته في باريس، عندما تعاون مع المسرحيين موليير وراكين والناقد الأدبي بويليه. على الرغم من لا مبالاة لا فونتين بالمال، فإنّه وجد الرعاة والمحسنين الذين دعموه. نادرا ما التقى لا فونتين مع زوجته وابنه، وفي إحدى لقاءاته معهما فشل في معرفة ابنه البالغ. بدأ لا فونتين النشر في مرحلة متأخرة جدا من حياته ابتداءً بحكاياته الشعرية الفاسقة والبذيئة. وكان قد استمد أساطيره من إيسوب والمؤلفين الكلاسيكيين الآخرين، ليحقق نجاحا سريعا في مؤلفات من بينها أعمالا مفضلة مثل «النملة والجندب» و«الثعلب والعنب» و«الأرنب والسلحفاة»، وحملت أغلب هذه الحكايات رسائل اجتماعية أو سياسية في طياتها تحت ظاهرها المسلي. بقيت مسرحياته المُبهجة واللا عاطفية، وحتى الغنية بالتطلعات الأخلاقية والنفسانية، تُبهج الصغار والكبار على حدٍ سواء.

أبرز أعماله:

الحكايات والروايات الشعرية ١٦٦٤، ١٦٦٦، ١٦٧١، حب كوبيد والذات ١٦٦٩، الأساطير الشعرية المختارة ١٦٦٨، ١٦٧٨، ١٦٩٤.

مدام دي لا فايتي

(١٦٤٣-١٦٩٣) فرنسي.

أسست لا فايتي لنوع الرواية الفرنسية السيكولوجية بقصة الحب الخائب «La princesse de Cleves». ولدت باسم ماري-مادلين بيوتش دي لا فيرجني، وتزوجت بسن الحادية والعشرين الكونت لا فايتي ضابط جيش يصغرها بثلاث سنوات. أنجبت طفلين لتترك المنزل بعدها وتنضم إلى حلقة من المفكرين الباريسيين، من بينهم الدوك دي لا روتشيفوكال، المشهور بتمثيله للفلسفة المكسيمية. نشرت لا فايتي باسم مجهول، ووجدت موضوع مادتها في نوفيلا «La princesse de Montpensier»، وهي حكاية عن الزنى. وقدمت في رواية «La princesse de Cleves» استعراضا أنضج في الموضوع ذاته، ساردة حكاية امرأة ملتزمة بواجبها الزوجي تتدمر حياتها بوقوعها في علاقة حب. منح الوضوحُ المصقول لنثر لا فايتي وتحليلُها الدقيق للعاطفة نجاحا سريعا.

أبرز أعمالها:

La princesse de Montpensier 1662

Zaide 1670

La princesse de Cleves 1678

هنري فيلدينگ

(١٧٠٧-١٧٥٤) إنجليزي.

المؤلف المعروف بروايته الهزلية «توم جونز»، كسب هنري شهرته بكتابته المسرحيات الساخرة للمسرح اللندني. انتهت مسيرته كاتبا مسرحيا بعد التضييق من الرقابة المسرحيّة في عام ١٧٣٧، لكن نجاح رواية صامويل ريتشاردسون «باميلا(١٧٤٠)» حفّزته على كتابة رواية «شاميلا» البارودية (تقليد ساخر من العمل الأصلي). وقاده هذا العمل بعدها لكتابة أول رواية طويلة كاملة «جوزيف أندريس»، وهي هزلية فاحشة، ووصفها بأنها «قصيدة نثر ملحمية هزلية». كانت رواية توم جونز من روايات التشرد، وهي حكاية تحمل في طياتها غضبا ضد الأغنياء تمثّل في بطل جذّاب، وحبكة مبدعة الصياغة، وشخصيات مرسومة بقوة. عمل هنري قاضيا أيضا، وهو المؤسس لشرطة الشارع «The Bow Street Runners» أول قوة شرطة في لندن. وتسبب زواجه بخادمته بعد وفاة زوجته بفضيحة. توفي هنري في البرتغال حيث سافر باذلا الجهود لشفائه من اعتلاله الصحي.

أبرز أعماله:

تاريخ مغامرات جوزيف أندريس ١٧٤٢، حياة وموت جوناثان ويلد: العظيم ١٧٤٣، تاريخ توم جونز: اللقيط ١٧٤٩.

جان-جاك روسو

(١٧١٢-١٧٧٨) سويسري.

عُرف روسو بأنه فيلسوف المساواة المشهور، ومُبشِّر الأدب الرومانسي. عاش ابن صانع ساعات في جنيف أغلب حياته في فرنسا، وبرز بفضل مقالته حول الفنون والعلوم (١٧٥٠) ناقش فيها الثقافة التي أفسدت الطيبة الفطرية للجنس البشري. وينص معتقده على أن المساواة والحرية كانتا الحال البشري الطبيعي، وبرز هذا المعتقد في كتابه «العقد الاجتماعي» وجملته الافتتاحية المدوية: يُولد الإنسان حُرًّا، وفي كل مكان يُقيّد بالأصفاد.

تصدرت رواية روسو «La Nouvelle Heloise» قائمة المبيعات، وغلّفت توصيفاتها الحساسة للطبيعة والعواطف السامية مرحلة ما قبل العاطفة الرومانسية.

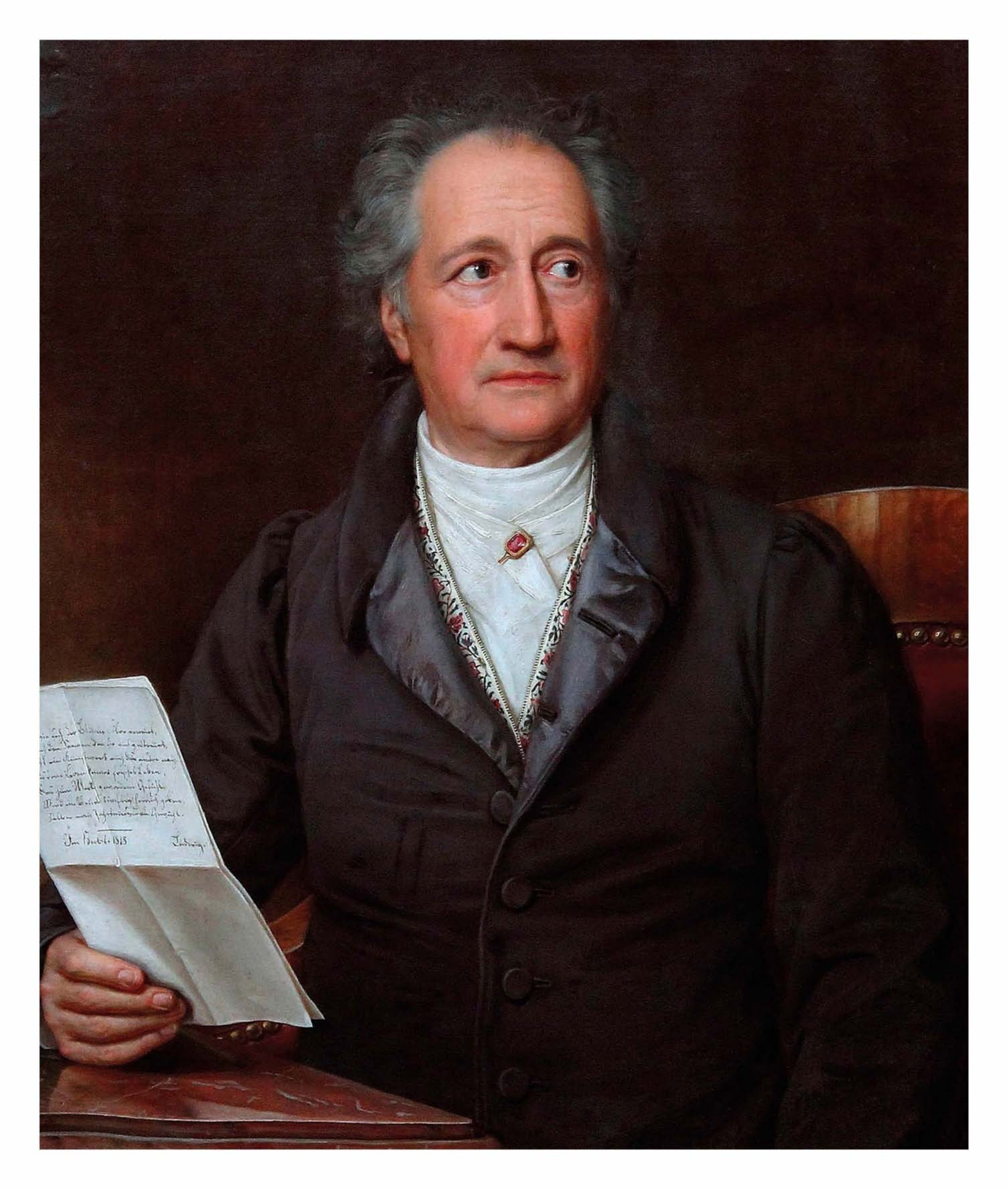
جسّدت كتابات سيرته الذاتية الصريحة مثل «أحلام يقظة جوّال منفرد» و«الاعترافات» معتقدَه الراديكالي في الأصالة الشخصية والحقيقة لذات المرء.

أبرز أعماله:

جوليه ١٧٦١، العقد الاجتماعي ١٧٦٢، أحلام يقظة جوّال منفرد ١٧٨٢، الاعترافات ١٧٨٢، ١٧٨٩.

بواكير القرن التاسع عشر

الفصل الثاني



يوهان فون غوته

(١٧٤٩-١٨٣٢) ألماني.

أستاذ الأدب الألماني الذي تصدر قائمة المبيعات بسن الخامسة والعشرين. تضمن إنتاجه الغزير الشعر، والمسرحية، والرواية، وسبر غور تناقضات وتعقيدات التجربة البشرية.

أتمّ يوفان فلوفغانغ فون غوته في شهر آب/ أغسطس مخطوطة الجزء الثاني من فاوست، مع تعليمات بنشرها بعد موته. كانت تلك آخر أعماله في مسيرته الكتابية التي امتدت لأكثر من ستين عاما، وذروة إنتاج مؤلِّفٍ استثنائي كتب أربعين مجلدا من الأعمال المذهلة والمُعقّدة. امتدت حياة غوته في حقبة الثورة والحرب التي أعادت تشكيل أوروبا، وهي حقبة من التغيير الثقافي العظيم التي أكمل فيها الأدباء والفنانون نهجهم عبر التنوير والرومانسية والكلاسيكية الجديدة. ويُمكن رؤية التنوع الغني في المؤثرات من خلال تطور أعماله.

◂ **(غوته، ١٨٢٨)**

رُسم هذا البورتريه لغوته وهو بسن السبعين من قبل جوزيف كارل ستيلر، الذي كان رسام بلاط الملوك البافاريين.

العائلة والتعليم

وُلد غوته في فرانكفورت في الثامن والعشرين من شهر آب/ أغسطس عام ١٧٤٩ ابنا ليوهان الأكبر، رجل مثقف عاش مرفهًا بثروةٍ موروثة، وكاثرينا، ابنة عائلة فرانكفورتية ذات سطوة، والتي كانت تصغر زوجها بعشرين عاما. كانت أخت يوهان، كورنيليا، الوحيدة من بين إخوته وأخواته التي بقيت على قيد الحياة وبلغت سن الرشد، وبقي الاثنان مقرّبين حتى وفاتها في عام ١٧٧٧.

تلقى غوته تعليمه في المنزل من والده حتى سن السادسة عشرة، ثم انتقل لدراسة القانون في مدينة لايبزغ، حيث غذَّت حياته الرومانسية -لا سيما حبه العميق والعقيم للنساء- أعماله المبكرة. انعكس رفضه من ابنة صاحب نُزل، كيتيان شونكوب، في مسرحيته «المتواطئون» (شركاء في الإثم)، لكن هذا الموضوع ظهر بطريقة معتبرة في رواية آلام فرتر، وهي قصة غوته حول شاب انتحر بعد أن أكمدته آلام صداقته مع كل من المرأة التي يحبها وخطيبها. بُنيت الرواية على قصة صديق هائم، إلا إنها عكست ملامح من علاقة غوته بأخته كورنيليا وزوجها. نُشرت الرواية عام ١٧٧٤، وأصبح الشاب فرتر رمزا لشعور الحب الفوري.

كان الشبان في أوروبا -بل وحتى غوته نفسه- يرتدون معطف فرتر الأزرق المشهور وصدرية رجالية برتقالية مصفرة مع البنطال، وأثارت الرواية موجة غاضبة من حالات الانتحار



◂ **(حديقة منزل غوته)**

اشترى غوته هذا الكوخ بحديقة الكروم المحيطة به عندما وصل إلى فايمر عام ١٧٧٦. عاد إلى هذا الكوخ في سنوات شيخوخته حينما أمّن ملاذًا داخل المنزل حيث استطاع العمل دون إزعاج.

> «السلوك هو المرآة التي يُظهر كلُّ شخص صورته من خلالها».
>
> غوته.

غوته وشيلر

التقى غوته في عام ١٧٩٤ بالرجل الذي سيؤثر في أعظم مراحله الإنتاجية- فريدريك شيلر، الشاعر الألماني، والمسرحي، والفيلسوف، والطبيب الذي كتب نشيد الفرح Ode to joy، والذي تحول إلى موسيقى على يد بيتهوفن (السيمفونية التاسعة) وكان ذا عاطفة جامحة وسلوك فضائحي جعل من شيلر بطلا معبودا. وعلى الرغم من اختلاف نظام حياتيهما، فقد أصبحا صديقين، واشتركا في كتابة الأعمال دوريا، وقادا شخصيات الحركة الكلاسيكية في فايمار؛ الحركة التي نقّبت في النصوص الأدبية الإغريقية من أجل محاولة جلب الانسجام والتوازن والإنسانوية الجديدة إلى الرواية المعاصرة.



تمثال غوته-شيلر، فايمر، إرنست ريتسخيل، ١٨٥٧.

رواية التكوين Bildungsroman

رسّخ غوته في روايته «سنوات تعلم فلهلم مايستر»، والتي نُشرت لأول مرة عام ١٧٩٦، أُسس القالب الذي أصبح يعرف لاحقا برواية التكوين، وهي الرواية التي تتعامل مع تطور أخلاقيات الشاب الصغير. في حكاية غوته هذه، تقود المعاناة والخسارة الفتى فلهلم في رحلة بحث عن تحقيق الذات والحكمة. أصبحت رواية التكوين بُنية سردية رئيسة، ومن شواهدها رواية ديفيد كوبرفيلد لتشارلز ديكنز، ورواية سيدهارتا لهيرمان هيسّه.



الشاب فلهلم في لوحة في رواية غوته.

المُقلِّدة. كانت الرواية نموذجا رومانسيا خالصا لحركة العاصفة والاندفاع التي تجذّرت في ألمانيا. انبثق عن رفض معتنقي هذه الحركة لعقلانية التنوير كتابةُ روايات ومسرحيات تمتعت شخصياتها بعاطفةٍ مُتطرّفة، وغضبٍ عارم، وإبداعٍ خلّاق.

في بلاط فايمار

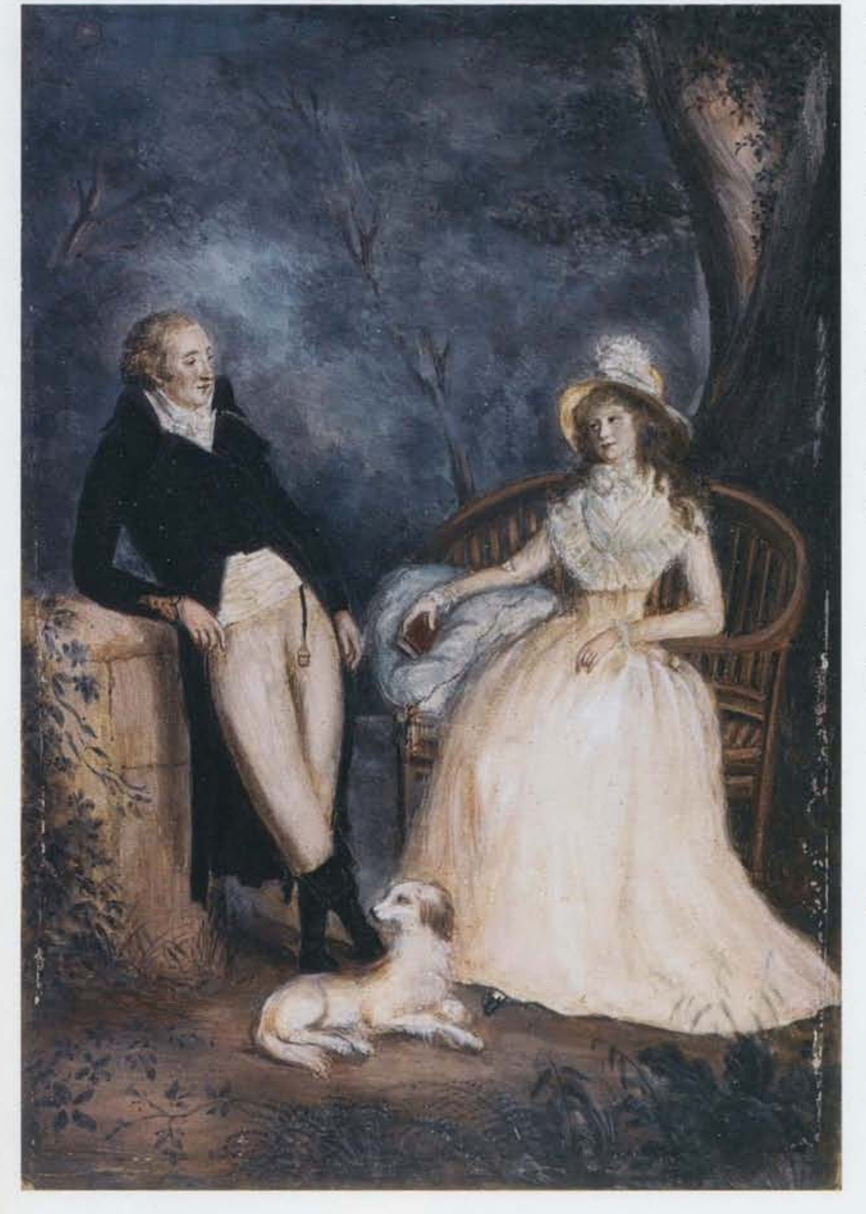
جلبت شهرة غوته اهتمام تشارلز أغسطس، دوق ساكس-فايمار ذي الثمانية عشر عاما، واستُدعي في عام ١٧٧٦ إلى البلاط ليعمل مستشارًا خاصا. كان الرجلان منجذبان جدا إلى مثاليات حركة التنوير من تسامح ومساواة وعقلانية. عمل غوته بجهد كبير في البلاط لمدة عشر سنوات، فأصبح خبيرا في تنظيم الضرائب، والطرق، والزراعة، والتعدين، بالإضافة إلى محافظته على النظام في شؤون الدولة. ثم في عام ١٧٨٢، وبعدما صار يشغل الآن منصب رئيس وزراء فايمار، كُرِّم غوته ورُفِع إلى رتبة النبلاء، فأصبح اسمه (فون) غوته وانتقل إلى منزل كبير في فايمار. جلب له حبه الأفلاطوني -والذي كان لامرأة متزوجة تكبره سنا وتدعى شارلوت فون ستين- الراحة والهدوء، وتغيرت كتاباته من المسرحية الموغلة في حركة العاصفة والاندفاع التي بحث فيها بتأن، إلى سبر أغوار الإنسانية على نحو أعمق؛ كما في عمله المسرحي النثري المُنتمي للكلاسيكية الجديدة «إيفغينيا في تاورس». كان غوته بحلول عام ١٧٨٠ بحاجة شديدة إلى الإلهام الشعري، فمنابع شاعريته قد جفت، وأجبرَ نفسه بالقوة على كتابة «الرسالة المسرحية لفلهلم مايستر».

وكما تعوّد دائما أن يفعل في حالات النضوب الإبداعي، انشغل غوته بعلم الأحياء والعلوم الأخرى، لكن بات من الجلي له أن عمله في البلاط لن يجعل منه مؤلفا.

غادر غوته فايمار في عام ١٧٨٦ متجها في رحلة طويلة إلى إيطاليا. غمر نفسه سنتين في إيطاليا بين الفن الكلاسيكي وفن العمارة، وعاد إلى فايمار رجلا مختلفا: أصبح مقتنعا تمام الاقتناع بمزايا الثقافة الكلاسيكية ومستعدا أخيرا لإقامة علاقة كاملة مع امرأة. اتّخذ لنفسه حبيبة شابة تدعى كريستين فولبويس، وكتب سلسلة من القصائد الإيروتيكية بأسلوب كلاسيكي عُثرَ عليه في مرثيات رومانية. منحته كريستين منزلا مستقرا وأولادا لم ينجُ منهم سوى واحد. وأصبح بإمكانه -في ظل علاقته المستقرة وتحرره من التزامات البلاط الإدارية- أن يركز جهوده على نفسه شاعرًا. جاهد غوته حين كان في روما لإكمال طبعة من أعماله المختارة، فأنهى رواية إيغمونت، ووجد الإلهام لعمله التراجيدي «توركواتو تاسو»، والذي يدور حول شاعرٍ إيطالي في الحقبة الأخيرة لعصر النهضة. وبحلول عام ١٧٨٩، كانت الأعمال المختارة على وشك الانتهاء، وفي السنة التالية نشر الجزء الأول من فاوست.

الحملة العسكرية

قُوطعت كتابة غوته ما بين ١٧٩٢-١٧٩٣ حين استُدعيَ للانضمام إلى الحملة العسكرية



◂ (غوته وفون ستين، ١٧٩٠)

تُظهر هذه اللوحة المائية الألوان ومجهولة الرسام غوته في حوار مع صديقته وموطن ثقته شارلوت فون ستين، سيدة في انتظار أن تصبح وصيفة آنا أميليا، الأميرة الألمانية. كانت شارلوت ربّة إلهام غوته، ومثاله الأسمى للجمال الأنثوي. كتب إليها قرابة ١٥٠٠ رسالة.

أبرز أعماله:

١٧٧٤
آلام فرتر: الرواية الرسائلية التي جلبت له الشهرة الأوروبية.

١٧٩٥
المرثيات الرومانية: شجعه على نشرها شيلر، وهي ثناء على شعراء الحب اللاتين مشحونٌ بالإيروتيكية.

١٨١٠
نظرية الألوان: استعرض غوته في هذا العمل طبيعة الألوان وارتباطاتها بالعاطفة.

١٨٣٢
فاوست: أنهى غوته هذه الحكاية عن عالم أرستقراطي يبرم اتفاقا مع الشيطان.



الرحلة الإيطالية

زار غوته إيطاليا في عام ١٧٨٦ وكان في الأربعين من عمره تقريبا وكاتبا مشهورًا سلفا. وأشار مكوثه في روما حيث حطَّ الرحال مع الرسام يوهان هنريخ تخبين- إلى ولادة الإبداع مجددًا. تُسجِّل زيارته إلى الكولوسوم في هذه اللوحة التي رسمها رسَّام الأراضي الطبيعية يعقوب فليب هاكرت.

(فاوست)

فاوست، أعظم أعمال غوته، وهو نموذج من الأسطورة الألمانية في القرن السادس عشر. تحكي قصة رجل -أثناء سعيه وراء معرفة عُليا- يعقد اتفاقا مع الشيطان مفستوفيليس. ألهمت مسرحية غوته العديد من الأعمال في الموسيقى والأفلام والأوبرا. وأُديت أوبرا الموسيقار الفرنسي تشارلز غونو، التي حملت العنوان المسرحية نفسه، أول مرة في باريس عام ١٨٥٩.



لدوق ساكس-فايمار ضد ثائري فرنسا. أكدت التجربة لغوته كراهيّته للعسكرية وللمركزية الكبرى للدول، حيث لا تولي السلطات إلا القليل من الأهمية للناس الذين يخضعون لسلطانها. وقد استعرض غوته هذا الموضوع سابقًا في مسرحيته غوتز فون بيرليشنجن (١٧٧٣)، التي استمد كتابتها من حياة البطل المستقل غوتفريد فون بيرليشنجن.

وفي عام ١٧٩٤، التقى غوته بالرجل الذي سيصبح له عظيم الأثر في مدة من أعظم مدد حياته الإنتاجية: فريدريك شيلر. فاقت مراسلات الشاعرين ألف رسالة، ويعود الفضل لصداقة غوته بشيلر في كتابة بعض من أكثر أعمال غوته نجاحا، منها ملحمته الشعرية هيرمان ودوروثيا لسنوات تعلم فلهلم مايستر، وهي الرواية التي ابتدأ كتابتها قبل سنوات- والجزء الأول من مسرحية فاوست.

انتابت غوته مشاعر الفجيعة والفقد لوفاة شيلر عام ١٨٠٥. وبعد مضي عام على ذلك، اجتاحت قوات نابليون مدينة فايمار بعد معركة جينا (تشرين الأول/ أكتوبر ١٨٠٦)، وكانت شجاعة كريستين وحدها وحذاقتها من أنقذا منزل غوته. تزوج الاثنان بعدها، لكن على ما يبدو أن الالتزام كان ثقيلا جدا على غوته الذي وقع في حب امرأة شابة تُدعى فِلهيلمينا هارزليب. ومرة أخرى، نقل موقفه المُعقّد في الحب إلى كتاباته، فكتب عنه في كتابه المصاهرة الاختيارية (١٨٠٩) الذي استعرض فيه الصراع ما بين التقاليد والهيام، وكشف عن استنتاج كئيب فحواه أنَّ الأخلاق عسيرة ولا تجلب للمرء إلا القليل من العزاء. وعلى أي حال، فقد خرج غوته من هذه التأملات الكئيبة برؤية جليّة اقتنع بها أن عليه ألّا يكف عن الحب. بدأ يتبادل قصائد العشق مع امرأة كانت في نصف سنِّه في عام ١٨١٥، وعرض الزواج وهو في سن الثالثة والسبعين على فتاة بسن التاسعة عشرة بعد وفاة زوجته في عام ١٨١٦.

السنوات الأخيرة

انصرف غوته في سنواته الأخيرة في تحضير مجموعة أعماله المختارة الأخيرة وعدة مجلدات من سيرته الذاتية التي ابتدأها بالرحلة الإيطالية في عام ١٨١٣. أنهى أخيرا كتابة فاوست، مسرحيته المأسوية المكونة من جزأين، والتي تتناول قصّة رجل -يشبه غوته كثيرا- قضى حياته في البحث عن جوهر الحياة. وبإكماله العمل، تُوفي غوته في منزله فوق أريكته عام ١٨٣٢.

> «الفن مديد، والحياة قصيرة، والحُكم صعب، والفرصة عابرة، والفعل سهل، والتفكير صعب: الفعل بعد التفكير غير مريح».
>
> سنوات تعلم فلهلم مايستر - غوته.

وليم وردزورث

(١٧٧٠-١٨٥٠) إنجليزي.

الشخصية التي كانت مفتاح الحركة الرومانسية الإنجليزية؛ دمج وردزورث ما بين العبادة الصوفية للطبيعة والقلق بشأن الحياة في الريف الفقير. وباستخدامه «لغة الشعراء الحقيقية»، بات تأثيرهُ دائمًا في الشعر الإنجليزي.



◂ (بحيرة إيسثوايت)

قضى وردزورث ساعات طويلة في المشي حول هذه البحيرة، التي امتلكت «أميالٌ من التجوال المُبهج». وهي مكان لـ «صفوف تُركت فوق مقعد وسط أشجار الطقسوس» كما تميَّزت في الأناشيد الغنائية.

ولد وردزورث في كوكرماوث بكمبِرلاند، شمال غرب إنجلترا، في عام ١٧٧٠، ابنا لمحام عمل ممثلًا قانونيا لمالك أراضٍ محلّي يدعى إيرل لونزدايل. كان وردزورث واحدا من بين خمسة أطفال، وتُوفي كلا والديه وهو بسن الثالثة عشرة، وبسبب الإرث الكبير الذي خلفه والده، فقد تأخر توزيعه لعشرين عاما بسبب الإجراءات القانونية. حقّق هؤلاء الأطفال إنجازات كبيرة: فقد أصبح أخ وليم الأكبر محامي لندن الناجح، وأصبح أخ آخر له أستاذا في كلية ترينتي بكامبريدج.

الطفولة والدراسة

جرت وقائعُ من طفولة وردزورث الريفية الشاعرية عندما كان تلميذا داخليا في مدرسة هاوكسهيد لقواعد اللغة في قرية صغيرة ضمن تخوم منطقة بحيرة إيسثوايت. شكلت تلك الوقائع جزء بارزا من قصيدة سيرته الذاتية «المقدمة (١٨٠٥)»: تزلجٌ فوق بحيرة متجمدة، وتسلق أنقاضٍ حجرية بحثا عن بيض طائر».

نشأ وردزورث، وفقا لوصفه الشخصي، صبيًا ذا «جموحٍ ساذج، بتفكير فَتي، واستسلام، لأجل الطبيعة والكتب». وأعارته السنوات الثلاث في كلية سانت جونز، كامبريدج، واجهة من الثقافة الرفيعة، بالرغم من أنه لم يتفوّق في أي مادة سوى الشعر الإنجليزي.

مغامرات ثوريّة

لم يشأ وردزورث أن يكون كاهنا تقليديا أو ذا مهنة قانونية، ودخل جراء ذلك مرحلة تجريبية في حياته. أشعلت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ثائرة الأصوليين البريطانيين، وأجرى وردزورث زيارة موسعة إلى فرنسا ما بين ١٧٩١-١٧٩٢، حيث تحوَّل إلى الجمهورياتيّة الثوريّة. ثم احتفى بمشاعره خلال هذه المدة بهذه السطور: «النعيم هو في بزوغك لتكون حيا/ لكن أن تكون شابا فهو الفردوس الدائم»، إلا أن انشغالاته لم تكن سياسية بالكليّة. أصبحت امرأة فرنسية ملكيّة، هي أنيتي دي فالون، عشيقته وحملت بطفله، إلا إنَّ هذه العلاقة قُوطعت باندلاع الحرب بين بريطانيا وفرنسا واندحار الثورة وتحولها إلى مذبحة جماعية. وبعودة وردزورث إلى إنجلترا، فقد انقطع اتصاله بأنيتي وابنته.

طبع وردزورث في عام ١٧٩٣ أولى قصائده

دوروثي وردزورث

وصف وليم أخته دوروثي (١٧٧١-١٨٥٥) بأنها «أخت روحي»، المرأة التي رافقت أخيها منذ عام ١٧٩٥ حتى وفاته. وأنقذت العلاقة المقربة ما بين الاثنين زواج وليم في عام ١٨٠٢، على الرغم من أن دوروثي لم تستطع حضور حفل الزفاف بنفسها. عاشت الأخت طوال حياتها في ظل أخيها، الأمر الذي منعها من تطوير موهبتها في الكتابة. كشفت مذكراتها «يوميات جراسمير» التي نشرت بعد وفاتها عن امرأة ذكية ومراقبة للطبيعة، وأبانت عن تأثيرها الحيوي والجوهري في كتابات أخيها.

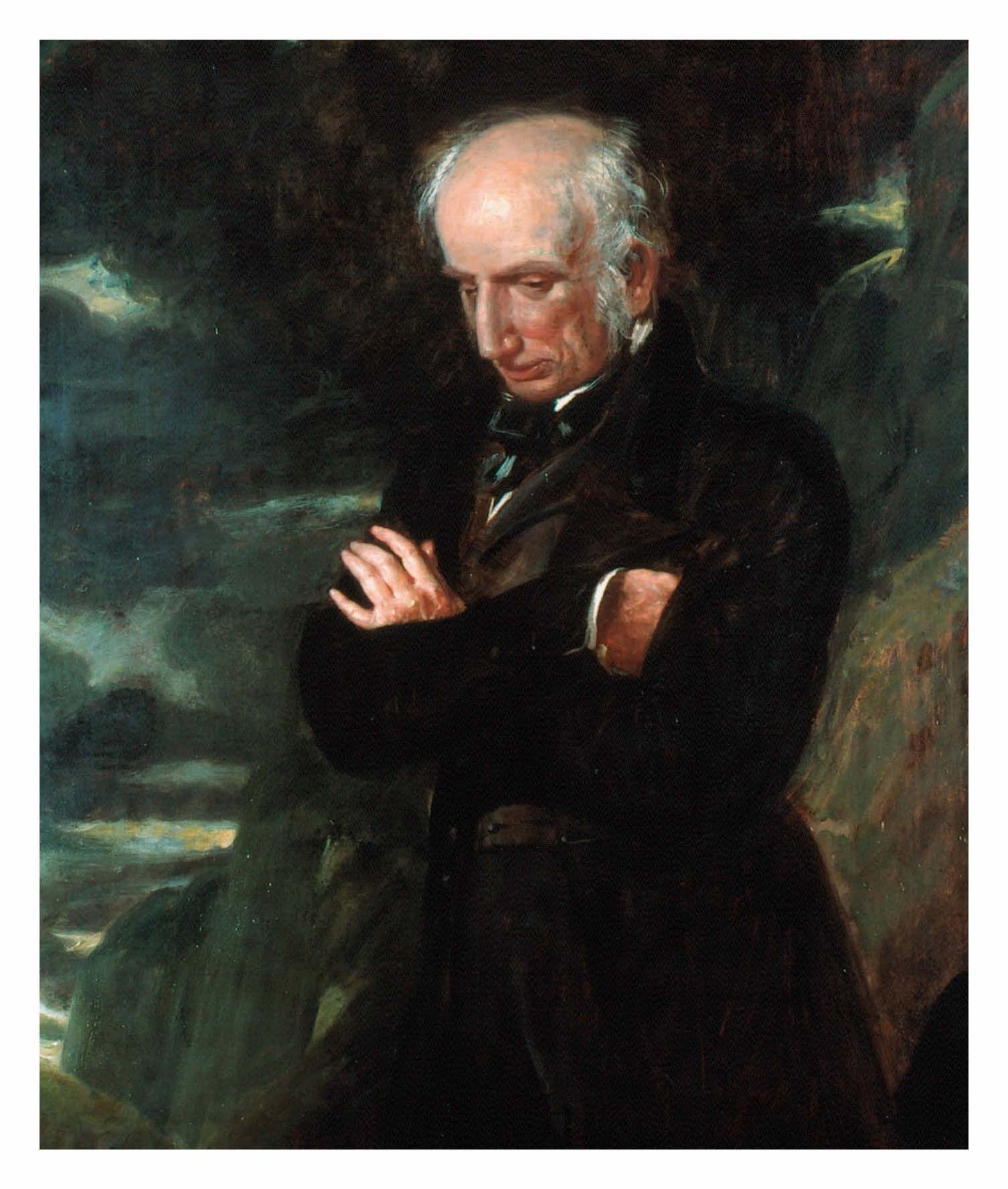


دوروثي وردزورث.

> «النعيم هو في بزوغك لتكون حيًا، لكن أن تكون شابا فهو الفردوس الدائم».

◂ (وليم وردزورث، ١٨٤٢)

رسم هذا البورتريه لوردزورث وهو بسن السبعين من قبل الرسام بنيامين هايدن. قَبِلَ وردزورث هذه الصورة واصفًا إياها: «الشبه فيما بيننا في الحقيقة ليس محض بورتريه بل واحدٌ من الشخصيات الشعريّة».





▲ **(سقوط الباستيل، ١٧٨٩)**

تأثّر وردزورث من أعماقه بتأجج عنان الثورة الفرنسية، وزار في شبابه باريس بُعيد اقتحام الباستيل، الحدث الموصوف في هذه اللوحة للفنان فرانسوا ليونارد.

«نزهة مسائيّة ورسوم وصفية»، وأعاد في هذه المدة أيضا إنعاش علاقته بأخته دوروثي التي كانت قد وهنت في السنوات الماضية، وأصبحا ملازمين لبعضهما البعض.

عانى وردزورث في منتصف العقد الأخير من القرن الثامن عشر من اكتئاب شديد يُحتمل أنه عائد إلى خيبة أمله من مسار الثورة الفرنسية التي بنى عليها آماله. أضف إلى ذلك خيبته من مسيرته الأدبية كونه لم يعثر على من هو مستعد لتحضير مسرحٍ لمسرحيته التاريخية «الخطوط الفاصلة» المكتوبة ما بين ١٧٩٥-١٧٩٦.

عثر وردزورث في عام ١٧٩٧ على سبيل يقوده للأمام، ويتمثّل في اتحاده مع شاعرٍ آخر يدعى صامويل تايلر كولريدج. كان الاثنان جارين في كوانتوك هيلز، وكان كلاهما محبا للنزهات الريفية الطويلة، والأغاني الشعبية، وتناقشا في قيود حركة التنوير العقلانية. أثمر عن شركتهما هذه طباعة «الأناشيد الغنائية» في عام ١٧٩٨. وهنا بالذات تحدّدت معالم شخصية وردزورث الشعرية عبر استخدامه لغة غير مبتذلة للتعبير عن مشاعره الرفيعة التي ألهمته إياها الطبيعة، وقصّ حكايات القرويين المعوزين الذين يملكون قلوبا نقية آمن بأنها تكشف عن جوهر الطبيعة الإنسانية.

شعراء البحيرة

بدخوله مرحلة الإبداع المزدهرة، بدأ وردزورث بالعمل على مُسوَّدة قصيدة سيرته الذاتية «المقدمة» التي كان ينوي أن تكون الجزء الأول من ملحمة فلسفية أطول هي «المُنعزِل»، والتي لم تُكتب قط. بدأ خلال هذه المرحلة أيضا بكتابة «دير تنتيرن (١٧٩٨)»، مُستحضِرًا روح الدير السامية التي «دمجها» مع الطبيعة، وقصائد لوسي الغنائية (١٧٩٨-١٨٠١)، ولم تتبين قط هوية المرأة الحقيقة المقصودة فيها، وما إذا كانت في حياة وردزورث فعلا. عاد وليم إلى منطقة بحيرة إيسثوايت، حيث استقر في دوف كوتج، وانضمّ إلى كولريدج، ثم لحق بهما روبرت ساوثي الذي كان يسكن بالقرب منهما، وشكّل الثلاثة معا ما عُرف بـ «شعراء البحيرة». استمر فيض القصائد بالانهمار، ومن بينها قصائد مميزة مثل «قرار واستقلال» التي استوحاها من شخص فقير يجمع ديدان العلقيات، و«قصيدة: إيحاءات الخلود»، مادحا فيها أفضلية رؤية طفل على رؤية البالغين. بدأ وردزورث أيضا بكتابة السونيتات، إذ وجد سلواه من «وطأة الحرية المُفرطة» في صِيَغ الشعرِ المتزنِ. كتب في تلك الأوقات أفضل سونيتاته، مثل «العَالَمُ مُفرطٌ معنا» التي كانت هجوما على المادية المعاصرة له، و«فوق جسر ويستمنستر».



▲ **(طاولة كتابة وردزورث)**

تظهر طاولة كتابة وردزورث في هذه الصورة وفوقها بعض أوراقه في بيته في كوكرماوث، كمبرلاند، شمال غرب لندن. كان هذه المنزل البلديّ الجورجيّ مسقط رأسه الشاعر ومنزل طفولته.



◄ **(كوخ دوف)**

عاش وردزورث في هذا الكوخ الصغير ذي الجدران الكلسيّة الواقع في ضواحي قرية غراسمير منذ عام ١٧٩٩ وحتى عام ١٨٠٨، وكتب العديد من أفضل قصائد الحب هنا. أصبح هذا الكوخ اليوم متحفًا.

الأفول

استلم وردزورث أخيرا إرثه في عام ١٨٠٢ وشعر بأنه قادر على اتخاذ زوجة لنفسه. تزوج من ماري هتشنسون التي كان يعرفها منذ طفولته؛ وأرادا إنجاب خمسة أطفال. بقي وردزورث يسكن في دوف كوتج برفقة أخته وزوجته وعائلته حتى عام ١٨٠٨. وكتب في هذا الوقت مجموعة من أفضل قصائده، كـ «الحصاد المنعزل» و«النرجس الأصفر»، لكن قواه كانت في تضاؤل: إذ أظهرت قصيدة «الانحراف» (جزء آخر من ملحمته الشعرية المُخطط لها «المُنعزِل») تناقصا واضحا في مسيرة كتابة «المقدمة». دمّرت عدة مصائب معنويات وردزورث، ابتداء بوفاة أخيه في كارثة بحرية، والتي تبعتها انتهاء صداقته بكوليردج الذي انتكس بسبب إدمانه الأفيون. أضف إلى ذلك رد الفعل العدواني على قصائده المطبوعة في جزئين (١٨٠٧) من قبل لورد بايرون، الذي وصف لغته بأنها ليست واضحة، بل صبيانية، وأصابه ذلك بأذًى عميق. تمثّلت مأساته الكبرى بوفاة اثنين من أطفاله عام ١٨١٢. عاش وردزورث منذ عام ١٨١٣ في ريدال مونت بالقرب من أمبلسايد، وحصل على وظيفة لا تتطلب الكثير من الجهد، إذ عمل موزّع طوابع بريدية في ويستمورلاند، وهي وظيفة أمّنت له دخلا ماديا. وفي هذه الأثناء، انقلبت مواقفه السياسية رأسا على عقب على إثر تعرّضه للتجسس بحسبه أحد المُخرّبين المحتملين. وهكذا، أصبح داعما بارزا للملكية والمؤسسة الكنسيّة، فكتب قصائد بطريركية في مدح القوات العسكرية البريطانية الفيكتورية، وصار مناهضا لجميع الاحتجاجات الشعبية والإصلاحات السياسية. أصبح وردزورث شخصية مؤسساتية، وسخر منه الجيل الشاب من الشعراء الرومانتيكيين من أمثال بيرسي شيلي، لكنه استمر في مناصرته قضية الفقراء والمنبوذين، وعارض بشدّة قانون الفقر في ثلاثينيات القرن التاسع عشر الذي يدين العاطلين ويسوقهم إلى الإصلاحية. جفّ إلهام وردزورث مع الاعتراف الرسمي به؛ كان قد كُرّم لمسيرته الشعرية عام ١٨٣٤. ثم في سنواته الأخيرة، ومع سقوط دوروثي في عالم الشيخوخة المبكرة، أصبحت ابنته دورا واحدة من النساء اللواتي يخضعن لأوامره ويلبين احتياجاته قبل أن تهرب -رغما عنه- لتتزوج وهي بسن التاسعة والثلاثين. كانت وفاتها عام ١٨٤٧ الأسى الأخير في حياة وردزورث، الذي توفي بعمر الثمانين في الثالث والعشرين من أبريل/ نيسان عام ١٨٥٠.

أبرز أعماله:

- **١٧٩٨** الأناشيد الغنائية: ديوان مشترك لوردزورث وكولريدج، نُشر بدون اسم.
- **١٨٠٠** مقدمة الأناشيد الغنائية: عرض فيها وردزورث بيانه المعبّر عن آراءه في الشعر.
- **١٨٠٢-٠٤** قصيدة إيحاءات الخلود: تأملٌ في الطفولة وخسارة البراءة.
- **١٨٠٤** النرجس: العمل الذي أصبح أشهر قصيدة غنائية لوردزورث.
- **١٨٠٥** المقدمة: نشرت في هذه السنة النسخة الأولى من الشعر المرسل لسيرته الذاتية.
- **١٨١٤** النزهة: العمل الذي نوى أن يكون جزء من قصيدة فلسفية أطول، المُنعزِل.

▲ **(يولسنواتر، منطقة البحيرة)**

شجّعت شعبية أشعار وردزورث السياحة إلى منطقة البحيرة، التطوّر الذي مقته الشاعر. وعارض بناء سكة قطار ستُمكّن الناس من الوصول إلى البحيرات.

◄ **(النرجس البري)**

نسخة من قصيدة «النرجس البري» بخط يد وردزورث. تبدأ القصيدة بسطر شعري مشهور «تجولتُ وحيدًا مثل غيمة»، والذي أُلهمَه من مدخل إحدى يوميات أخته دوروثي.

الأناشيد الغنائية Lyrical Ballads

ضمت هذه المجموعة الشعرية المختارة، الأناشيد الغنائية (١٧٩٨)، أعمال وردزورث وكوليردج، وكانت موجهة ضد القرن السابع عشر- تقليدية القرن الشعرية- ووضح وردزورث بأن القصائد يجب أن تعامل على أنها تجارب. كانت أصالتهم الشعرية تكمن في المباشرة الواضحة للأسلوب، وأما في شعر وردزورث فقد كانت باختياره مواضيع يومية. حاكت بعض القصائد، مثل قصيدة وردزورث «الولد الأبله»، الأغاني الشعبية، والنثر الشعري التقليدي في السونيتات القصيرة. كانت ردود الفعل النقدية الأصلية لهذا العمل وقتها قليلة، لكنه يعد الآن أحد الأعمال المؤثرة في الرومانسية الإنجليزية.



صامويل تايلر كولريدج، بيتر فان دايك، ١٧٩٥.

> «الشعر هو الفيض العفوي للمشاعر الجارفة؛ إذ تأخذ أصالتها عبر استذكار العواطف أثناء السكينة»
>
> وردزورث - الأناشيد الغنائية.

جاين أوستن

(١٧٧٥-١٨١٧) إنجليزية.

استطاعت أوستن، وهي واحدة من أعظم روائيي بريطانيا والمرأة ذات الخلفية الريفية المتواضعة، أن ترسم صورة زاهية للمجتمع في عصرها، بسخريةٍ حاذقة وسابرة لأغوار شخصيّاتها.

أبصرت جاين أوستن نورَ الحياة في قرية ستيفنتون بهامبشاير، وكانت الطفلة السابعة بين ثمانية أطفال. كان والدها، جورج، كاهن الدير المحلي ومسؤوله، وعلى الرغم من أنه كان ينحدر من عائلة جيدة وأكمل تعليمه في أكسفورد، فقد عاش في براثن الفقر المُدقِع. لم يملك جورج أرضا، ولا مستأجرين، ولا دخلًا خاصًا، ولإنهاء هذا الوضع فقد كان مضطرا لإعطاء الدروس لأبناء الطبقة العليا المحلية. رفض بعض النقاد روايات أوستن لتناولها مواضيع المال، والأقارب الأثرياء، والحصول على زواج مليء بالمزايا، لكن تناولها لتلك موضوعات أمر مفهوم تماما. كانت أوستن واعية تماما، ومنذ سن مبكرة جدا، بحظوظها

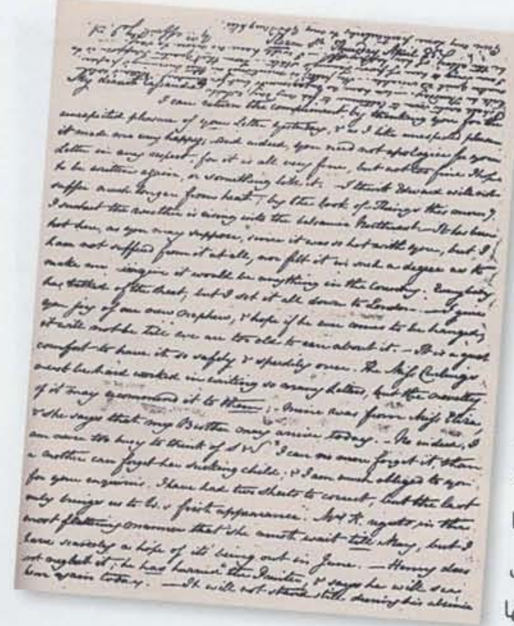


▸ (ستيفنتون، هامبشاير)
كان والد أوستن كاهن كنيسة القديس نيكولاس في ستيفنتون، ورجلا هادئا، ومتعلّما شجَّع كتابات ابنته.

الضئيلة في الحياة، وأدركت أن عدم وجود جهاز عروس لها سيقلل من فرص عثورها على عريسٍ على نحو خَطِر. في ذات الوقت، كان بإمكانها أن ترى وسائل للتخلص من مصيرها المحتوم. فقد تبنّت عائلة ثرية لم ترزق بالذرية أخاها إدوارد نحو عام ١٧٨٣، وهي عائلة نايت التي تربطها بهم صلة قرابة بعيدة، ولم يكن هذا النوع من التبني معتادا في زمانهم. تغيرت حظوظ إدوارد بلمح البصر، إذ امتلك نمط حياة ومكانة جديدين. أما الفتاة أوستن فقد بدا لها ذلك التحول سحريا تقريبا، لذا فليس المفاجئ أنها حاولت إعطاء بطلات رواياتها فيما بعد تجاربَ شبيهة بتجربة سندريلا.

الحياة المنزلية

عاشت أوستن طفولة سعيدة. وكانت مقربة جدا من أختها الكبيرة ساساندرا، وتعلمت معها في البداية في مدرسة السيدة كاولي الداخلية في أكسفورد ولاحقا في مدرسة الدير في ريدينغ. كانت الفتاتان راضيتان هناك إلا إن التكاليف



▴ رسائل إلى كاسندرا
مُزجت حياة أوستن مع حياة أختها المحبوبة الكبرى، كاسندرا، وغالبًا ما كتبت إليها في كل مرة يبتعدان عن بعض.

أصبحت باهظة على جورج أوستن، لذا عادتا إلى المنزل عام ١٧٨٦. بقيت الفتاتان قريبتين من بعضهما جدا، وكان لمراسلاتهما أثر كبير في تزويدنا برؤى لا تقدر بثمن حول آراء جين أوستن واهتماماتها. لكن ولسوء الحظ، فقد أتلفت شقيقتها ساندرا العشرات من رسائل أوستن بعد وفاتها، تاركة فجواتٍ مُحيّرة في القصص. بقيت أوستن بعد عام ١٧٨٦ في منزلها مع العائلة،

فاني بورني Fanny Burney

كانت جاين أوستن روائية طليعية، لكنها لم تكن الروائية البريطانية الأولى التي تركت أثرا في هذا الحقل الأدبي. كان لفاني بورني (١٧٥٢-١٨٤٩) وماريا إدجورث (١٧٦٧-١٨٤٩) نجاح معتبر قبل أن تؤسس جاين أوستن مسيرتها الأدبية. ولقد أعجبت أوستن بكلتا المؤلفتين، ولا سيما بورني التي تأثرت بها كثيرا. في الواقع، لقد استعارت عنوان أشهر رواياتها -كبرياء وتحامل- من فقرة في رواية سيسيليا Cecilia لبورني. كانت بورني ابنة الموسيقار المتميز تشارلز بورني، الأمر الذي مكّنها من دخول دائرة ثقافية نشطة تضم أشخاصا مثل صمويل جونسون. انجذبت أوستن إلى مواضيع أفضل روايات بورني المشهورة مثل إيفيلينا ١٧٧٨، سيسليا ١٧٨٢، كاميلا ١٧٩٦- والتي وصفت أحداثها شابة تشق دربها داخل المجتمع.



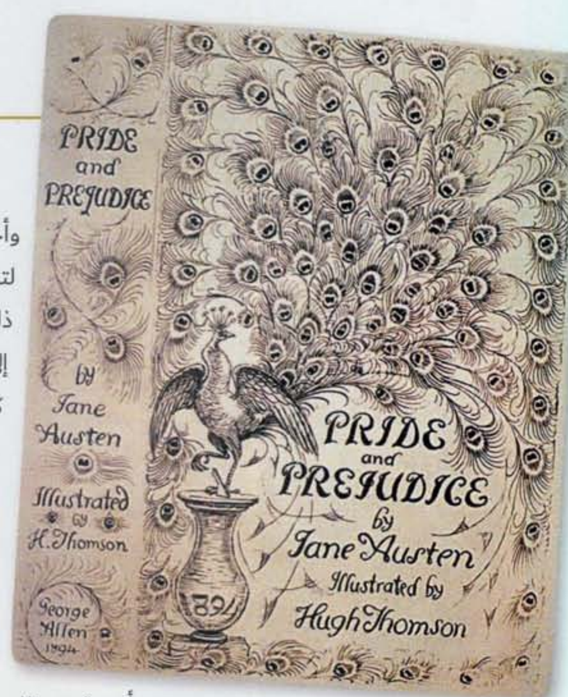
فاني بورني، إدوارد فرانسيس بورني، ١٧٨٤-٨٥.

◂ (جاين أوستن)
يُظهر هذا البورتريه غير الموقّع ولا المعيّن التاريخ والمنسوب إلى أوزياس هامفري- ما يُعتقد من الكثيرين أنها جاين أوستن بسن الثالثة عشرة، على الرغم من أنّ الدارسين مؤخرًا أثاروا أسئلة حول أصول هذه اللوحة.

«الشخص الذي لا يستمتع بقراءة رواية جيدة، سواء أكان رجلا محترما أم سيدة، هو أبله لا يُطاق».

دير نورث آنغير - جاين أوستن.





▲ **(الطبعة الأولى)**
طُبعت رواية أوستن «كبرياء وتحامل» لأول مرة في عام ١٨١٣. وهي واحدة من أشهر الأعمال باللغة الإنجليزية، بمبيعات تجاوزت العشرين مليون نسخة عبر العالم.

وأخذت تنهل من مكتبة والدها لتكمل تعليمها الأدبي. وإلى جانب ذلك، نادرا ما كان الملل يتسلل إلى حياتها. فشقيقها الأكبر جيمس كان يهوى تنظيم فقرات ترفيه مسرحيّة حظيت بزيارات دائمة من الأقارب والأصدقاء، كما كانت أوستن تعزف على البيانو على نحوٍ حَسَن، إذ كانت تنهض قبل ساعة من باقي أفراد الأسرة في الصباح لتتدرب. أما الأكثر أهمية من ذلك فكان مزاولتها الكتابة منذ سن الثانية عشرة، إذ شرعت في ملء ثلاثة كراريس مذكرات -كان والدها قد منحها إياها - بالقصص والقصائد والرسوم التصويرية التاريخية. تعرف هذه المجلدات جميعا الآن بـ جوفينلياJuvenilia (الأعمال التي يكتبها الأديب في صباه)، وهي بمثابة دليلٍ على اطلاع أوستن الواسع، لا سيما على أدباء مثل صمويل ريتشاردسون وهنري فيلدنغ.

الأنموذج الرسائلي

يعود التاريخ الأخير في كراريسها إلى عام ١٧٩٣. ويبدو أن أوستن، انطلاقا من ذلك التاريخ، قد بدأت بالعمل على رواياتها، مع أن نشر تلك الأعمال لن يحدث إلا بعد عدد من السنوات. في بادئ الأمر، فضّلت أوستن الصيغة الرسائلية، لتوصل قصتها بالكامل من خلال تبادل شخصياتها الرئيسة للرسائل. استخدمت أوستن كذلك أساليبَ توثيقية أُخرى، مثل اليوميات والمذكرات. ومن المؤكد أنها كتبت عملها إيلنور ومارينا (أنموذج أولي لرواية العقل والعاطفة Sense and Sensibility) بهذا الأسلوب، وهناك تلميحات قوية بأن النسخة الأولى من روايتها كبرياء وتحامل قد تطورت من هذا الأسلوب أيضا. انتشرت قراءة الروايات الرسائلية انتشارًا واسعا في القرن الثامن عشر، إذ ابتدأ الأمر في إنجلترا مع الروائي صمويل ريتشاردسون؛ أحد روائيَّ أوستن المفضلين. استخدم ريتشاردسون هذه التقنية (الرسائلية) ليُحدث أعظم التأثير في روايتيه المشهورتين باميلا (١٧٤٠)، وكلاريسا (١٧٤٩).

بهت بريق الأنموذج الرسائلي في الرواية نهاية القرن الثامن عشر، وهذا من دون شك ما دفع أوستن للتخلي عن هذه الأنموذج الروائي. قدّمت أوستن صيغة سردية جديدة كليا لتحل محلّه، وهي صيغة أطلق عليها النقد الحديث «الأسلوب الحر غير المباشر» أو «الخطاب الحر غير المباشر». يعد هذا الأسلوب نوعًا من أنواع السرد بضمير الغائب، لكنه يتضمن جوهر خطاب المُتكلّم. بعبارةٍ أخرى، بات بإمكان الراوي التعبير عن أقوال وأفكار الشخصيات دون الحاجة إلى استخدام ضمير الغائب، كأن يقول «قالت» أو «فكّرت».

تقنية روائية

استخدمت أوستن تقنيتها الروائية المُطوّرة عبر دمج السارد بالشخصيات بحذاقة كبيرة. ففي رواية إيما على سبيل المثال، حينما تُخطئ البطلة باستمرار في استقراء نوايا أصدقائها وعواطفهم، تثير أوستن القارئ عبر جعل السّارد يقدّم أوهام إيما كما لو كانت حقيقية. ولا يمكن للقارئ التأكد من حقيقة الأمر حتى تدرك إيما نفسها بأنها واقعة في غرام السيد نايتلي. وظّفت أوستن أيضا الأسلوب الحر غير المباشر في الإدراك الملموس، كما لو كان السّارد داخل جسد الشخصية. ففي رواية إقناع، وحين تخفض إحدى الشخصيات الأنثوية بصرها احتراما للرجل الموقّر، لا يدوّن السارد سوى ما يمكن للشخصية أن تسمعه فقط، مستثنيًا كل ما لا يمكنها رؤيته.

الناشرون المتعنّتون

واجهت أوستن صعوبة في نشر أعمالها كونها امرأة. ففي عام ١٧٩٧، كان والدها متحمسا جدا لروايتها الانطباعات الأولى (النسخة الأولية من رواية كبرياء وتحامل) لدرجة أنه راسل الناشر توماس كادل وسأله عمّا إذا كان سيودّ قراءة المخطوطة. أتت إجابة كادل بالرفض، ولم تتلق أوستن هي الأخرى إجاباتٍ أفضل. ثم في عام ١٨٠٣، باعت أوستن رواية سوزان (سُميت فيما

مدينة باث

انتقلت عائلة أوستن إلى باث، حيث مكثوا خمس سنوات (١٨٠١-١٨٠٦). لم ترق المدينة، التي كانت تمر بقمة عصر الأناقة، كثيرا لجاين لكنها زودتها بأدوات لا تقدر بثمن لرواياتها، وتكررت لتكون الذروة في حبكاتها. وغالبا ما كانت مقابلة الناس المناسبين في أروقة المجتمع المنضبط بصرامة صعبة إلا إنّ اللقاءات كانت أيسر في باث. حيث كان يتجمع أفراد الطبقة الراقية في الصباحات في حجرة المضخة لأخذ الماء، ويقيمون في المساءات حفلات موسيقية في حجرات الاجتماع. ويشرف عريف الحفل على كل هذه المناسبات الاجتماعية.



قصر الهلال الملكي، باث، لوحة جون هِل، ١٨٠٤.

> «إنها حقيقة معترف بها عالميا، الأعزب ذو الحظ من الثروة، يجب أن يكون في حاجة إلى زوجة».
>
> كبرياء وتحامل - جاين أوستن.

بعد بدير نورث آنغر) للناشر كروسبي وشركته مقابل عشرة جُنيهات. كانت تلك أول رواية رئيسةٍ لها، وهي رواية هجائية مهذبة تشجب فيها الموجة المعاصرة المندفعة نحو قصص الرعب القوطية. لم يفعل الناشر شيئًا بالمخطوطة، ليشتري أخوها في نهاية المطاف حقوق النشر في عام ١٨١٦، لكن الرواية لم تنشر في حياتها.

سنوات باث

تقاعد والد أوستن من عمله في الدير وانتقل مع عائلته إلى باث. وقعت لأوستن في هذه المدينة حادثة استطاعت أن تضمّنها في إحدى رواياتها. ففي كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٨٠٢، تقدم أخو إحدى صديقاتها، ويدعى هاريس بيج ويذر، لطلب يدها للزواج. وافقت أوستن مباشرة، لكنها غيرت رأيها بعد أن تدارست الأمر. ثمة تخمينات عديدة للأسباب التي دفعتها لفعل ذلك، لكن ما من (إجابة شافية). لعلها، وعلى النقيض من الكثير من بطلاتها، قد فضّلت الاستقلالية كثيرا على مقايضتها بحياة (مضمونة ماديًا). توفّي والدها عام ١٨٠٥، واضطرت العائلة التي لا تملك سوى النزر اليسير من المال لمغادرة باث، إلا إن إدوارد أوستن نايت ساعدهم، إذ عرض عليهم الانتقال إلى منزل ريفي يقع ضمن ملكيته في هامبشاير -قرية في تشاوتون. وفي هذا المكان بالتحديد، حلّقت مسيرة أوستن الأدبية أخيرا. فنُشرت أولى رواياتها العقل والعاطفة في عام ١٨١١، التي حصلت على مراجعات جيدة ومبيعات حسنة. وظهرت باسم مجهول (نُسبت إلى «سيدة»)، وكانت طريقة شائعة للمؤلفات الإناث في ذلك الوقت على الرغم من أن هوية أوستن كانت سرا مشاعا في الدوائر الأدبية. صار لأوستن العديد من المعجبين، من بينهم السير الكاتب والتر سكوت، والأمير ريجنت (جورج الرابع المُستقبلي) الذي طلب منها أن تهديه رواية إيما، ولبت له طلبه على مضض. وفي عام ١٨١٥، تلقت منه دعوة لتفحّص مكتبته الاستثنائية في قصر كارلتون. من المحزن أن أوستن لم تتمتع بنجاحها وجوائزها. ففي عام ١٨١٦ بدأت تعاني من مرض مجهول -يعرف الآن بمرض أديسون- وتُوفيت في السنة اللاحقة، ودُفنت في صحن كاتدرائية وينتشستر.



◄ **(صندوق الكتابة)**
أُهديت أوستن صندوق الكتاب المتنقل هذا من قبل والدها عندما كانت في سن العشرين. وهو الآن معروض في المكتبة البريطانية في لندن.

▲ **(كوخ تشاوتون)**
عاشت أوستن في هذا المنزل في هامبشاير مع أمها وأختها كاسندرا، وصديقتهم مارتا ليوود. كان هذا المنزل قريبًا من المنزل الكبير لأخ أوستن، إدوارد أوستن نايت، حيث كانت ضيفة تتردد عليهم كثيرًا.

أبرز أعمالها:

١٨٠٣
دير نورث آنغير: باعت أوستن حقوق أول رواية رئيسة لها في هذا العام للناشر، إلا إنها لم تطبع حتى عام ١٨١٧.

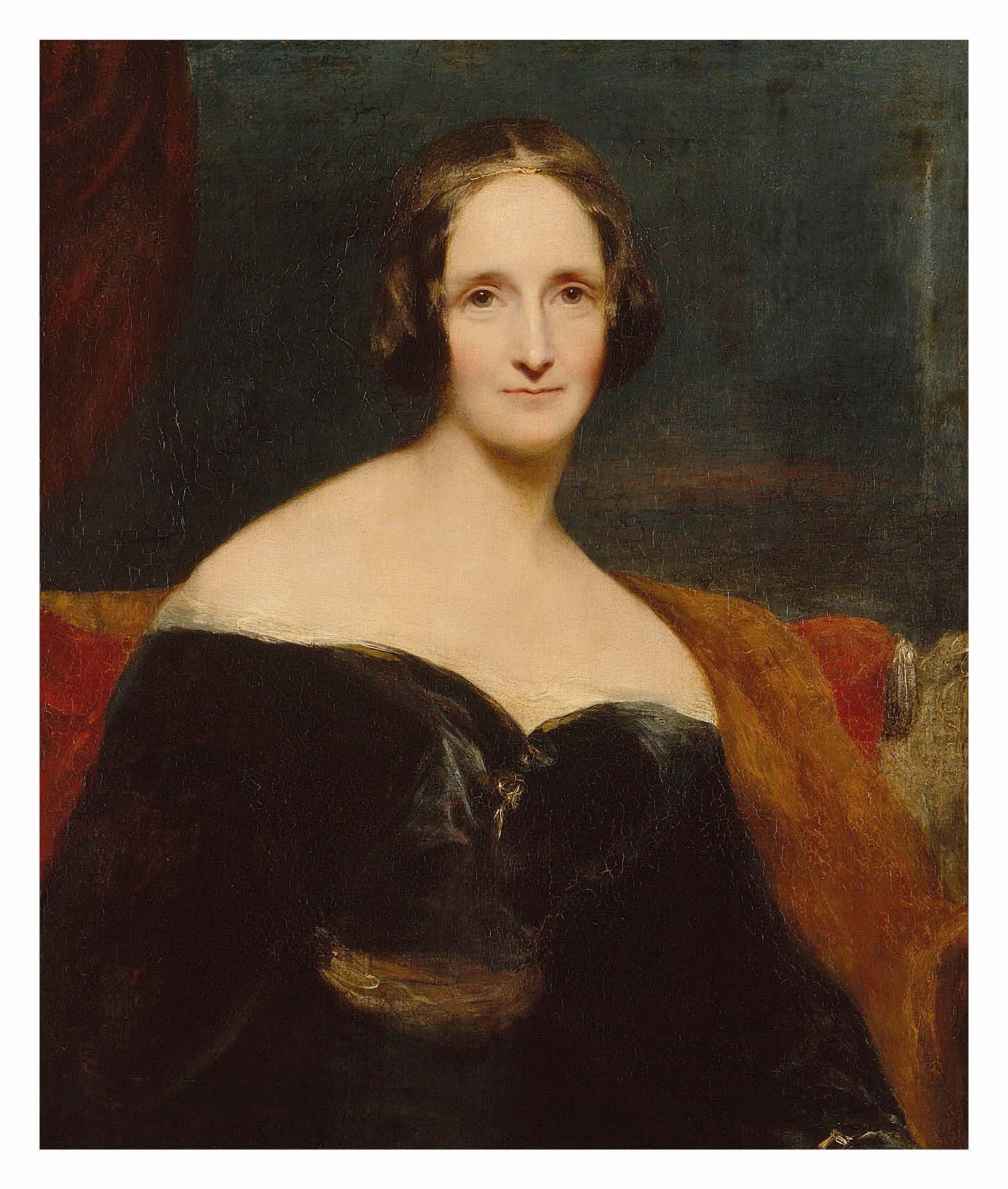
١٨١١
العقل والعاطفة: ظهرت الرواية في هذه السنة مطبوعة بعد أن أعادت صياغتها من رواية رسائلية في الأصل.

١٨١٣
كبرياء وتحامل: بدأت أوستن بكتابة هذه الرواية عام ١٧٩٦، ورُفِض نشرها، ثم نقحتها ما بين ١٨١٢-١٨١٣.

١٨١٤
متنزه مانسفيلد: ظهرت الرواية في هذه السنة مطبوعة، وانقسمت الآراء النقدية، **لكنها** حظيت بشعبية لدى الجمهور، وكانت مبيعاته جيدة جدًا.

١٨١٥
إيما: وصفت أوستن شخصية إيما قائلة «البطلة التي لن تشبه أحدًا بقدر ما تشبهني».

١٨١٧
إقناع: رواية أوستن الأخيرة الكئيبة، كتبتها حين كانت صحتها تتدهور، ونشرت بعد وفاتها.



ماري شيلي

(١٧٩٧-١٨٥١) إنجليزية.

تجاوزت شهرة ماري شيلي -إحدى النماذج الممثلة للرواية القوطية- الجميع بفضل أيقونة الرعب التي ابتدعتها، فرانكنشتاين. وكانت شيلي -فضلًا عن ذلك- كاتبة موهوبة للقصة القصيرة والمقالة وأدب الرحلات.

كان تقديم ماري شيلي لطبعة رواية فرانكنشتاين في عام ١٨٣١ بداية الانطلاقة المثيرة في نشأة أفضل أعمال المؤلفة الدرامية. مكثت ماري شيلي وزوجها المستقبلي، بيرسي شيلي، مع لورد بايرون وصديقه الطبيب، جون بوليدوري، بالقرب من شواطئ بحيرة جنيف. كانت ليلة هائجة، يحتدم فيها وميض برق عاصفة رعدية في السماء، بقي الأصدقاء حتى مطلع الفجر يقرأون قصص الرعب الألمانية على بصيص شمعة. قررت المجموعة أن تتنافس فيما بينها لترى من سيكتب أفضل قصة أشباح، وكان العملان الأكثر تأثيرا في هذه المسابقة هما فرانكنشتاين شيلي ومصاص دماء بوليدوري.

ولدت شيلي لكلٍّ من وليم غودوين، الفيلسوف الأصولي والروائي، وماري وولستون كرافت، بطلة حقوق النساء التي كتبت «دفاع عن حقوق المرأة»، وهو نص كان بمثابة علامة فارقة للحركة النسوية. بدأت شيلي الكتابة في سن مبكر، واستمتعت بمخالطة أصدقاء والدها الأدباء، ومن ضمنهم الشاعر بيرسي بيش شيلي الذي أصبح زوجها. التقى الاثنان في عام ١٨١٢ ثم أغرما ببعض، وكان مكان لقائهما المفضل قبر والدة ماري، التي توفيت بعد أحد عشر يوما من ولادة ماري.

(ماري شيلي، ١٨٤٠)

لم تكرر ماري شيلي، المرسومة هنا من ريتشارد روثويل، نجاح روايتها الأولى قط، لكنها استمرت بالكتابة، وتنامت سمعتها الأدبية.

طباع ثائرة

هربت ماري بسن السادسة عشر مع بيرسي إلى فرنسا مسببة فضيحة، ثم تزوجا بعدها في عام ١٨١٦ وأنجبت طفلين غير شرعيين. وفي ظل هذه الخلفية الحياتية، كتبت رواية فرانكنشتاين. استفادت الرواية من موضة الرواية القوطية، رافضة العقل والمنطق، ومركزة على الرعب وأجواء الترويع. كانت قصة شيلي إعادة صياغة أصولية لموضوع الوحش، متجاوزة أسس هذا النوع الأدبي، وحابكة إياه وفقا للنقاشات العلمية والاجتماعية والسياسية لعصرها، مثل أصل الحياة، وتقابل الدين والعلم، وسؤال الشر ودور البيئة والتربية في تشكيل الشخصية. من الأمور التي ألهمتها لخلق الوحش كانت التجارب الجلفانية نهاية القرن الثامن عشر، والتي كانت تستخدم الكهرباء لقبض عضلات الحيوانات المُشرَّحة وشدها.

أنشأ نص شيلي جدلا نسويا مهما قائما على العواقب بحق المرأة حين يتولى الرجال السلطة كلها، وقضية اللا أمومة، والتلاعب بالطبيعة وانتهاكها، ومسعى الذكر لإزالة الأنثى من فعل الخلق. حققت فرانكنشتاين نجاحا سريعا، إذ طبعت مراتٍ عديدةً وولّدت إنتاجاتٍ مسرحيّةً رائجةً، إلا إنَّ نجاح شيلي كان محاطا بالمأساة؛ انتحر بوليدوري في عام ١٨٢١، وهلك بايرون بالحمى أثناء رحلته للمشاركة في حرب استقلال اليونان (١٨٢٤)، وتوفي بيرسي في حادث قارب في عام ١٨٢٤، ومع ذلك فقد استمرت شيلي بالكتابة: ونالت روايتها «الرجل الأخير» (١٨٣١) احتفاءً كبيرا أكثر من أي رواية أخرى في رواياتها اللاحقة، وكانت قصتها «التحول» واحدة من أجود قصصها.

◂ **(فيلا ديوداتي، ١٨٣٣)**

تُظهر هذه اللوحة المنقوشة من قبل وليم بروسر الفيلا حيث مكث لورد بايرون وجون بوليدوري في عام ١٨١٦. ويُعتقد أن العاصفة الهوجاء التي ألهمت قصة فرانكشتاين كانت نتيجة للمناخ غير الطبيعي الذي سببه بركان جبل تامبورا عام ١٨١٥.

فرانكنشتاين في الأفلام

تدين شهرة فرانكنشتاين بالكثير من شعبيتها إلى صُنّاع الأفلام. إذ كان هناك تبنٍّ للقصة في عصر الأفلام الصامتة على يد جيمس سيلري داولي (١٩١٠) وجوزيف سميلي (١٩١٥)، لكنَّ نسخة الشاشة الكلاسيكية من المسلسل التلفزيوني الأمريكي Starring Boris Karloff التي أخرجها جيمس ويل في عام (١٩٣٠) هي من صنعت الصورة المشهورة للوحش التي ما زالت معروفة حتى اليوم. وفي المملكة المتحدة، تبنت أفلام هامر Hammer ثيمة العمل، وأنتجت ما لا يقل عن سبعة من أفلام فرانكنشتاين. كان هنالك أيضا العديد من المعالجات الهزلية للقصة، بما في ذلك «فرانكنشتاين الشاب» لصانع الأفلام الأمريكي ميل بروكس، والفرقة الموسيقية The Rocky Horror Picture Show، التي قدّمت الممثل تيم كوري بدور الدكتور فرانك ن. فورتر.



صورة منشور ترويجي لفرانكنشتاين مع بوريس كارلوف، ١٩٣١.

لورد بايرون

(١٧٨٨-١٨٢٤) إنجليزي.

جسّد بايرون بألمعيته وأناقته وفكره المتحرر رومانسيةَ القرن التاسع عشر. لقد جعلت منه أشعاره الذكية، وأسلوبه التهكمي الحاذق، واستخدامه الرائع للغة، واحدا من أعظم شعراء عصره.

ولد جورج غوردون بايرون في عام ١٧٨٨ ابنا للكابتن جون بايرون من زوجته الثانية، كاثرين جوردون. استقرت العائلة في أبردين هربا من دائني جون بايرون. نصبّت وفاة الكابتن في عام ١٧٩١، والتي لحقتها وفاة عم بايرون الأكبر، الطفلَ ليكون البارون بايرون السادس وورث على إثر ذلك دير نيوستيد، وهو قصر مبني على الطراز القوطي الرومانسي في نوتنغهامشاير. أرسِل بايرون إلى مدرسة هارّو، حيث شكل صداقات حميمية مع الأولاد الآخرين ومع ماري تشاورث كذلك، وهي واحدة من بنات عمومته وحبّه الأول. دخل بعدها كلية ترينيتي Trinity College بكامبردج، وعُرف هناك لحبّه لحياة المغامرة وتساهله في التسالي التافهة كالمقامرة والملاكمة، ثُمَّ لتفوقه الأكاديمي.

كتب بايرون بسن السابعة عشرة أول ديوان قصائده «القطع الهاربة» لكنه سحبه قبل النشر عندما قيل له إن عمله غير لائق. تعرضت مجموعته الشعرية المعتبرة الأولى «ساعات الكسل» للانتقاد الحادّ في مجلة «إدنبره ريفيو» الأسكتلندية، الأمر الذي حثَّ بايرون على الرد اللاذع بقصيدة ساخرة أسماها «الشعراء الإنجليز والنقاد الأسكتلنديون».

رحلات ومتاعب

ألهمت رحلات بايرون عام ١٨٠٩ في البرتغال وإسبانيا ومالطا واليونان وتركيا إلى أماكن بعيدة عن مسار الرحلة الكبيرة المعتاد- كتابة قصيدته الطويلة الأولى «رحلة تشايلد هارولد» التي أرّخ فيها تبدد أوهام شاب هو «البطل البايروني» الأصلي. نُشر المقطعان الأوليان من القصيدة في عام ١٨١٢، التي أعلت شأن اسم بايرون وفتحت له أبواب المجتمع الأدبي اللندني. كان له علاقة غرامية مع الفاتنة المتزوجة، ليدي كارولين لامب، ونشر سلسلة من أشعار الحكايات البطولية بنظم غريب أو شرقي، التي أصبحت فيما بعد شائعة ومُربِحة، من ضمنها «الكافر[1] (١٨١٣)» و«القرصان (١٨١٤)».

تزوج بايرون من أنابيلا ميلبانك في عام ١٨١٥، ورزق الزوجان بطفلة، إلا إن أنابيلا هجرته بعد ذيوع شائعات عن علاقته الغرامية مع أخته غير الشقيقة، أوغستا، والتي أنجبت ابنتها في عام ١٨١٤، وقيل إنها ابنته. ألفى بايرون نفسه منبوذا اجتماعيا، وغادر لندن في عام ١٨١٦ إلى غير رجعة.

المغامرات الإيطالية واليونانية

استقر بايرون في جنيف برفقة كلاير كلايرمون، وبيرسي، وماري شيلي، وعمل على قصيدة تشايلد هارولد وقصيدة أخرى «مانفريد» ببطل بايروني. ارتحل بعدها إلى إيطاليا، وابتدأ في رافينا علاقة طويلة الأمد مع الكونتيسة الإيطالية المتزوجة الشابة تيريزا غويتشولي، وكتب في البندقية القصيدة الطويلة «بيبو beppo» أثناء كرنفال المدينة المشهور. تبنى بايرون في هذه القصيدة الأسلوب الساخر، والاستطرادي، والبارع، الذي أصبح علامة فارقة في كتاباته ومن سماتها. وكان ذلك الأسلوب قد ظهر في أفضل أعماله، دون جوان، القصيدة الطويلة ذات الستة عشر مقطعا شعريا التي لم تكتمل بسبب وفاته. شكل دون جوان بعشيقاته الكثيرات موضوعا فضائحيًّا، غير أنّ العمل نال إعجاب عامة القرّاء ومريدي الشاعر، ومن بينهم غوته. آمن بايرون بحق اليونانيين بالاستقلال عن العثمانيين وتحضّر للقتال لـ«إنقاذ البلد»، لكن الحُمّى داهمته قبل أن يشارك في القتال وتوفي على إثرها في نيسان/ أبريل عام ١٨٢٤.

(١) القصيدة بعنوان The Giaour، وهي تعني غير المسلم والمسيحي خصوصا. وأصل الكلمة كما يشير قاموس أكسفورد تركيٌّ من كلمة Gâvur، ومن الفارسية Gaur، ومن المحتمل من العربية أيضا كافر Kafer.



◂ (استقبال لورد بايرون في ميسولونجي، ١٨٦١)
تظهر هذه اللوحة، للرسام ثيودور فريزاكيس، بداية رحلة بايرون اليونانية في ميسولونجي. جعل منه موته في اليونان بطلا قوميًا، وداعما للقضية اليونانية في أوروبا.

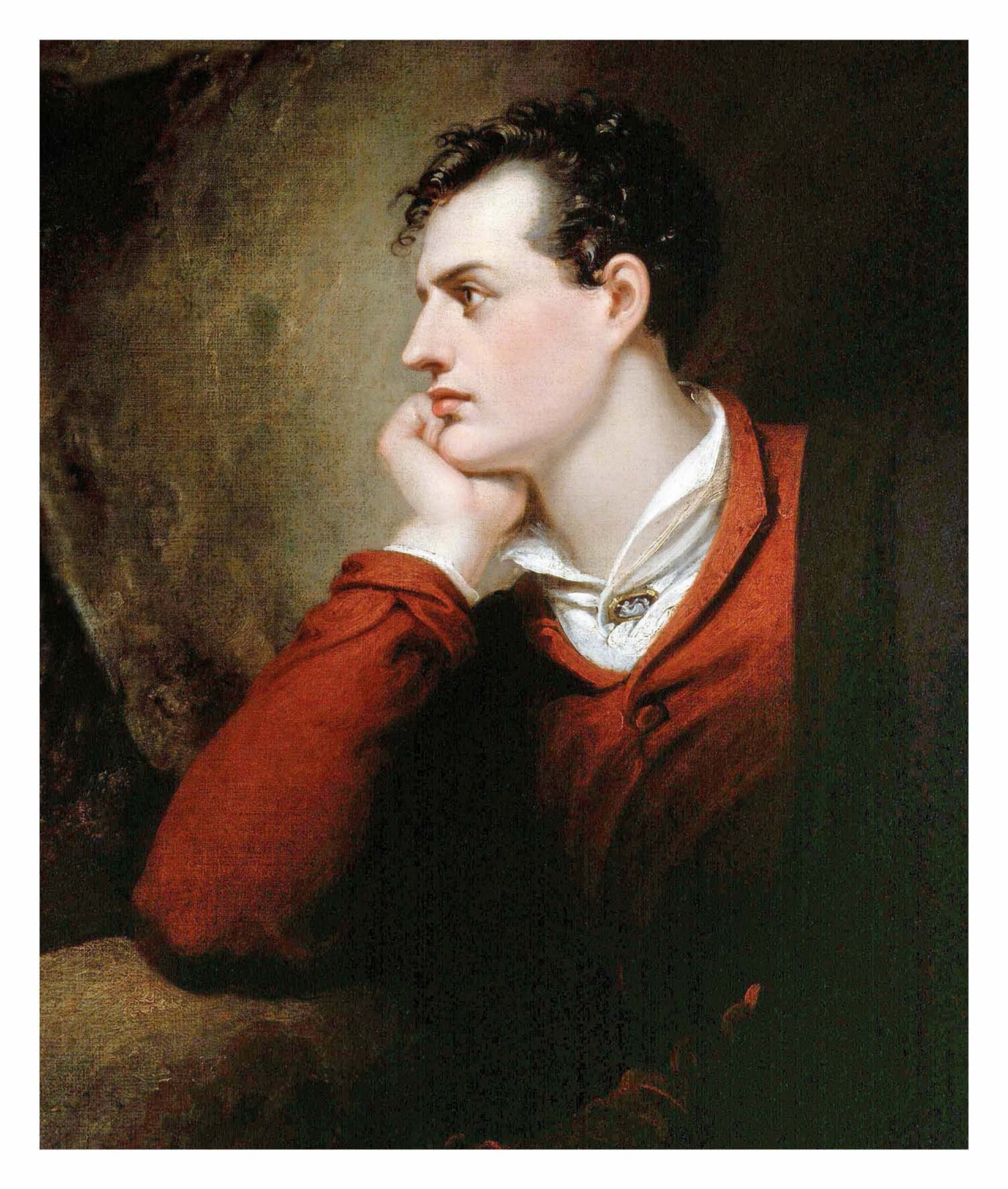
البطل البايرونيّ The Byronic Hero

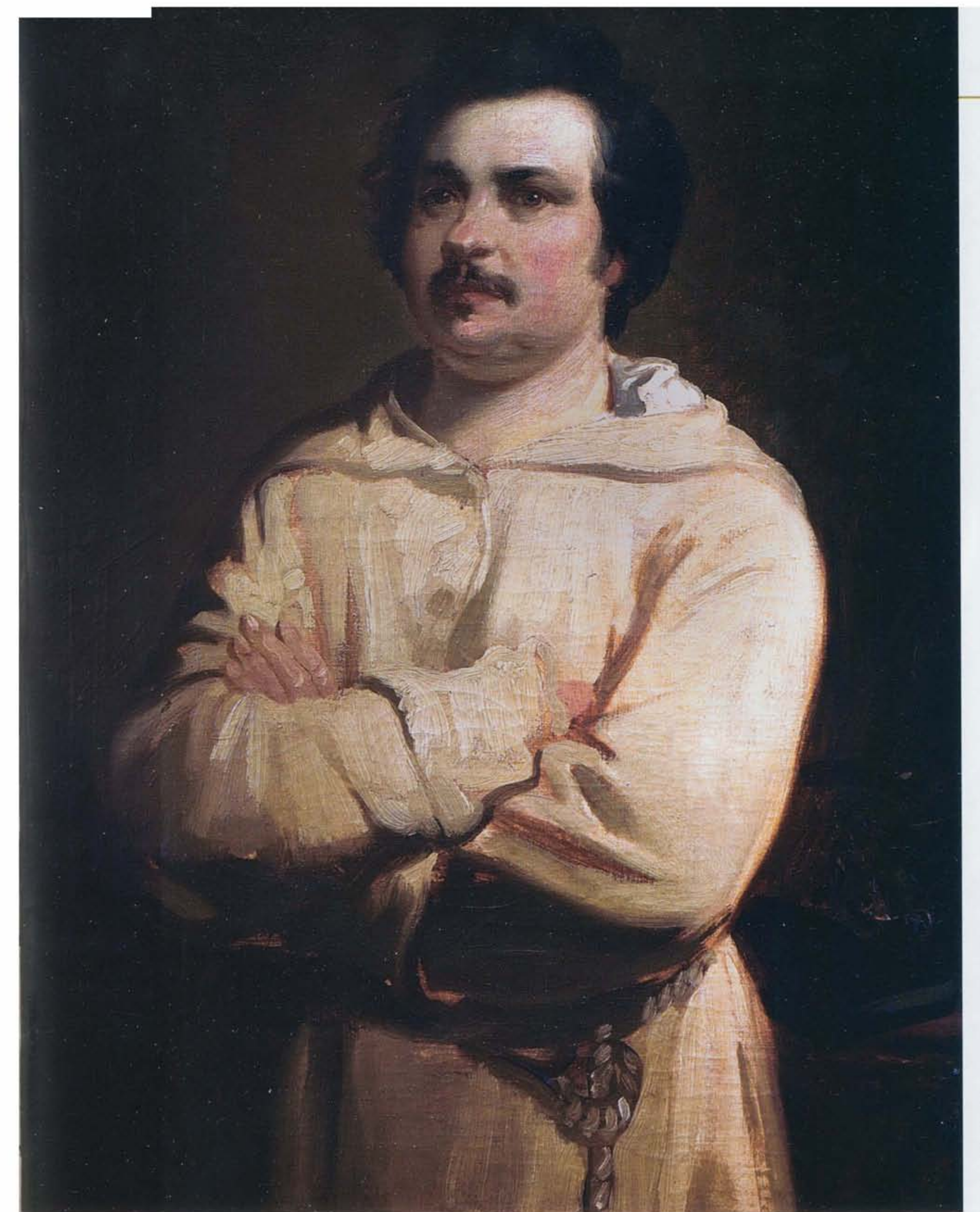
أصبحت عبارة «البطل البايرونيّ» مرادفة للشخص المزاجي المنبوذ الذي يعرض السوداوية الرومانسية الكئيبة، ويعلّق بسخرية على المجتمع. تعكس هذه الشخصية إلى مدى كبير «شخص بايرون» الذي كان متطرفا في فكره وعمله، إذ يكتب: «أنا مزيج غريب من الخير والشر، لذا فإن من الصعب أن تصفني». يؤكد الأبطال في بعض أعماله مثل تشايلد هارولد، وكونراد في «القرصان»، ومانفريد- النموذجَ البايروني. أما شخصية دون جوان، فقد كانت من تنويعات هذه الشخصية البارونية لكنها أكثر سخرية وتحررا، وتصف الأمور بطريقة أكثر دعابةً واستهزاءً.



صورة غلاف «رحلة تشايلد هارولد» ١٨٢٥.

◂ جورج غوردون بايرون، ١٨١٣
كان بايرون كاتبا لامعا بشخصية متهورة. يظهر بايرون في هذا البورتريه، للرسام ريتشارد ويستال، وهو بسن الخامسة والعشرين في مظهر وسيم لشخصية من العصر الرومانسي.





(بلزاك، ١٨٣٦)

هذا البورتريه لبلزاك وهو بسن السابعة والثلاثين للرسام كانديد بولانجير الذي رسمه بتفويض من عشيقة بلزاك، إلينا هانسكا. يظهر بلزاك هنا وهو يرتدي رداءً رهبانيًا أحبَّ أن يلبسه في المنزل حين يكتب.

أونوريه دي بلزاك

(١٧٩٩-١٨٥٠) فرنسي.

رسم بلزاك لوحة جدارية خالدة لمجتمع القرن التاسع عشر الفرنسي عبر رواياته المترابطة في الملهاة الإنسانية. وهو أحد الآباء المؤسسين للواقعية الأدبية.



▲ (ساعة بلزاك)

كان بلزاك مراقبًا حادًا لطبقات المجتمع والمجتمع عموما. وقد تؤثر في حكمه على الشخصيات تفاصيل مثل شكل ونمط ساعة الجيب.

«سر الثروة العظيمة هو نسيان الجريمة، لأنها تمَّت كما ينبغي».

الأب غوريو - بلزاك.

أشرق نور الحياة على أونوريه بلزاك في تور وسط فرنسا عام ١٧٩٩، ثم أضاف لاحقا «دي» إلى اسمه في ادّعاء زائفٍ عن مكانته الأرستقراطية، إذ كان متسلقا نشيطا لطبقات المجتمع وسعى خلف زواج بغير حب بامرأة ذات مكانة رفيعة. لم يحظ بلزاك في طفولته بالكثير من الرعاية الأبوية، وأرسل بسن الثامنة إلى مدرسة أوراتوريو الداخلية في فندوم، حيث لم يكن بوسعه حتى العودة إلى المنزل أيامَ العطل. رسمت روايته لويس لامبرت (١٨٣٢) هذه التجارب القاسية التي مرّ بها أثناء الدراسة.

كفاح مبكر

عمل بلزاك متدربا داخل مؤسسة قانونية في باريس بعد أن انتقل إليها، حيث قضى بقية حياته. أعطته هذه التجربة بصيرة قيّمة عن الخداع الحقير وجشع أصحاب الأملاك. ورفض في عشرينيات القرن التاسع عشر وظيفة قانونية، وآثر بدء الكفاح لتأسيس مسيرةٍ له في عالم الكتابة. كتب عمله الأول للمسرح، لكنه لم يلقَ نجاحا، وتحول فيما بعد إلى الرواية، موكلا أمره إلى مصادر الرزق المجهولة. كانت محاولات مشاريعه التجارية في الطباعة والنشر مكلفة وفاشلة. وحين شارف بلزاك على الإفلاس؛ تمكن من الدخول إلى العالم المرموق عبر علاقات غرامية بعدد من نساء الطبقة الأرستقراطية. زوّده كفاحه من أجل المحافظة على مظهره الأنيق بدخلٍ محدود بمواد استخدمها في رواياته، كرواية الجلد المسحور (١٨٣١) والأب غورو (١٨٣٥).

صورة المجتمع

أتى نجاح بلزاك الأول في مسيرته الكتابية عام ١٨٢٩ بروايته «الشوان» التي كُتبت في زمن التمرد الملكي ضد الجمهورية الفرنسية. وفي عام ١٨٣٢ بعد صدور روايته القصيرة (نوفيلا) كاهن تور، تخيّل بلزاك إمكانية مشروع تصوير المجتمع الفرنسي بأكمله عبر سلسلة من الروايات، والتي سماها فيما بعد باسم الملهاة (الكوميديا) الإنسانية The Human Comedy، المجانسة في العنوان مع عمل دانتي الكوميديا الإلهية Divine Comedy. تصدّر عمله أوغيني غرانديه (١٨٣٣) لأول مرة قائمة المبيعات، وهو دراسة رصينة عن التأثير التآكلي للشحّ في العلاقات الإنسانية. تبع ذلك سلسلة نجاحات، من الأب غورو وسيزر بروتيه (١٨٣٧) إلى المجلدات الثلاثة لأوهام لويس (١٨٣٧، ١٨٣٩، ١٨٤٣) وحتى ابنة العم بيت (١٨٤٦) وابن العم بونس (١٨٤٧).

نظرة فاحصة

وزعت روايات الكوميديا الإنسانية التي كتبها إلى فئات، مثل مشاهد من حياة إقليمية، ومشاهد من حياة باريسية، ومشاهد من حياة شخصية. وصفت هذه الفئات مجتمعا ذا طموحات قاسية، فالقوي يزاد ثروة والضعيف يمضي إلى الهاوية. وعلى الرغم من أن حبكات بلزاك غالبا ما تنحرف نحو الميلودراما (أحداث مثيرة ومبالغة في التعبير عن المأساة والعاطفة) فقد أظهرت إدراكا مثيرا للإعجاب لمختلف طبقات المجتمع، والذي عُكس في وصفه المفصّل للملابس والأثاث والتفاصيل الدقيقة عن الثروات ومصادر الدخل. وصِفت بعين ساخرة الكثيرُ من الشخصيات ذات القوة، والجشع، والطموح الاجتماعي، والهاجس الجنسي. كان بلزاك في حاجة دائمة إلى المال واستمر الحال كذلك حتى بعد أن أصبح مشهورا. كان يكتب في أغلب الأحيان خمس عشرة ساعة في اليوم، وكانت كتاباته مذهلة، وتألفت الملهاة الإنسانية في الختام من تسعين رواية ونوفيلا وقصة قصيرة تقريبا. عاش بلزاك في سقمٍ دائما، وتوفي في عام ١٨٥٠ بعمر الحادية والخمسين، بعد مضي خمسة أشهر فقط على زواجه البولندية الأرستقراطية إيويلينا هاناسكا، التي كانت عشيقته منذ زمن.



◄ ملاذ المقاطعة

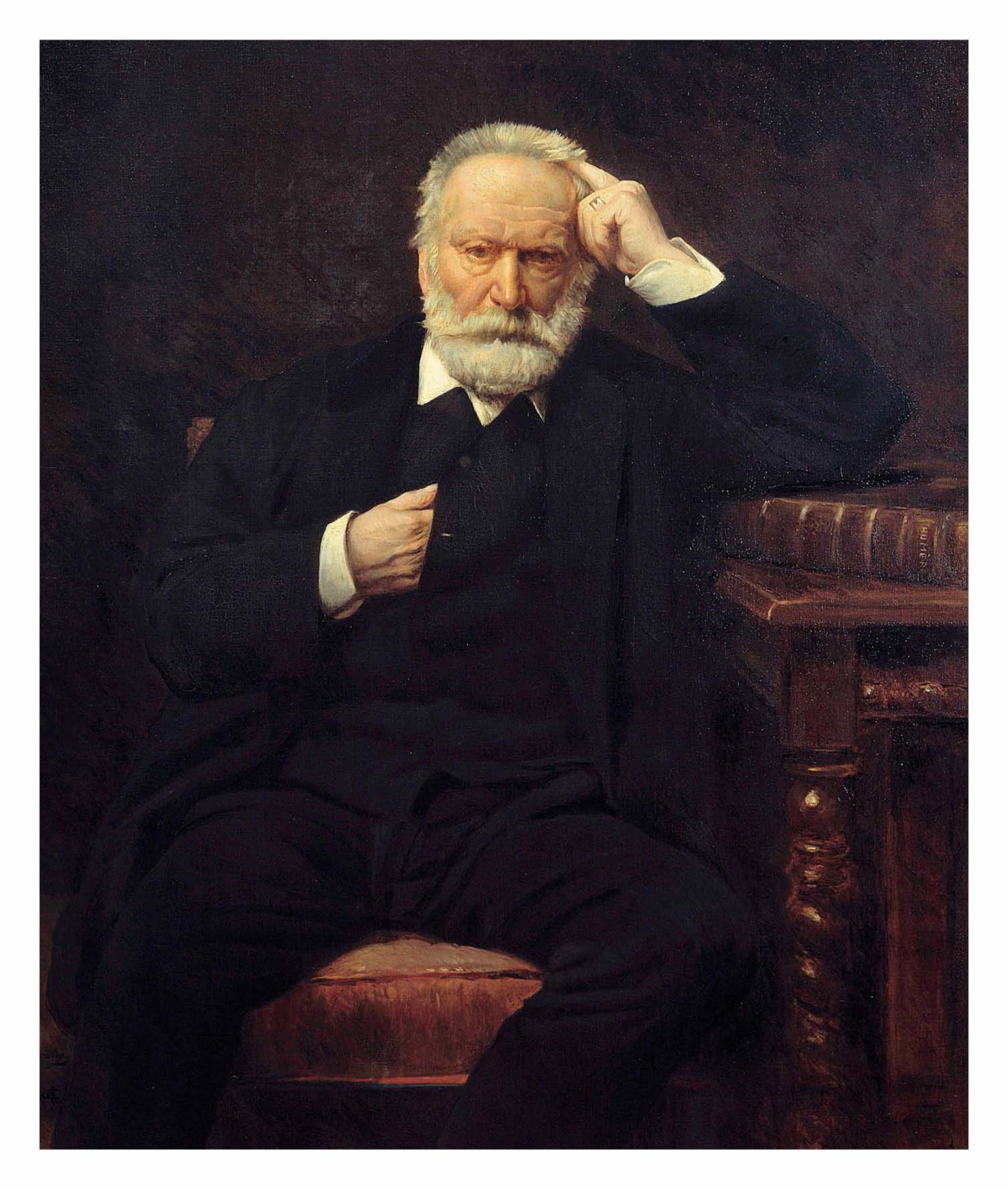
عاش بلزاك في باريس لكنه غالبا ما زار شاتو دو ساشي قرب تور، التي ملكها صديقه جين دو مارغوني. كتب بلزاك على الطاولة في غرفة النوم. وأصبح المنزل اليوم متحفًا.

تكرار الشخصيات

كانت مزية بلزاك الإبداعية في الملهاة الإنسانية استخدامه الشخصيات نفسها في روايات مختلفة. على سبيل المثال، ظهر الشاب الطموح، راستيغناك، في رواية الأب غورو، وظهر أو ذكر في سبع عشرة رواية أخرى. تكررت شخصيات أخر مثل الصحفي والشاعر لوسين دي روبيمبر، والمرابي غوبسيك، والمجرم فيلاين فاوترن، والمصرفي ناوسنغن. تستخدم هذه التقنية الآن أكثر في الأفلام ومسلسلات الشاشة الصغيرة، وخلقت تقنية تكرار الشخصيات تصويرا لمجتمع واسع وحميميّ متشابك.



الشرير فاترين، مرسومة في طبعة الأب غورو



فيكتور هوغو

(١٨٠٢-١٨٨٣) فرنسي

الشخصية البارزة وأعجوبة الأدب الفرنسي الكبيرة في القرن التاسع عشر. كتب في الشعر والمسرحية والرواية، إضافة إلى كونه ناشطا اجتماعيا مطالبا بحقوق الفقراء والمضطهدين.

شهدت فرنسا ولادة مواطنها البار فيكتور هوغو عام١٨٠٢، وهو الابن الثالث لضابط في الجيش الفرنسي. انضم والده إلى جيش الثورة الفرنسية للقتال من أجل أهدافها والتقى بأم هوغو «صوفي تريبوشيه» في بريتاني، حيث أُرسِل لقمع تمرد ثورة الملكيين الفرنسيين الكاثوليك. أدّى التباين الكبير بين التزام والده الراسخ بالثورة وإيمان أمه بالملكانية إلى تكوين عائلة تعيسة وغير مستقرة، الأمر الذي قاد بعدها إلى انفصال كل شخص منهما بحياته على نحو مهول. كانت الرحلات التي سافر فيها برفقة والدته للمكوث مدة وجيزة مع والده أثناء خدمته في إسبانيا وإيطاليا واحدة من أسباب تحفيز خبرة هوغو المبكرة في حياته. وتركت الغرائبية الإسبانية انطباعا قويا وخاصا في الفتى الناشئ، إذ استمد منها في شبابه لكتابة أعماله المسرحية مثل أرناني (١٨٣٠) وريوبلاس (١٨٣٨).

موهبة مبكرة

ترعرع هوغو وأخوته مع أمهم وقضوا جلّ وقت طفولتهم في باريس. أصرَّ والدهم على إرسالهم إلى المدرسة الداخلية في محاولة لكسر تأثير أمهم عليهم، إلا إن الأمر لم يجرِ وفق رغباته إذ نشأوا ملكيين وكاثوليكيين.

امتلك هوغو مواهب أدبية مدهشة في سن مبكر، فكتب بسن الرابعة عشرة ألفَ سطر شعري، وانضمَّ بسن السابعة عشرة إلى إخوته من أجل تأسيس مجلة أدبية. دعمت والدة هوغو ابنها في مسعاه، محاولة التخفيف من ضغط والدهم على أبنائها من أجل التركيز على نحو أفضل على مهنٍ مُربحة. توفيت والدته في عام ١٨٣١، وكان هوغو قد وقع بالفعل في غرام زوجته المستقبلية، أديل فوكو. ولأجل أن يجعل من نفسه شخصا ذا قيمة لطلب يدها للزواج، فقد نشر ديوان قصائده الأول «أشعار غنائية وقصائد أخرى» بسن العشرين.

تزوج الاثنان في عام ١٨٢٢، وكان هوغو قد تصالح مع والده، وأصبح لهذا الأمر تأثيره في آرائه السياسية: فتخلّى عن الملكية، وأضحى هوغو مُعجبا كبيرا بنابليون بونابرت الذي خدم والد هوغو تحت إمرته.



◂ البؤساء
أشهر أعمال هوغو، وهي قصة ظلم وبطولة وحب. وتمزج ما بين قصة مثيرة وقصة تاريخ الثورة الفرنسية المضطربة.

ثورة رومانسية

نصّب هوغو نفسه في عشرينيات القرن التاسع عشر قائدا للحركة الرومانسية الفرنسية، كاشفا عن عطش للحرية في المسرح والسياسة. كُتبت مقدمته للمسرحية الشعرية الملحمية «كرومويل» في عام ١٨٢٧، وكانت بيانا بانبثاق الرومانسية الفرنسية، وأشادت مجموعته الشعرية «الشرقيون» مبتهجة بالكفاح اليوناني من أجل التحرر الوطني من الحكم التركي (إضافة إلى الذائقة المعاصرة المُحببَة للشهوانية الغربية تجاه الشرق المتخَيّل). ونشر في ذات السنة روايته القصيرة «آخر يوم لمحكومٍ بالإعدام»، وهي احتجاج شديد اللهجة بحق عقوبة الإعدام، وبعدها بسنة وجّه صفعة لتقييدات التراث الكلاسيكي للمسرح الفرنسي عبر مسرحيته «أرناني»، والتي جلبت الحرية الشيكسبيريّة إلى خشبة المسرح الفرنسي. جنى هوغو ثمار نتاج أدبه الاستثنائي في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، كما حقّق النجاح في روايته القوطية «أحدب نوتردام (١٨٣١)». عززت مجموعاته الشعرية مثل «أوراق الخريف (١٨٣١) و«أغاني الضوء الخافت (١٨٣٥)» دعواه ليكون شاعر فرنسا الغنائي الأول، وأثبتت مسرحيته «روي بلاس»

شاتوبريان

وقّر هوغو في شبابه كاتبه المميز والأكبر سنا منه فرانسو-رينيه دي شاتوبريان (١٧٦٨-١٨٤٨)، الذي يعد أب الحركة الرومانسية الفرنسية، ونظم هوغو القصائد التي تشيد به، حيث قال: «إما أن أكون شاتوبريان وإما لا شيء». ومثلما فعل معبوده، فقد دمج هوغو السياسة في مسيرته إلا إن هوغو اعتنق مبادئ الثورة في حين ناصر شاتوبريان الملكية الكاثوليكية. ولكونه أرستقراطيا فقد ذهب إلى المنفى أثناء الثورة وكتب دفاعا عن الإيمان الكاثوليكي «عبقرية المسيحية (١٨٠٢)»، وكتاب «أتالا ورينيه» في ذات السنة، وأدخل السوداوية والعوز في الشعر الفرنسي. وتعد سيرته الذاتية «مذكرات من وراء القبر» من أجود أعماله.



شاتوبريان، آن-لويس جيرو دو روسي-تريسون، ١٨٠٨.

◂ (فيكتور هوغو، ١٨٧٩)
يظهر هوغو المسن والمبجّل في هذه اللوحة التي رسمها ليون جوزيف بونات. لو لم يؤسس هوغو سمعته الشامخة أدبيًا، كان من الممكن أن يُحتفى به اليوم سياسيًا ومصلحًا اجتماعيًا.

> ستموت الحرب في القرن العشرين... وستموت الملكيّة، وستموت العقائد؛ وسيحيا الإنسان.
>
> فيكتور هوغو.

«تكمن سلوى المرء في أن يكون المستقبلُ طلوعَ شمسٍ لا غروبها».

فيكتور هوغو - وليم شيكسبير.

الثورات والانقلابات

افتتحت الثورة في عام ١٧٨٩ قرنا هائجا في فرنسا. سيطر نابليون بونابرت على الجيش بانقلاب عسكري عام ١٧٩٩، وتوّج نفسه إمبراطورا في عام ١٨٠٤، ثم أستعيدت الملكية بعدها بعشر سنوات. وجلبت ثورة تموز/ يوليو في عام ١٨٣٠ الأورليان لويس-فيليب إلى العرش، لكنّ ثورة أخرى في عام ١٨٤٨ أنشأت الجمهورية الثانية. وبعد ثلاثة أعوام انقلب ابن أخ نابليون، لويس-نابليون، وأسس الإمبراطورية الثانية. استمر هذا النظام، والذي كان هوغو يكرهه في الحُكم حتى هزيمته من بروسيا عام ١٨٧٠، لتؤسّس بعدها الجمهورية الثالثة التي امتدت بها الحياة بعد قمعها الثورة الشعبية في باريس عام ١٨٧١.





لويس-نابليون، فرانز وينترهالتر، ١٨٥٠.

الشعرية (١٨٣٨) أحقّيتها في أن تكون أفضل مسرحياته.

فوضى شخصيّة

كانت حياة هوغو الشخصية مُفعمة بالأحداث وصاخبة، فقد كان زواجه غير ناجح على الرغم من أنه رزق مع زوجته أديل بأربعة أطفال. فقد وقعت زوجته في حبّ الناقد تشارلز-أوغستين سانت-بوف، الذي كان أقل من هوغو وجاهة وأكثر لطفا؛ لذا أطلق هوغو العِنان لرغباته الفائرة. أقام هوغو علاقة طويلة الأمد مع الممثلة جوليت درويت، التي كرّست حياتها لأجله، ولم تمنعه من إقامة علاقات متعددة، كان من بينها علاقة زنا مع السيدة ليوني بيارد التي انتهى بها المطاف بدعوى قضائية رفعها زوجها عليهما. نجى هوغو من الحبس بسبب منصبه السياسي في مجلس النبلاء الفرنسي، وقضت بيارد شهرين في الحبس وستة أشهر تأديبيّة في دير. كان ثمة مأساة أخرى في حياة هوغو، وهي غرق ابنته المحبّبة إليه، ليوبولدين، مع زوجها في حادثة غرق قارب عام ١٨٤٣.

النشاط السياسي

سعى هوغو خلف إقرار رسمي بقبوله ضمن «الملكية البرجوازية» تحت زعامة لويس-فيليب. انتُخب عضوا في الأكاديمية الفرنسية واعتُرف به من الطبقة البرجوازية، لكنّ ثورة عام ١٨٤٨ وقفت مانعًا أمام إتمام اندماجه في المؤسسة الملكيّة. كانت مشاركة هوغو في العمل السياسي حتى هذا الوقت نظرية فقط، وبعد الإطاحة بالملكيّة مرة أخرى وتأسيس الجمهورية الثانية، نصّب نفسه في الواجهة متحدثا باسم الحرية وحقوق «الطبقة الضعيفة» رافضًا الاضطراب والفوضى السياسية. وعندما انقلب لويس-نابليون في كانون الأول/ديسمبر عام ١٨٥١ معيدا الإمبراطورية الثانية، كان هوغو من ضمن المحتجين الذين نزلوا إلى الشوارع. ولكونه من الطرف الخاسر، فقد هرب إلى المنفى في جزر القناة (جزر تابعة للتاج الملكي البريطاني) حيث استقرَّ في بادئ الأمر في جزيرة جيرسي ثم في غيرنسي.

العودة من المنفى

واصل هوغو، من منفاه، هجومه اللاذع على إمبراطورية لويس-نابليون الثانية في دواوينه الشعرية، مثل «الإمبراطورية في المُشهَّرة» وبأسلوب أقل مباشرة في رواية «البؤساء» التي باشر كتاباتها في أربعينات القرن التاسع عشر وأكملها عام ١٨٦٢. تتألف هذه الرواية الضخمة من ٦٥٠٠٠٠ ألف كلمة، مُلئت فصولها بالاستطرادات، وصنعت لهوغو هوية واضحة المعالم متماثلة مع الفقراء وثورتهم بوجه أصحاب الثروة والسلطة. أصبح هوغو في هذه الأثناء متأثرا بالروحانية وجلسات تحضير الأرواح. وتكرر ظهور هوسه بموت ابنته الراحلة في ديوان «التأملات» الذي نُشرَ في عام ١٨٥٦. لعبت رؤيته الفريدة للغاية للدين والتاريخ دورا كبيرا في شعره، إذ التزم بجودةٍ لا مثيل لها في أعمالٍ مثل أسطورة العصور، والتي نشرت المجموعة الأولى منها عام ١٨٥٩. أظهرت روايته الميلودرامية «عمّال البحر (١٨٦٦)» التي كتبت في غيرنسي انحدارًا في قواه الأدبية. أعاد سقوط الإمبراطورية الثانية هوغو إلى باريس لمشاركة أهلها الصمود في ظل الحصار الألماني. أما محاولاته في لعب دور سياسي في الأحداث التي تلته - في تأسيس الجمهورية الثالثة وثورة الشعبية- فقد فشلت فشلا كبيرًا.

أظلمت حياته كذلك بخسارات شخصية، إذ وافت زوجته المنيّة عام ١٨٦٨، وتوفي ابناه تواليا في عام ١٨٧١ و١٨٧٣. وعلى الرغم من هذه الأحداث الجسام، ظل هوغو متمتعا بطاقته التي

▲ **(ليوبولدين هوغو، ١٨٣٥)**

هذه اللوحة لابنة هوغو رسمها الشاعر والفنان أوغسطي دي شاتيلون. طاردت وفاةُ ليوبولدين غرقًا هوغو لآخر حياته وعبّر عن ذلك في قصائده الرثائية مثل قصيدته الشهيرة «At Villequier ١٨٤٧».



◄ **منزل هاوتيفيلا**

كان منزل هاوتيفيلا في ميناء سانت بيتر، غيرنسي، بيتَ هوغو أربع عشرة سنة حينما كان في المنفى بعيدًا عن فرنسا. صمم منزله بأسلوبه الخاص، وكتب العديد من أفضل أعماله هنا.



لا حدود لها، ونجد ذلك متجلّيا في إكماله روايته الأخيرة «ثلاثة وتسعون»، واستمراره في خوض العلاقات الجنسية، ونشاطه السياسي منذ عام ١٨٧٦ عضوًا في مجلس الشيوخ. وبمساعدة النجاح الشعبي الذي حققته أطروحته الدافئة والبسيطة بعنوان فن أن تكون جدًّا Art of being Grandfather عام ١٨٧٧، حقق هوغو نوعًا من التقديس في سنواته الأخيرة ليكون أيقونةً فرنسية للوطنية، والولاء للنظام الجمهوري، والتفاؤل الشديد بالتقدّم البشري. وأُعلن عيد ميلاده الثمانين عطلةً رسمية ومناسبة للاحتفال. مُنح هوغو بعد موته في عام ١٨٨٣ جنازة رسمية باذخة، وازدحم عدد كبير من السكان لمشاهدة نقل جثمانه إلى مبنى البانثيون في باريس.

▲ **(الحرية تقود الشعب، ١٨٣٩)**
ألهمت هذه اللوحة التي رسمها الفنان الرومانسي العظيم أوجين ديلاكرو. ويُعتقد أن شخصية الطفل الذي يحمل المسدس في اللوحة قد ألهمت هوغو شخصية جافير في رواية البؤساء.

أبرز أعماله:

١٨٢٢
أناشيد وقصائد أخرى: أول كتب هوغو الذي جذب اهتمامًا مُحببًا من لويس الثامن عشر.

١٨٣٠
أرناني: أُستقبلت هذه المسرحية بترحاب هيستيري في أول ليالي عرضها، مُعلنة بذلك انتصار الرومانسية في فرنسا.

١٨٣١
أحدب نوتردام: رواية ميلودرامية تجري وقائعها في باريس العصور الوسطى. أكّدت سمعة هوغو الشعبية.

١٨٥٦
التأملات: مجموعة قصائد غنائية عن الذاكرة، والحب، والموت، نشرها في منفاه.

١٨٦٢
البؤساء: قصة ملحمية عن الحب وشجب الفقر والاستغلال.

١٨٨٣
أسطورة العصور: آخر مجلدات ملحمة هوغو الشعريّة الإنسانية، ونشر بعد أربع وعشرين سنةً من نشر المجلد الأول.



هانس كريستيان أندرسن

(١٨٠٥ - ١٨٧٥) دنماركي.

قُرئت قصة حياة أندرسون كما لم تُقرأ أيٌّ من حكاياته الخيالية الأخرى؛ إذ انتقل من حياة الفقر المدقع إلى الثراء ونُشرت مؤلفاته على نطاق واسع ليكون واحدا من أهم المؤلفين في تاريخ الأدب إلا أنه شَقِي في حياته بحبٍّ من طرف واحد.

ولد هانس كريستيان أندرسن في أودنسه، بالقرب من مدينة كوبنهاجن في عام ١٨٠٥. تُوفي والده عام ١٨١٦، وعملت أمه في غسل الملابس، وكافحت من أجل أن تدفع تكاليف تعليم ابنها. جذب صوت أندرسن النّدي والنقي اهتمام المسرح الملكي الدنماركي في كوبنهاجن. وعلى الرغم من آماله في صنع حياة له في المسرح فقد أعترض طريقه بسبب علة أصابت صوته لكنّه أنشأ علاقة مع جوناس كولين، أحد مخرجي المسرح الملكي. وأصبح كولين أحد المحسنين لهانس، بالإضافة إلى الدعم المادي الذي كان يصل إليه عبره من الملك فريدريك السادس، فساعد في إرساله إلى مدرسة نَحْوٍ مرموقة في جنوب غرب كوبنهاجن.

▸ **أندرسن**

كان أندرسن، المصوَّر هنا في عام ١٨٦٠، مبدعًا أصيلًا لأدب الأطفال. وغالبًا ما عكست قصصه الحلوة-المريرة مِحن طفولته.

كان أندرسون غير سعيد ومكتئبا بسبب المدرسة، لكنّها مكّنته من نيل مقعد له في جامعة كوبنهاجن في عام ١٨٢٨. وبعد مرور عام على ذلك، كتب أندرسن أول عمل شهير له: «السير من قناة هولمان إلى الرأس الشرقي لجزيرة أماغير» في عامي ١٨٢٨ و١٨٢٩. يواجه القاصّ مخلوقاتٍ وشخصياتٍ خرافيةً طوال الرحلة في ممر كوبنهاجن. حظيت هذه القصة بنجاح في الدنمارك؛ الأمر الذي شجّع أندرسون على كتابة الرواية، والشعر، والمسرحيات، ونالت هذه الأعمال استقبالا متباينا. طوّر من حبه للترحال، فزار إسكندنافيا، وجنوبي أوروبا، وآسيا الصغرى «الأناضول»، وإفريقيا، وأدخل رحلاته هذه في أعماله.

اعتمد أندرسن كثيرا على تجارب طفولته في حكاياته الخيالية التي أصبح معروفا بفضلها، وشرّب قصصه بالمشاعر المعقدة والمتصادمة، وأدرج فيها الشخصيات البدائية من القصص الشعبية التي ترددت عبر الأجيال والثقافات.

وتتضمن قصصه الخيالية حكاياتٍ مثل «حورية البحر الصغيرة» و«ثياب الإمبراطور الجديدة» و«ثومبيلينا» اللاتي نشرن في مجموعة الحكايات الخيالية في عام ١٨٣٧، ولم تبع إلا نسخا معدودة منها في بلده الأم على الرغم من جودتها ومقبوليتها.

رغبات خائبة

لم يتزوج أندرسن قط لكنَّه وقع في الافتتان الشديد. تُعدُّ عاطفته الصريحة تُجاه مُغنية الأوبرا السويدية جيني ليند ما وضع الأساس لقصته الخيالية «العندليب»، وقد يكون رفضها له ما أدّى به إلى كتابة قصته «ملكة الثلج». أفصحَ أندرسن كذلك عن مشاعر جياشة لرجال، من بينهم دوق فيمار الكبير، والراقص الشهير هارالد سخارف، لكنَّه صرح في رسالة بأن العواطف «يجب أن تبقى مُبهمة». تُرجمت حكايات أندرسن إلى الإنجليزية، وظهرت في المجلة الأدبية «منوعات بينتلي الأدبية» التي تميزت بنشر أعمال كتّابٍ عمالقة مثل تشارلز ديكنز. استمر أندرسن بنشر حكاياته على دفعات، ونمت شهرته عالميا. ما تزال قصصه معروفة حتى اليوم، وتأثر بها أجيال من كتّاب حكايات الأطفال.



▴ **(ملكة الثلج)**

كانت حكايات أندرسن مادة دسمة في صناعة المحتوى، ابتداء من الكتب المصورة إلى عالم الباليه إلى أفلام الإنمي. واستوحي فيلم Frozen ٢٠١٣ الشهير الذي حقق أرباحا في البوكس أوفيس الأمريكي من حكاية «ملكة الثلج» لأندرسن.



▸ **حورية البحر الصغيرة**

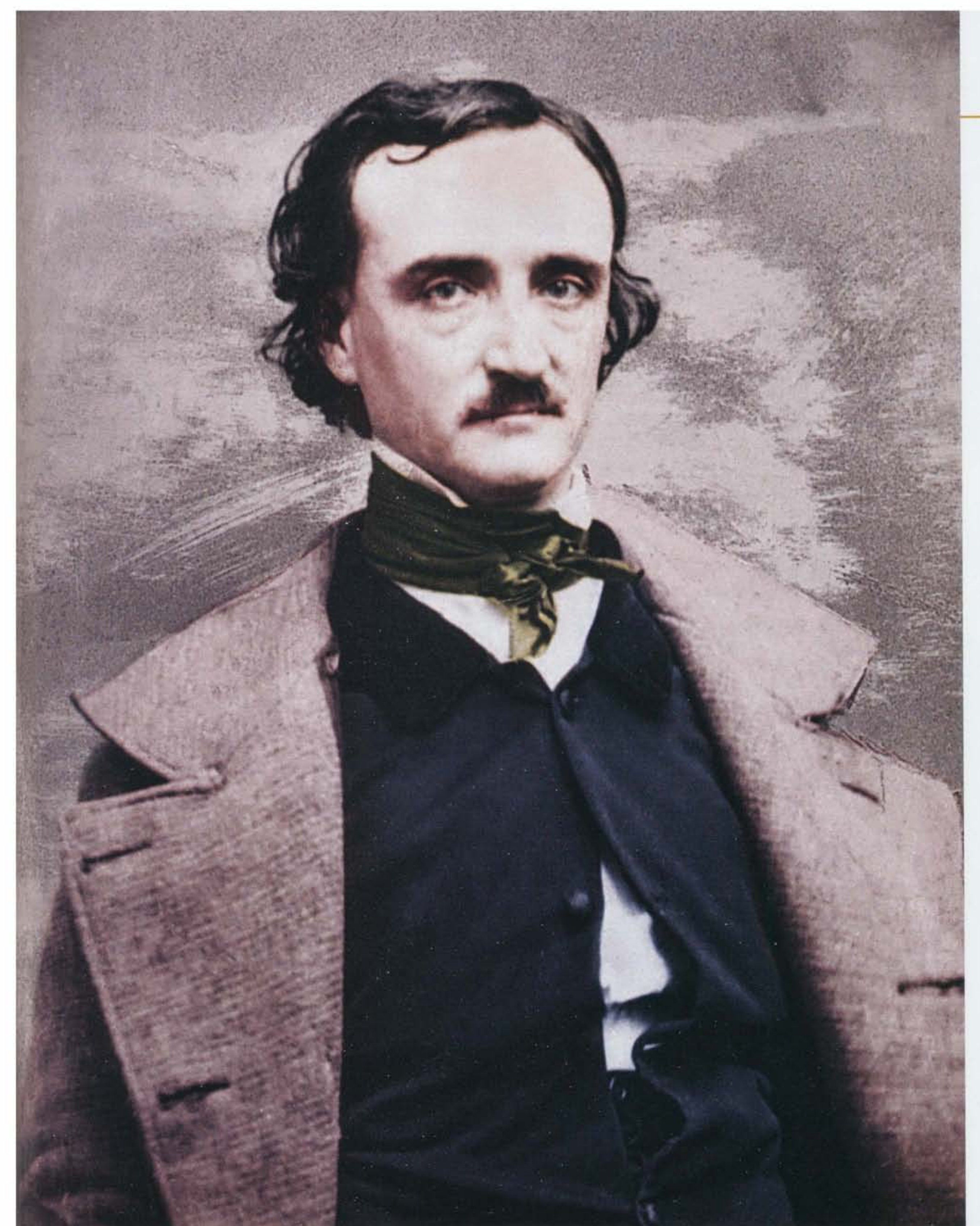
صنع تمثال من البرونز لحورية البحر الصغيرة The little mermaid وهي شخصية خيالية مستوحاة من حكاية أندرسن من قبل الفنان إدفارد إريكسون، وأصبح وجهة سياحية جاذبة في مدينة كوبنهاجن عاصمة الدنمارك منذ عام ١٩١٣.

صداقته مع ديكنز

تراسل أندرسن مع الروائي البريطاني المعروف تشارلز ديكنز، وزاره لأول مرة في عام ١٨٤٧، وكررها بعد عقد من الزمن. نشر الكاتبان في مجلة «منوعات بينتلي الأدبية» (عمل فيها ديكنز محررا مدة من الزمن) وكتب الاثنان عن المحن التي يواجهها الفقراء. ساءت العلاقة بين الاثنين بعد أن أطال أندرسن الإقامة في بيت ديكنز في كينت عام ١٨٥٧، إذ مدد أندرسن الإقامة من أسبوعين إلى خمسة. ذكرت كاتي ديكنز أن والدها على أثر هذا وصف أندرسن بأنه «عظم مجوف». بعد شعور أندرسن بالرفض وعدم الترحاب، ندم وسعى لإصلاح صداقته مع ديكنز، لكنّ الأخير كتب رسالة مقتضبة أدّت إلى نهاية العلاقة.

(*) أي أنه متملق واللقب قد يكون مستوحى من إحدى شخصيات رواية ديفيد كوبرفيلد.

تشارلز ديكنز في منزله في غاد هيل مع ابنتيه.



إدغار آلان بو، ١٨٤٨
أهدى بو هذا البورتريه لسارة هيلين ويتمان- أرملة شاعرة وكاتبة مقال التقاها في عام ١٨٤٨ ولاحقها لدوافع عاطفية. انخطب الكاتبان برهةً من الزمن لكنَّ علاقتهما أثبتت اضطرابها المبالغ به وعدم قدرتها على أن تستمر.

إدغار آلان بو

(١٨٠٩ - ١٨٤٩) أمريكي.

آلان بو، مُبدع النوع الأدبي القصص البوليسية وحكايات الرعب والتشويق القوطية، وأحد عظماء الأدب في التاريخ. لا تقل حياته -المثقلة بإفراط شرب الكحول والفقر والاضطراب والكآبة- غرابة عن موته.

«أصبحت مجنوناً، بفواصل زمنية طويلة من العقلانية الرهيبة»

إدغار آلان بو.

عُرف آلان بو، الكاتب والشاعر والمحرر والناقد، خصوصًا بفضل قصصه القصيرة وإبداعه قصص التحري المثيرة و«الرومانسية السوداء». كان والداه ممثلين فقيرين من مدينة بوسطن، ماساتشوستس، وعندما توفيت والدته وهو بسن الثانية، تبنّته عائلة آلان من فرجينيا (أضاف لقب آلان إلى اسمه في وقتٍ لاحق). سافرت العائلة إلى بريطانيا في عام ١٨١٥، حيث مكثوا خمس سنوات، والتحق بو أثناء هذه المدة بمدرسة مانور هاوس الداخلية في لندن، وكانت تجربته فيها بائسة؛ استمد منها قصته «انهيار منزل آشر».

انضمَّ بو في عام ١٨٢٦ لجامعة فرجينيا لدراسة اللغات، لكنه أصبح مثقلا بالديون بعد مدة وجيزة بسبب المقامرة ومعاقرة الشراب. وفي نهاية السنة، نفدت مدخراته وتخلى عن دراسته، ليُجنّد في الجيش الأمريكي وكسب بعدها ترقية سريعة ليكون رائدا جرّاحا. سجل بو في أكاديمية ويست بوينت لكنه لم يقض سوى مدة وجيزة حتى أراد مغادرتها كذلك، فرتّب سببا لطرده في عام ١٨٣١ عبر مخالفته قواعد الأكاديمية. نال ديوانه الرومانسي الصغير «تامرلان وقصائد أخرى» القليل من الاهتمام وقت نشره في عام ١٨٢٧، وكان الشاعر لورد بايرون مصدر إلهام له في كتابته لذلك العمل. لم يستطع الكاتب الشاب تحقيق أيّ ناجح حتى عام ١٨٣٣، حين ربح جائزة عن عمله «م س. رسالة في قارورة»، وهي قصة رعب تدور على متن سفينة.

◂ فرجينيا إليزا كليم (١٨٢٢-١٨٤٧)
تزوج بو في عام ١٨٣٥ ابنة عمته التي كانت تبلغ من العمر نصف عمره، وكان لوفاتها بعد اثنتي عشرة سنة من الزواج الأثر الأعظم في كآبة بو.

نجاحٌ متعاقب

انتقل بو عائدا إلى فرجينيا في عام ١٨٣٤، حيث تزوج من ابنة عمته فرجينيا إيلزا كليم. ونظرا لعدم قدرته على العيش من الكتابة القصصية فقط، فقد عمل محررا وناقدا في دوريّات مختلفة. نشرت العديد من قصصه للمرة الأولى في تلك المجلّات، من ضمنها «انهيار منزل آشر» (١٨٣٩) التي ينعكس فيها يتدهور حال البطل حتى الجنون بتداعي المنزل. أُتبعت هذه القصة بأعمالٍ أخرى، مثل «جرائم شارع مورغ (١٨٤١)» التي عُدّت أول قصة بوليسية على الإطلاق، وحكاية «القط الأسود» (١٨٤٣) ذات موضوع التدهور العقلي، وجاء نجاحه الخارق بعد نشره قصيدة «الغراب» في عام ١٨٤٥؛ القصيدة التي جلبت له الشهرة لا الثروة. نُشرت قصص بو في تسلسل، الأمر الذي كان ملائما لأسلوبه في الكتابة. غالبا ما كانت أجزاء القصص قصيرة، وعادة ما كان يخلق فضاءً وحالة مزاجية قويّة في وقت مبكّر لجذب قُرّائه لحكايات الرعب والتشويق القوطية. يرى كثيرون أن أعظم مهارةٍ امتاز بها بو كانت قدرته على خلق الحالة المزاجية، والتي تؤلف في معظم الأحيان جوا نفسانيا من رهاب الاحتجاز والتوتر المتصاعد، ونجده قد حقق هذا الأمر بكل براعة في عمله «انهيار منزل آشر» وفي حكايته الأخيرة ذات المستويات المتعدّدة «برميل أمونتيلادو» (١٨٤٦).

نهاية غامضة

انتهت حياة بو في شهر تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٨٤٩ بعد يومين من العثور عليه وهو بحالة «كرب عظيم» في شارع بوستن مرتديا ملابس ليست له(*). ما زال سبب موته مجهولا لكن الشكوك كانت منوّعة على نحو كبير؛ من المخدرات والإفراط في شرب الكحول إلى أمراض القلب ومرض الزهري وحتى عضة خفاش مصاص دماءٍ مسعور. لم يحضر جنازته سوى سبعة أشخاص. من المؤكد أن آلان بو كان يعيش في حالة من الكآبة والمحنة الأبدية لذهن مضطرب. وألمحت قصصه بتكرار إلى نفسيةٍ معذبة لكاتب امتطى بلا اتزان الحدود المتداخلة بين العبقرية والجنون.

(*) لم تكن الملابس له وليست من زي مدينته ويرجح أنه سرقها أو خُدع عندما استبدلها مع أحدهم.

◂ كوخ بو
انتقل بو رفقة أمه وزوجته عام ١٨٤٦ إلى هذا الكوخ المتواضع في قرية فوردهام (اليوم، جزء من برونكس) نيويورك. حُوفظ على المنزل ونقل بالقرب من متنزه بعد وفاة الكاتب.

إرث بو الأدبي

ترك بو بصمته في الأدب الطبيعي في مسيرة أدبية استمرت أكثر من عقد، وتأثر بعبقريته الغريبة عدد لا حصر له من مؤلفي أمريكا وبريطانيا الكبار من أمثال هاوثورن وديكنز وهرمان ملفل وستفينسون مرورا بـ ويلكي كولينز وأجاثا كريستي. كان محققه الفرنسي شديد العقلانية «سي أوغست دوبين»، والذي ظهر لأوّل مرة في قصّته «جرائم شارع مورغ» المبشّر بظهور المحقق الشهير شارلوك هولمز الذي خلقه كونان دويل. تأثّر به أيضًا أدباء فرنسيّون مميزون في المرحلة المتأخرة من القرن التاسع عشر، مثل: رامبو وبودلير ومالارميه الذين يدينون بالفضل لأعمال بو، إضافة إلى الحركتين الرمزية والسرياليّة. كان لكتاباته التأثير في الثقافة الشعبية: الموسيقى والتلفاز والسينما (لا سيّما الأعمال السينمائية التي استلهمت قصصه في ستينات القرن العشرين) واستمرّ تأثيره في كتّاب روايات الخيال العلمي ورواية الفانتازيا، وفي السنوات الخمسين الماضية كان لأعماله رنينها الخاص في النظريات الأدبية (من ضمنها البنيوية وما بعد البنيوية)، إضافة إلى تلك النظريات التي تربط ما بين النظرية النفسية والأدب.

بيلا لوغوسي في فيلم مقتبس عن عمل «الغراب» عام ١٩٣٥.

تشارلز ديكنز

(١٨١٢-١٨٧٠) إنجليزي

جسَّد تشارلز ديكنز جوهرَ العصر الفيكتوري، وقهر الصعاب محققا نجاحا عظيما برواياته المتسلسلة. وذاع صيت أعماله لمداها الواسع، وحبكتها المُحكمة، وشخصياتها المرسومة بإتقان.

استمتع ديكنز، الابن الثاني من بين ثمانية أطفال وُلدوا لـ جون وإليزابيث ديكنز، بطفولة سعيدة وسهلة. وُلد تشارلز جون هوفام في بورتسموث، إنجلترا، حيث كان يعمل والده في مكتب معاش سلاح البحرية. وانتقلت الأسرة بعد ثلاث سنوات إلى فيتزوريفا في لندن لمدّة وجيزة قبل أن تحط رحالها في كينت.

تأثيرات مُبكّرة

استطاعت عائلة تشارلز أن تبعث ابنها إلى المدرسة نظرا لأن الأب كان موظفا بأجرة، فأُرسِل أول الأمر إلى مدرسة السيدة (مدرسة ابتدائية سُميت بهذا الاسم لأنها أديرت من قبل النساء المُسنات في منازلهن)، وبعدها إلى مدرسة وليم غيليز في غاثام. كان الصبي تشارلز قارئا نهما، وانكب على مكتبة والده لقراءة كتب توبياس سموليت وهنري فيلدينگ، اللذين امتازت مغامرات رواياتهما العَرَضية بأبطال حاذقين أو مأساويين، مثل اللقيط توم جونز. فُتن ديكنز بحبكاتهم المُخططة بدقة وبالتميّز الأخلاقي الواضح الذي رسماه. كما تأثّر جدا بعمل «ألف ليلة وليلة»؛ مجموعة حكايات من الشرق الأوسط تُرجمت إلى الإنجليزية مطلع القرن التاسع عشر، فقرأ الحكايات مرة تلو الأخرى عائدا إلى مشاهد الحب والبطولة الموصوفة داخل الأنواع المختلفة من المأساة إلى الملهاة.

ومثل العديد من شخصياته؛ عانى تشارلز من تغيرات درامية في حظه أيام صباه. فبعد أن تراكم عليه عبءٌ ضخم من الديون، أرسِل والده إلى سجن مارشالسي للمدينين في ساوثوارك عام ١٨١٤، حيث حُبس بسبب أموال مُستحقّة لخباز. ضُمّت العائلة للأب في السجن -كما جرت العادة في ذلك الوقت- لكنَّ الصبي الحسّاس تشارلز، والذي لم يكن قد تجاوز الاثنتي عشرة سنة بعد، وأخته الأكبر فاني استُبعِدا من الحبس. نزل إثرها تشارلز في بلدة كامدن مع إليزابيث رويالانس، وهي صديقة قديمة للعائلة، والتي ستصبح فيما بعد مُلهمته لشخصية بيبتشين في رواية «دومبي والابن» (١٨٤٦-١٨٤٨).

▲ **أدوات الكتابة**

كان ديكنز دقيقًا جدًا بشأن أدوات كتابته، وتشير رسائله غالبا إلى جودة الحبر والريشة المستخدمة. تُظهر الصورة أعلاه جزءًا من مخطوطة «مذكرات بيكويك».

لندن الفيكتورية

أنتج ديكنز، المؤلف الجوهر للعصر الفيكتوري، جميعَ أعماله تقريبا في مدة حكم الملكة فيكتوريا الطويل (١٨٣٧-١٩٠١). اتَّسمت الحياة في وقته بالقسوة وحتى قصر العمر: عانى ربع سكان لندن من التيفو في أربعينات القرن التاسع عشر، وكان العمر المتوقع سبعًا وعشرين سنة فحسب.

وتستخدم الكلمة «ديكنزيّ» في الغالب حاليًّا لوصف الأجواء غير الصحية، والشوارع التي يقطنها الفقراء والملوثة كليًّا بالدخان. كان ديكنز «يمشي في هذه الشوارع المُظلمة نحو خمسة عشر ميلا أو عشرين لعديد الليالي» لأجل أن يتمكّن من ملاحظة المجتمع اللندني وأحيائه من قرب. امتلأت أعماله بشرح مستمر عن أوضاع الأحياء الفقيرة، وسوء معاملة الأطفال والتباين في الطبقات الاجتماعية الإنجليزية. ولديكنز تأثيره في التغيير الاجتماعي أثناء مسيرته عبر السرد القصصي، مما أدى إلى رفع مستوى الوعي بين المحسنين.



شوارع لندن الفيكتوريّة، غوستاف دور، ١٧٨٢.

> «سواء قُدّر لي أن أكون البطل في حياتي الشخصية، أو أن ألعب دور شخص آخر، فهذا ما ستظهره هذه الصفحات لا محالة»
>
> ديكنز - ديفيد كوبرفيلد.

◄ **تشارلز ديكنز، ١٨٥٩**

يظهر هذا البورتريه للرسام وليم بويل فريث- ديكنز وهو في قمة شهرته. الكاتب في مكتبه في منزله في بلومزبري، مع جزء من قصة مدينتين فوق مقدمة طاولة المكتب.



وصف الشخصيات الروائية

كان لديكنز شغفه طوال حياته بالمسرح، واستُلهمت العديد من رواياته في المسرح والشاشة. زوّده المسرح بالإلهام لعرض شخصياته وكتابة الحوار. أما الأسماء التي منحها لشخصياته فقد كانت مميزة جدا لدرجة أن بعضها أصبح دارجا في اللغة العامية الإنجليزية، فعلى سبيل المثال اسم شخصية سكروج (من عمله «ترنيمة عيد الميلاد») أصبح مرادفا لكلمة بخيل، وبيكسنيف (من روايته مارتن تشوزليويت) باتت تعني «منافق». كانت شخصيات ديكنز مشبعة بالعمق والمكيدة. فمن طبيعة اللهجة الشوارعية لشخصية النشال أرتفل دودجر في (رواية أوليفر تويست) إلى العامية الكينتيّة للحداد العطوف جو غاغري في (آمال عظيمة)؛ كان استخدام ديكنز للعامية في الحوار بارعا، وموصلا إحساسا قويا بالمكان، ومُضيفًا كذلك توصيفا رائعا لشخصياته الخيالية الجذابة.



هيلينا بونهام كارتر في شخصية مس هافيشام في رواية «آمال عظيمة».

تبع ذلك انتقالهما لعيش حياة شحٍ في عِليّة منزل أرتشيبالد روسل، والذي كان رجلا سمينا ضحوكا خُلّد فيما بعد شخصية السيد غارلاند في رواية «محل الفضول القديم» (١٨٤٠-١٨٤١). كان مسموحا لفاني وتشارلز الدخول إلى سجن مارشالسي، ونسج ديكنز هذا الوضع في روايته القصيرة «دوريت الصغيرة» (١٨٥٥-١٨٥٧).

الفقر والخلاص

لم يحظَ ديكنز بأي نوع من المساعدة، لذا لم يكن لديه أي خيار سوى ترك دراسته من أجل أن يدفع أجرة سكنه، إذ عمل في صبغ الأحذية داخل مستودع في تقاطع تشارينغ لينتقل بعدها إلى شارع تشاندوس حيث كان العمال يعرضون بضائعهم على عابري السبيل. كان لهذه التجربة المريرة أثرٌ عميق في ديكنز، إذ نثر بذور مسعاه للإصلاح الاجتماعي فيما بعد. فكتب عن العديد من القضايا التي شعر فيها بقوة -مثل الظروف المروّعة المفروضة على السجناء، وتعاسة الفقراء والمشرّدين، ومصاعب عاهرات لندن- التي عبّر عنها على نحو كبير في رواية سيرته الذاتية «ديفيد كوبرفيلد» (١٨٥٠).

وبضربة حظ، ورث والد ديكنز ٤٥٠ جنيها إسترلينيًّا وتمكّن بعدها من الدفع لدائنيه. عادت العائلة إلى المنزل، لكن تشارلز قاسى العذاب لأن والدته لم تطلب منه العودة فورا. كتب لاحقا: «لم أنسَ بعدئذٍ قط، ولن أنسى أبدا، ولا يمكنني أن أنسى أبدا بأنّ أمي كانت متحمسة لإعادتي [إلى العمل]».

المسيرة الأدبيّة

كان ديكنز قادرا على استئناف دراسته مدة ثلاث سنوات بعد تصفية وضع أسرته المالي، فانضمّ إلى أكاديمية ويلينغتون حتى عام ١٨٢٧.

◂ أوليفر تويست

نشر ديكنز في عام ١٨٤٦ مغامرات أوليفر تويست بنسخة من مجلد واحد عن قصته. استعرضت هذه القصة فقر الطفولة والتدريب الشبيه بالعبودية. زُوّد الكتاب برسوم منقوشة على صفائح معدنية للرسام جورج كريكسهانك.

غادر بعدها ليصبح كاتبا مبتدئا في المكتب القانوني لفندق غاري، حيث نمّى معرفته بالنظام القانوني؛ النظام الذي عاقب الفقير بلا حياء وحمى الغني. هجا ديكنز على نحو مشهور قسوة هذا النظام فيما لا يقل عن ثلاث روايات، وهي: نيكولاس نيكلباي (١٨٣٩)، ودومبي والابن (١٨٤٨)، المنزل الكئيب (١٨٥٣). بعد أن بُددت أوهامه بسبب القانون؛ بدأ ديكنز في البحث عن توجه جديد في حياته. وكان قد عُرف سلفا بين أصدقائه وزملائه بموهبته في التقليد ومثّل في بعض مسارح لندن الصغيرة، أي أنه كان منجذبا منذ بداياته إلى المسرح، إلا أنّه أجّل موعد تجربة مع ممثل-مدير محترف، واستمر في الكتابة. ابتدأت مهنة ديكنز في الكتابة مع موافقة مجلّة شهرية على نشر قصّته «عشاء عند ممشى الحور».

ازداد الطلب على الجرائد والمجلات بعد حدوث تغييرات في المجتمع الفيكتوري ولا سيما زيادة نسبة القادرين على القراءة والكتابة ونمو الإنتاج المكائني في مجال الطباعة، الأمر الذي انعكس مردوده على الكتّاب. تلقى ديكنز مساعدة من عمه وليم بارو في إيجاد عمل في «مرآة البرلمان» إذ كان يدوّن النقاشات البرلمانية، وبدأ في الوقت ذاته بتغطية الحملات الانتخابية لجريدة «الوقائع الصباحية». ألهمه هذا العمل الجديد ورفع من نشاطه، فبدأ بكتابة سلسلة قصصه الخاصة، وملاحظاته ونماذج شخصياته، والتي نُشرت في مُددٍ دورية تحت عنوان «اسكتشات بوز» (اسم ديكنز المستعار). شرع ديكنز في عام ١٨٣٦ بالعمل على سلسلة من القصص المصورة مع شركة نشر مرموقة في لندن، وهي دار تشابمان آند هال، لكن موت الرسّام الأصلي جعل ديكنز يقترح أن تُركّز القصصُ على النص أكثر من الصور.

بيعت ٥٠٠ نسخة من الدفعة الأولى من السلسلة المنشورة «مذكرات بيكويك» عندما نُشرت في أذار/ مارس ١٨٣٦، وبيعت ٤٠ ألف نسخة من الحلقة الأخيرة من السلسلة في العام التالي.

الدوائر الاجتماعية

ارتبط ديكنز بفضل عمله في الصحافة بشخصيات مؤثرة في لندن وبمحرر صحيفة «الوقائع»، جورج هوغارث، الذي ضم الكاتب الشاب تحت جناحه. كان ديكنز مبتهجا بزيارته عائلة هوغارث إلى منزلهم في فولهام، وفي هذا المكان التقى بزوجته المستقبلية، كاثرين هوغارث، وأخواتها.

◂ سلع بيكويك

كان لمذكرات بيكويك رواج تجاري، وأنتجت طيفًا من السلع التي ضمت شخصيات من بيكويك سيغرس إلى شخصية سام ويلر وشخصيات الكتاب الأخرى.



ومع نيله المكانة والحظوة، انضمَّ تشارلز أيضا إلى مجموعة من العزّاب الذين كانوا يلتقون بانتظام في منزل الروائي وليم هاريسون إينسورث. من بين الأعضاء الآخرين في المجموعة: بنيامين ديسرلي، وجون ماكرون الذي سيصبح ناشر ديكنز الأول. تولى ديكنز في تشرين الثاني من عام ١٨٣٦ إدارة تحرير» منوّعات بينتلي الأدبية»، وهي مجلة شهرية نشر فيها قصة أوليفر تويست مُتسلسلةً على مدار سنتين. أرفق كل جزء من الرواية برسومات لجورج كرويكشانك؛ وهو واحد من أفضل الفنانين الموهوبين الذين عمل معهم ديكنز طوال مشواره الأدبي.

مغامرات خارجية

أصبح ديكنز مؤلفا خصبا، ينتج قرابة رواية في السنة، ورافق الإنتاجَ نجاحٌ تجاريٌ مدوٍّ بسبب فطنته الواضحة في مجال الأعمال عندما أدار عمله بنفسه، واستعاد حقوق النشر بشرائه إياها من جون ماكرون وريتشارد بينتلي. وفي الوقت الذي كانت شهرته تزداد، بدا أن حياته الشخصية تتداعى، إذ أضحى ديكنز لوّاما لزوجته كاثرين ومشتكيا من فتورها وبلادة فكرها. بدأ ديكنز بعدها بمرافقة غير لائقة لشابّات في العلن، وبقضاء وقت أطول بعيدا عن منزله في الجولات والطلعات الأخرى.

خاض ديكنز بعدها في رحلات سفر خارجية تضمنت سفره إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا. وكان جانب من مهمته تلك يتضمن محاولة التأثير في إصلاح قانون حقوق النشر، كون أعماله انتشرت على نحو واسع مقرصنةً. كشفت له رحلاته إلى الولايات المتحدة على نحو مباشر ظلم

▲ **منزل بلومزبري**

كان عام ١٨٣٦ عامًا مميزًا لديكنز: فقد تزوّج كاثرين هوغارث، وانتقلا إلى منزل العائلة الأول لهما، رقم ٤٨ في شارع دوفتي في بلومزبري، لندن. وفي هذا المنزل وُلد ابنهما البكر تشارلي، من بين أطفالهما العشرة.

«يتوقع الرجل أن يكون مبجلا في الحياة العامة، وهذا خطأ مقامه الرفيع لا خطأ ذاته»

تشارلز ديكنز - نيكولاس نيكلباي.

إنه لمن الغريب وبهذا النزر اليسير من الملاحظة -جيدة أو سيئة أو على السواء- أن يعيشَ الرجل ويموت في لندن.

تشارلز ديكنز - إسكتشات بوز.



◂ **طبعة هوسهولد**
زادت شعبية أعمال ديكنز كثيرًا الأمر الذي أدى إلى مضاعفة أسعارها كليًا، وكان لطبعة هوسهولد الفضل في جعلها ذات أسعار مناسبة ومتاحة لكل القرّاء.

العبودية والفقر، الأمر الذي ساهم في بلورة رأيه حول العدالة الاجتماعية والحاجة المُلّحة للإصلاح. زار فور عودته إلى إنجلترا مدرسة فيلد لان راغد، وهي مؤسسة أُسست لمساعدة أطفال الشوارع الجائعين وغير المتعلمين، وعمل على حلّ هذه القضية بإدراجه الفقر والظلم في كتابته. فعل هذا في روايته اللاحقة «ترنيمة عيد الميلاد» والتي انتشرت بين العامة على نحو مهول، إذ نفدت نُسخ طبعتها الأولى في غضون خمسة أيام من نشرها في كانون الأول/ ديسمبر عام ١٨٤٣.

وبدخوله مرحلة منتصف العمر، أضحى عمله ذا نغمة جدية أكثر: أصدر في عام ١٨٥٣ رواية «المنزل الكئيب»، وهي رواية هجائية بحق النظام القانوني الظالم، وأردفها في السنة التالية برواية «أوقات عصيبة» هاجم فيها بعنف فلسفة النفعية القاسية، التي تتمحور حول «أنَّ الفعل الأخلاقي محدد بنفعيته»؛ المذهب الذي كان مسؤولا عن أسباب الفقر التي ألقت بثقلها على الناس في أماكن عملهم عبر البلاد. وفي نهاية العقد السادس من القرن التاسع عشر، نشر ديكنز أكثر أعماله كآبة، وهو «قصة مدينتين»؛ رواية تاريخية تقع أحداثها ما بين لندن وباريس خلال سنوات الثورة الفرنسية.

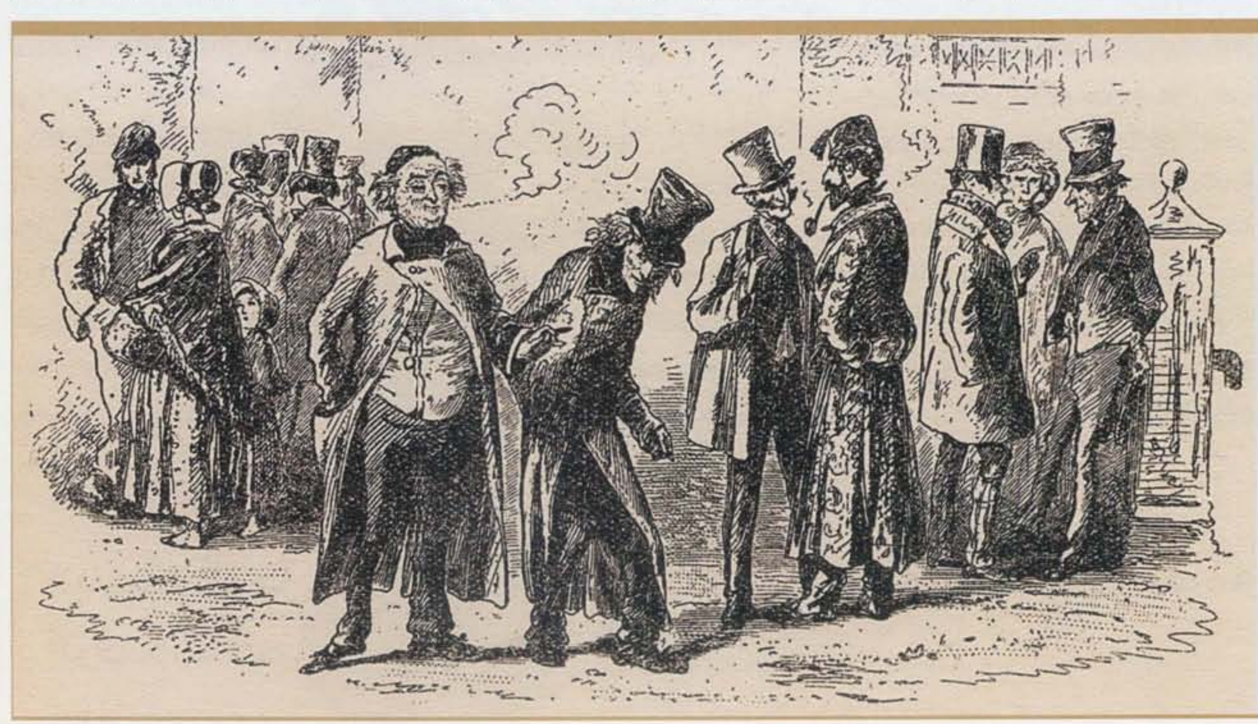
أعمال لاحقة

حقق ديكنز في عام ١٨٥٦ طموحا سعى خلفه طويلا عندما اشترى قصر غاد هيل، وهو منزل ريفي كبير في كينت كان يرغب به منذ طفولته. وفي ذلك الوقت، أفضى ديكنز لصديقه جون فورستر (والذي أصبح لاحقا كاتب سيرته) بأنّه يكافح منذ أمد طويل في علاقته مع زوجته كاثرين. زاد الطين بلة باهتمامه بالممثلة إيلين تيرنان، التي وقعت عينه عليها أوّل مرة وهي تؤدي على مسرح هايماركت عندما ساعد ديكنز في نقل مسرحية «العمق المتجمد» (من كتابة صديقه ويلكي كولينز) إلى المنصة الخشبيّة، وضمَّ تيرنان -بالإضافة إلى والدتها وأختها- إلى فريق التمثيل. بعد ذلك، جمعت الاثنين علاقة غرامية، على الرغم

▴ **إيلين (نيلي) تيرنان**
أصبحت تيرنان عشيقة ديكنز في عام ١٨٥٧، ويعتقد بعض المؤرخين بأنّ الزوجين حظيا بطفل واحد على الأقل.

الفنان هابلوت نايت برون

عمل ديكنز مع مجموعة من الفنانين الذي عملوا على رسومات لقصصه: اقتصرت أعماله الهامة التي لم تحتو على رسومات على عملين فقط، وهما روايتي أوقات عصيبة وآمال عظيمة. اختار ديكنز الفنان الموهوب بالحفر على الخشب والرسم بالألوان المائية هابلوت نايت برون (الذي عُرف بـ «فيز» عند ديكنز «بوز») لرسم رسومات «مذكرات بيكويك» وعمل الرجلان معا طوال السنوات الثلاث والعشرين اللاحقة. ساهم برون في ٧٠٠ تصميم لكتب ديكنز، وكان يغير من أسلوبه ليلائم التغيير في أسلوب الكاتب وآرائه الحياتية؛ في واحدة من أكثر الشراكات إثمارا ونجاحًا في تاريخ النشر.



دوريت الصغير (رسم) هابولت نايت برون.



من فارق السن بينهما -سبع وعشرين سنة- وتطلّق من زوجته كاثرين رسميا في عام ١٨٥٨.

بقي ديكنز مع تيرنان حتى وفاته، حيث أعدّ لها بيوتًا تحت أسماء مستعارة وعاش معها في فرنسا، بيد أنه امتنع عن أخذها في جولة ثانية في الولايات المتحدة الأمريكية بسبب الدعاية السلبية التي قد تجذبها مثل هذه الاستهانة بالتقاليد. وفي آخر سنوات حياته، نشر ديكنز رواية «آمال عظيمة» و«صديقنا المشترك» و«لغز إدوين درود» التي لم تكتمل بسبب وفاته. كان ديكنز في عام ١٨٦٥ مع تيرنان وأمها مرتحلين على متن قطار، حينما تعرض لحادث تصادم خلال رحلته إلى فلوكستون. خلّف الحادث عشر وفيات وتأثرت صحة ديكنز بشدة بسببه، إذ فقد صوته مدة أسبوعين، وفي بداية عام ١٨٦٨ بدأت تتنابه أعراض الدوار وحتى الشلل. أُصيبَ ديكنز بسكتة دماغية في تلك السنة وانهار في إحدى جولاته في بريستون عام ١٨٦٩. توفي ديكنز في الثامن من حزيران/ يونيو عام ١٨٧٠ في قصر غاد هيل بسبب سكتة دماغية أخرى. ترك في وصيته مبالغ محترمة لعائلته ورفيقه المقرب جون فورستر، بل وترك كذلك مبلغ ٢٠ (جنيهًا إسترلينيًّا) تقريبا لكل خادم لديه. سبق وأن طلب تشارلز بأن يُدفن في كاتدرائية روتشستر، لكن الأمّة أرادت لـ«أشهر مؤلفي إنجلترا» أن يُدفن في ركن الشعراء في دير ويستمنستر. حضر جنازته الحميمة اثنا عشر فردًا من عائلته وأصدقائه.

▲ **حلم ديكنز، ١٨٧٥**

تُظهر هذه اللوحة غير المنتهية للرسام روبرت وليم بوس الكاتبَ في حالة استرخاء في مكتبه في قصر غاد هيل، محاطًا بالعديد من شخصيات رواياته. كان الرسام محبًا كبيرًا لديكنز على الرغم من تغاضيه لطلب رسم تصاوير مذكرات بيكويك.

أبرز أعماله:

- **١٨٣٦-٣٧** — أوراق بيكويك: أول أعمال ديكنز الطويلة، نُشرت متسلسلة في ٢٠ حلقة.
- **١٨٣٧-٣٩** — مغامرات أوليفر تويست: ظهرت في سلسلة شهرية في مجلة منوعات بينتلي الأدبية.
- **١٨٤٩-٥٠** — ديفيد كوبرفيلد: السيرة الروائية الأكثر ارتباطًا بحياة ديكنز.
- **١٨٥٢-٥٣** — المنزل الكئيب: تُعدُّ تاسعة روايات ديكنز من قبل العديد وعلى رأسهم الناقد ج. ك. تشيسترون- أفضل أعمال ديكنز.
- **١٨٦٠-٦١** — آمال عظيمة: تستعرض هذه الرواية التوترات الاجتماعية بين من يملكون ومن لا يملكون.
- **١٨٧٠** — لغز إدوين درود: مات ديكنز مخلفًا هذه الرواية غير كاملة. وحيّرت خلاصتها القرّاء منذ ذلك الحين وحتى وقتنا هذا.



شارلوت وإيميلي برونتي

(شارلوت ١٨١٦-١٨٥٥)، (إيميلي ١٨١٨-١٨٤٨). إنجليزيتان.

نقلت الأختان الروائيتان شارلوت وإيميلي برونتي الأدب الإنجليزي نقلة نوعية برواياتهما العاطفية، والتي كانت تركز غالبا على الحياة الشخصية للنساء. عاشت الأختان حياة قاسية قصيرة انتهت على نحوٍ مأساوي نتيجة المرض.

وصلت عائلة برونتي إلى قرية بيكتشرز كيو بينيني في هاورث، غرب يوركشاير، لندن، في عام ١٨٢٠. كان الكاهن باتريك برونتي، من أصلٍ إيرلندي، وكانت زوجته -اسمها الرسمي ماريا برانويل- ذات أصول كورنية (من سيلتك). غادر باترك وطنه من أجل تحسين آفاق مهنته، (وتخرَّج في قسم اللاهوت من كلية القديس جون في عام ٦٠٨١). ومنذ ذلك الحين غيّر لقبه الأيرلندي (Brunty or Purnty) إلى Bronte، والذي يترجم «رعد» عن الإغريقية.

التقى باتريك وماريا في يوركشاير، حيث انتقلت ماريا لمساندة خالتها في إدارة مدرسة تدريب ميثودية (طائفة بروتستانتية) جديدة. في الوقت نفسه، دعي باتريك -الذي كان قد أصبح الآن قسيسا في شروبشير- للعمل هو الآخر في المدرسة بصفة «مُمتحن» خارجي. وقع الاثنان في الحب من أول نظرة وتزوجها بعدها بمدة قصيرة، ثم انتقلا إلى هارتسهيد، حيث أنجبا ابنتهما الأولى ماريا. وُلدت بعد ذلك إليزابيث، وشارلوت، وبرانويل (الابن الوحيد)، وإيميلي، وآن، في ثورنتن، قبل أن تتخذ العائلة من هاورث مستقرا لها.

▸ الأخوات برونتي، ١٨٣٤
تضم هذه اللوحة الأخوات الثلاثة (من اليمين إلى اليسار): شارلوت - «برانويل» - إيميلي - آن. رسم برانويل اللوحة في عام ١٨٣٤، ورسم نفسه مع أخواته لكنه طمس صورته بعدها.

العالم الأدبي

مكّنت المكتبة الزاخرة بالكتب في منزل آل برونتي في هاورث الأطفال من الولوج إلى العديد من الكتب المفاتيح: لا الكتب الدينية فحسب بل وكتب مؤلفين مثل بونيان، وبايرون، وهومر، وميلتون، وسكوت، وفرجيل. انقطعت الأختان عن المجتمع الأدبي اللندني بسبب عيشهما في ريف شمال لندن. توفيت إيميلي بعد مدة يسيرة من إنهائها عملها الروائي «مرتفعات وذرينغ» لكنها لم تكشف عن هويتها الحقيقية. اما شارلوت فقد استمتعت بحياة الشُّهرة، والتقت بعددٍ من الأدباء من ضمنهم ثاكري، وقالت عن ديكنز بعد لقائها إنه لم يعجبها، ورفضت الالتقاء به اجتماعيا.



هاورث بارسونج، منزل عائلة برونتي.

ضربات مأساوية

أخذت عائلة برونتي منحا مأساويا في عام ١٨٢١ حين توفيت الأم ماريا بسبب سرطان الرحم أو المبيض، مخلّفة ستة أطفال دون سن الثمانية. صوّرت الأختان هذه الصدمة المبكرة عبر وصفهما العديد من شخصياتهما الأنثوية بأنها بلا أم أو يتيمة. انتقلت الخالة إليزابيث برونتي إلى البيت المخصّص للقسيس لمساعدة صهرها في تربية أطفاله وإدارة شؤون البيت عموما. وفي عام ١٨٢٤، أُرسلت الأخوات الأربع الكبار إلى مدرسة داخلية في كوان بريدج على أمل أن يصبحن مربيات فيما بعد. كان والدهن يريد لهنّ أن يتلقّين تعليما جيدا، على الرغم من مصادر دخله المالية المحدودة. لكن التجربة



▸ **الموقّر باتريك برونتي**
والد واحدة من أشهر الأسر الأدبية البريطانية، عمّر باتريك بعد وفاة زوجته وأطفاله جميعا. أُخذت له هذه الصورة في عام ١٨٦٠، قبل وفاته بسنة واحدة بعمر الرابعة والثمانين.

لقد اعتمد بعضنا على بعض تماما، وعلى الكتب والدراسة لأجل متع الحياة وانشغالاتها.

شارلوت برونتي.

▲ مدرسة كاوان بريدج

تُظهر هذه اللوحة المنقوشة على الخشب (القرن التاسع عشر) المدرسة في تونستال، التي اشتهرت بفضل وصف شارلوت لها بـ«مدرسة لوورد» في رواية جين إير.

▼ كتب المنمنمات

صُنعت هذه الكتب الصغيرة الأنيقة من الأخوات برونتي -تظهر إلى جانبها ريشتهم- وهي مخيَّطة باليد ومكتوبة بخطوط منمنمة.



التي أعادت شارلوت صياغتها في رواية جين إير بوصفها لمدرسة لوورد كانت بعيدة كل البعد عن أن تكون مفيدة أو تمكينيّة. كان للظروف البائسة من طعام سيئ النظافة تبعات مأساوية: فقد أصيبتا ماريا وإليزابيث بمرض السل وأرسلتا إلى المنزل، حيث توفيتا في شهري مايو ويونيو من عام ١٨٢٥.

وهكذا، درست شارلوت وإيميلي مع برانويل وآن في هاورث بعد هذه الحادثة، بالإضافة إلى أنهم أصبحوا متنوِّرين، فقد كان لديهم أبٌ عطوف، اشترى لهم الكتب والألعاب التي طلبوها. أعد والدهما كذلك مكتبة كبيرة مُعتبرة في منزل القس، وكانت خالتهما -والتي كان لها دخلٌ شخصيّ من ثروة عائلتها- مشتركة في مجلّات دورية، اعترفت شارلوت لاحقا بأنّها كانت تقرأها سرًّا بمتعةٍ كبيرة.

ألعاب خيالية

ابتكر الأطفال بزعامة شارلوت وبرانويل ممالك مُتخيّلة بإتقان وتفصيل وذات حبكة (غلاس تاون، وأنغريا، وغوندال). ألهمتهم هذه الممالك الثلاثة العديد من المقالات والقصائد التي نُشرت في «مجلتهم» المصغّرة، مجلة بلاكوود برانويل (التي أعادت شارلوت تسميتها إلى مجلة الرجال اليافعين). كتبت شارلوت ستًّا من تسع طبعات، مُتّخذة الاسم التحريري «كابتن تري«Captain Tree ، لكنها وقعت أعمالها كذلك باسم «العبقري ش. ب.». كانت أبعاد المجلة «٣,٥ سم» و«٦,١ سم» فحسب، كما لو أنها نشرت بواسطة -ولأجل- دُمى جنود برانويل الاثني عشر التي أعطاها إيّاه والده.

ركّزت إيميلي أكثر على كتابة القصص والأشعار لجزيرة غوندال المتخيلة، والتي كانت تبتكرها وتشاركها مع أختها الصغرى آن، لكن لم ينجُ من كتابات إيميلي هذه سوى عدد قليل من القصائد.

قضى الأطفال وقتهم أيضا في الأراضي البرية خلف منزلهم في هاورث، واستحوذت المناظر الطبيعية البرية والوعرة على رواية إيميلي الوحيدة «مرتفعات وذرينغ» التي أصبحت رواية إنجليزية كلاسيكية. امتلأت هذه الرواية بالعناصر القوطية (الأحداث الروحانية، والحالات التشاؤمية، والإشارات المنذرة بالشر). إنها حكاية عميقة حول الرغبة والشغف والثأر. بإطلالة القصر الكئيب لمرتفعات وذرينغ على الأراضي الوعرة، تعدُّ الرواية مكانا

للخوف من الأماكن الضيقة والأذى، ورمزا للاضطرابات النفسية لأبطال الرواية.

المِهَن الأولى

تبدد الجو الإبداعي الكبير لشخصيات هاورث بسبب فكرة باتريك برونتي بأن على بناته أن يجنينَ دخلا للعيش. وهكذا، تدرّبت شارلوت من عام ١٨٣١ إلى عام ١٨٣٢ في مدرسة رو هيد لتكون مربية، وعادت إلى المدرسة نفسها في عام ١٨٣٥ لتشغل وظيفة تعليمية. كما قصدت إيميلي المدرسة عام ١٨٣٦ لكن اعتراها حنين إلى الوطن، فأخذت آن مكانها.

كتبت شارلوت في عام ١٨٣٣ وبسن السابعة عشر روايتها القصيرة الأولى «القزم الأخضر» باسم قلم «ويليسلي» واستمرت في نظم الشعر أثناء تعليمها في مدرسة رو هيد. كانت كتاباتها مصدر سلوى عظيم في ذلك الوقت، إذ شعرت بأنها قانطة ومنعزلة ووصفت طلابها بـ «الحمقى الأغبياء». وبعد ثلاث سنوات أصبحت مربية خاصة في منازل مختلفة في يوركشاير، وكتبت لإيميلي عن شعور تعاسة وسخط أكبر: «مربية خاصة ليس لها وجود، ولا تُعدُّ كائنا ذا وجود عقلي وحياتي إلا فيما يتعلق بواجبات مُتعبة عليها أن تنفذها».

أمّنت إيميلي بسن العشرين وظيفة لها معلمة في مدرسة، لكنها لم تستطع التأقلم مع العمل الممتد لسبع عشرة ساعة يوميا. وهكذا، عادت إلى هاورث لتؤدي الواجبات المنزلية هناك حتى عام ١٨٤٢، عندما بادرت الخالة بتزويد شارلوت وإيميلي بدخلٍ يمكّنهما من السفر إلى بروكسيل معا لتحسين لغتهما الفرنسية والألمانية تحت إشراف قسطنطين هيغر، وذلك كي يتمكنا في نهاية المطاف من افتتاح مدرسة أهلية خاصة بهنَّ في هاورث. كانت كلتاهما طالبتين مجتهدتين على الرغم من أن إيميلي لم تتأقلم مع الحياة في بلجيكا، وشعرت فيها بالغربة إلى حدٍّ ما. بقيت الأختان هناك حتى النهاية المفاجئة بموت خالتهما، فعادتا إلى المنزل في إنجلترا. كانت شارلوت قد كوّنت علاقة في بروكسيل، وعادت إلى المدينة مرة أخرى في السنة التالية لتُدرّس فيها. تكشف رسائلها عن الشغف الذي نما لديها تجاه قسطنطين هيغر، لكنه كان على ما يبدو -وعلى نحو كبير- حبا من طرف واحد. وعلى الرغم من هذه التجربة لم تنتهِ على نحوٍ إيجابي، فقد ألهمتها كتابة رواية «الأستاذ» في عام ١٨٤٧، والتي لم تنشر إلا بعد وفاتها في عام ١٨٥٧، واستخدمت فيها بعض العناصر الفنية التي ظهرت في روايتها الأخيرة فيليت التي كتبتها عام ١٨٥٣.

◂ **القصائد، الطبعة الأولى**
نشرت الأخوات برونتي أول أعمالهن في ديوان قصائد، وكان عملهن المشترك الوحيد في عام ١٨٤٦. تضمَّن الديوان ١٩ قصيدة لإيميلي، و٢١ قصيدة لكل من شارلوت وآن.

شغف سري

اجتمعت الأختان من جديد في هاورث منذ عام ١٨٤٤، وباءت محاولتهما في تأسيس مدرسةٍ خاصّة بالفشل، لذا اتجهت إيميلي إلى الشعر سرا، ناظمةً إياه في دفتري ملاحظات لديها، والتي حرصت على إخفائهما عن أفراد أسرتها.

كان رعب إيميلي الشديد يتمثل في عثور أحد على الكتابين، وهذا ما حدث بالفعل، إذ عثرت شارلوت عليهما بالصدفة وجادلت أختها بضرورة نشر هذه الأشعار. في ذلك الوقت تقريبا،

آن برونتي

الأخت الصغرى والأقل شهرة، ويرى البعض أنها الأخت التي تعرضت للإغفال المقيت من بين أديبات برونتي الثلاث. ولدت آن في عام ١٨٢٠ وقضت حياتها القصيرة في أرجاء هاورث، وكتبت الرواية إضافة إلى نظمها الشعر. كانت قد كتبت روايتين، تُدعى الأولى أغنيس غري (١٨٤٧)، وهي حكاية جَلَد ومعاناة كتبتها مستعينة بخبرة عملها مُربيّة عند عائلتين ثريتين، ورواية نزيلة ويلدفيل هال (١٨٤٨)، الرواية الأشهر التي نشرت باسم أكتون بيل. وتتركز أهمية هذا العمل في سرده القوي لشجاعة امرأة في محاولتها الحصول على الاستقلال من زوج مسيء. توفيت آن برونتي بمرض السل عام ١٨٤٩ عن عمر يناهز الثلاثين عامًا



▾ **بناء توب وذنز بالقرب من هاورث**
يُعتقد أن هذه الأطلال البعيدة في أراضي يوركشاير المفتوحة قد ألهمت إيميلي بتشييد منزل إيرنشاو في رواية مرتفعات وذرينغ.

> «هذه إذن هي المؤلفة، القوّة المجهولة التي جعلت كتبها لندن بأكملها تتحدث عنها، وتقرأها وتفكر فيها...»
>
> آن إيزابيلا ثاكري ريتشي عن شارلوت برونتي



▲ **أدوات إيميلي الفنيّة وصندوق الهندسة**
درست الأخوات برونتي الرسم والتلوين، ورسمت الفتيات لوحات عن الأراضي الطبيعية والنباتات باستخدام الألوان المائية في الغالب، ورسم أخوهن برانويل البورتريه باستخدام الألوان الزيتية.

كشفت الأخت الصغرى آن عن كتابتها للشعر في الخفاء هي الأخرى. في نهاية المطاف، اتفقت الأخوات الثلاثة على نشر كتاباتهن في عمل مشترك.

وهكذا، جمعن قصائدهن في ديوان صغير وطبَعنه على حسابهن الخاص، ونشرنه -متكفّلاتٍ كذلك بجميع أجور النشر- عبر شركة إيلوت وجونز للنشر، تحت الأسماء المستعارة: كورير، وإيليس، وأكتون بيل. وذكرت شارلوت بأنهن اتخذنَ هذا القرار؛ أي استخدام اسماء مستعارة، لأنه كان لديهنّ «ذلك الانطباع المبهم عن المؤلفات وكيف أنهن عُرضة لنظرات متحيّزة». نالت القصائد في السنوات اللاحقة إعجابًا معتبرًا، ولا سيما قصائد ايميلي (إيليس). وفي عام ١٩٤١، أي بعد قرن تقريبا من وفاة إيميلي، طُبعت قصائدها -ما مجموعه مئتا قصيدة تقريبًا- في ظل اعتراف بجدارتها الأدبية. بيد أنه لم ينتج عن نشر الديوان عام ١٨٤٦ سوى بيع نسختين فقط.

▲ **قرية هاورث**
شكّلت هذه الأراضي الوعرة والقاسية أعلى قرية هاورث، غرب يوركشاير، خلفية حياة وأعمال الأخوات برونتي.

لم تدون الفتيات ردة فعلهن تجاه هذا الاستقبال الضعيف لظهورهنّ الأول، لكن المؤكّد أن إيميلي تحوّلت من نظم الشعر إلى الكتابة النثرية. لكن بما أنهن كشفن النقاب عن شغفهن بالكتابة،

«نُحتت مرتفعات وذرينغ في ورشة عمل برية بأدوات يسيرة مصدرها موادّ منزلية».

شارلوت برونتي.

أعمال الأختين شارلوت وإيميلي:

- **١٨٤٦** ديوان الأخوات المشترك: نُشر هذا الديوان المشترك لشارلوت وإيميلي وآن بأسماء ذكورية مستعارة.
- **١٨٤٧** جين إير: وثَّقت هذه الرواية اسم «كورير بيل» وحققت نجاحًا سريعًا بعد نشرها.
- **١٨٤٧** مرتفعات وذرينغ: الرواية الأولى والوحيدة لإيميلي، ونشرت بعد رواية أختها «جين إير» بأشهر معدودات.
- **١٨٤٩** شيرلي: نشرت شارلوت هذه الرواية بعد الموت المأساوي لأخيها برانويل وأختيها إيميلي وآن.
- **١٨٥٣** فيليت: يُنظر إلى هذه الرواية بعدِّها أكثر روايات شارلوت نضجًا، وعادت فيها إلى معالجة مواضيع قديمة مثل الهُوية الأنثوية.
- **١٨٥٧** الأستاذ: نُشرت هذه الرواية بعد موت مؤلفتها شارلوت التي كتبتها استنادًا على تجربتها في بروكسيل.

أصبح بحثهنّ عن ناشرٍ أمرا محوريًا.

الشروعُ في العلن

في السادس من نيسان/ أبريل عام ١٨٤٦ كتبت شارلوت إلى إيلوت وجونز بأن «كورير، وإيليس، وأكتون بيل يحضّرون لعمل خيالي مكون من ثلاث حكايات مميزة ومنفصلة». والأعمال هي: الأستاذ لشارلوت، ومرتفعات وذرينغ لإيميلي، وأغنيس غري لآن. ووافق بعد مدة الناشر توماس نيوباي على نشر الروايتين الأخيرتين فقط. وعلى الرغم من رفض عدة ناشرين رواية الأستاذ، فإنها نالت تشجيع الناشريْن سميث وإيلدر اللذين طالبا برؤية المزيد من أعمال كورير بيل. وفي أغسطس من عام ١٨٤٧، أرسلت إليهما شارلوت عمل «جين إير: سيرة ذاتية». نشرت الرواية بعد ستة أسابيع. ارتكزت حبكة الرواية التكوينية، والتي تناولت قضايا الهُوية، والجنوسة، والعِرق، والطبقة الاجتماعية، على تتبّع حياة البطلة من الصّبا حتى البلوغ.

خلق المؤلفون المجهولون موجات صدمة في الحلقات الأدبية، وقوبلت المشاهد العميقة ذات المحتوى العاطفي الغرّ في مرتفعات وذرينغ بالصدمة والغضب والإعجاب الصارخ على حد سواء. أربكت رواية جين إير على نحو مشابه القرّاء لكنها حظيت بإعجابهم. كتب جورج هنري لويس، شريك جورج إليوت، في مراجعته للعمل لمجلة فراسير بأنّ الشخصيات «رُسمت بدقة هائلة وغير معتادة»، بيد أن الأسلوب كان «غريبا»، واقترح بأن المؤلف قد يكون امرأة، الأمر الذي كان بمثابة خيبة كبيرة لشارلوت إذ شعرت بأنّه إلهاء ودعوة لتخميناتٍ غير مرغوب بها.

سنوات مُظلمة

لم تكمل إيميلي روايتها الأخرى حتى ابتليت حياة الأخوات العائلية بتدهور الصحة، فقد أصيب والدهنّ بإعتامٍ في عدسة العين، وبدّد أخوهن مواهبه وأصبح مدمن خمر وأفيون ومات في سنة ١٨٤٨، لتلحق به إيميلي المصابة بالسل في شهر كانون الأول/ ديسمبر من العام نفسه، بعمر الثلاثين، والتي كانت نحيفة جدا لدرجة أن عرض كفنها كان ٤٠ سنتيمترا فقط. وتبعتهما الأخت الصغرى آن في أيار/ مايو عام ١٨٤٩. شرعت شارلوت -في وسيلة للتعافي من هذه الخسارة الفادحة- بكتابة روايتها الثانية «شيرلي» عام ١٨٤٨، وهي حكاية كئيبة عن التغيّر التقني والمعاناة والشقاق الاجتماعي، ويمكن القول إنها رواية أقل قوة من جين إير. ومن جديد، وجدت شارلوت في الكتابة عزاء لها. وصفت روايتها «فيليت» مغامرة وقصة حب في مدرسة ناطقة بالفرنسية، وطُبعت بعد أربع سنوات وتلقت قبولا كبيرا بالرغم من أن شخصية لوسي بدت غير أنثوية. وافقت شارلوت على الزواج من مساعد القسيس آرثر بيل نيكولاس الذي يعمل مع والدها، وذلك قبل نشر رواية فيليت، الرواية التي كان مقررا أن تكون عملها الأخير. وبعد أخذ وجذب وتشجيع من زميلتها المؤلفة إليزابيث غاسكيل (التي كتبت أول سيرة عن حياة شارلوت) حزمت شارلوت أمرها على المضي قدما في الزواج عام ١٨٥٤، لكن الحياة المأساوية لآل برونتي اختُتمت بموت شارلوت وهي حامل بطفلها الأول بعد مضي شهور فحسب على زواجها وهي بعمر الثامنة والثلاثين.

تمثيل النوع الاجتماعي (الجنوسة)

كان يحكم الشخصيات الخيالية النسائية في القرن التاسع عشر عمومًا وفقا لمظاهرها الجسدية وجمالها (أو فقدانها له) إضافة إلى خضوعها ورقتها ورغباتها الجنسية غير المعتادة وتمردها. قلبت أديبات برونتي هذه الصور النمطية البائسة، وركزت كلٌّ من روايتي جين إير ومرتفعات وذرينغ على العوالم الداخلية المعقّدة للشخصيات النسائية: كانت كاثي إيرنشاو جامحة وسوداوية؛ وجين إير رواقية وواسعة الحيلة؛ وبيرثا ماسون المدانة والثائرة المنكسرة. شجبت ناقدة القرن التاسع عشر إليزابيث إيستلايك جين إير بأنها «تجسيد للروح غير المنضبطة والفاسقة».



المغازلة، فنان مجهول، ١٨٨٢.

Facsimile of the Title-page of the First Edition

WUTHERING HEIGHTS

A NOVEL,

BY

ELLIS BELL,

IN THREE VOLUMES.

VOL. I.

LONDON:
THOMAS CAUTLEY NEWBY, PUBLISHER,
72, MORTIMER St., CAVENDISH Sq.
1847.

▲ **مرتفعات وذرينغ**

رواية إيميلي الوحيدة، ونُشرت باسم إيليس بيل، ونشرت في أول الأمر في ثلاثة مجلدات مع رواية أختها آن «أغنيس غري». تظهر في هذه الصورة صفحة العنوان من المجلد الأول للطبعة الأولى.

ملحق الفصل الثاني

وليم بليك

(١٧٥٧-١٨٢٧) إنجليزي.

كان بليك الشاعر والفنان والصوفي ابنا لصاحب متجر في لندن، وادّعى بأنه رأى أول رؤاه لملائكة فوق شجرة بسن العاشرة. تدرب بعدها ليصبح رساما بارزا ومبتكرا، ثم نظم الشعر، ومنذ قصائد «أغاني البراءة» فصاعدًا، كان بليك ينشر شعره مرفقا برسوماته التوضيحية الخاصة. ظهرت العديد من أشهر قصائده في «أغاني الحنكة»، من بينها «النمر The Tyger»، و«الوردة المريضة» و«لندن»، ليتجاوز بعدها جودة قصائده القصيرة كثيرا بكتبه التنبؤية الطويلة مثل «كتاب ثيل» و«زواج الجنة والنار»، والتي شرح فيها آراءه الدينية والاجتماعية بعبارات معقدة لميثولوجيا خاصة. هاجم الكثير من شعره فساد المجتمع المعاصر له واحتجّ على انحطاط رغباته الجسدية، وكانت أشهر قصائده «القدس» تعبيرا حيّا عن المثالية الاجتماعية التي رُسّخت في إيمانه الديني.

أبرز أعماله:

أغاني البراءة ١٧٨٩، زواج الجنة والنار ١٧٩٠، أغاني الحنكة ١٧٩٤، ميلتون ١٨٠٤-١٨٠٨.



▲ مدام دو ستايل، أفتر فرانسوا جيرارد، ١٨٤٩.

فريدريك شيلر

(١٧٥٩-١٨٠٥) ألماني.

كان شيلر، المسرحي الرومانسي الألماني الأشهر، يتدرب ليصبح طبيبا في الجيش حين كتب أول مسرحياته «اللصوص». وهي مسرحية ميلودرامية عنيفة، لخص فيها التطرف العاطفي الثوري لحركة العاصفة والاندفاع (Storm and Stress) في مرحلة الرومانسية الألمانية. سببت المسرحية تفاعلا عاطفيا حين أُدّيت أول مرة، ولاقت استحسان الجمهور وإدانة السلطات. تعاون شيلر لاحقا مع غوته في تكوين الحركة التي عرفت بـ «كلاسيكية فايمر»، وهي تطوير لنظرية معقدة من علم الجمال «الأستطيقا» ووجهة نظر حاذقة عن الحرية البشرية. وإلى جانب كونه كاتبًا مسرحيا، كان شيلر مؤرّخا، وكتب سلسلة من المسرحيات الشعرية المبنية على وقائع تاريخية حقيقية في مواضيع مختلفة كالاضطهاد، والظلم، والمقاومة. امتدّ شعره من نشيد الفرح «Ode to joy» ذي العاطفة الرفيعة -حوّله بيتهوفن إلى مقطوعة موسيقية- إلى قصص «غرانيق إبيكوس» الشعرية النابضة بالحياة (١٧٩٧). توفي شيلر بمرض السل بعمر الخامسة والأربعين.

أبرز أعماله:

اللصوص ١٧٨١، دون كارلوس ١٧٨٧، ثلاثية فاينستاين ١٧٩٦-١٧٩٩، وليم تيل ١٨٠٤.

مدام دو ستايل

(١٧٦٦-١٨١٧) فرنسية.

تعد الروائية والمفكرة مدام دو ستايل واحدة من المؤسسين للحركة الرومانسية الفرنسية. ولدت آن-لويس جيرمين نيكر ابنةً لمصرفي سويسري أصبح وزيرَ المالية في عهد لويس السادس عشر. التقت دو ستايل في طفولتها بنجوم عصر التنوير في صالون والدتها الباريسي، وعلى الرغم من الزواج المرتَّب من السفير السويدي، البارون دو ستايل-هولستاين، فقد عاشت دو ستايل حياة مستقلة. أُجبرت دو ستايل بسبب الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ثم الاستيلاء اللاحق على السلطة من قبل نابليون بونابرت على العيش أطول مدة في المنفى. وكان صالونها في العقد الأول من القرن التاسع عشر في مدينة كوبيت - سويسرا مركزا لمقاومة الحكم البونابورتي. كتبت دو ستايل الرواية، وركزت رواياتها «ديلفين» و«كروني» على عواطف شخصيات نسائية قوية متورطة في صراع الحب والواجب في مجتمع بطريركي. أما مقالتها «في الأدب» (١٨٠٠)، فقد وضعت حجر الأساس لشرح ومناقشة أثر الأوضاع الاجتماعية على الكتابة.

أبرز أعمالها:

ديلفين ١٨٠٢، كروني أو إيطاليا ١٨٠٧، عشر سنوات في المنفى ١٨٢١.

صامويل تايلر كولريدج

(١٧٧٢-١٨٣٤) إنجليزي.

كان كولريدج واحدا من الشعراء الرواد للحركة الرومانسية، وأصوليًّا (متعصب للكلاسيكية اليونانية) في أفكاره خلال سنواته الأولى، وخطط مرة لإنشاء جمعية في أمريكا. منذ عام ١٧٩٧، كتب كولريدج بالتعاون مع وردزورث، فأنتجا معًا قصائد حوارية مثل «غابة في منتصف الليل» و«شجرةُ الليمون كوخُ سجني»، إضافة إلى «صقيع البحّار القديم» وهي حكاية عن الخطيئة والخلاص سُردت بهلوسات حيوية في قالب غنائي. نشر كولريدج «البحّار القديم» متزامنا مع ديوان «الأناشيد الغنائية» لوردزورث في عام ١٧٩٨.

شهدت هذه المرحلة الخصبة كتابة قصيدة غرائبية هي «كوبلا خان» زعم أنها إنتاج تأويل لحُلم، ولم تظهر مطبوعة حتى عام ١٨١٦. عانى كولريدج لسنوات عديدة من الوحدة، والكآبة، والاعتلال الصحي، وإدمان الأفيون، وكذلك من زواج فاشل وغير سعيد، ولجأ لخوض علاقة مع امرأة أخرى، وبدا هذا التوتر واضحا في النشيد المثير للشجن «اكتئاب». قضى كولريدج سنواته الأخيرة في التأملات الفلسفية حول طبيعة التخيُّل الإبداعي.

أبرز أعماله:

صقيع البحار القديم ١٧٩٨، اكتئاب: نشيد ١٨٠٢، كوبلا خان ١٨١٦، بيوغرافيا الأدب ١٨١٧.



▲ ستاندال، أولوف جوهان سوديرمارك، ١٨٤٠.

ستاندال

(١٧٨٣-١٨٤٢) فرنسي.

الروائي الذي جلبَ العقلانية التحليلية لعصر التنوير لتؤثّر في جوهر الموضوع العاطفي للعصر الرومانسي. ولد ماري-هنري بيل ابنا لمحامٍ، وجرّب متعة السفر وتشويقه عندما كان يعمل في خدمة قوات نابليون العسكرية المتمركزة في إيطاليا. بدأ ستاندال مسيرة حياته الأدبية بعد سقوط نابليون في عام ١٨١٥، ونشر أعماله باسمه المستعار «ستاندال». ولكونه زير نساء، فقد اعتمد على تجاربه الخاصة في كتابة تحليلاته الإكلينيكية عن الشغف الرومانسي في أعماله النظرية مثل «في الحب» ١٨٢٢. تصدرت روايتا «الأحمر والأسود» و«صومعة بارما» أبرز أعماله، سرد فيها مغامرات أبطال من الشبان المفعمين بالطاقة ومقادين بالحب والطموح المتشائم لتحدي التعليمات الاجتماعية. كتب هاتين الروايتين بحيوية استثنائية وعفوية، ولا سيما رواية «صومعة بارما»، التي زعم أنّه أكملها في سبعة أسابيع. نشرت السيرة الذاتية «حياة هنري برولارد» بعد موته، واحتوت رؤى ذات توغلات سايكولوجية.

أبرز أعماله:

أرمانس ١٨٢٧، الأحمر والأسود ١٨٣٠، صومعة بارما ١٨٣٩، حياة هنري برولاند ١٨٩٥.

أليساندرو مانزوني

(١٧٨٥-١٨٧٣) إيطالي.

ما زال اسم مانزوني يتردد بفضل أهم أعماله «رواية المخطوبة» التي أعلت شأنه، وكان لها المساهمة الفعّالة في إنماء الحس الإيطالي بالهُوية الوطنية. ولد مانزوني لعائلة ميلانسي المعروفة، وبدأ مسيرته الأدبية شاعرا ومسرحيا. أشاد غوته بمسرحية مانزوني الشعرية «Il Conte di Carmagnola»، ونظم قصيدته «الخامس من أيار» في موت نابليون، والتي أصبحت واحدة من أشهر القصائد الغنائية باللغة الإيطالية. دارت أحداث روايته «المخطوبة» -قصة حب- في ميلان حين كانت ترزح تحت الحكم الإسباني في القرن السابع عشر، وكشفت عن أصوليتها باختياره بطلا وبطلة من الفلاحين، وباستعادتها ذكريات المصاعب القاسية للحكم الأجنبي في شمال البلاد الذي كان محكوما من قبل النمسا. أنتج مانزيني العديد من الأعمال الإبداعية بعدها، وقضى بقية حياته بالتمام في مقاطعته الواقعة خارج ميلان.

أبرز أعماله:

Il Conte di Carmagnola ١٨٢٠، الخامس من أيار ١٨٢١، المخطوبة ١٨٢٥-١٨٢٧.

بيرسي بيش شيلي

(١٧٩٢-١٨٢٢) إنجليزي.

طُرد شيلي، الشاعر الإنجليزي الرومانسي الأكثر ثورية في وقته، من جامعته بعد إعلانه الإلحاد، وهرب مع هاريت ويست بروك، الطالبة ذات الستة عشر ربيعا. تزوج الاثنان بعدها لكنَّ زواجهما باء بالفشل وانتهى بانتحار هاريت. تزوج شيلي بعدها عشيقته ماري شيلي (مؤلفة رواية فرانكشتاين). وعاش منذ عام ١٨١٨ في إيطاليا، حيث كُتبت الكثير من أجود أشعاره. مات شيلي بسن الثلاثين غرقا إثر حادث قوارب في البحر وأحرقت جثته على الشاطئ في فياريجيو. نشر الأديب المبدع أشعاره التي عبّرت عن رؤيته للحياة المغموسة بكآبة شخصيّة، وكانت بعض أعماله مثل «قناع الفوضى (١٨١٩)» هجوما صريحًا ضدَّ الحكومة البريطانية والمجتمع، وأعمال أخرى مثل «Ozymandias» صوتًا احتقاريا شاملا للسلطة. ينص معتقد شيلي في الشعر على أنه أداةٌ للتغيُّر السياسي والأخلاقي، وبدى هذا جليًا في مقالته «دفاع عن الشعر»، ونجد أفضل تعبير عن هذا في أجود سونيتة غنائية له «أغنية إلى ريح الغرب».

أبرز أعماله:

Ozymandias ١٨١٨، بروميثيوس بلا قيود ١٨٢٠، أغنية إلى ريح الغرب ١٨٢٠، أدونيس ١٨٢١.

جون كيتس

(١٧٩٥-١٨٢١) إنجليزي.

ولَد كيتس، الشاعر الجوهر للعصر الرومانسي، ابنًا لحارس إسطبل في لندن. تخلى عن دراسة الطب ليركز على الشعر، لكن مجموعته الشعرية الأولى قوبلت برفضٍ واسع، ونالت قصيدته الطويلة Endymion مراجعاتٍ لاذعة. وعلى الرغم من هذا فإنه لم يفقد الثقة بعبقريته، وخلال ست سنوات من الكتابة أصدر الأناشيد الشعرية، والسونيتات، والقصص الرومانسية القروسطية، وملاحم الشعر الحر، بالإضافة إلى الرسائل الغزيرة التي احتوت آراءه عن الفلسفة الشعرية المبنية على «قدسية عواطف القلب وحقيقة التخيُّل». ارتحل كيتس إلى روما بعد إصابته بالسل بحثًا عن علاج، لكنّه مات هناك بسن الخامسة والعشرين.

أبرز أعماله:

القصائد ١٨١٧، Endymion ١٨١٨، ولاميا وإيزابيلا وحواء القديس أغنيس وقصائد أخرى ١٨٢٠.

هنريخ هينه

(١٧٩٧-١٨٥٦) ألماني.

أنزل هينه الرومانسية من عرشها السماوي إلى الأرض بالتزامه السياسي، وحذاقته الساخرة، واللغة اليومية. ولدَ هينه لعائلة ألمانية يهودية، ودرس القانون لكنه وجد الطريق مغلقًا أمام مسيرته بمعاداة السامية. جُمعت بواكير قصائده في «كتاب الأغاني» ونشر في عام ١٨٢٧. حُوّلت العديد من قصائد الحب الغنائية ذات الحيوية الجارفة لاحقًا إلى معزوفات موسيقية.

ارتحل هينه في عام ١٨٣١ إلى باريس، ومن هذا المنفى الاختياري كان قادرا على مهاجمة السلطوية الألمانية والاعتداد المتعجرف بالذات من خلال المجلات السياسية والشعر الساخر، وكانت «ألمانيا: حكاية شتاء» من أبرز أعماله. سُكِنت قصائده الأخيرة بالمرض والموت، ومنعت كتبه في ألمانيا خلال حياته، ومنعت أيضًا في ظل الحكم النازي بعد ثمانين سنة على وفاته.

أبرز أعماله:

كتاب الأغاني ١٨٢٧، ألمانيا: حكاية شتاء ١٨٤٤، وورومانزيرو ١٨٥١.

ألكسندر دوماس

(١٨٠٢-١٨٧٠) فرنسي.

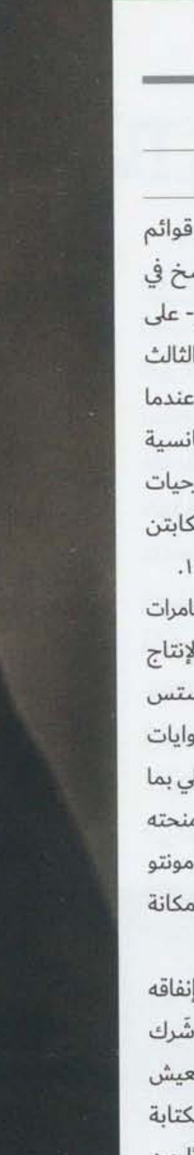
تصدّرت روايات دوماس التاريخية قوائم المبيعات في أيامه وكان لها إسهام راسخ في الثقافة العامة. حاز دوماس -ابن الجنرال- على أول نجاح له بالمسرحية التاريخية «هنري الثالث وبلاطه» التي أدّيت على خشبة المسرح عندما كان الجنون الباريسي بالمسرحية الرومانسية على وشك الأفول في عام ١٨٢٩. كتب مسرحيات ناجحة أخرى قبل كتابة أول رواياته «الكابتن باول» التي ظهرت متسلسلة في عام ١٨٣٨.

ومغذّيًا المطلب الجماهيري لقصص مغامرات الفرنسان؛ شرع دوماس في مسارٍ من الإنتاج الواقعي بمساعدة أشخاص مثل أوغستس ماكويت الذي زوّده بالأفكار والنصوص للروايات التي نُشرت باسم دوماس. يقدّر إنتاجه الكلي بما يفوق مئة ألف صفحة من النص المطبوع. منحته إبداعاتٌ مثل الفارس «دارتانيان»، و«كونت مونتو كريستو»، و«الرجل ذو القناع الحديدي» مكانة أسطورية.

جنى دوماس ثروة بسرعة خاطفة لكن إنفاقه المحموم على النساء وحياة البذخ قادته إلى شَرك الدَّين. واضطرّ دوماس -مطاردًا من دائنيه- للعيش سنواتٍ في الغربة، لكنّه لم يتوقف عن الكتابة قط. ضمّت أعمال دوماس اللاحقة كتابًا عن الحيوانات الأليفة، وقاموسًا من ألف صفحة عن المطبخ.

أبرز أعماله:

الفرسان الثلاثة ١٨٤٤، وكونت مونتو كريستو ١٨٤٥-١٨٤٦، وعقد الملكة ١٨٤٩، زهر التوليب الأسود ١٨٥٠.



▲ ألكسندر دوماس، إيتيني كارجات، ١٨٦٢.

ناثانيال هاوثورن

(١٨٠٤-١٨٦٤) أمريكي.

وُلِدَ مؤلف الرواية القوطية المميزة «الحرف القرمزي» في ساليم، ماساتشوستس، سليلًا لقاضي بلدة سيئ السمعة بسبب محاكمات الساحرات. تركت روايته الأولى ومجموعة قصصه القصيرة «حكايات تُحكى للمرة الثانية» تأثيرًا يسيرًا، لكن رواية «الحرف القرمزي» بقيت متصدرة لقوائم المبيعات. وُصفت الرواية من كاتبها بأنها «رومانسية» لأنها تخلت عن الواقعية في مسعاها للحقيقة الأخلاقية، واستخدمت الرواية قصة زانٍ منبوذ، هيستر بريني، لتتحدى التطهير التقليدي من الخطيئة، والنفاق، والاضطهاد الجنساني.

استثمرت رواية هاوثورن اللاحقة «منزل الحُجرات السبع» في مواضيع متشابهة مع عناصر أكبر من الروحانيات. وعكست رواية «The Blithedale Romance» رفضه للفلسفة المتعالية (حركة فلسفية نشطت في عشرينات وثلاثينات القرن التاسع عشر رفعت من قيمة الحدس على حساب التجريبية). عُين هاوثورن في عام ١٨٥٣ قنصل الولايات المتحدة وقضى سبع سنوات في أوروبا، ولم تُضفِ هذه التجربة شيئًا يُذكر لإبداعه. مات هاوثورن في عام ١٨٦٤ مخلّفًا ثلاث رواياتٍ غير مكتملات.

أبرز أعماله:

حكايات تُحكى للمرة الثانية ١٨٣٧، الحرف القرمزي ١٨٥٠، منزل الحُجرات السبع ١٨٥١، The Blithedale Romance ١٨٥٢.

جورج ساند

(١٨٠٤-١٨٧٦) فرنسية.

تحدّت الروائية الأنثى التقييدات المفروضة على النساء في سعيها لتحقيق طموحاتها. ولدت أورورو دُين في عام ١٨٠٤، وترعرت في كنف جدتها في إقطاعية في نوهانت بجنوب باريس، والتي ورثتها لاحقا. هربت في عام ١٨٣١ من زواج تعيس لتعيش حياة بوهيمية في باريس، وأصبحت صحافية وروائية ناجحة باسم مستعار هو جورج ساند. هزئت أورورو بالتقاليد، وارتدت ثياب الرجال، وأقامت علاقات غرامية متعددة مع شخصيات معروفة من أبرزها فريدريك شوبان.

امتازت رواياتها جميعًا بسمات العصر الرومانسي، واصفةً النساء في حالة ثورانٍ عاطفي ضدّ حياتهن البائسة. عكست هذه الأعمال أيضًا حسّ الكاتبة من الظلم الاجتماعي -لعبت ساند دورا فعّالا في الثورة الفرنسية عام ١٨٤٨- وحبها لحياة الريف. عاشت آخر أيامها في عزلة ريفية مع أحفادها في نوهانت، وكان أعظم كتّاب عصرها يأتون لزيارتها.

أبرز أعمالها:

إنديانا ١٨٣٢، كونسيلو ١٨٤٢-١٨٤٣،

La Mare au Diable 1846،

La Petite Fadette 1849.

إليزابيث باريت براونينغ

(١٨٠٦-١٨٦١) إنجليزية.

اشتهرت الشاعرة الفيكتورية إليزابيث براونينغ في حياتها أكثر مما اشتهر زوجها الشاعر روبرت براونينغ في حياتها. اعتمدت ثروة عائلتها، مولتون

باريتس، على العبودية في غرب الهند، والتي شجبتها بشدة عندما أصبحت شخصا بالغا. ظهرت موهبتها الشعرية في سن مُبكّرة: نُشرت ملحمتها «معركة الماراثون» على نحوٍ خاص عندما كانت بسن الرابعة عشرة.

على الرغم من هذه الشاعرية الفذّة فإن الجانب السيئ من حياة براونينغ تمثل في إدمانها على أفيون لاودانوم حين عاشت حبيسة الحياة الفيكتورية المحترمة لتبني لنفسها سمعة أدبية عبر دواوين شعرية مثل «قيد بروميثيوس (١٨٣٣)»، و«سيرافيم (١٨٤٤)». جعلها مجلدها الشعري لعام ١٨٤٤، والذي حقق نجاحًا نقديا وشعبيا، مرشحًا جديًا لجائزة شاعر المملكة المتحدة.

تزوجت إليزابيث في عام ١٨٤٥ من روبرت براونينغ سرًا ضد رغبة والدها، وفرّ الزوجان للعيش في فلورنزا، إيطاليا. احتفت بحبها المحموم لزوجها في «سونيتات من البرتغالية» التي تضمنت الشعر «رقم ٤٣» الذي يبدأ بمستهل شهير: «كيف أحبكَ؟ دعني أحصي الوسائلَ». توّجت رواية السيرة الذاتية الشعرية «أورورا لي» إنجاز سنواتها الأخيرة.

أبرز أعمالها:

سيرافيم وقصائد أُخَر ١٨٣٨، القصائد ١٨٤٤، سنويتات من البرتغالية ١٨٥٠، أورورا لي ١٨٥٦.

نيكولاي غوغول

(١٨٠٩-١٨٥٢) روسي.

كتب غوغول، أستاذ الأدب الساخر والتصوير الغرائبي، الروايات والمسرحيات والقصص القصيرة التي وصفت عبثية الحياة في روسيا القيصرية. انتقل غوغول، ابن مالك أراضٍ أوكراني، إلى بطرسبورغ بنيّة أن يصبح شاعرًا. دعم نفسه ماديًا عبر اشتغاله بوظائف إدارية صغيرة، وزودته هذه الخبرة ببصيرة ثاقبة فيما يخص عمل المؤسسة البيروقراطية. وبتشجيع من الشاعر ألكسندر بوشكين، فقد تفرّغ غوغول للكتابة بكامل وقته. برز غوغول العبثي وذو العِرق الساخر في عام ١٨٣٦ بمسرحيته الهزلية المميزة «مفتش الحكومة»، والقصة السريالية «الأنف» عن خوف الاضطهاد من الحكومة. عاش غوغول السنوات الاثنتي عشرة اللاحقة خارج روسيا، وبالأخص في روما حيث كتب أفضل أعماله «الأنفس الميتة»، العمل الذي هزأ به من الطبقات الوسطى الروسية، ومن جشع وفساد ملّاك الأراضي. وبفضل عمله الآخر «المعطف» فقد أسس غوغول نفسه ليقود ركب كتّاب روسيا النثريين. تدهور حال غوغول في سنواته الأخيرة وانحدر نحو الهوس الديني وفشل في تحقيق مشاريع أدبية كبرى.

أبرز أعماله:

الأنف ١٨٣٦، مفتش الحكومة ١٨٣٦، الأنفس الميتة ١٨٤٢، المعطف ١٨٤٢.

ألفريد، لورد تينيسون

(١٨٠٩-١٨٩٢) إنجليزي.

حاز تينيسون على شرف خدمة الملكة فيكتوريا لأطول مدة، وكتب أفضل قصائده بموسيقية استثنائية وبراعة فنية عالية. وُلدَ في لينكولنشاير ابنًا لكاهن، ونشر أول دواوينه الشعرية في ثلاثينات القرن التاسع عشر لكنه لم ينل الاستقبال الجيد، على الرغم من احتوائه على قصائد ضُمت في «الأعمال المختارة الرائعة» لاحقا مثل قصيدة «Mariana» و«The Lady of shalott». أتى نجاحه الخارق بقصائدَ عام ١٨٤٢ مثل «Ulysses» و«Locksley Hall» و «Break Break Break». أُتبعت هذه القصائد بالسلسلة القوية لـ «In Memoriam A.H.H» وهي تأملات كئيبة في موت صديقه الشاعر آرثر هالام، الذي مات شابًا بسبب نزيف دماغي.

ولكونه شاعر الملكة منذ عام ١٨٥٠، فقد تنوع نتاج تينيسون ابتداءً من قصيدة عن حرب القرم المتعصبةِ القومية (The Charge of the Light Brigade) في عام ١٨٥٤ إلى «أناشيد مود الغنائية» المعقدة والمتقدّة الحب. أحبّ عامة الشعب الفيكتوري قصيدته ذات الأجزاء الاثني عشر «أناشيد الملك الرعوية Idylls of the King»، والتي لا تتلاءم كثيرًا مع الذائقة الحديثة. اعتُرِفَ بتينيسون ضمن طبقة النبلاء في عام ١٨٨٣.

أبرز أعماله:

Poems 1842,
In Memoriam A.H.H 1850,
Maud: A Monodrama 1855,
The Idylls of the King 1859-1885.

إليزابيث غاسكل

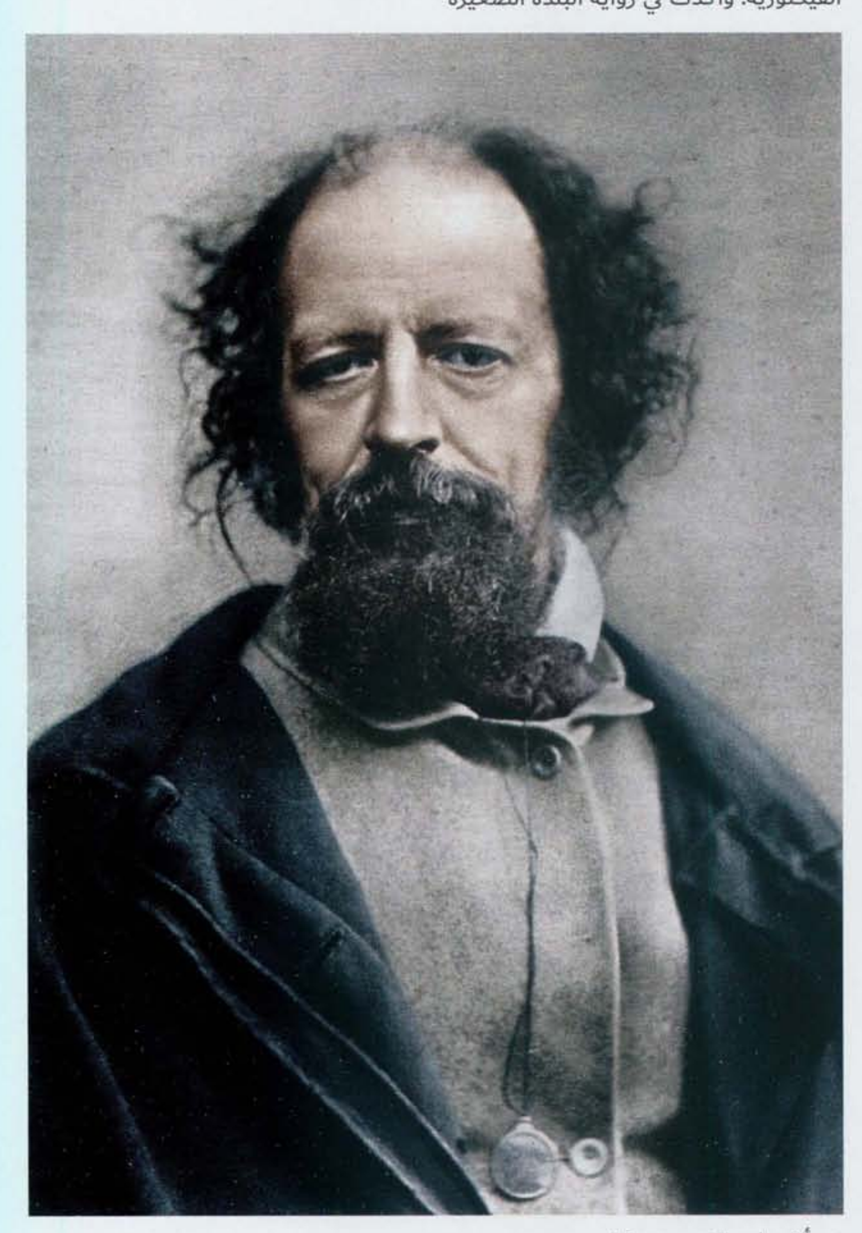
(١٨١٠-١٨٦٥) إنجليزية.

كانت الروائية غاسكل راصدة بارعة للتأثيرات الاجتماعية للثورة الصناعية. ولدت باسم إليزابيث ستيفينسن وترعرت في كنف عمتها في بلدة ريفية في كرانفورد. تزوجت عن رضا من وزير (من الطائفة التوحيدية)، واستقرّت في المدينة الصناعية المزدهرة، مانشستر، حيث تكفلّت بعمل خيري لأجل الفقراء.

حثّتها وفاة رضيعها على كتابة الرواية كنوعٍ من الإلهاء. وصفت في رواية Mary Barton بتعاطف الفاقةَ المنتشرة في الطبقة العاملة لمدينة مانشستر، ولاقت نجاحًا سريعًا عند طبقة العامة الفيكتورية. وأكّدت في رواية البلدة الصغيرة Canford سمعتها الشعبية، إلا أنَّ روايتها رحمة (Ruth ١٨٥٣) التي صوّرت «نساء محطمات»، ورواية «شمال وجنوب»، قد طرحتا الصراع بين العاملين وأرباب العمل، وكانتا مثيرتين للجدل. تُعد رواية غاسكل الأخيرة «زوجات وبنات» من قبل بعض النقّاد أفضل أعمالها، وكتبت غاسكل سيرة حياة معتبرة حول صديقتها شارلوت برونتي.

أبرز أعمالها:

Mary Barton: A tale of Manchester life 1848،
Cranford 1851-1853،
North and South 1854-1855،
Wives and Daughters: An everyday story 1864-1866.



▲ ألفرد، لورد تينيسون، ١٨٦٥.

أواخر القرن التاسع عشر

الفصل الثالث



جورج إليوت

(١٨١٩-١٨٨٠) إنجليزية.

حظيت جورج إليوت بثروة كبيرة وشهرة لكونها كاتبة من الطراز الأول والمفضلة لدى الملكة فيكتوريا، لكن حياتها الشخصية غير التقليدية منعتها من اكتساب قبول المؤسسة البريطانية الكامل.

مَنحت جورج إليوت نفسها أسماء مميزة في مراحل حياتها المختلفة، واختارت اسم ذكر مستعار لأجل مسيرتها الأدبية، واتفقت مع الناشرين على أن تبقى مجهولة. واصلت استخدام اسمها المستعار جورج إليوت، بيد أنها أُجبرت على كشف هويتها عندما تظاهر مُدّعٍ ما بأنه من كتب أعمالها.

ولدت إليوت باسم ماري آن إيفانز في نونيتون، يوركشاير. وتشكّلت حياتها المبكرة بقرار والدها إرسالها إلى مدرسة (وكان إرسال الأبناء إلى المدارس امتيازا محفوظا في العادة للأبناء الذكور فقط). امتلكت شهية شرهة للكتب ونقّبت في مكتبة أربري هال، حيث كان يعمل والدها موظفا عند مالكي الأراضي. لكن تعليمها الرسمي توقف بسن السادسة عشر بوفاة والدتها، ما كان يعني أنها مضطرة للعودة إلى المنزل من أجل تدبيره والعناية به.

وبعد مضي خمس سنوات على ذلك، انتقلت برفقة والدها إلى منزلٍ بالقرب من كوفنتري. أصبح لديها في هذا المكان حلقة من الأصدقاء تضمّنت محسنين أغنياء، من بينهم تشارلز براي وزوجته كارا، اللذين شجّعاها على الكتابة والتحرر الفكري الذي لم يكن والدها موافقًا عليه.

ساهم الإرث الذي تلقته إليوت إثر وفاة والدها في عام ١٨٤٩ في تحريرها. وعلى إثر ذلك، أمضت بعض الوقت في سويسرا قبل أن تنتقل إلى لندن مصممةً على السعي في مهنة الصحافة. وفي العاصمة، سكنت في منزل الناشر السياسي جون تشابمان الذي التقت به عن طريق آل براي. كان تشابمان قد وظّفها محررة مساعدة لمجلة ويستمنستر ريفيو، المنصب الذي نادرا ما كان يمُنح للنساء الفيكتوريات.

◄ **جورج إليوت**

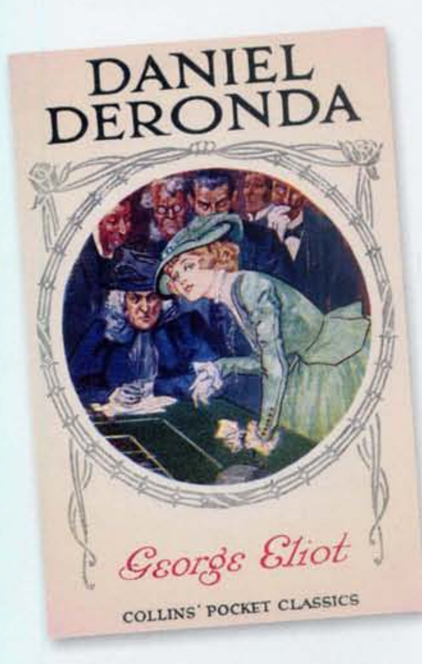
أقامت إليوت بعد وفاة والدها برهةً من الزمن في جنيف في منزل الرسام السويسري فرانسوا دالبير دوراد. تظهر في هذه اللوحة إليوت التي رسمها دوراد وهي بسن الثلاثين في عام ١٨٤٩.

حياة لندن والحب

فُتنت إليوت في لندن برجل تلو آخر لكنها وجدت الحب أخيرا في عام ١٨٥١ مع جورج هنري لويس. كانت العلاقة مُعقّدة نظرا لأن لويس كان متزوجا سلفًا، وغير قادر على تطليق زوجته أغنيس (كونه قد منحَ اسمه لأبنائها غير الشرعيين)، فاتخذ الاثنان قرار المُساكنة خارج إطار الزواج. أطلقت إليوت في هذه المرحلة على نفسها اسم إيفانز لويس.

وكانت قد قررت في وقت سابق أن تكتب الروايات، لكنها لم تشرع في الكتابة حتى وجدت الطمأنينة مع لويس وبدأت مسيرتها باسم جورج إليوت. من الأسباب التي جعلت إليوت تستخدم اسما ذكوريا هو حماية رواياتها من أن تُصنّف من ضمن ما عدَّته روايات «العقل والقبعة النسائية» التي تكتبها «الروائيات التافهات»، وذلك كي تعطي أعمالها سلطة أكبر. أعجبت إليوت بالروايات الواقعية الأوروبية المعاصرة (تأثرت ببلزاك) وقررت أن تكتب أعمالا أصيلة مشابهة. نشرت روايتها «مشاهد من الحياة الكهنوتية» على دفعات في عام ١٨٥٧، وظهرت أول رواية لها «آدم بيدي» كاملة دفعة واحدة في عام ١٨٥٩. كتبت بعدها خمس روايات أُخَر، من ضمنها رواية «ميدل مارش» -التي صنفت واحدة من أجود أعمال حقبة الأدب الفيكتوري- إضافة إلى مجلدات من الشعر والمقالات والكتابات النقدية.

على الرغم من أنّ إليوت ثُكلت بموت لويس في سنة ١٨٧٨، ولم تعد تكتب الرواية، فقد اختارت الزواج وأصبحت ماري آن كروز، فقد كانت علاقتها مليئة بالخلافات كونها تزوجت شخصًا يصغرها بنحو عشرين سنة. لكن العلاقة لم تدم طويلا، إذ ماتت إليوت بمرض كلوي في منزلها الفخم في تشيلسي عام ١٨٨٠، ودفنت بجوار لويس في مقبرة هايغايت.



▲ **دانييل ديروندا**

استعرضت أعمال إليوت التعقيد النفسي البشري للحياة الإنجليزية مع الواقعية التعليمية التي كانت غير معروفة وقتها. ووصفت روايتها الأخيرة «دانييل ديروندا (١٨٧٦)» القمع في الطبقات الاجتماعية الرفيعة وجابهتْ المواضيع الخلافية لحالة اليهود في المجتمع البريطاني.

أُصوليو الأحد

جلبت علاقة إليوت مع المؤلف والفيلسوف والعالم جورج هنري لويس اتصالات مع النخبة الأدبية والفكرية للندن. قاد الرفيقان حلقة أعضاء الكتاب التي ضمت وليم ثاكري، وتوماس كارليل، وجون ستيوارت مل. شرع هؤلاء المفكرون في لقاءات ظهيرة الأحد بريوري -منزل إليوت وهنري- بحركة أدبية اعتنقت النظريات الأصولية في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع.



بيريوي، منزل إليوت في سانت جون وود، لندن.

هرمان ملفل

(١٨١٩-١٨٩١) أمريكي.

السارد الماهر وأستاذ المذهب الأدبي الواقعي الذي كشف عن عظمة حقيقية عبر الرمزية الفخمة وعمق الموضوع في تُحفته المُعقّدة والعجيبة رواية موبي ديك.



◄ المنزل في أروهيد
كتب ملفل رواية موبي ديك على هذه الطاولة في منزله، في أروهيد، بيتسفيلد، ماساشوستس. بُني المنزل في ثمانيات القرن الثامن عشر. ظهر المنزل في بضع قصص وعاش فيه المؤلف ثلاث عشرة سنة.

كان ملفل ابنا من بين ثمانية أطفال انحدروا لواحدة من أبرز الأسر في نيويورك. تضاءلت ثروة العائلة في أيام صباه، وقد رفض ملفل نِعَم ثروة التَّركة، فتنقل من وظيفة إلى أخرى وعمل كاتبا ومعلما قبل أن يدرس علم المساحة الميداني على أمل أن يجد وظيفة تؤمن له حياته، لكنّه فشل في تحقيق ذلك ليتّجه بعدها إلى البحر ويبدأ العمل صبي مقصورة على متن سفينة القديس لورانس التجارية.

خبرات في البحر

عمل ملفل بضع سنوات مع طاقم سفن لصيد الحيتان، وعاد بعدها إلى بوسطن حاملا في جعبته حكايات غرائبية عن مغامرات وتمرد البحارة وآكلي لحوم البشر في البحار الجنوبية، والتي شكلت أساس رواياته الأولى مثل Typee في عام ١٨٤٦، وOmoo في عام ١٨٤٧. كانت هذه القصص الرومانسية والمثيرة مشهورة ورائجة وتجني مبيعات كبيرة، ما مكّنه من زواج إليزابيث شاو في عام ١٨٤٧، ورزق الزوجان بعدها بسنتين بأول أطفالهما الأربعة.

نالت رواية ملفل الثالثة Mardi التي نشرها في عام ١٨٤٩ نجاحا أقل. إذ كان قرّاؤه يتوقعون مغامرة أخرى، لكن خابت آمالهم برواية تخلت عن الحبكة الواقعية والرومانسية بسرعة ليحل مكانها التفلسف والاستعارة. كشف نشرها على أي حال عن تغير في طموحات ملفل الأدبية، فكتب إلى صديقه المقرب ناثانيل هاوثرون في رسالة: «إن الدافع الكبير الذي أشعر به للكتابة لن يعود عليّ بالمال، لكني لا أستطيع تماما الكتابة بطريقة أخرى».

صبَّ ملفل خبرته في البحر، إضافة إلى كل ما تعلمه من قراءته النهمة، في مشروعه القادم، موبي ديك. فمنح الرواية حبكة قوية مستمدة من قصة حقيقة عن سفينة إيسكس التي أغرقها حوت، وبطل استثنائي ومتعصب ومعطوب القدم وتوّاق للانتقام هو القبطان آهاب. كان ملفل يهدف إلى تذكر ملامح حياة البحر حيث استعرض التصنيف، والمكانة، والخير، والشر، والجنون، والواجب، والتحدي، والصداقة، والموت، جامعًا إيّاها معا في رمزية ثرية وأساليب غنية ووسائل أدبية، من ضمنها النثرية، والشعرية، والتوجيهات المسرحية، والقوائم، والمونولوجات، والتدخلات السردية. كانت رواية موبي ديك، وكما تنبأ ملفل، «عملا فاشلا»، ومُنّيت كذلك بإخفاق تجاري.

اعتراف متأخر

فشلت روايات ملفل اللاحقة في إيجاد جمهور، ولم تجدِ محاولاته في التكسّب عبر إلقاء محاضرات عامة شيئا، لذا قبِل في عام ١٨٦٦ بوظيفة مفتش جمارك في مدينة نيويورك. اتجه بعدها إلى الشعر، ونشر مجموعتين شعريتين لم تنالا اهتماما كبيرا. لكن نداء البحر كان قويا، لذا كان ملفل يكتب قبل موته في عام ١٨٩١ قصة عن حياة البحر ونشرت باسم (بيلي بود، بحار) بعد وفاته في عام ١٩٢٤. وبحلول ذلك الوقت، كانت سمعته في ارتقاء ونالت رواية موبي ديك أخيرا الاعتراف، وأصبحت من تحف الأدب الأمريكي.

التأثر الأدبي

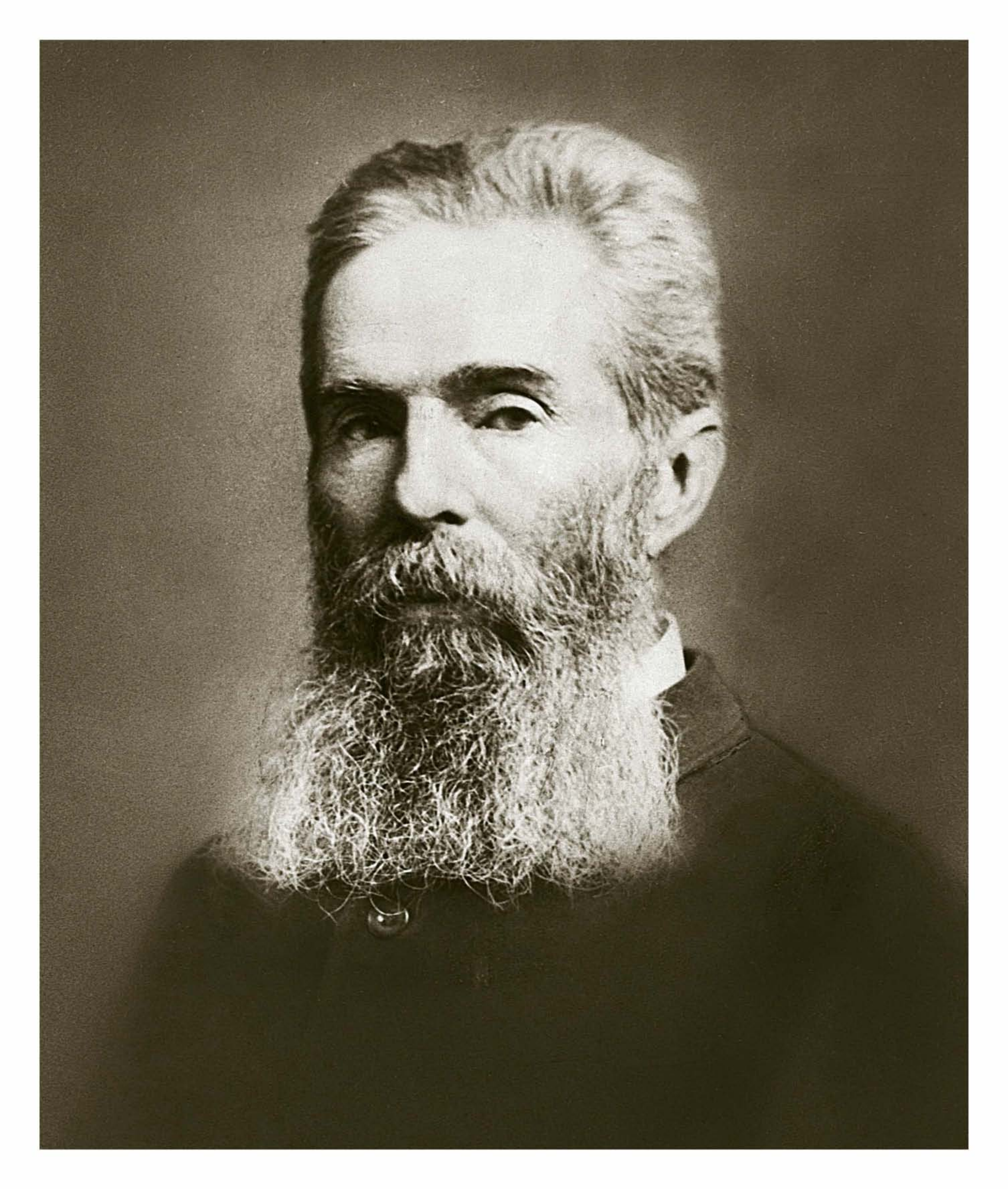
امتدَّ تأثر ملفل الأدبي من ميلتون وبوب ورابليه إلى الكتاب المقدس وشيكسبير. وكتب كلمة «عظيم» على هامش نسخة من مسرحية الملك لير، مُظهرا ابتهاجه بما وجده في أعمال شاعر آفون. وظهر تأثير شيكسبير في موبي ديك من خلال المونولوجات والتوجيهات المسرحية والمقتطفات المأخوذة من مسرحياته. عمل ملفل على جعل بطل قصته، الرئيس المستبد القبطان إيهاب، على غرار البطل الشيكسبيريّ التراجيدي.

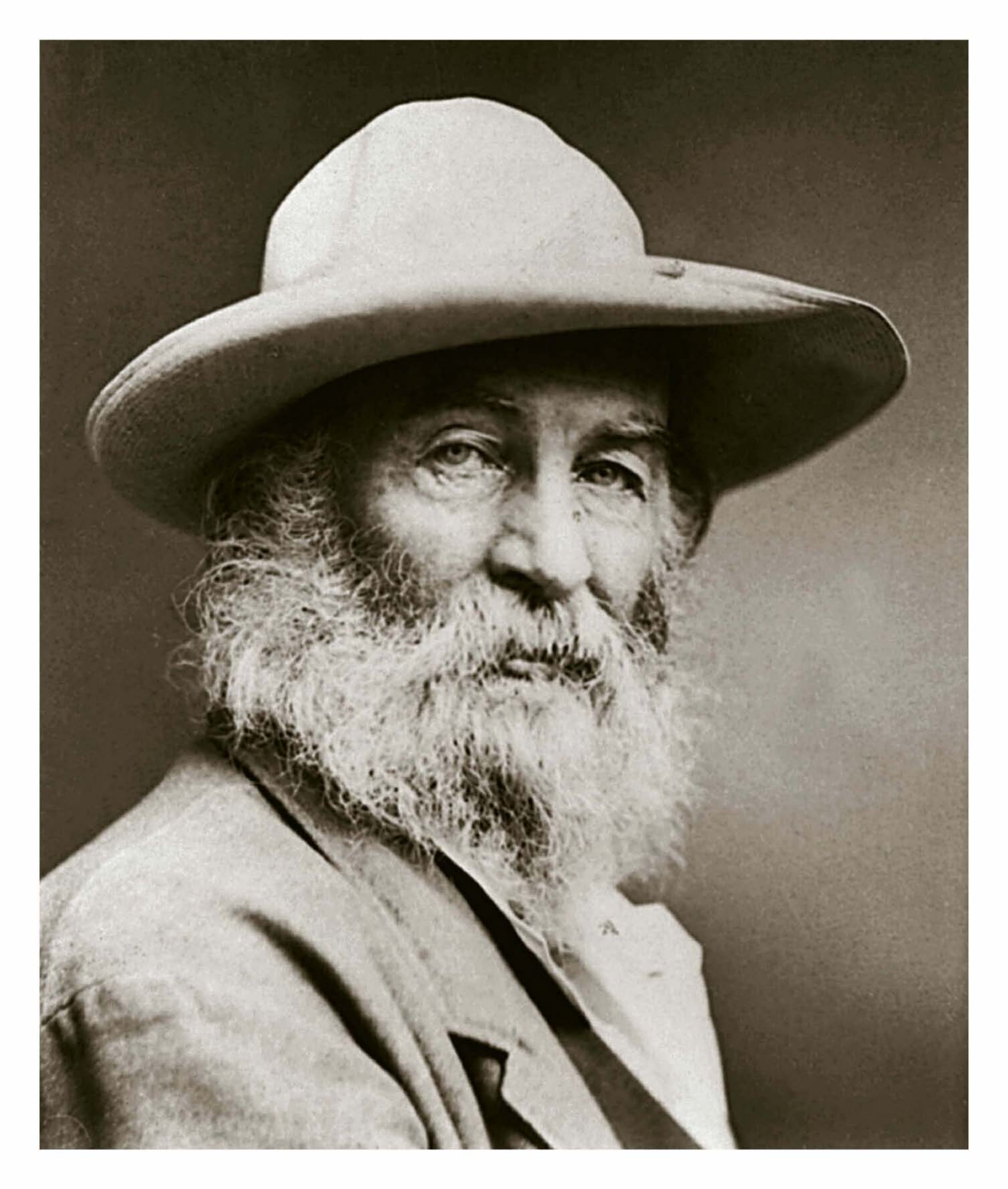


منشور دعائي لفلم موبي ديك، عام ١٩٥٦، بطولة غريغوري بيك بدَوْر آهاب.

> «إنَّ الألفة مع الخطر تجعل الشجاع أكثر شجاعة، لكن أقل جرأة».
>
> **هرمان ملفل - المعطف الأبيض.**

◄ ملفل في أواخر حياته
يُظهر هذا البورتريه بسن السادسة والستين، قبل سنوات فقط من وفاته بنوبة قلبية في الوقت الذي كانت مسيرته تضمحل. نالت رواية موبي ديك الإشادة بعد وفاته.





والت ويتمان

(١٨١٩-١٨٩٢) أمريكي.

أبدع والت ويتمان في «أوراق العشب» ملحمةً ضمت واستعرضت طيف مواضيع متعددة من الحب إلى الحرب، ومن العبودية إلى الديمقراطية. ولم يستخدم الشعر الحر لتقديم صوت بطل عظيم بل صوت شخص أمريكي عادي.

كان ميلاد والت ويتمان -اسمه والتر، لكنه عُرف بوالت لتمييزه عن والده- في ويست هيلز، لونغ آيلاند في عام ١٨١٩، الابن الثاني من بين تسعة أطفال. أمّلَ والت بتحسين ثروة عائلته عبر بناء المنازل، يسكن فيها برهةً، ثم يبيعها مقابل مبلغ مربح، لكن آماله لم تكن ناجحة. ترك ويتمان المدرسة بسن الحادية عشرة ليعمل من أجل زيادة دخل أسرته.

التدريب الافتتاحي

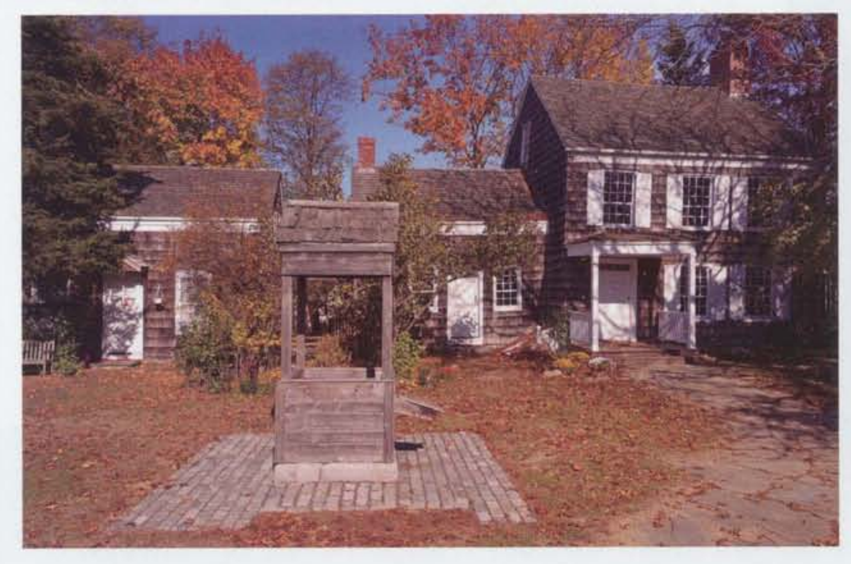
ابتدأ الشاب ويتمان عمله في ميدان الصحافة في صحيفة مدينته The Long Island Patriot، وعمل بعدها طابعًا في بروكلين، حيث طوّر اهتمامه بالأدب وطبع أول أعماله الشعرية. أجبره الانكماش الاقتصادي على مغادرة عائلته في لونغ آيلاند والعمل معلما- المهنة التي أبغضَها. أسس ويتمان في عام ١٨٣٨ صحيفته الأسبوعية الخاصة The long Islander، اجتهد في العمل فيها محررا، وطابعا، وموزعا بنفسه. باع المشروع فيما بعد وغادر إلى مدينة نيويورك حيث شغل وظائف صحفية متنوعة قبل أن يصبح محررا في Brooklyn Eagle عام ١٨٦٤. عُرف هناك بآرائه القوية وغير المعتادة، وطُرد في الأخير لدعمه المناهض للعبودية في حزب نيويورك الديمقراطي، لكون صاحب الصحيفة التي يعمل فيها من زمرة مؤيدة للعبودية.

◄ **ويتمان، ١٨٩٠**

لم يجنِ ويتمان الكثير من الشعبية في بلاده أثناء حياته لكنه يُعدُّ الآن شاعر الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر. واستمرَّ احتفاؤه بالحرية والطبيعة والجسد والروح بالإلهام.

بواكير المنشورات

كان عقد خمسينات القرن التاسع عشر مفصليا أمام ويتمان، فقد نشر كتاباته النثرية، ومن ضمنها الرواية المتسلسلة «حياة ومغامرات جاك إينجل» وكتيب تنمية ذاتية أسماه «الصحة الرجولية والتدريب»، بالإضافة إلى نظمه للشعر. وفي شهر تموز/ يوليو من عام ١٨٥٥، أصدر ديوانه «أوراق العشب» الذي ضم اثنتي عشرة قصيدة استمر في تنقيحها والإضافة إليها خلال حياته،



▲ **مسقط رأس ويتمان**

وُلد ويتمان وترعرع في سني حياته الأربع الأولى في هذا المنزل المتواضع داخل مزرعة في لونغ آيلاند قبل أن تنتقل أسرته إلى بروكلين بحثًا عن فرص حياة جديدة.

ودفع ويتمان المال من أجل نشر الطبعة الأولى. كان ديوانه الصغير ليبدو غير اعتيادي للقارئ المعاصر: لم يضع اسم الكاتب في واجهة الديوان، وكانت القصائد غير معنونة. لكنها باتت تُعدُّ اليوم كلاسيكية، ومن ضمن تلك القصائد: «أغني للجسد المحموم»، و«أغنية نفسي»، و«النائمون». كان ديوان «أوراق العشب» ثوريا، وذلك لحجم قصائده الطويلة غير المقفاة، ولسطورٍ من الشعر الحر التي لم تكن تشبه أي شيء قرأه الناس من قبل حينئذ. اعتقد العديد بأنه غير شعري، ووجدوا

رمزية العشب

كان العشب لويتمان رمزا بمعانٍ عدّة، إذ مثّل -بنموّه في كل مكان، العالمية، ورمزا للطبيعة، والتجدد، والخلود، ودورة الحياة. دُعيت مجموعة من قصائد الحب في ملحمته الشعرية «أوراق العشب» بـ كالاموس، اسم نوع معّين من العشب، وكذلك أكروس كالاموس أو عود الوَجّ. كان «كالاموس» أيضا اسم شاب إغريقي ميثولوجي وقع في غرام ذكر آخر، وغرِقَ في الماء، ليُمنحَ حياة جديدة في هيئة قصب الماء، ووفقا للعديد من القرّاء فإن كالاموس تمثّل الحب بين رجلين الذي احتفت به قصائد ويتمان.



عود الوَجّ، أكروس كالاموس

ُولدت هنا لأبوين ُولدا هنا، أبواهما ذات الشيء، وأبواهما ذات الشيء.

ويتمان - أغنية نفسي.

«تُعبِّرُ عنكَ بقدر ما تُعبِّرُ عني... أؤدّي كأني لسانكَ»

ويتمان - أغنية نفسي.

الفلسفة المتعالية

يُصنَّف ويتمان غالبا أنه سليل الفلسفة المتعالية؛ الحركة التي ظهرت في بواكير القرن التاسع عشر وشددت على الخير الفطري للكائنات البشرية والطبيعة، وعلى أهمية القيم «الأمريكية» كالبديهة والاعتماد على الذات. لم تُلقِ الفلسفة المتعالية بالاً للقيم التراثية للمجتمع والأديان المؤسساتية، وركّزت على الرؤى التطلعية للفردانية. كان لهذه الحركة أتباع بارزون، من بينهم رالف والدو إيمرسون، وهنري ديفد ثورو. وكان ويتمان قد كتب ديوان أوراق العشب استجابة لمقالة إيمرسون التي طلب فيها من شاعر جديد أن يكتب عن الوطن «الجديد» أمريكا وخصاله الفريدة.



كاتب المقال الأمريكي، رالف والدو إيمرسون، ١٨٧٠.

أوصافه للملذات الشهوانية فاحشة. نال الديوان المديح الرفيع من أقرانه، من بينهم رالف والدو إيمرسون الذي كان واحدًا من أبرز الكتّاب المعاصرين في جيله، والذي كتب إلى ويتمان قائلا: «أحييك على بداية مسيرة عظيمة».

شعر الحرب

عندما بدأت الحرب، كان ويتمان ديمقراطيا، ومناهضا لعقوبة الإعدام، وداعما للوحدة الأمريكية. جُرح أخوه- جورج- في معركة، ما اضطر ويتمان للارتحال إلى العاصمة المحمومة واشنطن للعثور عليه. متأثرا بالمعاناة الرهيبة التي شهدها في المستشفيات العسكرية الميدانية؛ بقي ويتمان في المدينة لمساعدة الجنود الجرحى، ودعّم نفسه في أثناء ذلك بالعمل كاتبا. ألهمت هذه الأحداث ويتمان لكتابة مجموعة من قصائد الحرب التي نُشرت في عام ١٨٦٥ في ديوان «قرع الطبل»، ومما يحسب لويتمان في هذا الديوان أنه على الرغم من كونه صحفيًا فإنه لم يدون أحداث الحرب كأي مراسل صحفي اعتيادي، بل وثّق بدلا من ذلك افتخار ووحشية ومأساة «الحرب» في قصائده التي ظهرت في ديوانه «قرع الطبل». شمل هذا الديوان ردود فعله تجاه هذا الصراع؛ من الحماسة الساذجة إلى الريب منه، ثم إلى التعاطف مع ضحايا الحرب.

بعد نهاية الحرب، كتب القصائد عن موت إبراهام لينكولن، مثل «أيها القائد، قائدي» التي كانت أشهر قصائد ويتمان في حياته، وكذلك قصيدته العاطفية «عندما تدوم الزنابق في الحديقة الغنّاء».

ملحمة متطورة

استمر ويتمان طوال كل هذه المدة في تنقيح ديوان «أوراق العشب»، فكان يعيد ترتيبه، ويضيف قصائد جديدة، ويدمجها بأخرى نُشرت في ديوان «قرع الطبل». تبع ذلك صدور طبعات متعددة، وهكذا، أصبح الديوان الذي ابتدأ باثنتي عشرة قصيدة يضم في النهاية ٣٨٣ قصيدة.

توسّع الديوان بطريقة سمحت لويتمان باستعراض مواضيع متعددة بإيجاز؛ كالتعليم، والديمقراطية، والعبودية، والتغير الاجتماعي، والعمل، والحب، والطبيعة الأمريكية، والولايات المتحدة الأمريكية نفسها. ولحجم الديوان الكبير، فقد سُمي بالملحمة الأمريكية، لكنها ملحمة لم تشبه أيًا من سابقاتها، إذ كانت تخلو من وجود بطل نبيل، ودارت حول مواطن أمريكي عادي، ويتمان نفسه، والذي جسدت خبراته، وقيمه، ومعتقداته، أفكار كل مواطني البلد أولئك.

إن كان تنوّع مرجعية الديوان الكبير ثوريا، فإن أسلوبه كان ثوريا هو الآخر، إذ امتازت العديد من سطور ويتمان الشعرية الطويلة بقوافٍ حرة، وكانت متنوعة في الطول والوزن الشعري، ومغايرة لأنماط الشعر التقليدية. وعلى الرغم من ذلك، فقد كان إلهام الشاعر يأتي من مصدر تراثي؛ الكتاب المقدس، والذي استعار منه تراكيبه اللغوية وقوافيه. كان لديوان «أوراق العشب» بعضٌ من خصائص الكتاب المقدس، فكان يضم الفهارس



▲ **ويتمان ودويل**

كوّن ويتمان في واشنطن دي سي علاقة مقرَّبة، وربما عاطفية، مع بيتر دويلي، مشغِّل عربة ترام.

واللوائح، وغالبا ما يستخدم كلماتٍ مكررة. كان لويتمان شغف خاص بالنوع البلاغي الذي يعرف بـ «الجناس». والذي تبدأ فيه الجملة أو البيت الشعري بالعبارة نفسها (كالأبيات التي تبدأ بـ «خارج» و «وكل يوم» في قصيدة «خارج مهدٍ غير مُنتهي التأرجح». ساعدت هذه الأساليب الأدبية في منح شعره أسلوبا خطابيا نبيلًا.

الجنس والاستهجان

سببت إحدى جوانب ديوان «أوراق العشب»

أبرز أعماله:

- **١٨٤٢** فرانكلين إيفانز: حكاية شاب في نيويورك يستسلم لإغواء السُكر.
- **١٨٥٥** أوراق العشب: نُشرت هذه الطبعة في ثمانمائة نسخة فحسب.
- **١٨٦٠** الطبعة الثالثة من أوراق العشب: جذبت هذه الطبعة الانتباه العام لمعالجتها موضوع الحب والعلاقات بين الذكور.
- **١٨٦٥** قرع الطبل: أستلهم ويتمان هذا العمل من تجربته في تمريض الجنود الجرحى في الحرب الأهليّة الأمريكيّة.
- **١٨٧١** الآفاق الديمقراطيّة: علّق ويتمان في هذا الكتاب على سياسات ما بعد الحرب وصعود الماديّة في الولايات المتحدة الأمريكية.
- **١٨٩٢** الطبعة الأخيرة من أوراق العشب: أكمل ويتمان هذه الطبعة عندما كان يعاني من أمراض الرئة والكلى.

جدلا على نحو خاص، ألا وهو تناول الشاعر لمواضيع الحب والجنس. من ذلك مثلا أن ويتمان كتب صراحة عن الدعارة، وهذا موضوع لم يكن يُناقش وقتها في الدوائر المرموقة. وجد الناس كذلك كتابة الشاعر عن العلاقات بين الذكور إشكالية، إذ أسهب في كتابته عن «المصادقة» والمودّة بين الرجال، وتناولهما بعمق، وتساءل بعض القراء فيما لو كانت تلك إشارات وُضعت على استحياء لحب مثلي. لفّت حياة الشاعر الشخصية كذلك بعض الغموض، إذ كان يتمتّع بالعديد من الصداقات الحميميّة المقربة مع الرجال، لكن لم يعرف ما إذا كان يتخلّلها علاقات جنسية. وعندما سُئل ويتمان عن هذه الجوانب المحددة في أعماله، أجاب بأنه كان مذعورا من أن ينظر إليها بأنها مثلية. لكن القراء لم يتقبّلوا إنكاره، واعترى الشكّ العديد من الناشرين كذلك، فطبعة «أوراق العشب» التي أمَلَ ويتمان أن تخرجَ إلى النور في عام ١٨٦٦ لم تطبع، واضطر ويتمان للانتظار حتى عثر على ناشر كان مستعدا لنشرها بعد ذلك بعام.



◄ الطبعة الأولى

لم تحمل الطبعة الأولى من ديوان أوراق العشب اسم المؤلف ويتمان، وبدلا عنها امتازت ببورتريه شاعر مهاجم معتقدات الآخرين بتعمّد.

تنقيحات نهائية

في بواكير العقد السابع من القرن التاسع عشر، كان ويتمان يدبّج كتاباته، ويعمل في مكتب المدعي العام في واشنطن، ويعتني بأمه المسنة التي كانت تعاني من التهاب المفاصل. تعرض الشاعر نفسه لسكتة دماغية في عام ١٨٧٣، وانتقل إلى منزل أخيه في كامدن بنيو جيرسي. ماتت أمهما في السنة التالية، وبقي ويتمان عند أخيه ينقّح ديوانه العظيم، وينتج كتابات أُخرى من ضمنها «مذكرات خلال الحرب وأمثلة من أيامها». قضى الشاعر سنواته الأخيرة -منذ عام ١٨٨٤ وما بعدها- في منزله الخاص في كامدن، وفي المسكن الصيفي في لوريل سبرينغ، جنوبي نيو جيرسي. وجد هناك الطمأنينة، وسكن مع مدبرة منزله -جارته السابقة- ماري أواكيس ديفيد، وعمل على النسخة النهائية من «أوراق العشب»، والتي تعرف اليوم بطبعة «فراش الموت»، حيث أنهاها قبل موته بمرض السل وداء ذات الجنب في عام ١٨٩٢.

▼ وثائق الحرب

تُظهر هذه اللوحة التاريخية التي رسمها أولي بيتر هانسن بالنغ الجنرالَ عوليس غرانت الذي قاد جيش الاتحاد للنصر على الكونفدرالية. وعلى الرغم من عمل ويتمان مراسلًا فإنه لم يكتب التقارير عن الحرب الأهلية بصيغة مراسلات صحيفة نظامية. وبدلًا من ذلك فقد وثق زهو ووحشية ومأساة الحرب في قصائده. والتي ظهرت معا في ديوان قرع الطبل.

شارل بودلير

(١٨٢١-١٨٦٧) فرنسي.

واحد من أعظم الشعراء الفرنسيين في القرن التاسع عشر الذي أثار ديوانه الشهير «أزهار الشر» موجة غضب، لكن ينظر إليه في عصرنا على أنه تحفة أدبية شكّلت جسرا بين الرومانسية والرمزية.



▲ **ميناء لويس، موريشيوس**
التقى بودلير أثناء إقامته في جزر المحيط الهندي بعاهرة تعمل من أجل إنقاذ أختها من العبودية. وألهمته كتابة قصيدته النثرية «La Belle Dorothee»

يمكن أن تُعزى جذور العديد من أكثر قصائد بودلير جدلية إلى نشأته المضطربة. ولد بودلير في باريس، وكان الابن الوحيد لأب مسن وأم في ريعان الشباب. كان والده فرانسيس رجلا متعلما وموظفا مدنيا، لكنه مات وبودلير لم يتجاوز السادسة من عمره. لذا فقد تعلّق بودلير بأمه بشدة، والتي سرعان ما تزوجت مجددا في عام ١٨٢٨. امتلك زوجها الجديد، المقدم جاكويز أوبك، سيرة مهنية متميزة انتهت بتوليه منصب سفير فرنسا في إسبانيا وتركيا، ولم يقضِ الكثير من الوقت مع ابن زوجته. أُرسِل الولد بعدها إلى سلسلة من المدارس الداخلية وأُعدَّ خصيصا لمهنة القانون. عبّر بودلير عن امتعاضه المرير جراء انفصاله عن والدته، وكان كثير التذمّر من وحدته وعزلته.

الخلاف العائلي

اكتسب بودلير بعد مدة يسيرة سمة تمردية، وطُرد من مدرسته في ليون على الرغم من تفوقه الأكاديمي. واستجابةً لرغبة ذويه، أصبح طالبَ قانون في باريس، لكنّه غرق بعد مدة في أسلوب حياة بوهيمي، فأخذ يحتسى الخمر، ويعاشر بائعات الهوى -أُصيب بمرض الزهري الذي ظل يعاني من تأثيره لبقية حياته- ويبدّد المال على نحو مثير للقلق. أرسله «أوبك» في عام ١٨٤١ في رحلة مدة سنة على متن سفينة إلى الهند، آملًا أن يحظى بالاتّزان. لكن الخطوة باءت بالفشل، ونزل بودلير من السفينة في جزيرة موريشيوس في المحيط الهندي، وعاد إلى باريس بعد شهور قلائل. ألهمته مدة مكوثه القليلة في موريشيوس الخيالَ البحري الغريب الذي نراه في بعض أشعاره، لكن هذه الخبرات لم تغير شيئا في سلوكيّاته. وبعد عودته، دخل في علاقة غرامية مع جين دوفال، وهي علاقة علمَ تمام العلم أنها

> كُسيَت أزهار الشر بجمال مُذنب وبارد: لقد كُتبت بسخط وصبر.
>
> **تشارلز بودلير.**

جاين دوفال

كانت دوفال عشيقة لشارل بودلير مدة طويلة، وألهمته كتابة إحدى دورات القصائد في ديوان أزهار الشر. ولدت دوفال في هايتي وأصبحت ممثلة وراقصة بعد وصولها إلى فرنسا. التقى العاشقان في عام ١٨٤٢ وشرعا في علاقة عاصفة امتدت عشرين عاما، تخللتها انفصالات وتصالحات. كانت دوفال هجينة العِرق -وصفها بودلير بـ«فينوس السوداء» واحتوت العديد من أشعاره إشارات إلى طبيعتها الغريبة وجمالها الأخّاذ. أصبحت دوفال محور خياله الإيروتيكي، واحتفت كتاباته بـ«أفخاذها الأبنوسية» و«عينيها السوداوين الشبيهتين بمداخن روحها» وشعرها المسترسل الفاحم.



جاين دوفال، برسم شارل بودلير.

◄ **بودلير، ١٨٦٦**
تُظهر هذه الصورة الملونة المأخوذة من إيتيني كارجيت الشاعرَ في أواخر حياته. قعد بودلير لأخذ هذه الصورة رغم أنّه صرّح بأن التصوير كان «الملجأ الأخير لكل من يرغب أن يصبحَ رسّامًا، لكلّ رسّام عليل الموهبة أو متكاسل لإكمال دراسته».





▲ **فندق بيمودان، باريس**

يضم هذا المبنى الشقةَ التي امتلكها بودلير وكانت مُلتقى نادي الحشاشين في إيلي سانت-لويس. جمعَ نادي الحشاشين ألكسندر دوماس، وأوجين ديلاكوا، ودكتور يعقوب-يوسف مور، الذي التقوا بانتظام في أواخر أربعينات القرن التاسع عشر وتشاركوا تجارب تعاطي المخدرات.

لن تنال موافقة عائلته أبدا، وشرع بتعاطي مخدرات القنب والأفيون، واستأجر شَقة في فندق بيمودان، حيث كانت تعقد لقاءات نادي «الحشّاشين» الشهير، وسرد تجاربه بعدها في كتابي «في الخمر والحشيش (١٨٥١)» و«الفراديس المصطنعة (١٨٦٠)». أعلن أيضا أنه لم تعد له نية في إكمال دراسته للقانون، لكنه سيواصل السعي في مشواره الأدبي.

اتخذت عائلته رد فعل صارم. كان بودلير قد ورث وهو بسن الحادية والعشرين إرثا كبيرا من والده، لكنه كان يتضاءل بسرعة، ما جعل «أوبك» يضع المال في صندوق ائتمان، ويسمح له بالحصول على مبلغ متواضع يُدار عبر محامٍ. غيّر هذا أسلوب حياته، وعاش حتى نهاية مسيرته الأدبية على حافة الفقر، ومنبوذا من عائلته. وبصرف النظر عن المال، فقد هاله حقيقة أن شؤونه تُدار على يد غرباء. كان بودلير يعاني في علاقته مع أمه، والتي لم تتحسن إلا بعد وفاة أوبك عام ١٨٥٧.

أعمال فضائحية

فعلت القيود المادية فعلتها ببودلير ودفعته إلى حلبة الحدث. لم يتمكن من جني المال للعيش بكتابة الشعر، لذا بدأ بالعمل ناقدًا فنيًا. بَنت له مراجعته في الصالون -معرض الفن الرسمي في باريس- سمعته في هذا الميدان، لكنه لم يستطع أن يحصر اهتماماته في الرسم. كتب على نحو موسع في الموسيقى، وكان أحد الأوائل الذين دافعوا عن عمل ريتشارد فاجنر، ونمّى افتتانه بكتابات إدغار آلان بو (١٨٠٩-١٨٤٩). شعر بودلير بصلة قوية مع المؤلف الأمريكي، والذي عانى من ظروف مالية وصراعات عائلية شبيهة. وقدّم بودلير دراسة ذاتية عن آلان بو في عام ١٨٥٢، أتبعها بترجمة قصصه، والتي بدأت بالظهور في عام ١٨٥٦. في هذه المرحلة، كان بودلير قد أتمّ كتابة عمل له -روايته القصيرة La fanfarlo- ومستمرا في تشييد صيته شاعرًا. كان رأيه الأولي صادما، إذ أعلن أنه كان سيطلق على مجموعته الأولى «السحاقيات»، لكنه فكّر لاحقا في عنوانٍ أفضل. مع ذلك، وعندما نُشرت الطبعة الرسمية الأولى من عمله «أزهار الشر» في عام ١٨٥٧، كانت الصدمة هي ردة الفعل العامة السائدة، وصادرت السلطات الكتاب، واتُّهِم بودلير والناشر بالبذاءة والفجور. ونتيجة لذلك، غُرِّم الاثنان وحذفت ستُّ قصائد لمحتواها الجنسي. لم تؤذِ هذه الفضيحة الشاعر إطلاقا، بل على العكس، أكسبته مكانة شهيرة، وزادت مبيعات الكتاب.

أُلِّفت قصائد ديوان «أزهار الشر» في مدة زمنية طويلة، إذ كان من طبيعة بودلير العبث بنظم أشعاره على مدار سنوات. يعود تاريخ بعض قصائده إلى العقد الخامس من القرن التاسع عشر، ونُشرت طبعة موسعة في عام ١٨٦١. كانت المجموعة الشعرية مميزة لنغمتها، ومحتواها، وصورها. ولم يبحث بودلير عن

▲ **الخردوات، ١٨٦٦**

غلاف مجموعة بودلير «الخردوات» التي نُقشت من فيليسين روبز. يرمز الهيكل العظمي إلى شجرة الخير والشر، وفي الأعلى، صورة بودلير محمولًا بعيدًا على ظهر طائر الكمير الخرافي. وهي آخر مجموعة أنتجها الشاعر.

أبرز أعماله:

- **١٨٤٧** — La Fanfarlo: استكشفت نوفيلا شبه السيرة الذاتية فشل علاقة غرامية بين شاعر وممثلة «لا فانفارلو».
- **١٨٥٧** — أزهار الشر: صدمت هذه الطبعة السلطات، وأدت إلى محاكمة المؤلف. ونشرت منها طبعة منقحة في عام ١٩٦١.
- **١٨٦٠** — الفراديس المصطنعة: وصف بودلير في هذا العمل تأثيرات الخمر والحشيش التي جرَّبها في نادي الحشاشين.
- **١٩٦٣** — رسام الحياة العصرية: أشهر دراسة لبودلير عن الفن، وتضمَّنت تحليلات عن الجمال.
- **١٨٦٩** — Le Spleen de Paris: هدفت هذه المجموعة المؤلفة من خمسين قصيدة نثرية إلى الاحتفاء بجمال حياة المدينة العصرية.

«الحداثةُ هي الوقتيَّةُ، اللحظةُ العابرةُ، المصادفة»

شارل بودلير - رسام الحياة العصرية.

«أزهاره» -التي مثلت إحساسه بالجمال- في الطبيعة بل في «الشر» الذي مثّل الحقيقة التافهة لحياتنا اليومية. يمكن أن يوجد في سخام الحياة المدنية الحديثة أو في الحقيقة المتعرقة للشهوة الحيوانية. يمكن أن يكون مقتطفا كذلك من الخيال، والملل، والجزع.

شعر الحواس

أُشيدَ ببودلير على أنه واحد من أوائل الشعراء الحداثيين الحقيقيين. ونبعت هذه الإشادة من النبرة الاعترافية والشخصيَّة الرفيعة لكتاباته، والتي تُقرأ بعض الأحيان كما تقرأ صفحات اليوميات. فلم تكن هناك أي محاولة للتستر على الأفكار أو المشاعر المُخجلة، كما في قصيدة «إليها تلك المفُرطة في الشذوذ»، حيث يبتدئ الشاعر فيها بتشبيه وجه محبوبته بالأفق الجميل وضحكتها بالنسيم اللعوب، بأبيات شعرية معدودة، ليستعرض بعدها رغبته بالزحف إلى غرفتها ليلا ومعاقبة جسدها المثالي وإرشافها سمَّه الزعاف. كانت صور بودلير غنيّة جدا ومثيرة للذكريات والعواطف. ولبودلير خيالية غنيّة ذات تداعٍ ذكرياتي، ووضّح هذه النظرية في قصيدته «المراسلات» التي نُظمت على نحو فضفاض على أفكار الفيلسوف إيمانويل سويدنبورغ. وكتب فيها بأن الطبيعة تحتوي:

غابة من الرموز/ تتطلع إلى [رجل] بأعين الإدراك/ ومثل الصدى الطويل تتلاشى في البعد

تمثل أشياء كـ «العطر، والأصوات، وانسجام الألوان» لدى بودلير تجربته المباشرة مع تزامن الأحاسيس، فقد يستحضر عطرٌ نفّاذ خصلاتِ شعرٍ، ويمنح لونٌ فاقعٌ أو أغنيةٌ جميلة شِعرَه قوته الحسيّة. ومن الممكن أن تكون هذه الترابطات الخيالية قد ألهمت الرمزيين. عدَّ جيلُ الشعراء الشباب (رامبو، ومالارميه، وفرلان) بودليرَ عبقريا.

أمنيات أم

ازداد تركيز بودلير بعد نشر الطبعة الثانية من ديوان «أزهار الشر» على كتابة القصائد النثرية. وضيّق الاعتلال الصحي والمشاكل المالية على سنوات بودلير الأخيرة. شرع في عام ١٨٦٤ في رحلة سياحية-علمية مشؤومة في بلجيكا، حيث عانى من سكتة دماغية. لم يشفَ بودلير منها قط ومات في شهر آب/ أغسطس من عام ١٨٦٧ بين ذراعي أمه، التي ندمت على عدم اتباع بودلير مخططات أوبك. صحيح أنه لم يكن ليحظى بترك بصمته في العالم الأدبي؛ اعترفت والدته، لكن «كان بوسعنا أن نكون نحن الثلاثة أسعدَ».

AU POÈTE IMPECCABLE
AU PARFAIT MAGICIEN ÈS LANGUE FRANÇAISE
A MON TRÈS-CHER ET TRÈS-VÉNÉRÉ
MAÎTRE ET AMI
THÉOPHILE GAUTIER
AVEC LES SENTIMENTS
DE LA PLUS PROFONDE HUMILITÉ
JE DÉDIE
CES FLEURS MALADIVES
C. B.

▲ **أزهار الشر**

تُظهر هذه الصورة تصحيحات شارل بودلير على صفحة الإهداء لديوانه أزهار الشر، الذي أهداه لرفيقه الشاعر وصديقه ثيوفيل غوتيه.

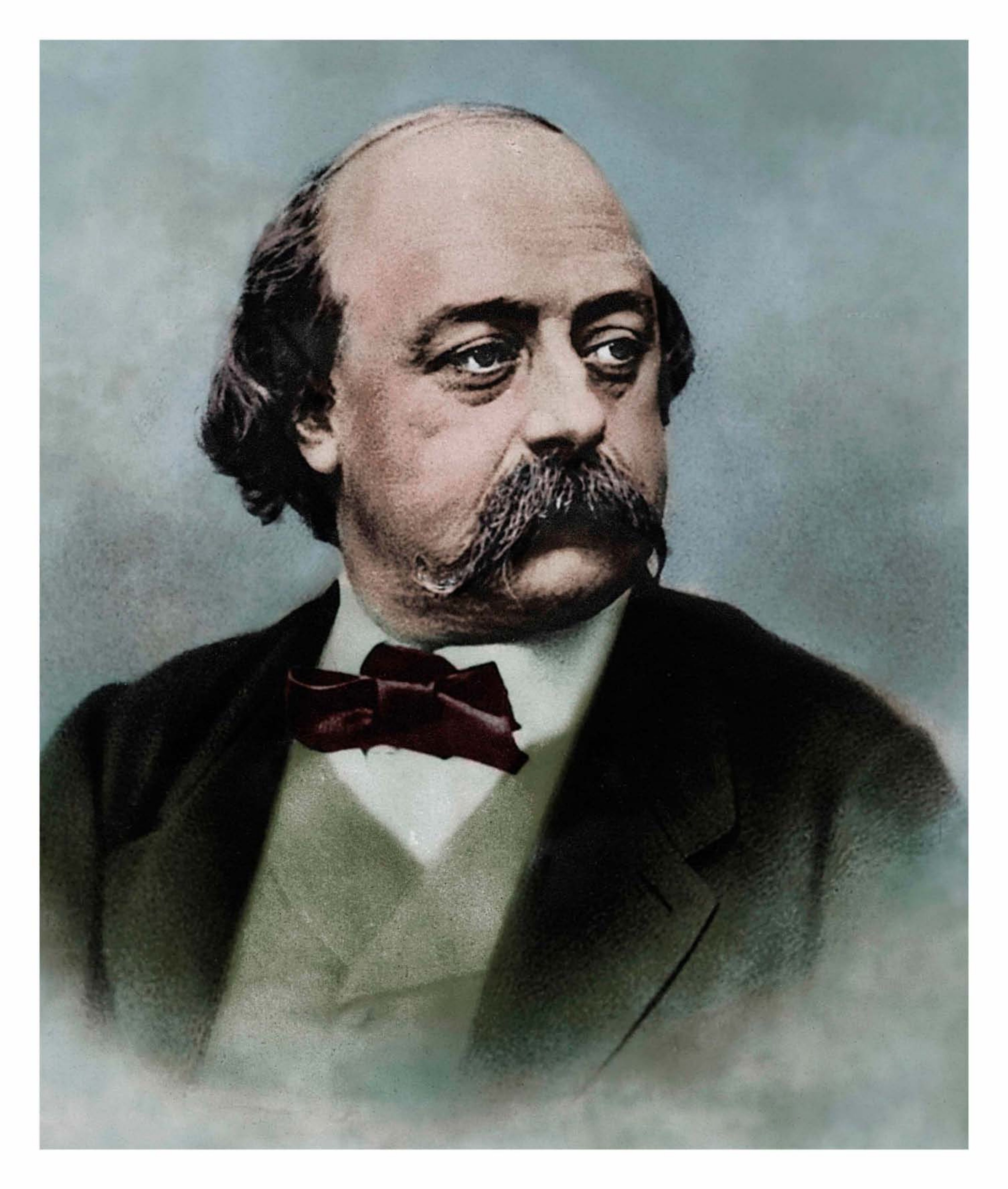
الفن، والنقد الفني والشعري

امتلك بودلير -وقبل مدة طويلة من أن يُعدَّ نفسه شاعرا- سمعة في مجال النقد الفني نظرا لبراعته النقدية في هذا المجال، ودوّن العديد من المراجعات في الصالون -المعرض الفني الشهير الذي يعقد سنويا في باريس-، وكتب دراسات مفصلة لبعض فنّانيه المفضّلين.

حدد بودلير في هذه الكتابات الفنية القيم الأخلاقية والأفكار الجمالية التي انعكست بعد وقت قصير في أشعاره. وعدَّ في البداية الرسام الرومانسي أوجيني ديلاريو إنموذجا يحتذى به لكنه كالَ أعظم مديحه لفنانين أمثال قسطنطين غايز وإدوارد ماني (الذي أصبح صديقا عظيما) والذي قبض على جوهر «البطولة في حياة المدينة العصرية».



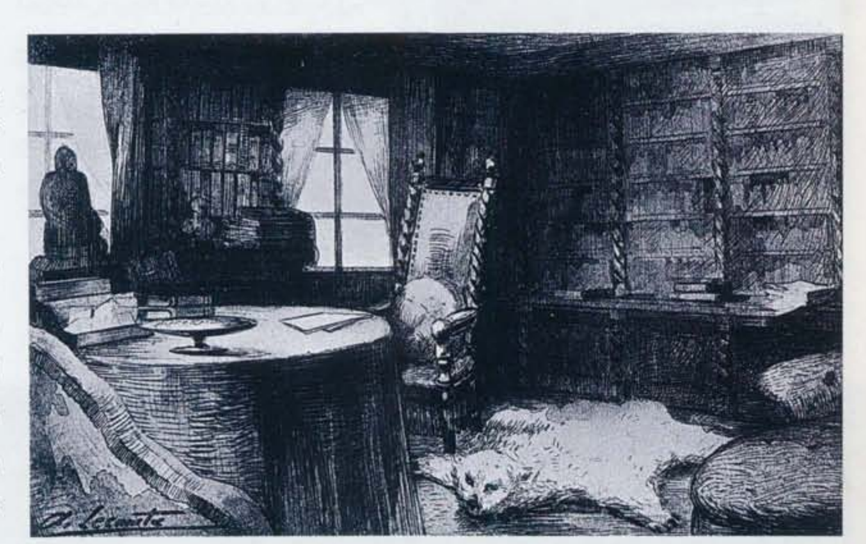
موسيقى حدائق توليري، إدوارد ماني، ١٨٦٢.



غوستاف فلوبير

(١٨٢١-١٨٨٠) فرنسي.

عُرف فلوبير، أحدُ أعظم رواد الرواية الحديثة، بالمثالية الدقيقة في أسلوبه، وصدمَ الجمهور الفرنسي بالانحراف الأخلاقي المُتَصوّر في روايته مدام بوفاري.



مكتب كروسيه

يظهر هذا الرسم في عام ١٨٧٠ مكتب فلوبير في مدينة كروسيه. وهنا كان المؤلف يعمل بجدٍّ -ثلثا الليل- بحثًا عن الكلمة المناسبة تماما.

ولد غوستاف فلوبير في مدينة روين، ابنًا لجراح بارز ومدير مستشفى يدعى «آخيل سليوفاس». كان لثروة عائلته الأثر الجليّ في تحديد مسيرته، إذ منحته التأمين المادي الذي مكنه من قضاء وقتٍ طويلٍ جدا في تنقيح أسلوب كتابته وجعله مثاليا.

قصد فلوبير مدرسة داخلية في روين، وعلى الرغم من إدارتها الصارمة ذات الانضباط العسكري، فقد زودته بخلفية ممتازة في التاريخ والأدب،

غوستاف فلوبير

كان غوستاف رجلًا متحفِّظًا ومشهورًا بتشاؤمه. لم يجرِ أيَّ مقابلات، ومنع نشر صوره الفوتوغرافية. تُظهر هذه الصورة فلوبير بسمته المميزة- شاربه المتدلي على جانبي فمه.

واشترك هناك في صحيفة المدرسة، فأنتج عددا من القطع الأدبية التي كانت في معظمها ذات طبيعةٍ تاريخية.

أُرسل فلوبير بسنِّ التاسعة عشرة إلى باريس لدارسة القانون، المادة التي نالت النزر اليسير من حماسته. وهكذا، لم يُحبط كثيرا عندما منحه مرضه -يعتقد بأنّه أحد أشكال الصّرع- عذرا لترك الفصل الدراسي. عانى فلوبير من نوبات الصّرع في مُددٍ مختلفة على مدار حياته.

المنزل في كروسيه

عاد فلوبير بعد تركه دراسته إلى منزله في روين حيث استقر حتى وفاته. لكنه فُجع في عام ١٨٤٦ بمصيبتين؛ الأولى وفاة والده، والثانية وفاة أخته كارولين بعد ذلك بمدّة قصيرة أثناء الوضع. ورث فلوبير إرثا كبيرا، وانتقل مع أمّه وابنة أخته الرضيعة إلى كروسيه، قرية في ضاحية روين. أنتج الكثير من كتاباته في المنزل الصيفي المُطلّ على نهر السين، والتقى في السّنةِ ذاتها بالكاتبة لويزه كولي التي أصبحت عشيقته.

الرومانسية والواقعية

لم يكن فلوبير قد نشر أيّ شيءٍ بعد، لكن كان لديه أفكارٌ صارمة حول التوجه الذي يتعيّن عليه أن يسلُكه في كتاباته. لم يكن يحبّذ القيم البرجوازية، وكان معارضًا لرومانسية عصره. لقد سعى من أجل وصف الحياة اليومية بدقّة واضحة غير مزيّنة، وبإسلوب نثريّ «موضوعي»؛ الأسلوب الذي جعله يتربع في النهاية على عرش روّاد الواقعية الأدبية، بيد أنّ هذا لا يعني أن بعض أعماله لم تكتَسِ ببعضِ السّمات الرومانسية. كان لديه مثلا ميل نحو الغرائبيّة نجده في روايته «سلامبو» التي تقع أحداثها في مدينة قرطاجة العريقة، وفي عمله «هيروديا» الذي ضم تفسيره الشخصي لقصة «سالومي» في الكتاب المقدس.

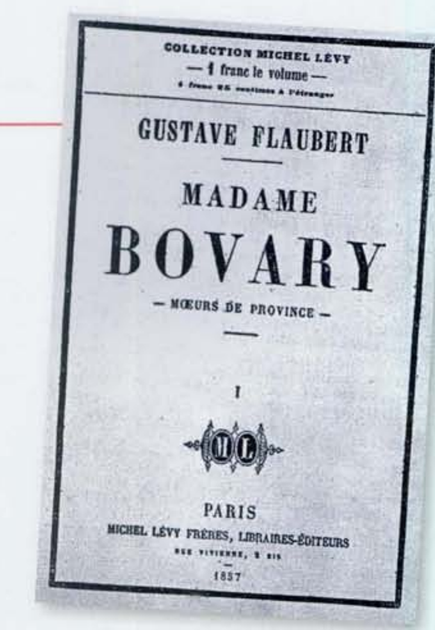
لويزه كولي

التقى فلوبير لويزه كولي (١٨١٠- ١٨٧٦) في صالون النحات جيمس برادير الذي كان مفوّضا لنحت تمثال نصفي لأخت فلوبير. كانت كولي تكبُر فلوبير بأحد عشر عامًا، وخارجة من زواج فاشل، إضافة إلى كونها عضوةً لامعة في المجتمع الأدبي الفرنسي، وشاعرة لها أعمال منشورة، ونالت عديد الجوائز من الأكاديمية الفرنسية. أصبحت لويزه شاعرة فلوبير وعشيقته، وواحدة من المصادر الرئيسة لشخصية إيما بوفاري. كشفت المراسلات بين العاشقين جزء كبيرا عن فلوبير وأفكاره وتقنياته التي وظّفها عند كتابة مدام بوفاري. أنهى فلوبير العلاقة في النهاية، وثأرت لويزه لنفسها بكتابة رواية قاسية عنه تدعى «لوي Lui» سنة ١٨٥٩.



لويزه كولي

> أنا صيّاد اللؤلؤ الصابر والمغمور الذي يغوص في الأعماق، ويخرج خالي الوفاض والزُّرقةُ في وجهه.
>
> **غوستاف فلوبير.**



COLLECTION MICHEL LÉVY
— 1 franc le volume —
1 franc 25 centimes à l'étranger

GUSTAVE FLAUBERT

MADAME
BOVARY

— MŒURS DE PROVINCE —

I

PARIS
MICHEL LÉVY FRÈRES, LIBRAIRES-ÉDITEURS
RUE VIVIENNE, 2 BIS
1857

▲ **مدام بوفاري، الطبعة الأولى**
رفع فلوبير الحجاب في روايته مدام بوفاري عن أجود أسلوب نثري في القرن التاسع عشر. وكتب «ينبغي أن تكون الجملة الجيدة في النثر مثل السطر الجيد في الشعر؛ غير قابلة للاستبدال».

تملك المثالية في كل مكان الخصائص نفسها: إنَّها الدقّة والإتقان.

غوستاف فلوبير.

انجذب فولبير إلى الفانتازيا أيضا، ويتجّلى هذا في عمله «غواية القديس أنطونيوس» الذي يضمّ وصفا استثنائيا أشبه ما يكون بالهلوسات للرؤى التي ابتُلي بها هذا القدّيس المسيحي المبكّر. أكمل فلوبير المسوَّدة الأولى من كتابه عام ١٨٤٩ وقرأها، على مدار أربعة أيام، على أقرب أصدقائه، لويس بويلي ومكسيم دو كامب. كان قد طلب منهما الإصغاء دون أي مقاطعة، لكن وبعدما أنهى فلوبير القراءة، نَصَحاه الاثنان برمي مخطوطته في النار. لم يستجب فلوبير لهما، وعمل بدلا من ذلك على النص بتوسّع بعض سنين، مؤديا بحثا دقيقا في مسعاه من أجل الدقّة. وعلى الأرجح أن اهتمامه بالقديس أنطوني -الذي دارت معركته مع الغواية في الصحراء المصرية- كان ما حفّزه لمرافقة صديقه مكسيم دو كامب في حملة تصويرية إلى الشرق الأوسط. وبالمثل، حرص فلوبير على زيارة موقع قرطاجة الأثري بالقرب من تونس، في الوقت الذي كان يخطّط فيه لكتابة روايته سلامبو.

مدام بوفاري

بدأ فلوبير العمل على روايته مدام بوفاري في عام ١٨٥١. أتت فكرة الرواية من مأساة حقيقية كانت قد انتشرت أخبارها، حين زُعزعت حياة زوجين وتدمَّرت بسبب مجموعة وقائع شملت الزنا، والدَّيْن، والانتحار. منحت الرواية كذلك فلوبير الفرصة الكبيرة ليشفي غليله من البرجوازية، إذ فات جيله رؤية انهيار الحكم العتيق في فرنسا، إلا

▼ **ميناء روين، ١٨٧٨**
يصف هذا الرسم لتوريلو أنشيلوتي منظرَ مدينة بيت فلوبير في روين. وألهم تمثال سالومي فوق مدخل كاتدرائية فلوبير عمله هيرودس.



هيروديدي، الأوبرا

تحولت نوفيلا فلوبير «هيرودس» إلى أوبرا من قبل جولي ماسينت. تصدرت صورة الممثلة إيما كلافي، التي كان لها دور البطولة في الأوبرا الفرنسية، غلافة مجلة «المسرح».

أنّه شهد تنامي ثروة الطبقة الوسطى بمادّيتها التافهة وتوقها لنيل الاحترام. تتبّع فلوبير في رواية مدام بوفاري انحدار امرأة مثلّت هذه الطبقة، وهي امرأة أعمتها الرومانسية ودمّرتها قيمها المُضلِّلة.

استغرق فلوبير خمس سنوات في كتابة الرواية، وأخذ نقد أصدقائه لرواية غواية القديس أنطونيوس بعين الاعتبار، فنقّى كتاباته من أي إسرافات رومانسية. تبنى في هذه الرواية تقنية باتت تُعرف الآن بـ «الأسلوب الحر غير المباشر»، التي بقي عبرها بعيدا عن شخصياته ونصّه (حاضرا في كل مكان وغير مرئيٍّ في أي مكان). يبدأ فلوبير بإضفاء الحميمية على انطباعات شخصيّاته بأسلوب غير مباشر، من دون وعظٍ أخلاقي أو إطلاق أحكام بشأنها أو التعليق عليها. شذّب فلوبير لغته كذلك وقلّصها، متجنبا أيّ تحولات بارزة في العبارات أو استعاراتٍ عالية المستوى. كان يَزِن جُملته بعناية كما لو كانت بيتًا شعريا، ويقرأ نصه بعدها بصوت عالٍ ليدرسه، فيحذف المقاطع اللفظية المتكرّرة، أو الثقيلة، أو العبارات غير الضرورية. وقد كانت هذه العملية حتما بطيئة ومُضنية: وصف الناقد والتر بيتر فلوبير بـ «شهيد الأسلوب الأدبي»، أما هنري جيمس فقد علّق عليه قائلا بأنه «لم يشعر بشيء في عمله سوى الصّعوبة». كان فلوبير يقضي ساعات في البحث عن الـ « le mot juste»، أي: الكلمة أو العبارة الملائمة تماما (وهو مصطلح يُشاع بأنّه أوّل من صاغه)، وكان يتذّمر في رسائله بأنه قد يقضي ظهيرة بأكملها في إجراء تصحيحين فقط، أو لشعوره بالألم عند «حذف جملة استغرق تدبيجها أياما عديدة بأكملها».

ردود الفعل النقديّة

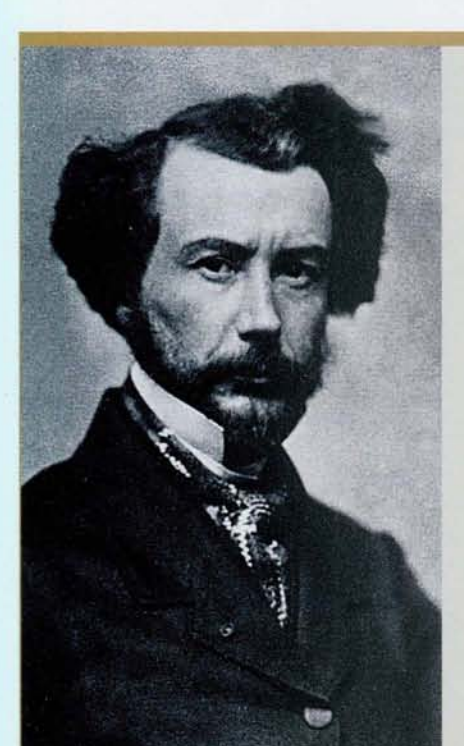
نُشرت رواية مدام بوفاري عام ١٨٥٧، وسرعان ما أدخلته في مُشكلاتٍ مع السلطات. عُدّت التوصيفات المذكورة لخيانات إيما الزوجية وفقا لمعايير زمانه حينئذ خِلاعية، واتُّهم فلوبير بإفساد الأخلاق العامة. ولحسن الحظ، فقد بُرّئ فلوبير من التُّهم، وجلبت الفضيحة لكتابه الشهرة والنجاح العام.

لم تكن كتابات فلوبير تتلقى الكثير من الاحتفاء نتيجة أساليبه الدقيقة، وكثيرا ما كان يشعر بالإحباط بسبب الاستجابات النقديّة الفاترة لأعماله. شعر كُتّاب المراجعات بالملل بسبب التفاصيل التاريخية المُرهقة في عَمَليه «سلامبو»، وعَدو روايته «التربية العاطفية»، والتي كانت تدور حول عاشقٍ يُحب امرأة متزوجة تكبره في السن، بمثابة خطوة رجعية، مع أنّ فلوبير عدّها تحفته الفنّية. إضافة إلى أن محاولات نشر النّسخة الأخيرة من رواية «غواية القديس أنطونيوس» قد رُفِضَت جميعها تقريبا (نُشرت في نهاية المطاف في عام ١٨٧٤). كذلك صُودرت مسرحيته «المُرشّح» بعد أربع ليالٍ فقط. وحدها «ثلاث حكايات» التي نُشرت في عام ١٨٧٧ من نالت الإعجاب العالمي، لكن فلوبير هُوجم في الوقت ذاته بالاعتلال الصحّي والمصاعب المالية التي أخبت جذوة انتصاره.

أخذت سمعة فلوبير تنمو باطراد في أعقاب وفاته، ولا سيما بعد نشر مراسلاته الوهّاجة مع لويزه كولي. بالإضافة إلى ذلك، تحوَّل عَمَليه «سلامبو» و «هيروديا» إلى أوبرا، وأقرَّ كتّابٌ من أمثال هنري جيمس، وفرانز كافكا، وغي دو مابوسان، وجان-بول سارتر، بتأثيره فيهم. يعد فلوبير الآن من أرفع أساتذة الأسلوب الأدبي وأحد مُؤسّسي الرّواية الحديثة.

مكسيم دو كامب (١٨٢٢-١٨٩٤)

واحد من أقرب أصدقاء فلوبير ورفيق رحلاته المفضل. حقّقا معا أفضل رحلة كان يطمحان لها، عندما شرعا برحلة في أرجاء الشرق الأوسط امتدت واحدا وعشرين شهرا؛ ما بين (١٨٤٩-١٨٥١). كان دو كامب قد نال رعايةً رسمية لتصوير الآثار التاريخية، ونشرت النتائج في كتابٍ بعنوان «مصر، والنوبة، وفلسطين، وسوريا» الذي نُشر عام (١٩٥٢) وتصدر قائمة المبيعات وقتا طويلا، وجعل دو كامب يفوز بوسام Legion d‹Honneur. دوّن الشابان خبراتهما في رسائلهما ويومياتهما، والتي تضمنت مغامرات جنسية مع نساء محليات، وحادثة اعتقالهما بتهمة التجسس، ونزهة مرعبة عبر النيل.



ماكسيم دو كامب، ١٨٥٧.

أبرز أعماله:

- ١٨٥٧ — مدام بوفاري: أثارت هذه الرواية ضجة كبيرة، لا سيما بمثول المؤلف أمام المحكمة بتهمة إهانة الأخلاق العامة.
- ١٨٦٢ — سلامبو: نشرت هذه الرواية التاريخية، التي تجري وقائعها في مدينة قرطاجة العتيقة، بعد بحث مكثَّف وجهد جهيد.
- ١٨٦٩ — التربية العاطفية: تقع أحداث هذه الرواية أثناء ثورة ١٨٤٨ التي أنهت ملكية أوليان في فرنسا.
- ١٨٧٤ — غواية القديس أنطونيوس: بُني هذا العمل على رؤى قدّيس في القرن الثالث الميلادي، والذي عاش ناسكًا في الصحراء المصريّة.
- ١٨٧٧ — ثلاث حكايات: يضم ثلاث قصص في منتهى التباين، ويُعدّ واحدًا من أكثر كتب فلوبير شعبية على الإطلاق، وأعجب به النقاد والعامة على حد سواء.

فيودور دوستويفسكي

(١٨٢١-١٨٨١) روسي.

سبر دوستويفسكي أغوار العقل البشري في أعمال ذات عمق نفساني وفلسفي عظيم، مُتَفَحِّصًا القضايا الدينية والأخلاقية على خلفية بلد يمرّ بمرحلة سريعة من العَصْرَنة.

قاسى دوستويفسكي من حكم إعدام زائف، والنفي إلى صربيا، والصرع، والإدمان على المقامرة، وخلّف كل هذا آثارًا لم تُمحَ من حياته. يُمكن رؤية هذه الآثار في أعماله في تعاطفه مع الأشخاص المضطربين، وفي تقواه، وفي تصويره المعاناة على أنها قوة تخليصيّة فِدَائية.

وُلد فيودور ميخائيلوفيتش دوستويفسكي في الحادي عشر من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر من عام ١٨٢١ في موسكو، وهو الابن الثاني من بين ثمانية أطفال. كان والده طبيبا في مستشفى مارينسكي للفقراء، وأمه ابنة عائلة تاجر. عانى دوستويفسكي الأمرّين في سنين حياته الأولى: فقد كان أبواه متديّنين، ووالده صارما وقاسيا، واضطرت العائلة الكبيرة للعيش في منزل ضيق قريب من المستشفى.

التعليم والعمل المبكر

تلقّى دوستويفسكي التعليم في منزله حتى عام ١٨٣٣، وأُرسِلَ بعدها إلى مدرسة داخلية في موسكو. تُوفيت والدته في عام ١٨٣٧ بمرض السل، وأُرسل في ذات السنة إلى أكاديمية الهندسة العسكرية في بطرسبورغ. كان دوستويفسكي يفتقر إلى الحماس للعلوم، لكنّه أحب الأدب ولا سيما الرواية الرومانسية والقوطية، من بينها أعمال السير والت سكوت، وآن رادكليف، وفريدريك شيلر، ونيكولاي غوغول، وألكسندر بوشكين.

تزامنت وفاة والده في عام ١٨٣٩ مع ظهور الأمارات الأولى لإصابته بالصرع. نجح دوستويفسكي في الاختبارات عام ١٨٤٣، ونال وظيفة مهندس برتبة ملازم في سان بطرسبورغ. أمّن دخله المعيشي في البداية بترجمة الأعمال الأدبية، لكنه استقال من عمله في السنة اللاحقة ليكرّس وقته بالكامل للكتابة. نُشرت روايته الأولى «الفقراء» في عام ١٨٤٦، وهي تحكي عن علاقة تجمع ما بين كاتب فقير وخيّاطة شابة في أحد أحياء سان بطرسبورغ الفقيرة، وقد نالت الرواية حظوة عظيمة. اختار الناقد المؤثر فيسيرون بيلينسكي هذه الرواية على أنها أول «رواية اجتماعية» روسية. لكن عمله التالي «المزدوج» تلقّى مراجعاتٍ ضعيفة، وبدا كما لو أن ظهوره القصير تحت الأضواء الأدبية قد انتهى. أتبع دوستويفسكي هذه الرواية بقصصٍ قصيرة، لكنها فشلت في إنعاش ثروته.

الاهتياج والحبس

عارض دوستويفسكي نشاط القِنانة (عبيد الأرض والعمل)، وبدأ بالتعاون مع مجموعة للإصلاحات الاجتماعية الجذرية عُرفت بـ «حلقة بيتراشيفسكي». في عام ١٨٤٩، أمر القيصر



▲ ميخائيل دوستويفسكي

كان والد دوستويفسكي، ميخائيل، رجلًا صارمًا ونزقًا، وأثّر جو التوتر والتخويف الذي خلقه في المنزل في كتابات ابنه العصبية غالبًا.

◀ دوستويفسكي، ١٨٧٢

يُظهر هذا البورتريه الذي رسم فاسيلي بيروف الكاتبَ في صحة متدهورة. وكان دوستويفسكي وقتها يعاني من ضيق التنفس وارتحل إلى بلدة الينابيع، إيمس، الألمانية بحثًا عن علاج.

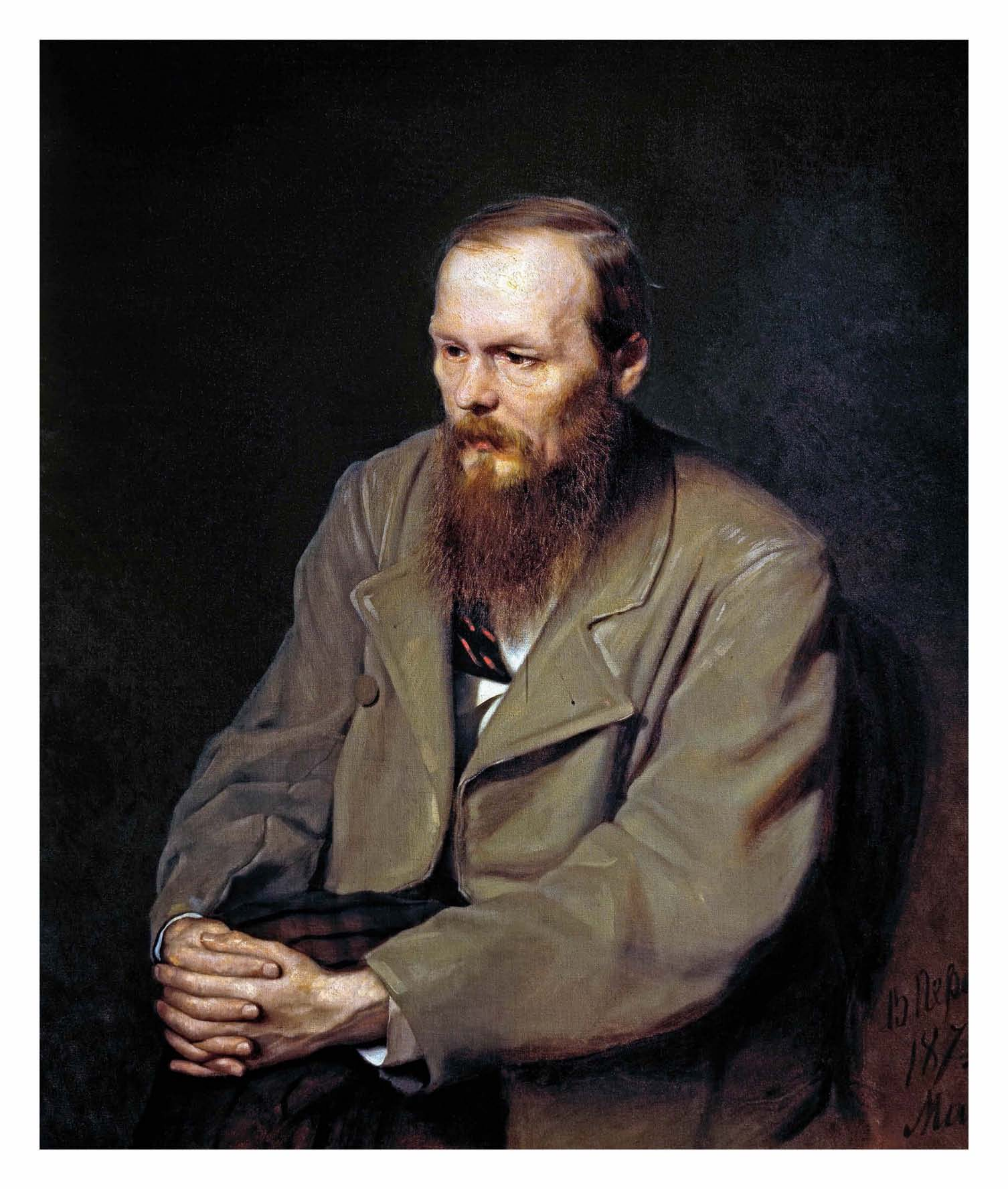
السياسات الروسية

كان منتصف القرن التاسع عشر في روسيا زمن هياج واضطرابات، فقد تراجعت الجهود التي بذلها القيصر ألكسندر الأول لعصرَنة الإمبراطورية الروسية الهائلة والفقيرة والمتخلفة وتحريرها بعد خلافة أخيه القيصر نيكولاي الأول في عام ١٨٢٥. كان نيكولاي مستبدًّا يحكم عبر بيروقراطية فاسدة وقمعية. وصلت تأثيرات الثورات التي حدثت في أنحاء أوروبا في عام ١٨٤٨ إلى روسيا، واستعدَّ الروس للإصلاحات عندما أصبح ألكسندر الثاني قيصرا في عام ١٨٥٥. وفي عام ١٨٦١، ألغى ألكسندر القِنانة، وحرّر أكثر من ٢٣ مليون عبدٍ، وأضعف قوة الطبقة الأرستقراطية الروسية المالكة للأراضي.



بيان ألكسندر الثاني، اعتاق عبيد الأرض. غوستاف ديتينبيرغر فون ديتينبيرغ.

> أن تكون تعيسا وتعرف الأسوأ، خيرٌ من أن تكون سعيدا في فردوسِ حمقى.
>
> **الأبله -فيودور دوستويفسكي.**



ألكسندر بوشكين

كان دوستويفسكي محبًا ولهًا لشاعر روسيا الوطني العظيم ألكسندر بوشكين (١٧٩٩-١٨٣٧)، والذي كان أيضا روائيا، وكاتبا مسرحيا، وكاتبَ قصة قصيرة. ارتقت كتابات بوشكين باللغة العامية إلى لغة ذات قوام رفيع، وأصبح بطل روايته الشعرية يفغيني أونيغين الشخصية الروائية الروسية النموذجية. مهّد بوشكين الأرضية للرواية الروسية الواقعية في القرن التاسع عشر. ألقى دوستويفسكي في عام ١٨٨٠ كلمة نارية في افتتاح نصب لذكرى بوشكين في موسكو قائلا فيها: في كل مكان كان بوشكين يعلن عن إيمانه بالشخصية الروسية، وبروحانيتها القوية؛ إذا كان ثمة إيمان، فثمة أمل، الأمل العظيم لإنسان روسيا.



بوشكين، أوريست آدموفيتش كيبرينسكي، ١٨٢٧

نيكولاس باعتقال «المتآمرين» وحكم عليهم بالموت. وبينما كانوا مصطفين في مواجهة نيران فرقة الموت، وصل خيّال برسالةٍ مفادها أن الأحكام عطّلت. اتضّحَ لاحقا أنَّ الأمر برمّته كان في الحقيقة محض لعبة وحشية صُمِّمت لتخويف الرجال ومعاقبتهم. وقد جنت ثمارها بالفعل، فدوستويفسكي كان مرعوبًا أشد الرعب بسبب الحادثة، وبات هناك العديد من الشخصيّات التي تصارع تجربةَ مواجهة الموت في أعماله اللاحقة.

السجن والحرية

قضى دوستويفسكي أربع سنوات في معسكر للعمل في سيبيريا عقابا له على التآمر. ومن أجل النّجاة عقليا وعاطفيا، فقد اتّخذ من الأروثوذكسية الروسية ملاذًا له. كان السجن هو ما أكسب دوستويفسكي فهمًا لعامّة الناس، وهو أمر سيغذّي أعماله اللاحقة. على الرغم من إطلاق سراحه في عام ١٨٥٤ فقد بقي في سيبيريا أربعَ سنوات أخرى في خدمة الجيش. تزوج دوستويفسكي في عام ١٨٥٧ أرملة اسمها ماريا ديمترييفنا إيساييفا، وبعد ذلك بسنتين، سُمح له بالعودة إلى سان بطرسبورغ.

انهمك دوستويفسكي من جديد في الحياة الأدبية، فنشر القصص والمقالات في الصحف والمجلات كـ «Vremya (الزمن)» و« Epokha (العصر)»، اللتين أدارهما مع أخيه ميخائيل. انتقد في هذه المقالات، وفي روايته «رسائل من تحت الأرض (١٨٦٤)»، الطبائع المتطرفة لطبقة النخبة الروسية «الانتلجنسيا»، بعد أن تغيّرت معتقداته التي اعتنقها قبل الحبس. اتجهت أعمال مرحلة ما بعد الحبس نحو القيم المحافظة. وبرفضه الاشتراكية، تبلورت أفكاره حول واجبات الحرية الشخصية والمسؤولية؛ وهي المواضيع التي استعرضها في أعماله اللاحقة. سافر دوستويفسكي بكثرة ما بين عامي ١٨٦٢ و١٨٦٣ في أرجاء أوروبا

◄ **الإعدام الزائف**

يصوّر في هذه الرسمة، فنان مجهول، الإعدام الزائف لحلقة بيتراشيفسكي في ساحة سيمينوف في سانت بيترسبرغ.



▲ **ساحة سينايا، ١٨٤١**

لعبت مدينة سانت بترسبرغ دورًا مهمًا في أعمال دوستويفسكي. هنا، في هذه اللوحة للفنان فيرديناند بيرُوت، يظهر الموقع البائس حيث تبادرت إلى راسكولنيكوف، بطل رواية الجريمة والعقاب، فكرة جريمته لأول مرة.

تقبّل المعاناة وكفِّر من خلالها، هذا ما يجب عليك فعله.

دوستويفسكي - الجريمة والعقاب.

الغربية، وأعجب بثقافتها كثيرًا، لكنه أنكر عليها ماديتها. وفي هذه الأثناء، أخذ يقامر بمبالغة، وعانى على إثر ذلك من خسائر مادية كبيرة، كما عذّبته علاقة حب مع الكاتبة بولينا سوسلوفا؛ «امرأة أنانية ومريضة» طالبته بتطليق زوجته (مع أنّها رفضت الزواج منه بعد وفاة ماريا عام ١٨٦٤). تفاقمت متاعبه المالية بعد موت أخيه ميخائيل، والذي كان دوستويفسكي ملزما بإعانة عائلته من بعده.

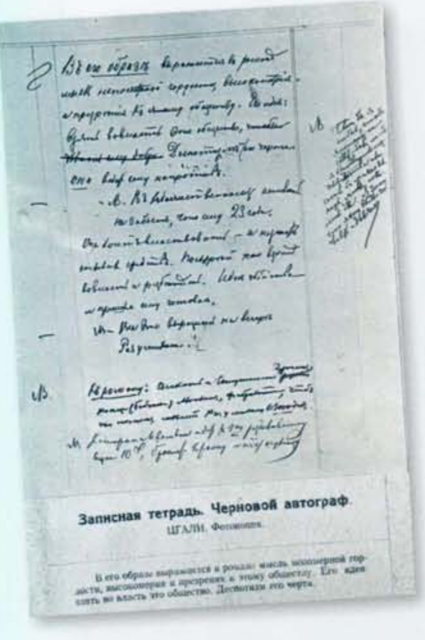
الواقعية السيكولوجيّة

نُشرت رواية دوستويفسكي العظيمة «الجريمة والعقاب» متسلسلة في مجلة «الرسول الروسي» في عام ١٨٦١. تحكي الرواية قصة راسكولنيكوف الذي ارتكب جريمة قتل لدوافع سيكولوجية، لكنّه غير قادر على قهر عذاب ضميره. تركّز الرواية على الواقعية السيكولوجية والدراما العقلية (أحيانا حتى على حساب الحبكة)، هاجرةً رواية الحركة الرومانسية المبكرة، والتي عادة ما تُكافَأ فيها الفضيلة وتُعاقب الرّذيلة.

نشر دوستويفسكي في ذات السنة رواية «المُقامر» القصيرة التي سماها إرنست همَنغوَي «جنون المقامرة». أكمل العمل قبيل الحد الزمني الأخير الذي وضعه الناشر مباشرة، وذلك بمساعدة كاتبة اختزاليّة stenographer يافعة تدعى آنا غريغوريفنا سنيتكينا. تزوّج دوستويفسكي آنا في السنة التالية، وسافر الزوجان في رحلة طويلة عبر أوروبا، وخلال هذه المدة استمرّ دوستويفسكي بالمقامرة بإفراط. وعلى الرغم من خساراته، فإنّ زواجه كان سعيدا، ورزق الزوجان بأربعة أطفال، عاش منهما اثنان فقط حتى سن البلوغ. حاول دوستويفسكي في رواية الأبله (١٨٦٦-١٨٦٩) «وصف إنسان جميل بكل ما للكلمة من معنى»؛ شخصية شبيهة بالمسيح، في عالم يراه العالم شخصًا أبله. تبني الرواية صُورًا سيكولوجية مُعقّدة للبطل؛ الأمير ميشكين، ولشخصيات أخرى، وتتعامل مع مواضيع الشك، والخوف، ودنو الموت (تُوفيت ابنة دستويفسكي عندما كان يعمل على روايته هذه).

تشريفات وصعوبات

عادت العائلة في عام ١٨٧١ إلى روسيا، حيث نشر دوستويفسكي رواية «الشياطين» ذات الرمز السياسي التي يتناول فيها المؤلف مسائل الإلحاد، والإيمان الديني، والمعاناة، والخلاص. وفي عام ١٨٧٣، بدأ بكتابة «يوميات كاتب» على دفعات، وهي كتابات شهريّة من واقع الحياة التجريبية تألفت من تعليقات اجتماعية وسياسية، وإسكتشات، ومقالات، ونقودات أدبية. أصبحت هذه اليوميات بحلول عام ١٨٧٦ ذائعة الصيت جدا لدرجة أنّ دوستويفسكي تلقّى دعوةً لتقديم نسخة من اليوميات إلى قيصر روسيا ألكسندر الثاني. نال في سنوات حياته الأخيرة القليلة تشريفاتٍ وعضوياتٍ في العديد من الأكاديميات المرموقة والجمعيات. توازت هذه النجاحات الاحترافية مع الصّعوبات الشخصية، فقد عانى من زيادة نوبات الصرع، وتأثّر عميقا بوفاة ابنه الصغير، أليوشا، بسبب الصرع في عام ١٨٧٨. لكن على الرغم من حزنه، فقد استمر دوستويفسكي بالكتابة، ونشر آخر رواياته وأطولها، وربما أعظمها، ما بين ١٨٧٩-١٨٨٠، وهي رواية «الأخوة كارامازوف» وبمشهد قتل الابن لأبيه في قلب الرواية. صوّر في هذه الرواية الصراعات الأخلاقية حول مفهوم الإيمان، والعقل، والشك، وسبر التساؤلات حول الإرادة الحرة والمسؤولية الأخلاقية. كان لهذا العمل، إلى جانب أعمالٍ أخرى، تأثيرٌ عميق في عدد من الكتّاب والفلاسفة على مدار سنين، من بينهم ألكسندر سولجنستين، وأنطون تشيخوف، وسيغموند فرويد، ولودفغ فتجنشتين، وفرانز كافكا، والوجوديين من أمثال جان-بول سارتر، وألبير كامو. توفي دوستويفسكي بنزيفٍ رئوي بعد سنة واحدة من نشر رواية الأخوة كارامازوف.



▲ **الجريمة والعقاب**

يُظهر تحليل مخطوطات دوستويفسكي أنّه غيّر السرد في رواية الجريمة والعقاب من السارد بضمير الشخص الأول إلى السارد بضمير الشخص الثالث.

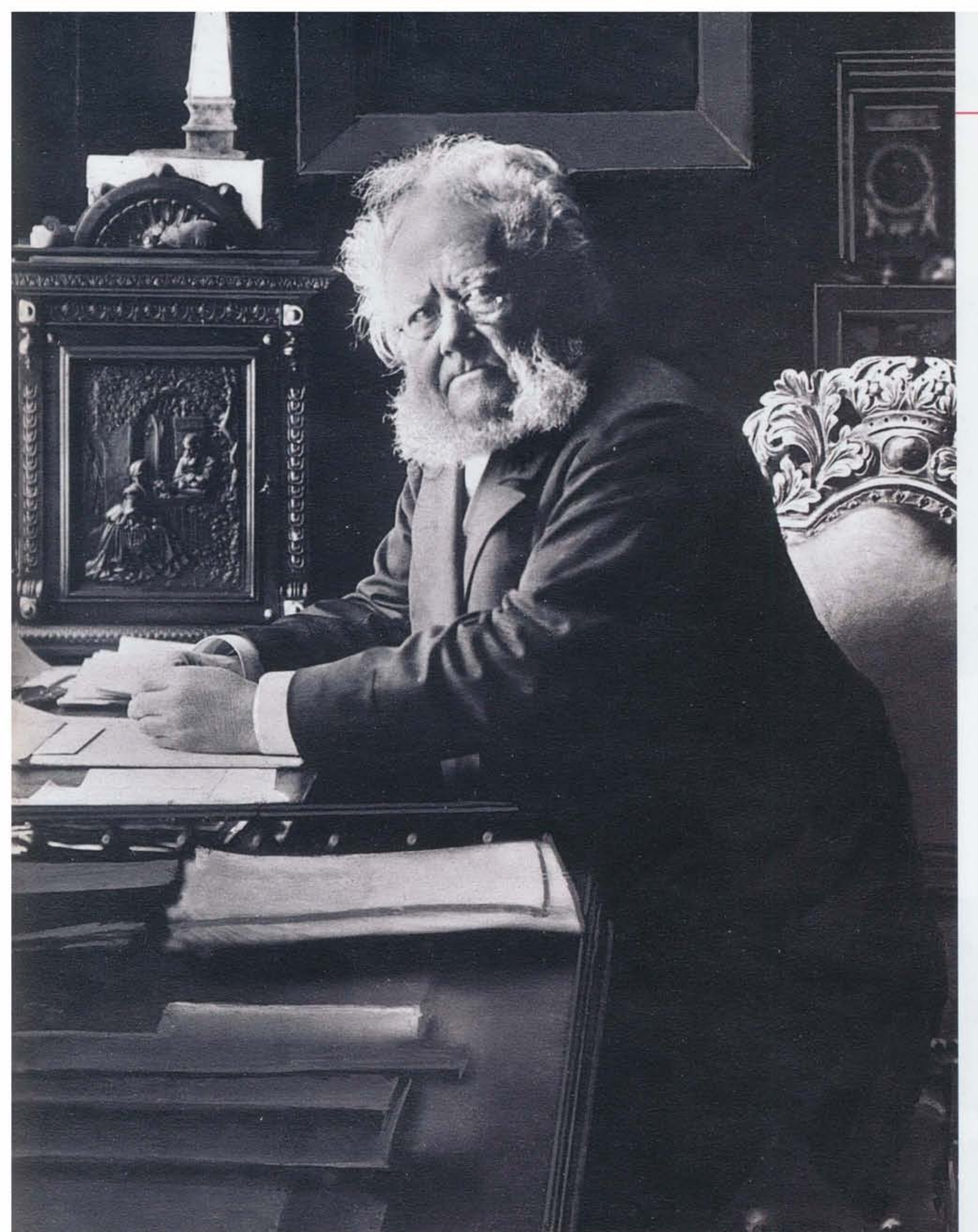
▼ **مكتب دوستويفسكي**

هذه هي شقة الكاتب في سانت بيترسبرغ، حيث عاش سنواته الأخيرة وكتب رواية الإخوة كارامازوف، وهي الآن متحف.



أبرز أعماله:

١٨٤٦	١٨٦٢	١٨٦٤	١٨٦٧	١٨٦٩	١٨٧٢	١٨٨٠
الفقراء: أول روايات دوستويفسكي، ذات نمط رسائلي، وتتعامل مع مواضيع اجتماعية.	منزل الأموات: فتحت هذا العمل الأبواب لروايات أدب السجون الروسي ومعسكرات العمل.	رسائل من تحت الأرض: عُدّت هذه الرواية لاحقًا من الأعمال الوجودية.	الجريمة والعقاب: تناقش هذه الرواية فيما لو كان بإمكان النهايات الشرفية تبرير المقاصد الوحشية.	الأبله: قدّم دوستويفسكي شخصية الأميرَ ميشكين المصاب بالصرع الذي علّمَ شخصيته.	الشياطين: تُفهم هذا الرواية بأنها ردة فعل تجاه السِّمة السياسية والعدمية الأخلاقية لتلك الحقبة.	الأخوة كارامازوف: أصبحت هذه الرواية بعد نشرها واحدة من أكثر الروايات اعتبارًا في العالم.



◄ **إبسن في مكتبه، ١٩٠٦**
وُلد إبسن، الظاهر هنا في صورةٍ التقطت له في سنة وفاته، ومات في النرويج، لكنه هرب من الإكراهات الفنية في بلده وعاش وكتب في إيطاليا وألمانيا مدةَ سبعٍ وعشرين سنة. ورغم كل هذا، فقد جرت وقائع أغلب مسرحياته في النرويج.

هنريك إبسن

(١٨٢٨-١٩٠٦) نرويجي.

صَهرتْ أعمالُ المسرحي إبسن الأجواء الواقعية والحوار بالرمزية والتبصّراتِ النفسانية، لتكشف عن المستقبل القريب للمجتمع المعاصر، وتميط شخصياته اللثام عن عوالمها الداخلية.

أنا ميّالٌ للاعتقاد بأننا جميعا أشباح، يا سيد ماندرز.

هنريك إبسن - الأشباح.

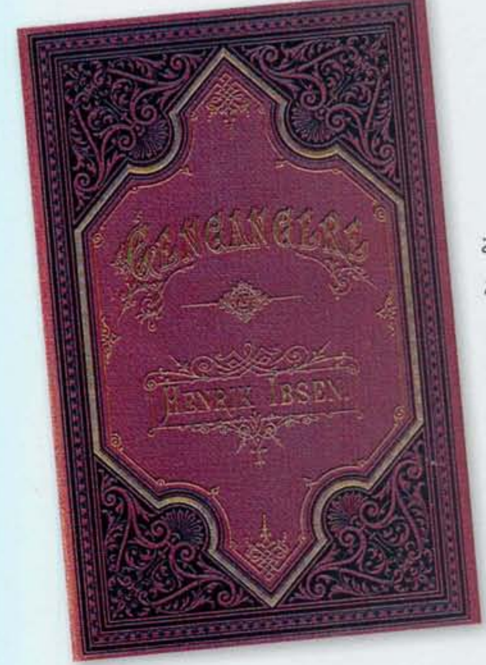
ولد هنريك إبسن في العشرين من آذار/ مارس من عام ١٨٢٨، وقضى سنواته الأولى في شكين، ميناء في جنوبي النرويج. ترك إبسن منزل عائلته في سن الخامسة عشر ليعمل متدربا في صيدلية بمدينة غريمستاد. وهناك، أصبح أبًا لابن غير شرعي من خادِمة، ونشر مسرحيته الأولى «كاتيليان» (١٨٥٠) تحت الاسم المستعار «برينجولف بيجارمي». لم تتكلل المسرحية، ولا المسرحيات الشعريّة التي تبعت انتقاله إلى مدينة كريستيانا (أوسلو اليوم) بالنجاح، وكان انتقال إبسين إليها على أمل أن يقصد الجامعة.

ولحسن حظه، فقد انتبه لموهبته المسرحية عازف الكمان الشهير والمتعهد الثقافي أولي بول، فعيّن إبسن، بسن الثالثة والعشرين، مديرا وكاتبا مسرحيا لمسرح جديد في مدينة بيرجين. كان إبسن خلال السنوات السّت التي قضاها في إدارة المسرح، والسنوات الخمس الأخرى في المسرح النرويجي في كريستيانا، مُتعاقدا لكتابة عدد من المسرحيات التاريخية لجمهور وصحافة محافظين ومحبين للجمال. منحه عمله الطويل والتعيس أخيرًا الفرصة ليطوّر مهاراتٍ مسرحية خاصة وعرّفه على التطورات المثيرة الجديدة في المسرح الأوروبي. أفلس المسرحُ النرويجي في عام ١٨٦٤، فتلقى إبسن المساعدة من أصدقائه، إضافة إلى مِنحةٍ حكومية ضئيلة، ما مكّنه من مغادرة النرويج والتوجه نحو إيطاليا. بات إبسن الآن حُرًّا ليكتُب ما يسعده، فتحسّن عمله على نحو ملحوظ، وأنتج مسرحيتين شعريتين عظيمتين، هما براند (١٨٦٦)، والتي ركّزت على حياة قس يستعرض الخرافات الدينية والمثالية الصارمة؛ ومسرحية بير جينت (١٨٦٧)، والتي صوّرت الفلكلور النرويجي وعملت على كشف مسعى وجوديّ محكوم عليه بالفشل. أمّن هذان العملان السمعة لإبسن في داخل بلاده وخارجها.

مسرحيات إشكالية

تزامن انتقال إبسن إلى ألمانيا بحدوث تغيّرات حاسمة في اتجاه عمله، إذ ابتعد عن المواضيع التاريخية والشعر، وكرّس نفسه لكتابة النثر ومسرحيات عن الحياة المعاصرة. كتب هناك سلسلة من المسرحيات التي اتسمت بواقعية اجتماعية لاذعة، وركّز فيها الكاتب على الأخلاق، والاقتصاد، والمشكلات الاجتماعية. استعرضت هذه المسرحياتُ القيودَ المسلطة على الحرية الفرديّة، والناتجة عن القوى الاجتماعية والمؤسساتية في ذلك الوقت. سبّبت مسرحيات مثل «بيت الدمية (١٨٧٩)» و «الأشباح (١٨٨١)» غضبا كبيرا عندما أُدّيتا على خشبة المسرح للمرة الأولى، وذلك لنقدهما الوحشي لمؤسسة الزواج والتصوير الصريح لمسألة التبعية النسائية واللا مساواة. أما مسرحية «الأشباح» فكانت، وعلى غرار العديد من أعماله، بمثابة هجمة على القيم الأخلاقية المجتمعية، فعالجت مواضيع جدلية كالموت، وسفاح المحارم، والأمراض التناسلية، والقتل الرحيم. لا يشير عنوان المسرحية «الأشباح» إلى الأرواح، بل إلى أنماط السلوك المتكررة والتآكليّة التي تحاصر شخصيّات إبسن. ركّزت أعمال إبسن اللاحقة تركيزا أعمق على تعقيدات النفس الفردانية؛ على العقل اللا واعي والتوترات الخفية التي تلعب دورا في العلاقات البشرية. أكثرَ إبسن من استخدام الرمزية المعقّدة المكثّفة في أعماله. في مسرحية «بيت الدمية» مثلا، تُمثل شجرة عيد الميلاد (الكريسماس) في البداية البهجة والسّعادة العائليّة، لكن عندما تُجرّد من زينتها، تتحول إلى رمزٍ مؤثر للبراءة المفقودة.

ومن بين المسرحيات الست المكتوبة بهذا الأسلوب، كانت مسرحيات «هيدا غابلر (١٨٩٠)»، و «البناء العظيم (١٨٩٢)» الأشهر؛ والتي تُرجمت في طبعات أوروبية متعددة ظهرت بعد مدة من طرحها. عاد إبسين بطلا قوميا إلى النرويج في عام ١٨٩١ بعد سنوات من الابتعاد، ومستعدا للتمتع بالاهتمام الذي كان مُغدقِا عليه، وكانت مسرحية «عندما نستيقظ نحن الموتى» آخر أعماله المنشورة في عام ١٨٩٩. وفي عام ١٩٠٠، أصابته سكتة دماغية جعلته مقعدا، وتوفّي بعد ست سنوات ومُنح جنازة شعبية.



▲ **الأشباح، ١٨٨١**

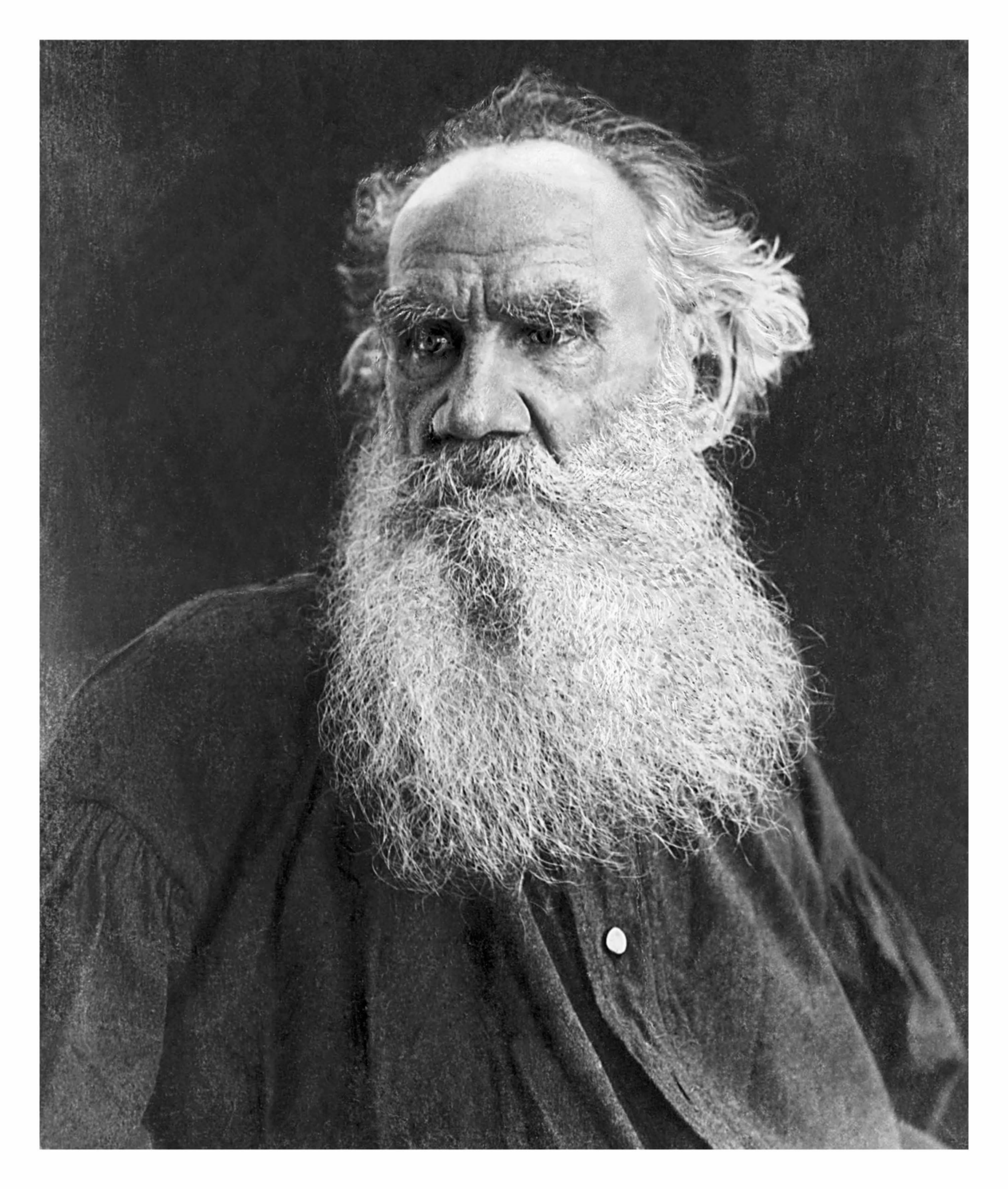
شنَّ إبسن في مسرحية «الأشباح» هجمة على القيم الأخلاقية المجتمعية، وعالجت المواضيع الجدلية كالموت، وسفاح المحارم، والأمراض التناسلية، والقتل الرحيم، ولا يشير العنوان «الأشباح» إلى الأرواح بل الأنماط المتكررة والمتآكلة من السلوكيات التي تقع بسببها شخصيات إبسن في المشاكل.

التبّصر عبر الواقعية

انتقل إبسن بالمسرحية الحديثة نقلة نوعية باستخدامه المحاورة الواقعية، فكان مُصرًّا على أن تُعيد شخصياته تمثيل الحوار البشري بأقرب ما يكون: كان سيناريو الممثلين قصيرا جدا وتشترك فيه كلتا لغتي الحوار اللفظي وغير اللفظي، كتعابير الوجه، والتردد، والمقاطعة. تكمن عبقريةُ إبسن في قدرتِه على إيصال «الواقع» المسكوت عنه عبر هذه التعبيرات المتبادلة على نحو عميق. وعبرَ هذه التفاصيل الدقيقة في أسلوبه واستخدامه للرمزية، غالبا ما كان حوار إبسن المسرحي ثنائيّ المعنى؛ ليعبّر عن العوالم الداخلية لشخصياته.



مشهد من مسرحية منزل الدمية في المسرح الملكي في باث، إنجلترا.



ليو تولستوي

(١٨٢٨-١٩١٠) روسي.

تحوّل تولستوي خلال حياته التي امتدت لاثنين وثمانين عاما من أثيم إلى قدّيس، ومن جندي إلى مصلح اجتماعي. بلغت أعماله قمم الإبداع الأدبي والأسلوبي، واستكشفت التعقيدات والأعماق الفلسفية



▲ **جندي وكاتب**
يظهر تولستوي في هذه الصورة بزي ضابط أثناء حرب القرم. وتشكّل فهمه عن سيكولوجية الحرب من تجربته الشخصية.

وُلدَ ليف نيكولايافيتش تولستوي في الثامن والعشرين من شهر آب/ أغسطس عام ١٨٢٨ لأسرة عريقة من النبلاء الروس في مقاطعة العائلة الريفية في ياسنايا بوليانا. تقلّصت ثروة عائلته وقت ولادته، لكن حياته بقيت مرفّهة جدا. ترعرعَ تولستوي محاطا بحب والده سهل المعشر، الكونت تولستوي، وأقاربه، والعمة تاتيانا؛ ابنة العم التي ساعدت في تنشئة الأطفال بعد وفاة والدتهم. قضى تولستوي طفولته يتمشى في الريف، ويسبح في البرك صيفا، ويتزلّج شتاءً، ويستمع إلى قصص حكواتي العائلة الأعمى (كانت الحكواتية وقتها حرفة متعارف عليها في روسيا).

تغيّر كل شيء في عام ١٨٣٦ حين انتقلت العائلة إلى موسكو. تُوفي الكونت تولستوي في غضون سنتين بعدها، وانقسمت الأسرة: بقي اثنان من الأولاد في موسكو مع الوصيّة عليهما، العمة ألين، في حين عاد ليو وأخته ماريا وأخوهما دمتري إلى ياسنايا بوليانا.

◀ **تولستوي**
تغيّر تولستوي جذريًا في مظهره بعد أن ترك الخدمة العسكرية. فأطلق لحيته التي ميّزته، واستبدل خزانة ملابس فلاح متواضع بخزانة أردية كونت أرستقراطي.

طالب فاسق

تُوفيت العمة ألين في عام ١٨٤١، ورحل تولستوي وأخوه إلى الوصي الجديد في كازان بجنوبي روسيا، حيث دخل تولستوي الجامعة بعد ثلاث سنوات لدراسة الأدب العربي التركي. لكن تولستوي لم يكن ميّالًا للتعلم، وترك الدراسة في السّنة الثانية ليغرق في حياة من الفسق تملؤها معاقرة الخمر، والقمار، والزنا. عاد تولستوي إلى ياسنايا بوليانا، لكنه لم يكن واثقا ممّا يتعين عليه فعله في حياته، فانتكس لعاداته القديمة السيئة؛ غارقا في احتساء الخمر والاحتفالات ومُراكمًا ديونا كبيرة من المُقامرة.

الخدمة العسكرية

في محاولة لإنقاذه من أسلوب الحياة المدمر للذات ذاك، عرض عليه شقيقه الأكبر، نيكولاي، أن ينضم إليه في الجيش الروسي، ونجح في إقناعه. أصبح تولستوي ضابطا مبتدئًا، ووجد أن بساطة حياة الجيش تناسبه. وأكثر من ذلك، فقد ألهمه جمال الطبيعة وشجاعة أهل القرى والجبال في منطقة القوقاز للشروع في كتابة أولى قصص السير الذاتية الثلاث، والتي كانت بعنوان «الطفولة (١٨٥٢)».



◀ **ياسنايا بوليانا**
ورث تولستوي أملاك والده في عام ١٨٤٨ وقفَل راجعًا ليعيش هناك عقدًا من الزمن. وكتب في هذا البيت روايتي الحرب والسلم وآنا كارنينا.

المونولوج الداخلي

كان تولستوي من الروّاد الذين استخدموا المونولوج الداخلي في السرد الروائي. كانت الكتابة باستخدام «أسلوب تيار الوعي» لنقل أفكار شخصياته ومشاعرها، كما في روايتي «الحرب والسلم» و«آنا كارنينا»، خروجًا جذريا عن الموجزات التأليفيّة للدوافع والعواطف المتعارف عليها من قبل. جلبت هذه المونولوجات الداخلية علم النفس إلى الواجهة في روايات تولستوي، ما جعل القرّاء أقرب إلى تجارب شخصياته.



آنا كارنينا، ألكسي ميخايلوفيتش كوليسوف، ١٨٨٥.

> «تمسّك بلحظات السعادة والحب وكن محبوبا! إنها الحقيقة الوحيدة في العالم وكل ما سواها محضُ حماقة».
>
> **ليو تولستوي - الحرب والسلم.**

شهد تولستوي الخدمة الفعلية على أرض الواقع في حرب القرم، وزوّدته خبراته في حصار سيفاستوبول Sevastopol بالمواد اللازمة لكتابة «قصص سيفاستوبول (١٨٥٥)»، التي جرّب فيها الكتابة بأسلوب تيار الوعي. وسيعود تولستوي لاحقا لإعادة صياغة مُعظم ما كتبه في هذا العمل في مشاهد رائعته «الحرب والسلم». كان قد حاول في هذا العمل الضخم نقل الامتداد البانورامي «الشمولي» للتاريخ من خلال استعراض تجارب عدد هائل من الشخصيات -قرابة ٨٥٠ شخصية في المجموع- خلال مدة ثماني سنوات، ابتداءً من عام ١٨٠٥. اعتمد تولستوي في بناء بعض الشخصيات على أفراد أسرته، وعلى شخصيات تاريخية حقيقية؛ من بينها نابليون والقيصر ألكسندر.

الزواج، والعمل، والروح

عاد تولستوي من الحرب ليجد نفسه محلّ طلبٍ كبير في المشهد الأدبي في سان بطرسبرغ، لكنه كان ما يزال متأرجحًا على نحوٍ ميؤوس منه بين حياة الاعتدال والفسوق؛ مكافحًا في موازنة رغباته بخطة واقعية لأجل مستقبله.

مُنيت محاولته في عيش حياة بسيطة وتعليم الفلاحين في حقوله في النهاية بالفشل، وعاد للمقامرة من جديد؛ نشر لاحقا رواية «القوزاق (١٨٦٣)» لمجرّد أن يدفع دينًا مقداره ألف روبل كان قد تكبده جرّاء لعبه للبلياردو مع ناشر. وفي عام ١٨٥٧، أعلن عن أناركيّته وقصد باريس، لكنه اضطر للعودة إلى روسيا عندما لاحقته ديونه. بدأ تولستوي في الاستقرار عام ١٨٦٢ حينما تزوج صديقةً لشقيقته تدعى صوفيا «سونيا» أندرييفنا بيرز. كانت شراكتها متوترة -شعرت سونيا باليأس من عجزه عن الاستقرار في حياة نبيل محترم- لكنها كانت أيضا علاقة خصبة جدا، فقد أنجبا ثلاثة عشر طفلا، ومكّنت مهاراتُ سونيا التنظيمية الملحوظة تولستوي من التحرّر والتركيز على كتاباته. نشر رواية «الحرب والسلم» في ستّ مجلدات ما بين ١٨٦٣ و١٨٦٩، وبدأ في عام ١٨٧٣ في كتابة «آنا كارنينا»، والتي عكست فيها العلاقة الرومانسية بين ليفن وكيتي بعض العناصر من علاقته الشخصية العاطفيّة بسونيا.

وعلى الرغم من نجاح هذه الكتب، فقد ظهرت على تولستوي بحلول عام ١٨٧٨ ميول

▲ **دفاع سيفاستوبول، ١٨٤٥-٥٥**

لوحة بانورامية رسمها فرانز ألكسندريفتش روباود ما بين ١٩٠١-١٩٠٤. رفعت خبرات تولستوي في حرب القرم من بصيرته الحربية التي تراكمت في رواية الحرب والسلم، إذ تشكّل التاريخ من أحداث الحياة اليومية الصغيرة المتعددة بدلا من الصنائع البطولية للقادة الأفراد.



◄ **مكتب تولستوي**

حُوفظ على منزل الكاتب في ياسنايا بوليانا وأصبح متحفًا اليوم. يحتوي على مكتبة تولستوي المنتقاة التي تضم أكثر من عشرين ألف كتاب، ابتداءً من فلاسفة الإغريق إلى مونتنين وديكنز وثورو.

أبرز أعماله:

١٨٥٢	١٨٦٣-١٨٦٩	١٨٧٩	١٨٩٨	١٨٩٩
الطفولة: أول أجزاء ثلاثية تولستوي لقصص سيرته الذاتية التي تضمنت الصبا والشباب.	الحرب والسلم: يرسم هذا العمل الضخم تأثيرات الحرب في عدد من العوائل الأرستقراطية، ويتلمس بحثًا عن معنى الحياة.	اعتراف تولستوي: حُظر هذا الكتاب من الكنيسة الأرثوذكسية ولم ينشر في روسيا حتى عام ١٩٠٦.	ما الفن؟: جادل تولستوي في هذا الكتاب بأن الجمال ليس جزءا من تعريف الفن، وعوضًا عن هذا، فقد ادَّعى بأنَّ الفنَّ أيُّ شيءٍ يوصل شعورًا.	البعث: شنَّ تولستوي في روايته الأخيرة هجومًا لاذعًا جدليًا على النفاق والظلم والفساد.

انتحارية، وسيطرت عليه أزمة روحانية -استعرضها في كتابه «اعتراف»- حثّته على مراجعة حياته؛ لا سيما تشبّثه بالثروة والممتلكات المادية، والتغيير من تطلّعاته المستقبلية. وفي رحلة بحثه عن المعنى، توجّه إلى الكنيسة الأرثوذكسية، لكنه رفض تعاليمها وطوّر بدلا عنها أيديولوجيته الخاصة، «الأناركيّة المسيحية»، والتي رفضت الدين المُنظَّم، والدولة، وحتى ألوهية المسيح، لصالح فلسفةٍ مبنيّة على تعاليم العهد الجديد.

بدأ تولستوي في أعماله الروائية وغير الروائية في نقد الكنيسة والحكومة، ما جذب انتباه الشرطة السرية إليه، وتسبّب في حرمانه من الكنيسة الأرثوذكسية. شرح في كتابه «مملكة الرب في داخلكم» (١٨٩٤) مذهبه السلمي بعدم المقاومة واعتقاده بأنّه يمكن العثور على أجوبة التساؤلات الأخلاقية داخل الذات، كاسبًا بذلك العديد من التابعين المتحمسين. لكن عزمه على التخلص من ماله وضعه في موقف خلافيّ مع أسرته.

سلك تولستوي بعدها مسارا من الزهد المتطرف، ممتنعا عن اللحم، والتبغ، والكحول، وداعيًا إلى العفّة والبساطة. زاد رفض تولستوي الجذري لحياته السابقة من نفور زوجته منه، وكذلك ازدياد وصول العديد من مريديه إلى منزل عائلته.

الأيام الأخيرة

بحلول عام ١٩١٠، لم يعد بمقدور تولستوي تحمّل وجود هذا الصراع مع أسرته. وهكذا، تخلى في سن الثانية والثمانين عن مطالبته بممتلكاته، وفي العاشر من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩١٠، ترك لزوجته سونيا رسالةً يُعبّر فيها عن أسفه من القلق الذي سيخلّفه رحيله، قائلا بأنّه «سيغادر الحياة الدنيوية ليقضي أيامه الأخيرة في سلام وعزلة». بعد ذلك، ركب القطار قاصدا الجنوب، على أمل الوصول إلى بلدةٍ أعدّها أتباعه على شواطئ البحر الأسود. لكنه أصيب بالتهابٍ رئوي وهو في الطريق، ما أجبره على مغادرة القطار عند منطقة أستابوفو. أُخذ تولستوي إلى منزل مدير المحطة الذي سرعان ما أحاط به الصحفيّون. وصلت سونيا، التي كانت قد نجت من محاولة فاشلة للانتحار غرقا، إلى مكان الحادث، لكن لم يُسمح لها بالدخول حتى غاب تولستوي عن الوعي بعد أن لفظ كلماته الأخيرة «الحقيقة، إنّي أكنُّ حبا كبيرا...». تُوفي بعدها بمدة قصيرة في فجر العشرين من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر. حضر آلاف الفلاحين لجنازته، ودُفن في ياسنايا بوليانا، في بقعته المُفضّلة حيث كان يلعب مع أخيه نيكولاي في صِباه.

◄ الفونوغراف

أرسل المخترع الأمريكي توماس أديسون في عام ١٩٠٨ واحدًا من أوائل أجهزة فونوغراف التي اخترعها إلى تولستوي، وسجَّل الأخير بصوته العديد من التسجيلات على الإسطوانات الشمعية. غطَّت تسجيلاته مواضيع عديدة من القانون إلى الفن إلى فلسفته المناهضة للعنف.

مهاتما غاندي

رفض تولستوي كُلَّ العقائد والمذاهب الكنسيّة، مُفضّلا عليها نظريّة مسيحية للحياة مبنية على شريعة العهد الجديد التي تقول «أحبّ أعداءك ولا تقاوم الأشرار». كان لإيمان تولستوي بقوة اللا عنف وصوابيّته تأثيرٌ عميق في المهاتما غاندي، والذي كان يتراسل معه قدمت كتابات تولستوي الأساس لفلسفة غاندي المتمثلة في المقاومة الحازمة وغير العنيفة للشر - وهي الفكرة التي سمّاها بـ "ساتياغراها «Satyagraha».



غاندي، ١٩٤١.

«تتشابه كل العائلات السعيدة، لكن كل عائلة تعيسة هي تعيسة بطريقتها الخاصة»

آنا كارنينا - تولستوي.



الاعتراف الدولي

كتب ماشادو أكثر من مئتي قصة قصيرة وتسع روايات، وحظيت هذه الأعمال بقبول جماهيري مُعتبر. نال إنتاجه المتعدد الاعتراف من القرّاء في الغرب حديثًا، ولربما يعود السبب إلى صعوبة ترجمة عمله الدقيق لكنه غالبا ما يُقابل بفرانز كافكا وصموئيل بيكيت.

ماشادو دو أسيس

(١٨٣٩-١٩٠٨) برازيلي.

يعد ماشادو دو أسيس، على نطاق واسع، أعظمَ روائي برازيلي على الإطلاق. ارتقى ما شادو من أصوله المتواضعة ليكون صاحب مكانة مرموقة ومُهيمنة في حياة البرازيل الأدبيّة. استعرضت رواياته الإبداعية وجه العالم التشاؤمي بأسلوب ساخر.

وُلد جواكيم ماريا ماشادو دو أسيس في عام ١٨٣٩. كان والده صبّاغ المنازل الفقير ابنًا لعبدٍ أسودَ من العبيد المحرّرين، وكانت والدته خادمة غسيل برتغالية. ونظرا لكونه مختلطَ العِرقِ في مجتمع طبقي عرقيا فقد حظي الشاب ماشادو بمكانة وضيعة، وابتُلي كذلك بمرض الصّرع. تزوج الأب من جديد بعد وفاة زوجته وماشادو في سن العاشرة، واتخذت زوجة الأب بعض الإجراءات ليتمكن الطفل من الالتحاق بمدرسةٍ كانت تعمل فيها خادمة.

النهوض من المِحنة

على الرغم من خلفيته البائسة، أصبحت مواهب ماشادو الاستثنائية وطموحه الأدبي جليا منذ سنٍّ مبكرة. نُشرت أول قصيدة له في صحيفة عندما كان في الخامسة عشرة فحسب. تمكّن من شغل وظيفة طابعٍ ومُراجعٍ لغوي، وانضمَّ إلى دائرة المحرر فرانسيسكو دي باولو بريتو، ما مكّنه من التواصل مع عدد من الشخصيات البرازيلية السياسية والثقافية البارزة. أثبت ماشادو بأنه كاتب خصب، فقد أنتج المقالات، والعمود الصحفي، والقصائد، والمسرحيات، والقصص.

جذبت موهبته في عام ١٨٦٧ الاهتمام الرسمي، ومُنح منصبا مُربحا في البيروقراطية الحكومية، الأمر الذي مكّنه من الزواج من امرأة ذات مكانة مرموقة والاستمتاع بنمطِ حياة مُريح. كان الزواج سعيدا على الرغم من أنَّ الزوجين لم يحظيا في الواقع بأطفال. ومنذ ذلك الوقت، عاش ماشادو راحة البال في حياة هادئة تماما، ولم يرتحل قط لأبعد من مئة ميل عن مسقط رأسه في ريو دي جانيرو.

صوت أصيل

عندما بدأ ماشادو مسيرته الكتابية، كان تأثير الحركة الرومانسية واضحا في الأدب البرازيلي، وعكست رواياته الأولى، مثل «هيلينا (١٨٧٦)» و«لايا غارسيا (١٨٧٨)» هذا الاتجاه الأدبي؛ كانت أعمالا معبّرة عاطفيا إذ يواجه فيها الفرد مجتمعًا ضيّق الأفق. حقّقت الروايات نجاحًا مؤكدا، إلا أنها لم تكن تعكس في الحقيقة مزاج الكاتب.

بدلا من ذلك، عثر ماشادو على صوته الخاص من خلال قراءة أدب المؤلف الإنجليزي من القرن الثامن عشر، لورانس ستير، والذي كان يستخدم الاستطراد لخلق تأثيرٍ هزلي. تبنّى ماشادو تقنية استطرادية مُشابهة، لكنه استخدمها مركبةً لتشاؤميته الساخرة والمحايدة.

كانت رواية «مذكرات براس كوباس بعد الموت (١٨٨١)» أول رواية يظهر فيها هذا الأسلوب، والتي يسردها بضمير المتكلّم كاتبٌ ميّت. ترسم الرواية صورة تهكمية لحياة ذات امتيازات مليئة بالعبث المُطلق. وفي تقويضٍ منه للسرد التقليدي، يُقسّم المؤلف النص إلى فصولٍ قصيرة غالبا ما تتشعب إلى خيالاتٍ أو تأملات فلسفية غريبة. وعلى الرغم من أن السارد يحافظ على نبرة استعلائية مُحبَطة، فقد كان هناك تيّارٌ خفي مُقلِق من المرارة طوال الرواية. تبع هذا العمل روايات أخرى، مثل «كوينكاس بوربا (١٨٩١)» التي كانت بمثابة نقدٍ لاذع للفلسفة الإنسانوية، و«دون كاسمورو (١٨٩٩)» التي تسرد حكاية مأساوية من الحب والخيانة لكن النبرة كانت في غاية الارتجال والاستطراديّة، الأمر الذي تسبّب في تقويض الرعب الحقيقي للقصة.

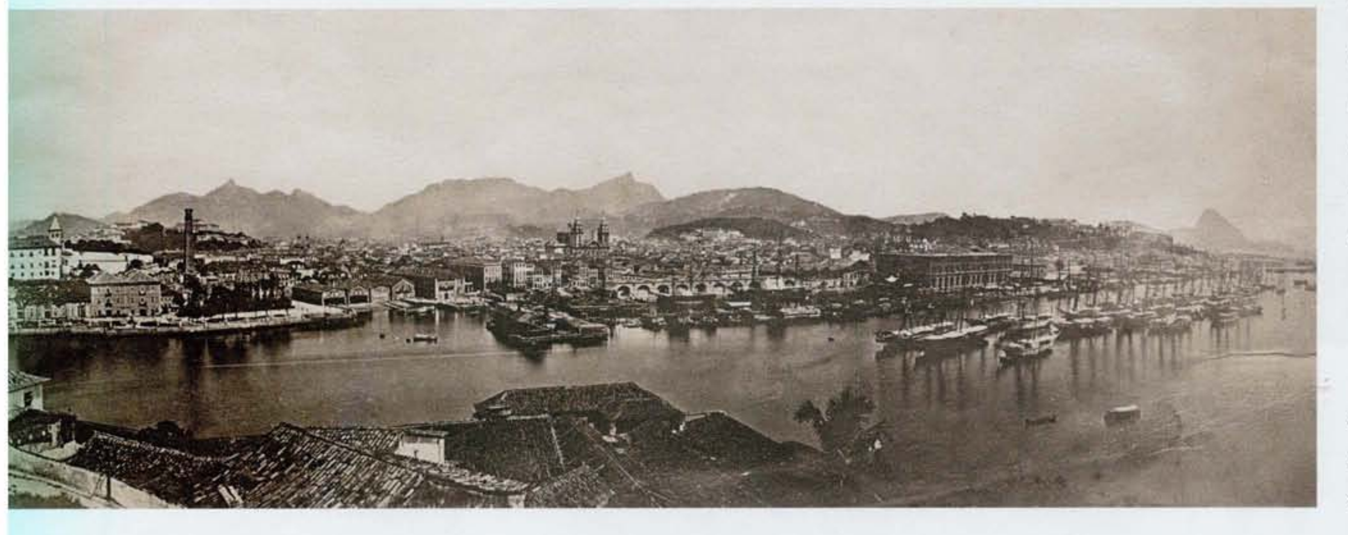
تلقى ماشادو الكثير من التبجيل والتقدير في سنواته اللاحقة، فكان بطلا ثقافيا، ومؤسس الأكاديمية البرازيلية للآداب The Brazilian Academy of Letters ورئيسا لها. توفي في عام ١٩٠٨ بعد أربع سنوات من وفاة زوجته الحبيبة.

إمبراطورية البرازيل



ولد ماشادو دو أسيس في بداية عهد إمبراطورية البرازيل الثانية (١٨٤٠-١٨٨٩). بدأت البرازيل، تحت ظل حكم الإمبراطور دوم بيدرو الثاني، في التحضّر والتطوّر. جذبت مكانة البرازيل المتنامية الدولية موجة هجرة من أوروبا ساعدت على ازدهار الأدب والمسرح والفن. كانت أعمال ماشادو إيذانا بقدوم عصر كتابةٍ في البرازيل سيحلّ محل الأنواع الأدبية الرومانسية مثل الروايات الهندية «Indianista Novels» التي تُشيد بالحياة البسيطة لسكان أمريكا الجنوبية الهنود. دعم ماشادو الحكم الملكي في البرازيل، وظلّ مواليًا للإمبراطور حتى بعد الإطاحة به في انقلاب عسكري عام ١٨٩٩ الذي أسس الجمهورية البرازيلية الأولى. وصف ماشادو دوم بيدرو بالرجل المتواضع الأمين «الذي جعل من العرش محض كرسيّ».

الإمبراطور دوم بيدرو الثاني.



▼ ريو دي جانيرو
حافظ ماشادو على نظرة برجوازي المدينة الغريب حتى عندما يتحرك في دوائرها على الرغم من ولادته في إحدى ضواحي ريو دي جانيرو الفقيرة. كانت بيئة المدينة الساخنة والبخارية والهائجة المتكاملة مع مظالمها- الثيمة في أغلب أعماله.

> أنا لستُ في الحقيقة كاتبا حقيقته رجل ميّت، إنما رجل ميتٌ حقيقته كاتب.
>
> مذكرات براس كوباس بعد الموت- ماشادو دي أسيس.

إيميلي ديكنسون

(١٨٣٠-١٨٨٦) أمريكية.

نَظَمَت شاعرة نيو إنجلاند قرابة ١٨٠٠ قصيدة، ولم تُنشر أغلب قصائدها إلا بعد وفاتها. كان يُنظر إليها في حياتها على أنها غريبة الأطوار، لكنّها تُعدّ الآن واحدةً من أعظم شعراء الولايات المتحدة الأمريكية.

وُلدت ديكنسون في عام ١٨٣٠ لعائلة بارزة في بلدة كلية أمهرست، ماساتشوستس. كان أسلافها قد وصلوا إلى نيو إنجلاند جزءًا من الهجرة البيوريتانية (أو هجرة المتشددين) في ثلاثينات القرن السابع عشر، وكان لجدها دورٌ فعال في تأسيس كلية أمهرست، والتي كانت، بحلول ولادة ديكنسون، واحدة من بين أكبر الكليات في الولايات المتحدة الأمريكية.

قصدت ديكنسون أكاديمية أمهرست برفقة أختها لافينيا، حيث كانت طالبة متفوقة. كان الالتزام بالمذهب البيوريتاني المتشدد أحد المبادئ في أمهرست، وذهبت ديكنسون إلى الكنيسة بانتظام حتى توقفت عن ذلك فجأة نحو عام ٢٥٨١ وكتبت في إحدى قصائدها:

«يذكر البعض يوم السبت بالذهاب إلى الكنيسة - / وأذكره أنا بالبقاء في المنزل».

درست ديكنسون العلوم في معهد ماونت هوليوك للفتيات، وعندما اكتسحت صحوة دينية ماساتشوستس، رفضت ديكنسون أن «تُنقَذ»، وأظهرت شكوكها في إحدى قصائدها كاتبة:

الإيمان اختراع لطيف/ حين يستطيع المهذبون الرؤية/ لكن المجاهر حصيفة/ عند الضرورة

تركت ديكنسون المعهد بعد عامٍ واحد لتعود إلى مسقط رأسها؛ بصرف النظر عن زيارةٍ إلى فلاديفيا وواشنطن في عام ١٨٥٥، لم تغادر ديكنسون أمهرست أو «بيت والدها» بعد ذلك قط. وضع كتّاب سيرتها الذاتية النظريات حول دوافع هذا القرار، فتراوحت ما بين ذكر عِلّةٍ ما أو الحنين إلى الوطن، أو تفسير تصرّفاتها بأنها طريقةٌ للسّيطرة على مصيرها في وقت كانت النساء لا يملكن فيه زمام المبادرة في حياتهن. وبمرور الزمن، أصبحت ديكنسون مُنعزلة، وانسحبت إلى عالمها الداخليّ، لكنها بقيت محافظة على صداقاتها ومناقشاتها من خلال مراسلاتها الغزيرة.

قصائد الحرب الأهلية

كانت المرحلة الزمنية ما بين ١٨٦٠-١٨٦٥ أغزر مراحل ديكنسون إنتاجا. زامنت هذه المرحلة من حياتها الحربَ الأهلية الأمريكية، وقاد صديقها توماس وينتورث هينسون -الناقد الأدبي البارز والمؤيد للإلغائية (التحرير من العبودية)- أول فوج من الرجال السود في جيش الاتحاد، والذي فقدت فيه العديد من أحبّائها. وعلى الرغم من بُعد أرض المعارك، فقد أثرت الحرب في قصائد مثل «اسم -ـه- ' خريف '» التي تشير فيها إلى سفك الدم، و«حصتي الهزيمة -اليوم-».

كتبت ديكنسون قصائدها سرًّا، ونظّمتها في رُزَمٍ خاطتها معا. أرسلت بعضا منها إلى أصدقاء، لكن معظم قصائدها لم ترَ النور أمام العامة في حياتها. من المحتمل أن تكون ديكنسون قد فكّرت في نشر أعمالها، وسعت في عام ١٨٦٢ لطلب نصيحة صديقها توماس هينسون، حيث سألته: «أمنهمكٌ أنتَ جدًا لتخبرني ما لو أنّ شعري ينبضُ بالحياة؟». دامت مراسلاتهما ثلاثة وعشرين عاما، لكن شعرها لم يجد طريقه إلى الجمهور إلا بعد وفاتها، عندما اكتشفت أختها لافينيا قرابة أربعين رزمة قصائد. نُشرت أول طبعة من أعمالها في عام ١٨٩٠ بعد أن خضعت لتحرير مكثّف، ولم تظهر قصائدها ورسائلها بصيغتها الأصلية إلا في عام ١٩٥٥.



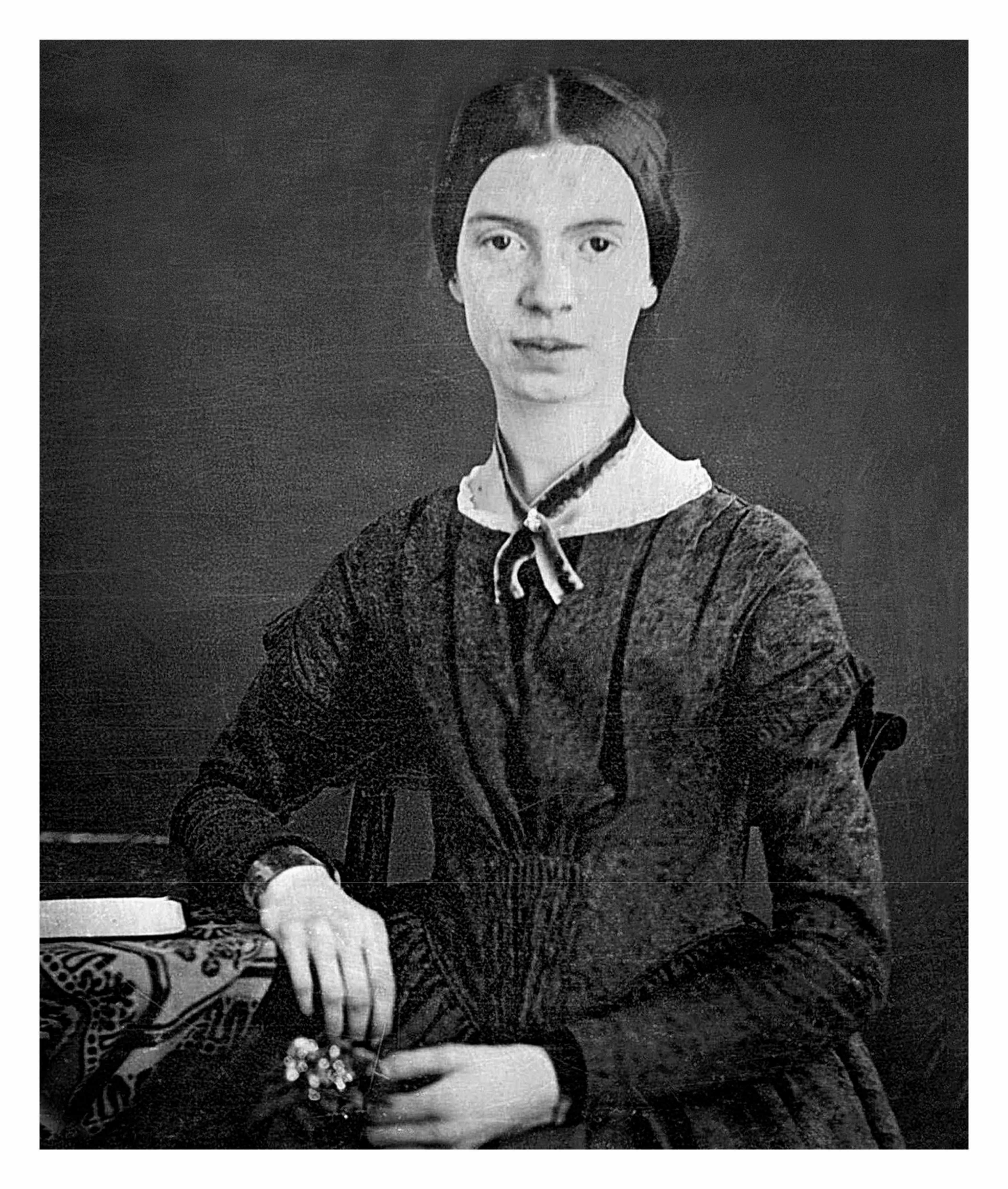
◄ سكن آل ديكنسون
عاشت ديكنسون في هذا المنزل أمهرست معظم حياتها، ونادرًا جدًا ما غادرت هذه الأراضي. عندما طلب منها صديقها توماس اللقاء في بوسطن ردت «لا أغادر أرض أبي إلى أي بيت أو بلدة».

الشعر المُجزّأ

كان يُنظر إلى قصائد ديكنسون في حياتها على أنها غير مألوفة/تقليديّة. كان استخدامها لعلامات الترقيم ذا خصوصية مُعيّنة، إذ أكثرت من استخدام الشرطات (-) على حساب الفواصل (،) أو النقاط (.) وقد تكتب الكلمات بحروف كبيرة وسط الجملة. لم تكن قصائدها مُعنونة، وغالبًا ما تشير السطور الأولى إلى الأيام. نُشرت حوالي سبع قصائد فقط في حياتها، وحتى تلك القصائد خضعت لتحرير مُكثّف.

مخطوطة قصيدة «اثنان- كانا خالدين مرتين»

◄ إيميلي ديكنسون، ١٨٤٧
تُظهر هذه الصورة ديكنسون الشابة. هجرت في أواخر حياتها المجتمع مختارةً ارتداء ثوب أبيض أغلب الأحيان، وبقيت في غرفتها حتى وفاتها بعمر الخامسة والخمسين.



مارك توين

(١٨٣٥-١٩١٠) أمريكي.

احتُفي به واحدًا من أول الأصوات الأصيلة في الأدب الأمريكي؛ رفع الكاتب والفكاهي توين مرآة أمام الوجوه العديدة لأمّته سريعة التطور.

ولد صمويل لانغهورن كليمنس -الذي كتب لاحقا باسم مارك توين- في الثلاثين من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٨٣٥، الابن السادس من بين سبعة أطفال لعائلة عاشت الفاقة في هانيبعل، ميسوري، بالقرب من نهر المسيسيبي. أرّخ توين الأوقات الاستثنائية في التاريخ الأمريكي، وكان لحياته المبكرة في مقاطعة لمالكي العبيد الأثر الكبير في سرده للحكايات لاحقا.

على ضفّة النهر

بعد وفاة والده، كليمنس، وهو في سن الثانية عشر، عمل توين مُنضِّدًا typesetter، وكاتبًا من حينٍ لآخر في صحيفة محلية، ثم في أماكن أبعد في نيويورك وفيلادلفيا. ثم وبعد مضي تسع سنوات على ذلك، عاد إلى مدينته الأم وهو في الحادية والعشرين من عمره ليصبح ربان باخرة مبتدئ في نهر المسيسيبي. كان عبور النهر العظيم بين سانت لويس ونيو أورلينز مهنة رفيعة المستوى غمرت توين بفيض الحياة الوحشية البدائية على طول ضفافه. لكنَّ الحربَ الأهلية قضت على التجارة النهرية في عام ١٨٦١. منجذبا لحمى الذهب والفضة في نيفادا؛ سافر الشاب كليمنس غربا على متن عربة جياد، حيث واجه القبائل الأمريكية الأصليّة، وأبناء التخوم البرّية، وعقبات لا حصر لها، وقد زوّدته تلك الأحداث بمادة لكتبه كتابه إخْشَوْشِن: Roughing it (١٨٧٢).

ومع عودته للعمل في الصحافة في فرجينيا ثم لاحقا في سان فرانسيسكو، تبنى الاسم المستعار «مارك توين»؛ وهو مصطلح يستخدمه رجُل الباخرة للإشارة إلى المياه الآمنة: على عمق قامتين fathom. حققت له قصته القصيرة « الضفدع القافز المشهور في مقاطعة كالافيراس » نجاحه الأول في عام ١٨٦٥. أعاد توين اكتشاف ذاته محاضرا وكاتب رحلات، وطافَ أوروبا والأراضي المُقدّسة على متن سفينة «كويكر ستي». وفي روايته المضحكة لطبيعة السفر مع الأمريكيين السُّذّج؛ الأبرياء في الخارج (١٨٦٩)، أشار توين إلى أنَّ القارئ «لن يعرفَ أبدا الأحمقَ الكبير الذي سيكونه حتى يسافر إلى الخارج». وفي أثناء رحلته تلك، وقع توين في غرام صورةٍ لأوليفيا لانغدون؛ شقيقة رفيقٍ له في الرحلة. وفي عام ١٨٧٠، تزوجها وانتقل الاثنان إلى هارتفورد في كونيتيكت.

السنوات الأخيرة

كتب توين معظم كتبه الشهيرة حينما كان يعيش في هارتفورد، من بينها مغامرات توم سوير (١٨٧٦) التي تدور أحداثها في بلدة خيالية مبنية على موطنه في صباه؛ مدينة هانيبعل. وفي عام ١٨٨٢، عاد توين إلى النهر للبحث حول «الحياة على المسيسيبي (١٨٨٣)»، وهي مذكرات من أيّام عمله ربّانَ سفينة، لكنه ألفى نفسه في محيط اختلف تماما عن ذاك الذي عايشه. وبعد ذلك بعام، كتب «مغامرات هكلبيري فن» التي تجري أحداثها قبل أربعين عاما، وسط العبودية في الجنوب، وسلب الأراضي في الغرب. تمثل قصة هاك على طول نهر المسيسيبي عبر طوافة برفقة عبدٍ هارب «القصة الشخصية لصبي» بقلبٍ متطرّف: هجاء لاذع للعنصريّة.



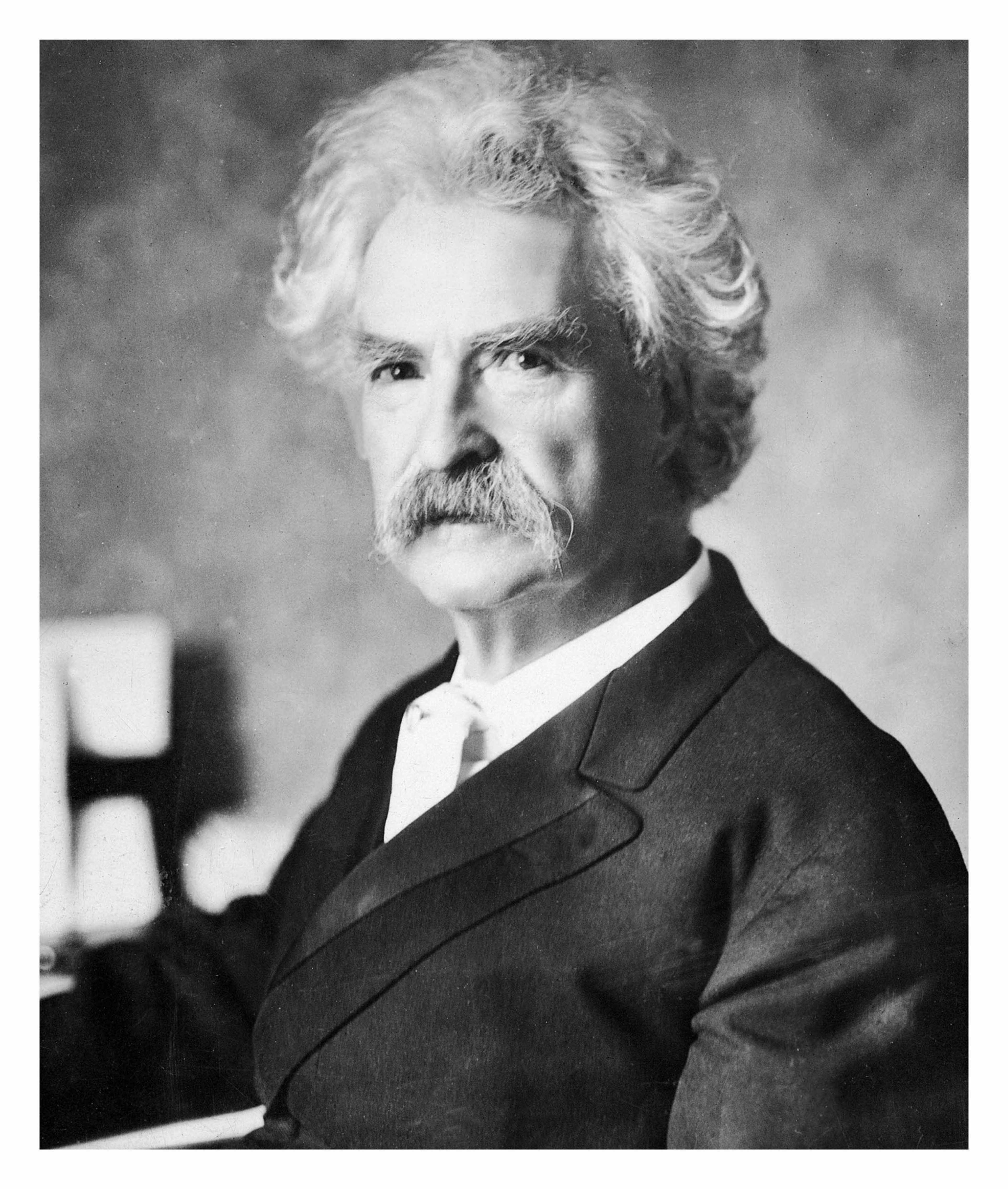
◀ **سنوات القوارب البخارية**
يُظهر هذا المشهد العلوي بلدة توين، هانيبعل، ميسوري، عام ١٨٦٩. استمّد كتاباته بكثرة من خبراته قبطان قارب بخاري في نهر الميسيسيبي ولقائه بالأناس غريبي الأطوار هناك.

عن أسلوب السرد الخادع

كان توين أول كاتب أمريكي بارز لا تعود أصوله إلى الساحل الشرقي. كانت رواياته -المكتوبة بخطاب عامي لمجموعة من الأصوات المتنوعة والمتأصلة حسب المناطق المختلفة- تتعارض مع التيار الأدبي السائد. أصبح سرد هاك فين للحكايات في ستينات القرن العشرين معروفا بالسرد الخادع Unreliable narration، وهو أسلوب سردي يخرّب توقعات القُرّاء حول نصّ واقعي. تكشف التأملات الحاذقة للصبي الغرّ وغير المتعلم على ظهر الطوافة ما يحدث على السطح، لكنها تسمح كذلك للظلام بالتدفق.

طبعة أمريكية أولى لرواية مغامرات هكلبيري فِن.

◀ **توين في هارتفورد**
التقط توين هذه الصورة هنا في سنوات حياته الأخيرة في هارتفورد، كونيتيكت. كتب توين ثمانية وعشرين كتابا والعديد من القصص القصيرة والرسائل والمخططات طوال حياته، ونال الدكتوراة الفخرية من جامعتي يالي وأكسفورد.



توماس هاردي

(١٨٤٠-١٩٢٨) إنجليزي.

واحد من أبرز الروائيين والشعراء البريطانيين المحبوبين في القرن التاسع عشر. خلّد هاردي ذو الأصول الريفية المتواضعة مسقطَ رأسه بسلسلة من الحكايات الرومانسية الأخّاذة.



▲ بيت دورست

ولد هاردي في هذا الكوخ ذي السقف القشيّ في منطقة هاير بوكهامبتون وعاش فيه حتى بلغ الرابعة والثلاثين. وكتب هنا رواية بعيدًا عن الحشد الصاخب.

لعبت خلفية عائلة توماس هاردي دورًا هامًّا جدا في تحديد المواضيع التي سيستعرضها لاحقا في رواياته. ولد توماس في الكوخ الذي بناه جده الأكبر في قرية صغيرة في هاير بوكهامبتون، خارج دورتشيستر؛ بلدة مقاطعة دورست في جنوب إنجلترا. كان والده معماريّ حجارةٍ ماهر، لكن كان للعائلة أسرارها، فقد أُجبر والدا توماس على الزواج بسرعة بعد أن حملت والدته، وحُرمت جدّته -وهي ابنة مزارع ثري- من الميراث بعد زواجها من خادم. تحمّلت العيش في زواج فظيع، وماتت في فقر، إذ تبيّن أنّ زوجها كان سِكّيرًا عنيفا. لم يكشف هاردي عن هذه الأحداث مباشرة في كتاباته، لكن مسائل مثل الزواج بين الطبقات الاجتماعية المختلفة، وعار الأبناء غير الشرعيين، وتقلب الأوضاع المفاجئ في الثروات المالية، كانت تحتلّ مكانةً بارزة في أعماله.

كان هاردي صبيا مريضا -كاد يموت عند ولادته- لكن موهبته تجلّت منذ نعومة أظفاره؛ تعلّم القراءة «قبل أن يتمكن من المشي تقريبًا»، وكان تلميذا نجيبًا في المدرسة. وحلمَ بأن يدرس في إحدى الجامعات الكبيرة، تماما كما كان يحلم بطل روايته «جود الغامض»، لكن حالته الاجتماعية عرقلت حلمه هذا، وأصبح بدلا من ذلك مُتدربا لدى معماريّ محلّي يدعى جون هيكس. وهناك، التقى هاردي بهوراس مولي، وهو طالب ألمعي ولكنه غريب الأطوار، كان له تأثير عميق على الشاب الفتيّ هاردي. عمل هوراس معلما له، فأرشده في دراساته وشجع جهوده الأولى في الكتابة الشعرية. تلازم الرجلان وجمعتهما صداقة قوية لم تنتهِ إلا بانتحار مولي المأساوي في عام ١٨٧٣.

تراكم الخبرات

امتاز هاردي بكونه شخصًا حساسًا ومرهفَ المشاعر، الأمر الذي جعله سريع التأثر بالنقد، لكنه زاد كذلك من وعيه بمعاناة الآخرين، وكان يراكم ذكرياته الصادمة في بعض الأحيان ليستخدمها في وقتٍ لاحق. ومن الأمثلة على ذلك ما شهده هاردي وهو بسن السادسة عشرة، إذ حضر شنق امرأة أُدينت بقتل زوجها زير النساء. كان ذلك آخر إعدام علني لامرأة تشهده دورتشيستر، وظلّ ذلك المشهد المُريع عالقًا في ذاكرته إلى آخر حياته. وممّا لا شك فيه أن أثر تلك التجربة قد برز في كل من حبكة وشخصية البطلة المأساوية لرواية Tess of the d'Urbervilles.

وفي عام ١٨٦٢، انتقل هاردي إلى لندن ليوسّع من آفاق مهنته، حيث انضمّ إلى التدريب المعماري

ويسكس

كان هاردي مفتونا بالتاريخ والتراث المحليين، واستخدم معرفته لابتكار مُحيطٍ فريد لرواياته التي كانت نصف خيالية ونصف واقعيّة. سمّى ذلك المكان بـ «ويسكس»، وهو اسم مملكة ساكسون الشرقية القديمة التي كانت مزدهرة قبل ألف عام. كان مكان هاردي المتخيل ويسكس يقع في مقاطعته المحليّة دورست، لكنها امتدت لتشمل مقاطعات أخرى مجاورة، مثل ويلتشاير، وبيركشاير، وهامبشاير، وسومرسيت، وديفون. وللعديد من أماكنه المبتكرة نظائرُ في الواقع، فمدينته كاستربريدج مثلا هي دورتشيستر، وويذربيري هي بَدِلتاون، وكريستمنستر هي أكسفورد. من خلال اختراعه لويسكيس، أنشأ هاردي بذكاء «علامة تجارية» لكتاباته، وجعل من مدينته تلك مقصدًا للحُجّاج الأدبيين.



خريطة الممالك الأنغلو-سكسونية في إنجلترا.

ذاك الذي يبدو، في نظر المجتمع، مأساويًا، قد لا يكون في طبيعته ظرفًا يُنذر بخطر.

توماس هاردي

◄ توماس هاردي، ١٩٢٣

رسم الفنان الإنجليزي ريجينالد غرينفيل بضع صور لهاردي عندما أقام معه في منزله، في ماكس غايت، دورتشيستر.



إيما جيفورد

التقى هاردي بإيما جيفورد (١٨٤٠-١٩١٢) حينما كان يخطط لترميم كنيسة في شهر آذار/ مارس من عام ١٨٧٠. كانت إيما شقيقة زوجة الكاهن، وكاتبة طموحة كذلك. فُتِن هاردي بحيوية إيما وحس المغامرة لديها، وتزوج الاثنان في عام ١٨٧٤. عاش الزوجان بسعادة ورخاء لسنوات معدودة في ستورمنستر نيوتن. بيد أن الأمر لم يدم طويلا، إذ نمت بينهما فجوة ظلّت تتزايد تدريجيا مع انطلاق مسيرة هاردي الأدبية، وأصبحت إيما غاضبة وحانقة على نحوٍ مُتزايد. لكن بالرغم من ذلك، ظلّت مشاعر هاردي تجاهها قوية، ونظم بعد وفاتها سلسلة من قصائد الحب المؤثّرة تكريمًا لذكراها.



إيما جيفورد

لآرثر بلومفيلد. سُحر هاري بالعاصمة الإنجليزية، وتذوق الملذات الثقافية التي ضمّتها مسارحها ومعارضها. لم ينجُ من أعماله المعماريّة في ذلك الوقت سوى تُحفةٍ واحدة لافتة للأنظار، ألا وهي «شجرة هاردي» التي تتكوّن من ترتيب دائري لشواهد القبور بالقرب من سانت بانكراس، وقد صمّمها عندما كان يعمل على إخلاء المقبرة لإفساح المجال لقسم جديد من سكة حديد ميدلاند.

التقى هاردي بزوجته الأولى من خلال عمله المعماري. كان متواجدا في كورنوال من أجل تقدير قيمة التصليحات لكنيسة القديسة جوليت حين تعرّف على إيما جيفورد. كان والدها كاتب عدل -رجلا من طبقة اجتماعية تفوق أسرة هاردي بكثير- لكنه كان سِكّيرا ومفلسا. وعلى الرغم من ذلك، فقد بذل هاردي جهدا كبيرا في إخفاء خلفيته، وكان حريصًا كلّ حرص، ولسنواتٍ عديدة، على عدم التقاء العائلتين الموقرتين. لم يحضر زواجَهما عام ١٨٧٤ سوى شقيق إيما وابنة صاحبة دار هاردي. كانت تلك نوعيّة التوترات الاجتماعية التي أجاد هاردي وصفها في رواياته.

بواكير الكتابة

بحلول ذلك الوقت، كان هاردي عازما كل العزم على أن يجعل لنفسه مسيرة مهنية في عالم الكتابة. كانت روايته «علاجات يائسة» قد ظهرت في عام ١٨٧١، على الرغم من أنّه كان ملزما بدفع ٧٥ جنيهًا إسترلينيًا من ماله الخاص لدعم نشرها. أتبعها برواية «تحت الشجرة الخضراء (١٨٧٢)»، وهي رواية موجزة ولكنها جذّابة اعتمدت بكثرة على ذكريات طفولته حول الموسيقيين (من بينهم والده) الذين كان يعزفون في كنيسته المحلية في ستينفورد. أما كتابه التالي، «عينان زرقاوان (١٨٧٣)»، فكان يضم بطلة بُنيت إلى حد كبير على شخصية إيما جيفورد. لكن رواية هاردي الرابعة، «بعيدا عن الحشد الصاخب»، هي التي جلبت له الشُّهرة والتقدير.

نُشِرت هذه الرواية متسلسلة في مجلة «كورنهيل» المرموقة من شهر كانون الثاني/ يناير من عام ١٨٧٤ إلى كانون الأول/ ديسمبر من العام ذاته، ثم نُشِرت لاحقًا في طبعةٍ من جُزأين. كان النشر المتسلسل في العصر الفيكتوري علامةً على أن المؤلف قد نال المكانة؛ الأمر الذي مكنهم من جني عائدات محترمة من خلال وصولهم إلى شريحة عريضة من القراء (كانت المجلات أرخص بكثير من الكتب).

فرض هذا النوع من النشر قيودًا على أسلوب الرواية وبُنيتها: كان على أجزاء العمل أن تنشر بالتساوي في كل دفعة، وطول كل جزء محددًا سلفا، وينبغي للمحتوى أن يكون مناسبا للقراءة العائلية. عانى هاردي كثيرا من هذا الشرط الأخير (مع أنه كان من الممكن إجراء تعديلاتٍ بين النسخة المُتسلسلة والنسخة النهائية للكتاب المنشور).

حقائق ريفيّة

كانت رواية «بعيدا عن الحشد الصاخب» من الأعمال الرائدة في رسمها للحياة الريفية. ففي الوقت الذي كانت تصف فيه جمال بلدة هاردي المحلّية «دورست»، بطبيعتها وتقاليدها، كانت تعكس كذلك الواقع القاسي للحياة في الريف، فأظهرت مثلا السهولة التي واجه بها الراعي جابرييل أوك الفقر والإذلال، وموت فاني روبن في بؤس في ورشة العمل. قدّم هذا الكتاب المسودة الأولى لمجموعة هاردي القصصية «حكايات ويسكس (١٨٨٨)»، حيث استمر في تصوير الريف بأسلوب واقعي وغير عاطفي.

وثّق هاردي كذلك التغيرات الرئيسة التي تحدث في الريف، إذ منح تنامي السكك الحديديّة عمّال الحقول الفرصة للتحرك بعيدا في بحثهم

أبرز أعماله:

١٨٧٤
بعيدا عن الحشد الصاخب: واحدة من أفضل روايات ويسكس لهاردي، والتي تستمد عنوانها من عمل توماس غراي «مرثاة في فناء كنيسة ريفية».

١٨٧٨
عودة ابن البلد: حكاية لعواطف يقظة تلفّها الأجواء الكئيبة لإيدغون هيث.

١٨٨٦
عمدة كاستربريدج: (عنوانها الثانوي قصة رجل ذو سمعة طيبة) حكاية مأساوية عن صعود وهبوط جامع قش متواضع.

١٨٩١
Tess of the d'Urbervilles: حكاية أليمة عن الإغواء والخيانة والقتل.

١٨٩٥
جود الغامض: آخر روايات هاردي. إنها حكاية قاتمة ومثيرة للجدل عن «الحرب المُميتة ... بين الجسد والروح».

عن العمل، لكنّ إلغاء قوانين الذرة تسبّب في تدهور الزراعة البريطانيّة. أدى هذا الأمر إلى ارتفاع معدلات البطالة، حيث تقلّصت سبل عيش المزارعين بسبب الواردات الرخيصة، وكان هناك اعتماد متزايد على الآلات. في رواية Tess مثلا، نجد انحدار البطلة منعكسا في انتقالها من مصنع ألبانٍ لطيف إلى مزرعة قاتمة من «فدادين الجياع»، تسمى Ash-Flintcomb، حيث كان العمال مجبرين على القيام بأعمالٍ بدنيّة شاقة، وكانت تيس تكافح للتغلب على ماكينة الدرس «الوحشية».

لقد زوّده موطنه الرّيفي بخلفية غنية لمزيجه المثير من الأعمال الدرامية، والتي تضمنت الإغراءات والهجر والزواجات الفاشلة والأطفال غير المرغوب فيهم. أصبحت هذه الأحداث تشاؤمية على نحو متزايد، وغالبا ما تكون مصحوبة بشعورٍ طاغٍ بالسلطة القاهرة للقضاء والقدر. وقد بدت الشخصيات الرئيسة في آخر روايتين له (جود الغامض و Tess of the d'Urbervilles) كما لو أنها تُعاقب على محاولتها الارتقاء والتحسين من حياتها.

انقطع هاردي بعد رواية جود الغامض عن كتابة الرواية، والتي هوجمت بشدة لنقدها الواضح للدين المُنظّم ولمؤسسة الزواج، وأسماها أحد النقاد «جود الفاحش». كرّس هاردي ما تبقى من مسيرته الأدبية في نظم الشعر، وتناولت العديد من قصائده العُمر، وتقدم الزمن، لكنه أنتج كذلك قصائد حربية، وشعرًا عن إيما (مع أنه تزوج مجددا بعد وفاتها بعامين). وشُرِّف بعد وفاته بمكانٍ في ركن الشعراء في كنيسة ويستمنستر، في حين دُفن قلبه في تربة دورست.

◂ **بعيدا عن الحشد الصاخب**

تتبعت رواية هاردي حياة وغراميات الفلاح، باثشيبا إيفيردين. وعلى الرغم من نهاية الرواية السعيدة ظاهريا فقد كانت رواية قلقة ومظلمة في الغالب.

▴ **بلدة هاردي**

تميّزت رواية Tess of the d'Urbervills بوجود بلاكمور فالي بالقرب من بلدة بلاندفورد في شمال دورسيت، حيث استذكره هاري في يوميات فالي الصغيرة.

▾ **المكتبة في ماكس غايت**

صمم هاردي ماكس غايت، منزله الكبير في دورتشيستر، في عام ١٨٨٥ وعاش هناك حتى وفاته. وهنا كتب روايتي Tess of the d'Urbervills وجود الغامض.



«دعوني أكرّر بأن الرواية انطباعٌ لا مجادلة»

توماس هاردي – من تمهيد لرواية: Tess of the d'Urbervilles



إميل زولا

(١٨٤٠-١٩٠٢) فرنسي.

وسّع زولا، الروائي الفرنسي الأبرز في أواخر القرن التاسع عشر، نطاقَ الرواية عبر روايته «الطبيعانية» الساخرة للحياة في طبقات المجتمع كافّة، وعبر تصويره للجنس.

ولد إميل زولا في باريس في عام ١٨٤٠، ابنًا لمهندس إيطالي وأم فرنسية. انتقلت العائلة، التي كانت ثرية في البداية، إلى مدينة آكس أون بروفانس جنوبي فرنسا في عام ١٨٤٣. أدى موت الأب بعد ذلك بأربع سنوات إلى انحدار الأسرة إلى الفقر المُدقع. وفي عام ١٨٥٨، عاد زولا إلى باريس، حيث كسب لقمة عيشه من الوظائف الكتابية، والتقى بامرأة باريسية من الطبقة العاملة تدعى ألكسندرين ميلي، التي تزوّجها لاحقًا. أتت عليه تجربته بالعيش في أدنى مستويات المجتمع الباريسي بالنفع في وقتٍ لاحق حين استخدمها في رواياته.

وفي ستينات القرن التاسع عشر، حينما كان يعمل في قسم المبيعات لدى دار نشر Hachette، بدأ زولا في إثبات نفسه صحفيا وكاتبا روائيا. كان زولا يتردد برفقة صديق طفولته الرسام بول سيزان Cezanne على حلقة من الفنانين سميت لاحقا بـ «الانطباعيين». كانت أولى رواياته المهمة هي الرواية الميلودرامية المثيرة للمشاعر Therese Raquin التي نُشرت في عام ١٨٦٧، وهي قصة مروّعة تدور في أجواء من الشهوة والقتل والخطيئة. وفي العام التالي، خطط زولا لكتابة سلسلة من الروايات تنافس الملهاة الإنسانية لبلزاك، وكتبها وفقا للمعايير العلمية لمذهب النزعة الطبيعانيّة

◄ زولا، ١٨٦٨

كان زولا بطل الفن الانطباعي، وكتب في عام ١٨٦٧ دفاعًا صارمًا عن الرسام إدوارد ماني ضد نقد المحافظ الذي تعرّض له. وفي المقابل رسم ماني هذا البورتريه لزولا.

«Naturalism». وتبعًا لذلك، بيّنت هذه الأعمال كيف شكلت الوراثة والبيئة حياة أفراد عائلة واحدة؛ آل روغون ماكوارت Rougon-Maquarts. قضى زولا في تنفيذه لهذا المُخطّط ما يزيد عن عقدين من الزمن.

الطبيعانية

كانت أولى الروايات العشرين من سلسلة روايات آل روغون-ماكوارت هي «ثروة عائلة روغون» التي ظهرت في عام ١٨٧١، لكن الرواية السابعة من السلسلة «L'Assommoir» التي نشرت عام 1877 هي من صنعت سمعة زولا ورسّخت شهرته. فباستخدامٍ واسع النطاق للباريسيّة العامية، كانت الرواية تصويرًا حيًّا لواقع حياة الطبقة العاملة التي دمرها الفقر وإدمان الكحول. أعقب ذلك سلسلة من النجاحات الفاضحة، بما في ذلك قصة عاهرة؛ نانا (١٨٨٠)، وجرمينال (١٨٨٥) التي تقع في مناجم شمال شرق فرنسا، والكارثة (١٨٩٢) التي تصور الحرب والثورة التي اجتاحت فرنسا في نهاية الإمبراطورية الثانية. وعلى الرغم من ادّعاءات زولا العلمية عن النزعة الطبيعانية ومن الأبحاث التي أجراها قبل الكتابة، فقد كانت هذه الروايات أعمالا درامية ذات رؤية ملحميّة، تتناول الخطوط العريضة وتُعدّ مُحمّلةً بالكثير من الرمزيّة.

استغل زولا حرية التعبير التي سمحت بها جمهورية فرنسا الثالثة في الكتابة عن مواضيع كانت في الماضي من المحرمات، مثل ممارسة العادة السرية، والتي تناولها في روايته الريفية «الأرض ١٨٨٧». رفض زولا أيضا الأخلاقيات التقليدية في حياته الخاصة، إذ حافظ على علاقة مع عشيقة شابة تدعى جيين روزيرو، منذ عام ١٨٨٨، وأنجب منها طفلين.

وفي عام ١٨٩٨، تورّط زولا في أكبر فضيحة سياسية في فرنسا «قضية دريفوس»؛ منددا بالسلطات الفرنسية لمعاداة السامية والانحراف عن العدالة. أصبح بعدها بطلا لليسار السياسي الفرنسي وشخصية مكروهة من اليمين. حوكم زولا بتهمة التشهير، وفرّ إلى بريطانيا. مات زولا في عام ١٩٠٢ بعد عودته إلى فرنسا، مُتسمِّمًا بأحادي أوكسيد الكربون بسبب مدخنة مسدودة.



▲ منشور دعائي لمسرحية L'ASSOMMOIR

تحوّلت رواية زولا L'ASSOMMOIR إلى مسرحية في أوروبا وأمريكا، حيث جذبت توصيفاتها المتجهمة عن إدمان الكحول والفقر الحركةَ الاعتدالية (المطالبة من الحد من تناول الكحول).

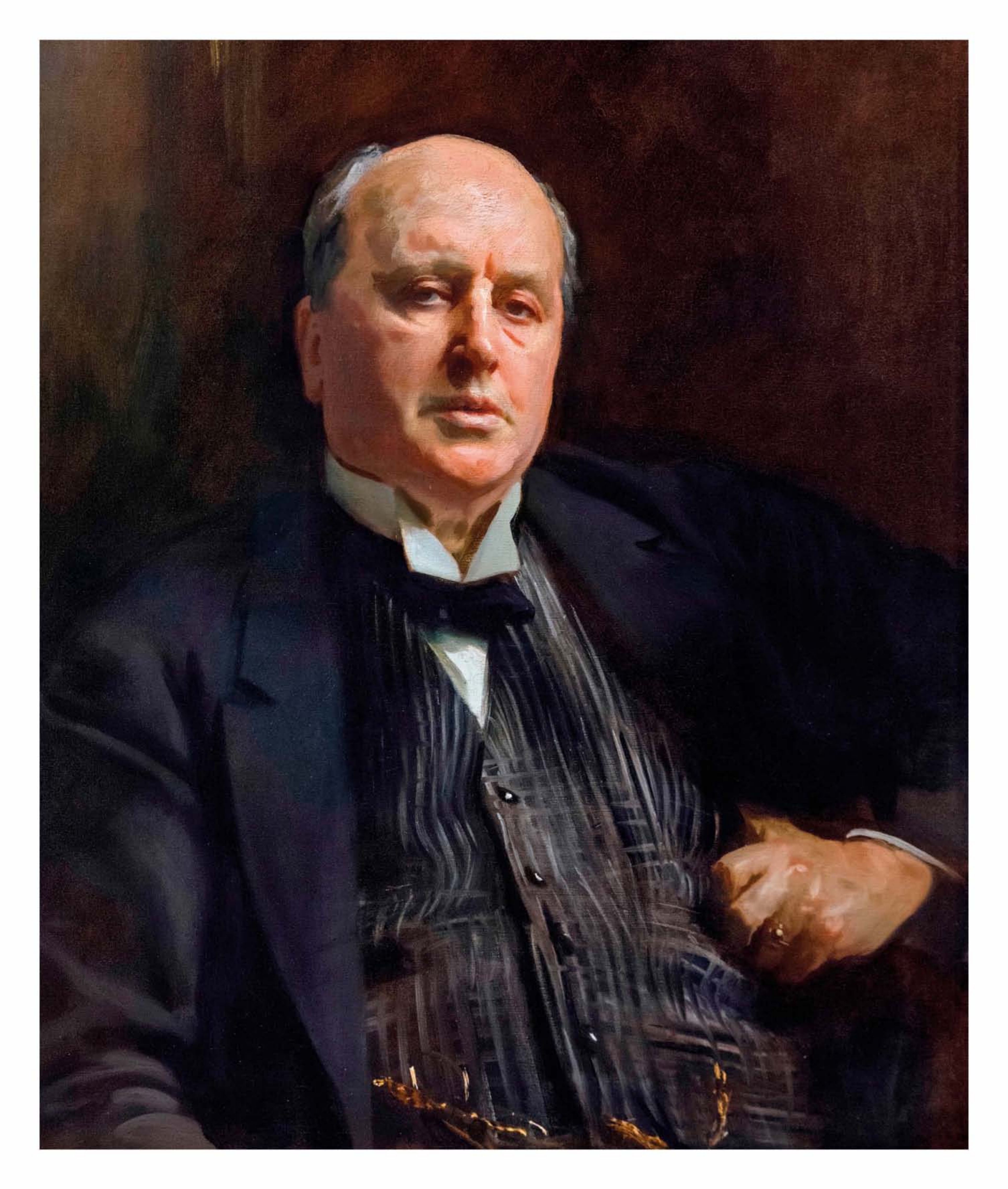


بول سيزان Cezanne

ذهب بول وزولا إلى المدرسة ذاتها في مدينة آكس أون بروفانس، وكان زولا من شجّعه على ترك المدينة والذهاب إلى باريس. صوّر الروائي صديقه الرسام في شخصية الفنان كلاود لانتييه في روايته «بطن باريس» التي نشرت عام (١٨٧٣). ظل الاثنان صديقين حتى صدور رواية زولا «التحفة L'Oeuvre» عام ١٨٨٦، وهي رواية يدفع فيها الرسام لانتييه إلى الانتحار بسبب بحثه عن نموذج فنّي مثالي. أعاد سيزان إلى زولا نسخة الرواية التي أرسلها إليه، ولم يتحدّث الرجلان مرةً أخرى قط.

بورتريه شخصي، بول سيزان، ١٨٧٩

> «أود أن أصف التشنجات المميتة التي ترافق ولادة عالم جديد».
>
> **إميل زولا.**



هنري جيمس

(١٨٤٣-١٩١٦) أمريكي.

عُرف في آخر حياته بـ «المُعلّم»؛ كتب جيمس الروايات والنوفيلات والقصص القصيرة. ارتقت أعماله الدرامية السيكولوجية ذات الجودة والعمق بفن الرواية إلى مستويات جديدة من الحذاقة والتعقيد.

وُلدَ هنري جيمس لعائلة ثرية ومتميزة فكريا في نيويورك، فترعرع على الروايات الفرنسية والإنجليزية، وزار أوروبا مع عائلته خمس سنوات حين كان مراهقا. وبعد أن اتّخذ قرار بدء مسيرته الروائية، برز الصراع بين الثقافة والأنماط الاجتماعية في كل من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية موضوعا طبيعيا في أعماله.

مثّلت المفارقات بين البراءة الأمريكية والفساد الأوروبي محور الاهتمام والتركيز في رواياته المبكرة، مثل رواية «الأوربيون (١٨٧٨)»، قبل أن يؤسس هنري شهرته من خلال إبداعه لـ «الفتاة الأمريكية» الجريئة والعصرية في نوفيلا «ديزي ميلر (١٨٧٩)» وفي رواية «صورة سيدة (١٨٨٠-١٨٨١)». عاش هنري منذ ذلك الحين في كل من إنجلترا وفرنسا فقط.

يلفّ الغموض حياة هنري جيمس الشخصية. وإن كان مثليّ الجنس فقد أخفى طبيعته تلك، إذ عاش حياة ظاهرها الزهد لكنه اختبر في سنواته اللاحقة الحب مع شابين يافعين؛ ليس بالضرورة أن يكون جنسيا. شكّل هنري كذلك روابط عاطفية قوية مع امرأتين؛ ظلت الوفاة المبكرة لمحبوبته وقريبته ميني تميبل في عام ١٨٧٠ تطارد رواياته، وكانت تيمبل نموذج الفتاة تعيسة الحظ، ميلي ثيل، في روايته «أجنحة الحمامة (١٩٠٢)».

▸ هنري جيمس، ١٩١٣

كان لجيمس صلة معرفة بالعديد من الشخصيات الثقافية الرائدة في زمنه، من بينهم غوستاف فلوبير، ولورد تينيسون، وإميل زولا، والرسام جون سنغر سارجنت، رفيقه الأمريكي المغترب. رسم سارجنت هذا البورتريه للكاتب في عيد ميلاده السبعين.

رغبات مخفيّة

عادة ما كان جيمس يدسّ مواضيع محرمة في أعماله، فنجده يعالج موضوع السحاقيّة في رواية «أهل بوسطن (١٨٨٦)»، واشتهاء الأطفال في رواية «دورة اللولب (١٨٩٨)»، وسفاح المحارم في رواية «كوز الذهب (١٩٠٤)»؛ أدرجت كلها تحت غطاء أسلوبٍ مُحكم. بوسعنا قول أيّ شيء ما دمنا نقوله على نحو مبهم. صوّرت رواية «ما كانت تعرفه ميزي (١٨٩٧)» صراعات البالغين في مسائل العلاقات العاطفية من خلال عينين نزيهتين لطفلة يُفترض بها أن تكون بريئة. وسردت رواية «السفراء (١٩٠٣)» قصة تراجيدية -قد تكون قصة جيمس نفسه- لزائرٍ قادم من أمريكا المتشدّدة إلى باريس يمنعه ضميره الأخلاقي من عيش حياته دون ضوابط.

وظّف جيمس في حياته لاحقا المزيد من الحبكات غير المباشرة لاستكشاف تعقيدات العقل البشري: كان يعكس الأحداث من خلال أعين شخصياته؛ بخداعها الذاتي ومراوغاتها الحذقة.

اضطر جيمس إلى إملاء أعماله الأخيرة على شخص آخر، كون مسألة الكتابة بيده كانت تزداد صعوبة، ولم يكتب أي روايات كبرى بعد عام ١٩٠٤. حصل جيمس على هوية المواطنة البريطانية في عام ١٩١٥، وتُوفي في العام التالي في تشيلسي بلندن.



▸ منزل لام، ري

لسنوات عديدة، اضطر جيمس أن يكون اجتماعيًا ويختلط بنخبة المجتمع في لندن. لكنه ومنذ عام ١٨٩٧ بدأ بالانسحاب إلى حياة منعزلة نسبيًا في منزله لام، على ساحل جنوب إنجلترا.

وليم جيمس

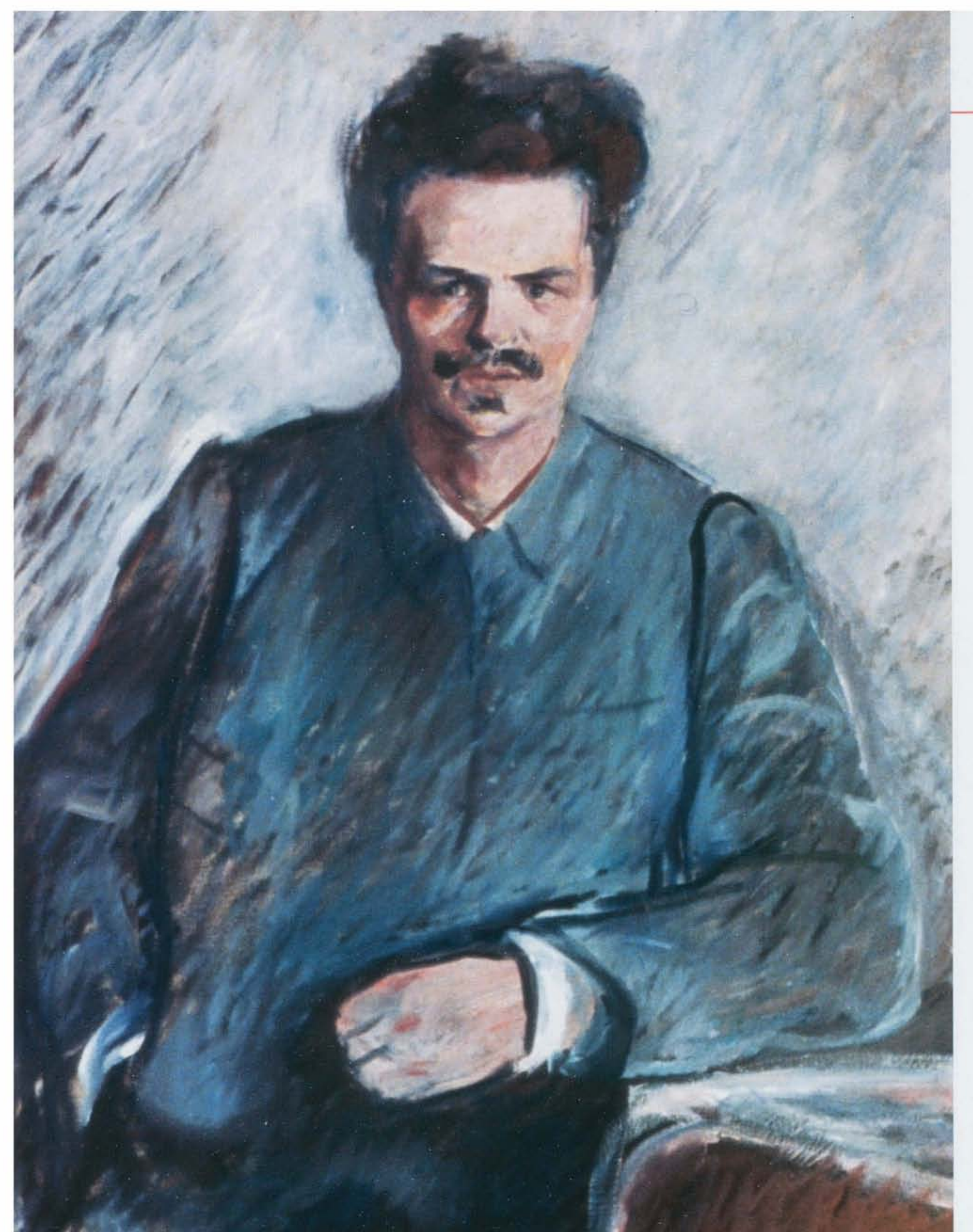
كان وليم جيمس (١٨٤٢-١٩١٠)، الأخ الأكبر لهنري، فيلسوفًا مهمًا، وواحدًا من مؤسسي علم النفس الحديث. من أعماله «مبادئ علم النفس (١٨٩٠)» و«صنوف التجربة الدينية (١٩٠١-١٩٠٢)». كان يعد خلال حياته الأخ الأكثر تميّزًا ونجاحًا من بين الاثنين، وكان وليم من صاغ عبارة «تيار الوعي» التي تشير إلى التدفق غير المنقطع للأفكار في العقل، وأصبح لهذا المفهوم تأثيرٌ كبير في روايات هنري جيمس، وفيما تلاها من الروايات الحداثية.



وليم جيمس، الفيلسوف والنفساني.

الخبرة ليست محدودة أبدا، ولن تكتمل مطلقا؛ إنها حساسيّة هائلة، كما لو أنها شبكة عنكبوت ضخمة.

هنري جيمس - فن الرواية.



◂ **أوغست ستريندبيرغ، ١٨٩٢**
عرف ستريندبرغ العديد من الفنانين المعاصرين له، وكوّن صداقة حميمية من الرسام النرويجي إدفارد مونش. تشارك الاثنان الأفكار، مثل إطلاق يد الصدفة في الأعمال الفنية. رسم مونشُ ستريندبرغَ، وبالمثل، فقد بنى ستريندبرغ بعض شخصياته من سمات مونش.

أوغست ستريندبرغ

(١٨٤٩-١٩١٢) سويدي.

غالبا ما يُشار إليه على أنّه أب الأدب السويدي الحديث. اشتهر ستريندبرغ بكتاباته المسرحيّة، وكان لأدبه الأثر البالغ في التحول من طبيعانية القرن التاسع العشر إلى حداثة القرن العشرين.

«العالم، والحياة، والبشر مجرد خيالٍ؛ وهم؛ صورة حلم»

مسرحية حلم - أوغست ستريندبرغ.

▸ **منشور دعائي لمسرح Intimate Theatre**

تصوّر ستريندبرغ هذا المسرح المشترك التأسيس في عام ١٩٠٧ «أن يتفتّح الأداء المسرحي المتناغم فيه من الأنغام والإيقاعات والدوافع وحركات النص كما في التأليف الموسيقي المتعدد الأصوات».

ولد يوهان أوغست ستريندبرغ في ستوكهولم حيث عمل والده موظّف شحن، وعملت والدته -التي توفيت وهو صبي- خادمة منزلية. في سيرته الذاتية، «ابن خادمة ١٩١٣»، وصف ستريندبرغ طفولته بأنها غير مستقرة وغير آمنة.

لم يكن تعليمه مُرضيًا كذلك، إذ درس اللاهوت في بادئ الأمر ثم انتقل إلى دراسة الطب في جامعة أوبسالا، لكنه قصدها بتقطُّع وحسب، وعمل في وظائف مؤقتة -بما في ذلك الصحافة المستقلة والعمل مساعدا إضافيا في المسرح- بدلاً من تكريس نفسه لدراساته. وهكذا، فشل في التخرج.

طوّر ستريندبرغ خلال هذه المرحلة موهبةً في الكتابة، حتى إنّه قد مُثّلت مسرحيتان له على خشبة المسرح الملكي. بالرغم من هذا النجاح، فإنه لم يكن راضيًا عن الأسلوب الشعري الرسمي المُتكلّف لمسرحياته الأولى، وكتب مسرحيته «الأستاذ أولوف» التاريخية بنثر عامي. ولسوء حظه، فقد رفض المسرح الملكي المسرحية، ولم تُمثَّل حتى عام ١٨٨١. مليئا بخيبة الأمل؛ اتجه ستريندبرغ إلى الصحافة، وبنى لنفسه خلال عقد السبعينات من القرن التاسع عشر سمعة ناقدٍ حانق وصعب المراس للطبقة البرجوازية في ستوكهولم. وقع في غرام ممثلة طموحة تدعى البارونة سيري فون إيسن، وتزوجها في عام ١٨٧٧، لكن حياتهما ابتُليت بموت طفلهما البكر بعد ولادته بمدة قصيرة، ثم بإفلاس ستريندبرغ في عام ١٨٧٩. ومع ذلك، استمرّ بالكتابة، ونشر في السنة اللاحقة أوّل رواية له؛ الغرفة الحمراء، وكانت هجاءً مُتألقًا لنفاق المجتمع السويدي. مدعوما بنجاح هذه الرواية، انطلق ستريندبرغ لكتابة عددٍ من القصص القصيرة والروايات والمسرحيات التي يهاجم فيها المؤسسة السويدية.

الرمزية والتنجيم

بعد ترحاله في فرنسا في ثمانينات القرن التاسع عشر، وقع ستريندبرغ تحت تأثير النزعة الطبيعانية التي روّج لها إيميل زولا. استخدم مبادئ الطبيعانية في مسرحياته التالية، مثل مسرحية «الأب ١٨٨٧»، و«الآنسة جولي ١٨٨٨»، وهي المسرحية التي لعبت فيها زوجته سيري دور البطولة. وكما كان مصير العلاقة التي صورتها الآنسة جولي (بين امرأة أرستقراطية وخادم) التي آلت إلى الفشل؛ اقترب زواج ستريندبرغ كذلك من نهايته، وانفصل الزوجان في عام ١٨٩١، مؤذنا بمرحلة أخرى من الفوضى الشخصية: عاش زواجًا قصيرا مع الصحفية والمترجمة النمساوية فريدا آهل، واختبر كذلك سلسلة من النكسات التي جعلته يتوقف مؤقتًا عن الإبداع. أصبح ستريندبرغ مهووسا بالدين، والكيمياء، والتنجيم، وانخرط في الحركة الرمزية.

أرّخ ستريندبرغ هذه «الأزمة الجهنّمية» في راوية السيرة الذاتية «الجحيم»، وطبّق أفكاره الجديدة في مسرحياته: مثلت دور البطولة في مسرحيته الرائعة الشهيرة «الطريق إلى دمشق» الفتاة العشرينية هارييت بوس، والتي أصبحت زوجته الثالثة. ومع نهاية القرن، تابع ستريندبرغ توسيع حدود كتاباته الرمزية، فأنتج أعمالا مثل «رقصة الموت ١٩٠٠»، و«مسرحية حُلم ١٩٠١-١٩٠٢»، و« سوناتا الأشباح ١٩٠٨»، والتي كُتبت خصيصا لمسرح «The Intimate Theatre» الذي أسّسه في ستوكهولم.

تدهورت صحة ستريندبرغ إثر إخفاق مسرحه، ومات في منزله بستوكهولم في الرابع عشر من أيار/ مايو عام ١٩١٢.



▴ **بلاد العجائب، ١٨٩٤**

كان ستريندبرغ فنانًا بارعًا، وزاول الرسم علاجًا له عندما كان يعاني من حبسة الكاتب. واتّضح اضطرابه الداخلي في عديد من لوحاته، مثل بلاد العجائب، ذات حس النقاء الجارف، وبرز أيضا بوضوح حسه التصويري المصقول في الكثير من الإخراجات المسرحية في رواياته.

ما وراء الطبيعانية

كتبت أبرز مسرحيات ستريندبرغ الأولى بالأسلوب الطبيعاني، حيث أرّخ فيها أحداثًا مهمة لحياة أناس عاديين، وسلط الضوء على الحالة الاجتماعية والسياسية في عصره. لكن افتتانه اللاحق بالتنجيم قاده إلى الاهتمام بالرمزية، لينقل طبيعة أعماله من الواقعيّة الدنيويّة إلى التخيليّة الروحانيّة، عارضًا إياها في صور شبيهة بالأحلام ذات معانٍ رمزيّة. وبدلا من تفحّصه لسيكولوجيّة الحياة الباطنيّة، فقد ركّز على الكوني واللا وعي، متوقّعًا بعض عناصر التعبيريّة والسرياليّة.



مشهد من مسرحية «حلم» في المسرح الوطني، لندن، ٢٠٠٥.



غي دو موباسان

(١٨٥٠-١٨٩٣) فرنسي.

اشتهر موباسان لتصويره الصريح والواقعي لحياة معاصريه، ولأسلوبه المُقتصد وتحكمه البارع في الوتيرة، ويُعدّ واحدًا من أعظم كُتّاب القصة القصيرة الفرنسيين.

ولد غي دو موباسان بالقرب من ديبي في نورماندي لتلك العائلة البرجوازية الثرية التي سيتكرر ظهورها في أعماله. لم تدم حياة الرفاة المبكرة طويلا، إذ عكّر صفوها انفصالُ والديه، فانتقل غي وأخوه هيرفي مع أمهما إلى إتريتات، التي تبعد ٧٥ كيلو مترًا عن نورماندي.

من الحرب إلى باريس

استمتع الشاب موباسان بأسلوب حياة خارج المنزل، وشجّعته والدته على حبّ الأدب. وبعد نيله شهادة الباكالوريا في عام ١٨٦٩، كاد موبسان يُجنّد على نحوٍ إلزامي في الجيش. لكن كان من الجليّ أنه غير مناسب لساحات القتال، فخدم كاتبا في روين أثناء الحرب الفرنسية البروسية (١٨٧٠-١٨٧١)، وبالرغم من التقارير التي أشارت إلى بسالته في الخدمة، فقد أخبر موباسان والدته لاحقًا بأنه فرّ فور وصول القوات البروسية إلى البلدة و«أسرعتُ هاربا دون أن ألتفت».

أخرجه والده من الجيش برشوة، وأصبح الشاب موظفا مدنيًا في باريس. وفي حين ألهمته والدته شغف القراءة، يبدو أن والده مرّر إليه



◂ **بيل آمي، ١٨٩٥**

رواية عن تاريخ دُوري الخليع الذي يكوّن علاقات غرامية مع نساء ليجني مزية اجتماعية في دوائر باريس المعتبرة.

ميلا للرغبة الهائجة في المعاشرة الجنسية، انغمس الكاتب المبتدئ في عدد من مواخير المدينة، واصطحب معه العاهرات في رحلاته المائية المتعدّدة في نهر السين. ذاع صيته في باريس مجدّفًا بارعا (وصفه زولا بأنه يستطيع أن يجدّف خمسين ميلًا تواليا في نهر السين لأجل المتعة)، واكتشف كذلك أنه يعاني من مرض الزهري. غير عابئ بما يفترض به أن يكون تشخيصا مخيفا، وإن كان شائعا، بدأ موباسان بالكتابة بجدية، وصبَّ تجاربه في الحرب، والبرجوازية الإقليمية، والعمال المدنيين، والخدمة المدنية في مجموعة غزيرة الإنتاج ستشمل في النهاية مئات القصص القصيرة وست روايات وثلاثة كتب رحلات والعديد من المسرحيات والشعر.

نشر موباسان في عام ١٨٨٠ واحدة من أشهر قصصه «Boule de Suif (تترجم على نحو فضفاض بـ كُرةٍ من الدهن)»، وسرعان ما كان له أتباع: فتنت مقاربته غير المقيدة للمواضيع الجنسية، والعنف المنزلي، والزنا، والمعاشرة الجنسية، والدعارة، قُرّاءه. وصل مجلّد قصصه القصيرة إلى الطبعة الثانية عشرة في ظرف سنتين، وأُعيد طبع روايته بيل آمي Bel-Ami، على نحوٍ مدهش، سبعًا وثلاثين مرة في غضون أربعة أشهر فقط.

التدهور العقلي

اشترى المؤلف بثروته المُتنامية شقةً كبيرة بملحق يمكنه من خلالها الترفيه عن نسائه الباريسيات بسريّة. لكنه لم يستمتع بالشهرة التي نالها مع نجاحه، وأصبح منعزلًا على نحوٍ متزايد، وغالبًا ما كان يسافر بمفرده في أرجاء الجزائر وأوروبا على متن يخته Bel-Ami.

بمرور الوقت، حوّل عدم الاتزان العقلي الذي يتسم به المرضى بالزهري موباسان إلى مهووس يرى نفسه مضطهدا في كل مكان. وبحلول عام ١٨٩٢، كان من الواضح أنه قاب قوسين أو أدنى من اللحاق بمصير أخيه الذي مات في مصح عقلي. نُقل موباسان بعد محاولته قطع حنجرته إلى مصح عقلي في باسي، حيث مات في السادس من تموز/ يوليو من عام ١٨٩٣، وبعمر الثالثة والأربعين فحسب.

غوستاف فلوبير

ربطت فلوبير بعائلة موباسان علاقة صداقة امتدت طويلا، وكان بمثابة مرشد وشخصية أبوية لموباسان. كان الاثنان يلتقيان لتناول غداء الأحد في كل مرة يحل فيها فلوبير ضيفا على باريس، وأصبح فلوبير ناقدًا لأعمال موباسان، وواعظا له حول الأسلوب النثري، ومقدمًا إياه إلى الكتّاب الآخرين، من ضمنهم زولا (الذي وصفَ موباسان بأنه أسعد الرجال وأشقاهم)، وتورغينيف. أقرَّ فلوبير مرة بأنه يحب موباسان كما لو أنه ابنه، وكان التساؤل حول ما إذا كانت تجمع الاثنين صلة قرابة مصدرا للنميمة، لا سيما بعد أن أشارت أم موباسان «لورا» من غير قصد إلى أن فلوبير والد موباسان.



غوستاف فلوبير، ١٨٧٠

▾ **قصر ميرومسنيل**

كان موباسان عضوا في عائلة برجوازية مرموقة ووفقا لأمه فقد وُلِدَ في قصر ميرومسنيل الكبير- ادّعاءٌ دُحِضَ مؤخرًا.



◂ **موباسان، ١٨٨٨**

يكشف هذا البورتريه لغي دو موباسان للرسام أوغست فيين-بيرن القليل من الشخصية المعقدة للرجل الذي وصفه زولا بأنه «أسعد الرجال وأشقاهم»



◀ وايلد في عام ١٨٨٢
أظهر وايلد التزامه للحركة الجمالية في مظهره الشخصي بارتدائه الملابس الفاخرة كالسترة المخملية والبنطال حتى الركبة في جولات المحاضرات في الولايات المتحدة الأمريكية. وكتب «الجمال أعجوبة العجائب. والسطحيون فحسب لا يحكمون على مظاهر الآخرين».

أوسكار وايلد

(١٨٥٤-١٩٠٠) أيرلندي.

اشتهر وايلد بحِكَمِه الساخرة وباعتناقة النزعة الجماليّة وبفضيحة حياته الخاصة. وبقي واحدًا من أحذق مؤلفي أواخر القرن التاسع عشر وأخصبهم خيالًا.

إنَّ الرذيلة والفضيلة للفنان هما أداتان للفن.

صورة دوريان جراي - أوسكار وايلد

شهدَ السادس عشر من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٨٥٤ ولادة أوسكار وايلد لعائلة مرموقة ومثقفة من دبلن. كان والده طبيبًا وخبيرًا في الفلكلور الأيرلندي، ووالدته شاعرة وطنية مميزة. لكن بالرغم من الاستقامة التي تبدو عليها هذه الخلفية العائلية، فقد أنجب والده ثلاثة أبناء غير شرعيين، واتُّهِمَ باغتصاب مريضة سابقة. لا عجب إذن في أن تظهر احتماليات الفضيحة والحياة السرية بشكل كبير في أعمال ابنه.

الحركة الجمالية

يعد وايلد شخصية رئيسة في الحركة الجمالية، وهي حركة عززت القيمة الجمالية على حساب القيمة الاجتماعية أو السياسية أو الأخلاقية. وفي رفضها للتراث الفيكتوري المحافظ الذي جعل بين الفن والأخلاق رابطة وثيقة؛ أنشأت الحركة الجمالية بدلا من ذلك طقوسا من الجمال كانت في صميمها الرغبة في خلق «الفن من أجل الفن». من الشخصيات البارزة الأخرى في الحركة الجمالية حينئذ الرسامان جيمس أبوت ماكنيل ويسلر، ودانتي غابرييل روسيتي، واللذان اشتهرت أعمالهما بالشهوانية والرمزيّة.



بروسيربين، دانتي غابرييل روسيتي، ١٨٧٤.

كان وايلد نفسه قادرا على إبقاء حياته بمعزل عن الفضائح حتى منتصف العشرينات من عمره، وعلى الرغم من نمو الشائعات عنه كونه الغندور صاحب الحكم الساخرة والحاذقة فقد حاز على شهرة على مستوى وطنه- فقد صوَّرته الكاريكاتيرات منذ ثمانينات القرن التاسع عشر بجوارب طويلة وبنطال قصير يتمشى في الشارع ماسكا بزهرة دوّار الشمس.

كان أيضًا طالبًا جادًا نال مرتبة الشرف مرتين في قسم الكلاسيكيات بجامعة أكسفورد، وفاز بجائزة السير روجر نوديجات للشعر. ولم تظهر عليه حتى تلك اللحظة أي علامات على شذوذه الجنسي الذي سيُعرف عنه لاحقا في حياته. وعلى العكس من ذلك؛ بدا أنه واقع في غرام فلورنزا بالكوم، الزوجة المستقبلية للمؤلف الأيرلندي برام ستوكر.

انتقل وايلد بعد أوكسفورد إلى لندن، حيث بنى لنفسه حياة متواضعة بكتابة الشعر، والمسرحيات، والمقالات، والمراجعات الأدبية. درّت عليه جولة لإلقاء محاضرات قام بها في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٨٢ ما يكفي من المال للإقامة في باريس مدة خمسة أشهر، لكنه عاد إلى لندن بمدخرات قليلة وهو على مشارف الثلاثين. تزوج وايلد وريثةً ثريّة تدعى كونستانس لويد، وساهم في عدة مجلات دورية قبل أن يصبح محررا لمجلة «عالم المرأة». لكن بحلول ذلك الوقت، تعرض وايلد «للإغواء» على يد شاب كندي يافع يدعى روبي روس؛ اللقاء الذي وضع وايلد على مسار سقوطه الشخصي لكنّه ألهب مخيلته كذلك. صبَّ وايلد خبراته في «صورة دوريان جراي (١٨٩٠)»، التي أُدينت بسبب تصويريها غير الأخلاقي لعواطف الذكور.

ومع ذلك، لم يَلحق سُمعة وايلد الأدبية أي ضرر، وحققت مسرحياته اللاحقة -من بينها «أهمية أن تكون جادًا (١٨٩٥)»- نجاحا وشهرة كبيرة.

الحبس والسقوط

وقع وايلد عام ١٨٩٢ في حب لورد ألفرد «بوزي» دوغلاس، وسرعان ما وجد نفسه في مرمى النيران المتبادلة بين بوزي ووالده، الماركيز كوينزبيري التاسع. عندما ترك الماركيز رسالة في منزل وايلد موجّهة إلى «أوسكار وايلد: المتظاهر بالشذوذ الجنسي(*)»، رفع وايلد دعوة تشهير ضده لكنَّ محاميي الماركيز استخدموا كتابات وايلد أدلةً على مثليته الجنسية، فاعتُقل بتهمة الفُحش العام. حكم على وايلد في أيار/ مايو من عام ١٨٩٥ بالسجن مدة سنتين مع الأشغال الشاقة. كان وايلد الذي يعاني من الجوع والزحار يربط على جهاز المشي ويجبر على السير ست ساعات يوميا في أول شهر من سجنه. وفي أثناء حبسه في سجن Reading Gaol، كتب وايلد رسالة اعتذارٍ طويلة لبوزي، والتي نُشرت لاحقا بعنوان De Prufundis. حاول الرجلان العيش معا في فرنسا بعد إطلاق سراح وايلد في عام ١٨٩٧، لكن العلاقة باءت بالفشل. في تلك الأثناء، كانت زوجته كونستانس قد هربت برفقة أبنائها إلى سويسرا. مفطور الفؤاد جراء صدماتها المتعددة؛ استسلم وايلد لالتهاب السحايا وتُوفي في باريس في الثلاثين من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٠٠.

(*) أخطأ الماركيز في كتابة Sodomite (شاذ جنسيًا) وكتبها Somdomite.

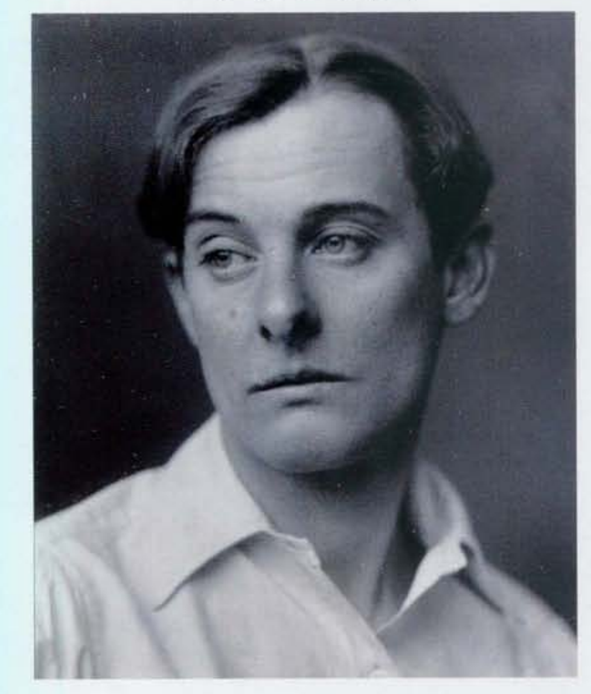
This Number Contains a Complete Novel.
THE PICTURE OF DORIAN GRAY.
BY OSCAR WILDE.
JULY, 1890.
LIPPINCOTT'S
MONTHLY MAGAZINE.
PRICE ONE SHILLING.
London: WARD, LOCK AND CO., Salisbury Square, E.C.

▲ **صورة دوريان جراي**

نُشرت رواية وايلد الوحيدة في عام ١٨٩٠ في مجلة ليبينكوت الشهرية بعد أن حُرِّرت كثيرًا لتجنب تهم الفُحش. وهي حكاية شاب يقايض روحه مقابل الشباب الدائم؛ وما تضمنته من إيروتيكية مثلية هو سبب الفضيحة. ومع ذلك فقد برز وايلد بسمعته الأدبية، ومسرحياته اللاحقة من ضمنها «أهمية أن تكون جادًا (١٨٩٥)»، وكانت هذه الأعمال ناجحة تجاريا.

▼ **لورد ألفريد دوغلاس، ١٩٠٢**

كان حبيبُ وايلد «بوسي» كاتبًا وشاعرًا ومترجمًا. كتب دوغلاس أثناء حبس وايلد استرحامًا إلى الملكة فيكتوريا لإطلاق سراح حبيبه.



جوزيف كونراد

(١٨٥٧-١٩٢٤) إنجليزي بولنديّ المولد.

أصبح كونراد -بولندي الولادة- من الروائيين الرئيسين الذي كتبوا باللغة الإنجليزية وبالاعتماد على تجاربه بحّارًا، استكشف الآثار غير الإنسانية للاستعمار على الناس.

وُلِدَ جوزيف تيوفور كونراد كروزينوفسكي، والذي عُرِفَ لاحقا باسم جوزيف كونراد، عام ١٨٥٧ في مدينة برديشيف التابعة حاليًا لأوكرانيا. كان والداه ينتميان إلى طبقة ملّاك الأراضي النبيلة في بولندا. لم تعد بولندا دولة مستقلة منذ القرن الثامن عشر، وعاش معظم البولنديون تحت حكم الإمبراطورية الروسية، الأمر الذي كانت تبغضه الطبقة البولندية الأرستقراطية.

انتقل والد كونراد- أبولو كروزينوفسكي- الكاتب والمحب المثالي لوطنه، إلى وارسو في عام ١٨٦١ وحاول تأسيس مقاومة ضد الحكم الروسي. لكن السلطات الروسية اعتقلته بتهمة كونه سياسيًّا مُخرِّبا، ونُفيَ مع عائلته إلى منطقة المستنقعات الباردة والمعزولة في الفولغا؛ شمالي روسيا. تُوفيت والدة كونراد في المنفى عام ١٨٦٥، إذ تدمرت صحتها بسبب الظروف القاسية، وسُمِحَ لأبولو بالعودة إلى بولندا في عام ١٨٦٧، لكنه عاد رجلًا محطمًا، ومات في كراكاو عام ١٨٦٩ بعد أن أحرق جميع مخطوطاته الشخصية.



◄ أبولو كروزينوفسكي

كان تعرُّف كونراد على اللغة الإنجليزية عن طريق والده، مترجم مسرحيات شيكسبير. مُنح أبولو، الوطنيّ المخلص، مراسم دفن بطل في كراكاو بعد وفاته عام ١٨٤٩.

حياة البحر

أيا كان ما يمكن توقّعه من الارستقراطي البولندي الذي تيتّم في ظل هذه الظروف المأساوية؛ فمن المؤكد أن تلبية نداء البحر لم يكن من ضمنها. غير أن الصبي كونراد كان قارئًا نهمًا، وقد غذّت فيه الكتب عطشًا للترحال والمغامرة.

باءت جهود خاله والوصيّ عليه، تاديوس بوبروفسكي، في تقويم مسار حياته نحو مسار أكثر عقلانية بالفشل، وقرر كونراد وهو بسن السابعة عشرة أن يصبح بحّارًا. لم يجد وصيّه سببًا مقنعًا لثني الشاب عن الرحيل من بولندا، لا سيما وأنه ابن «مخرّب»، وسيكون دائمًا محطّ أنظار السلطات الروسية، لذا فقد أذِنَ لكونراد بالمغادرة إلى فرنسا والتسجيل في البحريّة التجاريّة.

أثبت كونراد نفسه في ميناء مرسيليا، وعاش حياةً فارغة ومتمردة على القانون. ساهم في تهريب البضائع والأسلحة، وأصيب بطلق ناري لا يُعلم ما إذا كان ناتجا عن مبارزة أم عن محاولة انتحار، وكثيرا ما كان يزعج وصيّه ليعطيه المال.

ثم في عام ١٨٧٨، وتحت ضغط بوبروفسكي المتزايد لتقويم نفسه، انتقل كونراد إلى إنجلترا وانضمَّ إلى القوات المسلحة البحرية: خدم في البحرية البريطانية في السنين الأربع عشرة التالية. كان قد تعلّم الفرنسية في صباه، لكنه كان بالكاد يعرفُ كلمةً إنجليزية واحدة. وهكذا، تعلَّم الإنجليزية بنفسه في الوقت الذي كان يعمل فيه على تنمية مسيرته البحريّة، فتطور من الخدمة في الشحن الساحلي إلى الإبحار في رحلات المسافات الطويلة؛ شاقا طريقه بتدرج عبر الرُّتب. حصل كونراد على هوية المواطنة البريطانية عام ١٨٨٦.

رحلات مؤثّرة

راكَم كونراد خلال سنواته البحريّة هذه تجارب وخبرات ستكون مصدر إلهامه في معظم أعماله الروائية اللاحقة. في عام ١٨٨١، انطلق كونراد في رحلة كارثية نحو بانكوك على متن سفينة غير مؤهلة للملاحة البحرية، وعليها حمولة فحم من نيوكاسل: انتهت الرحلة بغرق السفينة

قصة داخل قصة

طوّر كونراد تقنية سرد غير مباشر، إذ تُعرَض الرواية عبر أعين شخصيته التي بدورها تُقدَّم من خلال السارد، وليس بالضرورة أن يتشارك الاثنان الرؤية ذاتها. كان قاصّه المفضل هو الكابتن تشارلز مارلو، الذي لعب دورًا رئيسا في «لورد جيم» و«قلب الظلام»، وفي أعمالٍ أخرى. والتأثير المتحقق عبر هذه التقنية واحدٌ من التقنيات الهازئة البعيدة عن الدراما المصوّرة والمغامرات، والتي تظهر تقديرا للغز الدوافع البشرية الجوهري. ويُعتقد بأن شخصية مارلو سُميت بهذا الاسم تيمّنًا بالكاتب المسرحي الإليزابيثي كريستوفر مارلو، الذي قد يكون كونراد تعرّف عليه بفضل ترجمات والده.



منشور دعائي لفيلم لورد جيم عام ١٩٦٥ المقتبس من رواية كونراد التي تحمل الاسم نفسه.

◄ ازدهار متأخر

بدأ كونراد بالكتابة الجديّة في مرحلة متأخرة من حياته تقريبًا، بسن السادسة والثلاثين. اختار أن يكتب باللغة الإنجليزية على لغته الأم البولندية، أو الفرنسية التي يتقنها.

> «يتغذى كلُّ عصر على الأوهام، لئلا يتخلى الناس عن الحياة في وقتٍ مُبكّر، وينتهي الجنس البشري».
>
> جوزيف كونراد - النصر.





▲ Typhoon، ١٩٠٢ -١
يبحر القبطان ماكوير في هذه الرواية القصيرة بالسفينة س س نان-شان إلى قلب العاصفة العظيمة، وهي قصة عن رغبة الإنسان مواجهة قوى الطبيعة التي لا تُقهر.

احتراق الفحم. زودته هذه الرحلة بالمادة لقصته القصيرة «الشباب (١٨٩٨)». ستُشكّل أيضا الرحلة البحرية التي انطلقت في عام ١٨٨٤ من بومباي إلى لندن على متن الباخرة «نرجس» الأساس لروايته «زنجي السفينة نرجس (١٨٩٧)» التي تحكي قصة احتضار بحارٍ أسود على متن سفينة مُحطّمة، وهي حكاية رمزية حول الصداقة والرفقة في مواجهة الشدائد.

استقرّ كونراد ما بين عامي ١٨٨٧-١٨٨٨ في جنوبي آسيا، حيث التقى بشخصياتٍ مثل الكابتن مُقتضِبِ الحديث جون ماكوير، والذي خلّده بطلا لروايته القصيرة «تايفون (١٩٠٢)»، والتاجر تشارلز ألماير الذي أصبح شخصية كاسبر ألماير في روايته الأولى «حماقة ألماير (١٨٩٥)».

مغامرات في المُستعمرات

بحلول عام ١٨٨٨، كان كونراد قد مُنح قيادة سفينته الخاصة، لكنه بقي غير مرتاحٍ ولا راضٍ. وفي عام ١٨٨٩، قاده تعطّشه للخبرات الجديدة إلى التقديم على طلب لخدمة البلجيكيين في الكونغو. عُيِّن كونراد قبطانا لمركبٍ نهري كان قائده السابق قد قُتل، وارتحل برًا إلى كينشاسا قبل أن ينطلق على متن «مركب بخاري متهالك» عبر مياه نهر الكونغو نحو شلالات بويوما. كاد كونراد أن يلقى نحبه بسبب الزحار والملاريا، لكن الأسوأ من معاناته هذه كان مشهد الانحطاط الأخلاقي، إذ انخرط الاستعمار الأوروبي فيما وصفه كونراد بـ «أشنع تدافع على النهب يشوّه تاريخ الضمير الإنساني على الإطلاق». سُردت هذه التجربة بكاملها على نحوٍ لا يُنسى في روايته القصيرة الشهيرة «قلب الظلام (١٨٩٩)».

عاد كونراد إلى إنجلترا وحياة البحر، لكن عدم رضاه عن حياته كان في تزايد. وبعد الإلغاء المفاجئ لرحلةٍ كان قد سجلّ للانضمام إليها، شعرَ فجأة بالإلهام لإكمال روايته التي كان منشغلًا بها بضع سنوات «حماقة ألماير». أخذ العمل موافقة على النشر، وشكّل هذا العمل مع رواية «منبوذ الجُزُر (١٨٩٦)»، مكانة كونراد كاتبًا مهمًا. ولإكمال التحوّل في حياته، تزوّج في عام ١٨٩٦ جيسي جورج، شابة من الطبقة الكادحة تصغره بست عشرة سنة، التي كانت تجني قوت يومها من العمل طبّاعة على الآلة الكاتبة. أثبتت طبيعتها الهادئة أنها كانت مُكمِّلا ميمونا لمزاج كونراد غير المستقر. رُزق الزوجان خلال حياتهما بمولودين.

الكونغو في عيني كونراد

عندما ارتحل كونراد إلى الكونغو في عام ١٨٩٠، كانت تقع فعليا تحت الحكم الشخصي والمُطلق لملك بلجيكا ليوبولد الثاني، الذي كان يعلن كثيرا، وعلى نطاق واسع، عن أهدافه الإنسانية السامية. لكن الحقيقة أنّ الكونغو كانت تحت استغلالٍ اقتصادي شرس، وكان أهل الكونغو يجبرون على العمل جبرا ويخضعون لعقوبات وحشية. ثم في عام ١٩٠٤، فضح تقرير للقنصل البريطاني في الكونغو، والذي التقى به كونراد سابقا عندما كان في الكونغو، الرعب المهول للظروف هناك. أُجبرَ ليوبولد الثاني على الشروع بإصلاحات وأصبحت الكونغو مستعمرة بلجيكية رسميا عام ١٩٠٨.

تضمّن عقاب العمال الكونغوليين المغلوبين على أمرهم بتر الأعضاء.



▸ **مارسيليا، في سبعينات القرن التاسع عشر**
عاش الشاب كونراد حياة مغامرة في ميناء مرسيليا الفرنسي. واشترك في مؤامرة سياسية وتهريب الأسلحة إلى إسبانيا، تحولت هذه الأحداث في روايته «السهم الذهبي ١٩١٩».

حياة الاستقرار

كرّس كونراد ما تبقّى من حياته في الكتابة، حيث عاش لمعظم وقته في المناطق الريفية جنوبي إنجلترا. كانت أعماله الأولى مبنية على نحوٍ كبير على تجاربه الشخصية في حياة البحر والمستعمرات الأوروبّية. عكست تلك الأعمال قدرتة المؤلف الساخرة وانشغاله بالمسؤولية الشخصية وقواعد الشرف، لا سيما في رواية «لورد جيم (١٩٠٠)» التي تستعرض مساعي رجل لتخليص نفسه بعد تقصيره المخزي في أداء واجبه. كان تصوير كونراد للاستعمار، وما عدّته أوروبا «رسالتها الحضارية» في العالم

«لقد صاح مرتين، صيحة لم تتجاوز كونها نفسًا؛ الرعب! الرعب!»

جوزيف كونراد - قلب الظلام.



الخارجي، مليئًا بالتشكيك الساخر. لم يكن في نظر كونراد أي فارق أخلاقي ما بين السكان المحليين والأوروبيين الذين حكموهم.

أعمال أخيرة

منحت كونراد خلفيته البولندية وعيًا حادًا بالقضايا السياسية، التي برزت في أعماله على نحوٍ متزايد. وفي عام ١٩٠٤، نشر رواية « نوسترومو Nostromro» التي ابتعد فيها عن تجاربه الشخصية وراح يصوّر الصّراعات الأخلاقية والسياسية الناتجة عن وصول الرأسمالية العالمية إلى دولةٍ أمريكيّة جنوبية يتفشّى فيها العنف والفساد. وفي روايته «العميل السري (١٩٠٧)»، جعل كونراد من لندن أرض الحدث لرواية قاتمة تتناول خطر الإرهاب الأناركي وعبثيّته، وشنَّ في رواية «تحت عيون غربيّة (١٩١١)» هجوما على العدمية الأخلاقيّة للثوّار الروس المحتملين.

تلقت رواية «فرصة Chance» التي نُشرت في عام ١٩١٣ نجاحا شعبيًّا فاق توقّعات كونراد، وفي عمله الهامّ المُتأخّر «النصر (١٩١٥)»، عاد كونراد إلى جُزر جنوب شرق آسيا ليدبّج تصريحًا قويًا آخرَ بشأن نظرته القاتمة في جوهرها للحياة. يقترح بعض الدارسين أن رواية النصر تتعامل كذلك مع فشلٍ شخصي لدى الكاتب، ألا وهو عدم قدرته على التعامل مع العلاقات الجنسية. أصبح كونراد بمرور الوقت واحدًا من أعظم الكتّاب الإنجليز الكبار، وتوفي في عام ١٩٢٤ بعد مدة قصيرة من رفضه لقب «سير» الملكي. استمرّت أعماله في تأثيرها، وأشار إليها كتاب كبار من أمثال ت. س. إليوت، وبوب ديلان، وآخرون. ألهمت روايته «قلب الظلام» المخرج السينمائي فرانسيس فورد كوبولا في إنتاجه لفيلمه « Apocalypse Now (١٩٨٠)»، والذي نال عليه جائزة الأوسكار.

▲ **القيامة الآن**
نقل المخرج فرانسيس فورد كابولا أحداث رواية «قلب الظلام» إلى أدغال فيتنام، آخذًا نظرة انتقادية وقاسية تجاه أفعال العسكر الأمريكي في حرب فيتنام ومتفحّصًا الظلام الحاضر في خبايا الروح البشرية.

أبرز أعماله:

١٨٩٥
حماقة ألماير: تحكي أول روايات كونراد عن الوحدة وتبدد الأوهام لتاجر هولندي في بورنيو.

١٨٩٩
قلب الظلام: نُشرت هذه الرواية لأول الأمر مُتسلسلة في مجلة بلاكوود.

١٩٠٠
لورد جيم: قصة رجل يُوصم بالعار بعد تخليه عن سفينة في عرض البحر. جسّد هذا العمل أسلوب سرد كونراد غير المباشر.

١٩٠٤
نوسترومو: يرتكز هذا العمل على التأثير الإفسادي للرأسمالية في السياسة والأخلاق الشخصية.

١٩٠٧
العميل السري: أظهرَ هذا العمل الذي يجري في لندن الإدوردية عداءَ المؤلف للسياسات الثوريّة.

١٩١٥
النصر: دراما ذات سيكولوجيّة متشائمة، تجري وقائعها في جزر إندونيسيا.

روديارد كبلنغ

(١٨٦٥-١٩٣٦) إنجليزي.

كان كبلنغ شاعرًا غزير الإنتاج، وكاتب قصة قصيرة، وروائيًا. جلب له تنوّع مواضيع أعماله ذات الأسلوب الشعبي الشهرةَ العالمية، وكان أول بريطاني ينال جائزة نوبل في الأدب.

وُلد روديارد كبلنغ لعائلة أرستقراطيّة في بومباي (مومباي الآن) في الهند، وكان والده أستاذ النحت في مدرسة الفن المحلية، ووالدته شقيقة زوجة فنان ما قبل الرفائيلية إدوارد بورن جونز. سُمِّي روديارد بهذا السم نسبة إلى بحيرة روديارد في ساتفوردشاير، حيث كان والداه العاشقان يتواعدان.

عاش كبلنغ في الهند حتى سن السادسة قبل أن يُرسلَ إلى إنجلترا. في البداية، سكن مع عائلة من ضاحية ساوث سي -كانت تجربة تعيسة، وقد وصفها في قصته « ثغاء الخروف الأسود» - قبل أن ينتقل إلى ويستورد هوا! في ديفون، حيث نمّى اهتمامه بالأدب وأصبحَ محرّرا لمجلة المدرسة.

حكايات الهند

عاد كبلنغ إلى الهند في عام ١٨٨٢، وعمل صحفيا في صحيفة Civil and Military Gazette في لاهور التي منحته حرية عمل مُعتبرة. وإلى جانب كتابة التقارير وأعمدة الثرثرة المعتادة، استطاع كبلنغ إدراج قصصه القصيرة وقصائده. غطّت هذه الكتابات مواضيع متعددة على نحوٍ هائل، حيث عكست فصول كبلنغ النَّهِم فيما يخص كل ما له علاقة بجوانب الحياة الهندية، وقد نُشرت لاحقًا في عدّة مجموعات. سخرت مجموعته «الأناشيد المُشعَّبة(١٨٨٦)»من البيروقراطية الإنجليزية، واستلهم الكاتب عمله « حكايات عادية من التلال» (١٨٨٨) من المجتمع الرفيع في مدينة تل سيملا (شيملا الآن)، أما «ثلاثة جنود» فقد تناولت واحدا من مواضيعه المفضّلة: الحياة اليومية للبريطاني تومي (لقب عامي يطلق على الجندي البريطاني الخاص).

أثبتت هذه الكتب شعبيّتها، لا في الهند وحسب بل وفي بريطانيا وأمريكا كذلك، وعند وصوله إلى لندن عام ١٨٨٩، كان كبلنغ مشهورًا بالفعل لدى القرّاء. عزّز سمعته بسلسلة الأغاني والقصائد «الأناشيد العسكرية»، التي بدأ ظهورها عام ١٨٩٠. كانت هذه الأشعار البسيطة على نحوٍ خادع منظومةً بالكلمات العامية الشائعة في حديث الجنود، مُردِّدةً صدى الإيقاعات المعاصرة للنوع الموسيقي «hall-music». استخدم كبلنغ الأشكال التقليدية، مثل المونولوجات الفيكتورية، وأغاني الشوارع، والأناشيد، لإيصال رسائل عاطفية قويّة بأيسر أسلوب ممكن.

واصل كبلنغ تصويره للتجارب الهندية في أعماله، فأنتج «كيم» -أروع رواياته- عام ١٩٠١. لكن في تلك الأثناء، كانت حياته قد سلكت منعطفا مختلفا، إذ تزوّج في عام ١٨٩٢ امرأة أمريكية تدعى كارولين (كاري) بايلستير، وانتقل للعيش في فيرمونت (أميركا). بدأ حينها بكتابة قصص الأطفال؛ أبرزها كتابَي قصة «فتى الأدغال (١٨٩٤ و١٨٩٥)». عادت العائلة إلى إنجلترا في وقت لاحق، واستقرّت في سوسيكس، لكنها ظلّت تتردد على أمريكا حتى عام ١٨٩٩، عندما توفيت ابنته جوزفين هناك. ألهمت هذه الوفاة كبلنغ لكتابة أكثر قصصه تأثيرا «هُمْ» التي تحكي حداد أبٍ على طفله المتوفّى.

لم تكن وفاة ابنته المأساة العائلية الوحيدة التي عانى منها، إذ قُتل ابنه الوحيد عام ١٩١٥ في معركة لوس (في الحرب العالمية الأولى)، بعد أن مكّنه كبلنغ كما يبدو عبر علاقاته من الالتحاق بالجيش. وفي السنوات اللاحقة، لطّخ موقف كبلنغ الوطني تجاه الحرب والحكم الاستعماري (والذي يفضل البعض وصفه بالجينغوية) سُمعته بطريقةٍ ما، مع أنه كان يعبر عن آراء كانت شائعة جدا في وقته. لقد كان، وفقًا لهذا، متحدثًا مثاليا بِلسانِ عصره.

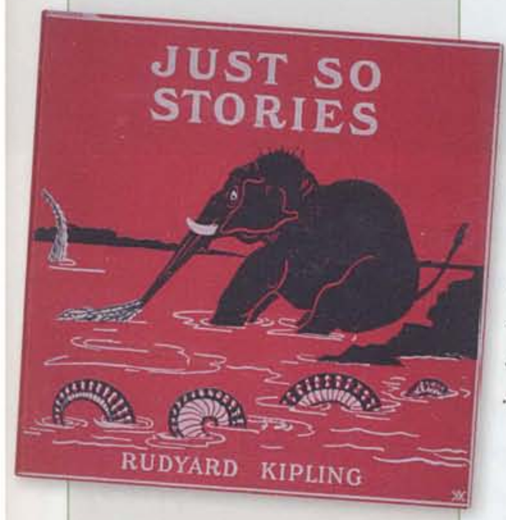


◂ بيتمان، ساسكس

عاش كبلنغ، وزوجته الأمريكية، وأطفالهما في بايتمانز، منزل كبير في إيست سوسيكس، منذ عام ١٩٠٢ وحتى وفاة الكاتب عام ١٩٣٦.

كتب الأطفال

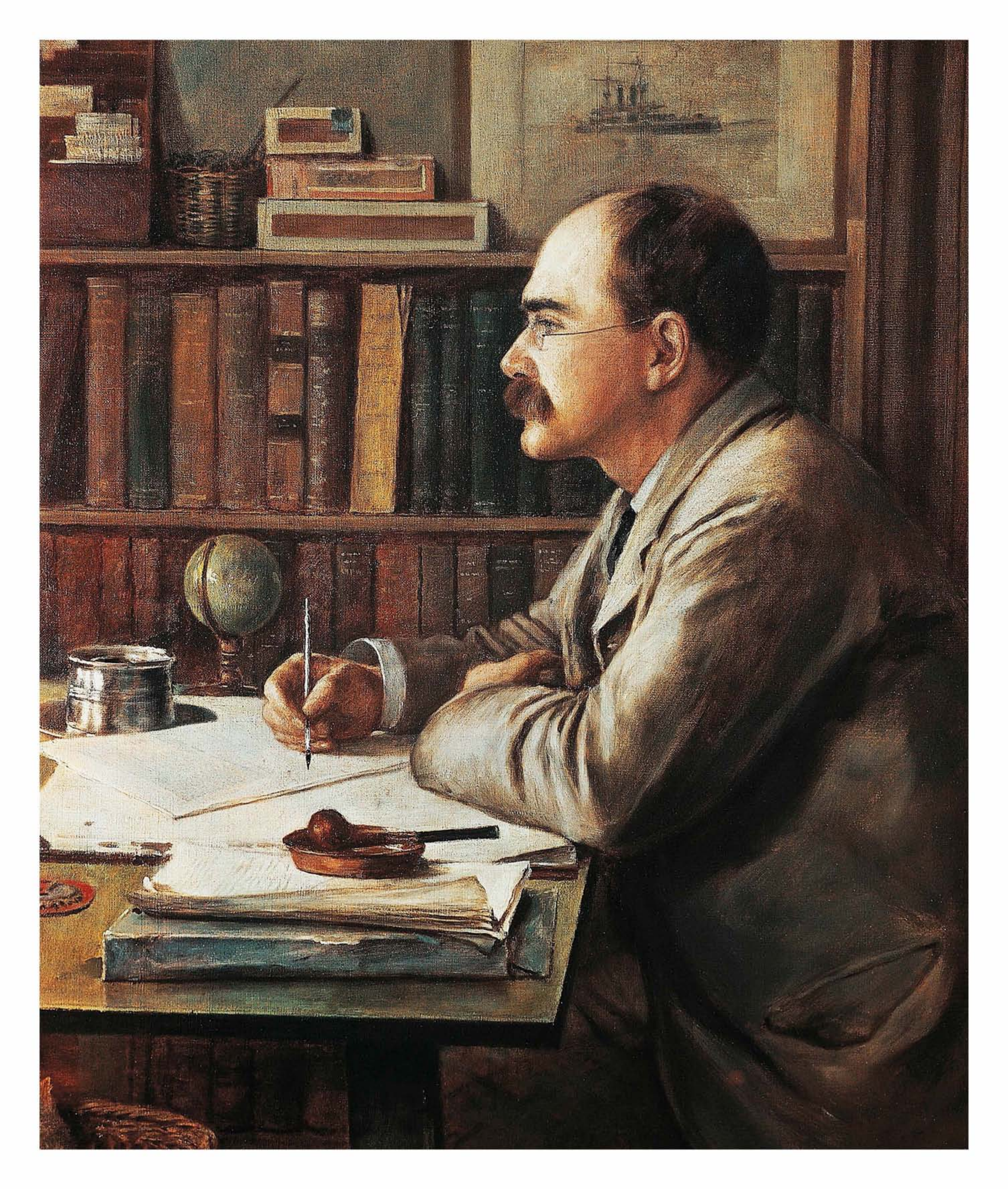
تقلّبت سمعة كبلنغ عبر السنوات، لكن كتبه الموجهة للأطفال ظلّت شعبية على الدوام. كتبت هذه القصص في الأصل لتكون حكايات ما قبل النوم لأطفاله، معتمدًا على ما يخلقه منح الحيوانات سمات شبيهة بالإنسان من سحرٍ وجاذبية. ركّزت مجموعته القصصية «هكذا Just So Stories» (سميت بهذا الاسم لإصرار ابنته على أن يقرأها لها بالأسلوب الذي أحبته)، والتي نشرت عام ١٩٠٢، على أصول نشأة العديد من صفات الحيوانات («كيف حصل الجمل على سنامه»، و«كيف حصل الفهد على بُقعِه»). أما الرسومات البارعة الظريفة التي رسمها كبلنغ بنفسه فكانت تحمل مُتعةً خاصة. لم يفقد كذلك كتابي «فتى الأدغال»، القصة التي تحكي ترعرع صبي على يد قطيع من الذئاب، جاذبيّتهما. ألهمت هذه القصص، من بين عدة أشياء أخرى، حكايات طرزان الشهيرة لإدغار رايس بوروخوس، ودفعت الضابط بادين بويل لإنشاء قسم أشبال الذئب Wolf Cub في الكشّافة (ما يعرف اليوم بـ «الأشبال»).



غلاف الطبعة الإنجليزية الأولى من قصص هكذا، ١٩٠٢.

◂ روديارد كبلنغ، ١٨٩٩

يظهر كبلنغ مستغرقًا في أفكاره على طاولة الكتابة في هذا البورتريه الذي رسمه ابن عمه، فيليب بورني-جونز. ألهمت أشهر أعمال هذا الفنان، لوحة مصاص الدماء، كبلنغ كتابة قصيدة تحمل الاسم نفسه.





أنطون تشيخوف

(١٨٦٠-١٩٠٤) روسي

عُرفَ تشيخوف في شبابه كاتبًا غزيرًا للقصة القصيرة؛ مُنتجًا الحكايات الساخرة واللاذعة المتدفِّقة بالأفكار الجديدة. تحوّل لاحقًا إلى الدراما، فخلق مسرحيات حاذقة مليئة بالأجواء أحدثت ثورة في المسرح.

تزامنت مسيرة تشيخوف الأدبية مع العصر الذهبي للأدب الروسي. ففي الوقت الذي انحدر فيه العديد من الكتاب البارزين حينئذ من الطبقة النبيلة (كان تولستوي «كونت»، وانحدرَ غوغول وتورغينيف من أصول أرستقراطية)، ترعرع تشيخوف في فقرٍ مُدقع. وُلد في تاغانروغ، ميناء في الجنوب الروسي، لعائلة بستّة أطفال. كان جده قِنًّا، والده بقّالًا.

كانت تاغانروغ مدينة محلية ميسورة الحال، لكن كان فيها دار أوبرا، ومسرح، ومدرسة جيدة تعلّم فيها تشيخوف. إلا أن حياته انقلبت رأسًا على عقب حين بلوغه السادسة عشرة، حيث أفلس والده وفرّ بعائلته إلى موسكو، لكنه خلّف تشيخوف وحيدًا معتمدًا على نفسه. أظهر الفتى تشيخوف قوة شخصية ستجلب له النجاح لاحقًا، فأنهى دراسته، والتحق بعد ثلاث سنوات بعائلته في موسكو حيث نال مقعدا في كلية الطب.

وإلى جانب دراسته، بدأ تشيخوف في كتابة القصص القصيرة لمجلات أسبوعية مغمورة للمساعدة في إعانة عائلته. امتازت هذه المجلات بعدد كلمات صارم، الأمر الذي دفع تشيخوف إلى تطوير أسلوب مُقتصِد ملائم. كتبَ تشيخوف بانطباعيّة، مصوّرًا جوهر الشخصية في وصف موجز أو في حوار من بضعة أسطُر. وتعلّم أيضًا فن النص الضمني؛ مُثيرًا قرّاءه بمقاصد خفيّة.

وعلى مدار السنوات القليلة اللاحقة، كتب تشيخوف مئاتَ القصص والمقالات القصيرة للنشر، العملية التي صقلت مواهبه وجعلت منه مصدر الدخل الرئيس للأسرة، فكانوا قادرين بعدها على الانتقال من حياة الشقاء إلى حياة الراحة.

طبيب ومؤلف

أصبح تشيخوف منذ عام ١٨٨٤ طبيبًا متخصصا في الطب النفسي وتشخيصه، وهي مهارات تحليلية استغلّها أيضا في كتاباته. استمر بإنتاج القصص القصيرة أثناء مزاولته لمهنته الجديدة، ولم يواجه أي مشكلة في جمعه بين الحقلين؛ كان قد أشار الطب بـ «زوجته الشرعيّة» وإلى الأدب بـ «عشيقته». بل إنّ معرفته الطبية ألهمته كتابة العديد من حكاياته، والتي بُنيت



▲ **مجلة منبه الساعة**

ساهم تشيخوف بكتابة المئات من القصص القصيرة للمجلات الساخرة الأسبوعية مثل مجلة منبه الساعة لأجل المال في الأساس. شطّب على بواكير أعماله واصفًا إياها بأنها براز أدبي.

القِنانة الروسية

كانت القنانة (عبودية الأرض) شكلاً من أشكال الإقطاعية السائدة في روسيا منذ القرن السادس عشر. وبحلول القرن التاسع عشر، كان قرابة ٥٠٪ من الفلاحين الروس البالغ عددهم ٤٠ مليونًا من الأقنان فعليًا، كانت الأراضي ملك النبلاء، أو القيصر، أو المؤسسات الدينية. أقدم القيصر ألكسندر الثاني في عام ١٨٦١ على اتخاذ خطوة عملاقة بإلغاء نظام القنانة من أجل عصرنة البلاد. وكان لهذا الإصلاح تداعيات طويلة مهمة قادت إلى تقليص طبقة النبلاء -إذ ارتفعت تكاليف العمّال ارتفاعا كبيرا- وإلى صعود طبقةٍ برجوازيّة ثرية. انعكست هذه التغيرات في مسرحيات تشيخوف، ولا سيما في مسرحية «بستان الكرز» التي كانت، ومن نواحٍ عديدة، مرثاةً لطبقةٍ تحتضر.



مالك أراضٍ مع عبيد أرضه، قسطنطين ألكسندروفيتش تروتوفسكي، ١٨٥٣.

◀ **أنطون بافلوفيتش تشيخوف، ١٨٩٨**

يُظهر هذا البورتريه لأوسيب براز الكاتب المصاب بالسل في حالة سوداوية. لم يُعجب تشيخوف بالصورة، ورفض توقيع النسخ المطبوعة منها.

> «الشيء الأكثر أهمية: استمر بالمراقبة، ولاحظ، وابذل جهدًا. أعد كتابة كل شيء خمس مرات، وأوجز وكثّف، وهكذا.»
>
> **من رسالة لأنطون تشيخوف إلى أخيه ألكسندر.**



▲ **مكتب تشيخوف في ميليخوفو**

عاش تشيخوف في مقاطعته في ميليخوفو ما يزيد على ستّ سنوات، متشاركا العيش مع والديه وأخته، التي تولت تدبير المنزل. تضمنت كتاباته في هذه المدة بعض القصص عن حياة الفلاحين.

▼ **مسرح موسكو للفنون، ١٨٩٩**

يقرأ تشيخوف في هذه الصورة مسرحيته النورس على ممثلي مسرح فن موسكو. يظهر الكاتب في وسط المجموعة، كتابه بيده، وعلى يساره المخرج والممثل كونستانتين ستانسلافسكي، وتقف بجوار ستانسلافسكي أولغا كنيبر، زوجة تشيخوف المستقبلية.

حول تطور المرض. وأشهر مثالين على هذه القصص- وأكثرها كآبة- هما: قصة «العنبر رقم ٦»، و«قصة كئيبة».

قصص أعمق

بحلول هذا الوقت، كان تشيخوف قد ترك الكتابة للمجلات الأسبوعية الرخيصة والمغمورة، وبدأ بالكتابة لمجلات شهريّة أكثر رسوخًا تستهدف شريحة أكثر ثقافة وتميزًا من القرّاء. دفعت هذه المجلات عائدات أفضل، ومنحت الكاتب مساحة أكبر بالطبع لإنتاج قصص أكثر تعقيدا وتوسّعًا. إحدى الشخصيات الرئيسة في تطوّر تشيخوف كان أليكسي سوفورين؛ أحد أقطاب عالم الصحافة في سان بطرسبرغ، والذي دفع لتشيخوف ثلاثة أضعاف ما يدفعه إليه المحررون في موسكو، مما مكّنه من عيش حياة مريحة أكثر، والكتابة بوتيرة أقل حدّة.

منح تشيخوف شخصياته في قصصه الأطول بعدًا نفسيًا أعمق، وبدأ أيضا بالانقلاب على التوقعات التقليدية لهذا النوع الأدبي: لم تعد حبكات القصص تنتهي على نحو مرتب، ولم يحظَ العشّاق بالنهايات السعيدة بزواجهم. بدلا من ذلك، فقد عكّر العلاقات بالقلق وضعف التواصل. عاد هذا الجو من التشكك للظهور لاحقًا في مسرحيات الكاتب.

نشر تشيخوف مجموعتين قصصيتين، هما: «حكايات منوعة»(١٨٨٦)» و«في الغسق (١٨٨٧)» وقد استقبلتا على نحو رائع جدا، ومكنته الثانية من الفوز بجائزة بوشكين للأدب المرموقة في عام ١٨٨٨. لكن لسوء الحظ، فقد حدثت أمور شخصية نغّصت على تشيخوف استمتاعه بهذا الإنجاز الشخصي. بعد معاناته القاسية مع مرض السل عدّة أشهر، توفي شقيقه نيكولاي في حزيران/ يونيو من عام ١٨٨٩، مذكّرا تشيخوف على نحوٍ مؤلم -والذي كان يعاني من المرض نفسه- بأن صحّته هو الآخر في تدهور.

رحلات إلى الشرق

حينما كان تشيخوف في حالة معنوية منخفضة، اتّخذ واحدًا من أغرب قرارات حياته: شرع في رحلة تمتد نحو ٦٥٠٠ كم عبر روسيا لدراسة الظروف الحياتية في المستعمرة العقابية في جزيرة سخالين الواقعة بين سيبيريا واليابان. كان بإمكان هذه الرحلة أن تقتله بسهولة لكنه عاد وكتب مؤلفًا استثنائيًا حول تجاربه بعنوان «جزيرة سخالين (١٨٩٣)».

بدا أن تغيير الروتين قد دفع تشيخوف إلى العمل. ففي عام ١٨٩٢، اشترى عقارا ريفيا صغيرا في ميليخوفو، جنوبي موسكو مباشرة. وهناك، بنى تشيخوف كوخًا في البستان، والذي كتب فيه بعضًا من أفضل قصصه، من بينها المسوّدة الأولى لمسرحيته «النورس». كان تشيخوف قد كتب مسرحيات من قبل، لكن أعماله الأولى مثل «إيفانوف (١٨٨٧)» و«شيطان الخشب (١٨٨٩)» كانتا فاشلتين. استمر تشيخوف

في الكتابة المسرحية لأنها مربحة أكثر؛ إذ كان بمقدور الكتّاب تلقّي ما يصل إلى ١٠٪ من واردات شبابيك بيع التذاكر. كان تشيخوف يعلم بأن النجاح في المسرح، حتى وإن كان متوسطا، سيدرّ عليه مالا أكثر بكثير مما ستدرّه عليه أيّ قصة.

لكن في بادئ الأمر، بدا أن رواية «النورس» لن تكون أفضل من سابقاتها. كان الإنتاج الأول للمسرحيّة، والذي عُرض في عام ١٨٩٦، كارثة بتمثيل رديء لعدم تدرب الطاقم عليها جيدا، ورد عليها الجمهور غير المتعاطف بالسخرية وصيحات الاستهجان. غادر تشيخوف المسرح حتى قبل أن تنتهي المسرحية، متعهدًا بعدم كتابة أيّ مسرحية أخرى أبدًا. ومما زاد الطين بلّة أن صحته كانت في تدهور شديد، واضطر - امتثالًا لأوامر الأطباء- إلى مغادرة مقاطعته المحبوبة والانتقال إلى طقسٍ أكثر اعتدالا في يالطا، في شبه جزيرة القرم.

أعيد إحياء مسرحية النورس في غياب تشيخوف على يد شركةٍ جديدة تُدعى «مسرح موسكو للفنون»، مع مخرجها كونستاتين ستانسلافسكي الذي لعب دور تريجورين. حقق أداء المسرحية نجاحا باهرًا هذه المرة، وأكسبت مهارات تشيخوف المسرحية الاعتراف والتقدير الفوريّين. في المقابل، أقام تشيخوف شراكة مع مسرح موسكو للفنون، والذي أنشأ الإنتاجات المميزة لرباعية روائعه: النورس، والخال فانيا والأخوات الثلاث، وبستان الكرز. حتى إنه تزوّج السيدة الرائدة في الشركة، الممثلة أولغا كنيبر.

◄ **نشرة مسرحية الخال فانيا**
أنتجت مسرحية تشيخوف -أعاد العمل على مسرحيته الشيطان الخشبي- لأول مرة في عام ١٨٩٩ من مسرح فن موسكو.

أبرز أعماله:

- ١٨٩٥ — النورس: كتب تشيخوف هذه المسرحية في نُزله في ميليخوفو، وكان أداؤها الافتتاحي كارثيًّا.
- ١٨٩٨ — الشيطان الخشبي: قلّص تشيخوف من حجم هذه المسرحية، وأعاد العمل على نهايتها وأخرجها لاحقًا باسم «العم فانيا».
- ١٨٩٩ — السيدة والكلب: وصفت هذه القصة القصيرة علاقة بين شخصين وقعا في فخ زواجٍ بلا حب.
- ١٩٠١ — الأخوات الثلاث: أدّى مسرح موسكو للفنون مسرحية الأخوات للمرة الأولى، وكتب تشيخوف جزء ماشا لزوجته المستقبلية «أولغا كنيبر».
- ١٩٠٤ — بستان الكرز: عُرضت آخر مسرحيات تشيخوف في كانون الثاني/ يناير قبل بضعة أشهر من وفاته، وحققت نجاحًا كبيرًا.

▲ **معسكر عمل، ساخالين**
يصف تشيخوف في قصته عن حياة السجناء في جزيرة ساخالين تفاصيل ظروف الحياة الرهيبة هناك. بقي العمل ذا بصيرة وتقدّم في نثر ذي تحقيقات صحفية.

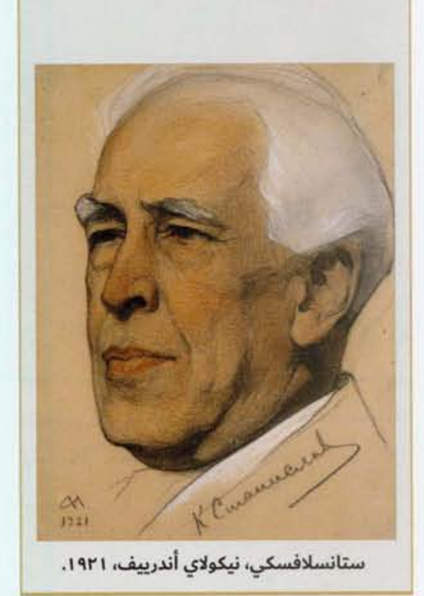
ثورة في المسرح

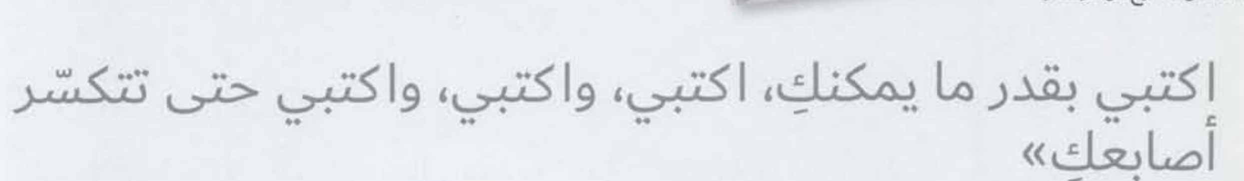
كان ستانسلافسكي ماهرًا في تقديم مسرحيات تشيخوف الإبداعية للجمهور، وعمل تشيخوف في مسرحياته هذه على التخلص من التقنيات الفنية للمسرحية الروسية، فيصب التركيز على الأجواء أكثر من الأحداث. لم تكن مسرحياته تدور حول الممثلين النجوم، بل التمثيل الجماعي. لم تكن مسرحياته تبني الأحداث لتتصاعد نحو الذروة؛ إذ كان يفضّل تخفيف حدّة التوتر في مشاهِده، ما سمح للمسرحية بالانحسار بعيدًا نحو حالة اللا ذروة. كان قد صرح بفخر حول إحدى مسرحياته: «لقد بدأتها بالقمة ثم أنهيتها برقةٍ ويُسر، مخالفا بذلك كل قوانين المسرح». اشتكى بعض النقّاد من أن شيئًا لم يكن يحدث في الحقيقة في مسرحياته، لكن بدلًا من الحدث الدرامي، فضّل تشيخوف تصوير الحياة الداخلية لشخصياته: كانت تستغرق في ذكريات الماضي، وتتأمل في إخفاقات الحاضر، وتحلم بمستقبلٍ أفضل.

لم يكن تشيخوف وستانسلافسكي يتفقان دائما، وتصادما بالتحديد حول إنتاج مسرحية «بستان الكرز»، إذ أصرَّ تشيخوف بأنها ملهاة، لكن إخراج ستانسلافسكي الذي مزج الفكاهة بالشفقة جعلها أقرب إلى المأساة. وللأسف، فقد كانت آخر مسرحيات تشيخوف، إذ انحدرت صحّته تماما في السنة التي أُدّيت فيها المسرحية للمرة الأولى، واستسلم للسل.

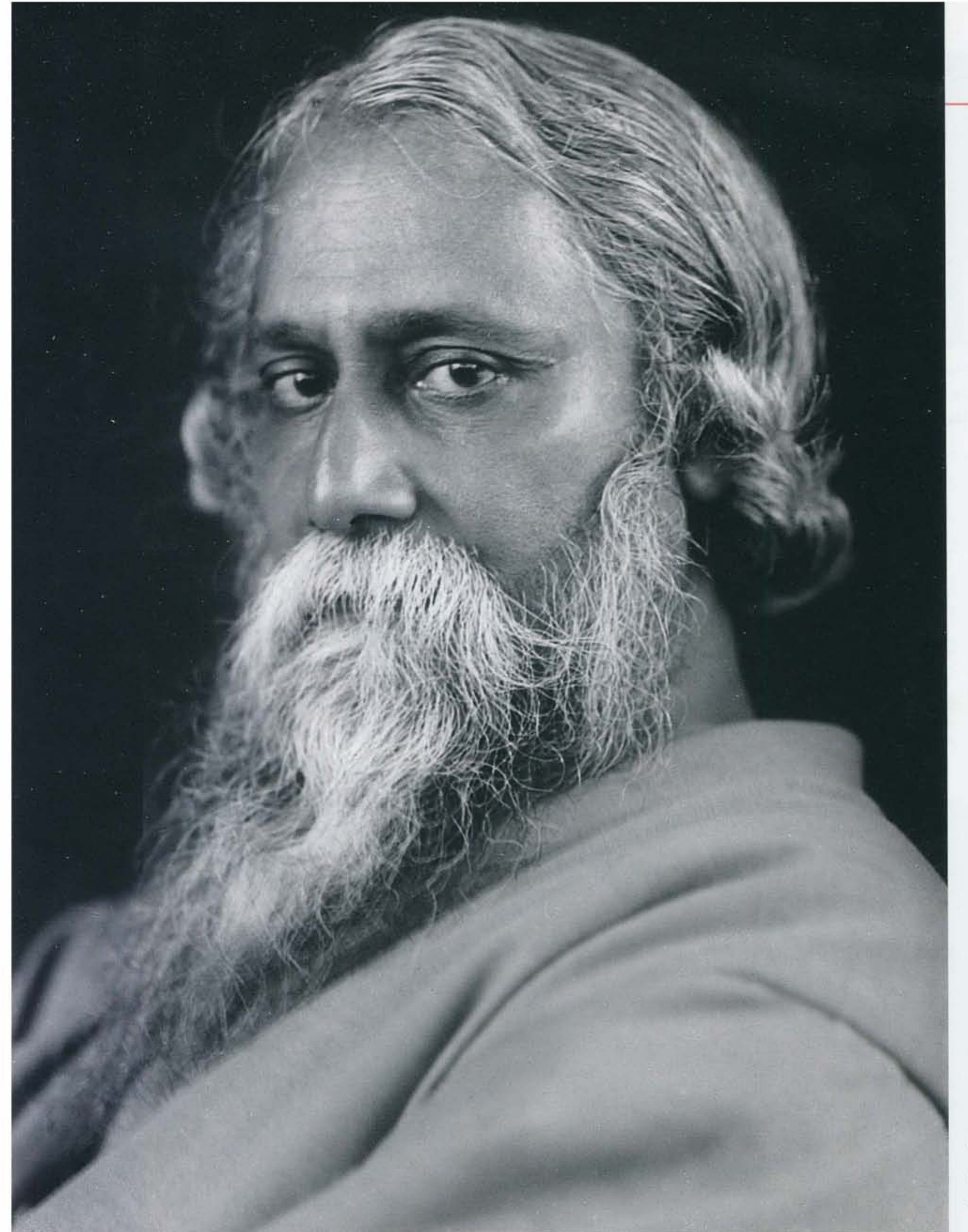
كونستاتين ستانسلافسكي

أحدث ستانسلافسكي ثورة في تقنيات التمثيل الحديثة من خلال «أسلوبه» الشهير. استلزم ذلك تدريب الممثلين على تعلُّم فن «تجربة» دور ما، بدلا من مجرد تمثيله. لقد شجّع الممثلين على فحص دوافعهم الشخصية من أجل إيصال حالتهم العاطفية والنفسية، وسلوكهم غير الواعي كذلك. وضع ستانسلافسكي، والذي كان ممثلا هو الآخر، أفكاره موضع التنفيذ في شركته المسرحية الخاصة «مسرح موسكو للفنون». حقّقت الشركة أول تقدّم حقيقي لها بإنتاج بارز وتاريخي لمسرحية «النورس عام ١٨٩٨»، وقد كان نجاح المسرحية كبيرًا، حيث أظهرت كل دقائق نص تشيخوف.


ستانسلافسكي، نيكولاي أندرييف، ١٩٢١.


اكتبي بقدر ما يمكنكِ، اكتبي، واكتبي، واكتبي حتى تتكسّر أصابعكِ»

أنطون تشيخوف، رسالة إلى ماريا كيسيليوفا.



طاغور ١٩٢٥
كان طاغور، ذو المظهر المتميّز، رجلًا متعدّدَ الثقافة، فهو موسيقي وفنّان وفيلسوف انتقائي وناشط سياسي متحمس، وفوق كل هذا فقد كان داعيا للعالمية والحرية الثقافية.

رابيندراناث طاغور

(١٨٦١-١٩٤١) هندي.

أعاد طاغور تشكيل الأدب البنغالي، مقدمًا الغنائية الغربيّة والنزعة الطبيعانية إلى استكشافاته لشعب الهند وروحانيتها وطبيعتها. أكسبته نزعته السلمية والإنسانوية العديد من المحبين.

دع حياتك ترقص برشاقة فوق حدود الزمن مثل قطرة ندى على طرفِ ورقة.

طاغور.

في السابع من آب/ أغسطس عام ١٩٤١، حُمل جثمان طاغور عبر كالكوتا إلى الغانج، وخلال الرحلة، كان الناس ينتفون شعرا من رأسه قبل أن يحرق جسده تمامًا. بدأ الحشد بعدها في البحث في رفاته عن بقاياه وعظامه. كانت نهايةً شنيعة لرجلٍ وُقِّر على أنه «الروح» الشعرية للهند، لكنها أيضا شهادة على القوة الاستثنائية لسمعته.

وُلد طاغور قبل ثمانين عامًا من هذا الحدث لواحدة من أغنى عائلات كالكوتا، والتي كانت في طليعة النهضة الثقافية البنغالية. كتب طاغور شعره الأول في سن الثامنة، وفي سن السادسة عشر، نظم مجموعة من القصائد قُبلت على أنها الأعمال المفقودة لشاعر هندوسي من القرن السابع عشر.

التأثير الإنجليزي

أُرسل طاغور في عام ١٨٧٨ إلى مدرسة في إنجلترا ثم درس القانون مدة وجيزة في جامعة لندن. عمّق طاغور معرفته بالأدب الأوروبي حين كان هناك، وسمع كذلك عن موسيقى music hall، والأغاني الشعبية، والتي سيَدمجُ أسلوبها في وقت لاحق في الألفي أغنية التب كتبها بنوعه الموسيقي المبتكر Rabinda Sangeet.

رجع طاغور إلى الهند عازمًا على مزج الأدب الأوروبي بالثقافة الهندية. انتقلَ إلى البنغال الشرقية في عام ١٨٩١، بعد زواجه طفلةً تبلغ من العمر ١٠ سنوات كانت تصغره باثنتي عشرة سنة، وذلك لإدارة ممتلكات عائلته. وهناك، تعرف على حياة الفلاحيين المحليين الذين صوّر حياتهم المتواضعة بأسلوبٍ مُؤثّر -وسخرية لطيفة- في قصص قصيرة ذات أسلوب غربي. أنشأ كذلك مدرسة سعت إلى المزج بين التقاليد التعليمية الهندية والغربية.

من الشرق إلى الغرب

عندما توفيت زوجته واثنين من أطفاله في عام ١٩٠٢، سكبَ طاغور أساه في مجموعة قصائد تدعى Gitanjali (أغنية القرابين)، والتي ظهرت في البنغال عام ١٩١٠. أخذ طاغور مخطوطته إلى إنجلترا آملًا في العثور على ناشرٍ إنجليزي، لكنه تركها فجأةً في أحد طرق الأنفاق في لندن. ولحسن الحظ، فقد عُثرَ على المخطوطة، ونشرت في عام ١٩١٢ بترجمة شاعرها ترجمة تأويلية فضفاضة. وبنقله للسلام الروحي في تناغم كبير مع الطبيعة، ضرب عمله هذا على وترٍ حسّاس لدى القراء في أوروبا؛ القارة التي كانت على شفا حربٍ دمويّة. نال طاغور على إثره جائزة نوبل في الأدب عام ١٩١٣، ومنحه شهرة عالمية. بدا طاغور بغموضه ومظهره الحكيم وغرابته كما لو كان يجسد للغرب صورة الشرق التي أراده عليها. وفي عام ١٩١٥، حصل على لقب الفروسية الفخري، إلا أنّ قراره بإعادة هذه اللقب التشريفي احتجاجا على مذبحة أمريتسار عام ١٩١٩ أظهر أنه على الرغم من إعجابه بالثقافة البريطانية، فإن ولاءه كان للهند.

ومع بداية عشرينات القرن الماضي، ركّز طاغور على الظروف الصعبة في الهند، ولم يكتفِ بشنّ حملاتٍ على النظام الطبقي في الهند caste وحظر المساس (Untouchability) فحسب، بل كتب أيضا عن الفقر في كولكاتا. وانخرط كذلك في الحركة القومية وكان صديقًا عظيما لغاندي، لكنه بقي أولًا، وقبل كل شيء، بنغاليًا. دخل طاغور عام ١٩٣٧ في غيبوبة، وعلى الرغم من تعافيه منها فقد مثلت بداية النهاية، وتوفي بعدها بأربع سنوات.

أغاني طاغور

على الرغم من أن طاغور اشتهر بشعره، فقد شملت كتاباته الروايات والمسرحيات والقصص القصيرة وآلاف الأغاني التي وضع فيها أدبه على أنغام موسيقى متأثرة بالأغاني التعبّدية الكلاسيكية والأنغام الشعبية التقليدية. ابتكر طاغور قانونا موسيقيا فريدا ومُبتكرا، والذي سرعان ما أصبح جزءً لا يتجزأ من الثقافة الشعبية، لدرجة أن أغانيه استُخدِمت نشيدا وطنيًا لبنغلاديش والهند.



رقصة الطلبة التمثيلية المستقاة من مخطوطة لطاغور.



جوراسانكو ثاكور باري

تعود ملكية هذا المنزل العظيم في كالكتا إلى أسلاف عائلة طاغور. وفي هذا المكان ولد طاغور، وترعرع، ومات. تحول المنزل اليوم إلى متحف مخصص لمنجزات العائلة.

ملحق الفصل الثالث

هارييت بيتشر ستو

(١٨١١-١٨٩٦) أمريكيّة

ولدت هارييت في كونيكتيكت ابنةَ ليمان الوزير الكلفاني. لحقت هارييت بسن الحادية والعشرين أباها إلى سينسيناتي، أوهايو، حيث تزوجت العالم الإنجيلي «كالفين إليس ستو». أصبح الزوجان بعدها من الأعضاء الإلغائيين (تحرير العبيد) النشطين، وساعدا بهرب العبيد الفارين من الجنوب. عاش الزوجان في برونزويك، ماين، حيث كتبت هارييت رواية «كوخ العم توم». كتبت هارييت هذه الرواية باحترافية متقنة لتجذب مشاعر قرّائها البيض، وبيع من الرواية أكثر من ٣٠٠ ألف نسخة في غضون سنة ولها الفضل في تحويل الرأي نحو قضية الإلغائية. واجهت رواية كوخ العم توم نقدًا صارمًا بسبب وصفها الأمريكيين الأفارقة بالضحايا السلبيين، لكنها قدَّمت في رواياتها الأخرى «Dred» مقاومة السود للعبودية. حازت هارييت على شهرة دولية، وساهمت في حملة لحقوق المرأة وكتب رواية عن مجتمع نيو إنغلاند.

أبرز أعمالها:

كوخ العم توم (١٨٥١-٥٢)، دريد: حكاية المستنقع الكئيب (١٨٥٦)، شعب أولدتاون (١٨٦٩).

هنري ديفيد ثورو

(١٨١٧-١٨٦٢) أمريكيّ.

يعد الشاعر وكاتب المقال ثورو رائد فلسفة حماية البيئة في العصر الحديث والأناركيّة. ولد ثورو في كونكورد، ماساتشوستس، وشُجّع على الكتابة من جاره «رالف والدو إيمروسن» ونشر أعماله في مجلة الفلسفة المتعالية «The Dail». شرع ثورو في عام ١٨٤٥ بتجربة حياة البساطة بسكنه في كوخ جوار بحيرة والدن بوند قرب كونكورد، حيث ألف أشهر كتبه Walden، وكان تعبيرًا بنثر تراثي عن حبه للطبيعة والفردانيّة الأصوليّة. رفض ثورو دفع الضرائب في مسعاه الاحتجاجي ضد سياسات الولايات المتحدة، وسُجن مدةً قصيرة إثر ذلك، التجربة التي ألهمته مقالته المؤثرة «العصيان المدني». تعززت سمعة ثورو بنشر يومياته بعد وفاته وملاحظاته حول الطبيعة. وزادت بعد ذلك شعبية كتاباته بثبات.

أبرز أعماله:

أسبوع في كونكورد وأنهار ميريماك (١٨٤٩)، العصيان المدني (١٨٤٩)، والدن أو الحياة في الغابة (١٨٥٤).

إيفان تورغينيف

(١٨١٨-١٨٨٣) روسي.

ولد تورغينيف، الروائي وكاتب القصة القصيرة والمسرحي، لعائلة من طبقة مالكي الأراضي. ثار تورغينيف ضد النظام الاجتماعيّ القيصريّ ووحشية أمه المُستبدة وأصبح مدافعًا عن الإصلاحي الليبرالي. ابتدأت مصاعبه بعدما تعرض للإقامة الجبرية في المنزل إثر نشره مجموعته القصصية القصيرة «مذكرات صياد (١٨٥٢)» بسبب نقدها لنظام القنانة. عبَّر تورغينيف في روايته «آباء وأبناء (١٨٦٢)» بتصويرها البارز للشاب العدمي «بازاروف»- عن قنوطه من قدرة روسيا على التغيير. غادر تورغينيف روسيا من أجل استقرار مريح ونهائي في فرنسا بعد أن خاب أمله بالاستقبال المتواضع لكتابه وما عقبه من حب مُحبطٍ لكن مخلص للمغنية الفرنسية باولينا فيرادوت. تضمَّنت روايات تورغينيف ذات موضوع النفسيّة السوداوية نوفيلا «الحب الأول» ورواية «سيول الربيع» التي حظيت بقراءة شريحة كبيرة. مات تورغينيف في باريس.

أبرز أعماله:

الحب الأول (١٨٦٠)، آباء وأبناء (١٨٦٢)، دخان (١٨٦٧)، سيول الربيع (١٨٧٢).





تيودور فونتانه، كارل بريتباخ، ١٨٨٣

تيودور فونتانه

(١٨١٩-١٨٩٨) ألماني.

لم ينشر فونتانه، الروائي الواقعي الطليعي في القرن التاسع عشر، أول رواية له حتى سن الثامنة والخمسين. ولدَ فونتانه في نويروبين، براندينبيرغ، ابنًا لصيدليّ، اتَّبع بعد بلوغه خطوات والده المهنية قبل أن يقرر الهرب نحو الصحافة. عمل فونتانه مراسلًا أجنبيًّا (قضى بضع سنوات في لندن) ومراسلًا حربيًّا، ونشر كتب رحلات ومجلدات عسكريّة لكن لم ينشر في الرواية -باستثناء رواية مهملة- حتى ظهرت «ما قبل العاصفة» في عام ١٨٧٨. تدور أحداث هذه الرواية التاريخية في الحقبة النابليونيّة، ولحقتها سلسلة من الروايات المبنية على خبرة فونتانه الواسعة عن المجتمع الألماني المعاصر له، وشرحت هوس المجتمع للمكانة والاحترام بنثر رزين ساخر. كان فونتانه حساسًا جدًا لحالة النساء، لا سيما اللائي تضعهن رغباتهن وتطلعاتهن بسهولة في صراع ضد تقاليد المجتمع. وتعامل عمله التراكمي عن مسيرته المهنية «Effi Briest» مع المصير المأساوي لامرأة مغمورة (بناها على نحو فضفاض على جدته) تُدمر بظهور ماضيها في ممارسة الزنا للعلن.

أبرز أعماله:

قبل العاصفة (١٨٧٨)، «المأخوذة بالزنا (١٨٨٢)»، Jenny Treibel ١٨٩٣، Effi Briest 1895.

جول فيرن

(١٨٢٨-١٩٠٥) فرنسي.

كان فيرن، مُبدع ما أسماه «رواية العلم»، كاتبًا غزيرًا بتأثير ثقافي راسخ. ولد فيرن في نانت، ابنًا لمحامٍ، فدرس القانون في باريس وعمل سمسار بورصة، ولم يخامره شكٌ قط أنَّ الكتابة مهنته. أتى نجاح فيرن الخارق بنشره رواية «خمسة أسابيع في منطاد» التي نشرها بيري-جول هيتزل في عام ١٨٦٣، وأصبح هيتزل بعدها ناشر كتب فيرن بوسم «رحلات استثنائية».

هدفَ الاثنان إلى تقديم الجغرافية المعاصرة والمعرفة العلميّة في شكل قصص مغامرات، وجمعوا ما بين الممالك المتنافرة ظاهريًا للعلم والفانتازيا. أصبحت هذه الصيغة الكتابية مُربحةً جدًا، وظهرت قرابة ٥٤ رواية ضمن هذه السلسلة. كانت أعمال فيرن ذات مواضيع مبحوثة بدقة و«اختراعاته» مثل الصاروخ الفضائي والغواصة مشاريعَ منطقيةً في ذروة حقبة التطور التقني في القرن التاسع عشر. أبانت شهرة رواياته المهولة عن مبالغة أحيانا في سمتها الأدبية، لكنها ذات مكانة نقدية معتبرة في وقتنا الحالي.

أبرز أعماله:

رحلة إلى مركز الأرض (١٨٦٤)، من الأرض إلى القمر (١٨٦٥)، عشرون ألف فرسخ تحت الماء (١٨٧٠)، حول العالم في ثمانين يوما (١٨٧٣).

كريستينا روسيتي

(١٨٣٠-١٨٩٤) إنجليزيّة.

كانت الشاعرة الفيكتوريّة، كريستينا روسيتي، ابنة سياسي إيطاليّ منفي عاش في لندن. نشأت في عائلة كثُر فيها الموهوبون من بينهم قريبها الرسام ما قبل الرافئيليّ والشاعر دانتي غابرييل روسيتي. عاشت روسيتي بحيويّة في شبابها لكن أخبى جذوةَ روحها المرضُ الدائم وتأثيرُ الكاثوليكية الإنجليزية التي علمتها إثم المتعة وواجب التنسُّك. أكسبها ديوانها «سوق الجن وقصائد أخرى» في عام ١٨٦٢ الاعتراف بها شاعرةً من الطبقة الأولى. كان عنوان الديوان/ القصيدة، حكاية خيالية عن حب أختويّ والفاكهة المحرمة، واحدةً من أفضل أعمالها. عُرض عليها الزواج ثلاث مرات في حياتها لكن بقيت عزباء. يُعبِّر شعرها الغنائي الواضح عن قناعة بأفضلية الحب السماوي على الحب الأرضي. وكانت سونيتتها المتسلسلة «Monna Innominate» مع إحالاتها الإنجيلية ترنيمة عن الرغبة غير المحققة. وتعاملت روسيتي أيضًا مع قضايا جدليّة مثل مصير «النساء الهاويات» والورع في العديد من أعمالها اللاحقة.

أبرز أعمالها:

سوق الجن وقصائد أخرى (١٨٦٢)، تقدُّم الأمير وقصائد أخرى (١٨٦٦)، الموكب وقصائد أخرى (١٨٨١)، أشعار (١٨٩٣).

لويس كارول

(١٨٣٢-١٨٩٨) إنجليزي.

أنتج تشارلز لوتويدج دودجسون، الذي نشر باسم قلم «لويس كارول»، بعضًا من أفضل الأعمال الخيالية في الأدب الإنجليزي. كان كارول، ابن رجل دين، رياضيًّا لامعًا كتب القصص ونظم الشعر لأجل التسلية. وقضى معظم حياته أكاديميًا في كلية كريست تشرتش، جامعة أكسفورد. أبدعَ أفضل أعمال كارول «أليس في بلاد العجائب» لتسلية ابنة عميد الكلية الفتيّة «أليس ليدل». نُشر هذا العمل مع الرسومات في عام ١٨٦٥ محققًا نجاحًا فوريًا، وأتبع بالتتمة «عبر المرآة» لكنه لم يحقق قط ذات شعبيّة كتابه الأول، وربما يعود السبب إلى اهتمام البارز جدًا لكارول بالأحاجي والألغاز الرياضية. احتوى الكتابان أشعارًا تافهة وباروديات لمؤلفين معروفين لا سيما «اصطياد السنارك» (حيوان خيالي يشير إلى المستحيل أو اللا ممكن تحقيقه) الذي كان غامضًا بتعمُّدٍ في معناه. كان كارول مصورًا متممًا عدة أعمال، لكنَّ صوره للأطفال قادت على شك غير محسوم عن تفضيلاته الجنسية.

أبرز أعماله:

أليس في بلاد العجائب (١٨٦٥)، عبر المرآة (١٨٧١)، اصطياد السنارك (١٨٧٦).

ستيفان مالارميه

(١٨٤٢-١٨٩٨) فرنسي.

ولد الشاعر الرمزي ستيفان مالارميه لعائلة باريسية من الطبقة المتوسطة، وتزوّج بسن الحادية والعشرين، وعمل ثلاثين سنة معلم مدرسة. وفي الوقت الذي تماشى مع هذه الحياة التقليدية فقد سعى خلف أهداف فنيّة أصوليّة، واقتنع بأن الشاعر وحده هو من سينقذ العالم من العبثيّة، وأنَّ «كُلَّ ما هو موجود في العالم سينتهي في كتاب». تأثَّر مالارميه في أول الأمر ببودلير وآلان بو، وطوَّر مالارميه أسلوبًا شعريًّا مُلغّزًا ومُكثّفًا ومُعقّدًا نحويًّا، واستخدم المجاز الغامض للتعبير عن المسعى الفاشل للمثاليّة الدائمةِ التملُّص. وجلب الرصانة لتفسخ أواخر القرن التاسع عشر، وأصبح صالونه «صالون الثلاثاء» محور حياة المفكرين الباريسيين. كُتبت أغلب أشهر أشعاره في ستينات القرن التاسع عشر على الرغم من كتاباته اللاحقة، من بينها «ظهيرة إله المراعي [فاون]»، وهو حوار ذاتي متعلقٌ بتجارب فاون الشهوانية. واجتمع انفجاره الإبداعي الأخير في القصيدة النثرية «رمية النرد لن تبطلَ الحظ أبدًا»، التي استخدم فيها طباعة الحروف وتجاور الكلمات ليستكشف الروابط ما بين الشكل والمحتوى.

أبرز أعماله:

ظهيرة إله المراعي (١٨٧٦)، القصائد (١٨٨٧)، Herodiade (١٨٩٦)، رمية النرد لن تبطلَ الحظَ أبدًا (١٨٩٧).

بينيتو بيريث جالدوس

(١٨٤٣-١٩٢٠) إسباني.

ترعرعَ أشهر روائيّ إسبانيّ واقعيّ في جزر الكناري قبل أن يصبح صحفيًا في مدريد. شرعَ جالدوس بمسيرته الأدبية الروائية الغزيرة والمُذهلة في عام ١٨٧٠ برواية «النافورة الذهبيّة». كتب جالدوس ما بين سني ١٨٧٣ و١٩١٢ أربعًا وستين روايةً تاريخية عُرفت بـ«الحلقات الوطنيّة»، دارت



ستيفان مالارميه، صورة ملتقطة من نادار، ١٨٩٦

أحداثها عن تاريخ إسبانيا خلال القرن التاسع عشر. وتظافر مع هذه الجهود سلسلة من اثنتين وعشرين رواية ركّزت على الحياة الإسبانية المعاصرة، وأُلهم إياها من «الكوميديا الإنسانية» لأونوريه دي بلزاك. تضمّنت هذه السلسلة عمليه Funtunata و Jacinta، اللذين يُعدان أفضل مؤلفاته. كتب جالدوس للمسرح أيضًا مسرحيته المناهضة للأكليروس «إليكترا (١٩٠١)» مُثيرةً جدلًا مريرًا. دخل بعدها البرلمان الإسباني لكنَّ مسيرته السياسة كانت قصيرة وعقيمة.

أبرز أعماله:

النافورة الذهبية (١٨٧٠)، Funtunata and Jacinta (١٨٨٦-٨٧)، Tristana ١٨٩٢، Nazarin ١٨٩٥.

بول فيرلين

(١٨٤٤-١٨٩٦) فرنسي.

اشتهرَ الشاعر فيرلين بحياته المتهتكة قدر شهرته بشعره الغنائي. نشر فيرلين أول مجموعة شعرية Poemes saturniens في عام ١٨٨٦، لكنه وجد صوته الشعري مع الحزن، وألحق ديوانه الأول بـ Fetes galantes وRomance sans paroles. قدَّم فيرلين باستخدام سطر شعري قصير (غالبًا بعدد فردي من المقاطع الصوتية) نغمًا جديدًا إلى الشعر الفرنسي، امتاز بالاستذكارية والموسيقية والأسى. لم ينعكس هذا الترتيب الرزين لشعره في حياته الخاصة، إذ ترك زوجته ماتيلدا ماوتي ذات الستة عشر عامًا وبكره حديث الولادة للعيش مع المشاكس مُفتعل المشاكل الشاعر الشاب «آرثر رامبو» في عام ١٨٧٣، وبلغت العلاقة العاصفة بين الشاعرين ذروتها بإطلاق فيرلين النار على رسغ رامبو، وحُكم عليه بالسجن سنتين. انعكست الجهود اللاحقة من أجل نيل الاستقرار مجددًا في قصائد ديوانه Sagesse لكنها باءت بالفشل بعد موت عشيقه لوسين ليتينويس في عام ١٨٨٣. انحدر فيرلين بعدها إلى إدمان الأفسنتين بالتوازي مع ارتقاء سمعته الشعرية.

أبرز أعماله:

Fetes galantes 1869، Romance sans paroles 1873-74، Sagesse 1880، Jadis et Naguere 1884.

خوسيه ماريا دي إيكا دي كويروز

(١٨٤٥-١٩٠٠) برتغالي.

وُلِد الروائي خوسيه ابنًا غير شرعي لقاضٍ. غضب خوسيه في شبابه من تخلُّف وظلم المجتمع البرتغالي، واشترك في حملة إصلاح سياسي. انضمَّ بعدها في عام ١٨٧٢ إلى الخدمة القنصليّة، ومنذ حينها عاش في الخارج وعلى وجه الخصوص في إنجلترا وفرنسا. تأثرت رواياته بشدة بروائي النزعة الطبيعية الفرنسي «إميل زولا»، وقدَّم صورة ساخرة صارخة عن رذائل ونفاق الطبقة البرتغالية الحاكمة. وتعد رواية «إثم الأب أمارو» أشهر أعماله شعبيةً ورسوخًا، ودارت حول علاقة متقدة ما بين قس وواحدة من بنات إبريشيته في بلدة إقليمية. تحكي رواية «بنت العم بازيليو» عن زوجة زانية تُستغل من عشيقها وتُبتزّ من خادمتها. واستخدم في رواية The Maias، التي تدور حول عائلة لشبونيّة كبيرة، سِفاحَ المحارم رمزًا لتدهور الأرستقراطية البرتغالية. مات خوسيه في باريس نابذًا تطلعاته مدةً طويلة من أجل إصلاح وطنه الأم.

أبرز أعماله:

إثم الأب أمارو (١٨٧٥)، The Maias ١٨٨٨، آل راميري النبلاء (١٩٠٠).

هنريك شينكيافيتش*

(١٨٤٦-١٩١٦) بولندي.

ولد شينكيافيتش، الروائي التاريخي الحائز على جائزة نوبل، في إقليم لوبلين، شرق بولندا لعائلة مالكة إرض مُعدمة. لم تكن بولندا وقت ولادته أكثر من مجرد دمية بيد الإمبراطورية الروسية والتي ابتلعت بولندا رسميا في عام ١٨٦٧. نشر شينكيافيتش أولى رواياته وقصصه القصيرة في سبعينات القرن التاسع عشر وكان صحفيًّا مُنتجًا وكاتب رحلات. حققت سلسلة رواياته التاريخية المعروفة بالثلاثية والمؤلّفة من رفقة النار والسيف، والطوفان، والنار في السهوب- نجاحًا هائلًا في بولندا، وتدور أحداثها في القرن السابع عشر، وغازلت حب الوطن البولندي بدون إساءة كبيرة للرقابة الروسية. وحقق شينكيافيتش سمعة دولية بروايته الملحمية Quo Vadis؟ التي تقع أحداثها في زمن الإمبراطور الروماني نيرون، وأكدت على انتصار الروحانية المسيحية على المادية الرومانية. نال شينكيافيتش جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٠٥، واستخدم هذه الجائزة المرموقة لطلب حكمٍ ذاتي أكبر لبولندا، لكنه كان واضحًا برفض التمرد تمامًا. تُوفي شينكيافيتش في سويسرا إبّان الحرب العالمية الأولى.

أبرز أعماله:

الثلاثية (١٨٨٤، ١٨٨٦، ١٨٨٨)، Quo Vadis؟ ١٨٩٥، بلا عقيدة (١٨٩٩)، فرسان التوتونيّة (١٩٠٠).

* Sienkiewicz



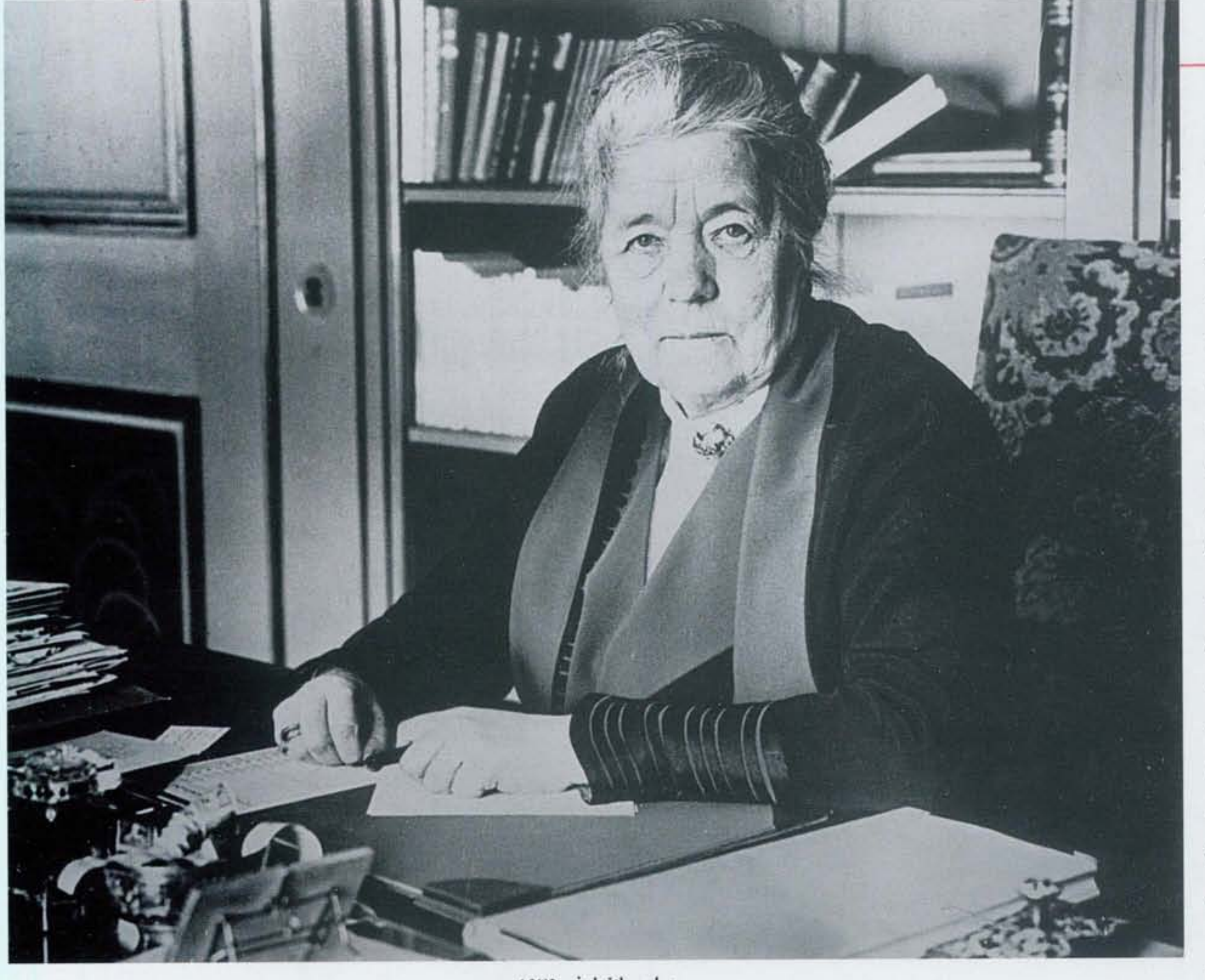
هنريك شينكيافيتش، كازيميرز بوتشفالسكي، ١٨٩٠

يوريس-كارل هويسمان

(١٨٤٨-١٩٠٧) فرنسي.

كان هويسمان -الكاتب الذي عرَّفت أعماله الانحطاط الفرنسيّ- من أصل هولنديّ على الرغم من ولادته وموته في باريس. بعد أن دعم

هويسمان نفسه ماديًا بوظيفة مُدرَّة لا تتطلب جهدًا، شرع بمسيرته الأدبية تحت تأثير «النزعة الطبيعية» لإيميل زولا والتي شكَّلت بواكير أعماله الروائية مثل رواية The Vatard Sisters. لم يتزوج هويسمان قط، ونُشرت روايته «مع التيار» في عام ١٨٨٢، وكانت رواية مُذهلة بتفاصيل الإحباطات التافهة في حياة أعزب باريسي. ثبّت هويسمان حدود مقطاعته الأدبية الفريدة بنشره رواية «ضدُّ الطبيعة» في عام ١٨٨٤. وخلق في رواية Des Esseintes -امتاز العمل بشخصية ضديد البطل- نموذجًا لنهاية عصر الجمال الفرنسي المُتهالك. حُزِّم أسلوب هويسمان بمجموعة من العبارات الجديدة والمُندثرة، والتي كانت أصيلة بقدر مواضيع أعماله. وامتازت سلسلة رواياته اللاحقة Durtal بالأنا الثانية، ورسم فيها تقدمه الروحاني من الفضول المتهتك حول عبادة الشيطان (لا سيما في روايته اللامعة الملعون) إلى الاعتناق المتأخر المحترز للكاثوليكية.


سلمى لاغرلوف، ١٩٣٩

أبرز أعماله:

The Vatard Sisters ١٨٧٩، ضدُّ الطبيعة (١٨٨٤)، الملعون (١٨٩١)، En route ١٨٩٥.

روبرت لويس ستيفنسون

(١٨٥٠-١٨٩٤) إسكتلندي.

من الممكن أن يكون أفضَّل ما عرَّف بستيفنسون، كاتب قصص المغامرات، حكايته النفسية الغامضة «القضية الغريبة للدكتور جيكل والمستر هايد». كان ستيفنسون الخروف الأسود لعائلة بارزة من بنائي منارات البحر، بعد أن تحدَّى والده في أن يصبح كاتبًا لا مهندسًا مدنيًا. كان ستيفنسون رحّالة جسور، ونشر أول أعماله عن قصص رحلاته مثل «رحلات مع حمار في سيفينيس (١٨٧٩)». تزوَّج ستيفنسون في عام ١٨٨٠ فاني فانديغرفت أوسبورن، أمريكية مُطلَّقة، واصطحبها معه في تجواله. كتب روايتيه «جزيرة الكنز» و«المخطوف» موجهتين للأطفال لكنهما قُرآ على نطاق واسع من البالغين، وجعلتا منه رفقة رواية «القضية الغريبة للدكتور جيكل والمستر هايد» كاتبًا مشهورًا. ونشر أيضا قصائد للأطفال أصبحت من الكلاسيكيات الفيكتوريّة. كان ستيفنسون عليل الصحة دائما ويعود شطر من السبب إلى سوء حالة رئتيه بعد استقراره في ساموا في عام ١٨٩٠، حيث توفي بعمر الرابعة والأربعين.

أبرز أعماله:

جزيرة الكنز ١٨٨٣، القضية الغريبة للدكتور جيكل والمستر هايد ١٨٨٦، المخطوف ١٨٨٦، سيد بلدة بالانتريه ١٨٨٩.

آرثر رامبو

(١٨٥٤-١٨٩١) فرنسي.

هرب المراهق المتمرد رامبو مرارًا من منزل عائلته في شرقيّ فرنسا، ونظم القصائد منذ سن الخامسة عشرة التي كانت مُجدِّفة ورقيقة وخياليّة وبرازيّة (نسبة إلى البراز) ومعلنةً حاجة الشاعر إلى لخبطة كل الحواس ليجعل من نفسه «الرائي». بدأ رامبو في عام ١٨٧١ علاقة مع الشاعر فيرلين، وعاش الاثنان معًا في لندن حيث كتب رامبو أغمض قصائده النثرية الزاهية «إضاءات». تبددت أوهامه بُعيد مكوثه مع فيرلين وتكسّرت أواصر علاقتهما بعنف (إطلاق نار). أدرك رامبو في كتابه «فصل في الجحيم» فشله في قلبِ حياته عبر كيمياء الكلمات، توقف إثرها عن كتابة الشعر بسن الحادية والعشرين. بقي رامبو لا مباليًا حينما جذب شعره متأخرًا الاهتمام في ثمانينات القرن التاسع عشر. وبعد حياة تجوال من ضمنها مدة عمل فيها تاجر أسلحة في شرق إفريقيا، مات رامبو في مستشفى مرسيليا بعمر السابعة والثلاثين.

أبرز أعماله:

القارب المخمور ١٨٧١، فصل في الجحيم ١٨٧٣، إضاءات ١٨٨٦.

سلمى لاغرلوف

(١٨٥٨-١٩٤٠) سويدية.

كانت سلمى، كاتبة وروائية أدب الأطفال، أول امرأة تفوز بجائزة نوبل في الأدب. ترعرعت سلمى في مقاطعة العائلة في فارملاند في غربيّ السويد، وغالبًا ما استمعت إلى الحكايات الخيالية والأساطير من جدتها. عملت سلمى معلمة بعد أن انخفضت ثروة الأسرة وباعت مقاطعتهم. مزجت سلمى في روايتها الأولى «ملحمة غوستا برلنغ» ما بين مشاهداتها لحياة الريف السويديّ والخيال، ونُشرت بعد أن دخلت في مسابقة. سمح لها نجاح الكتاب في تكريس وقتها بالكامل للكتابة، وكانت كتب الأطفال خيرَ ما أحبّته، فكتبت «مغامرات نلز العجيب» التي دارت حول فتى شقيّ يتحول إلى قزم ويرتحل على ظهر إوزَّة بريّة متعلمًا دروس الحياة في طريق رحلته.

ولكونها مدافعة متّقدة الحماس عن حقوق النساء، فقد اشتركت وجدانيًا مع الكاتبة صوفي إلكان، والمناصر لحقوق النساء «فالبورغ أولاندر». استخدمت سلمى المال الذي جنته من نيل جائزة نوبل في شراء منزل طفولتها في فارملاند.

أبرز أعمالها:

ملحمة غوستا برلنغ ١٨٩١، أورشليم ١٩٠١-١٩٠٢، مغامرات نلز العجيب ١٩٠٦، حلقة لوفنسجولدز ١٩٢٥.

بواكير القرن العشرين

الفصل الرابع

و. ب. ييتس

(١٨٦٥-١٩٣٩) أيرلندي.

اشتهر ييتس بشعره الغنائي الذي يحتفي بالثقافة الأيرلندية، وكتبَ المسرحيات ونشر أعمالا عن الصوفية. وأصبح، كما قال عن نفسه، «خليعٌ مسنٌ واقعٌ بغرام مع كلِّ هبةِ ريح»؛ مضطربا في الحب وخائفًا من الشيخوخة.

انتقلت عائلة وليم بتلر ييتس بُعيد ولادته إلى سليغو، شمالي شرق أيرلندا، مسقط رأس أمه (سوزان ماري بوليكسفين) التي كانت ابنة عائلة من التجار. انتقلت الأسرة بعد سنتين فحسب إلى لندن حيث كان والد ييتس (جون) يأمل في أن يبني له مسيرة فنية ليكون رساماً. ذهب ييتس إلى المدرسة في المدينة، لكنه كان يقضي عطلات الصيف مع جدّيه في سليغو، مطوِّرًا علاقة وطيدة مع «بلد القلب». عادت العائلة إلى أيرلندا عام ١٨٨٠، وقصد ييتس المدرسة الثانوية ثم التحق بعدها بكلية دبلن. حصد ييتس بعض النجاح المبكر في عام ١٨٨٥ عندما نشر شعره في مجلة الجامعة. وفي ذات السنة، التقى بجون أوليري، وهو شخصية وطنية رفيعة المستوى شجّع الشاعر الشاب على مزج نزعته الرومانسية بالتاريخ والفلكلور والطبيعة الأيرلندية. وبعودته مع عائلته إلى لندن في عام ١٨٨٦، سعى ييتس خلف اهتمامه بالسحر والتنجيم الذي ابتدأ في الكلية، وأصبح عضوًا نشطًا في Hermetic Order of the Golden Dawn، وهي جمعية دافعت عن ممارسة السحر لنيل التنوير. سينتقل شغفه بالفانتازيا والصوفية إلى مسرحياته وقصائده، ومن ضمنها «المجيء الثاني (١٩١٩)» و«الإبحار إلى بيزانتويم (١٩٢٨)»، وهي قصة رمزية لرحلة روحانية.

الرفض والحب

شارك ييتس في لندن بتأسيس نادي Rhymers Club للشعراء، والتقى بـ ماود غونه، وهي وطنية أيرلندية جميلة وحادة الطباع وقع ييتس في غرامها. سيُلقي حبه غير المتبادل لغونه بظلّه الثقيل على حياته وعمله. رفضت غونه طلبه للزواج منها في عام ١٨٩٩، وتزوجت الرائد الأيرلندي (جون ماكبرايد) الذي سيُعدمه البريطانيون لاحقا لمشاركته في التمرد الوطني. ألهمَ هذا الحدث ييتس لكتابة قصيدته «عيد الفصح ١٩١٦»، العمل الذي سلط الضوء على المشاعر المتضاربة تجاه موت الرائد.

استغرق ييتس سنواتٍ ليتعافى من تعلُّقه المؤلم بغونه، وتزوج في عام ١٩١٧ جورجينا هايدليس، وعاش معها في أيرلندا حيث رزقا بطفلين. شاركته زوجته شغفه بالتنجيم والسحر، وزاولا معًا الكتابة التلقائية (عملية تتضمن السماح لتدفق الوعي بحرية خلال الكتابة)، منتجين قرابة ٤٠٠٠ كلمة بهذا الأسلوب.

بقي ييتس محبًا لوطنه، وأصبح في عام ١٩٢٢ عضوا في مجلس الشيوخ لدولة أيرلندا الحرة. ونال جائزة نوبل في الأدب في السنة التالية بفضل التقدير الذي تلقاه على نحو كبير لأعماله المسرحية. وعلى غير العادة، فإنَّ الكثير من أفضل أعماله التي خلدت ذكراه قد كتبها بعد نيله لجائزة نوبل. استعرضت مؤلفاته «البرج (١٩٢٨)» و«دَرَجٌ مُتعرج وقصائد أخرى (١٩٣٣)» الحياةَ والفنَ والدورةَ الطبيعية للوجود بنمط مثير للمشاعر.

خضع ييتس بسن التاسعة والستين لعملية جراحية لتحسين قواه الجنسية (كانت في الحقيقة عملية قطع القناة الدافقة)، وادَّعى أنَّ العملية كانت ناجحة، إذ زادت من إضافة لطاقته الجنسية، واصفًا إياها بأنها «اهتياجٌ حلّ على مُخيّلتي».

التأثير المسرحي

تأثر شعر ييتس المُبكّر بالشاعرين سبنسر وشيلي، لكن انخراطه اللاحق في العمل السياسي الأيرلندي والمسرح -شارك بتأسيس المسرح الأدبي الأيرلندي في عام ١٨٩٩، وأصبح كاتبًا مقيمًا فيه- كانا المجالين اللذين شجّعاه على الكتابة بيسرٍ أكبر. فضّل ييتس التقليدية في الشعر، ودافع عن مبدأ القوافي، وأن على الشاعر أن يصرَّ دائما في نظمه على «الأوزان الشعرية والإيقاع، في الشكل والأسلوب».

هدف ييتس خلال مسيرته الأدبية إلى الطاقة والحيوية في كتاباته، واحتفى بالمشاعر المكثفة، على النقيض من النغمة الجافة والنائية للشعر الحداثي.



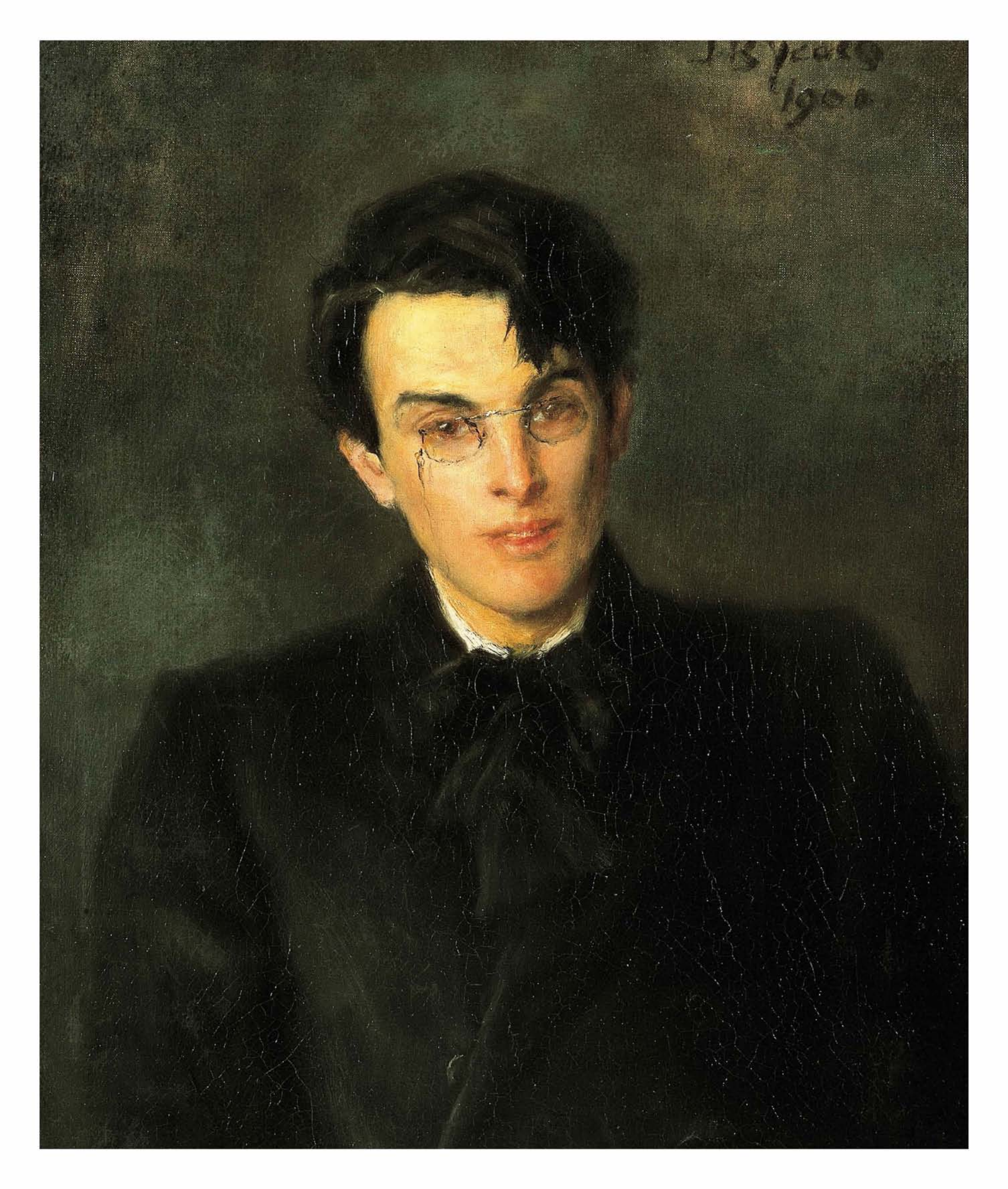
أول طبعة لمجموعة ييتس الشعرية «البرج»، ١٩٢٨.

◄ بن بولبن، سليغو

يتضح حبُّ ييتس للتراث الأيرلندي ومنزله في سليغو في كثير من أشعاره، ولا سيما في «تحت بن بلوبن (١٩٣٣)». وحفرت آخر ثلاثة أسطر من هذه القصيدة فوق ضريحه في سليغو: «ألقي نظرةً فاترة/ على الحياة، على الموت/ الفارسُ الذي مرَّ من هنا».

◄ و. ب. ييتس، جون ييتس، ١٩٠٠

رُسِمت هذه الصورة لييتس على يد والده الذي كان رسام بورتريه رائعا، بالرغم من افتقاره للفطنة التجارية. أصبح أشقاء ييتس كذلك، جاك وإليزابيث وسوزان ماري، فنانين.


J B Yeats
1900



بيرانديلو، ١٩٣٥
غيرت الأعمال الدرامية الثورية لبيرانديلو لغة المسرح، وجعلت الكاتب من المشاهير العالميين. يظهر هنا في صورة التُقِطت لمجلّة معرض الغرور الأمريكية التي تركز على الموضة والثقافة.

لويجي بيرانديلو

(١٨٦٧-١٩٣٦) إيطالي.

نال بيرانديلو جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٣٤ لمسرحياته الأصيلة المُدهشة، والتي وُصِفت بأنها «تراجيديات هزليّة». كان كاتبًا غزير الإنتاج؛ ألّف أكثر من خمسين مسرحية، بالإضافة إلى الروايات والقصص القصيرة.

«الحياة ممتلئة بالسخافات الغريبة، والتي لغرابتها الكافية ليست بحاجة لأن تبدو معقولة، لأنها حقيقية».

ستُّ شخصياتٍ تبحث عن مؤلف – لويجي بيرانديلو

الفاشية في إيطاليا

يوضح تصريح بيرانديلو «أنا مع الفاشية لأنني إيطالي» عن علاقته المعقدة مع حكومة موسوليني. فمن جهة، انتعشت حياة بيرانديلو تحت رعاية حكومة موسوليني، ودعم العديد من سياسات الطاغية علانية، ومن جهة أخرى، أظهرته كتاباته على أنه ليبرالي كره كل أشكال السلطة، وينظر إلى عمله المتأخر «عمالقة الجبل» على أنه نقد لعداء الفاشيين للثقافة.



موسوليني في منشور فاشيّ

وُلِدَ بيرانديلو بالقرب من المدينة الصقليّة غِرجنتي (الآن: أغريجنتو)، حيث كان والده يدير منجم كبريت وشركة تجارية. كان يُتوقَّع من الفتى أن ينضم إلى تجارة عائلته وأُرسلَ إلى مدرسة تقنية، لكن أظهر اهتمامًا قليلًا بالتجارة، وتحول إلى دراسة الإنسانيات عندما انتقلت أسرته عام ١٨٨٠ إلى باليرمو، عاصمة صقلية. عمل بيرانديلو مدةً مع والده الذي كانت تجمعه به علاقة مضطربة بازدياد، قبل أن ينخرط في الدراسة بجامعة باليرمو. ذهب في عام ١٨٨٧ للدراسة في روما، ثم في بون حيث نال الدكتوراة في الفلسفة عام ١٨٩١. كان بيرانديلو قد نشر سلفا مجموعات شعرية، وبعد أن استقرّ في روما عام ١٨٩٣، نشر أول رواية له «مارتا أيالا Marta Ajala» التي ظهرت متسلسلة في صحيفة ذات شعبية في روما. ثم نشر بعدها سلسلة من الروايات القصيرة ذات الأسلوب الإيطالي الواقعي (Verismo) الذي كان شائعا في وقته.

تزوج بيرانديلو أنتونيتا بورتولانو (ابنة شريكٍ في تجارة والده) في عام ١٨٩٤ استجابة لاقتراح أسرته، وبحلول نهاية القرن التاسع عشر، كان قد رُزِقَ الزوجان بثلاثة أطفال. أسس بيرانديلو سمعته كاتبًا، وشغل وظيفة معلم، وساهم بتأسيس مجلة Ariel الأدبية الأسبوعية. انقطعت حياة الرخاء لعائلته مدة قصيرة في عام ١٩٠٣ عندما دمّر فيضان منجم الكبريت وثروته. عانت زوجته أنتونيتا من نكسة عقلية حادة، ولم تتعافَ قط من مرضها، وقادها جنون الشك والاضطهاد لأن توضع في مصحّةٍ عقلية عام ١٩١٩. أغرق بيرانديلو التعيس نفسه في العمل، وكتب في المرحلة اللاحقة العديد من أهم مقالاته ورواياته ونوفيلاته، من بينها السيرة شبه الذاتية والتحقيقات النفسانية «الراحلة ماتيا باسكال» التي نال بفضلها الاعتراف الدولي.

مسرحيات العبث

اشتهر بيرانديللو بمسرحياته التي نشرها من عام ١٩١٨ إلى عام ١٩٣٥ تحت العنوان الجمعي «أقنعة عارية» تستكشف هذه الأعمال الكوميدية المأساوية عبثية ومفارقة تناقضات الحياة العديدة. كان أول نجاح كبير له هو «كما كان من قبل، أفضل من ذي قبل (١٩٢٠)»، وفي مدة مكثفة استمرت خمسة أسابيع في عام ١٩٢١، أنهى الكاتب اثنتين من أفضل أعماله، وهما: «هنري الرابع» و «ستُّ شخصيات تبحث عن مؤلف». استخدم بيرانديلو في المسرحية الثانية تقنية بُنيوية مبتكرة «المسرح داخل المسرح»، حيث تتمرد الشخصيات على الكاتب، ما يؤدي إلى تشظي المسرحية في مشاهد من الهزلية والمأساوية.

دعم بيرانديلو الفاشيّين مدة من الزمن في إيطاليا، وعيَّنه موسوليني مديرا لمسرح الفنون في روما الذي تجول معه عليه في منتصف عشرينات القرن الماضي. صُدم بيرانديلو بعدها بأفعال موسوليني المناهضة للثقافة وبسياساته، فترك عضوية الحزب الفاشي في عام ١٩٢٧. أجبرته المشاكل المالية التي واجهها المسرح على إغلاقه في عام ١٩٢٨، وأمضى بعد ذلك معظم حياته في السفر حتى وافته المنية في منزله في فيا بوسيو، روما، في العاشر من كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٣٦



▲ **مناجم الكبريت، صقلّية**

تشكلت حياة بيرانديلو من خلال جذوره الصقلية - فقد زودته الأحداث والشائعات من الجزيرة بالمواد اللازمة لكثير من أعماله. أدى إفلاس شركة تعدين عائلته إلى تعجيل الانهيار العقلي لزوجته، ما غذّى مواضيع الجنون والوهم الواضحة في الكثير من كتاباته.



◄ **مسرح ميتا**

هذا المشهد من إنتاجٍ فرنسي لمسرحية بيرانديلو «ست شخصيات تبحث عن مؤلف». عُرضت هذه المسرحية الطلائعية لأول مرة في عام ١٩٢١ في تياترو فالي في روما، وقوبلت بإطلاق الجمهور لصيحات «جنون!» من الأكشاك.

ناتسومي سوسيكي

(١٨٦٧-١٩١٦) ياباني.

يعد سوسيكي أول أعظم الروائيين اليابانيين في العصر الحديث. تحول المجتمع الياباني في وقته من الحياة التقليديّة إلى الصناعيّة، وعكست أعماله النتائج المترتبة على هذا التغيّر السريع.

وُلِدَ ناتسومي كينوسوكي (اتخذ لنفسه الاسم المستعار سوسيكي في عام ١٨٨٩) في إيدو (تحول اسمها بعد مدة قصيرة إلى طوكيو)، بداية حقبة ميجي. وعلى الرغم من كونها مدة نشِطة للبلد فقد عانت عائلة سوسيكي من مشاكل مالية تحت الحكم الجديد، وأرسلوه للعيش في كنف أبوين بالتبني.

في المدرسة، أصبح سوسيكي مهتمًا بالأدب الصيني الكلاسيكي، ولكن في تماشٍ مع مرحلة تغريب اليابان، درس الأدب الإنجليزي في جامعة طوكيو الإمبراطورية، وأصبح بعد ذلك مُدرِّسًا في مدارس مختلفة خلال السنوات القليلة التالية. جاءت نقطة التحول في حياته المهنية في عام ١٩٠٠، عندما اختارته الحكومة اليابانية لتلقي إحدى أولى المنح الدراسية لدراسة اللغة الإنجليزية في إنجلترا.

أخذ سوسيكي دروسًا في جامعة كوليدج لندن وبعض الدروس الخصوصية مع باحث بارز في شيكسبير، لكنه سرعان ما تخلى عن الأمرين، إذ كان يشعر بالإحباط والعزلة من الحياة في إنجلترا. قضى معظم مدة إقامته التي استمرت عامين في الدراسة بمفرده في غرفته في كلافام، جنوب لندن.

أوقات التغيير

عاد سوسيكي إلى اليابان أبكر من التاريخ المحدد له نظرًا لضعف صحته الجسدية والعقلية. وفي عام ١٩٠٣، شغل وظيفة معلم في جامعة طوكيو الإمبراطورية في الوقت الذي نمت فيه النزعة الوطنيّة والعصرنة، وبدأ باستعراض الطرق التي يمكن من خلالها عكس هذا التغيّر الاجتماعيّ العميق في الأدب: كيفية استثمار الأفكار الغربيّة دون نسخها المباشر، مع المحافظة في الوقت ذاته على استمرارية التقاليد اليابانيّة.

بدأ سوسيكي في كتابة القصص القصيرة بأسلوبٍ تجريبي نوعًا ما، مع نظمه لقصائد الهايكو التقليدية كذلك. نشرت المجلة الأدبية Hototogisu إحدى هذه القصص، وهي «أنا قط»، التي استخدم فيها القط ساردًا ليعطي نظرة لا منتمٍ ساخرة للعالم الغريب للبشر في المجتمع الحديث. تبع ذلك المزيد من القصص في ذات السياق، ونُشرت معا في رواية في عام ١٩٠٥. كرس سوسيكي المزيد من وقته للكتابة ونشر العديد من الروايات والقصص القصيرة، قبل أن يتخلى في النهاية عن منصبه التدريسي في عام ١٩٠٧، بمجرد أن أنهى رسالته حول الأدب الإنجليزي «نظرية الأدب».

عُرض عليه بعد ذلك عقدٌ دائم مع صحيفة أساهي شيمبون لكتابة قصص متسلسلة، والتي نُشرت لاحقًا في روايات. وفي حين كانت أعماله المبكرة مليئةً بالفُكاهة، ركّز لاحقًا على استكشاف علم النفس البشري وموضوعاتٍ أكثر أهمية، مثل العزلة والهوية والأنانية. ساعدته ثلاثية «سانشيرو (١٩٠٨)»، و«وبعد (١٩٠٩)»، و«البوابة (١٩١٠)»، في ترسيخ مكانته روائيًا جادًا.

كانت روايته «عشب على جانب الطريق (١٩١٥)» سيرة ذاتية مباشرة أكثر من أيّ من أعماله السابقة، وصوّرت بصراحة خيبة أمله العميقة من الحياة في العالم الحديث. تدهورت صحته، التي لم تكن يومًا مستقرة، على نحو سيئ في ذلك الوقت، وخلف وراءه رواية غير مكتملة، «النور والظلام»، عندما توفي في عام ١٩١٦.



بيت القط
استأجر سوسيكي هذا المبنى في طوكيو من عام ١٩٠٣ إلى عام ١٩٠٥، وهو منزل ريفي نموذجي لتلك الفترة (بُني عام ١٨٨٧). هنا كتب تحفته الأدبية «أنا قط».

حقبة ميجي (١٨٦٨-١٩١٢)

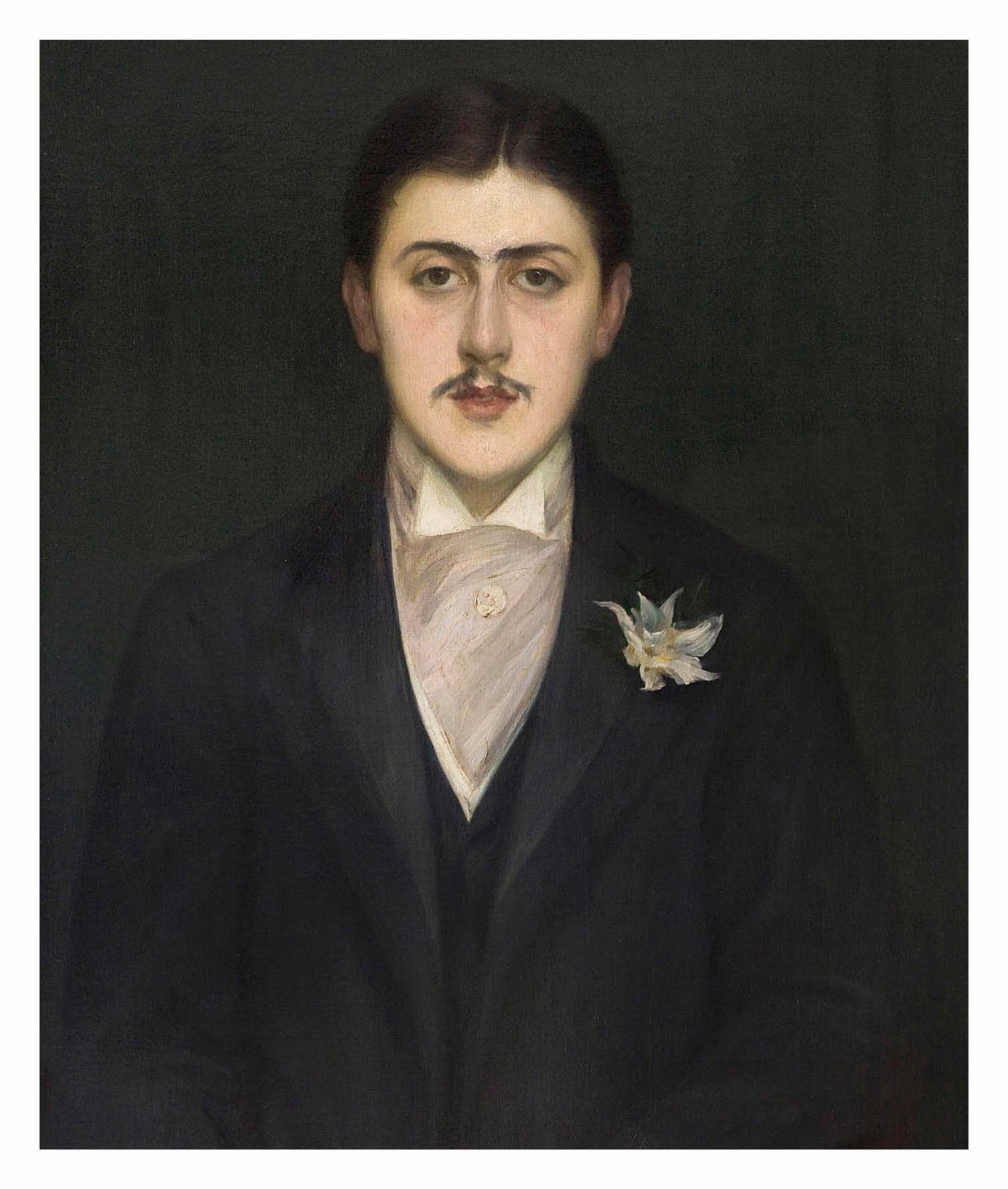
عندما أصبح الأمير موتسوهيتو البالغ من العمر ١٤ عامًا إمبراطورًا لليابان في عام ١٨٦٧ (اتخذ لقب ميجي، أي «الحُكم المستنير»)، كان ذلك بمثابة نهاية الحكام العسكريين «شوغون» وعودة الحكم الإمبراطوري. بيد أن السلطة الحقيقية لم تكن بيد الإمبراطور، بل بيد مستشاريه -مجموعة صغيرة من الرجال الذين ساهموا في الإطاحة بالدكتاتورية العسكرية- وسرعان ما أصبحوا مُمسكين بزمام الحكم من خلال ميجي. أعيد تنظيم المؤسسات اليابانية على غرار الدول الغربية التي كانت في غاية القوة؛ أفسحت الإقطاعية الطريق أمام التحديث السريع، وكان حدوث وثورة الصناعية يعني قدرة اليابان على المنافسة عالميًا، الأمر الذي قاد إلى الدمج الحتمي للعديد من جوانب الثقافة الغربية.



ميجي، إمبراطور اليابان

ابتكار وتجربة
التقطت هذه الصورة لسوسيكي في عام ١٩١٢ قبل وفاته بأربع سنوات. جرب الكاتب طوال حياته الأساليب والتقنيات التي تعلمها من دراسته للأدب الإنجليزي.





مارسيل بروست

(١٨٧١ - ١٩٢٢) فرنسي.

اشتهر بروست برواية واحدة: تحفته الفنية ذات المجلدات السبعة «بحثًا عن الزمن المفقود»، وهي تأمل عميق حول الذاكرة، والفن، والحب، والخسارة، وتصوير ساخر للخيلاء والنفاق الجنساني.

وُلد مارسيل بروست في العاشر من يوليو عام ١٨٧١ في ضاحية أوتويل الباريسية، حيث لجأت عائلته هربا من الثورة الفرنسية الرابعة (كومونة باريس) التي هزت باريس في الربيع السابق. كان والده أستاذًا متميزًا في الطب، وكانت والدته من عائلة يهودية مثقفة. ستَعرِض العناصر في كتابات بروست جودة تحليلية وتشخيصية مستمدة من ميراثه الأبوي، لكن التأثير المهيمن على تربيته كان إنسانية والدته الدافئة واحترامها المطلق لقيمة الفن والأدب.

كاد بروست أن يموت في سن التاسعة بسبب نوبة ربو وسيبقى معروفًا إلى آخر حياته بأنه نصف عليل. بصرف النظر عن أدائه للخدمة العسكرية مدة عام، لم يغادر بروس منزل عائلته الباريسية قط سوى في العطلات. وفي حين سار شقيقه الأصغر على خطى والده وأصبح جراحا متميزًا، انغمس بروست في الحياة الطائشة لشخصيّة اجتماعيّة، ومثقفة محبة للفن، وهاوية للأدب شكلت البيئة الباريسية الحسية -المقاهي وبيوت الدعارة، والفن الانطباعي، والباليه الروسي- الإحساس الجمالي الراقي لبروست. أكسبه ذوقه وذكاءه مكانًا بين النخبة المثقفة، وباستثناء عدد من المقالات والترجمات، فإنّه لم ينشر شيئًا حتى سن الثانية والأربعين. لم يضطر بروس للعمل مقابل المال قط نتيجة دعم والديه له.

الكتابة المبكرة

إنَّ حياة الكسل والخمول الواضحة في حياة بروست كانت مجرَّدَ وهمٍ. فنحن نعلم الآن بأنه كتب بجديّة مركّزًا بكلٍّ عقله نحو هدفٍ واحد في الأقل منذ أواخر القرن التاسع عشر، وهو رواية «Jean Santeuil» التي لم تُنشر إلا بعد ثلاثين سنة من وفاته، والعمل النقدي غير المكتمل Contre Sainte-Beuve. يكشف هذان العملان أنّ بروست كان يحاول كتابة تحفته مدة ثلاثة عشر عامًا -في الأقل- قبل أن تبدأ العناصر الرئيسية للرواية في التجمع أخيرًا عام ١٩٠٩. بحلول ذلك الوقت، توفي والديه وتدهورت صحته. عاش المؤلف منعزلاً في شقته الباريسية المبطنة بالفلين، وكرس العقد الأخير من حياته لإنهاء الكتاب الهائل الذي من شأنه أن يبرر وجوده بالكامل.



طبعة نادرة
هذه الطبعة الأصلية النادرة للغاية من رواية جانب منازل سوان، التي نشرتها Grasset تحمل إهداءً وتوقيعًا من قبل المؤلف في عام ١٩١٦.



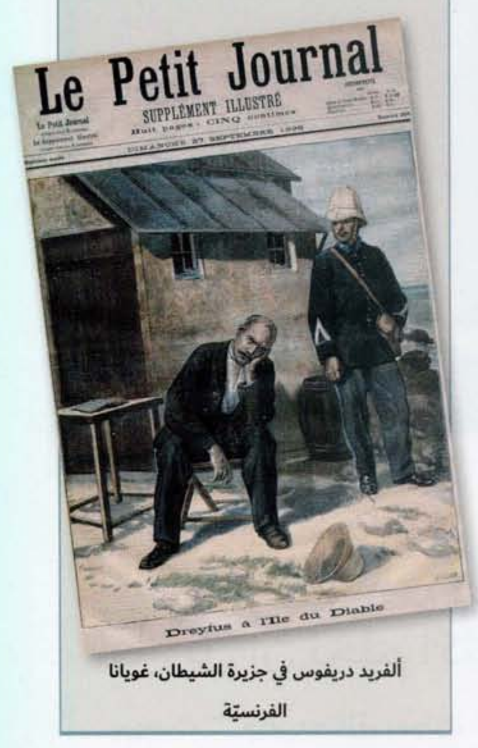
الشاب بروست ١٨٩٢
تُظهر هذه الصورة للفنان الفرنسي جاك إميل بلانش بروست في شبابه. تأثر المؤلف بكتابات مونتين، وفلوبير، وتولستوي، ودوستويفسكي، من بين آخرين. طور أفكاره عن مكانة الفنان في المجتمع من خلال قراءات توماس كارلايل وجون روسكين.

باريس بروست
يقبض تولوز لوتريك على روح باريس بروست في لوحته At the Moulin Rouge (١٨٩٤-٩٥). ازدهرت باريس في ظل الجمهورية الثالثة مدينة للمُتعة، والأزياء الراقية، والحداثة الثقافية.

> «الحبُّ زمانٌ ومكانٌ صارا ذا حسٍّ للقلب».
> بروست - السجينة

قضية دريفوس

في عام ١٨٩٤، أدين ضابط الجيش اليهودي الفرنسي ألفريد دريفوس خطأ بالخيانة. أشعلت القضية مسألة معاداة السامية من ناحية، ومناهضة رجال الدين من ناحية أخرى، ما مزق الجمهورية الفرنسية الثالثة. ولكون بروست يهوديًا من جهة الأم، فقد انخرط في عاصفة الاحتجاج التي نشأت حول مصير دريفوس. في «بحثا عن الزمن المفقود»، يسخر المؤلف من رد الفعل المعادي للسامية للمجتمع الباريسي، بينما وجّه نقدا كذلك لبعض المواقف التي أثارها أنصار دريفوس. حصل دريفوس على العفو وأطلق سراحه في عام ١٨٩٩.



ألفريد دريفوس في جزيرة الشيطان، غويانا الفرنسيّة



▲ **سيلسي ألبايري**

عملت ألبايري، الظاهرة في الصورة، رفيقة وطباخة وسكرتيرة لبروست مدة تسع سنوات أثناء كتابة «بحثًا عن الزمن المفقود». نظّمت حياتها حول عاداته اليومية الغريبة، والتي تضمنت الاستيقاظ في الساعة الرابعة مساءً والكتابة طوال الليل.

عمل الحياة

عندما عرَض بروست كتابه الأول «جانب منازل سوان» على الناشرين في عام ١٩١٣، لم يتحمسوا له كثيرا، وظهر الكتاب فقط لأن المؤلف وافق على دفع جميع التكاليف. أدى اندلاع الحرب العالمية الأولى إلى مقاطعة أيّ نشر لاحق، بالرغم من استمرار بروست على العمل على الرواية في باريس. ظهر المجلد الثاني، «في ظلال ربيع الفتيات»، في عام ١٩١٩ بالجائزة الأدبية المرموقة جائزة غونكور. بذل بعدها بروست -المشهور حاليا- جهدًا محمومًا لإعداد كتبه المتبقية لكن الاعتلال الصحي المستمر هزمه في نهاية المطاف في الثامن عشر من تشرين الثاني عام ١٩٢٢، ونُشرت المجلدات الثلاثة الأخيرة بعد وفاته في حالة غير مثالية وبدون المراجعات النهائية.

وُصفت رواية «بحثًا عن الزمن المفقود» على أنها سيرة ذاتية إبداعية، فهي إعادة خلق خيالي لحياة الكاتب الشخصية. يُشبه الراوي المتكلمُ في الرواية المؤلفَ كثيرًا لكنه ليس هو. في الواقع، يمكن تتبع أثر كل حدث وموقع وشخصية في الكتاب، جزئيا في الأقل، إلى أصل في الحياة الواقعية الأصلية لبروست. فعلى سبيل المثال، ترتبط خادمة العائلة فرانسواز، وهي واحدة من أكثر الشخصيات تعقيدًا في الرواية، ارتباطًا واضحًا بسيلسي ألبايري، والتي خدمت بروست في سنواته الأخيرة. وكذلك مدينة كومبريه، المكان الريفي الذي حظي فيه بالعديد من تجارب طفولته، هي في الحقيقة قرية إيليير في شمال فرنسا، ومدينة بالبيك الساحلية، حيث كان يقضي الراوي عطلاته على شاطئ البحر، هي منتجع كابورغ العصري في نورماندي. وهلم جرا.



▲ **حلوى المادلين**

يتذوق السارد حلوى المادلين (كعكة صغيرة في الصورة) في رواية جانب منازل سوان. يغمسها في الشاي، وفي لحظة، يستعيد عالم أيام عُطل طفولته بالكامل مع عمته ليوني من النسيان فيعود إلى الحياة على نحو واضح من خلال «الذاكرة اللا طوعية.»

المؤلف أو الراوي (سارد بروست)

يختلف الراوي عن بروست في جانبين رئيسين: الأول إنّ الراوي (الشخصية الرئيسة في العمل) ليس يهوديًا، وبُني جانبٌ من حياة بروست في الشخصية الجذّابة والمثقفة لتشارليز سوان اليهودي، وهو بطل فصل «حب لسوان» في الجزء الأول من الرواية الذي روي بضمير الشخص الثالث (سارد عليم). والآخر إنّ السارد ليس شاذًّا جنسيًّا. كان أعظم عشق في حياة بروست هو ما كنّه لسائقه، وسكرتيره لاحقا، ألفريد أغوستينيلي، الذي التقاه في كابورغ في عام ١٩٠٧. لم تكن العلاقة



◀ **إيلير كومبريه**

قضى بروست عطلات طفولته مع عمته وعمه في إيلير، كما في الصورة هنا. خلد الكاتب منزلهم وبلدتهم (في بلدة كومبريه الخيالية) في روايته العظيمة. في عام ١٩٧١، غُيّر اسم المدينة إلى إيلير كومبريه تكريمًا للكاتب.

> إذا كان الانغماس في الأحلام خَطِرًا، فلا يكمن علاجه في أن تحلمَ أقل بل أن تحلم أكثر، أن تحلم طوال الوقت.
>
> بروست – جانب منازل سوان.

أجزاء رواية: بحثا عن الزمن المفقود

١٩١٣
جانب منازل سوان: يتحدث الجزء الأول عن مشاهد من طفولة السارد فضلا عن قصة عاطفة غيورة مستقلة.

١٩١٩
في ظلال ربيع الفتيات: يستعرض الجزء الثاني مواضيع الحب والصداقة وأوهام الشباب.

١٩٢٠-١٩٢١
جانب منازل غيرمانت: يكشف هذا الجزء حياة الأغنياء وموت جدة السارد.

١٩٢١-١٩٢٢
سادوم وعمورة: يجلب السارد موضوع المثلية النوعية إلى الواجهة.

١٩٢٣
السجينة: يوضح هذا الجزء محاولات امتلاك الكاتب لألبرتين المتملصة، ويكشف عن لا جدوى الحب.

١٩٢٥
الشاردة: هذا الجزء هو تأمل مستفيض حول الخسارة والطبيعة المجهولة للأشخاص الآخرين.

١٩٢٧
الزمن المستعاد: يدور قسم من هذا الجزء عن الحرب العالمية الثانية، ويُبين القوة التعويضية للذاكرة والكتابة في مواجهة الشيخوخة والموت.

بينهما متبادلة، وانتهت مأساويًا في عام ١٩١٤ عندما مات ألفريد -الذي كان يتدرب ليصبح طيارًا- غريقا في مياه البحر الأبيض المتوسط. ظهر ألفريد في الرواية بعد أن غيّر بروست نوعه في شخصية ألبرتين.

وعلى الرغم من أن المثلية الجنسية كانت الغالبة على الجزء الرابع من الرواية، «سادوم وعامورة»، فقد كانت حاضرة في جميع أنحاء الرواية، منذ اكتشاف السارد في طفولته لممارسة جنسية مثلية أثناء تلصّصه في كومبريه إلى ذروة مشهد شذوذ جنسي في ماخور للمثليين في باريس، في الجزء الأخير «الزمن المستعاد». ويُعدّ البارون دو شارولوس -وهو شاذ جنسيًا يخفي ميوله ومتغطرس شنيع بموهبة للهجاء الفاحش- من أفضل ما أبدعه بروست من شخصيات.

الذاكرة والتجربة

ليس في الرواية حبكة في مغزاها الاجتماعي الدقيق: وبدلا من ذلك فثمة تطور مدروس بتواتر في المواضيع والشخصيات اللتين يُحكم القبض عليها بقدرة الراوي الغنية والمجازية في أسلوب السرد.

تفتتح رواية «بحثًا عن الزمن المفقود» بتداعي حادثةٍ مؤثرة عن قلق السارد في طفولته من أن يحرم أمه وقت النوم أو التأجيل غير المتوقع لقدومها بانفصال أشبه بالموت. وتكمن هنا مثالية بروست بمنح حدثٍ صغير دلالةً ثقيلةً، يحملها معها في أوقات مسراته وأحزانه.

غالبا ما سيطرت قوةُ بروست التخيلية في استعادة خبراته الأولى واستعراض بواكير ذكرياته على إدراكه للمجتمع في الرواية بأساليبه الهزلية اللاذعة من عليّة المجتمع الباريسيّ والتي ألّفت جزءًا كبيرًا من العمل. ويركز العنصرُ الاجتماعي شديد الملاحظة والطريف جدًا غالبا -عبر الراوي- على «الزمرة الصغيرة» لآل فيردوران، والطموحين، وأفراد الطبقة الوسطى المجتمعيّة البوهيميين المتسلّقين، وعائلة غيرمانت الأرستقراطية، الحاذقة والراقية لكنها العاقرة روحانيًا بالتزامها بحزم قيم ضيقة. وإلى جانب مشاهد الحياة الاجتماعية، فإنَّ أجزاءً لاحقة من العمل تُركِّز على حب السارد الغيور على ألبرتين. ويرى بروست أنَّ الحب الجنساني غير ذي جدوى لأن عواطف الحبيب تركز على شخص غير موجود- تَصوّر مُكوَّن من رغبة العُشَّاق. فما من علاقة صادقة بين الحبيب والمحبوب، وتكمن اللذة الحقيقية في تهدئة القلق الذي ينشأ من غياب المحبوب. ويعدُّ عديدُ القراء هذه النظرة القاتمة للحب التي يُعبَّر عنها بتحليل مستفيض في العمل واحدةً من إفراطات الرواية المؤسفة.

بحثًا عن الغرض

يعود الجزء الأخير من الرواية «الزمن المستعاد» إلى ثيمة «الذاكرة اللا طوعية» وسيلة انتصار على التأثيرات المدمّرة للزمن. لكنَّ بروست يرى أنَّ النصر النهائي على الزمن يأتي عبر الذاكرة أقلّ من عمل الفنان المبدع. إنَّ استعادة بعض أفضل مقاطع الرواية لخبرات القراءة، والاستماع إلى الموسيقى، والنظر إلى اللوحات- تستخلص أسباب كون مثل هذه التجارب الذهنية ذات قيم متعالية.

في النهاية فإنَّ رواية «بحثًا عن الزمن المفقود» تكشف كيف كتب المؤلف/ السارد العمل في بحثه عن الزمن المفقود، ثم إتمام غرضه الروحاني في تعويض عبثيّة الحياة.

الجملة البروستيّة

يشتهر بروست على نحوٍ خاص باستخدامه جملا طويلة متعرجة. فعلى سبيل المثال، توجد واحدة من أطول جمل بروست في جزء «سادوم وعامورة»، مكونة من ٨٤٧ كلمة مذهلة. وعلى الرغم من تعقيد الجملة البروستيّة -مليئة بالتداعيات الحرة- فإنها دائما ما تكون واضحة وسليمة نحويًا. وتتطلب انتباهًا حادًا من القارئ لكنها تسمح للمؤلف بالانغماس في المجازية المستمرة التي تعبر عن إيمانه بالترابط الأساسي للعناصر المتباينة في هذا العالم. كان بروست قادرًا على تقديم ملاحظات مفصّلة عن شخصياته بهذا السرد المعقد.



آخر دفاتر مسوّدة لرواية بروست العظيمة

ذكريات على البحر

إنَّ منتجع كابورغ في النورماندي، بواجهته البحرية وفندق جراند -كما هو موضح في هذه البطاقة البريدية من عام ١٩٠٨- هو المكان الذي أمضى فيه بروست كل صيف من عام ١٩٠٧ إلى عام ١٩١٤. كان المنتجع نموذجًا لمدينة بالبيك الخيالية.



ويلا كاثر، عام ١٩٢٦
صُوّرت كاثر هنا وهي في ذروة إبداعها. اشتهرت برواياتها عن حياة التخوم، على الرغم من أنها عاشت معظم حياتها في مدينة نيويورك مع شريكتها، محررة المجلة، إديث لويس. وقبل أن تحقق النجاح روائيةً، كانت كاثر واحدة من أبرز الصحفيات في الولايات المتحدة الأمريكية.

ويلا كاثر

(١٨٧٣-١٩٤٧) أمريكية.

عُرفت كاثر بروايات الحنين إلى الماضي الشاعريّة التي كتبتها، عن قصد، بأسلوب محافظ، وقد استلهمتها من تجارب حياة مراهقتها وسطَ عوائل المهاجرين الزراعية في منطقة السهول العظمى في أمريكا.

«ثمة قصتان أو ثلاث قصص بشرية فقط، وتُكرر هذه القصص نفسها بضراوة كما لو أنها لم تحدث من قبل».

ويلا كاثر - يا رُوّاد!

دائما ما كانت ويلا كاثر تُصرّ، بشخصيتها العنيفة، على أنها ولدت في عام ١٨٧٦، أي بعد ثلاث سنوات من تاريخ ميلادها الفعلي عام ١٨٧٣. مُنحت اسم ويليلا، الذي كرهته، وفضّلت أن تُنادى بويلي أو المسترجلة وليم، قبل أن تستقر على اسم ويلا. انتقلت أسرتها بُعيد ولادتها إلى ويلو شايد لتسكن في منزل بناه جدها قرب وينتشستر، فرجينيا.

من فرجينيا إلى نبراسكا

غادر آل كاثر في عام ١٨٣٣ إلى نبراسكا واستوطنوا في ريد كلود، بلدة صغيرة على تخوم الغريت بلينز. وعلى الرغم من انفصالها عن الأراضي الطبيعية المألوفة ومحاطة على نحو كبير بالمستوطنين الألمان والإسكندنافيين الذين زرعوا المراعي، فقد تأقلمت كاثر بسرعة مع حياتها الجديدة وكوّنت صداقات مع العوائل المهاجرة. انخرطت كاثر بسن الحاديّة عشرة في ثانوية ريد كلود وتخرجت فيها -على عكس عادة فتاةٍ قروية- ثم ذهبت لدراسة اللغة الإنجليزية في جامعة نبراسكا. هناك، كتبت كاثر بواكير قصصها والمراجعات للصحف المحلية، جنت بُعيدها سمعةَ ناقدةٍ مسرحيّة عديمة الرحمة.

تحدَّت كاثر، بثيابها الصريحة والرجولية في مظهرها، قواعدَ الجندرة في وقتها ولم تتوقف هنا بل تمادت في اختيار مجال الصحافة المسيطر عليه من الذكور لتبدأ مسيرتها المهنية. انتقلت بعد تخرجها في عام ١٨٩٥ إلى بتسبرغ لتعمل محررة في مجلتها المحلية الشهريّة، وأصبحت بعدها ناقدة موسيقيّة ومسرحيّة لمجلة بتسبرغ ليدر.

التقت كاثر بـ إزابيلا ماك لونغ -كانت من بتسبرغ أيضا- في زيارتها لنيويورك في عام ١٨٩٩، وبدأت معها علاقة حميميّة. شجّعت ماك لونغ كاثر على الكتابة الإبداعية وأعانتها على الدراسة في منزل عائلة ماك لونغ.

صحفيّة وروائيّة

سافرت الاثنتان معًا إلى أوروبا في عام ١٩٠٢، وبعودتهما، نشرت كاثر ديوان «شفق نيسان»، والمجموعة القصصية القصيرة «حديقة القزم». كانت كاثر ما تزال مصرة على عملها في الصحافة، وانتقلت إلى نيويورك في عام ١٩٠٦ للعمل لدى مجلة مكلور، وأصبحت مديرة تحريرها بعد ذلك بعامين. بدأت أيضا فصلًا جديدا من حياتها الشخصية بانتقالها عام ١٩٠٨ للعيش في شقة مع إديث لويس، والتي أصبحت شريكة حياتها مدى العمر.

استقالت كاثر من عملها في عام ١٩١٢ بعد أن خاب أملها من التوجه الذي كانت تسلكه مجلة مكلور؛ العام ذاته الذي نشرت فيه أولى رواياتها «جسر ألكسندر»، وكرّست وقتها بعد ذلك بالكامل للكتابة. كتبت كاثر عدة روايات استندت فيها إلى ذكرياتها في السهول العظمى، من بينها رواية «O pioneers يا روّاد» و«My Antonia عزيزتي أنطونيا»، لكنها لم تُنشر حتى عام ١٩٢٠ حين تولّى الناشر ألفريد كنوبف مهمة إدارة أعمالها التي حققت نجاحًا شعبيًا. فازت روايتها حول الحرب العالمية الأولى، «واحد منا One of ours»، بجائزة بوليتزر لعام ١٩٢٣.

عاشت كاثر ولويس في ذلك الوقت في قرية غرينيتش، وكانتا تقضيان عطلات الصيف في منزل ريفي بعيد في ويل كوف، نيو برونزويك. أصبحت كاثر أكثر انعزالا مع تنامي سمعتها، وعانت خلال عقد الثلاثينات من اعتلالات صحية متنوعة أعاقت قدرتها على الكتابة. تأثرت كذلك بشدّة بوفاة والديها وبمعاناة ماك لونغ المريرة والطويلة من مرض كلوي خَطِر. كتبت كاثر آخر رواياتها «سفيرا والفتاة المُستعبدة Sapphira and the Slave Girl» في عام ١٩٤٠، واستمرت صحتها بالتدهور حتى ماتت في عام ١٩٤٧ بسكتة دماغية. دُفنت كاثر في جافري، نيو هامبشاير، حيث اعتادت زيارة ماك لونغ بانتظام.

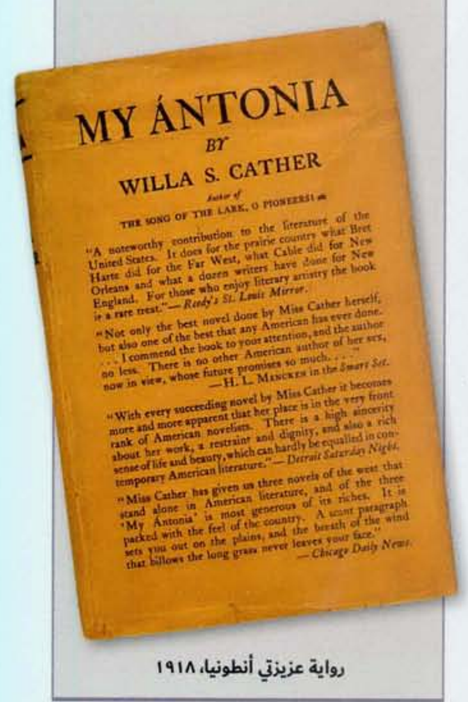


منزل كاثر في ريد كلود

كان لانتقال كاثر من ولاية فرجينيا الجبلية إلى سهول نبراسكا البرية تأثير عميق في عملها. اعتمدت على خبراتها في نبراسكا في كتابة سبع من رواياتها.

الكتابة عن السهول

تُنتقد كاثر أحيانا لنبرة الحنين إلى الماضي التي تغطي أعمالها، لكن العديد من مواضيعها كانت ثورية بالكامل في وقتها. وعلى عكس التقليد الأدبي، فغالبا ما كانت كاثر تصور شابات قويات وعاملات المهاجرات الكادحات، وتخللت أعمالها مجازات جنسية مُقنَّعة. عكست رواياتها كذلك شغفها بسهول نبراسكا والتي قُدمت في أعمالها تقريبا بصفة رومانسية. على سبيل المثال، نجد الفتى جيم في رواية «عزيزتي أنطونيا» يكتب عن المناظر الطبيعية الشاسعة، فيقول: «على أية حال، هذه هي السعادة؛ أن تتلاشى في شيءٍ عظيم ومتكامل».



رواية عزيزتي أنطونيا، ١٩١٨



توماس مان

(١٨٧٥-١٩٥٥) ألماني.

سلط الكاتب الألماني الأبرز في بداية القرن العشرين -بأسلوبه التقليدي والمُبتكر معا- ضوءًا ساخرًا على انحلال الثقافة الأوروبية الحديثة والمجتمع.

وُلدَ توماس مان في لوبيك، شمالي ألمانيا، في عام ١٨٧٥. كان والده على رأس شركة تجارية عريقة وشخصية بارزة في حكومة المدينة. رفض توماس وأخوه هاينريش الانخراط في تجارة العائلة، وفضّلا السعي خلف مِهن أدبية. عاش توماس مع أمه -نصف البرازيلية- في ميونخ بعد وفاة والده، حيث نشر عددًا من القصص القصيرة في ثمانينات القرن التاسع عشر، ورواية «آل بودنبروك» التي ظهرت في عام ١٩٠١، حكاية ملحمية عن حياة عائلة في أربعة أجيال استمدَّها مان من خلفيته العائلية، وارتكزت على الصراع بين مسنّي البرجوازية وبين الانجذابات إلى الفن والشهوانية، التي قادت في آخر المطاف إلى انحدار العائلة. جعلت هذه الرواية مع روايتي Tristan و Tonio Kroger (نشرتا في السنة نفسها) من توماس شخصية أدبية رئيسة في عصره.

سياسات الفن

في سعيه من أجل المكانة والحظوة؛ تزوّج مان كاتيا برينغشيم، امرأة من عائلة مرموقة في ميونخ. رُزق الزوجان بستة أطفال، وتمتع مان بدور البطريرك التقليدي، لكن أذواقه الجنسية جذبته إلى الشبّان والفتيان. تعد روايته القصيرة الشهيرة «موت في البندقية (١٩١٢)» -التي تدور حول الهوس التام لكاتب محتضر بالشباب البولندي الوسيم- تأملًا في الفن والحياة وتمثيلًا رمزيًا لانحلال الحضارة الغربية، لكنها تعد كذلك اعترافًا خفيًّا برغبات مان.

شغل مان في سنوات الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) دورًا شعبيًا بصفته مدافعًا عن الثقافة الألمانية وحكومة ألمانيا الملكية، وعبّر مان عن موقفه المحافظ في عمله «تأملات رجل غير سياسي (١٩١٨)».

أثرّت الحرب في تطوّر روايته الشهيرة «الجبل السحري (١٩٢٣)» التي جرت أحداثها في مصحة في جبال الألب السويسرية، ووظّف مان في هذا العمل المعقّد المرض استعارةً للحالة التدميرية للحضارة الحديثة.

في عام ١٩٢٩، وبعد حصوله على جائزة نوبل في الأدب، كان مان أشهر كاتب على قيد الحياة في ألمانيا. بيد أن الأحداث السياسية وضعته، وعلى نحو متزايد، في مواجهة ما أسماه «مشكلة أن تكون ألمانيًّا»، وجعل عداءه للحزب النازي واضحًا في روايته القصيرة «ماريو والساحر (١٩٣٠)». وعندما تولى هتلر السلطة في عام ١٩٣٣، رحل مان إلى المنفى، واستقرَّ به الحال في نهاية المطاف في أمريكا عام ١٩٣٩.

ابتعد مان خلال هذه المدة عن المجتمع لكتابة رباعيته الإنجيلية «يوسف وإخوته (١٩٤٣)». ودارت روايته «الطبيب فاوست (١٩٤٧)» عن حياة مؤلف موسيقي تدفعه عبقريته إلى التدمير الذاتي، وكانت رمزًا لحقبة ألمانيا النازية، وأبانت أيضا عن ازدواجية مان الفنيّة، إذ عرضت كلا من مأثرة الإنسان الخارق وهيئة الانحطاط.

استقرَّ مان في سويسرا بعدها حيث تُوفي في عام ١٩٥٥ مُخلّفًا عملًا غير مكتمل «اعترافات فليكس كرول» وهي قصة كوميدية عن رجل ماكر ينشغل بفكرة أنّ الفن برمته مجرد «خدعة ثقة».

◂ مان في ١٩٣٤

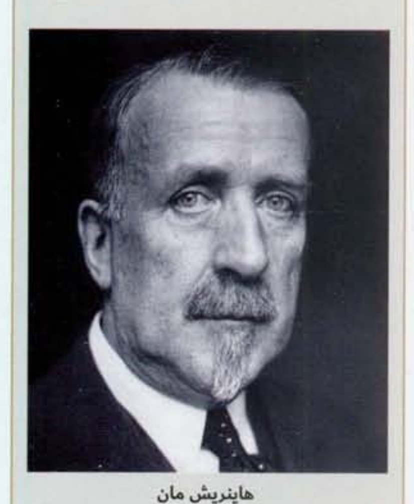
يظهر مان هنا في صورة لمجلة معرض الغرور. حقق الكاتب نجاحًا مهنيًا وشهرة هائلة. لكن حياته الشخصية شوهتها المأساة: أقدم اثنان من أبنائه وكلتا شقيقتيه على الانتحار.

◂ موت في البندقية

حولت رواية مان القصيرة إلى فيلم من إخراج لوشينو فيسكونتي. لعب الممثل البريطاني ديرك بوجارد دور البطولة بشخصية غوستاف فون أشينباخ (نسخة مُقتبَسة من مان).

هاينريش مان

اشتغل هاينريش مان، الأخ الأكبر للروائي الألماني توماس مان، بالكتابة والسياسة مثل أخيه، مبتعدا عن التجارة التي كانت الأسرة تطمح في أن ينخرط الأخوين فيها. كان هانريش اشتراكيا أصوليا، ونشر أفضل أعماله «الأستاذ القذر»، وهي رواية هاجمت السلطة الشمولية الألمانية والنفاق الجنسي للبرجوازية الاجتماعية، ودخلت الرواية إلى عالم السينما بفيلم The blue angel. لم يحقق هاينريش شهرة مثل أخيه توماس الذي نال جائزة نوبل في الأدب ١٩٢٩. لم يُرحَّب بهاينريش في ألمانيا النازية -التي أحرقت كتبه- وهرب منها قبل صعود الرايخ، وانتهى به المطاف في أميركا حيث مات رجلا بائسا في كاليفورنيا عام ١٩٥٠.



هاينريش مان

▾ آل بودنبروك، الطبعة الأولى

نُشرت هذه الرواية عندما كان مان يبلغ من العمر ٢٦ عامًا فقط، بنيت الرواية على قصص المواليد والجنازات البرجوازية وحفلات الزفاف والطلاق والشائعات العائلية، ونُسجت معًا بذكاء مان وظرافته الفظّة.





كتابة الصين الحديثة

لا يُحتفى بـ لو شون -المُصوَّر هنا في عام ١٩٣٠ في شنغهاي- كاتبًا قصصيا فحسب، بل وبكونه ناقدًا وكاتبًا ساخرًا بارعًا جدًا. ترجم العديد من النصوص الغربية وأصبح بطل الأدب الصيني الحديث.

لو شون

(١٨٨١-١٩٣٦) صيني.

يُعدُّ لو شون واحدًا من أعظم الكتّاب الصينيين، وساعد في تأسيس القصة القصيرة في الأدب الصيني. عكست أعماله المتشائمة والساخرة المجتمعَ المعاصر في الصين أثناء انتقالها من الإمبريالية إلى الشيوعية.

«الأملُ مثل درب في الريف، حيث لم يكن ثمة درب، لكن عندما مشى عددٌ من الناس فوقه أخذ الدرب بالتشكّل».

المَنشأ – لو شون.

بدأ جيل جديد من الفنانين والمفكرين في مطلع القرن العشرين في تحدي التقاليد والأعراف التي ربطت الصين بماضيها الإقطاعي. كان على رأسهم الكاتب Zhou Shuren (زهو شورين)، المعروف باسمه المستعار لو شون Lu Xun.

وُلد لو شون في شهر أيلول/ سبتمبر ١٨٨١ في مقاطعة جيجيانغ لعائلة علمٍ وثروة. ولكن في عام ١٨٩٣، تورّط جده في فضيحة سياسية تركت العائلة منبوذة من العائلات النظيرة الأخرى، الحدث الذي قدم للو شون تجربة مباشرة للقسوة والفساد اللذين شوّها المجتمع الصيني في ذلك الوقت.

رحلات إلى اليابان

غادر لو شون إلى اليابان في عام ١٩٠٢ لدراسة الطب، حيث التقى بمفكرين صينيين متحمسين لتغيير وطنهم. وبعد تخليه عن طموحه في أن يصبح طبيبًا، التفت لو شون للعمل على إنقاذ «روح» الشعب الصيني من خلال نشر أشكال جديدة واعية اجتماعيا من الأدب والفن. كانت هذه الفكرة هي المُحرّكة لعمله بعد سقوط آخر سلالة إمبراطورية في الصين، أسرة تشينغ العظيمة، وتأسيس جمهورية الصين في ١٩١١-١٩١٢. عاد المؤلف إلى وطنه عام ١٩٠٩ واستقر في بكين، حيث ألقى محاضرات عن الأدب واستمر في السعي لتحقيق هدف اجتماعي لكتابته.

سبروتس، ١٩٣٠
كان لو شون محررًا لهذه المجلة التي عرضت الكتّاب اليساريين والنظرية الماركسيّة في الأدب.

الأسلوب العاميّ

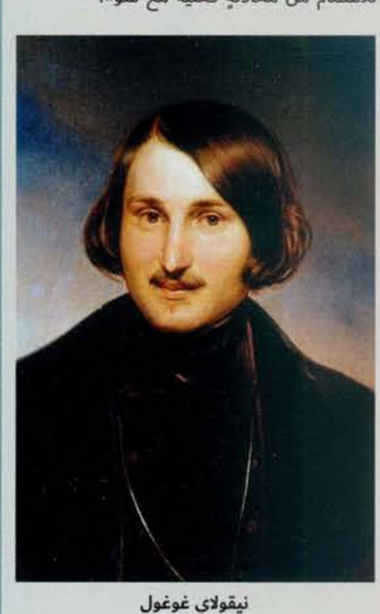
بنشوء جمهور من القرّاء لمجموعة جديدة من المجلات الأدبية، حقق شون نجاحه الأول من خلال قصته «يوميات مجنون»، وهي هجوم شرس على القيم الكونفوشيوسية التقليدية تروي حكاية رجل مجنون يعتقد بأنه العاقل الوحيد في مجتمع من «آكلي لحوم البشر». كانت تلك أول قصة قصيرة على النمط الغربي تُكتب باللغة العامية بدلا من الصينية الكلاسيكية، وكانت ثوريّة لأنّها كُتبت للناس العاديين وليس للنخبة المُثقفة. كانت القصص التي أعقبت ذلك ساخرة ومتشائمة بالمثل: سخرت «القصة الحقيقية لـ آه كيو» من النزعة الصينية نحو الجبرية واحتقار الذات، أما «كونغ ييجي Kong Yiji»، فتحكي قصة مجموعة من السكارى الذين يستمتعون بإذلال رجلٍ محلي.

الفلسفة السياسية

غادر لو شون بيجين للعيش في شنغهاي مع حبيبته وطالبته السابقة شو جوان بينغ. لم يتزوّج الاثنان قط، لكنهما أنجبا ابنًا في عام ١٩٢٩. وفي ثلاثينات القرن الماضي، تخلى شون عن كتابة الرواية لصالح المقالات النقدية، والتي كان يكتبها كشكلٍ من أشكال الاحتجاج السياسي. لقد توصّل إلى الاعتقاد بأن الشيوعية قادرة على تخليص المجتمع الصيني من مشكلاته الاجتماعية والسياسية، وقد فعلت ترجماته لأعمال ماركس الكثير لتعزيز هذه القضيّة. بيد أنه لم ينضم قط إلى الحزب الشيوعي، وظلّ بدلًا من ذلك «زميلا رحّالة» ينتقد كلا من اليسار واليمين في الطيف السياسي. تُوفي شون في شنغهاي عام ١٩٣٦.

التأثيرات الغربية

وفّر مناخُ الحرية النسبية -الحركة الثقافية الجديدة- السياق الذي سعى فيه لو شون وغيره من الكتاب لإعادة تشكيل الثقافة الصينية في العقد الأول والثاني من القرن العشرين. لقد استبدلوا وينيان Wenyan، النظام التقليدي للغة المكتوبة، بالعامية بايهوا Baihua، واستفادوا من التأثيرات الغربية. من ذلك مثلا القصة القصيرة نيكولاي غوغول «يوميات مجنون» التي ألهمت لو شون لكتابة قصة تحمل ذات العنوان. تأثر الكتاب أيضا بالحركة القوميّة والإحياء الأدبي في أيرلندا، فكان جورج برنارد شو موقّرًا حتى وإن علّق لو شون عليه بسخرية بعد لقائه، قائلا: «كانت جرائد اليوم التالي أكثر إثارة للاهتمام من محادثةٍ فعليّة مع شو».



نيقولاي غوغول

منزل الأسلاف
بُني منزل لو شون في شاوشينغ بطرازٍ تقليدي. يشير اللوح الموجود فوق مدخله إلى عضو في الأكاديمية الإمبراطورية، وهو لقب مرموق جدًا. نشأ لو شون هنا، زوّدته تفاصيل المنزل وحدائقه بالعديد من السمات التي أدرجها في أعماله اللاحقة.



جيمس جويس

(١٨٨٢-١٩٤١) أيرلندي.

إنَّ جُويْس واحدٌ من أهم الروائيين المؤثرين في حقبته، ورائد تقنية «تيار الوعي» في إيصال أفكار شخصياته، التي طوّرها باستخدام أساليب متعددة من أجل ضبط مادة موضوعه المتنوعة.



المدرسة اليسوعية
تلقى جويس، منذ أن كان في السادسة من عمره، تعليمه في المدارس اليسوعية، بما في ذلك كلية كلونجويس وود. تظهر تجاربه هناك في روايته «صورة الفنان في شبابه».

ولد جيمس جويس في ويست راذغار، دبلن في عام ١٨٨٢. كانت عائلته من الطبقة الوسطى لكنها فقيرة بسبب والده السكّير وسوء إدارته المالية. درس جويس في المدارس اليسوعية، التجربة التي كانت جزءًا مفتاحًا في علاقته المتصارعة مع الإيمان الكاثوليكي، ثم لاحقا في جامعة دبلن (التي كانت وقتها تُدار من قبل المؤسسة اليسوعية). قرأ جويس بنهم وأتقن عدة لغات، وبحلول عام ١٩٠١ تعلّم بنفسه ما يكفي من اللغة النرويجية ليكتب رسالة تقديرية للمسرحي هنريك إبسن. ولرفضه التعصب الديني والأفق العقلي الضيق الذي خبره في أيرلندا؛ انتقل إلى باريس في السنة اللاحقة، وشرع بدراسة الطب.

تُوفيت والدته في عام ١٩٠٣، وعاد إلى دبلن حيث قابل في عام ١٩٠٤ نورا برانكل، شابة كانت تعمل خادمة غرف، وغادر الاثنان معًا إلى أوروبا. استقرّا في بادئ الأمر في ترييستي - إيطاليا، وأنجبا جورجيو ولوسيا. بدأ بعدها جويس تدريس الإنجليزية وكتابة الكتب التي ستجعله مشهورًا. استفتح سيرته الأدبية بكتابة المجموعة القصصية «أهل دبلن»، ورواية السيرة الذاتية «صورة الفنان في شبابه». امتازت قصص «أهل دبلن» بشخصيات بمراحل سنيّة مختلفة، من الطفولة إلى البلوغ، لكن صراحتها وقربها الشديد من الواقع جعل الناشرين يخشون من المقاضاة بالتشهير، فلم تُنشر المجموعة التي تمَّت في عام ١٩٠٥ حتى عام ١٩١٥. ولاقى جويس صعوبة في نشر روايته «صورة الفنان في شبابه» حتى ظهرت متسلسلة في مجلة The Egoist ما بين سني ١٩١٤-١٩١٥. اشتهرت هذه الرواية لكتابتها النابضة بالحياة حول بطلها، ستيفن ديدالوس، ولا سيما في الوصف الحسي للموعظة الدينية التي قادت ستيفن إلى الشك الديني. وكانت

جيمس جويس، ١٩٣٥
رسم هذه اللوحة لجويس الفنان الفرنسي جاك إميل بلانش في باريس. نجد رأس جويس متجهة إلى الجانب لأنه كان حساسًا بشأن الزجاج السميك للعدسة اليسرى لنظارته.

هاريت شاو ويفر

وُلِدَت هاريت شاو ويفر (١٨٧٦-١٩٦١) في شيشاير، إنجلترا. كان والدها طبيبًا وأمها وريثة ثروة كبيرة. أصبحت في شبابها اشتراكية ونمّت اهتمامها بمعاناة المرأة، الأمر الذي سبب وقوع «The Freewoman»، وهي مجلة لكتابة المراجعات الأدبية النسوية، في مشاكل مالية. لاحقا، وباقتراح من الشاعر عزرا باوند غيّرت اسم المجلة إلى «The Egoist». نشرت المجلة تحت الإدارة التحريرية المشتركة لهاريت وصديقتها دورا ماردسين- كتابات عديد الكتّاب الحداثيين، من بينهم الشاعر ت. س. إليوت، ووليم كارلوس وليمز، وجيمس جويس. وعلى الرغم من إغلاق المجلة في عام ١٩١٩ فقد استمرت هاريت بدعم جويس ماديًا، وكانت مديره الأدبي التنفيذي حين مات.



عناوين مجلة The Egoist، تموز ١٩١٤

> «التاريخ كابوس أحاول الاستيقاظ منه»
>
> **جيمس جويس – يوليسيس.**

«أود أن أعطي صورة كاملة لدبلن حتى إذا اختفت المدينة فجأة من سطح المعمورة يكون بالإمكان إعادة تشييدها من كتابي»

جيمس جويس عن رواية يوليسيس.

الرواية إيضًا مُبتكرة في آلية تطور أسلوبها تزامنيًا مع نضوج شخصية البطل- إذ تبدأ بطفل يتحدث وتنتهي بسرد فائق التمرس.

الانتقال إلى باريس

انتقل جويس ونورا إلى زيورخ في عام ١٩١٥، وقضيا سنوات الحرب العالمية الأولى يستمتعان بجو المدينة العصري. واجه جويس صعوبات مالية خلال هذه الأوقات، واستلم مساعدات مادية من هاريت شاو ويفر -مؤسسة مجلة The Egoist- تحت اسم مجهول. وحظي بمساعدة الشاعرين ييتس (وهو صديق قديم لجويس) وعزرا باوند، اللذين كتبا مراجعات مادحة لأعماله وبدعمهم نال جويس منحة مالية من الصندوق الملكي الأدبي في عام ١٩١٥.

عاد الزوجان بعد نهاية الحرب إلى تريستي وزارا بعدها باريس في عام ١٩٢٠ حيث قررا الاستقرار في العاصمة الفرنسية. في هذه الأوقات، وضع جويس بعد وصوله إلى باريس اللمسات الأخيرة على تحفته الأدبية «يوليسيس» التي بدأ بكتابتها مع انطلاقة الحرب. وهي رواية طويلة ترسم معالم يوم واحد لثلاث شخصيات -ستيفن ديدالوس (بطل رواية صورة الفنان في شبابه)، وبائع إعلانات جوّال (ليوبولد بلوم)، وزوجته مولي.

أستخدمت في هذه الرواية السابقة لعصرها مجموعة من التقنيات الأدبية -من ضمنها البارودية (المحاكاة الأدبية الساخرة)، والمونولوج الداخلي، والسرد المتنقل ما بين الواقعية الصريحة إلى الفانتازيا-، وتتألف الرواية من ثمانية عشر فصلًا عكست حلقات أوديسة هوميروس. جذّرت الرواية جغرافية مدينة دبلن بدقتها العظيمة على الرغم من أنّ العمل كُتب في المنفى.

سببت اللغة الصريحة التي كتب بها جويس يوليسيس -لا سيما الوصف الجنساني، والوظائف الجسدية (كالأكل والتغوط)- مشاكلَ مجددًا. نُشر أجزاء من العمل على

◄ نورا جويس

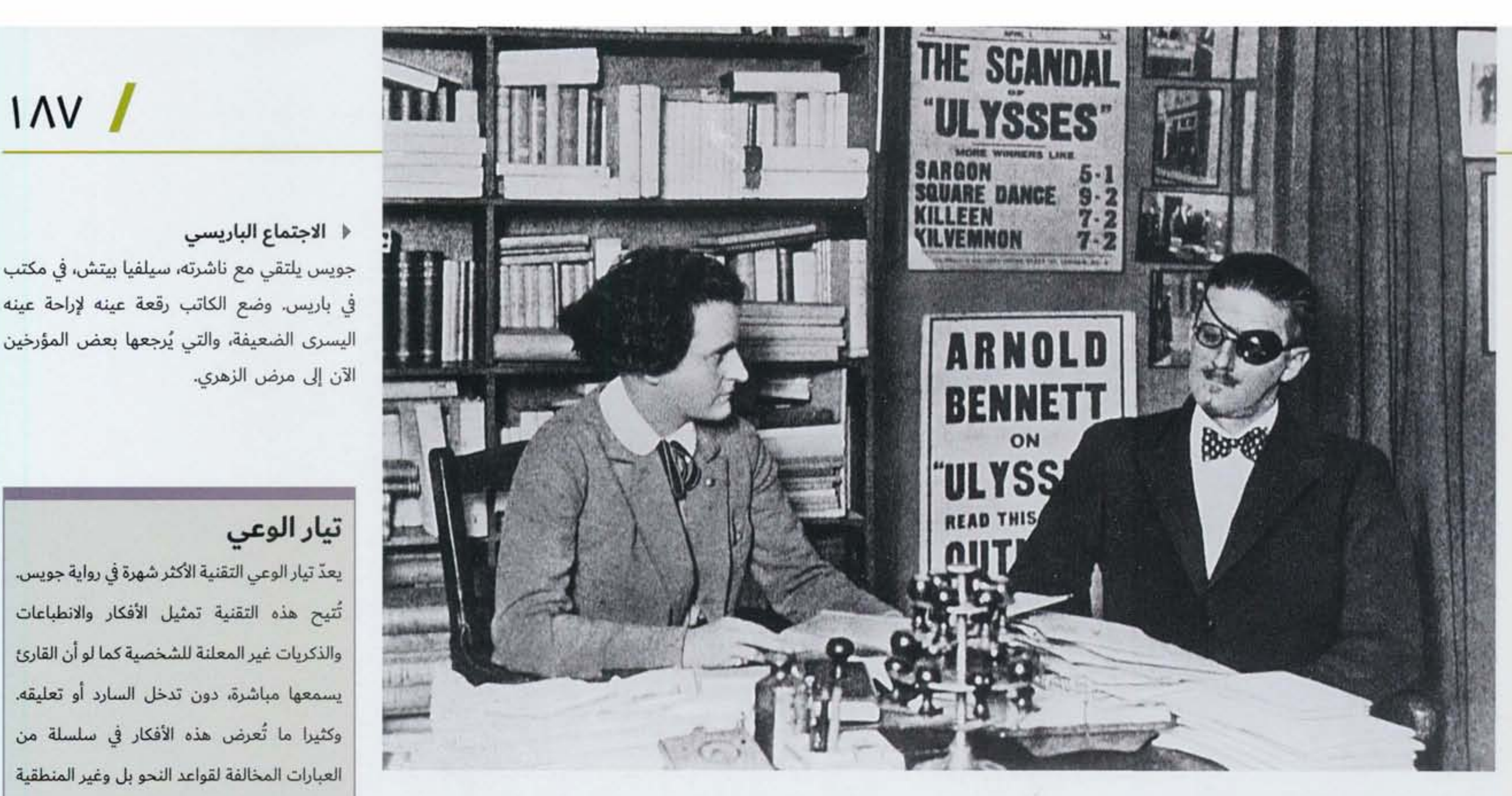
التقى جيمس جويس بمُلهمته وزوجته المستقبلية، نورا، في دبلن عام ١٩٠٤. كان تاريخ أول موعد غرامي لهما في السادس عشر من حَزيران/ يونيو، واختاره جويس لتجري فيه وقائع روايته يوليسيس. يُحتفى بهذا اليوم الذي يُعرف بـ «يوم بلوم Bloomsday» نسبة إلى اسم شخصية الرواية الرئيسة «ليوبولد بلوم».





◄ دبلن جويس

ترسم ملحمة يوليسيس التجريبية والملهمة لجويس المواعيد والاجتماعات المختلفة ليوبولد بلوم على مدار يوم واحد، مُستخدمًا مدينة دبلن نموذجًا مُصغّرا للحياة.



الاجتماع الباريسي

جويس يلتقي مع ناشرته، سيلفيا بيتش، في مكتب في باريس. وضع الكاتب رقعة عينه لإراحة عينه اليسرى الضعيفة، والتي يُرجعها بعض المؤرخين الآن إلى مرض الزهري.

دفعات في مجلة The Little Review الأمريكية ما بين سنتي ١٩١٨-١٩٢٠، لكن إدانة محرري العمل بسبب الفُحش أوضح عدم إمكانية أي ناشر بريطاني أو أمريكي على نشر العمل في كتاب. في النهاية، طُبعت الرواية لأول مرة كاملة في فرنسا عام ١٩٢٢ من سليفيا بيتش التي كانت تدير شركة ومحل كتب شيكسبير- وهو مكان معتاد للقاء كتّاب مغتربين مثل جويس وعزرا باوند. وعلى الرغم من أن العمل أُشيد به من قبل الشاعر ت. س. إليوت لابتكاراته وقوته، فإنه لم يظهر بطبعة رسمية في الولايات المتحدة الأمريكية حتى عام ١٩٣٤، وتبعتها الطبعة البريطانية في عام ١٩٣٦.

الكتابة التجريبية

على الرغم من الاعتراف بجويس من قبل أقرانه بأنه كاتب عظيم فإنه لم يجنِ إلا مردودًا ماديًا ضئيلًا خلال عشرينات وثلاثينات القرن العشرين. إضافة إلى ذلك فقد حُوصرَ بمشاكل صحية وعائلية فقد أصيب بالزرق في عينه الأمر الذي أدّى إلى تدهور بصره، وخضع لتسع عمليات في عقد العشرينات ليعالج عينه، وشُخصت ابنته لوسيا بالفصام (سكيزوفرينيا) في منتصف الثلاثينات وقضت الكثير من حياتها في المصحة. وعلى الرغم من أنَّ الطبيعة الدقيقة لمرضها كانت قضية خلافية، فقد استمرَّ جداله مع نورا، وأثّرت استحالة العلاج في جويس عميقًا.

العمل الأخير

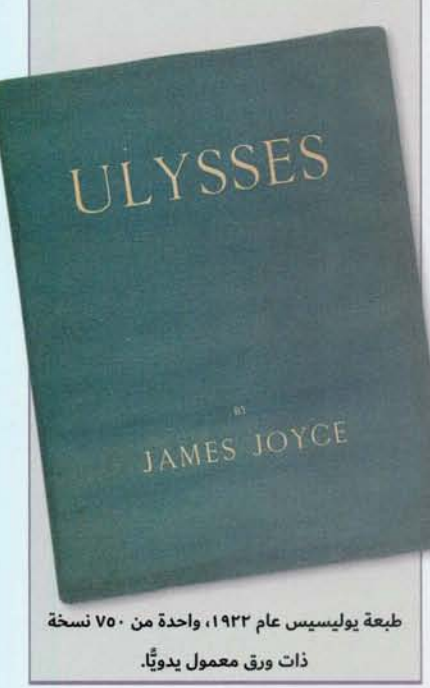
لم يتوقف جويس في ظل كل هذه المتاعب عن الكتابة، وانشغل في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي بعمله الكبير الأخير، رواية «يقظة فينيغان». وكما الحال مع بواكير أعماله فقد نُشرت الطبعة الأولى على دُفعات تحت عنوان (عمل في تقدم) في مجلة أدبية تجريبية انتقالية. أصبح مؤسسا هذه المجلة، ماريا وأوجيني، صديقين وداعمين لجويس لكن معظم قرّاء المجلة لم يتمكنوا من فهم عمل جويس الجديد الذي كان في معظمه «حيرة شمولية»، حتى إنَّ مجموعة أصدقائه من بينهم صامويل بيكيت نشروا سلسلة مقالات تحاول شرح العمل.

نُشرت «يقظة فينيغان» أخيرا في طبعة واحدة في عام ١٩٣٩، وحُزمت بالتواري اللفظي، والكلمات المُبتكرة، ومليئة بالعبارات الأجنبية (مستمدة مما لا يقل عن ٤٠ لغة). إنها رواية -حلم، تصف تيار اللا وعي- تقدم ما في النوم الذي قدمته يوليسيس في الصحوة. إنها رواية منيعة -ما زال معظم القرّاء مهزومين على أسوارها- فيما عدا بعض المقاطع التي يمكن أن تكون جميلة ومرحة بانعطفاتها.

كانت هذه الرواية آخر أعمال جويس، وفي كانون الثاني/ يناير ١٩٤١ خضع لعملية جراحية بسبب القرحة، ليموت بُعيدها. دُفن جويس في زيورخ، التي عاد إليها بعد بداية الحرب العالمية الثانية، إذ رفضت السلطات الأيرلندية السماح لنورا بنقل رفاته إلى دبلن لدفنها.

تيار الوعي

يعدّ تيار الوعي التقنية الأكثر شهرة في رواية جويس. تُتيح هذه التقنية تمثيل الأفكار والانطباعات والذكريات غير المعلنة للشخصية كما لو أن القارئ يسمعها مباشرة، دون تدخل السارد أو تعليقه. وكثيرا ما تُعرض هذه الأفكار في سلسلة من العبارات المخالفة لقواعد النحو بل وغير المنطقية أحيانا. قال جويس إنه اكتشف هذه التقنية خلال رحلته الأولى إلى باري عام ١٩٠٣، عندما كان يقرأ رواية للكاتب الفرنسي إدوارد دوجاردان (رواية قصيرة «العظمة تُقطف[١٨٨٧]»).



طبعة يوليسيس عام ١٩٢٢، واحدة من ٧٥٠ نسخة ذات ورق معمول يدويًا.

أبرز أعماله:

- ١٩٠٧ — موسيقى الحجرة: ديوان مكوَّن من ستٍّ وثلاثين قصيدة، استُقبِل هذا الكتاب على نحوٍ جيدًا لكن مبيعاته كانت متواضعة.
- ١٩٠٧-١٥ — أعاد جويس في هذه السنوات كتابة رواية الذاتية المهجورة «ستيفن بطلًا» وحوّلها إلى «صورة الفنان في شبابه».
- :١٩١٤ — أهالي دبلن: استثمر جويس حالة ركود المدينة أثناء انحدارها لتشكل خلفيّة خمس عشرة قصة.
- ١٩١٨ — منفيّون: مسرحية جويس الوحيدة، تتناول عودة كاتب من المنفى والعلاقات التي تتبع ذلك.
- ١٩٢٢ — يوليسيس: التحفة الفنية الحداثية التي كُتبت بناءً على أوديسة هوميروس. نُشِرَت في عيد ميلاد جويس الأربعين.
- ١٩٢٧ — قصائد الواحدة بنس: ديوان يضم ثلاث عشرة قصيدة قصيرة كتبها جويس على مدار عقدين.
- ١٩٣٩ — يقظة فينيغان: ركّزت هذ الرواية المُتطلّبة فكريًّا على قضية البعث.



فرجينيا وولف

(١٨٨٢-١٩٤١) إنجليزية.

عاشت وولف الروائية وكاتبة المقال والنسوية في قلب حركة الحداثة، وقلبت فن الرواية بأسلوبها المبتكر، ونحتت مقامًا للنساء في التاريخ الأدبي.

وُلِدَت أدلين فرجينيا ستيفن (وولف لاحقًا) لعائلة وجيهة من طبقة فوق متوسطة. كان والدها «السير ليسلي ستيفن» فيلسوفًا بارزًا وكاتبًا ومؤرخًا، وأمها «جوليا جاكسن» ملهمة سابقة لرسامي حركة ما قبل الرفائيلية Pre-Raphaelite. لفرجينيا أربعة أخوة غير أشقاء من زواجي والديها السابقين، وهم: جورج، وستيلا، وجيرالد دوكورث، ولورا ستيفن، ومن والديها من زواجهما الثاني: فانيسا، وثوبي، وأدريان.

وضعت صلات العائلة سكان البيت الكبير والممتلئ في قلب الأدب الفيكتوري والمجتمع الفكري. عُومِلَ الأولاد بأسلوب مختلف جذريًا عن البنات، ففي الوقت الذي أُرسل إخوانها إلى مدارس خاصة ثم إلى الجامعة، تعلمت فرجينيا الفتية وفائقة الذكاء في البيت، سائحةً بكل حرية في مكتبة والدها الضخمة.

ذكريات الطفولة

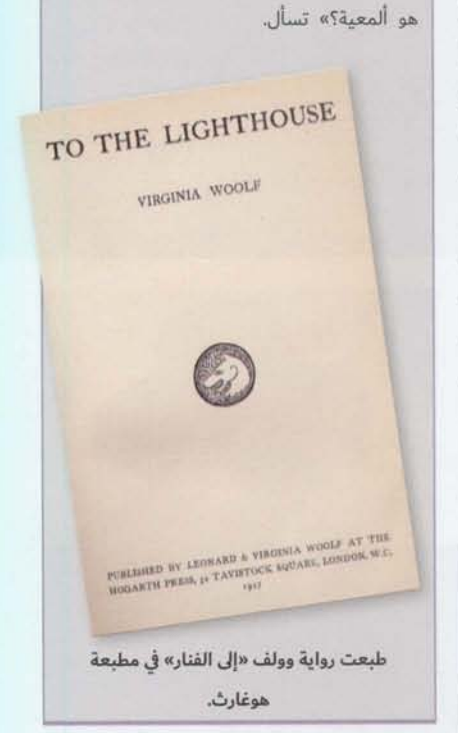
ولَّد موت والدة فرجينيا ذات الثلاث عشرة سنة أول إنهارياتها العقلية المتعددة. وعادت فرجينيا قابضةً على السعادة العابرة لطفولتها وسوداوية الأيام الخالية بعد اثنتين وثلاثين سنة في رواية «إلى الفنار». نقلت فرجينيا وولف في هذه الرواية أيام عُطل طفولتها من كورنوول إلى إسكتلندا وقدمت والديها تماما باسمي (السيد والسيدة رامزي). وُصف السيد رامزي بأنه متحذلق وأناني ومستبد، في حين كانت السيدة رامزي ذات قلب متفهم ومعطاء في نصف الكتاب الأول، وشُعِرَ بتأثير غيابها العميق في القسم الثاني. أشارت يوميات كلٍّ من فرجينيا وأختها فانيسا إلى أنهما كانتا ضحيتي تحرشات جنسية لأخيهما غير الشقيق في السنوات التي تلت وفاة والدتهما، وكانت حالتها العقلية الهشة لا تزال في خَطِر متفاقم بعد النهاية المأساوية لأختها غير الشقيقة ستيلا.

درست فرجينيا ما بين سني ١٨٩٧ و١٩٠١ الإغريقية القديمة، واللاتينية، والألمانية، والتاريخ في قسم السيدات في King's College London. حفَّز موت والدها في عام ١٩٠٤ وأخيها المفضل ثوبي في عام ١٩٠٦- انهيارًا عقليًا آخرَ، أُتبِعَ بتغيّر جذري في نمط حياتها. دائمًا ما عدَّت فرجينيا نفسها كاتبةً وبدأت بمساهمات منتظمة في محلق مجلة التايمز الأدبية .

انتقلت فرجينيا مع بقية إخوتها إلى بلومزبري في لندن، حيث أصبحت مجموعة من المنازل في ساحة جوردن محور النشاط الفني الذي جذب الفلاسفة والمؤرخين والفنانين والكتّاب. وُصفت هذه المجموعة في الولايات المتحدة من الكاتبة الساخرة دوروثي باكر بأنها «مرسومةٌ في دوائر، ساكنةٌ في مربعات، عاشقةٌ

تيار الوعي

«لا شيء بوضوح هو شيء واحد» يقول السيد رامزي في رواية «إلى الفنار» عبر سرد تيار الوعي تلك المحاولة التي تلتقط تعددية الخبرة. تسرد وولف قصة أيام عُطل عائلة، مغطيةً إياها بانطباعات عابرة، ثم تُكسّر خط الكتاب الطولي البنيوي لتقترح هروبية الزمن. كانت هذه التقنية استجابة مباشرة لوجهة نظر فردية عن العالم الذي يُعرض في سرد واقعي، الذي عدَّته ذكوريًا. يقدم أسلوب وولف المُقطّع والمتوقف واللا متجانس استعراضًا نسويًا ضروريًا للواقع الدائم التغيّر المخلوق من قبل النّفس. «هل هو هراء؟ أم هل هو ألمعية؟» تسأل.



طبعت رواية وولف «إلى الفنار» في مطبعة هوغارث.



عطلات الصيف على الكورنيش

أمضت وولف فصول الصيف في طفولتها في Talland House في سانت آيفز، كورنوال. كانت المناظر البعيدة لمنارة Godrevy، التي لا يمكن الوصول إليها عبر الخليج، مصدر إلهام لها في روايتها إلى الفنار.

إرث نسوي

تُظهر هذه الصورة فيرجينيا وولف في عام ١٩٢٧، بعد مدة قصيرة من نشر روايتها الرابعة، السيدة دالواي، التي جلبت لها الشهرة ومدح النقاد. أصبحت أعمالها أقل شهرة في سنوات ما بعد الحرب، لكن الحركة النسوية في السبعينيات ناصرتها ومجّدتها.

> «لمَ الحياة مأساوية جدًا؛ تُشبه كثيرًا شريطًا صغيرًا لرصيف مُطلٍّ على الهاوية... أتساءل كيف يمكنني أن أخطو يوما حتى النهاية»
>
> **فرجينيا وولف – يوميات كاتبة.**



▲ **مطبعة هوغارث**
غالبًا ما كانت الكتب التي أنتجتها مطبعة وولفز هوغارث تُخاط وتُجلّد يدويًا. غلاف الطبعة الأولى من روايتها «السنوات (١٩٣٧)» من تصميم شقيقتها فانيسا بيل.

«لا بد لأي امرأة ترغب في كتابة رواية أن تملك مالًا وغرفةً خاصة بها». فرجينيا وولف - غرفة تخص المرء وحده.

في مثلثات» والتي قدمت دليلًا على حياتهم المحببة المعقدة وغير التقليدية.

خوف وإحباط

تقدَّم مؤسس مجموعة بلومزبري، ليتون ستراتشي، بعرض زواج لفرجينيا لكنه سحبَ عرضه لأن الأخيرة كانت ملاحقة من ليونارد وولف، ناشر وموظف مدني. وفي ظل غمامة العنصرية الطارئة في وقتها، وصفت فرجينيا ليونارد بأنه «يهودي مفلس» ولم تكن منجذبة إليه، ومع ذلك فقد تزوَّجا في عام ١٩١٢. كتبت فرجينيا بُعيدها: «... يا لها من متعة غامرة أن تكون مطلوبة: زوجةً». وكشفت سرًا لصديقة: «لقد وجدتُ الذروة مبالغ بها كثيرا جدا». أما ليونارد وولف من جانبه فقد وصف ليلة الزفاف بأنها كانت كارثة. ويبدو في الغالب أنه بقي أعزب خلال زواجهما بسبب خوفه من نوبات زوجته العصبية، ولذات السبب فقد نُصحت فرجينيا بألا تُنجبَ أطفالًا.

ماجت رواية فرجينيا إلى الأولى «رحلة إلى الأصل (١٩١٥)» بخوف داخلي من الحميمية الجنسية، وكان إنتاجًا شاقًا أثارَ انهيارًا آخرَ وسُبق بمحاولة انتحار قبل نشرها. جادلها أطباؤها بشدة لتتجنب أي مساعٍ فكرية -إذ اعتقدوا أنها سببُ إثارة نوباتها العصبية- من أجل الحفاظ على نشاطها الجسدي. استمر زوجها مع ذلك بتشجيعها على الكتابة: إذ ثبّت في عام ١٩١٧ داخل منزلهما، منزل هوغارث في ريتشموند - لندن، آلة طبع كتب وبدأ بنشر أعمالها.

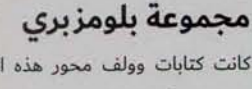
استكشاف الجنسانية

حثّت فيتا ساكفيل ويست -كاتبة أرستقراطية ومصممة حدائق- صديقتها المقربة وولف على الكتابة، وفي المناخ الشهواني لمجموعة بلومزبري دخلت المرأة في علاقة حب. وبعد سنوات عديدة لاحقة، ظهر أشدُّ أعمال وولف حرية وخيالية «أورلندو Orlando» عن شاعر خنثي، وكان موضوعه إشادة علنية. ووصف ابن فيتا ساكفيلا، نيغل نيكولسن، العملَ بأنه: «أطولُ وأجذبُ رسالةِ حبٍ في الأدب». وتناولت وولف في روايتها «الليل والنهار» التي نُشرت في عام ١٩١٩ موضوع الزواج والحب، واشترت وولف في السنة اللاحقة منزل راهب في رودميل، شرق سوسكس، وكذلك كوخًا يعود إلى القرن السابع عشر في شرق سوسكس، حيث كانت أختها فاينسا تعيش مع زوجها كلايف بيل. وأصبحت هذه الأمكنة ملاذًا لأعضاء مجموعة بلومزبري.

أُتبعت رواية «الليل والنهار» بثلاث سنوات بروايتها التجريبية «غرفة يعقوب»، والتي خططت فيها وولف شخصية رجل تخطيطًا شبه تام من خلال وجهة نظر النساء في حياة يعقوب. أعلن الشاعر إليوت بأن وولف

▼ **الأب وابنته،** ١٩٠٠
صورة للشابة فيرجينيا وولف مع والدها، الناقد والباحث السير ليزلي ستيفن، والذي شجّع مساعيها العلمية وحبها للهواء الطلق.





مجموعة بلومزبري

كانت كتابات وولف محور هذه المجموعة التي ضمت في أعضائها الكاتب غيلز ليتون ستراتشي، والاقتصادي جون ماينارد كينز، والفانئين روجر فري ودونكان غرانت، وكلايف بيل، وفانيسا بيل. تمحورت أفكار المجموعة حول النسوية والنزعة السلمية والجنسانية، ورفضت القيم الفيكتورية. كان تأثير المجموعة في الأدب والاقتصاد والفنون عميقًا، وأصبحوا الأبطال اللاحقين لفناني حركة ما بعد الانطباعية مثل غوغين وماتيس وفان خوخ. لم تنشر مطبعة زوجها ليونارد «مطبعة هوغارث» أعمالها فحسب بل كذلك العديد من الكتب المهمة الأخرى مثل قصيدة الشاعر ت. س. إليوت «الأرض اليباب»، والأعمال المجلجلة لعالم النفس سيجموند فرويد.



فانيسا بيل، روجر فراي، ١٩١٦



▸ **نزل الكاتبة، بيت مونك**
كتبت وولف فوق هذه الطاولة في حديقة نُزلها في منزل مونك. كانت تذهب إلى النزل يوميا وحتى نامت بداخله في مناسبات. يتحدث الزوّار لنزل وولف في أيام حياتها بأنه كان دائما مليئا بالكتب والأوراق المتناثرة.

حررت نفسها من أي تسوية ما بين الرواية التراثية وموهبتها الأصلية في الكتابة.

بيان نسويّ

كشفت يوميات وولف عن استثمار عواطفها الجارفة في كتاباتها -كان طلب ٥٠ نسخة من أعمالها من مطبعة هوغارث كفيل برفع معنوياتها بقدر أي نوع من المخدرات- وفي هاجسها من آراء الكتّاب الآخرين والمفكرين. وحفّزها لقائها مع ي. م. فورستر في كامبردج على كتابة هذا التعليق في يومياتها: «دوما ما شعرتُ به ينكمش بحساسية مني، كوني امرأة، امرأة ذكية، امرأة حتى اللحظة».

قرأت وولف باستفاضة مهولة مفترسةً الكتب القديمة، وغالبًا باللغة الإغريقية الأصلية، وقرأت للشعراء والروائيين التراثيين أمثال ديكنز والأخوات برونتي وبايرون وميلتون. واستمتعت بمقابلة هذه النصوص مع نصوص الكتّاب التجريبيين أمثال ويندام وعزرا باوند الذين كانوا منشغلين في «صدمة الجديد».

وصفت وولف بعد قراءتها الأولى لرواية جيمس جويس «يوليسيس» بأنها رواية «طموحة»، ثم غيّرت رأيها بعد أن احتفت المراجعات بالرواية فوصفتها بأنها «مبتذلة في حسّها الأدبي».

أنتجت وولف أبرز أعمالها في النصف الثاني من عشرينات القرن الماضي. نشرت رواياتها التجريبية ذات التعددية الحسيّة السردية مثل رواية «السيدة دالواي» ورواية «إلى الفنار» وأتبعتهما برواية نسوية جدلية «غرفة تخص المرء وحده (١٩٢٩)» التي استعرضت فيها العقبات التي تواجه المرأة في مجتمع يحكم الرجال قبضتهم عليه على نحو غير متكافئ. وفي محاضرة عام ١٩٣١ عن توجيه طموح النساء نحو الحِرفية، أطلقت وولف على نهاية قصيدة «ملاك في المنزل»- قلب مُبتهج وغير أناني لساكنة المنزل التي لجأت للثناء على أعمال الرجال. وقالت «فعلت ما بوسعي لقتلها» وأبقيت على امرأة فتيّة في مخدعها بجوارها دواة «وجب عليها أن تكون نفسها فحسب».

ألقت الحرب العالمية الثانية بظلالها المخرّبة على جماعة بلومزبري، ولجأت وولف إلى الريف للعمل، لكن مرضها العقلي كان على أشده، وتفاقم بعد زيارة لندن حيث وجدت أن مقرّ بلومزبري تحوّل إلى أنقاض. كتبت وداعيتها في عام ١٩٤١ بسن التاسعة والخمسين، وملأت جيوبها بالحصى وتمشّت باتجاه نهر أُوس Osue قرب رودميل نحو حتفها، مخلّفة إرثًا من اليوميات والرسائل والمقالات وتسع روايات حداثية ما زالت تُدهش القرّاء حتى اليوم.



▴ **فيتا ساكفيل ويست، حوالي عام ١٩٢٥**
بدأت علاقة استمرت عقدًا من الزمان بين وولف والمرأة التي تصغرها سنا، فيتا ساكفيل ويست، في عام ١٩٢٢. أصبحت ساكفيل ويست مصدر إلهام وولف وعشيقتها، وكانت ملهمتها الرئيسة في كتابة رواية أورلندو (١٩٨٢).

أبرز أعمالها:

١٩١٥
رحلة إلى الأصل: عكست وولف في هذا العمل خروجها من بين سكان قمعيين إلى التحفيز الفكري لمجموعة بلومزبري.

١٩٢٥
السيدة دالواي: تصف هذه الرواية يومًا من حياة مضيفة ذات مكانة مرموقة في المجتمع باستخدام تيار الوعي لترسم حياة الشخصيات الأخرى.

١٩٢٧
إلى الفنار: يمثل هذا العمل محاولة وولف لفهم ماضيها وطبيعة الزمن والخلود.

١٩٢٨
أورلندو: حفلة مرح ساخرة عن التاريخ الأدبي الإنجليزي. يدور هذا العمل حول اجتماعات خيالية بين الكتّاب، وأصبح لاحقا عملا نسويًا كلاسيكيًا.

١٩٢٩
غرفة تخص المرء وحده: تناقش وولف في هذا الكتاب المساحة الشخصية والأدبية للكاتبات في ظل التراث الأدبي الأبوي.

فرانز كافكا

(١٨٨٣-١٩٢٤) تشيكي.

توفي كافكا في شبابه وترك الكثير من الأعمال غير المنتهية. جعلته قصصه المؤلمة حول الاغتراب -والتي تتضمَّن أحيانا عناصر عجيبة- واحدًا من أكثر الكُتّاب إثارةً في القرن العشرين.



▲ **المسخ،** ١٩١٥
نُشرت الطبعة الأولى من قصة كافكا الشهيرة في عام ١٩١٥، على الرغم من أنه أكمل العمل في عام ١٩١٢. أدت المفاوضات المعقدة مع الناشرين -كما هي طبيعة كافكا- إلى تأخير ظهوره.

وُلِد فرانز كافكا لعائلة يهودية من الطبقة المتوسطة في براغ عاصمة بوهيميا، التي كانت حينئذ جزء من الإمبراطورية النمساوية-الهنغارية. كانت عائلته ثرية وتتحدث الألمانية. عمل والده «هيرمان» في بيع الملابس النسائية والبضائع الفاخرة، وعملت والدته كذلك في شركة العائلة. كان هيرمان بشخصية قوية -صاخبا ومعتدا بنفسه، ومستبدا- ووجد ابنه صعوبة في التفاهم معه. كان لفرانز ثلاث شقيقات وشقيقان، لكن الشقيقين ماتا في صباهما، تاركين فرانز أكبر أبناء العائلة.

التعليم والتوظيف

تلقى كافكا تعليما باللغة الألمانية في المدرسة الابتدائية ثم في مدرسة ثانوية ألمانية مرموقة للغاية في براغ، بيد أنه كان يتحدَّث التشيكية كذلك، ودرس اللغتين اللاتينية والإغريقية. تخرج كافكا في المدرسة بدرجات عالية والتحق بالجامعة في براغ لدراسة القانون. التقى هناك بعدة كتّاب من ضمنهم ماكس برود الذي دامت صداقته معه طويلًا. عُرف كافكا في دائرة أصدقائه بأنه رفيق مرح وممتع؛ السماتُ التي تُدهش العديد من قُرَّاء رواياته التي تركز على الصراع والاغتراب.

نال كافكا بعد تخرجه الدكتوراة في القانون عام ١٩٠٦، وذهب للعمل في شركة تأمين تسمّى Assicurazioni Generali في براغ. لم تعجبه ساعات العمل الطويلة، وانتقل بعد عام إلى مؤسسة أخرى، وهي «معهد التأمين ضد حوادث العمّال»، حيث تعامل مع مطالبات التعويض من العمال المستضعفين ضد الشركات القوية. شهد كافكا في هذه البيئة القوى القانونية والبيروقراطية التي تحدّ من حريات الفرد، وهي مواضيع من شأنها أن تُشكّل أعماله اللاحقة. سرعان ما حصل كافكا على ترقية، ليصبح مسؤولًا عن كتابة التقارير السنوية للشركة، لكن الأهم من ذلك أن ساعات عمله أصبحت أقصر، الأمر الذي منحه الوقت للكتابة؛ مع أنه كان يسكن مع والديه في المنزل، وكان يتوقع منه كذلك أن يمد يد المساعدة في متجر والديه.

الرسائل والحب

في عام ١٩١٢، التقى كافكا بفيليس باور، وهي من أقرباء ماكس برود الذي يعمل في برلين. أصبح الاثنان متقاربين، لكنهما عاشا منفصلين وكانت علاقتهما في الأساس علاقة مراسلات غاضبة. كتب لها كافكا بانتظام (غالبًا يوميًا) من عام ١٩١٢ إلى عام ١٩١٧، ونُشرت رسائله إلى فيلس في عام ١٩٦٧. كشف

ماكس برود

ماكس برود (١٨٨٤-١٩٦٨): كان الكاتب ماكس صديق كافكا على مدى حياة الأخير منذ أن التقاه في عام ١٩٠٢. امتاز الصديقان بالكثير من السمات المشتركة، فقد كانا من يهود براغ الناطقين بالألمانية، ودرسا القانون ولهما طموحاتٍ أدبية. نشر برود عددًا من الروايات التي مزجت الفانتازيا بالحب بالصوفية، وأبرز أعماله «فداء تايكو براهي Redemption of Tycho Brahe (١٩١٦)». يُتذَّكر برود بكونه مدير كافكا الأدبي التنفيذي- الشخص الذي جلب الاعتراف العام لأعمال المؤلف. هرب برود في عام ١٩٣٩ من تشيكوسلوفاكيا إلى فلسطين حاملًا حقيبة ملأى بأوراق كافكا بدقائق قُبيل أن يغلق النازيون الحدود.

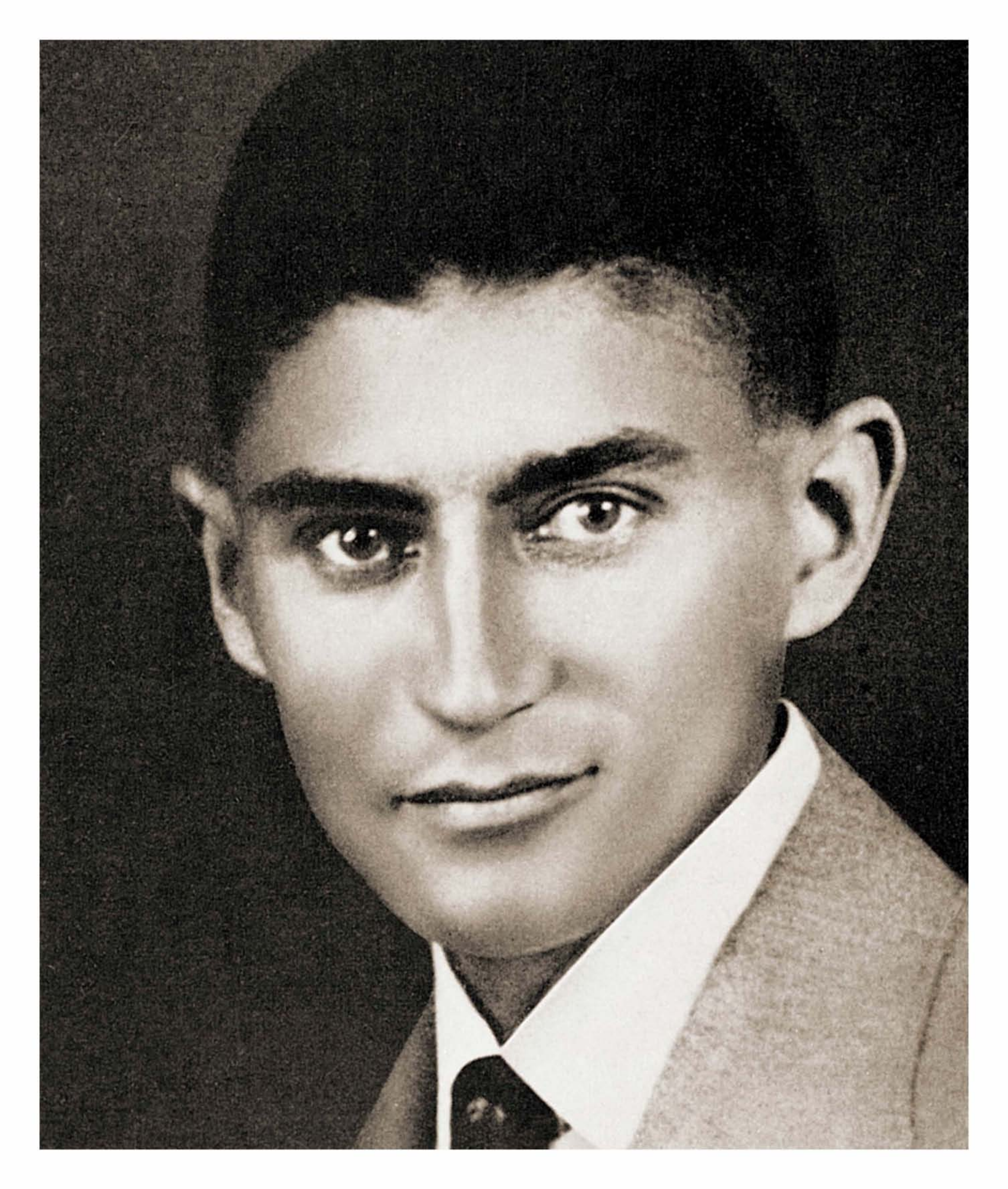




ماكس برود، ١٩٣٧

◄ **فرانز كافكا،** ١٩١٠
وسيمٌ ولكن بشعور عميق بعدم الأمان، عانى كافكا من الاكتئاب والقلق طوال حياته. تحدث كذلك عن إصابته بمجموعة متنوعة من الأمراض الأخرى، من الصداع النصفي والأرق إلى الإمساك والدمامل. يظهر عذابه بالكامل في أعماله الأدبية.

> «مبدأي الإرشادي هو: لا يكون الذنب ذنبا إذا اعترته الشكوك أبدا».
>
> **فرانز كافكا – المسخ.**



أبرز أعماله:

١٩٠٨
التأمل: كانت هذه المجموعة القصصية القصيرة أول أعمال كافكا المنشورة، وظهرت في المجلة الأدبية الميونخيّة Hyperion.

١٩١٥
المسخ: كانت هذه القصة القصيرة التي يصل حجمها إلى نوفيلا أول أعمال كافكا الرئيسة المنشورة.

١٩٢٥
المحاكمة: نُشرت أشهر روايات كافا بعد وفاته، وتحكي قصة صراع جوزيف ك ضد النظام البيروقراطي.

١٩٢٦
القلعة: هجر كافكا هذا العمل، ونُشر بعد سنتين من موت مؤلفه.

١٩٢٧
أمريكا: رواية غير منتهية نُشرت مُتضمنةً تفاصيلَ من تجارب أقارب كافكا الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

▼ **الحي اليهودي**

ولد كافكا وعاش في الحي اليهودي في براغ، وكان عضوا بارزا في نخبة المثقفين اليهود-الألمان في المدينة. على الرغم من أن والديه كانا يتشدّقان بالتقاليد اليهودية، فقد كافكا نفسه في انجذب متزايد إلى هوية ثقافية يهودية، وانجذب -تحت تأثير ماكس برود- إلى الصهيونية.

اهتمامهما الشديد لأدق التفاصيل وشخصيتهما المُستحوِذة (قلقَ كافكا بلا توقف حول احتمالية عدم وصول رسائل خطيبته) عن التوترات العميقة في نفسية كافكا. خُطب الاثنان مرتين لكنَّ موانع الكاتب (يقترح بعض كتّاب سيرة كافكا بأنه كان محاطًا بذنب ميوله الجنسية واحتمالية كونه مَثَليًا فضلا عن توهماته الجنسانية) ومرضه الأخير منعهما من الزواج.

حِقبة مُنتِجة

كتب كافكا خلال هذه المرحلة ونشر بعض القصص القصيرة التي ستجعله مشهورًا لاحقا. كتب قصة «المحاكمة» في ليلة واحدة عام ١٩١٢، وأهداها إلى فيلس، وظهرت أشهر قصصه «المسخ» في عام ١٩١٥، حكاية رجل يستيقظ ليجد نفسه قد مُسخ إلى حشرة، وهو عمل مثالي في مزج الواقعيّ بالخياليّ. بقيت جذوة هذا العمل متقدة لأسلوب أحداثها العجيبة التي وُصفت بوضوح ويُسر ونثر دقيق التعبير عن المشاعر الذي أصبح الأسلوب المثالي للكاتب.

أُتبع هذا العمل بقطع نثرية أخرى جُمعت في قصص «طبيب ريفي» لكن في الوقت الذي نُشرت فيه عام ١٩١٩ كان كافكا مصابًا بالسل ويأخذ إجازات مرضية في أوقات منتظمة من عمله. استلم كافكا في ذات السنة رسائل من الصحفية والكاتبة ميلينا جيسينسكا التي رغبت بترجمة واحدة من قصص كافكا «الوقّاد» من الألمانية إلى التشيكية. تبادل الاثنان الرسائل غالبًا مع تزايد الحب بينهما لكنهما لم يلتقيا إلا في مناسبتين. أنهى كافكا العلاقة في النهاية لأنه كان من الجلي في نظره أن جيسينسكا لن تنفصل عن زوجها. نُشرت رسائل كافكا إلى ميلينا في عام ١٩٥٢.

المرض

كشفت مراسلات كافكا بوضوح أنه كان يحسبُ نفسه شهيدًا لعمله: «إن ولعي بتصوير حياتي الداخلية الشبيهة بالأحلام قد جعل كل شيء آخر غير منطقي»، كما كتب في



إحدى مذكراته - وهو شعور بلا شك ازدادت حدّته بسجنه في جسده العليل. كان كافكا مدركا لحقيقة أنّ مرضه بالسل لا يُرجى شفاؤه، وفي عام ١٩٢٢، تقاعد من العمل وانتقل إلى برلين من أجل التركيز على كتابته. عاش مدةً وجيزة مع حبيبته، دورا ديامانت، ذات الخمسة والعشرين ربيعا التي تعمل معلمة ، لكنه عاد إلى براغ حين تفاقم مرضه كثيرًا.



▲ **علاقات كافكا**
صورة لكافكا عام ١٩١٧ مع خطيبته فيلس باور. صارعَ كافكا مع العلاقات، وكان يشعر بنفور من الجسد: فالعلاقة الحميمية كانت، في نظره، مرتبطة دائمًا بالذنب.

الإرث الأدبي

مات كافكا بمرض السل في حزيران/ يونيو عام ١٩٢٤ في مصحةٍ بالقُرب فيينا. وكان قد طلب قُبيل وفاته من صديقه ومنفّذ وصيّته، ماكس برود، حرق مخطوطاته وعدم إعادة نشر أعماله التي نُشرت سلفًا. غير أنّ برود رأى بأن أعماله صديقه مهمة للغاية ولا يمكن حرقها، وبدأ في نشر أعمال كافكا الرئيسة منذ منتصف عشرينات القرن الماضي. توزعت هذه الأعمال في ثلاث روايات -المحاكمة، والقلعة، وأمريكا- ومجموعة «سور الصين العظيم» القصصية، والتي كانت كفيلة بترسيخ سمعة كافكا الأدبية.

تدور رواية المحاكمة حول جوزيف ك، موظف مصرفي يُتهم بارتكاب جريمة، على الرغم من عدم معرفته، لا هو ولا القارئ، ماهيّة الجريمة التي يُفترض أنّه ارتكبها. وباستخدام الأدوات القياسيّة لرواية الغموض؛ (التشويق والمكيدة)، تحكي الرواية قصة محاولات ك لنيل العدالة، من ذلك انخراطه في معارك ضد البيروقراطية الملتوية. أطلق كافكا على الشخصية البطلة لرواية «القلعة» اسم ك أيضا، وهو مسّاح أراضٍ ميداني يصل إلى قرية لأداء عملٍ لكن عليه أيضًا الصراع ضد النظام الوظيفي المنيع. وتعاملت روايته المتشظية «أمريكا» (عُنونَت من قبل كافكا «الرجل الذي اختفى») مع موضوع مشابه وإن كانت ذات فكاهة أكثر.

◀ **القلعة، ١٩٢٦**
رواية كافكا الأكثر إنسانية، وتتعامل مع موضوع البحث عن الرفقة والاحترام في عالم يبدو ميؤوسًا منه.

الحقيقة والخيال

أدى الموضوع الشائع لكتبِهِ -الصراع المتفشّي للفرد ضد سلطة مجهولة ذات قوّةٍ شاملة- إلى أن يصبح اسم كافكا ليكون مرادفا لمتاهيّة النُظم الإداريّة والسياسية، وللحالة الذهنية العصبية المغمورة بالقلق التي تُولدِها مثل هذه الأنظمة في الناس.

البيروقراطيّة والانفصال

بدا للكثير من الأشخاص الذين قرأوا أعمال كافكا بعد الحرب العالمية الثانية أنّ رواياته تنبّأت بالنحو الذي عملت فيه السلطات الشيوعية، ليس فقط في تشيكوسلوفاكيا بل وفي بلدان أخرى في وسط وشرق أوروبا، على محاصرة الناس وخنق فردانيّتهم وتحطيم أرواحهم.

بيد أن نموذج العزلة الذي استعرضه كافكا في كتاباته كان يمثّل الحياة داخل البيروقراطية المعقّدة لإمبراطورية النمساوية المجرية، وبالأخصّ الانفصال والتفكك الذي واجهه يوميًا في مدينته براغ. كرّرت أعماله كذلك صدى معالجة موضوعات مماثلة على يد كتاب نفسانيين سابقين، مثل دوستويفسكي، ودمجت عناصر من الحركة التعبيرية الطلائعية التي ازدهرت في ألمانيا بداية القرن العشرين.

قدمت قدرة كافكا أحداثًا غريبة بسهولة وبأسلوب سرد مباشر على الرغم من محدودية إنتاجه، وخلّف بصمة لا تنمحي في أدب القرن العشرين باستخدامه المثل والأسطورة في قصصه القصيرة.

الإمبراطورية النمساوية المجريّة

نشأ كافكا مواطنًا للإمبراطورية النمساوية-الهنغارية التي دامت حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وضمت العديد من الأراضي في وسط أوروبا، وكل منطقة بوهيميا التي تشكل الآن جزءًا من جمهورية التشيك. كان شعور كافكا بالتفككية نتيجة تنوعية هذه الإمبراطورية: ففي وجهة نظر التشيك كان شخصًا ذا مكانة ناطقًا بالألمانية، وفي نظر الكاثوليك والغالبية البروتستانتية كان يهوديًا، وفي نظر العديد من اليهود لم يكن يهوديًا بما فيه الكفاية.



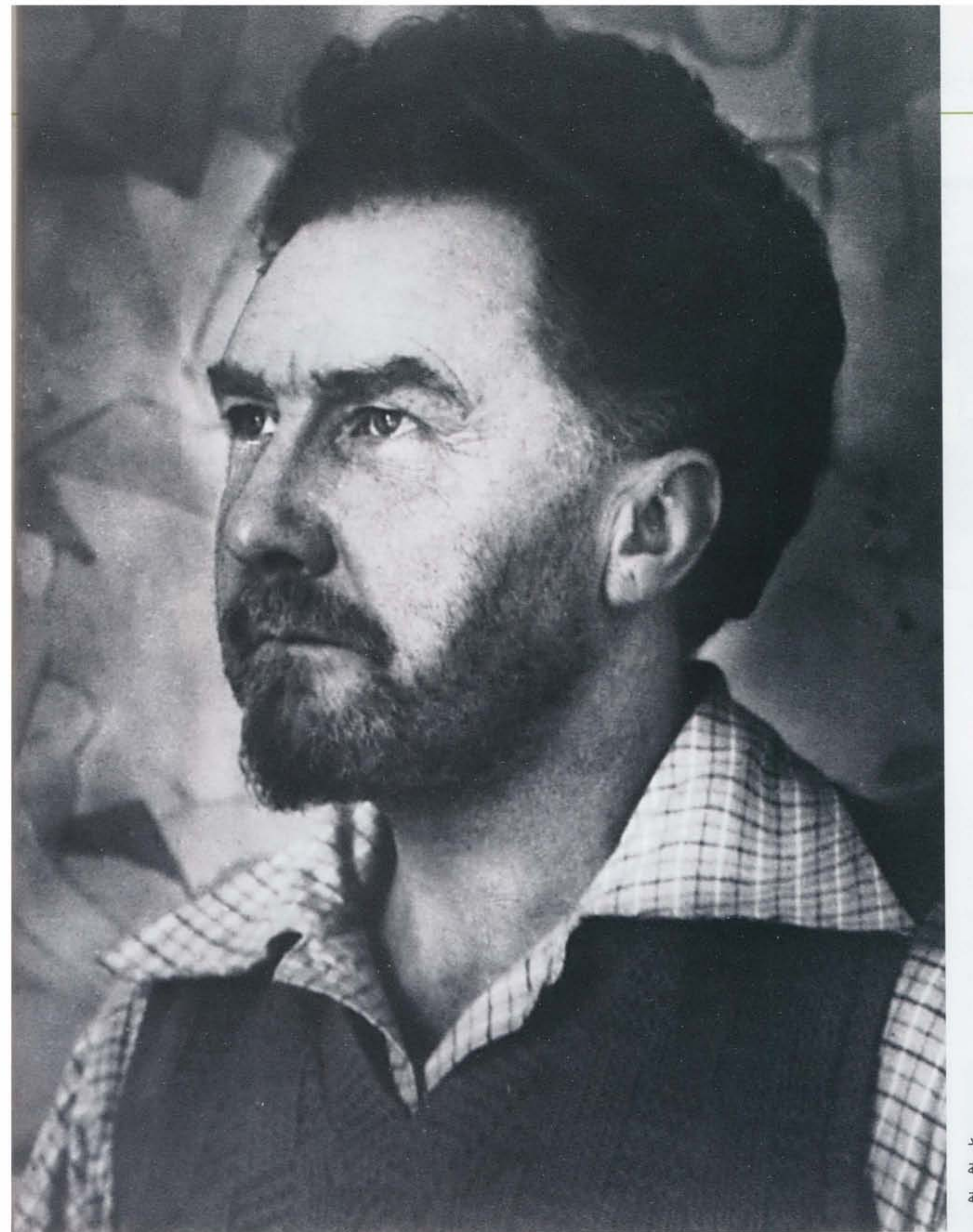
علم الإمبراطورية النمساوية المجريّة



▼ **دورا ديامانت**
التقى كافكا بدورا، يهودية بولندية المولد ورفيقته الأخيرة، على ساحل البلطيق في مورتيز حين كان هناك في عطلة. حاولت دورا بعد وفاة كافكا العمل في التمثيل لكنها أُجبرت على الهرب إلى إنجلترا عندما استحوذ النازيون على السلطة

> «من الآمن غالبا أن تكون مُصفّدًا على أن تكون حرًا»

فرانز كافكا – المحاكمة.



عزرا باوند، ١٩٣٠
في الوقت الذي التقطت فيه هذه الصورة، كان باوند يعيش في رابالو بإيطاليا، وخلفه لوحة (مجهولة الهوية) بأسلوب الدوّاميّة المُميّز. كانت الدواميّة حركة فنيّة ارتبط بها باوند ارتباطًا وثيقًا.

عزرا باوند

(١٨٨٥-١٩٧٢) أمريكي.

صنع باوند اسمه في لندن وباريس حيث أُعترف به شاعرًا حداثيًا مُبتكرًا، ومترجمًا، ومحررًا. لكن سمعته تلطخت بمناصرته النازية ونشاطاته المعادية للسامية.

«الأدب العظيم لغة واضحة مشحونة بالمعنى حتى أقصى درجة ممكنة»

عزرا باوند – ألف باء القراءة.

ولد عزرا لوميس باوند في الثلاثين من تشرين الأول/ أكتوبر في بلدة تعدين في منطقة هايلي، أيداهو، حيث عمل والده هيكتور في مكتب أراضٍ فيدرالي. كانت والدته إيزابيل غير سعيدة بالعيش في هذه البلدة الصغيرة، فانتقلت العائلة إلى وينكوت، شمالي فيلادلفيا، حيث التحق الصبي عزرا بالعديد من المدارس قبل أن يُرسل إلى أكاديمية تشيلتينهام العسكرية القريبة في عام ١٨٩٧. وبعد انتقاله إلى مدرسةٍ ثانويةٍ عامّة، حصل على مقعد في جامعة بنسلفانيا عام ١٩٠١.

المسيرة الأكاديمية

في الجامعة، كوّن باوند أول علاقة غرامية جادّة له مع هيلدا دوليتل، والتقى بصديق حياته الشاعر وليم كارلوس وليمز. انتقل باوند إلى نيويورك لإكمال دراسته، وتخرج في جامعة هاميلتون في عام ١٩٠٥، وعاد إلى جامعة بنسلفانيا للدراسة من أجل الحصول على الدكتوراة في شعر التروبادور. بيد أنّه شعر بالضجر وترك الجامعة، لكنه كان قد اكتسب حينها قدرًا جيدا من المعرفة بالأدب الأوروبي، وأصبح قادرًا على التحدث بعدة لغات. انتهت مسيرة باوند الأكاديمية أخيرا بعد شهور قليلة كارثية من التدريس في كلية واباش المشيخية المُحافظة في كروفوردسفيل، إنديانا، حيث كان أسلوب حياته البوهيمي بالكاد مقبولاً. أما القشة التي قصمت ظهره فقد كانت عندما سمح عزرا لفتاة جوقة انقطعت بها السبل بسبب عاصفة ثلجية بالبقاء في غرفته حتى صباح اليوم التالي. وعلى الرغم من إصراره أنّ أيّ شيء معيب لم يحدث فقد فُصل من الكلية في شباط/ فبراير عام ١٩٠٨.

رحلات إلى أوروبا

سافر عزرا -بعد أن فسخ خطوبته من هيلدا- إلى مدينة البندقية، حيث نشر بنفسه أول ديوانٍ له: «A Lume Spento» (شمعة مطفأة). انتقل بعدها إلى لندن وهو مفلس، وأخذ معه نسخًا من ديوانه. تواصل مع بائع الكتب والناشر إلكين ماثيوس الذي وافق على مساعدته في الترويج لكتابه، وقد مكّنه ديوانه هذا من الدخول إلى الدوائر الأدبية اللندنيّة. التقى هناك بعدة أشخاص، من ضمنهم الروائية أوليفيا شيكسبير التي قدّمته إلى كتاب آخرين، مثل الشاعر وليم ييتس. دخل باوند بعدها في علاقة غرامية طويلة مع ابنة أوليفيا، «دوروثي»، التي كانت رسامة شابة، وتُوِّجت العلاقة بالزواج في عام ١٩١٤

هيلدا دوليتل

كانت دوليتل، التي نشرت باسم ه. د.، عضوًا في المجموعة التصويرية الطلائعيّة. وكان باوند مؤثرا في تطور دوليتل شاعرةً وكاتبةً.

التجارب الحداثية

في زمن الابتكار المثير في الفنون، كان باوند حريصًا على تطوير أسلوبٍ شعريٍّ «حداثي» جديد. لقد ربط نفسه بـ «مدرسة الصور» -التي تتمحور حول فكرة أن الصورة هي المبدأ المُنظِّم للشعر- وكان رائدها الشاعر والفيلسوف ت.ي. هيوم. استوحى باوند مزيدًا من الإلهام من أصدقائه الفنانين، بمن فيهم الرسام ويندهام لويس والنحات هنري غادر-بريسكا، واللذين كانا يطوّران أسلوبًا هندسيًا بعد التكعيبيّة أطلق عليه باوند «الدّوّاميّة».

وصلت هيلدا دوليتل إلى لندن في عام ١٩١١ وأثّرت في تغيير اتجاه عزرا الشعري. وعلى الرغم من فسخ خطوبتهما القصيرة قبل مغادرة الولايات المتحدة، فقد ظل باوند ودوليتل مقرَّبين، وأسسا مع الشاعر ريتشارد ألدينغتون (زوج هيلدا لاحقًا) حركة شعرية سُميَّت بالتصويريّة، والتي شددت على الوضوح الكبير في التعبير في قصائد من الشعر الحر القصير.

سرعان ما سئم باوند من المجموعة واعتقد أنها لم تكن تمضي قدما بما فيه الكفاية في حداثيتها. أصبح بعدها مهتمًا بالشعر الشرقي، لا سيما استخدامه المكثّف للغةٍ مُتخفِّفة من الكلمات الزائدة وتوظيفه المدهش للصور. بدأ على إثر ذلك في ترجمة قصائد صينية عام ١٩١٣، وأدرك أن هذا هو الأسلوب الذي أراد أن يتبنّاه في شعره: الموجز والمباشر والديناميكي.

الدّوّاميّة والتصويرية
Vorticism and Imagism

وُلدت حركة الدوّاميّة الفنيّة في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى، وبحثت عن الالتحاق بحركيّة وسرعة القرن العشرين رافضةً سطحية ورضا الثقافة البريطانية عن الذات. دُمجت الحركة التكعيبية التهشميّة بعصر الجمال المكائني، وكان من ضمن دُعاتها البارزين ويندام لويس وجاكوب إبستين، وهنري غادر-بريسكا Henri Gaudier-Brzeska الذي فوّضه عزرا بصنع تمثال رخامي هندسي ذي حواف حادة (الصورة أدناه). أما حركة عزرا الأدبية التصويرية فقد امتلكت الكثير من العناصر الموازية للحركة الدوّاميّة ويُمكن رؤيتها بوضوح في عمله The Cantos ذي الصور المتشظية والأفكار والأوهام والاقتباسات وكان لها جميعا أثرٌ مدهش.



تمثال لرأس عزرا باوند، هنري غادر-بريسكا، ١٩١٤

«إنَّ الأدباء الجيدين هم من يحافظون على اللغة الفعّالة، أي أن تبقى واضحة ودقيقة».

عزرا باوند – ألف باء القراءة.

▼ **رابالو، إيطاليا**
أصبح منتجع رابالو الساحلي ملاذاً للكتاب والفنانين الحداثيين. فبالإضافة إلى باوند، اجتذب و. ب. ييتس والشعراء الأصغر سناً باسيل بونتنج ولويس زوكوفسكي.

حقق عزرا بعض النجاحات التجارية بمجموعتيه الشعريتين «شخصيات (١٩٠٩)»، و«الردود الخاطفة Ripostes (١٩١٢)». وشرع في عام ١٩١٥ بمشروع رئيس جديد- ملحمة شعرية مُتحدِّية ومعقدة التي ستُصبح لاحقا «الكانتوس (الأغاني) The Cantos». وعمل أيضا مراسلًا لندنيًا لمجلة الشعر، التي دافع عبرها عن أعماله وأعمال أصدقائه من ضمنهم هيلدا دوليتل هـ. د.، وريتشارد ألدينغتون، ووليم ييتس، ودعم أعمال جيمس جويس وت. س. إليوت المبكرة.

خيبة ما بعد الحرب

غرق باوند أكثرَ فأكثرَ في الاكتئاب وخيبة الأمل بسبب الحرب العالمية الأولى المُحتدمة من حوله. ومع نهاية الصراع، كان باوند غاضبا كذلك ممّا كان في نظره فقدانًا للتوجه السياسي والاجتماعي، الأمر الذي عكس مشاعره الشخصية بالضياع وانعدام الهدف. كرّس الكثير من وقته لدراسة الاقتصاد والسياسة، وأصبح ناقدًا لاذعًا للمجتمع البريطاني. كانت قصيدته الطويلة والساخرة المؤلّفة من جزأين، هيو سيلوين موبيرلي (Hugh Selwy Mauberley ١٩٢٠) بمثابة صورة لشاعرٍ مُحبط غير منسجم مع مجتمع حديث عقيم مدمن على الماديّة، وأعمى عن الفن، ولا يرغب سوى في «صورة لتكشيرته المُتسارعة».

من باريس إلى إيطاليا

سئم باوند ودوروثي من لندن، وانتقلا إلى باريس عام ١٩٢١. واصل عمله على الكانتوس، واكتسب سمعة محرر، وساهم في التعليقات النقدية على قصيدة إليوت «الأرض اليباب»، وعلى قصص صديقه إرنست همنغوَي. ابتدأ



باوند في باريس علاقة غرامية مع عازفة الكمان أولغا رودج استمرت إلى آخر حياته. لم يستطع أي من باوند ودوروثي الاعتياد على العاصمة الفرنسية، فانتقلا عام ١٩٢٤ إلى رابالو بإيطاليا، حيث شعر باوند بأنه يستطيع العمل فيها بسلام.

تعكّر صفو هذا السلام حين انتقلت أولغا الحُبلى بطفلة باوند إلى إيطاليا أيضا. أما دوروثي التي تغاضت سلفا عن خيانات زوجها فقد انفصلت عنه بعد علمها بولادة ابنته ماري، لكنها كانت حُبلى هي الأخرى بابنه، وارتبطا من جديد قبل ولادة ابنهما «عمر» في باريس عام ١٩٢٦. استمر باوند في الكتابة على الرغم من هذه الاضطرابات الأسرية، ونشر أول مجلدات الكانتوس، والمجموعة الشعرية «شخصيات»، في الوقت الذي اعتنت بماري أم حاضنة، أما عُمر فقد أرسل إلى جدته، أم دوروثي «أوليفيا» في لندن.



أولغا رودج

لسنوات عديدة بعد الحرب العالمية الثانية، كرست أولغا رودج نفسها للدفاع عن باوند ضد التهم الموجهة إليه من قبل حكومة الولايات المتحدة.

النشاط السياسي والاعتقال

كانت عائلة باوند قد انتقلت إلى إيطاليا بعد مدة وجيزة من تسلّم بنيتو موسوليني والحزب الفاشي زمام السلطة. كان باوند من أشد المعجبين بال «الدوتشي» (الذي أسماه «الرئيس»)، وأصبح ناشطا سياسيا على نحوٍ متزايد خلال عقد الثلاثينيات، لدرجة أنّه عاد إلى الولايات المتحدة عام ١٩٣٩ لحث الحكومة على عدم التدخل في الصراع الوشيك. لم يكتفِ عزرا عند هذا الحد، إذ أصبح مؤيدًا لنازية هتلر خلال الحرب العالمية الثانية وبثَّ أراءه الفاشية والمعادية للسامية للعالم عبر «إذاعة روما». اعتقل باوند على يد القوات الأمريكية بتهمة الخيانة عندما غزت قوات الحلفاء إيطاليا عام ١٩٤٥، واحتُجِز في معسكرٍ للاعتقال بالقرب من بيزا. بعدها أودع في الحبس الانفرادي في ظروف بدائية قاسية، لكنه كان ما يزال قادرًا على تدبير شأن الكتابة، وأنتج العمل الذي عُرف بـ The Pisan Cantos. ورُحِّل إلى أمريكا في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر من ذات العام ليمثل أمام المحكمة، لكن أُعلن في النهاية أنه مجنون وأُودع في مستشفى سانت إليزابيث في العاصمة واشنطن. وبالرغم من اضطرابه العقلي الواضح، فقد أنتج في هذه المدة الكثير من أفضل أعماله «.The Cantos».

الأغاني البيزيّة

تحتوي هذه المخطوطة على الأسطر الافتتاحية لكتاب The Pisan Cantos، الذي ألّفه باوند قرابة عام ١٩٤٥. فاز العمل بأول جائزة بولينجن في عام ١٩٤٨.

إرث مضطرب

أطلق أصدقاء باوند وزملاؤه الكتّاب حملة لإطلاق سراحه، وتكللت بالنجاح في النهاية عام ١٩٥٨. عاد باوند إلى إيطاليا على الفور، ودون أيّ ندم على ما يبدو، حين أدى تحيّة فاشية عند وصوله إلى نابولي. عاش مع دوروثي وابنته ماري مدةً في تيرول، ثم عادوا إلى رابالو حيث انضمت إليهم أولغا في علاقة ثلاثية مضطربة، حتى غادرت دوروثي في النهاية إلى لندن لتعيش مع ابنها عمر.

كان باوند طوال عقد الستينات رجلا مُحطمًا، يعاني من الاكتئاب والشك بالذات، وقد منعته صحته المتدهورة من الكتابة بعد عمله «مسوَّدات وأجزاء: كانتوس CX-CXVII». تلطّخت سمعته كذلك بسبب آرائه الفاشية الصريحة، وكانت الآراء (وما تزال) منقسمة حول حجم الإشادة التي يجدر بالشاعر عزرا تلقيها. تُوفي باوند في اليوم التالي لعيد ميلاده السابع والثمانين، حينما كان مع أولغا في مدينة البندقية.

معتقدات فاشية

فقد المجتمع الغربي في نظر عزرا طريقه ثقافيا واقتصاديا وسياسيا بعد الحرب العالمية الأولى. وآمن أن الخلاص يكمن في مبادئ المجتمع الوطني (الوحدة في صراعها ضد البرجوازية) التي اعتنقها موسوليني في إيطاليا. أما في ألمانيا فقد كان عزرا شاكًا في شعارها الفاشيّ في بادئ الأمر، لكن تطلعات موسوليني بدأت تلتقي أكثر مع تطلعات هتلر في منتصف الثلاثينات، واتَّبع عزرا هذه الدعوى. وبدأ يرى «الربا» اليهودي يمثل تهديدًا وجوديًا ودافع علانيةً عن حق ألمانيا وإيطاليا في حكم الشعوب «الوضيعة» لشرق أوروبا وآسيا وإفريقيا. تخلى عزرا عن موقفه فيما بعد، في الأقل ظاهريا، واعترف بأنّ «أفدح خطيئة ارتكبها كانت غبية، ومتحيّزة بتطرف في معاداة السامية».



أدولف هتلر وهو يقف بجوار بينيتو موسوليني

أبرز أعماله:

١٩٠٨	١٩١٥	١٩٢٠	١٩٢٥	١٩٤٨	١٩٦٩
With Tapers Quenched: أول دواوين عزرا، ونشره على نفقته الخاصة.	كاثي: تتألف هذه المجموعة من نُسخٍ من الشعر الحر لترجمات إرنست فينولوسا لقصائد صينية.	هيو سيلوين موبرلي (Hugh Selwyn Mauberley): يُعدُّ هذا العمل نقطة تحول في مسيرة باوند المهنية، عندما غادر إنجلترا إلى أرض أوروبا.	نُشرت في هذه السنة أول مجموعة من قصيدة عزرا الملحميّة The Cantos بعنوان مسوَّدة الأغاني XVI.	The Cantos LXXIV-LXXXIV: كُتب هذا العمل عندما كان عزرا محتجزًا لدى القوات الأمريكية قرب مدينة بيزا، ونشر بعنوان الأغاني البيزيّة.	نُشر في هذه السنة الجزء الأخير غير المكتمل من قصيدة The Cantos بعنوان مسوَّدات وأجزاء: الأغاني CXVII-CX.

د. هـ. لورانس

(١٨٨٥-١٩٣٠) إنجليزي.

قدحت كتابات لورانس شرارة ادعاءات الفُحش ومعاداة النزعة المادية، ومنعت الرقابة نشرها مرارًا وتكرارًا، ولم يختلف الحال كثيرًا مع حياته الشخصية الدرامية التي تُعدّ فضائحيّة على نطاق واسع.



كتب ديفيد هربرت لورانس في حياته القصيرة اثنتي عشرة رواية، وعددًا من القصص القصيرة، وقرابة ثمان مئة قصيدة، ومسرحياتٍ ونصوصًا غير روائية. غالبا ما يُشاد بلورنس واحدًا من أفضل كُتّاب الأدب الإنجليزي الحديث لاستحضاره المؤثر للعالم الطبيعي وتصويره الصريح للتغيير الاجتماعي والعلاقات الأُسريّة والجنسيّة وتعقيدات الرغبة.

ترسم روايته «أبناء وعشّاق (١٩١٣)» -التي كانت شبه سيرة ذاتية- صورة نابضة بالحياة عن حياته المبكّرة في مجتمع التعدين الفقير في إيستوود، وعن والديه آرثر وليديا.

التشجيع والشدائد

بعد تعرّضه للتنمر في المدرسة بسبب بُنيته الضعيفة، أصبح لورانس صديقًا لجيسي تشامبرز، وهي فتاة تعيش في مزرعة هاغز بالقرب من منزل لورانس. وجد فيها صديقًا مُقرّبًا ومُلهمًا ونظيرا على المستوى الثقافي، وعثر في مزرعة هاغز ومحيطها «حافزه الأول للكتابة». نزلت أول صاعقة على رأس لورانس بوفاة أخيه المفاجئة في عام ١٩٠١، ثم بتدهور حالته الصحية بسبب الالتهاب الرئوي، لكن هذه السنة حملت في طيّاتها كذلك بداية عمله مدرسا للطلاب، وبدأ لاحقا بكتابة روايته الأولى «الطاووس الأبيض».

غادر لورانس في عام ١٩٠٦ إلى نوتنغهام للدراسة من أجل نيل شهادة تخوّله التعليم. أما التقدم المفاجئ في مسيرته الأدبية فقد حدث مع إرسال جيسي بعض أشعاره إلى Ford Madox Huffer، المحرر في مجلة The English Review الذي حفّز تشجيعه طموح لورانس. لكن هذا التقدم قد تعثّر: أولا بالتهابه الرئوي، ثم بوفاة أمه المحبوبة، وبسلسلة من العلاقات غير المدروسة التي دفعته إلى التخلّي عن وظيفته التعليميّة والعودة إلى إيستوود.

بدأ لورانس في عام ١٩١٢ بلقاء فريدا -زوجة أستاذه السابق وأمٍ لثلاثة أطفال- إسبوعيًا. ثم أُغرم أحدهما بالآخر بعشق مشبوب فهربا في غضون أشهر إلى أوروبا. طوّق الاعتلال الصحي والفقر علاقتهما التي استمرت حتى وفاة لورانس، الذي اكتشف معها نزعته للكتابة. سافر الاثنان كثيرًا، ونشر لورانس أول مقالاته عن الحياة في الخارج؛ «الشفق في إيطاليا (١٩١٦)». ومع عودتهما إلى بريطانيا، كانت بريطانيا ترزح في ظلال الحرب، وأثارت جنسية فريدا الألمانية الشكوك. أكمل لورانس أثناء انعزاله في كورنوال رواية «قوس قزح (١٩١٥)» التي حُظرت. واصل لورانس، بروح التحدي، العمل على رواية «نساء عاشقات».

وفي عام ١٩١٩، غادر الزوجان بريطانيا ليعيشا حياة ترحال دامت لأكثر من عقد، ووصف لورانس هذه الرحلات بأنها «حج همجيّ». أخذَهم ضجرهم بعيدًا وعلى قدر ما يسمح به الأفق لهم قاطعيْن أوروبا إلى سريلانكا والأمريكيتين وأستراليا. ظلّ لورانس مغتربًا باستثناء ثلاث زيارات قصيرة إلى موطنه، ومع ذلك فقد ظل منشغلا ببريطانيا ونظامها الطبقي وأناسها، وعبر عن ذلك كله في روايته الأخيرة «عشيق الليدي تشاترلي».

جيسي تشامبرز

كانت جيسي تشامبرز صديقة لورانس وملهمته، وزوّدته بالأساس لكتابة شخصية ميريام ليفيرز في رواية «أبناء وعشّاق»، ونشرت لاحقا قصة حياة لورانس في طفولته وشبابه في كتاب D. H. Lawrence: A personal Record

«يُسممك المالُ حين تملكه وتتضور جوعًا حين تعتازه»

لورانس – عشيق الليدي تشاترلي.

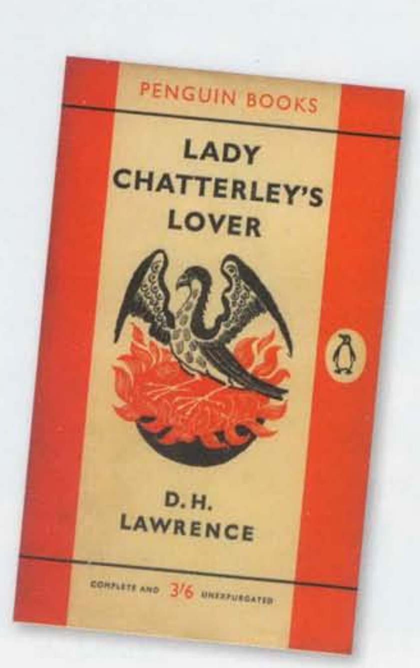
الكتابة بالعاميّة

قدّمت روايات لورانس مجموعة من شخصيات أهالي نوتنغهامشاير، الذين نفثَ خاطبهم العاميّ ومصطلحاتُهم المقفّاة الروحَ في جسد حياة كاتبها التي صوّرها في قرى وبلدات التعدين حيث عاش ردحًا من عمره. وحاكى لورانس أيضًا معرفته باللُكنة المحلية في كتاباته واستخدمها بمنتهى الدقة فيها، الأمر الذي امتدّ إلى الشعر الذي كتب بعض قصائده بالعامية، مما أتاح له ليبعث بالنشاط في صعوبات الحياة اليومية الموصوفة بشعره بطرافة، فعلى سبيل المثال في قصيدة «الكوز المستنزف» يكتب:

«Tha thought tha wanted ter be rid o' me
Appen tha did, an' a'»

الفكرةُ أنها أرادت التخلص مني
وفعلتْ غيرها دون تباطؤ

عمّال مناجم من نوتنغهام كوليري في طريق عودتهم إلى المنزل بعد العمل.

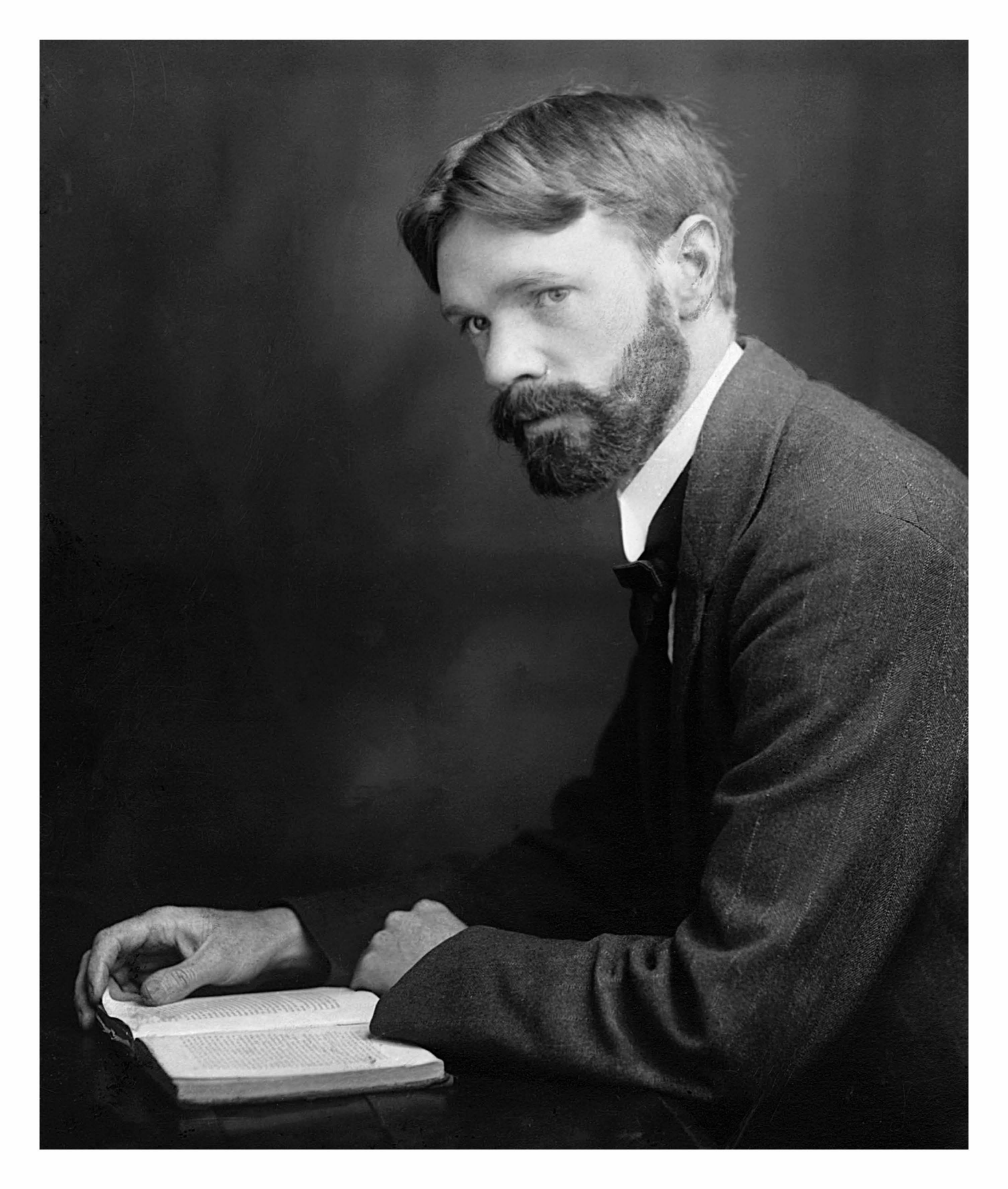


عشيق الليدي تشاترلي

تتمحور القصة حول علاقة غرامية بين السيدة أوتولين موريل ونحّات شاب. خضعت الرواية لرقابةٍ شديدة بسبب مشاهدها ولغتها الجنسية، لكنها نشرت أخيرا كاملة دون تنقيح في عام ١٩٦٠ من دار بنغوين للنشر.

د. هـ. لورانس

على الرغم من استمرار الحالة الصحية السيئة، فقد كان لورانس كاتبًا غزير الإنتاج. غالبا ما كانت أعماله شبه سير ذاتية على نحو كبير، وكثيرا ما كان يشير إلى سنواته الأولى في نوتنغهامشاير. توفي لورانس بسبب مضاعفات مرض السل في فينس بفرنسا عن عمر يناهز الرابعة والأربعين عامًا.



رايموند تشاندلر

(١٨٨٨-١٩٥٩) أمريكي.

كان تشاندلر أجودَ كتّاب أدب الجريمة في جيله وأيّ جيل آخر. ولخّصت شخصية التحرّي الخاص الصارمة «فيليب مارلو» صورة الفلسفة الكلبيّة وتشاؤمية عصر الكساد الأمريكي.

وُلدَ رايموند ثورنتون تشاندلر عام ١٨٨٨ في شيكاغو، ابنا لمهندس سكك حديدية سكّير. انفصل والداه وانتقل الصبي إلى بريطانيا مع والدته الأيرلندية المَولد. استقر تشاندلر مع والدته في لندن، حيث قصدَ كلية دولويتش. كان تلميذًا نجيبًا، كما اجتاز اختبارات «الخدمة المدنية» بعد مغادرته المدرسة، وحصل على وظيفة في الأميرالية البحرية لكنه غادرها قبل أن يُتم عامه الأوّل فيها.

غير متأكد من توجهه، عمل تشاندلر في وظائف مختلفة مددًا وجيزة من بينها صحافيًا في Daily Express، قبل أن يشد الرحال عائدًا إلى أمريكا في عام ١٩١٢. استقرَّ تشاندلر في السنة التالية في لوس أنجلوس وعمل في عدة مهن من ضمنها مثبّت أوتار مضارب تنس، وقاطف فواكه. انخرط تشاندلر في حملة القوة الكندية عندما تدخلّت أمريكا في الحرب العالمية الأولى، وخدم في فرنسا بعد هدنة إيقاف الحرب، ثم عاد مجددًا إلى لوس أنجلوس.

من التجارة إلى مجلات اللب

وجد تشاندلر بعض الاستقرار عندما التقى بيرل «سيسي» باسكال، وكانا ارتباطهما بعيد الاحتمال – كانت سيسي مطلقة لمرتين وتكبره بثماني عشرة سنة- لكنهما تزوّجا في عام ١٩٢٤. في ذلك الحين، كان تشاندلر يعمل لدى شركةٍ نفطيّة، ثم انتقل من محاسب إلى منصب نائب رئيس الشركة. سارت الأمور على نحوٍ جيد حتى عام ١٩٣٠، عندما بدأ الزواج بالفشل وأصاب الكساد عمل تشاندلر التجاري. شرع تشاندلر في معاقرة الخمر وخوض العلاقات مع النساء، ثم أُقيل عام ١٩٣٢. قرأ تشاندلر خلال هذه المرحلة الكئيبة من حياته مجلات اللب (قصص الإثارة الرخيصة) لأنها كما يصفها «رخيصة بما يكفي للتخلص منها». واعتمادًا على خبرته الصحفية، ابتدأ تشاندلر بالكتابة لمجلات القصص، ونُشرت أولى قصصه في مجلة «القناع الأسود» في عام ١٩٣٣، وقوبلت باستحسان. وهكذا، وفي سن الخامسة والأربعين، عثر تشاندلر على مهنته. لاءمت كتابات تشاندلر على نحو مناسب النوع الأدبي الجديد من قصص التحري، فقد كانت ذات أسلوب قاسٍ- حيث الإيجاز والمباشرة، الشكل الذي عكَس الممنوعات والجريمة المنظّمة المُصاحبة له. سطع نجم هذا الأسلوب في عشرينات القرن الماضي، وكان من روّاده الأوائل كارول جون دالي وداشيل هاميت، لكن تشاندلر ارتقى به إلى مستوًى جديد. دائما ما كان البطل في هذه القصص المثيرة متحريًّا خاصًا. فقد اشتهرت شخصية رايس وليمز مع دالي، وشخصية سام سبايد مع هاميت، لكن شخصية تشاندلر التحري فيليب مارلو بزَّ الشخصيتين السابقتين. فقد كان فيليب مارلو نوعًا من ضديد البطل (من سمات تيار الحداثة) وعاشقًا مكدومًا، الذي يُمكن أن يكون لطيفًا مع حياة الضحايا لكنه شديدٌ وعنيدٌ مع الأشرار العنيفين الذين يواجهونه.

الروايات والكتابة السينمائية

استخلص تشاندلر فكرة أولى رواياته، «السبات الكبير The Big Sleep»، من قصتين منشورتين له في مجلة «القناع الأسود»، ونُشرت الرواية عام ١٩٣٩. حقّقت الرواية نجاحًا فوريًا، ونُقلت بسهولة إلى السينما، وسرعان ما أصبح مطلوبًا كاتبَ سيناريو كذلك. أما أعظم إنجازاته في هذا المجال الجديد فكان الفيلم السوداوي الكلاسيكي «العوضُ المضاعف The Double Indemnity»، والذي اشترك مع بيلي وايلدر في كتابته. كتب تشاندلر سبع روايات قبل أن يستسلم من جديد لإدمان الكحول حتى آخرَ حياته. تحوّلت جميع رواياته إلى أفلام باستثناء واحدة، وجميعها روايات جديرة بالقراءة.

◄ **السبات الكبير**

تألق همفري بوجارت بدور فيليب مارلو في فيلم هوارد هوكس المقتبس من رواية السبات الكبير (١٩٤٦). لقد كان الوسيط المثالي لحوار مارلو المتألق والمليء بالحكايات المتشائمة، كما يليق برجل رأى العالم في أسوأ حالاته ولم يتوقّع رؤية شيءٍ أفضل.

◄ تشاندلر مع تاكي، أربعينيات القرن العشرين

يظهر تشاندلر هنا مع قطته المحبوبة، تاكي، والتي أشار إليها على أنها «سكرتيرته». كان يتخيل باعتزاز تاكي وهي تنظر للأعلى وكأنها تقول: «الأشياء التي تفعلها مضيعة للوقت يا صاح».

القناع الأسود Black mask

تأسست مجلة «القناع الأسود» في عام ١٩٢٠، وكانت مجلة الخيال الرائدة في ذلك الوقت، إذ كانت منفذ الكتّاب الذين سطع نجمهم في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي. ظهر فيها كتّاب مثل بول كاين، وداشيل هاميت، وإيرل ستانلي غاردنر. كان تشاندلر من القرّاء المعجبين للمجلة، حيث قال: «كانت بعض الكتابات... قويّة وصادقة». ظهرت العديد من قصصه في مجلة القناع الأسود، بما في ذلك أول قصة له: «المبتزّون لا يطلقون النار The Blackmailer Do not shoot». استمرّت المجلة في الطباعة حتى عام ١٩٥١.



طبعة مجلة القناع الأسود لشهر كانون الثاني/ يناير عام ١٩٣٦





ت. س. إليوت، ١٩٥٩
بحلول وقت التقاط هذه الصورة، كان ت. س. إليوت قد أصبح واحدا من أكثر الشعراء احتفاءً وتكريما في التاريخ، وذلك بعد منحه وسام OBE، وجائزة نوبل في الأدب، وميدالية دانتي الذهبية، وجائزة غوته.

ت. س. إليوت

(١٨٨٨-١٩٦٥) أمريكي.

ساعد شعر إليوت في تشكيل الحركة الحداثية، وعبّر عن خيبة الأمل المخيمة على العصر. لكن غالبًا ما لبّدت حياةَ الشاعر الشخصية غيومُ التعاسة، وفي بعض الأحيان القلقُ والاكتئاب.

بهذه الطريقة ينتهي العالم بهمسة لا دَويّ

إليوت – المُقدَّسون

وُلد توماس ستيرنز إليوت وتشكّلت هويته – من وجهة نظره- في طفولته في سانت لويس بولاية ميسوري الأمريكية، لكنّه حوّل نفسه لاحقا إلى أديب وناشر وكاتب مسرحي مقرّه لندن. تبنّى إليوت -وهو الرّجل متعدّد اللغات والحاصل على درجاتٍ علمية من جامعة هارفارد في الأدب المُقارن والفلسفة- الفوضى والتشظّي في شعره المدروس، موازنًا بين الغنائية وإيقاع الكلام وبين المراجع الأكاديمية.

من الولايات المتحدة إلى إنجلترا

كان إليوت، سَمِيُّ جده لأمه، آخر الأطفال الستة الذين بقوا على قيد الحياة المولودين لرجل الأعمال الناجح هنري وزوجته شارلوت، التي كتبت الشعر.

كشف إليوت عن طبيعةٍ مُحبّة للكتب في سن مبكّرة: يعزو كتّاب سيرته الشخصية هذا الأمر جزئيًا إلى الفتق الخلقي الذي حرمه من النشاط البدني الكثير، ما جعل الصبي يركّز على الأدب. بدأ إليوت بكتابة الشعر بسن الرابعة عشرة وأخذ الأمر منه سنوات ليطوّر أسلوبه، ولم تظهر أول قصائده المُبهرة المكتوبة «أغنية حب ج. ألفرد بروفروك» إلا بعد ثلاث عشرة سنة (في عام ١٩١٥ - أمريكا).

قبلَ إليوت بعد الدراسة في هارفارد والسوربون في فرنسا بزمالة دراسة في كلية ميرتون - أوكسفورد في عام ١٩١٤ وقتَ نشوب الحرب العالمية الأولى. وغالبًا ما هرب إليوت إلى لندن مشتكيًا من الحياة الأكاديمية الخانقة ويقول «لا أحب شعور كوني ميّتًا». التقى في العاصمة الإنجليزية رفيق درب والمنافح عنه الشاعر الأمريكي عزرا باوند، الذي عاش في منفًى اختياري. تعاون الاثنان على نطاق واسع جدًا، تشارك الاثنان الأهداف واستفادا من تجربة بعضهما من أجل الكتابة والترويج لشعر الحداثة.

تعرّف إليوت عام ١٩١٥ على فيفيان هاي وود التي كانت تعمل مُربّية أطفال لعائلةٍ في كامبريدج، وتزوّجا بعد ثلاثة أشهر فحسب. زعزعَ استقرار هذا الاتحاد نشوب الجدال والأزمات -والذي كثيرًا ما كان يُغذّيه ضعف صحّة فيفيان الجسدية و(وفقًا لبعضهم) العقلية- وانتهى الأمر بانفصالهما عام ١٩٣٣. بيد أن علاقتهم المختلة هذه قد حفّزت، وبلا شك، إبداعَ إليوت، لا سيما في أشهر أعماله قصيدة «الأرض اليباب (١٩٩٢)» التي بدأ بكتابتها مع تعافيه من نوبة اكتئاب. بُنيت القصيدة على نحو فضفاض حول أسطورة الكأس المقدسة، وتضم إشارات إلى الأدب الكلاسيكي من شتى الثقافات. تميّزت بغموضها وصعوبتها المقصودة، وكانت علامة بارزة في الحداثة، بالإضافة إلى كونها واحدة من أكثر النصوص الكتابة تأثيرًا في القرن العشرين.

نجاح النشر

عندما نُشرت قصيدة «الأرض اليباب»، أسس إليوت مجلة Criterion التي قُدّر لها أن تصبح مجلةً أدبيّة مُهمّة، وبعد ذلك بعامين، ترك وظيفته المعتادة في أحد المصارف ليصبح مديرا لدار النشر Faber & Gwyer (سُميت لاحقا Faber & Faber). وهنا، عثر إليوت على حِرفته الحقيقية، وعمل على مدار أربعة عقود على النشر والترويج لأعمال كتّابٍ مثل و. ه. أودين، وعزرا باوند، وتيد هيغز، بالإضافة إلى أعماله. اشتهر كذلك بمماطلته في نشر رواية جيمس جويس «يوليسيس» ورفضه لرواية أورويل الرمزية «مزرعة الحيوان».

السنوات الأخيرة

حصل إليوت عام ١٩٢٧ على هوية المواطنة البريطانية. وصف هويته المزدوجة لاحقا بأنها مفتاح نجاحه: «لم أكن لأصبح ما أنا عليه لو أنني وُلدت في إنجلترا، ولم أكن لأصبح ما أنا عليه لو أنني بقيت في أمريكا». كان لديه كذلك رفيقتان أكثر أهمية، وتزوج في نهاية المطاف من إسمي فاليري فليتشر التي كانت تصغُره بثمانية وثلاثين عامًا. بعد ثماني سنوات، توفي متأثّرًا بانتفاخ الرئة، وُنثرَ رماده في قرية أسلافه، إيست كوكر، التي ظهرت في قصائده «الرُّباعيّات الأربع».

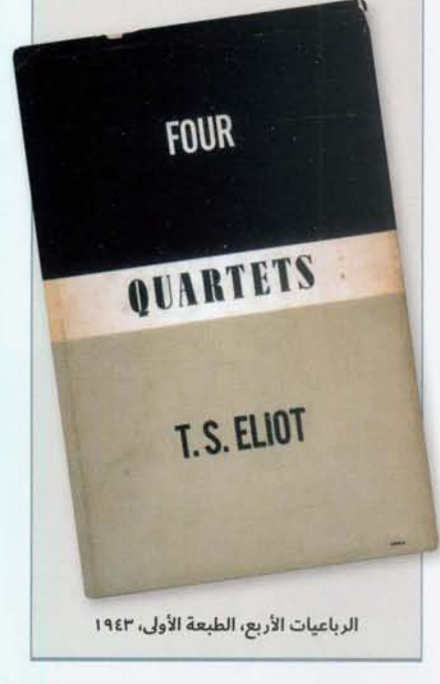


▼ **شاعر وناشر**

يحضر ت. س. إليوت (أقصى اليسار) اجتماع مجلس الإدارة في دار النشر Faber & Faber في لندن بتاريخ ٢٥ آذار/ مارس ١٩٤٤، وذلك لمناقشة أفضل السبل لنشر حصصهم الورقية في زمن الحرب.

الإيمان والشعر

نشأ إليوت في عائلة توحيدية، وسُرعان ما أدرك أن بالإمكان تطويع قيم الإيمان المُتزمّتة لتكون قوّةً للمصلحة الاجتماعية. تعرّف في الجامعة على شريحة عريضة من أنظمة المعتقدات والأديان الشرقية والغربية، إلا أنّ تحوّله عام ١٩٢٧ إلى الأنجلو كاثوليكية، وهي فرع أرثوذكسي من الأنجلياكانية، قد صدم العديد من مُعاصريه الحداثيين الذين كان أيُّ دين تقريبا في نظرهم ملعونًا. أثّرت مُعتقداته في مواضيعه الشعرية اللاحقة، لا سيما «الرباعيات الأربع»، والتي تتكون من أربع قصائد مترابطة نُشرت على مدار ست سنوات، ركّزت على علاقة الفرد بالزمن، والكون، والإلهي.



الرباعيات الأربع، الطبعة الأولى، ١٩٤٣



جين ريس، ١٩٢١
صُوِّرت الشابة ريس هنا على يد المصورة المقيمة في لندن بيرل فيرمان، في الوقت الذي كانت تمارس فيه كتاباتها.

جين ريس

(١٨٩٠-١٩٧٩) دومينيكاتيّة.

عكَّر صفو حياة جين اليأسُ والنزوحُ وإدمانُ الكحول والدعارةُ، وشكَّلتْ ذاتُ المواضيع أعمالها الأدبية التي شجبت حالة المهمشين والمحرومين.

سطع نجم جين ريس في منتصف الستينات من القرن الماضي مع تحفتها الفنية «بحر سارغاسو الواسع»، التي تحكي فيها قصة خلفية السجينة (الخلاسية) «بيرتا مايسون»، شخصية الكاتبة شارلوت برونتي في رواية «جين إير (١٨٤٧)». وعن سلفها الأدبي تكتب جين (وهي أيضا الخلاسية): «لا بد من أنّ برونتي كانت تكنّ ضغينةً ما لجُزر الهند الغربية، وقد كنتُ غاضبةً بشأن ذلك. وإلا، فلمَ خلعت ذلك الجنون الرهيب على هِنديّة غربية؟». تضع التفاصيلُ الشخصية لتاريخ حياة ريس قرارها بـ «تبرئة المرأة المجنونة» في السياق.

التاريخ الاستعماري

وُلدت إيلا غويندولين ريس وليمز (لاحقًا جين ريس) في جزيرة دومينيكا عام ١٨٩٠، وهي ابنةٌ لأم كريولية وأبٍ ويلزي، وجدها الأكبر مالك أراضٍ استعماري، لذا أُطلق عليها في المدرسة لقب «الصرصور الأبيض». ولعب لون بشرتها الشاحب دورًا في جعلها غريبة و«تصلي لتكون سوداء» في الدومينيكان. ساهمت هذه الخلفية الاستعمارية ورفض أمها لها كونها مُنصفة بإفراط في خلق شعورها بالاغتراب؛ الثيمة التي شكّلت هاجس أعمالها الخيالية وسيرتها الذاتية غير المنتهية «ابتسم رجاءً (١٩٧٩)».

سافرت جين في عام ١٩٠٧ بسن السادسة عشرة -كانت جين متقنة لأشعار شيكسبير وديكنز وميلتون وبايرون- إلى إنجلترا لتعيش مع عمتها، التي سخطت من رفض ابنة أخيها أن تردّ بـ«الحماس الممتن لفتاة مُستعمَرة». استمرّت معاناة جين بعد أن أُطلق عليها في كامبريدج لقب «زنجية» وعيبَ عليها لُكنتها لذا فقد تكلمت همسًا. انحدرت حياة جين إلى الفوضى والتنقل ما بين لندن وباريس بعد فصلين دراسيين في أكاديمية الفن المسرحي في لندن في عام ١٩٠٨، والعمل مدة وجيزة فتاةَ جوقة. أضحت جين تعاني من حنينٍ إلى الكاريبي، ومُعدمةً، وبلا أصل، وغير مستقرة، لتدخل بعدها سلسلة من العلاقات الغرامية المُؤذية ثم أدمنت الكحول، وعملت مدة وجيزة في الدعارة. بدأت جين الكتابة صريحًا بعد رفضها من أحد عشاقها وهو المؤلف والمحرر فورد مادوكس فورد، وألّفت أعمالاً مغمومة مثل «مواقف Postures ١٩٢٨» و«بعد مغادرة السيد ماكينز ١٩٣١» و«رحلة في الظلام ١٩٣٤» و«صباح الخير منتصفَ الليل ١٩٣٩».

قوة التحدي

عرّت جين اللغةَ حتى بان عظمها، فأنتجت نثرًا غير مزخرف وذا وضوح عظيم وكان علامةً بارزة على قدرتها في خلق إحساس بالتوتر الرهيب والعاطفة الجيّاشة. امتازت رواياتها بعناصر الحداثة وما بعد الحداثة مثل تعدد وجهات النظر، وتقنيات تيار الوعي، وتضمّنت مواضيعَ متعددة مثل العلاقات الجندرية، والهُوية، والاضطهاد. ويلاحظ أحد النقّاد معلقًا بأن جين «تدمر بالتدريج... اللغة التي يحافظ بها الأقوياء على سيطرتهم». كانت كتاباتها في طليعة كتابات النظرية النسوية وما بعد الاستعمار منذ أوائل الثمانينيات. وتعد روايتها «بحر سارغاسو الواسع» على وجه الخصوص نصًّا رئيسيا لكتابة ما بعد الاستعمار، وتُدرّس في فصول الأدب عبر العالم لأسباب عديدة، منها التألق والتعقيد في ردّها على واحدة من الروايات الإنجليزية العظيمة.

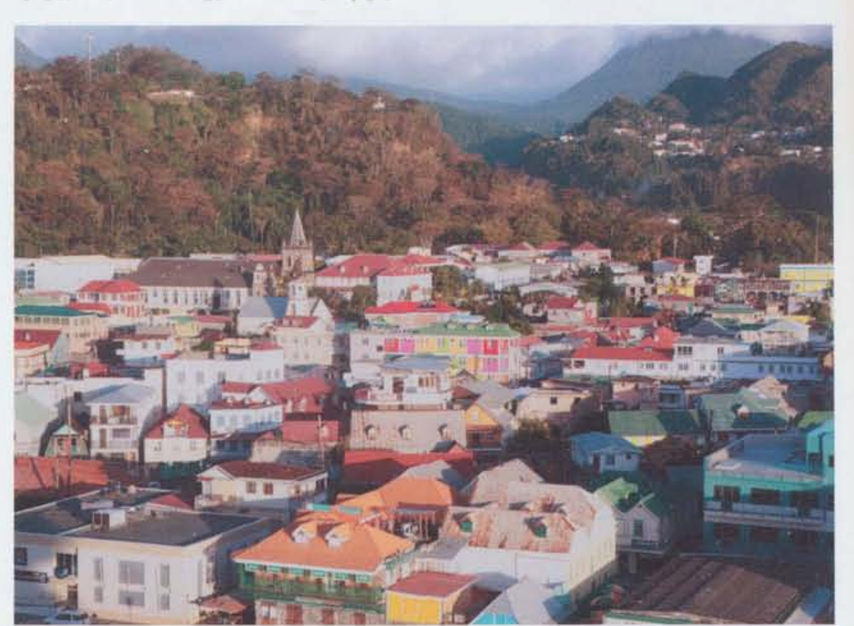
▶ فورد مادوكس فورد

كان للكاتب الإنجليزي تأثير كبير في الأدب في عشرينيات القرن الماضي عبر المجلات الأدبية التي حرّرها. دامت علاقته مع ريس سنةً ونصف السنة.

من الغموض إلى الشهرة

مرَّت حياة جين بأزمات متعددة فقد تزوّجت ثلاث مرات، وسُجن اثنين من أزواجها بسبب معاملات ماليّة مشبوهة، وتُوفي ابنها بعد ثلاثة أسابيع من ولادته، وقضت ابنتها مددا طويلة بعيدة عنها. ظلت حياة جين مليئة بالمتاعب في أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها، وشمل ذلك اعتقالات بتهمة السُكر، والتقييم النفسي، وقضاء مدة قصيرة في السجن.

عاشت بعدها قرابة عقدين أو أكثر في عزلة -اعتقد كثيرون أنها ميْتة- لكنها عادت إلى الظهور عام ١٩٦٦ بروايتها الشهيرة، بحر سارغاسو الواسع، التي استغرقت منها عقدين لتأليفها. نالت جين في السنة التالية جائزة W.H. Smith الأدبية المرموقة لكنها قالت بأن هذا التقدير «أتى بعد فوات الأوان». تُوفيت جين في دار لرعاية المسنين في إكستير عام ١٩٧٩؛ وحيدة ومُدمنة كحول.



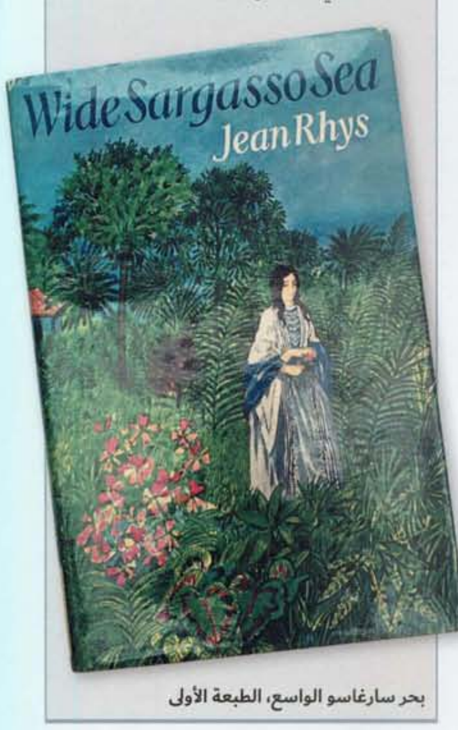
▶ روسو، دومينيكا

ولدت ريس في عاصمة دومينيكا في جزر الهند الغربية. كان مجتمعًا مُقسّمًا على أسس عرقية: لم تُلغَ العبودية في الجزيرة حتى عام ١٨٣٤.

القصة الأخرى: المجنونة في العليّة.

تُخبرنا رواية «بحر سارغاسو الواسع» قصة بيرتا مايسون، المرأة الخلاسية التي يحبسها زوجها، السيد إدوارد روتشيستر، في العليّة في رواية جين إير. تتزوج الوريثة الخلاسية في قصة جين ريس من الإنجليزي الفقير الذي يرث كل مالها ويأخذها من جامايكا إلى إنجلترا، حيث تنحدر حالتها إلى اليأس ثم الجنون في نهاية المطاف.

ارتبط جنون بيرتا مايسون في رواية برونتي بالمكان «غير المتحضّر» الذي ولدت فيه، أما ريس فهي تعيد كتابة جنون بيرتا الذي استهدفه زوجها المتوحش وبتعسّف القوة وبغربتها في بلدٍ معادٍ. لذلك فالنصُّ يعرضُ وجهة نظر بديلة لتشويش أنثوي والآخر الاستعماري، وتستخدم ريس أصواتًا سردية متباينة لتربك أيَّ إحساس بوجود حقيقة مركزية واضحة في النص. يؤكد السرد المتشظي كفاح المرأة «بيرتا» لإيجاد صوتها وأن تصنع إحساسًا لعالمها المكسّر- صرخة بعيدة عن التقدم المتزعزع والمنتقل من الفوضى إلى الاستقرار لبطلة برونتي «جين إير».



بحر سارغاسو الواسع، الطبعة الأولى

مارينا تسفيتايفا

(١٨٩٢-١٩٤١) روسيّة

شكّلت الحقبة التاريخية الهائجة في التحول من الحكم القيصري إلى السوفيتي الشمولي خلفية حياة تسفيتايفا غير المستقرة. وجدت سلواها في كتابة الشعر، مُتبَنِية أسلوبًا غنائيًا شخصيًا جدًا.

◀ **عذراء القيصر، قصيدة حكاية خيالية، ١٩٢٢**
تشتهر قصيدة مارينا تسفيتاييفا بالتغيرات السريعة في وتيرتها، وبناء الجمل غير المعتاد، والإشارات إلى الأغاني الشعبية الروسية.

وُلدتْ مارينا تسفيتايفا في موسكو عام ١٨٩٢ لعائلة من المفكرين. كانت أمها ماريا، عازفة البيانو المُحبطة، الزوجة الثانية لأستاذٍ في تاريخ الفن، وكان هذا سبب التوتر الدائم بين مارينا وإخوتها غير الأشقاء. دأبت العائلة على حياة التنقل، فارتحلت في أرجاء أوروبا: تلقّت مارينا تعليمها في إيطاليا وسويسرا وألمانيا.

درست مارينا التاريخ الأدبي في السوربون في باريس عام ١٩٠٨، ونشرت بنفسها في عام ١٩١٠ أوّلَ مجموعة شعرية «ألبوم المساء». انتقلت بعدها إلى القرم حيث انضمّت إلى حلقة أدباء تأسست في منتجع كوكتيبل في البحر الأسود. وهناك، التقت مارينا بسيرجي إيفرون، وهو شاعر وطالب عسكري في أكاديمية الضبّاط تزوّجته عام ١٩١٢. أنجب الزوجان طفلتين، إرينا وآليا، وعلى الرغم من زواجهما السعيد فإنّ هذا لم يمنع مارينا من إقامة علاقات غرامية وعلى رأسها علاقتها مع الشاعر أوسيب ماندليستام، وصوفيا بارنوك، وذلك عندما كان سيرجي بعيدًا يقاتل في الحرب الأهلية.

من موسكو إلى باريس

انتقلت تسفيتايفا وابنتاها إلى موسكو في عام ١٩١٧ يحدوهن الأملُ بلمّ شملهنّ مع سيرجي لكن عوضًا عن ذلك ألفين أنفسهن محاصراتٍ بالفقر والوحدة في مدينة تعاني من المجاعة. قررت مارينا أن تضع ابنتيها في ملجأ أيتام لحمايتهن. ماتت إرينا من الجوع في عام ١٩٢٠، وبعدها بسنة، اجتمعت مارينا وآليا بسيرجي الذي كان وقتها في برلين. استقرّت العائلة في نهاية المطاف في باريس عام ١٩٢٥ لكن حياة الراحة كانت بعيدة المنال، إذ بقيت العائلة تعيش في فقر، ورُزقت فمًا إضافيًا تطعمه بولادة الابن جيورجي في السنة ذاتها.

شرع سيرجي، وفي غفلة من مارينا، بالعمل في الشرطة السرية السوفيتية واتُّهم في عام ١٩٣٧ من قبل الشرطة الفرنسية بقتل سوفيتيّ منشق. هرب سيرجي إثر ذلك إلى الاتحاد السوفيتي منضمًّا إلى ابنته آليا، التي غادرت إليه في وقتٍ مبكر من تلك السنة. عندما عادت مارينا إلى الاتحاد في عام ١٩٣٩، وجدت أن من المستحيل الحصول على عمل ثابت، ناهيك عن ناشر.

أُعتقل بعد ذلك كلا من سيرجي وابنته آليا بتهمة الجاسوسية؛ أرسلت آليا إلى معسكر عمل؛ وأُعدمَ سيرجي. نزحت ماريا إلى بلدة Yelabuga أثناء الغزو الألماني لروسيا في عام ١٩٤١. مشردةً وبلا أيّ معنى من الحياة؛ شنقت ماريا نفسها في الحادي والثلاثين من شهر آب/ أغسطس عام ١٩٤١.

الإرث الأدبي

كان أفضل ما حفظَ تسفيتايفا في الأذهان مجلداتُ شعرها الغنائي، والتي استعرضت فيها علاقاتها الغرامية، وحبها غير المتبادل، وحياتها الداخلية بصدق وشغف. «لا أومن بالقصائد التي تتدفق ببطء بل أومن بأن لا بد لها أن تندفعَ من قلبك». تواجه في أعمالها بقوة شديدة مجموعة من الموضوعات المثيرة للجدل أحيانًا، كتبت في أعمالها متناولة بكثافة مُلتاعة سلسلةَ متنوعة من المواضيع الجدليّة ابتداءً من الجنسانية الأنثوية إلى وأد الرضّع إلى تجارب النساء في «سنوات روسيا الفظيعة».

ماكسيمليان فولوشين

كان الناقد والشاعر ماكسيمليان فولوشين من أوائل الداعمين لشعر تسفيتايفا، إذ أعجب بديوانها «ألبوم المساء» وتواصل معها، وسرعان ما أصبح مُرشدها. وأصبح منزله في كوكتيبل المطل على البحر الأسود، حيث كان يكتب ويرسم، ملجأ للأدباء والفنانين من شتّى المشارب السياسية، وكان من بين ضيوفه العديدين مكسيم غوركي، ونيكولاي غوميليوف. قدّم فولوشين تسفيتايفا إلى شاعر القصائد الرمزية ألكسندر بلوك وآنا أخماتوفا، اللذين كان لهما تأثير طويل استمر مدى الحياة في شعرها.



نصب فولوشين في كوكتيبل، القرم.

«ما الشيء الأساسي في الحب؟ أن تَعرف وتُخفي. تَعرف الذي تحبه، وتخفي أنك تُحبه»

مارينا تسفيتايفا – المنزل في بيمين القديمة.

◀ **مارينا تسفيتاييفا، ١٩١١**
التقطت هذه الصورة للشاعرة على يد صديقها ومعلمها ماكسيميليان فولوشين في منزله الكبير في كوكتيبل، القرم.



ف. سكوت فيتزجيرالد

(١٨٩٦-١٩٤٠) أمريكيّ.

اشتهرَ فيتزجيرالد بتصويره حياة الأمريكيين الأثرياء خلال عصر الجاز. ووصفت كتبه -بعضها سيرة ذاتية جزئيًا- بحيوية بهاءَ شخصياته الرائعة وما يشوبها من عيوب عميقة.

الطبعة الأولى

على الرغم من مكانتها اليوم واحدةً من أعظم الأعمال الروائية الأمريكية، فقد تلقت رواية فيتزجيرالد، غاتسبي العظيم، آراء متباينة عند نشرها لأول مرة، وكانت مبيعاتها المبكّرة مخيبة للآمال.

وُلدَ فرانسيس سكوت كي فيتزجيرالد في سانت باول، مينيسوتا عام ١٨٩٦ لعائلةٍ ثريّة. كانت والدته «مولي ماكويلان فيتزجيرالد» من عائلة إيرلندية ازدهرت ببيع مواد البقالة بالجملة. سُمّيَ فرانسيس سكوت كي على اسم كاتب نشيد «الراية الموشّحة بالنجوم (النشيد الوطني الأمريكي)، أحد أقربائه من جهة والده.

التحق فيتزجيرالد بالعديد من المدارس الكاثوليكية المتنوعة ثم بجامعة برينستون حيث أصبحَ عضوًا في نادي تراينجل الاجتماعي البارز (مجتمع مسرحي أدّى مسرحيات هزلية موسيقية)، وكتب رواية رُفضتَ من قبل ناشري نيويورك Charles Scribner's Sons. لمعَ اسمُ فيتزجيرالد في حلقات برينستون الأدبية وكوّن علاقة طويلة الأمد مع الكتّاب الشباب، مثل إدموند ويلسون الذي أصبح ناقدًا أدبيًا بارزًا. ووقع أيضًا بغرام شابة شيكاغو الأرستقراطية «جينيفرا كينغ» في أول ظهور اجتماعي لها، والتي أصبحت نموذجًا للعديد من الشخصيات النسائية في رواياته، من ضمنها ديزي في رواية «غاتسبي العظيم».

سكوت وزيلدا

تسبب نشاط فيتزجرالد الأدبي وحبُه غير المتبادل لكينغ سكوت في تشتيته عن الدراسة، فترك جامعة برينستون عام ١٩١٧ دون إنهاء فصله الدراسي، وانضمّ إلى الجيش. توقّع فيتزجيرالد أن يقاتل في الحرب العالمية الأولى لكنَّ الصراع انتهى قبل أن يُرسل إلى الجبهة وبقي متمركزًا في الولايات المتحدة الأمريكية. التقى فيتزجيرالد هذه المدة بزيلدا ساير، ابنة قاضي المحكمة العليا في ألاباما، وخُطبَ الاثنان لبعضهما.

حصل فيتزجيرالد على وظيفة مروج إعلانات، أملًا في جني مالٍ كافٍ لزواج زيلدا، لكنها فسخت الخطوبة، ويعود ذلك جزئيًا إلى أنه لم يكن ثريًا بما فيه الكفاية. عاد فيتزجيرالد بعدها إلى سانت بأول، وعمل في تصليح أسقف السيارات، وركّز على كتابة روايةٍ مبنيّة على تلك التي كتبها في برينستون. اختار لروايته عنوان «هذا الجانب من الفردوس This Side of Paradise»، ونُشرت في عام ١٩٢٠. تحكي الرواية قصة شاب قصد برينستون، وخدم في الجيش، ورُفضَ من قبل المرأة التي أحبها

ف. سكوت فيتزجيرالد، ١٩٢٨

التقطت هذه الصورة له وهو في ذروة شهرته. كان فيتزجيرالد معروفًا للجمهور على أنه زير نساء مستهتر. لكن على الرغم من سمعته في الشرب والحفلات، فقد كان كاتبًا دقيقًا يراجع نصوصه وينقحها بتكرار.



ماكسويل بيركنز

عمل المحرر ماكسويل بيركنز (١٨٨٤-١٩٤٧) لدى ناشر نيويورك Charles Scribner's Sons منذ سنة ١٩١٠ وحتى وفاته. عندما بدأ العمل في الشركة، كانت لا تنشر في معظم الأحيان إلا لمؤلفين معروفين، لكن ماكسويل كان يتمتع بعبقرية تسليط الضوء على المواهب الجديدة، وكان أول من نشر لفيتزجيرالد، وإرنست همنغوي، وتوماس وولف والعديد من الأدباء الأمريكيين المعروفين. لم يكن هذا السلوك المتبع من قبل ماكسويل مألوفا في ذلك الوقت، إذ لم يكن الناشرون يمنحون الكتّاب الواعدين فرصة. كان ماكسويل رائعا كذلك في مساعدته مؤلفيه على تحسين أعمالهم، وتجويد التفاصيل، وإنتاج بُنى سردية أفضل، وحذف المواد غير المرتبطة بالعمل. لقد كان له تأثير دام طويلًا على الكتابة والنشر في الولايات المتحدة الأمريكية.

بيركنز في مكتبه

> «لذا فقد جدَّفنا، والقوارب عكس التيار، عائدين وبلا توقف إلى الماضي»
>
> **غاتسبي العظيم - فيتزجيرالد.**



▲ **عائلة فيتزجيرالد في إيطاليا**

يظهر سكوت فيتزجيرالد وزوجته زيلدا وابنتهما سكوتي في الصورة هنا في إيطاليا. ومثل العديد من أبناء كتّاب «الجيل الضائع» الأمريكيين، سافر فيتزجيرالد كثيرًا وعاش في الخارج.

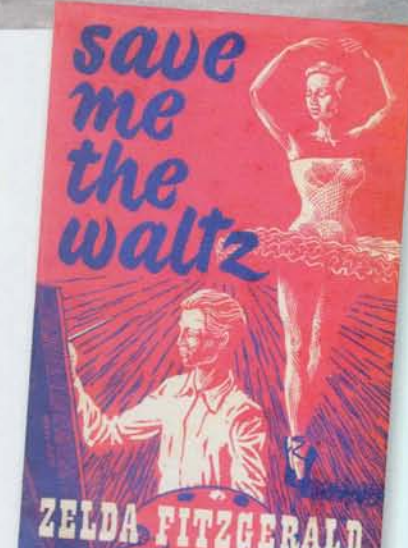
لصالح منافسٍ أغنى. كانت المبيعات الجيدة للرواية إيذانًا ببدء مسيرة فيتزجيرالد الأدبية. كان قد أظهر لزيلدا أنّ بإمكانه جني مالٍ لا بأس به من الكتابة، وتزوّجَ الاثنان بعد ذلك بمدة قصيرة.

وظهرت روايته الثانية «الجميلة والملعون The Beautiful and Damned» في عام ١٩٢٢، وكانت عن زوجين فتيين فاتنين انحدرا نحو إدمان الكحول وهما في انتظار أن يرثا ثروة. لم تلقَ روايته هذه نجاحًا كسابقتها لكنّ الشهرة التي جلبتها روايته «هذا الجانب من الفردوس» مكّنت فيتزجيرالد من طلب أجور عالية لقصصه القصيرة، وظهرت العديد منها في مجلات مثل The Saturday Evening Post وCollier's Weekly.

كانت رواية «الجميلة والملعون»، إلى حد ما، بمثابة تحذير فيتزجيرالد لنفسه. كان قد أسرف هو وزيلدا في شرب الكحول، وانتقلا إلى فرنسا هربًا من ضغوط الحياة في أمريكا، وأصبحا عضوين بارزين في مجتمع المغتربين في منطقة ريفيرا. استقرّا بُعيدها في فرنسا، وأكمل فيتزجيرالد أشهر رواياته، «غاتسبي العظيم»، في عام ١٩٢٥. تناولت الرواية مجموعة جيران أثرياء في لونغ آيلاند، وركّزت على شخصية جاي غاتسبي وحبه للجميلة ديزي فوتشانان. تعد الرواية عملًا استجوابيًا للحلم الأمريكي، الذي تُكسف فيه شمس الثروة والحياة العصرية والرونق بشرب الكحول والزنا والموت العنيف. لخّصت رواية غاتسبي العظيم نضوج أسلوب فيتزجيرالد بحيويتها، وأوصافها الغنائية أحيانا، واستخدامها الفني للسارد نيك مراقبًا منبهرًا وبريئًا

شرب الكحول والانحدار

ارتكزت قصص فيتزجيرالد على الأبطال الواعدين الذين انحدروا نحو الأسى من خلال الضعف والفساد وشرب الكحول؛ كانت حياته الشخصية تسلك مسارًا مشابهًا. كان كثير الشرب، وجعلته الحياة المُسرفة التي كان يعيشها برفقة زوجته في باريس في حاجة دائمة إلى المال. كان محرره «ماكسويل بيركنز»



▲ **شاركني هذا الفالس**

وقتما كانت تتعافى زيلدا، زوجة فيتزجيرالد، من إحدى نوبات مرضها العقلي؛ كتبت روايتها الخاصة، والتي نُشرت عام ١٩٣٢ باسم Save Me the Waltz. انزعج فيتزجيرالد من الرواية شبه سيرة الذاتية لحياة زيلدا، ليس بسبب انتهاكها خصوصيته، ولكن لأنه رأى بأنها استخدمت ما عدّه مادة فنية خاصة به.

أبرز أعماله:

١٩٢٠
هذا الجانب من الفردوس: نُشرت هذه الرواية بمساعدة ماكسويل بيركنز، وبيع منها قرابة خمسين ألف نسخة وكان ذلك كفيلًا بأن يذيع صيت فيتزجيرالد.

١٩٢٢
الجميلة والملعون: أدرك فيتزجيرالد أنّه لن يكون ثريا حتى مع الدخل العالي للروايات الناجحة.

١٩٢٢
حكايات عصر الجاز: مجموعة قصصية ضمت قصة «ألماسة ضخمة كالريتز»، وهي حكاية رمزية حول مخاطر الثروة.

١٩٢٥
غاتسبي العظيم: يعد هذا العمل، وعلى نحوٍ كبير، أفضل أعمال فيتزجيرالد.

١٩٤١
الزعيم الأخير: رواية فيتزجيرالد الأخيرة وغير المكتملة. حرّرها صديقه إدموند ويلسون للنشر.

وقتما تشعر برغبة في انتقاد شخصٍ ما، تذكَّر فحسب أنَّ جميعَ الناس في هذا العالم لم يتمتعوا بالامتيازات التي تمتّعت أنت بها.

غاتسبي العظيم – ف. سكوت فيتزجيرالد.

وعميله «هارولد أوبر» يقرضانه المال بانتظام، وعندما رفض أوبر أخيرا الاستمرار في إقراضه، قطع فيتزجيرالد علاقته به.

ومع نهاية عشرينات القرن الماضي، بات من الجلي أنَّ صحة زيلدا العقلية هشَّة، وشُخِّصت في عام ١٩٣٠ بمرض الفِصام. زاد التوتّر، والحاجةُ للعناية بزيلدا، والفواتيرُ المتراكمة، الضغط على فيتزجيرالد، الأمر الذي كان يعني أنه بحاجة إلى نشر المزيد من القصص لتغطية التكاليف. عاد الزوجان إلى الولايات المتحدة، حيث وضعت زيلدا في مستشفى في ماريلاند، وبدأ فيتزجيرالد بالعمل على روايته التالية. لكنَّ حاجته إلى كتابة قصص مُربحة جعلت تقدّمه في الكتابة بطيئًا. دارت روايته «رقيق هو الليل»، والتي صدرت أخيرًا في عام ١٩٣٤، حول طبيب نفسي يقع في غرام إحدى مريضاته.

سنوات هوليوود

سبق وأن كتب فيتزجيرالد لبعض الأعمال السينمائية، ثم وقَّع في عام ١٩٣٧ عقد كتابة سيناريو مع Metro-Goldwyn-Mayer. تفاقمت حالة زيلدا سوءًا في هذه الأوقات، إذ أصبحت أكثر عُنفا، فأودعت في المستشفى على نحوٍ دائم. انتقل فيتزجيرالد بعدها إلى هوليوود، حيث عاش في جناح صغير يملكه الاستوديو، وعمل على الكثير من السيناريوهات، من بينها نسخة غير مُنتجة لفيلم ذهب مع الريح. لم تكن هذه المهنة تعجبه (شبَّه صانع الأفلام بيلي وايلدر حالة فيتزجيرالد بتعيين نحَّات عظيم للقيام بوظيفة سبَّاك)، إلا إنَّها وفرت له دخلًا جيدًا. دخل فيتزجيرالد خلال تلك المدة في علاقة مع كاتبة العمود الصحفية شيلا غراهام، والتي منحته المزيد من الرضا، لكن إفراطه في الشرب استمرَّ في تحفيز فورات عنف لديه في بعض الأحيان.

بدأ فيتزجيرالد في أثناء عيشه مع غراهام بالعمل على روايته الأخيرة: «الزعيم الأخير». تدور أحداث الرواية في هوليوود، وقد بُنيت شخصيّتها المركزية مونرو ستار؛ الزعيم نفسه في العنوان، على قصة مُنتج الأفلام «Irving Thalberg». بدا أنَّ كتاباته ترتقي إلى مستوى جديد، لكنَّ المنية وافته عام ١٩٤٠، وهو بسن الرابعة والأربعين، إثر نوبةٍ قلبية. وهكذا، بقيت الرواية غير مكتملة.

أحلام هشَّة

صوَّرت كل رواية من روايات فيتزجيرالد جانبًا من الحلم الأمريكي، مستعرضةً الهشاشة الحتميّة والطرق التي تخرج فيها حياة الناس عن مساراتها؛ تاركةً آمالهم غير محققة. ضمت العديد من أعماله كذلك عناصر سيرة ذاتية: كانت حياة فيتزجيرالد الشخصية مليئة بالإمكانات الهائلة؛ بخلفية عائلته الثرية، وتعليمه النخبوي، وعلاقته المقرَّبة بزيلدا، لكنه ورغم ذلك لم يحقق سوى إنجازاتٍ محدودة.

اشتهر فيتزجيرالد في حياته وحظيَ بسمعة المنغمس في الملذات لكنه يُعدُّ الآن واحدًا من أعظم روائي الولايات المتحدة الأمريكية. إن تمثيلاته الدرامية للحياة في الولايات المتحدة بأعلى مستوياتها وأدناها، وتصويره الحيّ «للجيل الضائع» في البلاد في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي، والجاذبية الدائمة لشخصياته؛ كانت كفيلة بإبقاء أعماله مطبوعة ومتداولة. لقد ألهمت رواياته، لا سيما رواية «غاتسبي العظيم»، العديد من الأفلام والأعمال المستوحاة منها.



▲ **شيلا غراهام، ١٩٤٥**

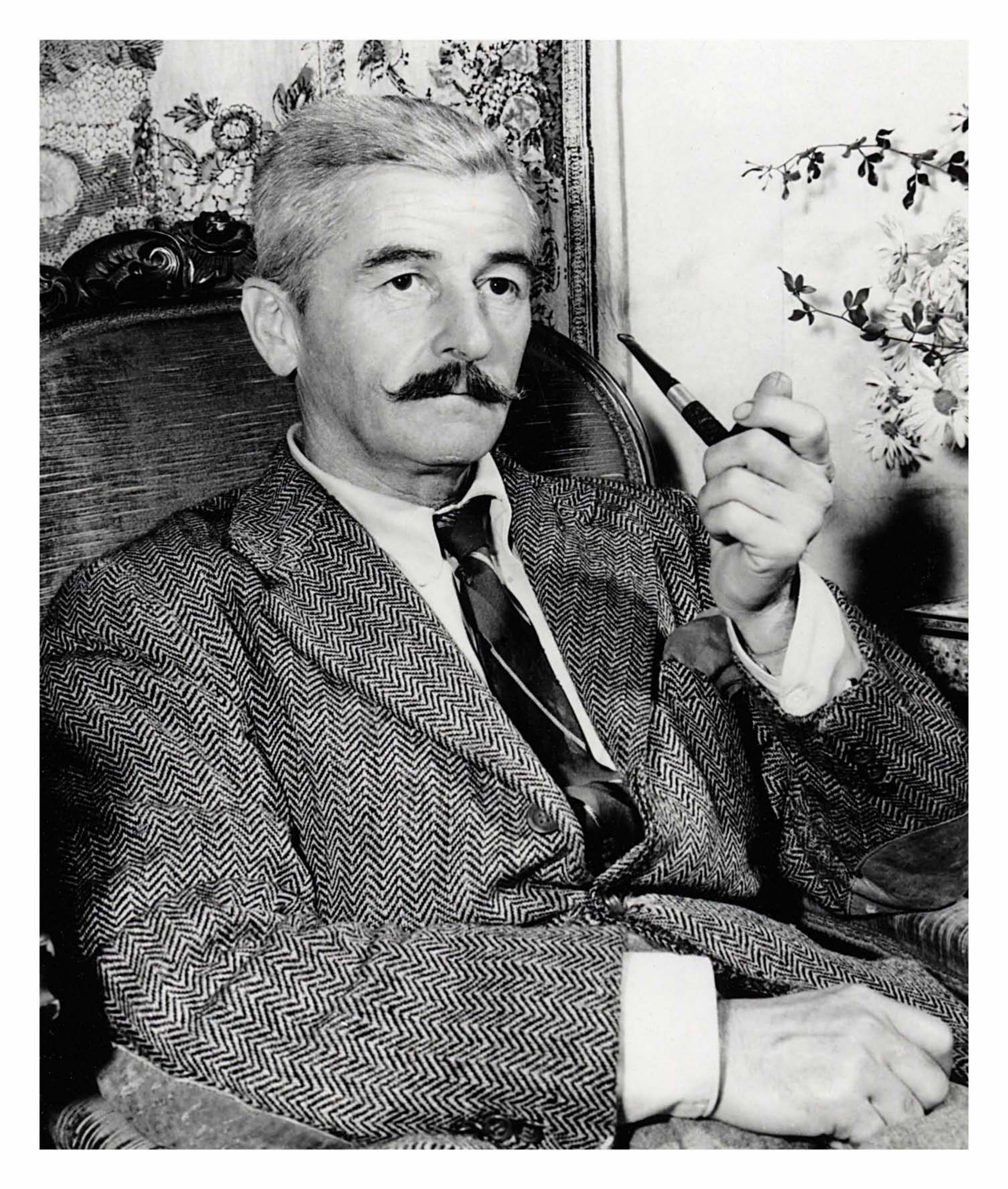
كانت شيلا غراهام، عشيقة فيتزجيرالد المولودة في بريطانيا، كاتبة مقالات نميمة مؤثرة، حيث كتبت عن حياة مشاهير هوليوود وعلاقاتهم العاطفية. وصفت الحياة مع فيتزجيرالد في كتابها Beloved Infidel، والذي حُوِّل لاحقًا إلى فيلم من بطولة جريجوري بيك وديبوراه كير.

الساحل الذهبي

أجّر فيتزجيرالد وزيلدا في عام ١٩٢٢، بعد أن أصبحا أبوين، منزلًا في منطقة غريت نيك، لونغ آيلاند. كان الشاطئ الشمالي القريب من لونغ آيلاند (ما يسمى بالساحل الذهبي) منتجعًا صيفيًا شهيرا للعائلات الثرية، مثل The Vanderbilts وThe Woolworths وThe Guggenheims. حضر آل فيتزجيرالد حفلات فخمة أقامها الأثرياء في عقاراتهم الشاسعة، وكان هذا الجو النخبوي والفاسد البيئة التي تبلورت فيها فكرة رواية «غاتسبي العظيم». تقطن الطبقة الثرية الجديدة في الرواية في المنطقة المتخيلة في ويست إيغ حيث يُمكن العثور كذلك على العوائل ذات الثراء الموروث.



منزل فيتزجيرالد في غريت نيك، لونغ آيلاند



وليم فوكنر

(١٨٩٧-١٩٦٢) أمريكي.

جرت أغلب روايات فوكنر، الحائز على جائزة نوبل في الأدب، في مسقط رأسه في ميسيسيبي. غالبًا ما وُصِف المؤلف الجريء فنيًّا وصاحب القوة التخيّلية العظيمة بأنّه أعظم روائي أمريكي في القرن العشرين.

كان وليم كوثبيرت فوكنر عدائيًا تجاه فكرة الربط بين أعماله وبين سيرته الشخصية. كتب ذات مرة بأنه لا يريد لسجل حياته أن يقتصر على كونه شخصا «كتبَ الكُتبَ ومات». ورغم ذلك، فإن أعماله الروائية متجذرة بعمق في خلفيته الاجتماعية ومهووسة بشياطينه الخاصة: لم يكن لأعماله حتما أن تظهر إلا على يد رجل أبيض من الجنوب الأمريكي العميق.

ولد فوكنر في نيو ألباني بولاية ميسيسيبي عام ١٨٩٧، ونشأ بالقرب من أوكسفورد حيث عاش أغلب حياته في شبابه. سيحوّل، بطاقاته التخيُّليّة، هذه المنطقة من شمالي ميسيسيبي إلى مقاطعة يوكناباتاوافا Yoknapatawapha التي جرت معظم أحداث رواياته فيها. ومع أنها كانت موطنا لجامعة ميسيسيبي في بواكير القرن العشرين، فإن عدد سكان أوكسفورد لم يكن يتجاوز الألفي نسمة. ترعرع فوكنر في هذه البلدة الريفية، واختلط بشتى طبقات المجتمع بالرغم من عائلته ذات المكانة الرفيعة. تمتع فوكنر في طفولته بقدرة على التقاط الفوارق الدقيقة في الكلام بين الفقراء البيض والسود، وأصبحت هذه القدرة واحدةً من أقوى عناصر كتابته لديه.

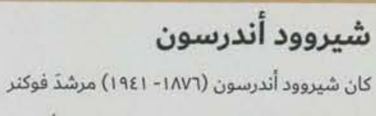
التعليم الجامعي

قصد فوكنر مدة قصيرة جامعة ميسيسيبي تحب نظام خاص بمحاربي الحرب، ومع ذلك لم يتمكن من التخرج في الثانوية.

التاريخ الجنوبي

كان آل فوكنر -أو فاكنر كما كان اسمهم يُكتب تقليديا- عائلة أرستقراطية محلية. كان جدُّ فوكنر الأكبر عقيدًا كونفدراليا في الحرب الأهلية الأمريكية، وكان بطلا عنيفا نُسِجت حولَ اسمه الأساطيرُ الشعبيّة. أما والد فوكنر فكان وريثًا ضعيفا لتقاليد العائلة. كان يكافح





شيروود أندرسون

كان شيروود أندرسون (١٨٧٦- ١٩٤١) مرشدَ فوكنر الأدبي في عشرينات القرن الماضي، وكان قد أتى من خلفية فقيرة في ريف أوهايو. ابتدأ أندرسون مشواره المهني رجلَ أعمال، وذلك قبل أن يتخلى عن وظيفته وعائلته ليصبح كاتبًا في شيكاغو. تأسست سمعة أندرسون الأدبية بمجموعة القصص القصيرة «Winesburg, Ohio»، التي نُشرت في عام ١٩١٩ وما زالت تُعد أجودَ أعماله. ضمّت رواياته أعمالًا مثل Many Marriges ١٩٢٣، وDark Laugher ١٩٢٥. تأثر بأندرسون روائيون من أمثال جون ستاينبيك وإرنست هَمِنغوَي وآخرون غيرهم.

شيروود أندرسون في شيكاغو، ١٩٢٢

فوكنر، ١٩٥٥
يظهر فوكنر في الصورة هنا، والغليون بيمينه، في السنة التي فازت بها روايته «A Fable» بجائزة بوليتزر للرواية. فاز الكاتب بالجائزة مرة أخرى (بعد وفاته) عن روايته التشرديّة «الأنهار (١٩٦٢)».

> «إنني أسردُ القصة ذاتها مرارًا وتكرارًا، والتي هي قصّتي وقصة العالم»
>
> **وليم فوكنر.**

لكسب لقمة العيش على الرغم من الامتيازات التي ورثها، واحتقرته زوجته التي كانت تطمح إلى أن تصبح سيدة الجنوب

تصوّر كتب فوكنر إحساسا بهذا السياق التاريخي؛ بمُجتمعٍ واعٍ بفشله في الارتقاء لمستوى ماضيه شبه الأسطوري، ومتشبث بقواعد شرف غابرة لا صلة لها بالظروف المعاصرة. وبالطبع، كان فوكنر مدركا تمام الإدراك للنقيصة المشينة في نظرة الرجل الجنوبي الأبيض إلى ماضيه، والفشل في التعامل مع جريمة العبودية الكبرى. أما أقوى ارتباطات فوكنر في طفولته فكانت مع مربيته السوداء «كالي بار» التي أصبحت نموذجًا لشخصية «ديلسي جبسون» القوية والعطوفة في روايته «الصخب والعنف (١٩٢٩)». وفي ذات الوقت لم يكن فوكنر قادرًا على رؤية الناس السود مكافئين تمامًا للبيض.

▼ **مزارع القطن**

عرضت كتابات فوكنر، من بينها رواية أبشالوم أبشالوم!، رؤية لثقافة المزارع والشدة الوحشية التي عانى منها السود العاملين فيها. تُظهر هذه اللوحة مزرعة قطن من القرن التاسع عشر على نهر الميسيسيبي، في منطقة يعرفها فوكنر تمام المعرفة.

سنوات الحرب

تلقَّى فوكنر تعليمًا أساسيا فحسب، إذ فشل في تقبّل العملية التعليمية سواء في المدرسة أو خلال مسيرته الجامعية القصيرة. غير أنه شرع في سن المراهقة في قراءة الكثير من الأدب الحديث وكتابة الشعر لغايات شخصية لا سيما من أجل الحصول على «المزيد من العلاقات والمغازلات العديدة».

دومًا ما شعر فوكنر بأنه تحت ضغط نظرائه لإثبات أنه رجل مواقف، لكن عندما دخلت بلاده الحرب العالمية في عام ١٩١٧، رفضه الجيش الأمريكي نظرا لأنه غير لائق للخدمة العسكرية بسبب قصره (١٦٩ سم تقريبا) . رد فولكنر على هذا الإذلال بالتطوع للانضمام إلى القوات البريطانية كطيار. وعلى الرغم من تدرُّبه على الطيران في كندا، فإنه لم يُحلّق قط قبل انتهاء الحرب، لكنه أعطى الناس انطباعًا بأنه طار، أو حتى بأنه أصيب في معركة. واستخدم في روايته الأولى «جعالة الجندي (١٩٢٦)» وجهة نظر لشخصية تشعر بالمرارة لأن الحرب انتهت مبكرًا جدًا ولم تر بعد أيّ معركة.



◀ **الملاذ، طبعة ١٩٤٠**

كتب فوكنر هذه الدراما الإجرامية «الملاذ» من أجل الاسترزاق. ومنحها الناشرون غلافًا جذّابا لزيادة المبيعات.

الانفجار الإبداعي

عدَّ فوكنر نفسه شاعرا في السنوات التي

تلت الحرب مباشرة، ونشر أول مجموعة شعرية له، «إله المراعي المرمري»، في عام ١٩٢٤، لكنَّ الشعر كان النوع الأدبي الذي لم يتمتع فوكنر فيه بالموهبة. عاش فوكنر في منتصف العشرينات برهةً في نيو أورلينز، المدينة التي كانت منتعشة بالدوائر البوهيمية الفنيّة، والتقى فيها بالروائي المؤسِّس شيروود أندرسون. تحوّل فوكنر تحت تأثير أندرسون إلى كتابة الروايات. وقُبلت أولى رواياته «جعالة الجندي» من قبل دار نشر نيويورك، وأُتبعت برواية «البعوض (١٩٢٧)» وهي رواية ساخرة من طبقة النخبة المثقفة لنيو أورلينز. لم تُثر كلتا روايتيه أيَّ ضجة كبيرة، إذ كان فوكنر ما يزال يبحث عن صوته الروائي.

ما تزال أسباب التغيير الذي طرأ على فوكنر وتأتى عنه التدفق الإبداعي المذهل الذي قاده إلى إنتاج روايات عظيمة في نهاية العقد الثاني وبواكير العقد الثالث غامضة وغير معروفة. لكن من الجلي أنها كانت مرحلة اضطراب عاطفي، فقد عاد فوكنر إلى أكسفورد، ميسيسيبي، وتزوّج «إيتسيل أولدهام» بعد طلاقها، وهي المرأة التي أحبّها وخسرها في شبابه، لكنَّ مشاعره بخصوص هذا الاتحاد كانت قاتمة وعنيفة أكثر من كونها دافئة ورومانسية. وبدا أنَّ مسيرته الأدبية فاشلة، إذ تعرضت روايته الثالثة «راياتٌ وسط الغبار Flags in the Dust» للرفض من ناشره في عام ١٩٢٧، وهي أولى رواياته التي كتبها اعتمادًا على تاريخ أسرته، وجرت أحداثها في مقاطعة يوكناباتاوافا الخيالية. (نُشرت منها نسخة منقّحة في عام ١٩٢٩ بعنوان سارتوريس Sartoris).

وفي ردة فعل على الرفض، كتب فوكنر رواية جديدة لنفسه دون أخذ الناشرين المحتملين أو الجمهور بعين الاعتبار. كانت النتيجة رواية «الصخب والعنف»، والتي يُسرد فيها الفصل الأول من خلال تيار الوعي المُتغيّر بمرور الوقت لبالغ «أبله» بعمرٍ عقلي لصبي صغير، وبدا أن من المقدر لها ردع القرّاء.



◂ فوكنر وإيستيل

يقف فوكنر في الصورة مع زوجته إيستيل أمام منزلهما، روان أوك. كانت إيستيل قد رُزقت سلفًا بطفلين من زواجها الأول. أنجب الزوجان طفلهما الأول، ألاباما، لكنه توفي وهو رضيع عام ١٩٣١، وعاش ابنهما الثاني، جيم، حتى سن البلوغ.

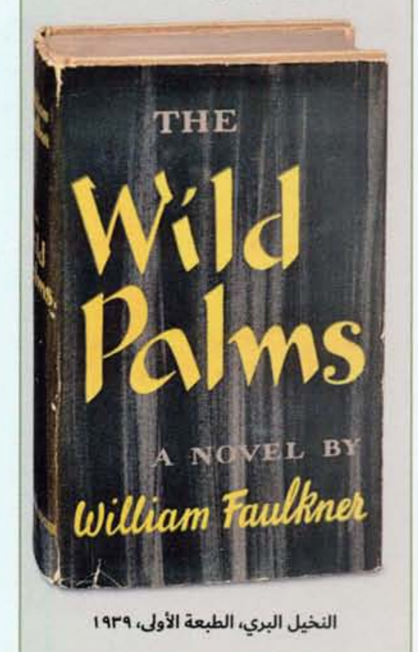
ورغم أنَّ فوكنر قد اكتشف كيف يقطن في عقول شخصياته الذين تُسرد الرواية عبرهم وتمكّن من التعبير عن تجاربهم، فإنّه عبَّر عنها بأسلوب مضحك أحيانا وغالبًا بتوتر يُناسب كل شخصية. كان فوكنر أيضًا ينقِّب عن المواد العاطفية بالعودة إلى الوراء إلى طفولته الخاصة. ولم تحقق أفضل أعمال فوكنر أيَّ نجاح حقيقي بعد بضع سنوات من صدورها.

التدهور المالي

كان فوكنر يائسا للحصول على المال من أجل المحافظة على نمط حياته الباهظ، الأمر الذي جعله يكتب روايته التالية على أمل أن تكون من نوع رواية الجريمة الرائج والشعبي وقتها؛ رواية «الملاذ Sanctuary». ضمت الرواية حكاية وحشية من الاغتصاب والخطف، والتي ظهرت فيها ذكورية المؤلف العنيفة وكراهيته للنساء. وبفضل شخصية رجل العصابة «بوباي» الشريرة والمرعبة التي لا تنسى، ومشاهد العنف الجنسي الصادمة، أثبتت هذه الرواية أنها أول عمل ناجح لفوكنر عندما نُشرت في عام ١٩٣١. استرعت هذه الرواية أيضًا إعادة النظر والانتباه النقدي

قصتان، رواية واحدة

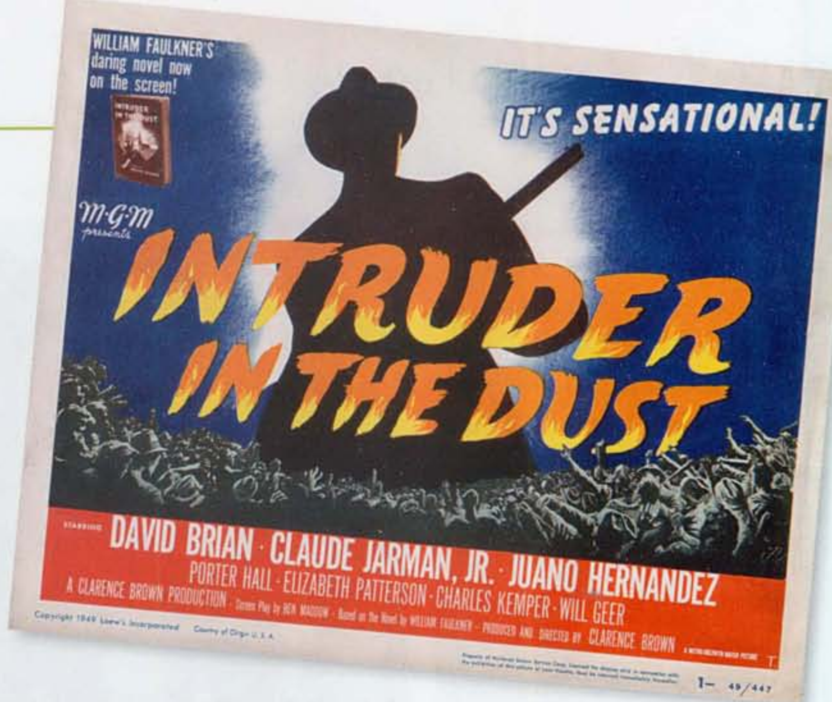
تألفت رواية فوكنر «النخيل البري The Wild Palms» -التي أعيد نشرها لاحقًا تحت العنوان المراد لها في البداية «إن نسيتك يا أورشليم»- من قصتين تبدوان غير مترابطتين، وهما «النخيل البري» و«العجوز Old man» وتُسرد القصتان في فصول متناوبة. تحكي النخيل البري قصة حب معذّب تنتهي بموت امرأة أثناء الإجهاض، أما الأخرى فتتحدث عن رجلٍ مُدان يساعد امرأة حبلى لتهرب من فيضان الميسيسيبي وتُنجب مولودها، وذلك قبل عودته إلى الحبس. هناك عناصر متوازية ما بين القصتين، فكل واحدة منهما تتكون من خمسة فصول، مع وجودة ثيمة الحمل في القصتين، وينقسم الرأي النقدي فيما لو نجح فوكنر في إبداع عملٍ بارزٍ كليًّا عبر تجاور القصتين.



النخيل البري، الطبعة الأولى، ١٩٣٩

«لو لم أكن موجودًا لكتبني شخص آخر، كذا الحال مع هَمِنغوَي ودوستويفسكي وكل واحد منا»

فوكنر.



▲ **رواية وفيلم**

منشور دعائي لفيلم «متطفل في الغبار (١٩٤٩)» المقتبس من رواية فوكنر التي تحمل العنوان نفسه، وصُوِّر في بلدة المؤلف في أوكسفورد، ميسيسيبي. يحكي الكتاب قصة مزارع أسود يُتهم بقتل رجل أبيض؛ تطالب الرواية من سكان الجنوب البيض أن يتقبلّوا تقاليدهم العنصرية ويتغلبوا عليها.

لروايته السابقة «الصخب والعنف». بالرغم من ذلك، استمرّت صعوبات فوكنر المالية، إذ لم تتجاوز مبيعات أفضل رواياته أكثر من بضعة آلاف نسخة.

سنوات هوليوود

كتب فوكنر رواية «وأنا أرقد محتضرة As I lay Dying» في أواخر عام ١٩٢٩ خلال ستة أسابيع من العمل في نوبات ليلية بمحطة توليد الكهرباء في جامعة ميسيسيبي. بنى فوكنر روايته على الإنجاز الفنّي ذاته الذي حقّقه في رواية «الصخب والعنف»، مع زيادة عدد الأصوات السردية المختلفة لتصل إلى خمسة عشر صوتًا، وكانت عملًا آخر مقدرا له تلقّي التقدير بكونه عملا كلاسيكيا أدبيا. تلتها رواية «ضوء في آب Light in August» آخر أعمال حقبة الإبداع الاستثنائي هذه: تناولت هذه الرواية موضوعًا أخلاقيًا معقّدًا حول المنبوذين والمهمَّشين وموجِّهةً الخطاب نحو السلوكيات تجاه العِرق والتحيّزات بحق فئات مجتمعية مترابطة الأواصر.

وعلى الرغم من عدم توقفه من كتابة الروايات والقصص القصيرة لأكثر من عقد، فقد وجد فوكنر ابتداءً من عام ١٩٣٢ حلًا لعوزه المالي بالانضمام إلى هوليوود ليكون كاتبَ سيناريو. أصبح تعاطي فوكنر الثقيل للكحول ولا إمكانية الاعتماد عليه عموما مبالغ بهما لكنه بقي محميًا من غضب عِظام صنّاع الأفلام بفضل علاقته الوديّة مع المخرج هاورد هاوكس. أما أعظم مساهماته في الأفلام فكانت كتابة جزء من سيناريو فيلم «أن تملك ولا تملك (١٩٤٤)».

كانت هوليوود المكان الذي نشأت فيه علاقة فوكنر الغرامية المتّقدة مع ميتا دويرتي؛ العلاقة التي عقّدت حياته وزواجه لسنوات. ساهمت كذلك في قصة العلاقة المحكوم عليها بالفشل التي شكّلت إحدى قصتي روايته «النخيل البري» المنشورة في عام ١٩٣٩.

بحلول ذلك الوقت، كان شهرة فوكنر قد بلغت الآفاق، وفي يناير من عام ١٩٣٩، احتلت صورته غلاف مجلة التايم. واقتنع سكّان بلدة أكسفورد في ميسيسيبي -وإن في وقت متأخر- أن فوكنر لم يكن شخصًا لا فائدة منه تمامًا.

وعلى الرغم من كل هذا فإن الثروة والشعبية ما زالت متجنّبةً إياه، وتواصل انحدار مستوى جودة أعماله، ولم تعد أعماله

الحقوق المدنيّة

قاسى سكّان ميسيسيبي السود في وقت فوكنر شتى أنواع العزل العنصري والحرمان من الحقوق الأساسية. تصاعدت الاعتراضات على هذا الحال مع ظهور حركة الحقوق المدنية في خمسينات القرن الماضي، والتي شككت في تحيزات الجنوبيين البيض وافتراضاتهم. في أوائل الستينيات من القرن الماضي، أصبحت جامعة ميسيسيبي التي كانت مخصصة للبيض فقط، في أكسفورد مسقط رأس فولكنر، مركزًا للمحاولات المدعومة من الحكومة الفيدرالية لفرض عملية التوحيد بين الطبقات، على الرغم من المقاومة العنيفة لدعاة الفصل العنصري. كان فوكنر ممزقًا بين احترام تطلعات السود في المساواة في الحقوق وبين تعلّقه بتاريخ وتقاليد الجنوب الأبيض.



جنود أمريكيون يرافقون معتقلًا من التمييزيين بعد إثارته شغبًا داخل جامعة ميسيسيبي.

أبرز أعماله:

السنة	العمل
١٩٢٩	الصخب والعنف: أول أفضل أعمال فوكنر، وتقصّ تدهور عائلة كومبسون المجيدة.
١٩٣٠	وأنا أرقد محتضرة: تحكي وفاة آدي بندرين ومصير عائلتها المختلة أثناء محاولتهم دفنها.
١٩٣١	الملاذ: الرواية المظلمة والوحشية التي كانت أول عمل يسترعي انتباه الجمهور إليها وإلى أعمال فوكنر.
١٩٣٢	ضوء في آب: تدور حول مصير رجل تطارده الشكوك بخصوص هويته العِرقية.
١٩٣٦	أبشالوم أبشالوم!: يحكي مجموعة من الرّواة غير الموثوق بهم قصة مالك حقل ماجن.
١٩٣٩	النخيل البري: تحكي قصة هرب مدان والقبض عليه مجددا، وقصة علاقة حب مؤلمة.
١٩٥١	مرثيّة راهبة: يتناوب السرد فيها بين النص مسرحي والنثر السردي، حيث يواصل فوكنر تجريبه البنيوي.

«الفنان بلا أهمية. وما يبدعه فقط هو المهم؛ بما أنه ليس ثمة جديدٌ ليُقال».

وليم فوكنر

تُطبع بحلول عام ١٩٤٦. كتب فوكنر بعدها بسنتين رواية «متطفل في الغبار Intruder in the Dust»، وهي ذات رسالة واضحة -رغم عدم سهولة فهمها- تحكي عن العلاقات بين الأعراق وجادلت بضرورة إيقاف التعامل السيئ بحق الناس السود في الجنوب من سكان الجنوب البيض عبر مواجهة تاريخهم ذي «الظلم والغضب والعار والخزي»، بدلا من تدخلات الشماليين أو السلطة الفيدرالية. ساهمت رسالتها القوية في نيل فوكنر جائزة نوبل في الأدب السنة التالية ١٩٤٩. وكسب أيضا المال عندما بيعت حقوق الرواية لينتج منها فيلم يحمل ذات العنوان.

الأعمال الأخيرة

بعد نيله النجاح والتكريم أخيرا، استمر فوكنر في الكتابة، وواصل بحثه عن الابتكار البُنيوي، على الرغم من تضاؤل دافعه الإبداعي القوي. صُبغت العديد من تصريحاته العامة، مثل خطاب قبوله لجائزة نوبل، بصبغة إنسانية شامخة، إذ أشاد فيها بإقدام الروح البشرية مع أنَّ هذا بعيدٌ كل البعد عن نظرته المعقَّدة والمُعذَّبة للإنسانية التي نقلها في رواياته خلال عشرينات وثلاثينات القرن الماضي.

بقيت حياة فوكنر الخاصة غائصة في الفوضى في السنوات اللاحقة. ودمرَّت علاقاته مع النساء الفتيَّات في الأخير زواجه، واستمرَّ في تعاطي الكحول الذي خرَّب حياته. وبإصراره على هذه الرحلة رغم عدم ملاءمتها إياه فقد مات فوكنر إثر مضاعفات سقوطه من على صهوة حصان.



▲ **هاورد هاوكس**

أصبح فوكنر صديقًا صدوقًا للمخرج الهوليوودي هاوكس، وعمل الاثنان معًا قرابة عقدين من الزمن. كان منهجهما تعاونيًّا: زوَّده فوكنر بالمشاهد كاملة أو أحيانا بأفكار محددة فحسب ويعمل هاوكس على إضافة التفاصيل.



◀ **مكتب فوكنر في روان أوك**

اشترى فوكنر منزلًا على الطراز الإغريقي «روان أوك» في أوكسفورد، ميسيسيبي، عام ١٩٣٠، وقضى الكثير من حياته قاطنًا فيه. بإمكان الزوَّار اليوم رؤية المكتب الذي كتب فيه أشهر أعماله.



بيرتولت بريخت، ١٩٢٧
التقطت هذه الصورة لبريخت بجوار آلة البيانو في شقته ببرلين وهو بسن التاسعة والعشرين، مرتديًا سترته الجلدية المميزة، وبشعرٍ قصير، وسيجار سمين. ووفقًا لبعض المعلّقين فهي صورة مفاجئة بنحوٍ ما لمفكر ماركسيّ مشمئزٍ من البرجوازيين.

بيرتولت بريخت

(١٨٩٨-١٩٥٦) ألمانيّ

كتب بريخت مسرحيات ملحمية استعرض فيها القضايا الاجتماعية والتاريخية من منظور اشتراكي، وطوّر تقنيات مسرحية مبتكرة أثّرت في العديد من الكتّاب والمخرجين اللاحقين.

أبصر إيوجين بيرتولت بريخت النور في بافاريا بألمانيا لوالدين من الطبقة المتوسطة، واكتسب بريخت من والدته البروتستانتية المتديّنة معرفةً واسعة بالكتاب المقدس ستؤثر لاحقا في كتاباته. كاد بريخت أن يُطرد من المدرسة بسبب آرائه المعادية للوطن، والتحق في عام ١٩١٧ بجامعة ميونخ لدراسة الطب (في الوقت الذي كان يغذي فيه حبّه للأدب بحضور ندواتٍ مسرحية). عملَ بريخت مدة وجيزة في عيادة عسكرية، وشرع بالكتابة في النقد المسرحي. ثم عندما انتهت الحرب، شارك في عروض هجاء سياسي قبل أن يفتتح شركته الخاصة بصحبة الكاتب والمخرج أرنولت برونين، مغيرًا كتابة حروف اسمه إلى بيرتولت كي يكون الاسمان بذات القافية.

شراكات في برلين

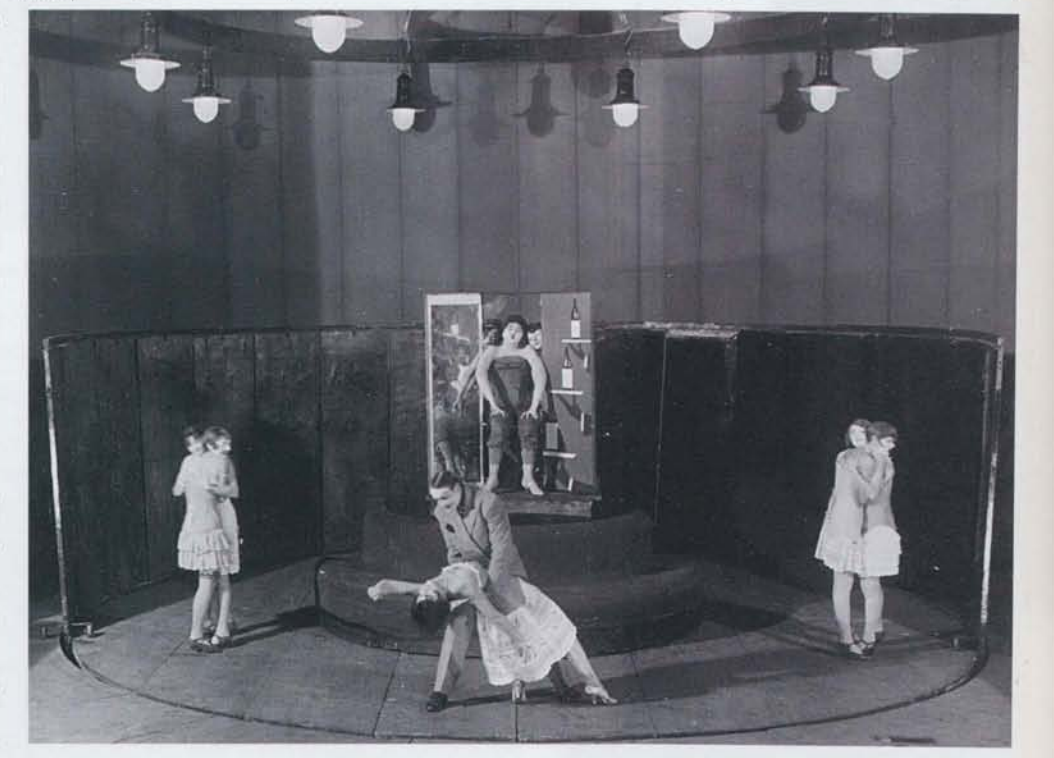
لم يمض وقتٌ طويل حتى بدأ بريخت في كتابة مسرحياته الخاصة، فأكمل مسرحية «بعل Baal» في عام ١٩١٨ ومسرحية «طبول في الليل Drums in The night» في السنة التي تلتها، بالإضافة إلى كتابته لشعر مُتأثّر بالأناشيد الغنائية التراثية، والأغاني الفرنسية، وشعراء مثل فرانسوا فيلون. انتقل بريخت في عام ١٩٢٥ إلى برلين التي أصبحت مركزًا ثقافيًا نابضًا بالحياة في ظل جمهورية فايمار. التقى بريخت بالعديد من الفنانين والكتاب والموسيقيين الآخرين، وزارَ على نحو ملحوظ معرض الفن «Neue Sachlchkeit (الموضوعيّة الجديدة)» الذي كان حجر أساس في هذا الميدان الفني، ووُصِفَ من قبل مُنظِّميه بأنه «الواقعيّة الجديدة بنكهة الاشتراكية». شجّعت جِدّةُ المعرض ومحسوسيتُه في الاعتماد على الفن المرئي بريختَ ليكون جريئًا بالتساوي في عمله المسرحي من ناحيتي أنَّ: كتابته المسرحية أضحت صريحة جدًا في مواضيعها، وباستخدام الإضاءة الساطعة والشديدة في محيط خشبة المسرح (تأثّر بمظهر حلبة الملاكمة).

أما أعظم شراكاته في حقبة فايمار فكانت مع المؤلف الموسيقي «كورت فييل»، إذ أنتج الاثنان مجموعة من الأوبرات «أوبرا ثلاثة بنسات The Threepenny Opera» (وهي مقتبسة من أوبرا الشاعر الإنجليزي جون غاي «المتسولون»)، وأوبرا «نهاية سعيدة»، وأوبرا «صعود وسقوط مدينة ماهاغوني»، حيث ساهم فييل بالموسيقى وساهم بريخت (وشركاؤه الذين كانوا لا يتلقّون الاعتراف في معظم الأحيان) بكتابة النصوص.

إلى المنفى

غادر بريخت ألمانيا عندما تسلَّم النازيون زمام السلطة في عام ١٩٣٣، واستقرَّ بادئ الأمر في أمريكا وبعدها في سويسرا. وبعد نهاية الحرب، كتب بريخت المسرحيات التي جعلته مشهورا، من بينها «حياة غاليليو» و«مواطن سيتزاون الطيب The Good person of Szechuan»، و«دائرة الطباشير القوقازية». وظَّف بريخت مبادئ المسرح الملحمي في هذا الأعمال، وهي حركة خاطبت «الوجود المعاصر» باستخدام بُنية عرضية من المشاهد غير المترابطة ترابطا وطيدا، بالاشتراك مع تأثير الانسلاخ alienation effect.

انتقل بريخت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية إلى ألمانيا الشرقية الشيوعية حيث أدار «طاقم برلين المسرحي The Berliner Ensemble». وأُدِّيت بإشرافه مسرحياته التي كتبها في المنفى ومسرحيات سوفوكليس الكلاسيكية وشيكسبير. استمر بريخت بكتابة الشعر وأنتجَ أعمالًا عن النظرية المسرحية حتى وفاته عام ١٩٥٦.



◀ **على المنصة، ١٩٣٠** أبان إنتاج بريخت لـ «أوبرا ثلاثة بنسات» الهجائية واللا واقعية عن معارضته الشديدة للمسرح الواقعي، إذ يجب على الجمهور أن «يعلّقوا أدمغتهم مع قبعّاتهم في حجرة إيداع الملابس».

▲ **طابع ألماني شرقي**
حينما انتقل بريخت إلى شرق برلين عام ١٩٤٩ دعمَ في البداية سياسات جمهورية ألمانيا الديمقراطية، من بين ذلك قمعها للثورة الشعبية عام ١٩٥٣، بيد أنه غير آرائه لاحقًا. خُلِّد بريخت هنا في هذا الطابع لألمانيا الشرقية.

تأثير الانسلاخ

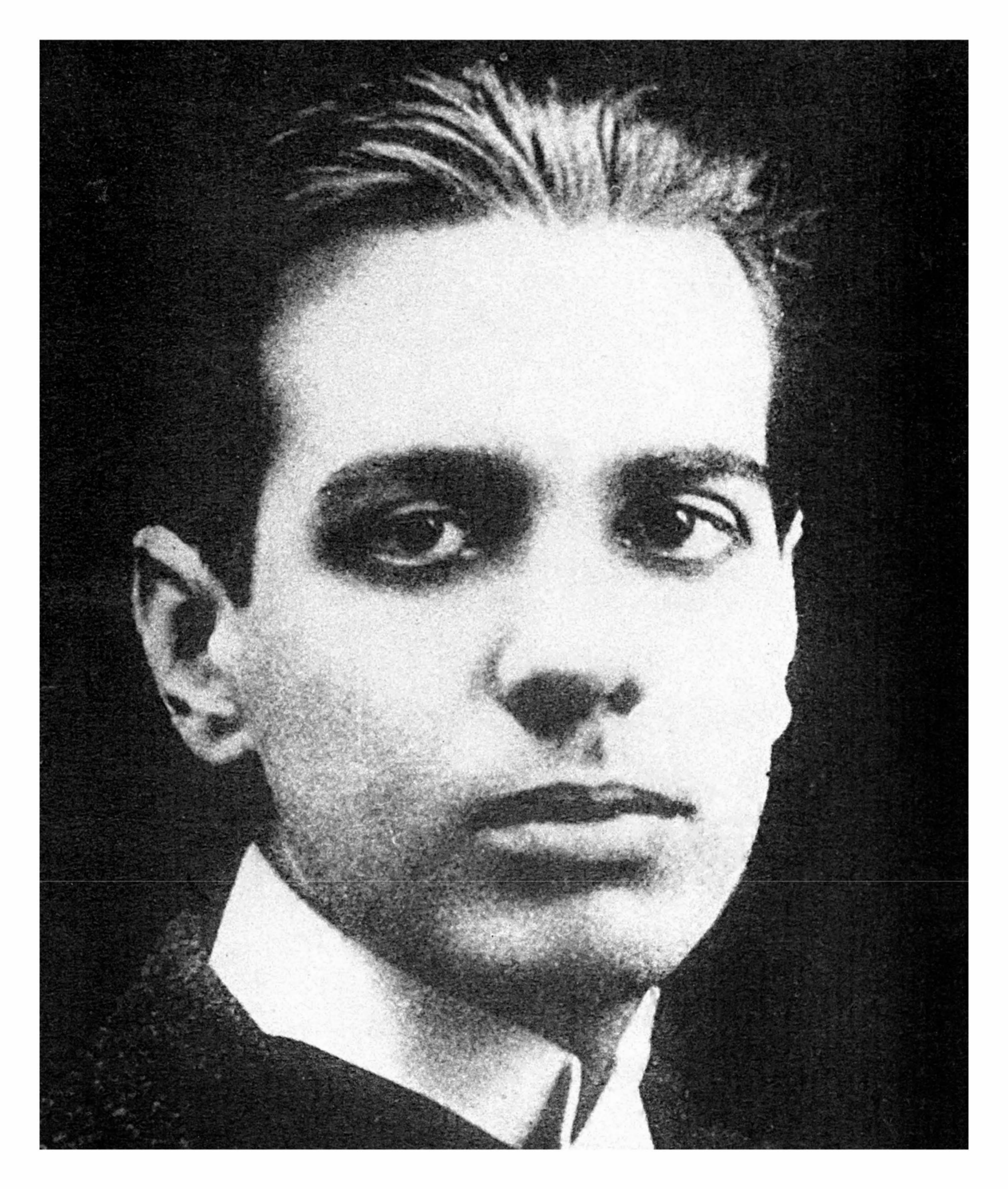
وصف بريخت تقنيته المسرحيّة المفتاحيّة بكلمة «Verfremdungseffekt» والتي تترجم إلى تأثير الانسلاخ أو الانفصال. وهو أسلوب إبعاد الجمهور عن الحدث المسرحي حتى لا يبقوا متواصلين عاطفيًا مع المسرحية، ويبقون على إدراك أنَّ المسرح هو محض تجربة إصطناعية. عملت التقنيات الانسلاخية من قبل بريخت على إخراج الممثلين من شخصياتهم من أجل إعطاء خلاصة أو التعليق على المشهد أو الغناء. وعادة ما استخدم خشبة مسرح مجرّدة لتوضّح بأن المسرحية كانت تؤدى في المسرح لا مكان آخر. رأى بريخت بأن هذه التقنيات وسائل مساعدة له في توضيح المواضيع الاجتماعية والتاريخية التي تُمثَّل في مسرحياته.



أغنية مُستخدمة في مسرحية بريخت «شجاعة أم وأطفالها»

«لا يمكن للمجتمع أن يحظى بنظام تواصل عمومي ما دام مُنقسمًا إلى فصائل متحاربة»

بريخت.



خورخي لويس بورخيس

(١٨٩٩-١٩٨٦) أرجنتيني.

يُشاد ببورخيس بكونه واحدًا من أفضل كتَّاب جيله. ولشعره وقصصه القصيرة ذات المستويات المتعددة الأثر الملازم للقرّاء لما احتوياه من مجازات ثريَّة ومزيج ما بين الواقعيَّة والإدهاشيّة.

ولد خورخي لويس بورجيس عام ١٨٩٩ في بوينس آيرس. كان والده من أصول إنجليزية فنشأ وهو يتحدث الإنجليزية في المنزل. تضم عائلة والدته أبطالا من حرب استقلال الأرجنتين في أوائل القرن التاسع عشر.

البزوغ شاعرًا

شُجِّع بورخيس منذ نعومة أظفاره على قراءة الأدب الإسباني والإنجليزي، لذا فقد نشأ طفلًا محبًا للكتب؛ التهمَ جميع محتويات مكتبة والده التي ضمّت أعمالاً لـ روبرت لويس، ستيفنسون، ولويس كارول، هربرت جورج ويلز، و ج. ك. تشيسترتون. عاشت عائلة لويس ما بين ١٩١٤ و١٩٢١ في أوروبا. . حطّوا الرحال أول الأمر في جنييف، حيث التحق بورخيس بالمدرسة وغادرها دون أن ينال أيَّ مؤهلات. ثم انتقلت العائلة إلى إسبانيا حيث انخرط بورخيس في طلائع حركة المتطرفين الشعريّة Ultraist Poetic Movment، التي تأسست في العاصمة الإسبانية مدريد. رغب المتطرفون بإبداع شعر مناسب لحركيّة مجتمع القرن العشرين عبر تخريب أوزان الشعر التقليدي والقصيدة المقفّاة باستخدام المجاز والتخيلات الصورية اللاذعة وترتيب مبتكر للكلمات في الصفحة.

بورخيس، ١٩١٩
كان بورخيس المُصوَّر هنا بسن التاسعة عشرة، حينما كان يعيش مع عائلته في سويسرا. نُشرت أول مجاميعه الشعرية بعيد سنتين.

التراث الأرجنتيني

استحضر العديد من الكتاب الأرجنتينيين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الحياة في سهول البامبا، واحتفلوا بحرّية الغاوتشو (السكان الأصليين) في أعمال استُمدّت من قصيدة خوسيه هيرنانديث الملحمية «مارتين فييرو». أعجب بورخيس بهذا العمل، لكنه تراجع عن استخدام هذا التقليد لخلق خيالٍ قومي. وليكون مثالاً يُحتذى به، أظهرَ بورخيس أنَّ كتّاب أمريكا الجنوبية بإمكان أن يكونوا عالميين في رؤاهم (منفتحين للتأثر بالكتابات المتنوعة كالشعر الأنجلو-سكسوني والكتابات الإسلامية) وبالمثل في جاذبيتهم.



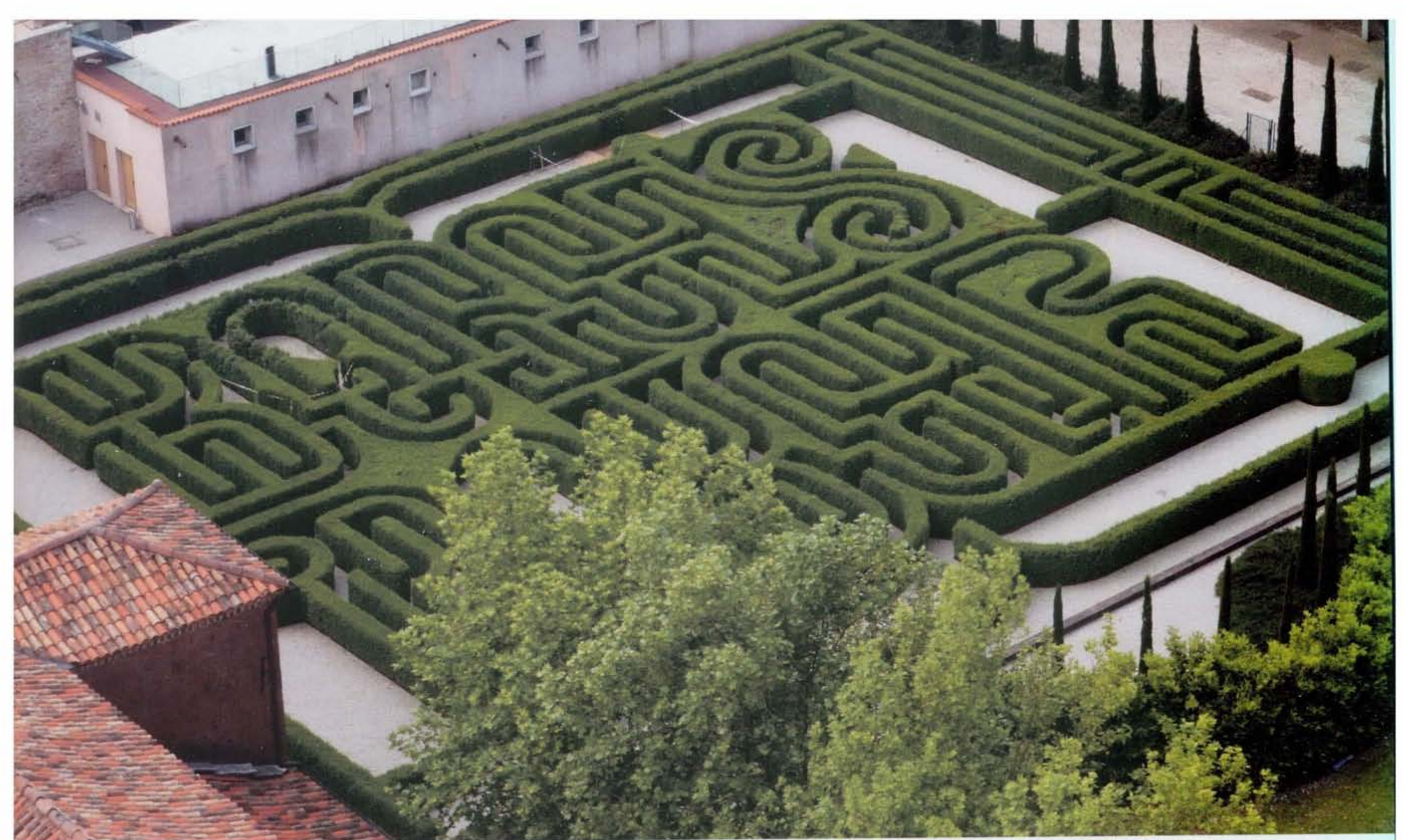
الغاوتشو مع خيوله، باتاغونيا، الأرجنتين

عاد بورخيس في عام ١٩١٢ إلى الأرجنتين ونشر بعد سنتين «تأجج بوينس آيريس: قصائد»، وهي مجموعة شعرية منظومة وفق أسلوب حركة المتطرفين (نأى بورخيس بعدها بنفسه عنها لتجاوزاتها). اشترك بورخيس خلال هذه المرحلة بتأسيس مجلتين أدبيتين «Proa and Prisma»، ونشر فيهما بواكير أعماله، وترجم عددا من أعمال الشعراء الأجانب للقراء الأرجنتينيين، وكتب مكثفًا عن الشعر ونقده.

القصص القصيرة

بدأ بورخيس في ثلاثينات القرن الماضي بنشر القصص القصيرة التي أصبح معروفًا بها الآن عالميًا، وتعاون في البداية مع صديقه أدولفو سيزارز في كتابة حكايات خيالية ومحاكاة ساخرة للقصص البوليسية، ونشرها تحت الاسم المستعار «هـ. بوستوس دوميسك H. Bustos Domecq». أما أول بروز فردي لبورخيس فكان مع كتاب «تاريخ الخزي العالمي»، وهو مجموعة قصص قصيرة خيالية لسير حياة مجرمين حقيقيين وصنائعهم. حقق العمل نجاحًا خارقًا مغطيًا مواضيعَ مختلفة كالهُوية والعنف اللذين سيشتهر الكاتب بهما. لم تُكسب الكتب

«يُصبح الكتَّاب بعد موتهم كتبًا، وهذا، بعد كل شيء، ليس بالتجسيد السيئ» بورخيس.



▲ **متاهة بورخيس، البندقية**

أحتفيَ برمز تيه بورخيس، الذي تكرر في أعماله، في الذكرى الخامسة والعشرين لوفاته، عندما صُنعت هذه المتاهة في مدينة البندقية عام ٢٠١١ بالتعاون ما بين مؤسسة خورخي لويس بورخيس الدولية ومؤسسة جيورجيو تشيني.

الصغيرة مثل هذه المجموعة مالًا كثيرًا، واشتغل بورخيس بعدها بوظيفة مكتبيّ في بوينس آيريس. لحقت كتابه الأول كتبُ قصصٍ في ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين من ضمنها مجلدات «القصص» و«الألف».

خيالات مُعقّدة

اشتركت العديد من قصص بورخيس القصيرة (لا يتجاوز طول معظمها الصفحات القليلة) بجوانب مُميَّزة على الرغم من تنوع مواضيعها. إنها تصف عالمًا شبيهًا بالحلم، أو ساخرًا أو خارقًا: تتلاعب هذه القصص بمفاهيم كالزمن، وتسخر من التحذلق وعالم المثقفين، وغالبًا ما تقدم للقارئ تعقيدات شبيهة بالمتاهة. أضفت المواضيع المتكررة لقصصه -لا سيما المتاهات والمكتبات والمرايا- سِمةً مؤثّرة وجذابة تبقى محفورة في ذاكرة القارئ. طغت على الكثير من أعماله كذلك روح الدعابة والمفارقة: من تلك الصور الشهيرة صورة المؤلف الذي يحاول إعادة كتابة العمل الإسباني الكلاسيكي «دون كيخوته» كلمة بكلمة، والخريطة التي كانت بحجم البلد الذي تمثله تماما، و«مكتبة بابل» التي تحتوي على كل كتب الكون الممكنة.

السياسة وبيرون

كره بورخيس التطرف بكل أنواعه، ودعم الحلفاء ضد هتلر أثناء الحرب العالمية الثانية، لكنه أبدى عدم إعجابه بالدول الشيوعية الأحادية. ووضعته آراؤه الليبرالية في صراع مع خوان بيرون بعد أن أُنتخبَ رئيسًا جديدًا للأرجنتين وتولى السلطة في عام ١٩٤٦. بدأ بيرون بعدها بتحويل البلاد إلى بلد الحزب الواحد، وسلّم المناصب الرئيسة والشاغرة إلى داعميه المخلصين، وأجبر بورخيس على الاستقالة من وظيفته المكتبيّة.

استمرَّ بورخيس بكتابة القصة على الرغم من فقدانه المستمر لبصره، المرض الذي ورثه من ذويه، وعاش على إلقاء المحاضرات ومشاركًا حبه للأدب الإنجليزي. ونشر أيضًا مقالات عن الأدباء البريطانيين.

ألفى بورخيس نفسه في منصب مدير مكتبة الأرجنتين الوطنية بعد أن أُطيح بالرئيس بيرون إثر إنقلاب في عام ١٩٥٥، إضافة إلى شغله وظيفة أستاذ الأدب الإنجليزي والأمريكي في جامعة بوينس آيريس. فقد بورخيس بصره تماما في هذه المرحلة، ووصف ساخرًا من حصوله على هذه الوظيفة المثالية -أمين كتب

أبرز أعماله:

١٩٣٥
تاريخ الخزي العالمي: جمّع بورخيس مجموعة من القصص في هذا الكتاب الذي كان أول أعماله المنشورة في مجلة Critica.

١٩٤٤
القصص: أشهر مجموعة قصصية لبورخيس، استعرض فيها تناقضات وصور ذاع صيته بسببها.

١٩٤٩
الألف وقصص أخرى: مجموعة قصصية فانتازيّة تتناول مواضيع مختلفة منها الخلود.

١٩٧٠
تقرير الطبيب برودي: مجموعة قصصية تدور أحداثها في بوينس آيريس، تستعرض العديد منها مشاهد جليّة من الكوابيس الصارخة والعنف.

١٩٧٥
كتاب الرمل: يضم قصصا كتبها في آخر حياته وعدّها أفضل أعماله.

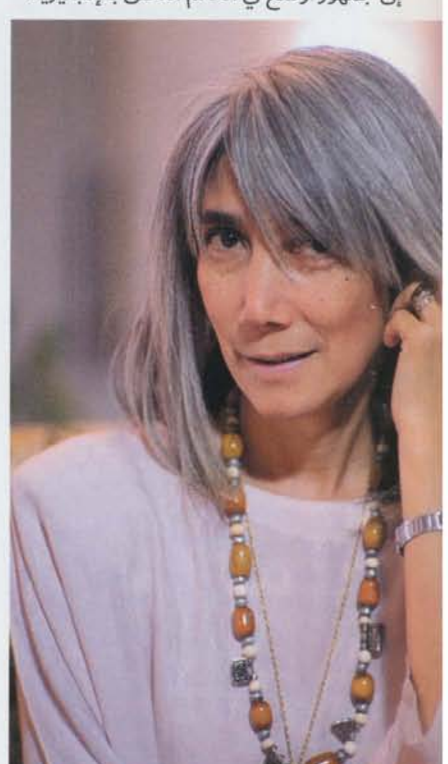
«دعْ الآخرين يتفاخرون بأنفسهم بعدد الصفحات التي كتبوها؛ أما أنا فأفضّل أن أتباهى بعدد الصفحات التي قرأتها»

بورخيس.

الوطن- التي نالها حالما تلاشى نور بصره تمامًا في قصيدة «قصيدة الهبات The poem of the gifts». (يعلّق بورخيس ساخرًا من هذا التعيين بأنه يتخيل الجنة مكتبة كتب كبيرة).

السمعة العالميّة

منحت المناصبُ الأكاديميّة والمكتبيّة لبورخيس منصة مثاليّة ليكتب من خلالها ويحاضر. فظهرت مجلدات قصصيّة إضافية، وبدأ أدبه يجني الاعتراف والتقدير بالخارج من خلال ترجمات لمجموعتيه القصصيتين «القصص» و«صانع المتاهات»، واللتين نُشرتا في أمريكا الشمالية وبريطانيا وفرنسا. وبحول عام ١٩٦١ حصل بورخيس (بالاشتراك مع صامويل بيكيت) على جائزة Prix Formentor المرموقة، الأمر الذي عزّزت من مكانته الدوليّة. شكل بورخيس منذ عام ١٩٦٧ تعاونا مع المترجم الأمريكي والكاتب نورمان توماس دي جيوفاني، والذي ساعده في إيصال شعره ونثره إلى جمهور أوسع في العالم الناطق بالإنجليزية.



استمرَّ بورخيس بالكتابة وإنتاج الكتب القصصية في الستينات والسبعينات القرن الماضي. تميزت هذه الأعمال اللاحقة، والتي في مجموعات مثل «كتاب الكائنات الخيالية The Imaginary Beings»، و«تقرير الطبيب برودي Doctor Brodie's Report»، و«كتاب الرمل The Book of Sand»، بكونها مُتراصّة وشعرية وتوظّف الرّموز على نحوٍ مكثف. كتبت بورخيس هذه القصص بمساعدة والدته ودعمها (التي عاش معها أغلب حياة بلوغه، وانفصل عنها مدة قصيرة أثناء زواجه الفاشل مع الأرملة إلسا أستيتي ميلان في الستينات) وكذلك بفضل مساعدته الشخصية ماريا كوداما.

جولات المحاضرات

أضحى بورخيس في السبعينات معروفًا على مستوى العالم وسافر كثيرا برفقة كوداما لإلقاء المحاضرات والظهور في التلفزيون. نَظَم الكاتب أثناء هذه الرحلات الكثير من الشعر، وقال بأنه بعد أن أصبح أعمى تماما أحبَّ نظم القصائد لأنه تمكن من أن يعيَ موضوع العمل كاملًا في رأسه في مرة واحدة. بقي بورخيس يعيش في شقة أمه بعد وفاتها بعمر التاسعة والتسعين، وكان قد شاركها العيش فيها تحت رعاية مدبرة منزل. تزوّج بورخيس كوداما في عام ١٩٨٦، وتُوفي بسن السادسة والثمانين بعد أشهر من زواجهما.

◀ ماريا كوداما

التقى بورخيس بماريا عندما كان بسن الرابعة والخمسين وهي في السادسة عشرة. أصبحت سكرتيرته الأدبية في عام ١٩٧٥، وساعدته في الكتابة بعد أن فقد بصره، واشتركت في عدد من الأعمال. تزوج الاثنان في عام ١٩٨٦ قبل أشهر فقط من وفاة بورخيس بالسرطان.

◀ الألف

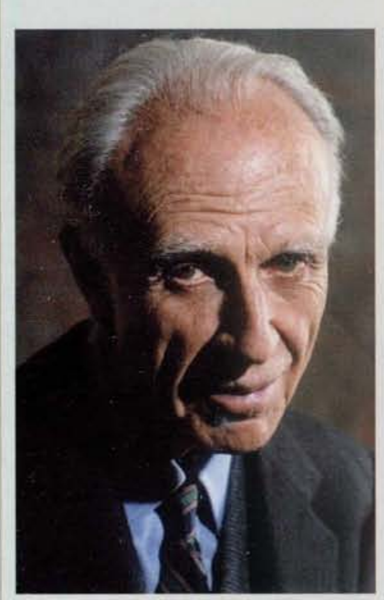
تظهر قصة بورخيس «الألف» هنا في طبعتها الأرجنتينية في عام ١٩٥٢. وكانت -مثل العديد من أعماله- حول الأوهام واللا نهاية وعدم ملاءمة اللغة للتعبير عن المشاعر الإنسانية.

إرث مرموق

يشيد العديدُ من النقّاد ببورخيس على أنه أفضل مؤلف كتب باللغة الإسبانية بعد سرفانتس. ربطت أعماله بين ثقافات العالم القديم والجديد، وبين الحداثة والتراث، وبين القصص الشعبية والفلسفيّة. ويُمكن رؤية تأثير العوالم السحرية الخيالية لقصصه القصيرة في ازدهار «الواقعية السحرية» في أمريكا اللاتينية -كما في القصص الفاتنة لكتّاب مثل غابرييل غارسيا ماركيز- إضافة إلى أعمال جيل جديد من كتّاب أمريكا الشمالية. وبلغت قوة إرثه الأدبي مبلغا كبيرا جعلها تُعير اسمه لنوع أدبيّ جديد، ألا وهو الأدب البورخيسيّ.

أدولفو بيوي سيزارز

أصبح الكاتب الأرجنتيني أدولفو (١٩١٤-١٩٩٩) صديق عمر بورخيس منذ عام ١٩٣٢. كتب أدولفو العديد من الأعمال، أفضلها روايته القصيرة «اختراع الأخلاق ١٩٤٠» وتحكي قصة هارب يختفي في جزيرة بولينيزية في المحيط الهادي حيث يواجه بضع تجارب غريبة، من التقاء أناس يظهرون ويختفون إلى بزوغ شمسين في السماء. اشترك أدولفو مع بورخيس في كتابة العديد من المشاريع، من بينها مجموعات من القصص والفانتازيا، وعدة سيناريوهات مسرحية، والتحرير المشترك بينهما لسلسلة من الترجمات لبعض قصص التحري الإنجليزية.



أدولفو بيوي سيزارز، ١٩٩١

إرنِستْ هَمِنغوَي

(١٨٩٩-١٩٦١) أمريكي

أيقونة الرجولة المنجذبة إلى الحرب والعنف والموت، كان «بابا» همنغوَي روائيًا حداثيًا عملاقًا. امتاز أسلوبه الأصيل والجسور في الكتابة بالراديكاليّة وربما كان صوته الأكثر محاكاة في أدب القرن العشرين.



منزل أوك بارك

المنزل الذي ترعرع فيه هَمِنغوَي في أواك بارك، ويبعد ١٦ كيلو مترا عن شيكاغو. وصف همنغوي هذه البلدة بأنها محافظة ومتدينة وغرب أوسطية، وروح شعبها بعيد كل البعد عن حياة المدينة.

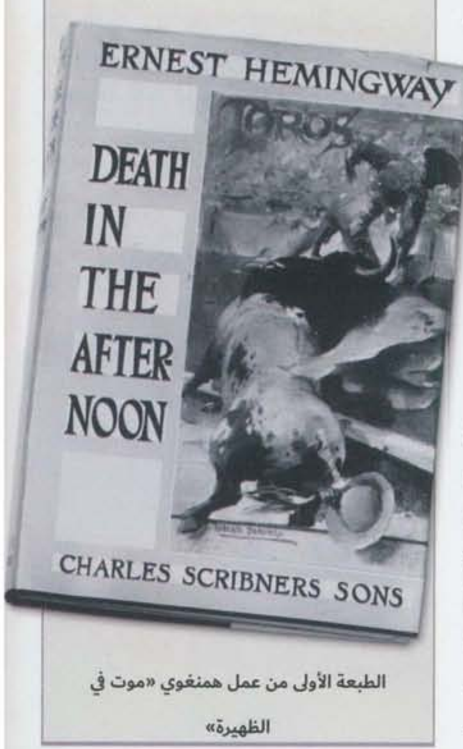
إنّ لمن الشائع عمومًا للكتّاب أن يستمدوا موادّهم الكتابيّة من بعض الأحداث الموجودة في حياتهم، إلا إنّ هَمِنغوَي تجاوز الأمر كثيرًا، لذا فقد تداخلت كتاباتُه بحياته محاكيةً إياها. في الواقع، عاش هَمِنغوَي حياتَه مثل شخصية في إحدى رواياته فقد بُنيتْ على سلوكه الكحولي الشديد، وشخصيته الجسيمة، كاتبًا تجاربَه في أعماله. وغالبًا ما اتَّسمت خبراته وتجاربه بالعنفِ والتطرُّفِ، ومن ضمنها مصارعة الثيران والصيد لأجل الأكل، والحربِ. اتَّضح هذا الاعتماد على الحياة منذ لحظة انفجاره الأدبية في عشرينات القرن الماضي برواية «الشمس تُشرق من جديد»- إذ كان هَمِنغوَي ينقِّب في أحداث حياته المُعبَّأة من أجل إبداع طريقة في الكتابة.

اهتمامات الطفولة

ولد هَمِنغوَي، الابن الثاني من بين ستّة أطفال، في الحادي والعشرين من شهر تموز/يوليو عام ١٨٩٩ في أواك بارك - ايلينويز، لعائلة من الطبقة الوسطى في ضاحية شيكاغو التي وصفها بأنها «ذات مروج وسيعة وعقول ضيقة». كان أبوه «كلارنس إدموند هَمِنغوي» طبيبًا محليًا مرموقًا، وأمّهُ «غرايس هال هَمِنغوَي» موسيقيّة. حافظَ هَمِنغوَي لاحقًا على قوله بأنه كره أمه، وأنّها في سنوات طفولته الأولى كانت غارقةً في عادة غريبة بأن تُلبسه وأخته الكبرى «مارسلين» ثيابًا متطابقة في الغالب. وقد تكون رجولة هَمِنغوَي العنيفة إنْبَثَقتْ من حاجته لتعويض هذه الطفولة الغامضة، ومن المحتمل أنّ عداءه لأمه الجذر الذي شطأ بمعاملته اللاحقة للنساء. شارك هَمِنغوَي ببضع رياضات في المدرسة -على الرغم من أنه لم يكن مُبرِّزا- من بينها الملاكمة وكرة القدم. وكان تلميذًا نجيبًا لمع نجمه في اللغة الإنجليزيّة وكتبَ لصحيفة المدرسة Trapeze وللكتاب الحولي Tabula. مثلما تأثر هَمِنغوَي في المدرسة فقد كان للعطل الصيفية أثرٌ فيه مع عائلته في بحيرة والون في ميشغان، حيث علّمه والده صيد الحيوانات والسمك والتخييم. ثبتت هذه التجارب في ذاته حبَّ المغامرة والبرية التي بقيت متأصلة فيه طوال حياته. لم يتجه هَمِنغوَي إلى الكلية بعد مغادرته المدرسة، وعوضا عن ذلك شغل وظيفة مراسل مبتدئ في صحيفة Kansas City Star. وتعلّم هنا كتابة التقارير عن الشرطة ومواضيعَ لغرفة الأخبار العاجلة، وشرعَ بتطبيق أسلوبه الذي سيصبحه سمة فارقة في كتابته وما سُمي «أسلوب الإرشاد النجمي». يبدأ هذا الأسلوب

نظرية جبل الجليد

كتب هَمِنغوَي في عمله «موتٌ في الظهيرة»: إن عظمة حركة أي جبل جليد تكمن في كون ثُمنُه يظهر فوق الماء. ووفقًا لنظريته (جبل الجليد)، يمنح هَمِنغوَي القارئ الحقائق الجوهرية في قصته فحسب، أما باقي الأجزاء -البُنيويَّة الداعمة، وأبعاد القصة الخلفيّة والمواضيع الجوانيَّة- فتبقى ضمنية. ونتيجة لهذه فإن «معنى» العمل يكون أسفل السطح الظاهري له. فعلى سبيل المثال تستحضر القصة القصيرة «النهر الكبير ذو القلبين» بإتقان هزة القذائف والألم والشفاء طبيعيًا لشاب عاد من الحرب. لذا فهي أكثر من مجرد رحلة صيد سمك التي تصفها القصة.

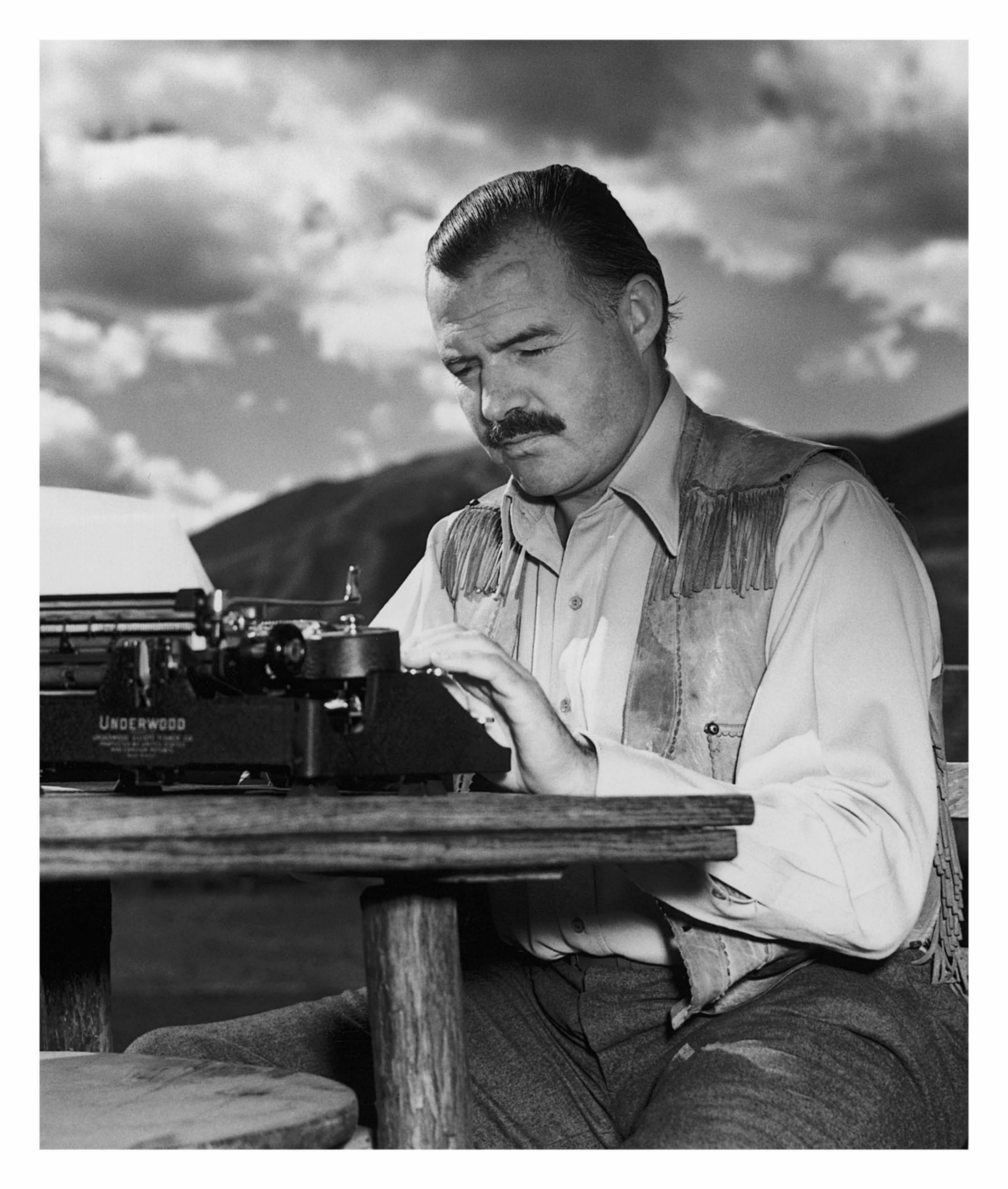


الطبعة الأولى من عمل همنغوي «موت في الظهيرة»

إرنست همنغوي

كان هَمِنغوي مشهورا في عصره، وعُرف بشخصيته الخشنة ومغامراته، حتى إنه كان يأخذ صوره في البر. وسخر من هذه الصورة قائلا «لا أعمل هكذا».

> «تملك جميع الكتب شيئًا مشتركًا واحد، وهو أنها أصدقُ مما لو وقعت فعلًا» - إرنست هَمِنغوَي.


UNDERWOOD

بـ «استخدم الجمل القصيرة. استخدم فقرات افتتاحية قصيرة. استخدم لغة إنجليزيّة متينة. كن إيجابيًّا لا سلبيًّا». ويُمكن رؤية جوهر أسلوب هَمِنغوَي البيانيّ والجليّ وذي الوضوح الخادع (السهل الممتنع) في هذه التعليمات الأساسية التي ذكرها.



▲ **طابعة رويال.**
كان هَمنغوي يطبع أحيانا واقفا على آلته المفضلة Royal. وأخبَرَ مرة صديقته الفنانة آفّا غرادنير بأن آلة الطباعة الخاصة به هي الطبيب النفسي الوحيد الذي كاشفه حاله.

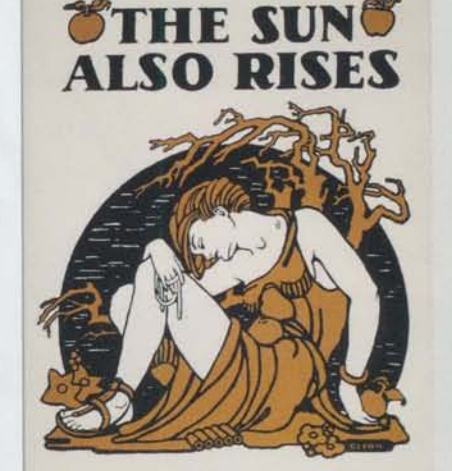
مغامرات الحرب

أمضى هَمِنغوَي ستَّة أشهر فحسب في صحيفة Star، وتركها بعد أن نشبت الحرب العالمية الأولى إذ انتابته رغبة جامحة للالتحاق بالحرب ورؤية ما يجري هناك في مغامرة أوروبيّة عظيمة. رُفض من الجيش بسبب عيب بصري، وتطوَّع بدلا من ذلك ليكون سائق إسعاف مع الصليب الأحمر وأُرسِلَ إلى إيطاليا. هناك، خَبَرَ هَمِنغوَي الدمَ والرعبَ عيانًا، وجُرِحَ في ساقه أثناء نجدته جنودًا طليانًا إلى ملاذ: نال بعدها القلادة الفضيّة للشجاعة العسكرية. هوي هَمِنغوَي بغرام الممرضة الأمريكية «أغنيس فون كوروفسكي» أثناء تعافيه في ميلان، إلا إنها هجرته لصالح ضابط طلياني. رسم هَمِنغوَي هذه العلاقة لاحقًا في روايته الحربية «وداعًا للسلاح». عاد بعدها إلى أمريكا الشمالية بمعنويات منخفضة، وعمل مراسلًا لصحيفة Toronto Star في تورنتو أولًا ثم في شيكاغو.

ذهب هَمِنغوَي في أحد الأيام بعد عودته في رحلة صيد سمك وتخييم في غابات ميشيغان البعيدة وغير المأهولة، وهناك أُلهم قصته الفاتنة «Big Two-hearted River النهر الكبير ذو القلبين» التي امتازت بتكرارها لشخصية نيك أدامز، نظيرة هَمِنغوَي في سيرته الذاتية. التقى هَمِنغوَي في شيكاغو بـ هادلي ريتشاردسون، امرأة أسنُّ منه بثماني سنوات، فوقع بحبها وتزوَّج الاثنان في عام ١٩٢١. أبحر الزوجان بعد شهرين إلى باريس حيث أمَّن هَمِنغوَي لنفسه وظيفة مراسل أجنبي لصحيفة Toronto Star.

الجيل الضائع

استخدم مصطلح «الجيل الضائع» أول مرة من قبل جيرترود ستاين، ويشير إلى الكتَّاب المغتربين الذين ظهروا خلال الحرب العالمية الأولى، واحتشد العديد منهم في باريس ومن ضمنهم هَمِنغوَي الذي كتب عن الجيل الضائع في رواية «الشمس تشرق من جديد». وتدلُّ كلمة «ضائع» على إحساس «فقدان الوجهة» والقلق بعد التغييرات جرَّاء الحرب، إذ ابتعدت عن قيم عالم ما قبل الحرب وسرعان ما بدت ذات صلة بالواقع. ومن بين هؤلاء الكتَّاب إضافة إلى هَمِنغوَي ثمة أرتشيبالد ماكليش، و ف. سكوت فيتزجيرالد، وجون دوس باسوس، و ي. ي. كومينجز، وجون ستاينبيك، وحقق جميعهم نجاحًا هائلًا.



الطبعة الأولى من عمل همنغوي «الشمس تشرق من جديد»

رحلات أوروبيّة

كانت باريس في عشرينات القرن الماضي منطقة خلّاقة محمومة، ورمى هَمِنغوَي بنفسه غارقًا في بحر الحيويَّة. وكوَّن صداقات مع العديدين من بينهم جيمس جويس، وجيرترود ستاين، وعزرا باوند، وف. سكوت فيتزجيرالد- المجموعة التي سمَّتها جيرترود بـ «الجيل الضائع». قرأت جيرترود ونقدت مسوَّدات هَمِنغوَي، كما كان لأسلوب عزرا التصويري أثره في هَمِنغوَي أثناء شحذه لأدواته لا سيما في الأسلوب الرمزي المُقطَّع في الكتابة.

ارتحل هَمِنغوَي عبر أوروبا كاتبًا المقالات لصحيفة تورنتو ستار، وجامعًا المواد لقصصه القصيرة. وعاد رفقة زوجته في أيلول عام ١٩٢٣ إلى تورنتو من أجل ولادة ابنهم «جون هادلي نيكانور (معروف بـ بومبي)»، ثم أقفلا راجعين في كانون الثاني عام ١٩٢٤ إلى باريس. نُشرَ في غضون ذلك كتاب هَمِنغوَي الأول «ثلاث قصص وعشر قصائد»، ونشر بعدها في عام ١٩٢٥ مجموعته القصصية «في زماننا In Our Time» التي ظهرت في نيويورك ونالت الإشادة النقدية.

▲ **منزل كي ويست**
اشترى هَمنغوي وزوجته باولين هذا المنزل الإسباني العائد إلى الحقبة الاستعمارية في جزيرة كي ويست - فلوريدا، في عام ١٩٣١. تحول المنزل الآن إلى متحف، ويُعد من المعالم التاريخية الوطنية الأمريكية.

كي ويست

كانت محطة هَمِنغوَي التالية مع رواية

> «يكسرُ العالم كل شخص ويصبح العديد أقوياءَ في مواضع كَسْرِهم. لكن أولئك الذين لا يُكْسرون؛ يقتُلُهم العالم».
>
> وداعًا للسلاح – هَمِنغوَي.

«الشمس تشرق من جديد (١٩٢٦)» التي دفعته إلى الشهرة. تركَّزت روايته الأولى على مجموعة من الغرباء المتسكِّعين حول البارات ومصارعة الثيران في فرنسا وإسبانيا. صوَّرتِ الرواية تصويرًا هزيلًا خياليًا الأحداث -وبراديكاليّة في نثرها الواضح والمُقتصِد- استنادًا إلى أصدقائه في مرحلة ما بعد الحرب حيث السوداويّة، والحياة المليئة بالأحداث الدرامية المتتابعة، والتبذير. بدأ هَمِنغوَي أثناء كتابته الرواية علاقة غرامية مع امرأة أمريكية ثرية «باولين بفيفير». وفي عام ١٩٢٧، تطلَّق هَمِنغوَي من زوجته هادلي وتزوَّج باولين، وسرعان ما ادَّعى الندم بعدها. وفي شهر تشرين الأول من ذات السنة، نشر هَمِنغوَي مجموعة قصصية جديدة «رجال بلا نساء» التي ضمَّت بضعًا من قصصه المُشاد بها مثل «القتلة»، و«تلالٌ كالفيلة البيضاء» و«في بلد آخر».

حبلت باولين بعدها بعام، وانتقل الزوجان إلى كي ويست في فلوريدا حيث وُلِدَ ابنهما باتريك. انتحر والد هَمِنغوَي في ذات العام في وقت لاحق؛ كتب هَمِنغوَي مُدمرًّا بسبب ما جرى «من المحتمل أني سأُقضي نحبي بذات الطريقة» (حدث ذلك فعلًا). قضى بعدها الكثير من الوقت على روايته «وداعًا للسلاح (١٩٢٩)»، العمل الروائي القوي الذي وصف الحرب بغنائيّة صارمة، ساردةً قصة سائق سيارة إسعاف أمريكي شاب في إيطاليا يقع بغرام ممرضة إنجليزية- من الجليّ أنها كتبت بناءً على خبرات هَمِنغوَي الشخصية في الحرب. ولاقت الرواية نجاحًا نقديًا وتجاريًا.

الشغف بالحيوان

بعد أن استقرَّ هَمِنغوَي مع عائلته (وُلِدَ له في هذه الأوقات ابنه الثالث غريغوري في عام ١٩٣١) في كي ويست؛ أصبحَ متضجِّرًا وكثير السفر. وعاد إلى محبوبته إسبانيا من أجل الكوريدا (أسلوب مصارعة الثيران الإسباني) الذي فُتِنَ به في سنواته القليلة الخالية، ونتج عن هذا عمله اللا قصصي «موت في الظهيرة (١٩٣٢)». امتاز هذا العمل بفحصه الموسوعي للطقوس المأساويّة لمصارعة الثيران، وخاض في طبيعة الشجاعة والخوف قائلًا: «إنَّ قتال الثيران الفن الوحيد الذي يكون الفنان فيه مُعرَّضًا لخطر الموت». وطوَّر في سفاري شرق إفريقيا في عام ١٩٣٣ شغفَه لصيد الحيوانات لأجل الأكل الذي ألهمه اثنين من أفضل قصصه وهما «ثلوج كيليمانغارو» و«قصة حياة فرانسيس ماكومبر السعيدة»، إضافة لعمله اللا قصصي «تلال إفريقيا الخضراء (١٩٣٥)» الذي نال نجاحًا أقل. وفي عام ١٩٣٤، اشترى هَمِنغوَي قارب صيد «البيلار» الذي



مصارعة الثيران

شُغف هَمنغوي بمصارعة الثيران، وكون صداقاتٍ مع أشهر مصارعي الثيران الإسبان. وساعد وصفه لسباق ثيران بامبلونا في «الشمس تشرق من جديد» في تحويل الاحتفال إلى حدث عالمي مشهور.

«سيدتي، كل القصص -إذا استمرَّت بما فيه الكفاية- تنتهي بالموت، وليس بالراوي الحقيقي من يُخفي ذلك عنك».

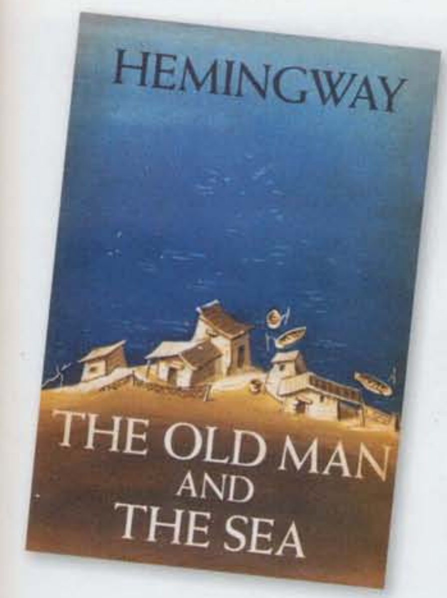
موتٌ في الظهيرة – هَمِنغوَي.

انغمس على متنه في حبه في رياضته الرجولية الأخرى- صيد السمك الكبرى.

مراسل الحرب

عاد هَمِنغوَي في عام ١٩٣٧ إلى إسبانيا مراسلًا حربيًا لتغطية الحرب الأهلية الإسبانية. وغالبًا ما تنقَّل هناك رفقة الصحفية الأمريكية «مارثا غيلهورن» التي التقى بها قبل سنة في باره المفضل «Sloppy Joe's» في مدينة كي ويست. شرعَ الاثنان في علاقة غراميّة حينما بقيا معًا في فندق في مدريد. كتب هَمِنغوَي في هذه الأوقات مسرحيته الوحيدة «العمود الخامس (١٩٣٧)» والتي استقبلت استقبالًا فقيرًا. كتب هَمِنغوَي التقارير عن الحرب مدة سنتين، وكان حاضرًا في معركة Ebro الكارثية (استمرت من شهر تموز/ آب حتى تشرين الثاني/ نوفمبر من عام ١٩٣٨). صدرت في عام ١٩٤٠ روايته «لمن تُقرع الأجراس»، وكانت عملًا خياليًا ناجحًا نتيجة لتجاربه الإسبانيّة، وركَّز فيها على مبادئ القيادة التي خلقتها الحرب على الرغم من وحشيتها. وبعد عودته من إسبانيا، انتقل هَمِنغوَي رفقة غيلهورن إلى كوبا واستقرَّا في مقاطعة تُدعى Finca Vigia خارج هافانا، حيث صقل صورة «بابا هَمِنغواي» الجسيمة، قاضيًا وقته في الصيد الحيوانات والسمك، والملاكمة، والتعاطي الثقيل للكحول.

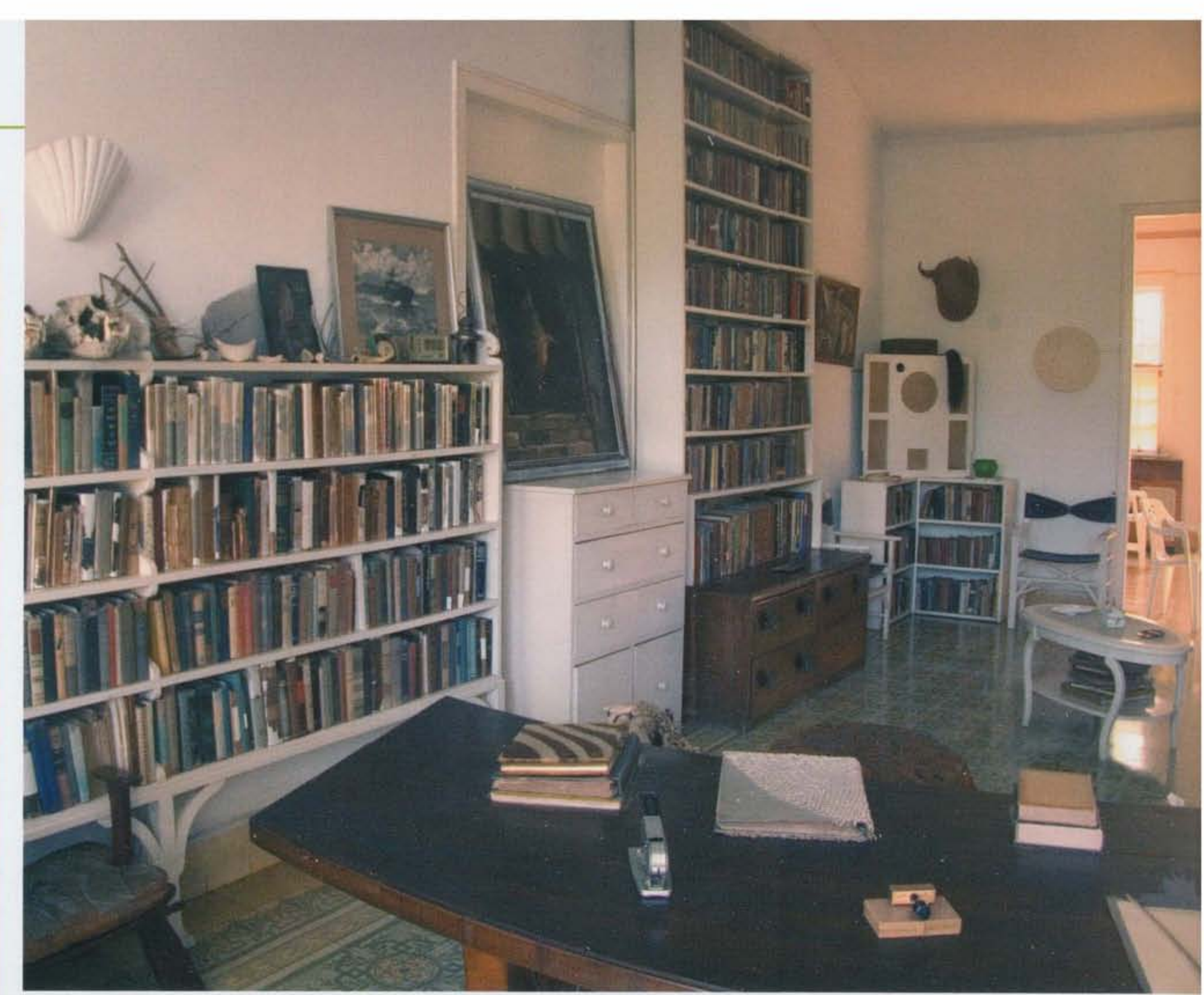
كان هَمِنغوَي قد تطلَّق في عام ١٩٤٠ من زوجته باولين وتزوَّج غيلهورن. ورافقته في السنة اللاحقة إلى الصين لتغطية الحرب الصينيّة - اليابانيّة، في مهمة لم تنل رضاه ولا إعجابه. وسافر الزوجان في عام ١٩٤٤ معًا هذه المرة إلى أوروبا لكتابة تقارير عن الحرب العالمية، وكان زواجهما مضطربًا في هذا الوقت. وفي لندن، التقى هَمِنغوَي بـ «ماري واليش»، المراسلة الحربية لـ Time Magazine، وبدأ بعلاقة معها ثم تزوَّجا في عام ١٩٤٦. نشر هَمِنغوَي بعد أربع سنوات من زواجه رواية «عبر النهر نحو الأشجار» والتي لاقت نقدًا عالميًا. وأتبعها برواية «الشيخ والبحر» في عام ١٩٥٢، وهي رواية قصيرة ذات توسُّع ملحمي عن صِراع صيّاد سمك كوبيّ مع سمكة مارلين عملاقة، التي يلتهمها سمك قرش أثناء عودة الصيّاد إلى الميناء. وقد كتب هَمِنغوَي على هذه الرواية قائلًا «أفضل ما يمكنني كتابته في كل حياتي»، ونال على إثرها جائزة بوليتزر في عام ١٩٥٣، وكان للرواية دورًا فعَّالًا في نيل هَمِنغوَي جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٥٤.



▲ **مسيرة في القمة**
رشَّحت رواية الشيخ والبحر سمعة هَمنغوي وحظوته. وجلبت مقتطفات من القصة نُشرت في مجلة الحياة (التي باعت خمس ملايين نسخة) الاهتمام الواسع العام للعمل.



▼ **غنيمة الصياد**
يظهر همنغوي هنا جاثيا على ركبته وهو يمسك قرني بقر وحشي. ساعدته رحلاته في كينيا وتنزانيا على ثبيت صورته بكونه رجل رحلات عظيم، وزودته بالأدوات لكتابته.



▲ **منزل كوبيّ**

كتب هَمِنغوي رواية «لمن تقرع الأجراس» و«الشيخ والبحر» و«مذكراته» و«عشاء متنقل» في مكتبه هذا في منزله في فينكا فيغيا - كوبا.

المرض والموت

على الرغم من أنَّ هَمِنغوَي ارتقى في مسيرته الأدبية إلى القمم، فقد كانت حياته الشخصية في الحضيض معانيًا من القلق ومرض قلبي. وقرعتْ سنواتُ عيشه الصعبة الناقوسَ بما تعرَّض له من حوادث عديدة من بينها اصطدام طائرتين أثناء رحلة سفاري في عام ١٩٥٤. واكتشف هَمِنغوَي في نهاية عام ١٩٥٦ دفترَ ملاحظات له في باريس، وعمل في السنوات اللاحقة القليلة على مذكراته التي نُشرت بعنوان «وليمة متنقلة». غادر هَمِنغوَي في عام ١٩٦٠ كوبا وانتقل إلى أيداهو، مصابًا بجنون العظمة ومكتئبًا ومدمنًا على الكحول، وأُدخِل المستشفى مرتين، وأُخضِع للعلاج الكهربائي في عيادة Mayo في مينيسوتا.

شُخِص هَمِنغوَي في عام ١٩٦١ بمرض جيني يمنع جسمه من معالجة نسبة الحديد الفائضة في الدم. وفي شهر تموز/ يوليو من ذات العام، سلبَ حياته ببندقية صيد (ثمة سبع حالات انتحار في عائلته من بينها: والده، وأخوه، وحفيدته). لهَمِنغوَي تأثيره الكبير فقد أبدعَ طريقة جديدة في الكتابة عن الطبيعة والتجربة الإنسانية والتي تكرر صداها في أدب القرن العشرين. نُشر بعد وفاته كتابه «جنة عدن» في عام ١٩٨٦، وهو استعراض لأدوار النوعين (الجندر)، وأشار إلى أن سلوكه الرجولي المتسم بالعنف قد لا يكون مجبولًا فيه كما أحبَّ أن يعتقدَ الناس.

مارثا غيلهورن

كانت غيلهورن -ثالث زوجات هَمِنغواي- روائيةً وصحفية، ورفضت أن تكون مجرَّد «هامش» في قصة هَمِنغوي. وتعد غيلهورن واحدة من أعظم مراسلي الحرب في القرن العشرين. كتبت غيلهورن (١٩٠٨-١٩٩٨) التقارير لكل صراعات الحرب الرئيسة في القرن الماضي خلال ستين سنة من مسيرتها المهنية. وغطَّت حروبًا أشهرها الحرب الأهلية الإسبانية، وحملة قصف ألـ Blitz التي شنَّها النازيون على لندن، وكانت المراسلة الأنثى الوحيدة في إنزال يوم النورماندي D Day في عام ١٩٤٤، وكتبت تقارير أيضًا عن تحرير معسكر Dachau من النازيين، والصراع العربي - الإسرائيلي، وحرب فيتنام. كان زواجها من هَمِنغوَي مائجًا وقالت بأنه كان غيورًا ومتنمرًا، وهي الوحيدة من بين زوجات هَمِنغوَي التي بادرت بتركه.



مارثا غيلهورن مع جنود بريطانيين في إيطاليا

أبرز أعماله:

- ١٩٢٥ — في زماننا: طبعت هذه المجموعة القصصية القصيرة أول الأمر في باريس، قبل أن تنشر في طبعة موسَّعة في الولايات المتحدة الأمريكية.
- ١٩٢٦ — الشمس تشرق من جديد: بُنِيت أول روايات همنغوي على حياة أصدقائه ووقائع حقيقية مثل مهرجان بامبلونا وحياة المقهى الباريسيّ.
- ١٩٢٩ — وداعًا للسلاح: دعَّمت هذه الرواية مكانة همنغوي كاتبًا حداثيًا رئيسًا في الولايات المتحدة.
- ١٩٣٢ — موت في الظهيرة: يعد هذا العمل ثمرة بحث همنغوي المكثَّف حول مصارعة الثيران.
- ١٩٤٠ — لمن تقرع الأجراس: رُشِّحت هذه الرواية لجائزة بوليتزر، وبيع منها نصف مليون نسخة بعد أشهر من نشرها.
- ١٩٥٣ — الشيخ والبحر: كُتبت هذه الرواية في ثمانية أسابيع. حققت نجاحًا سريعًا ونال همنغوي عنها جائزة بوليتزر.
- ١٩٦٤ — وليمة متنقلة: مذكرات همنغوي الجيّاشة عن سنينه الأولى في باريس. نشرت بعد موته.
- ١٩٨٦ — جنة عدن: استعراض لسيولة الجندرة في علاقة الكاتب وزوجته. طُبعت في نسخة مُحرَّرة.

كاواباتا ياسوناري

(١٨٩٩-١٩٧٢) ياباني.

عبَّرت كتابات كاواباتا الغنائية والمبسّطة عن «جوهر العقل الياباني» وجعلت منه أول كاتب ياباني ينال جائزة نوبل في الأدب.

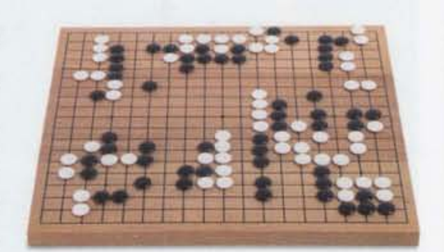
تشكّلت حياة كاواباتا ياسوناري منذ سن مبكرة بتجارب من الخسارة والصدمات والوحدة، وسنجدها متمظهرة لاحقًا في الانفصال الذي كثيرا ما نراه في شخصياته، وفي افتتانه بالموت. ولد كاواباتا في أوساكا في عام ١٨٩٩ وتيتَّم في سن الرابعة ليترعرع على يد جدَّيه من جانب والدته، في حين أُرسلت شقيقته للعيش مع خالتها. ثم قاسى مرارة الفقد مجددًا بسن الخامسة عشرة بوفاة أخته وجدِّيه، مخلّفين كاوابانا وحيدًا تمامًا.

تأثيرات الطفولة

عاش كاواباتا في طوكيو منذ عام ١٩١٧، وذهبَ للدراسة في جامعة المدينة الإمبراطوريّة وتخرج فيها عام ١٩٢٤ بشهادة عن اللغة الإنجليزية. خطبَ بعدها في طوكيو «هاتسويو إتو»، فتاة بسنِّ الرابعة عشرة، لكن هذه الخِطبة تدمَّرت عندما تركته إثر اغتصابها من قبل كاهن في المعبد الذي كانت تقطن فيه. وستظهر عدة شخصيات مبنيةً على هاتسويو وعلاقتهما المأساوية في أعماله اللاحقة، من ضمنها القصة القصيرة «فتاة إزو الراقصة The Dancing girl of Izu» التي جلبت الانتباه إليه، وهي قصة شبه سيرة ذاتية عن سوداوية افتتان طالب براقصة شابة. وستتكرر تجاربه الشبابية في قصص أخرى، مستعرضةً مواضيع من الحب المستحيل إلى الخواء إلى البحث عن الراحة.

الحداثة اليابانية

أسس كاواباتا في السنوات التي تلت الجامعة مجلة «العصر الفني» التي كانت منفذًا لكتَّاب اليابان المنتمين للحسَّاتيّة الجديدة Neosensualist. توازت هذه الحركة مع التعبيريّة في الغرب، وثمّنت شعار «الفن لأجل الفن» ورفضت الفكرة السائدة بضرورة أن يوصل الفنُّ رسالة أخلاقية.



▲ سيِّدُ غو، ١٩٥١

كان عمل كاواباتا «سيِّدُ غو» قصة شبه خيالية لمباراة لعبة غو أسطورية جرت في عام ١٩٣٨. يعتقد بعض بأنَّ الصراع بين اللاعبيْن رمزٌ عن الحرب العالمية الثانية.

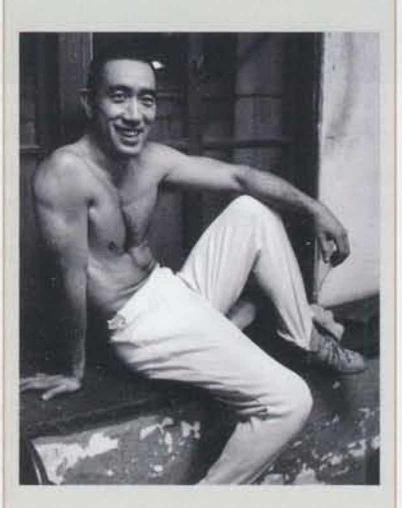
انتقل كاواباتا في عام ١٩٣٤ من طوكيو إلى مدينة كاماكورا في جنوب طوكيو مع زوجته «هيديكو» التي تزوجها في عام ١٩٢٦. وفي أثناء هذه الأوقات التي انتقل فيها كاواباتا إلى كاماكورا بدأ بإنتاج أفضل أعماله وإن كان نشرها ببطء مؤلم: فقد نُشر عمله بلد الثلج Snow Country على أقسام ما بين سنتي ١٩٣٥ و١٩٤٧، وبدأ بعمله ألف طائر كركي Thousand Cranes في عام ١٩٤٩ ولم يُنهِهِ على الإطلاق، أما عمله «صوت الجبل» أخذ منه ستَّ سنوات كاملة لكتابته. خلَّف كاواباتا أعمالاً عديدة غير مكتملة لأسباب شطرها أنه كان سعيدًا بكتابة المقالات القصيرة، إضافة إلى أنه لم يكُ يرغب بمواجهة النهايات. انتقلت هذه السلبية حتى إلى آرائه السياسية إذ أبعدَ نفسه عن ماديّة الحرب العالمية الثانية، وعلى سبيل المثال، فبدلاً من التعبير عن رأيه فيها فقد فضَّل عدم الاحتجاج عليها ولا دعمها.

نال كاواباتا جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٦٨. وتسرَّبت السوداوية التي علَّمت أعماله إلى كلمة تسلمه الجائزة التي لامس فيها فني الزن وإيكيبانا (فن ترتيب الزهور الياباني التراثي)، ونمَّت كثيرًا عن الانتحار. عُثرَ على كاواباتا في عام ١٩٧٢ ميتًا في منزله وأنبوبة غاز في فمه وزجاجة ويسكي فارغة بالقرب منه- نهاية مضطربة ومثيرة للدهشة لرجل وجدَ سلواه و إلهامه في الشكلانيّة الدقيقة لتقاليد اليابان القديمة.



يوكيو ميشيما

كان كاواباتا رفيقًا مقربًا لزميله الكاتب يوكيو ميشيما (١٩٢٥-١٩٧٠) الذي كان مرشَّحًا لجائزة نوبل للأدب في ستينات القرن الماضي. لكن نجمه بدأ يأفل في عام ١٩٦٨ بعد أن ظنَّت هيئة محكمي النوبل -خطأ- أنَّ ميشيما كاتبٌ شيوعيٌّ. انتحر ميشيما بعد سنتين من نيل كاواباتا الجائزة. اتضح لاحقا أنَّ كاواباتا أجبرَ ميشيما أن يوصّي به مرشحا لنيل جائزة نوبل مقابل دعمه في نزاع قانوني. ولربما كان الشعور بالذنب هو الوقود الذي أشعل كوابيس كاواباتا عن انتحار رفيقه وخَبَرها في السنة التي سبقت إقدامه على الانتحار.



يوكيو ميشيما، طوكيو، ١٩٧١

◀ متحف كاماكورا للأدب

انتقل كاواباتا إلى مدينة كاماكورا، جنوب اليابان، في عام ١٩٣٤. كوَّن كاواباتا في بادئ الأمر علاقات مع مجمتع مفكري المدينة، لكنَّه أصبح منعزلًا بتقدم العمر. يضم متحف كاماكورا للأدب العديد من تأثيرات كاواباتا.

◀ كاواباتا ياسوناري

يظهر كاواباتا في هذه الصورة في السنة التي نال بها جائزة نوبل في الأدب. تزامن استلامه للجائزة مرور مئة عام على إحياء حقبة ميجي في اليابان، وأشار فوزه بالجائزة إلى بروز الأدب الياباني إلى الساحة العالمية.



ملحق الفصل الرابع

إديث وارتون

(١٨٦٢-١٩٣٧) أمريكيّة

اشتهرت المؤلفة إديث وارتون -ولدت باسم إديث نيوبولد جونز- لرواياتها الساخرة بقوة التي هاجمت فيها المجتمع الراقي الذي كانت هي نفسها تنتمي إليه. وعلى الرغم من أنها كتبت بسن مبكرة جدًا فإن عائلتها الثرية في نيويورك لم تشجعها على السعي وراء مسيرتها الكتابية. قاست إديث زواجًا تعيسًا من رجل المجتمع تيدي وارتون، ولم تنشر أول رواياتها حتى سن الأربعين. حققت نجاحها المهني برواية «بيت الفرح» المنشورة في عام ١٩٠٥، والتي تدور حول قصة امرأة تُحطّمها عادات المجتمع المنافق لطبقة نيويورك الرفيعة. تصدرت الرواية قائمة المبيعات مباشرةً، وأكدت سمعتها في نوفيلا «إيثان فروم» التي ركزت فيها على مذهب نيو إنغلاند البيوريتاني. تطلّقت إديث من زوجها في عام ١٩١٣، وقضت بقية حياتها في فرنسا. تعد روايتها «عصر البراءة» أفضل أعمالها الأخيرة، وعادت فيها مجددًا إلى التصوير النقدي لمجتمع نيويورك الذي عاشته في طفولتها. كانت إديث أول امرأة تفوز بجائزة بوليتزر عام١٩٢١ عن رواية «عصر البراءة».

أبرز أعمالها:

بيت الفرح (١٩٠٥)، إيثان فروم (١٩٠٥)، عرف الريف (١٩١٣)، عصر البراءة (١٩٢٠).



▲ إديث وارتون، ١٨٨٥

موريس ميتيرلينك

(١٨٦٢-١٩٤٥) بلجيكيّ

ولد موريس، المسرحي والشاعر وكاتب المقالات الرمزي الفائز بجائزة نوبل في الأدب عام ١٩١١ لعائلة فلمنكيّة مُزدهرة تتحدث الفرنسية في مدينة غينت. جاءت انطلاقته كاتبا في عام ١٨٨٩ مع مسرحية «الأميرة مالبين»، والتي اقتبسها من قصة للأخوين غريم. ابتكر موريس أسلوبا جديدا للدراما تنجرف فيه الشخصيات المستضعفة أمام مصيرها نحو الهلاك في جوٍّ مُشبع بالرمزية. حُوّلت قصة الحب المثيرة بالكآبة Pellets and Melisande إلى أوبرا على يد الموسيقار كلود ديبوسي في عام ١٩٠٢. وكان موريس ذائع الصيت أيضًا لمقالاته الموسّعة لا سيما «حياة النحل» التي استخدم فيها عالم الطبيعة قاعدةً لتأملاته الغامضة عن الوجود الإنساني. وحافظت مسرحياته في بواكير القرن العشرين مثل المسرحية الخيالية «الطائر الأزرق» على هيبة مطلع القرن، لكن نمطه الأدبي انتكس ضد تجديداته الجمالية وتلاشى إبداعه.

أبرز أعماله:

الأميرة مالبين (١٨٨٩)، Pelleas and Melisande (١٨٩٢)، حياة النحل (١٩٠٠)، الطائر الأزرق (١٩٠٨).

غابرييل دانونزيو

(١٨٦٣-١٩٣٨) إيطاليّ

كان المؤلف الإيطالي غابرييل دانونزيو والشخصية العامة اللامعة مشهورًا لمبادراته السياسية وعلاقاته الغرامية بقدر كتاباته. نشر أول ديوان قصائد Primo Vere بسن السادسة عشرة وأسّس لنفسه سريعًا سمعةَ شاعر وكاتب قصة قصيرة ذا موهبة أصيلة. نشر دانونزيو ابتداءً بروايته «طفل اللذة» في عام ١٨٨٩ رواياته المتّقدة التي عكست عاطفته المحمومة بإفراط وحياته الجنسية، وكانت رواية «لهيب الحياة» على سبيل المثال قد كُتبت بناءً على علاقته التي يعرفها القاصي والداني مع الممثلة إليونورا دوسي. وحقق دانونزيو نجاحًا في الكتابة المسرحية ولا سيما مع مسرحية Francesca da Rimini المنشورة في عام ١٩١١ التي كتبها لأجل حبيبته دوسي. كان دانونزيو قوميًا عنيفًا شجّع إيطاليا الدخول في الحرب العالمية الأولى، وقاتل من أجل وطنه محققًا مقام بطلٍ وخسر عينًا في إحدى المعارك. أحكم دانونزيو بعد نهاية الحرب قبضته مدة قصيرة على مدينة فيومي Rijeka الكرواتية المتنازع عليها، وحكمها بدكتاتورية شخصيّة.

أبرز أعماله:

Canto novo ١٨٨٢، انتصار الموت (١٨٩٤)، لهيب الحياة (١٩٠٠)، Francesca da Rimini 1911.

قسطنطين كفافيس

(١٨٦٣-١٩٣٣) يونانيّ

ولد كفافيس، الشاعر اليوناني الأكثر تأثيرًا في القرن العشرين، في الإسكندرية بمصر. قضى شطرًا من شبابه في إنجلترا حيث كانت ارتباطات عائلته التجارية، لكنه عاد إلى الإسكندرية في عام ١٨٨٥ واستقرَّ فيها حتى وافته المنيّة. خدمَ كفافيس موظفًا مدنيًا ثلاثين عامًا ونظمَ الشعر في أوقات فراغه لكنه لم يجد صوته إلا في حدود الأربعين من العمر، وأنتج في نهاية المطاف أكثر من مئة وخمسين قصيدة قصيرة التي عدَّها مقبولة. ضمَّت بيئة اليونان القديمة وروما العديد من قصائده، من بينها قصيدته المشهورة «في انتظار البرابرة» و«الرب يتخلّى عن أنطوني». جعل كفافيس بحدة ذهن العالمَ القديم ينعكس في الوقت الحاضر، ونظم أيضًا قصائد الحب التي تستحضر بأسلوب مؤثر المباهجَ الشديدة لكن الهاربة للممارسات الجسدية العَرَضية مع الذكور، الموضوع الحميميّ الذي كان له السبب جزئيًا في عدم نشره قصائده حتى وفاته.

أبرز أعماله:

في انتظار البرابرة (١٩٠٤)، إيثاكا (١٩١١)، قصائد ق. ب. كفافيس.

أندريه جيد

(١٨٦٩-١٩٥١) فرنسي

ولد المؤلف أندريه جيد، الحائز على جائزة نوبل في الأدب، لعائلة بروتستانتية، وهو ابن لأستاذ، ونشر رواياته الأولى في سن الحادية والعشرين. وفي تسعينات القرن التاسع عشر، وخلال زيارته لشمال أفريقيا، اكتشف ميلا جنسيا للصبيان، واعتنق وثنيّة نيتشويّة عبّر عنها في قصيدته النثرية الغنائية «ثمار الأرض»(١٩٨٧). كان له حضور راسخ في المشهد الأدبي الباريسي، وكان مؤسس مجلة Nouvelle Revue Française المؤثرة في عام ١٩٠٩. تضمنت أعماله الأدبية «أقبية الفاتيكان (١٩١٤)، والتي قدمت مفهوم acte gratuit الذي يشير إلى التصرفات العفوية التي تحدث دون دوافع محددة، وممارسة تعسفية للحرية، وعمله «المزيّفون»، وهي رواية معقدة تستكشف مفاهيم الأصالة. دافع جيد عن المثلية الجنسية، وهاجم الاستعمار، ورفض الشيوعية السوفيتية. وفي عام١٩٤٧، نال جائزة نوبل في الأدب. تعد كتاباته عن سيرته الذاتية، بما في ذلك «لو تموت... (١٩٢٦)» ويوميّاته، من بين أكثر أعماله إثارةً للاهتمام.

أبرز أعماله:

الخالد (١٩٠٢)، البوابة الضيقّة (١٩٠٩)، السيمفونية الرعوية (١٩١٩)، المزيفون (١٩٢٦)

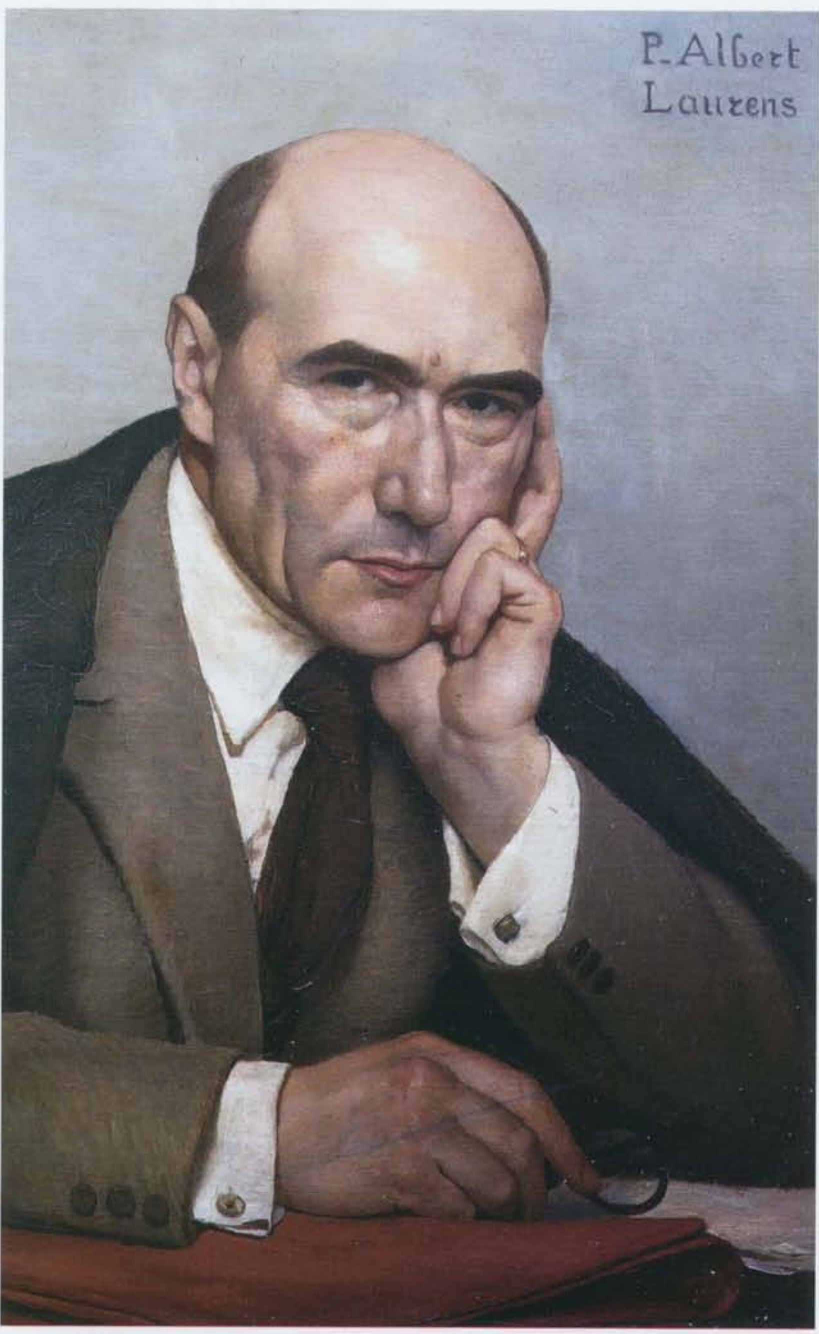
كوليت

(١٨٧٣-١٩٥٤) فرنسيّة

تعرّفت سيدوني غابرييل كوليت، إحدى أكثر الكتّاب المحبوبين في فرنسا، على عالم الأدب من قبل زوجها الأول المؤلف هنري غوتييه فيلارز، وظهرت رواياتها الأولى «سلسلة كلاودين» التي تصدّرت قوائم المبيعات باسم زوجها. جنت كوليت دخلها بعد انفصالهما بعملها راقصة إيروتيكية في صالات الموسيقى خلال مرحلة حياتها النشطة، والتي تخللتها علاقات جسدية مع كلا النوعين، وكانت مادة لرواياتها شبه السيرّية. جلب لها زواجها الثاني التأمين المالي لتركّز على الكتابة، وأصبحت العلاقة بين شاب صغير وامرأة أسنّ منه الموضوع المتكرر في أعمالها -لا سيما في عملها المُشاد به «Cheri»- وفي حياتها. خاضت كوليت علاقة مع ابن زوجها، وكان زوجها الثالث الأخير يصغرها بست عشرة سنة. أبانت روايات كوليت عن شهوانية دافئة، وحب الطبيعة اليَقِظ، والغريزة المتبصرة لضعف الرجال التي مكنتها من الازدهار في أشدّ عالمٍ جنسي.

أبرز أعمالها:

الصعلوكة (١٩١٠)، شيري (١٩٢٠)، إيناع البذرة (١٩٢٣)، جيجي (١٩٤٤).



▲ أندريه جيد، باول ألبير لورينز، ١٩٢٤

روبرت فروست

(١٨٧٤-١٩٦٣) أمريكيّ

وُلدَ الشاعر روبرت فروست في كاليفورنيا لكنه انتقل إلى نيو إنغلاند بسن الحادية عشرة. خَبَر فروست في السنوات اللاحقة الكآبة والإحباط: لم تُنشر له إلا قصائد معدودة، وأُبتليَ زواجه بموت أطفاله، وفشلت محاولته في الزراعة. ارتحل فروست في عام ١٩١٢ إلى بريطانيا حيث وجد بيئة أدبية متعاطفة، ونشر أول مجموعتين شعريتين «وصية ولد (١٩١٣)» و«شمال بوسطن (١٩١٤)»، ودارت هذه القصائد في ريف نيو إنغلاند عاكسةً إيقاع الكلام العادي ومؤسسةً سمعته شاعرًا. عزّز فروست بعودته إلى نيو إنغلاند في عام ١٩١٥ مكانتَه بأشعار مرموقة مثل «طريق لم يُطرق (١٩١٦)» و«وقوفٌ عند الغابة في أمسيّة ثلجية (١٩٢٢)». استمرَّ فروست غير مبالٍ لضغط الحداثة الأدبية بانتاج شعر رقيق ومفهوم خلال حياته ولا سيما قصيدته الذائعة الصيت «الهدية الكاملة (١٩١٤)» التي ألقاها في حفل الافتتاح الرئاسي لجون كينيدي في عام ١٩٦١.

أبرز أعماله:

شمال بوسطن (١٩١٤)، الجبل الفاصل الزمني (١٩١٦)، نيو هامبشاير (١٩٢٣)، نطاق أوسع (١٩٣٦).

راينر ماريا ريلكه

(١٨٧٥-١٩٢٦) نمساويّ

وُلد ريلكه، شاعر غنائي رفيع المقام ومؤثر في تطور الحداثة، في براغ وقتما كانت جزءًا من الإمبراطورية النمساوية-الهنغارية. أجبره والداه على قضاء خمس سنوات في الأكاديمية العسكرية على الرغم من فطرته الشعرية.

عرضت بواكير قصائده مزجًا حُلميًّا ما بين الروحانيّة والشهوانيّة التي كانت مثالية لانحطاط نهاية القرن التاسع عشر. طوّر ريلكه منذ عام ١٩٠٢ قصائده العامة «Thing Poems» تحت التأثير المتصاعد لطلائع القرن العشرين الفرنسي، واصفًا تجربة الانسلاخ الروحاني في العالم الحديث بمجازية مُكثّفة وصلبة. ونظم أول ديوان مشهور له «مراثي دوينو» في عام ١٩١٢ عندما كان مستقرًا في قلعة دوينو في مدينة تريستي الإيطالية. عكّرت الحرب العالمية الأولى صفو حياته ولم تسترد صفوها حتى عام ١٩٢٦ بانفجاره الإبداعي الأخير الذي أتمَّ فيه «المراثي» إضافة إلى كتابته «سونيتات إلى أورفيوس». أبانت هذه الأعمال الأخيرة عن صوفية جمالية فريدة في قصائد جمال استثنائي وغموض.

أبرز أعماله:

قصائد جديدة (١٩٠٧)، مذكرات مالتي لاوريدز بريجي (١٩١٠)، مرثيات دوينو (١٩١٢-٢٢)، سونيتات إلى أورفيوس (١٩٢٣).

هيرمان هيسه

(١٨٧٧-١٩٦٢) ألمانيّ

وُلد هيرمان هيسه، الروائي والشاعر، لعائلة من المُبشرين البروتستانتيين، وعلى الرغم من تمرده ضد التعليم الديني فقد بقي محافظًا على النظرة الروحانية للحياة. كرّس هيسه نفسه للكتابة بعد نجاح أول رواياته «بيتر كامينتسيند (١٩٠٤)». خَبَر هيسه أزمة روحية خلال الحرب العالمية الأولى، وعانى من انفصال زواجٍ مؤلم، لكنه وجد خلاصه في الفلسفات الشرقية والتحليل النفسي اليونغيّ (سيُشرك الطرز اليونغيّة البدائية في أعماله لاحقًا).

أشاعت روايته «سيدهارتا» البوذية في الغرب في العقد العشريني، وشجّع «المسرح السحري» في رواية «ذئب البراري» استكشافاتَ سواحل الخيال الجامحة. عمل هيسه على روايته «لعبة الكرات الزجاجية»، التي تدور عن مدينة فاضلة خيالية لعالم مُنظَّم روحانيًّا، منذ عام ١٩٣٢ وحتى سنة نشرها في عام ١٩٤٣. قضى هيسه سنوات حياته الأخيرة في سويسرا، ونال جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٤٦، وكان لرواياته حظوة اتّباع كبيرة في حقبة الثقافة المضادة في ستينات القرن العشرين.

أبرز أعماله:

دميان: قصة شباب إيميل سنكلير (١٩١٩)، سيدهارتا (١٩٢٢)، ذئب البوادي (١٩٢٨)، لعبة الكريات الزجاجية (١٩٤٣).

روبرت موزيل

(١٨٨٠-١٩٤٢) نمساويّ

وُلد الروائي وكاتب القصة القصيرة روبرت موزيل لعائلة بارزة في مدينة كلاغنفورت. أعدّ موزيل منذ صغره لدخول الجيش، فتلقى تعليمه في أكاديمية عسكرية، وهي تجربة مؤلمة شكّلت أساس روايته الأولى «اعترافات الشاب تورليس».

رفض موزيل مسيرته العسكرية، ودرس الهندسة والفلسفة أثناء كتابة القصص التي ظهرت في كتابه «اتحادات» عام١٩١١ . وبعد أن خدم ضابطًا في الحرب العالمية الأولى، بنى موزيل لنفسه سمعة في الأوساط الأدبية بمسرحيته «المتحمسون (١٩٢١)» ومجموعة القصص القصيرة الأخرى «ثلاث نساء».

جرت أحداث المجلد الأول من عمله المُعتبر «رجل بلا صفات» في عصر تدهور الإمبراطورية النمساوية، وظهر في عام ١٩٣٠. ويُعدُّ في الوقت الحالي رائعة الأدب الحداثي إذ لم تقتصر قيمته على النجاح التجاري. لم ينتهِ المجلد الأخير من الكتاب قط، فقد مات موزيل في سويسرا حيث فرَّ مع زوجته اليهودية هاربين من النازية.

أبرز أعماله:

اعترافات الشاب تورليس (١٩٠٦)، اتحادات (١٩١١)، ثلاث نساء (١٩٢٤)، رجل بلا صفات (١٩٣٠-١٩٣٢-١٩٤٢).

نيكوس كازانتزاكيس

(١٨٨٣-١٩٥٧) يونانيّ

ولد نيكوس كازانتزاكيس في جزيرة كريت التي كانت آنذاك تحت حكم الإمبراطورية العثمانية التركية. نشأ على خلفية عنيفة من التمرد اليوناني والقمع التركي. نشر أول رواياته ومسرحياته في العشرينات من عمره، مجادلًا باستخدامه اللغة اليونانية المحكيّة للناس لغةً أدبية.

ارتحل كازانتزاكيس بكثرة وعانى تحت التأثيرات المُضطربة للبوذيّة والشيوعية. أعان كازانتزاكيس نفسه ماليًا عبر الترجمات وكتابة كتب الرحلات والكتب المدرسية، وعمل لسنوات على قصيدته الملحمية «الأوديسة: تتمة حديثة» التي أكملها في عام ١٩٣٨. أما أشهر كتبه «زوربا اليوناني» فقد كتب إبّان الحرب العالمية الثانية، بادئًا بها سلسلة من الروايات التي عبّر فيها عن سِحرِ كريت والنسخةَ الفريدة من الإيمان الديني. أُدينت روايته الجدلية «الإغواء الأخير للمسيح» من قبل كلا الكنيستين الأرثوذكسية والرومانية الكاثوليكية.

أبرز أعماله:

الأوديسة: تتمة حديثة (١٩٣٨)، زوربا اليوناني (١٩٤٦)، المسيح يُصلب من جديد (١٩٤٨)، الإغواء الأخير للمسيح (١٩٥٥).



▲ كاثرين مانسفيلد

كاثرين مانسفيلد

(١٨٨٨-١٩٢٣) نيوزلنديّة

وُلدت كاتبة القصة القصيرة كاثرين مانسفيلد بوشامب في ويلينغتون بنيوزيلندا، وكانت ابنة لرجل أعمال ناجح. وفي تمرد على ضيق الأفق لمحيطها، غادرت كاثرين إلى إنجلترا في عام ١٩٠٨ لتصبح كاتبة. عاشت كاثرين حياة بوهيمية وكان لديها العديد من العلاقات المعقَّدة: دام زواجها الأول ستَّة أسابيع فحسب. كان تطورها كاتبةً خاطفًا، وبدأت مجلة أدبية بارزة بنشر قصصها في عام ١٩١٠ وتبعتها بمدة وجيزة مجموعتها القصصية الأولى «معاش ألمانيّ». أُلهمت كاثرين بمثال أنطون تشيخوف فكتبت قصة حادةً ونَبِهة، وعُدَّت من نُظرائها كائنًا حداثيًا بتميُّز. ارتبطت كاثرين بمجموعة بلومزبري في عام ١٩١٨ وتزوَّجت الناقد جون ميدليتون موراي. ضمَّت بيئة طفولتها في نيوزيلندا بعضًا من أفضل قصصها اللاحقة مثل «المقدمة» و«حفل البستان». ماتت كاثرين بعد صراع مرير طويل مع مرض السل في فرنسا بعمر الرابعة والثلاثين.

أبرز أعمالها:

معاش ألمانيّ (١٩١١)، مقدمة (١٩١٨)، نعيم (١٩١٢)، حفلة الحديقة (١٩٢٢).

فرناندو بيسوا

(١٨٨٨-١٩٣٥) برتغاليّ

ترعرع بيسوا، الشاعر الحداثي المتميّز، في ديربان بجنوبي إفريقيا، حيث كان زوج والدته قنصليا برتغاليا هناك. عاد بيسوا إلى مسقط رأسه لشبونة وهو في السابعة عشرة، واستقرّ فيها حتى وفاته. كان شخصية بارزة في الأوساط الأدبية البرتغالية، لكنه كان غير معروف للعامة. لم ينشر بيسوا أيّ شعرٍ باللغة البرتغالية في حياته باستثناء كتابه الشعري «رسالة» وبعض من الأشعار باللغة الإنجليزية، لغة تعليمه المبكر، ونُشرت بقية أعماله كاملة بعد وفاته. اتّسم بيسوا بنشاط إبداعي لا يعرف الكلل، وأبدع عدد كبيرا من «الأنداد»- شخصيات خيالية كتب باسمها النثر والشعر بوجهات نظر متباينة وأساليب مختلفة. وكان ألبرتو كاييرو،

وريكاردو ريس، وألفاروا دي كامبوس، أشهر أنداده. وارتبطت سيرته الذاتية الكاذبة «كتاب اللا طمأنينة» بمساعد المحاسب «بيرناردو سواريس».

أظهرت القصائد المكتوبة باسم بيسوا هوسًا سوداويًا مع ضجر وحنين إلى الماضي، ونمت سمعته بتزايد منذ موته.

أبرز أعماله:

رسالة (١٩٣٤)، قصائد فرناندو بيسوا (١٩٤٢)، قصائد ألبرتو كاييرو (١٩٤٦)، كتاب اللا طمأنينة (١٩٨٢).

بوريس باسترناك

(١٨٩٠-١٩٦٠) روسيّ

كان بوريس ليونيدوفيتش باسترناك شاعرًا وروائيًا أصبح محور الجدل السياسي بشأن فوزه بجائزة نوبل في الأدب عام ١٩٥٨. ولد لعائلة مثقفة في سان بطرسبرج (رسم والده أعمال تولستوي)، ونشر أول مجلد شعر له في عام ١٩١٤

اختار بوريس الاستقرار في روسيا بعد الثورة الروسية في عام ١٩١٧، ونشر في عشرينات القرن الماضي أشعارًا غنائية نالت إعجابًا كبيرا، ظهر فيها تأثير الشاعر الرمزي ألكسندر بلوك، والشاعر المُستقبلي Futurist فلاديمير ماياكوفسكي. انخفضَ إنتاجه الإبداعي في الحقبة الستالينية الدكتاتورية، وأُعتقلت زوجته «أولغا إيفانسكايا» في عام ١٩٤٩ ثم أُرسلت إلى معسكرات العمل لكن تُرك بوريس دون أن يُمس.

أكمل بوريس في عام ١٩٥٦ رواية «دكتور جيفاغو» وهي قصة حب تقع أحداثها في الثورة الروسية، وعلى الرغم من عدم معاداتها الشيوعية جهرًا فقد حُظرت في الاتحاد السوفيتي. وأكسبت بوريس جائزة نوبل في الأدب عندما نُشرت في الغرب، ورفض بوريس استلام الجائزة بضغط من السلطات السوفيتية.

أبرز أعماله:

حياة أختي (١٩٢٢)، مباحث وتباينات (١٩٢٣)، دكتور جيفاغو (١٩٥٦)، عندما يصحو الجو (١٩٥٩).

ج. ر. ر. تولكين

(١٨٩٢-١٩٧٣) أمريكيّ

وُلدَ جون رونالد روين تولكين، أبُ رواية الفانتازيا الحديثة، في جنوب إفريقيا لكنه نشأ في منطقة ميدلاندز الإنجليزية. تيتّم تولكين بسن الثانية عشرة، وأصبح تحت وصاية قس كاثوليكي. . بدأ تولكين بتحضير عالمه الأسطوري الذي سيضم جميع رواياته عندما كان يخدم نائب ضابط في الحرب العالمية الأولى. وأصبح أستاذ مادة الأنغلو-سكسون بعد نهاية الحرب في كلية بيمبروك، أكسفورد. أثّر فيه الشعر الإنجليزي القديم لا سيما قصيدة «بيوولف» التي كانت المؤثر الرئيس في كتاباته. كتب تولكين «الهوبيت» لأطفاله، وحققت نجاحًا عند نشرها عام ١٩٣٧، الأمر الذي شجّعه على بدء ثلاثية «سيد الخواتم». أكمل تولكين الثلاثية في عام ١٩٤٨ ونشرها في الخمسينات وأصبحت من أفضل الكتب مبيعًا على مستوى العالم في العقد اللاحق. وظهر عمله غير المكتمل «سيلماريلين» بعد موته في عام ١٩٧٧.

أبرز أعماله:

الهوبيت، أو ذهابًا وعودة (١٩٣٧)، رفقة الخاتم (١٩٥٤)، البرجان (١٩٥٤)، عودة الملك (١٩٥٥).

فيدريكو غارسيا لوركا

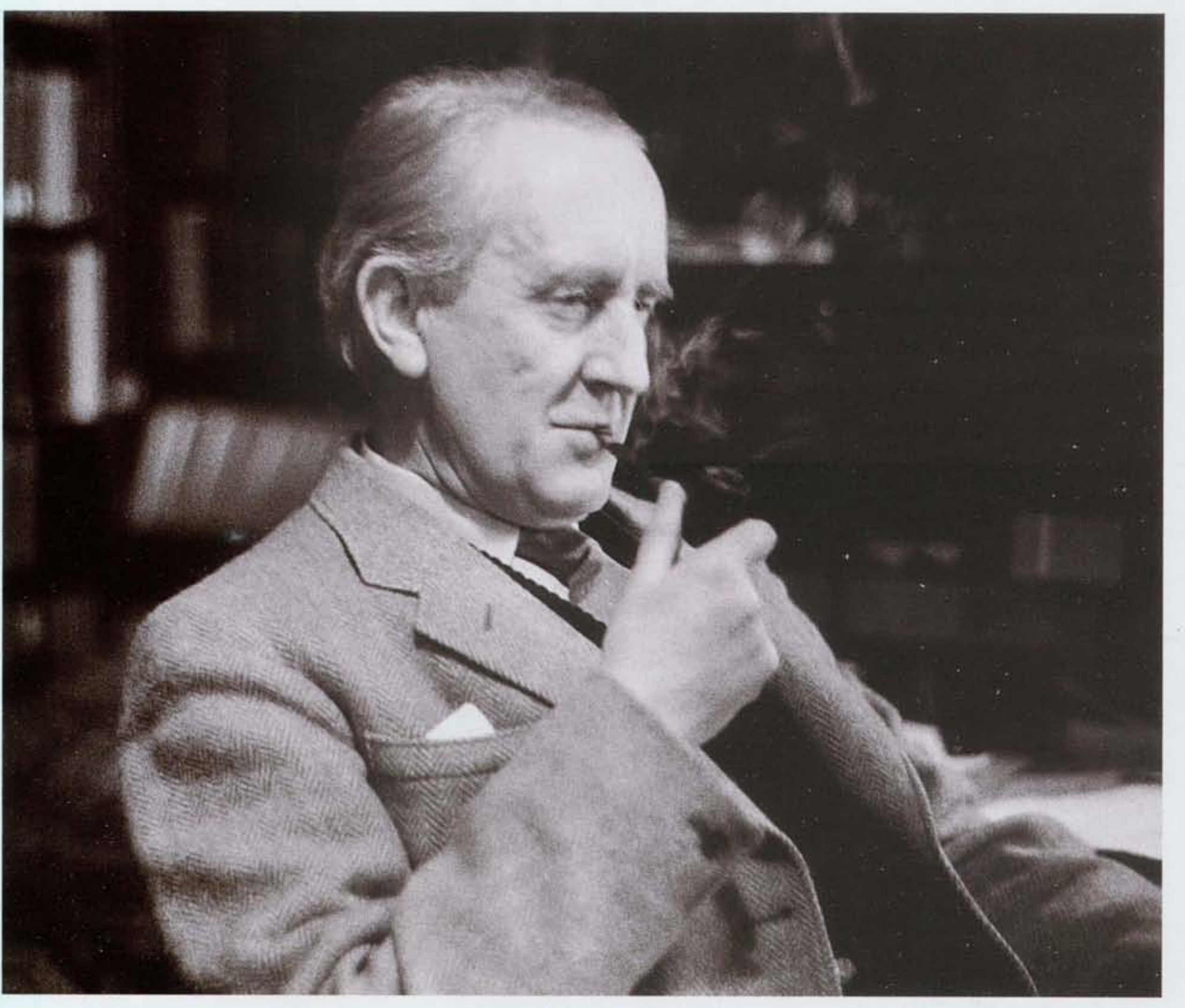
(١٨٩٨-١٩٣٦) إسبانيّ

كان لوركا، الشاعر والمسرحيّ، ابن مالك أراضٍ في غرناطة، الأندلس. درس لوركا في مدريد منذ عام ١٩١٩ وكان فردًا من جيل الكتّاب والفنانين الطموحين الذي ضمَّ الشاب سلفادور دالي. ظهر أول كتب لوركا الشعرية في عام ١٩٢١، ومزجَ أسلوب لوركا الفريد ما بين الحداثة والتقاليد الشعبية الأندلسيّة وظهر التعبير الأكثر شعبية عن هذا الأسلوب في ديوانه «الأناشيد الغجرية» لعام ١٩٢٨. زار لوركا في السنة التالية أمريكا وكتب شعرًا سرياليًا في ديوان «شاعر في نيويورك (١٩٤٠)». وثقت حكومة الجمهوريين الجديدة في إسبانيا بلوركا وعيَّنته على رأس شركة متنقلة أدت مسرحيات لجمهور الريف. كتب لوركا أثناء تنقله سلسلة من مسرحياته المهمة من ضمنها عرس الدم وييرما (١٩٣٤) التي تناولت أحداثهما معضلات النساء في إسبانيا.

أُعدمَ لوركا في بداية الحرب الأهلية الإسبانية في آب/ أغسطس عام ١٩٣٦ من القوميين، ولم يعثر على جثمانه قط.

أبرز أعماله:

الأغاني (١٩٢٧)، الأناشيد الغجرية (١٩٢٨)، عرس الدم (١٩٣٣)، مرثاة من أجل إغناسيو سانشيز ميجياس (١٩٣٤).



▲ ج. ر. ر. تولكين


منتصف
القرن
العشرين

الفصل الخامس



فلاديمير نابوكوف

(١٨٩٩-١٩٧٧) روسي المولد - أمريكي.

اشتهر نابوكوف بروايته «لوليتا» التي كانت صادمة في وقتها، وما زالت مثيرة للجدل حتى يومنا الحاضر. كان مُتمرّسا بارعا للغة الإنجليزية في تُحفه الأدبية التي تضمنت الروايات والشعر والقصص القصيرة والسيرة الذاتية والنقد.

ولد فلاديمير نابوكوف، الابن الأكبر بين خمسة أخوة، لأسرة وجيهة في سانت بطرسبورغ في روسيا ما قبل الثورة. ترعرعَ وهو يتحدث الروسية والإنجليزية والفرنسية، وصرّح بأنه عاش «أسعد طفولة يمكن تخيُّلها». في عام ١٩١٩ بعد الثورة البلشفية، أخذ والده -الذي كان زعيما معارضا بارزا- عائلته إلى المنفى في لندن ثم إلى برلين، حيث اغتيل بعد ثلاث سنوات على يد متعصب للملكيّة. انتقل نابوكوف إلى برلين بعد أن أكمل دراسته في جامعة كامبريدج. كان قد نشر بالفعل مجلدين من الشعر في روسيا، وبدأ الآن في ترسيخ سمعته شاعرًا في مجتمع المهجر الروسي، كاتبًا باسم V Sirin. تزوّج نابوكوف في عام ١٩٢٥ يهودية روسية تدعى فيرا سلونيم، وانجبَ منها ابنًا واحدًا أسماه دميتري ولد في عام ١٩٣٤.

من أوروبا إلى أمريكا

نشر نابوكوف أول رواية له، والتي كانت سيرة ذاتية على نحوٍ كبير، «ماشينكا (ماري)» عام ١٩٢٦، ثم أتبعها برواية «الملك، الملكة، صحن الكنيسة (١٩٢٨)»، والتي شكّلت بدايات الابتكارات الأسلوبية والتلاعب اللفظي اللذين اشتهر بهما. ثم على مدار العقد التالي، كتب نابوكوف بالروسية بغزارة، وداعما أسرته بإعطاء دروس في التنس والملاكمة واللغات، في حين عملت زوجته مترجمة.

وبنشوب الحرب، هربت العائلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. حظي نابوكوف هناك بوظيفة محاضر في كلية ويليسلي بماساتشوستس، الوظيفة التي منحته وقت فراغٍ كاف للكتابة والاستمتاع بإحدى هواياته: جمع الفراشات (سينشر في نهاية المطاف ثمانية عشر بحثا في علم الحشرات).

كان كتابه الأول باللغة الإنجليزية «حياة سيباستيان نايت الحقيقية (١٩٤١)» مبنيا على تجاربه في كامبريدج، أما كتابه الثاني «الحزام المعكوس (١٩٤٧)» فكان قصة تدور أحداثها في ظل نظام شمولي تنتهي بظهور المؤلف نفسه.

أصبح نابوكوف في عام ١٩٤٥ مواطنًا أمريكيًا، وعُيِّن في عام ١٩٤٨ أستاذَ الأدب الروسي في جامعة كورنيل بنيويورك. والآن، وبعد أن أمّن نفسه ماديًا، شرع في كتابة الرواية التي ستقذف به إلى الشهرة العالميّة: لوليتا. نُشرت هذه «القنبلة الموقوتة» على حد تعبيره لأول مرة في فرنسا عام ١٩٥٥، ثم نشرت أخيرا في أمريكا عام ١٩٥٨، وبيعَ منها مئة ألف نسخة في الأسابيع الثلاثة الأولى من إصدارها. تتعامل الرواية مع سارد كهل مصاب بهوس مميت بـ«فتاة ناهد» في الثانية عشرة من عمرها. كانت الرواية و-ستبقى- مثيرة للجدل بسبب موضوعها. ومع لوليتا أتت الشهرة والإشادة والكثير من المال.

نشر نابوكوف روايته Pnin»» في عام ١٩٥٧ قبل نشره لوليتا، على الرغم من أنها كتبت بعدها. تحكي الرواية قصة أستاذ روسي مغترب في أمريكا، وحظيت بإشادة النقّاد. وتظهره روايته «نار شاحبة» المنشورة في عام ١٩٦٦ وهو يتلاعب بالشكل الروائي في عملٍ يتألف من قصيدة مكونة من ٩٩٩ بيتا لشاعر خيالي متبوعة بتعقيب ناقد خيالي عليها.

تُوفي نابوكوف في عام ١٩٧٧، مُخلّفًا ورائه مخطوطة عمل غير منتهٍ: «لورا الأصلية». تردد صدى تأثير أسلوب نابوكوف النثري اللعوب، والدقيق في التفاصيل، والغنائي الجميل لاحقًا في عالم الرواية، لدى كتّاب مثل مارتين أميس، وتوماس بنتشون، وجون أبدايك.



▲ اقتباس الفيلم

مزجت رواية لوليتا بين الدعابة السوداء والتلاعب اللغوي المُحكم وقطعًا نثرية من الجمال الغنائي الذي بزَّ تصاعدَ الإيروتيكية. كانت الرواية دراسة قويّة في الهوس القاهر، وهجاءً حادًّا للثقافة الأمريكية المنحطّة في خمسينات القرن العشرين. وأقتبست منها فيلم ناجح، أُخرج في عام ١٩٦٢ من قبل ستانلي كوبريك.

بطاقات الفهرسة Index Cards

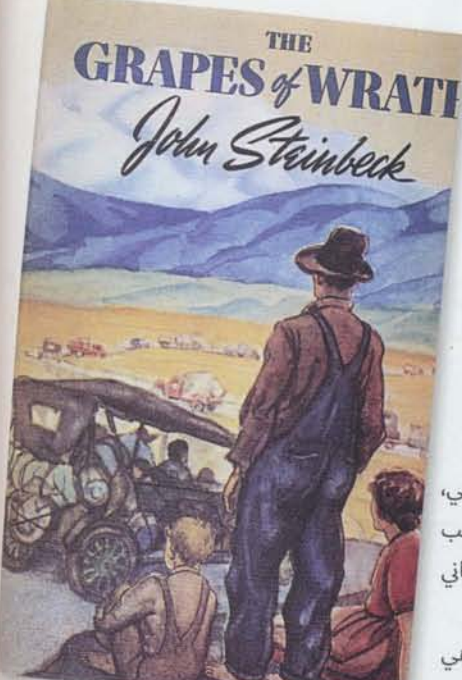
كتب نابوكوف على بطاقات الفهرسة، مستخدمًا المئات منها لكل رواية. كان يبدأ في الكتابة بمجرد أن يتضح له «نمط الشيء» في ذهنه. وبدلا من الكتابة على نحوٍ خطي، كان يختار الكتابة «قليلًا هنا وقليلًا هناك حتى أجد نفسي وقد ملأت جميع الفجوات على الصفحة». كان يعيد ترتيب البطاقات ولا يُرقّمها حتى ينتهي العمل، ثم يمليها على زوجته التي كانت تكتبها في ثلاث نسخ. يُعد عمله الأخير غير المكتمل «لاورا الأصلية»، والتي نشرت بعد وفاته (ضد رغبته) في عام ٢٠٠٩، سجلًا نفيسًا لهذه التقنية في حالتها الأولية.

نابوكوف يملي على زوجته، فيرا، من بطاقات الفهرسة، ١٩٥٨.



◄ السنوات الأخيرة

ألتقطت هذه الصورة في إيثاكا، نيويورك، عام ١٩٥٨. انتقل نابوكوف بعد ثلاث سنوات إلى مونتريكس، سويسرا، حيث عاش رفقة زوجته، فيرا، في فندق قصر مونتريكس إلى آخر حياته.



▲ **عناقيد الغضب**
كانت رواية ستاينبيك، ذات النبرة الإنجيليّة، متجذّرة بالتفاصيل الواضحة وغير المزخرّفة في حياة عائلة جود. وقال «حاولتُ أن أكتبَ هذا الكتاب بالأسلوب الذي عاشته هذه الكائنات لا الأسلوب الذي تُكتب به الكتب».

جون ستاينبيك

(١٩٠٢-١٩٦٨) أمريكي

أنتجَ ستاينبيك، عملاق الأدب الأمريكي، مؤلفات لاذعة عن الكساد الاقتصادي استكشفت المصير والظلم في حياة العائلات العادية، المؤلّفات التي عرّفته بأنه ضمير الأمة.

اكتسب جون إرنست ستاينبيك -أثناء عمله في مزارع البنجر في أيام العطلات- رؤيته الأولى حول محنة العمال المهاجرين، والتي أصبحت موضوعا رئيسا لرواياته الاجتماعية في الثلاثينيات. وُلد الكاتب لعائلة من الطبقة المتوسطة في مقاطعة مونتيري بكاليفورنيا، حيث عزّزت والدته، وهي مُعلّمة سابقة، حبه للكتب. ترك جامعة ستانفورد بعد دراسات غير منتظمة في الأدب وعلم الأحياء، ثم توجه إلى نيويورك، حيث عمل في مجال البناء ومراسلا كذلك. وعند عودته إلى كاليفورنيا، ساعدت الوظائف التي شغلها في المزارع والغابات ومصايد الأسماك في توفير مواد لكتاباته.

بيعت كتبه الثلاثة الأولى بمستوى متواضع جدًا، لكن النجاح أتى أخيرًا في عام ١٩٣٥ مع رواية «شقة التورتيلا»، وهي قصة حول عمّال مكسيكيين-إسبان غارقين في النبيذ، مستوحاة من «أسطورة الملك آرثر وفرسان الطاولة المستديرة». ألحقها برواية «فئران ورجال»، وهي مأساة تتكشّف عن اثنين من العمال المهاجرين، العملاق الطفولي «ليني» ووصيه «جورج».

اندلعت عاصفة بسبب عمله الملحمي «عناقيد الغضب (١٩٣٩)»، والذي كتبه بعد رحلة لأكثر من خمسة أشهر قضاها مع الأوكيز Okeis؛ عائلات مهاجرة يائسة هربت من قصعة الغبار (الثلاثينيات القذرة) إلى كاليفورنيا. بيع من الرواية في قمة رواجها عشرة آلاف نسخة أسبوعيا، وأكسبت ستاينبيك جائزة بوليتزر، لكن كان ثمة ردة فعل عنيفة على تصويره للحلم الأمريكي كسراب.

سنوات ما بعد الحرب

عمل ستاينبيك مراسلا حربيا لـ New York Herald Tribune خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، وكتب خلال هذه الحقبة رواية «مغيب القمر (١٩٤٢)»، وهو استكشاف لآثار الحرب والاحتلال على قرية كانت ذات يوم مسالمة (دراسة مُبطّنة حول الاحتلال النازي للنرويج). استقرَّ ستاينبيك في هذه الأوقات في نيويورك، وعاد إلى جذوره برواية «شارع السردين المُعلّب (١٩٤٤)»، وهي مبنيّة على منطقة تعليب السردين في مونتيري، والعمل الملحمي «شرق عدن (١٩٥٢)» التي استند فيها إلى تاريخ عائلته الشخصي في ساليناس. وفي الستينيات من القرن الماضي، فقد ستاينبيك مصداقيّته صوتا ليبراليا بسبب دعمه لحرب فيتنام: كان ابناه من زواجه الثاني من المجندين في الجيش.

كانت رواية «شتاء السخط (١٩٦١)»، وهي دراسة ثاقبة لانحلال الأخلاق في الولايات المتحدة الأمريكية، بمثابة عودة إلى الشكل الذي ساهم في فوز ستاينبيك بجائزة نوبل في الأدب عام ١٩٦٢. تُوفي المؤلف بسبب مرض القلب في كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٩٦٨، بعد أن كتب قرابة ٣٠ كتابًا.



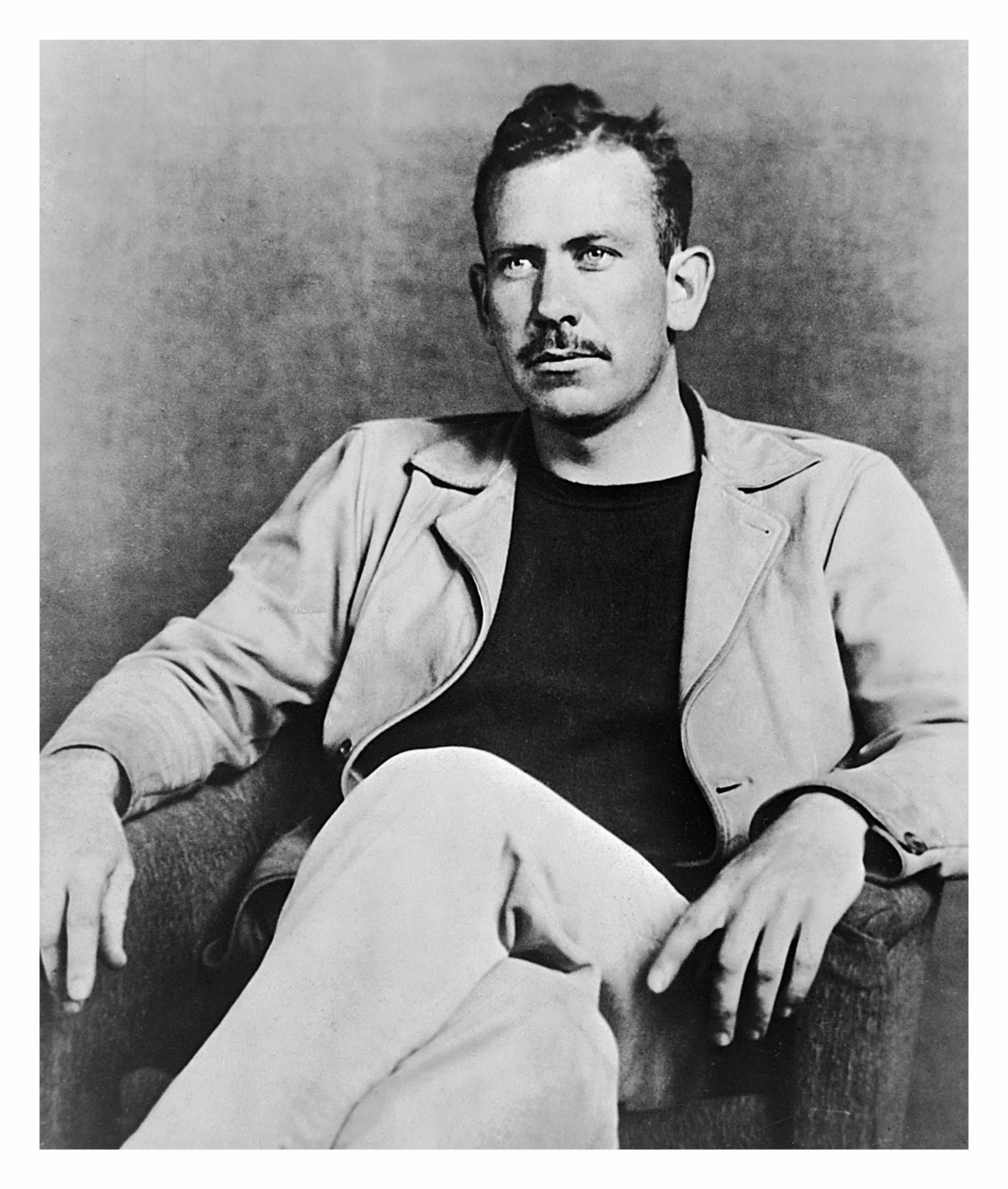
قصعة الغبار The Dust Bowl

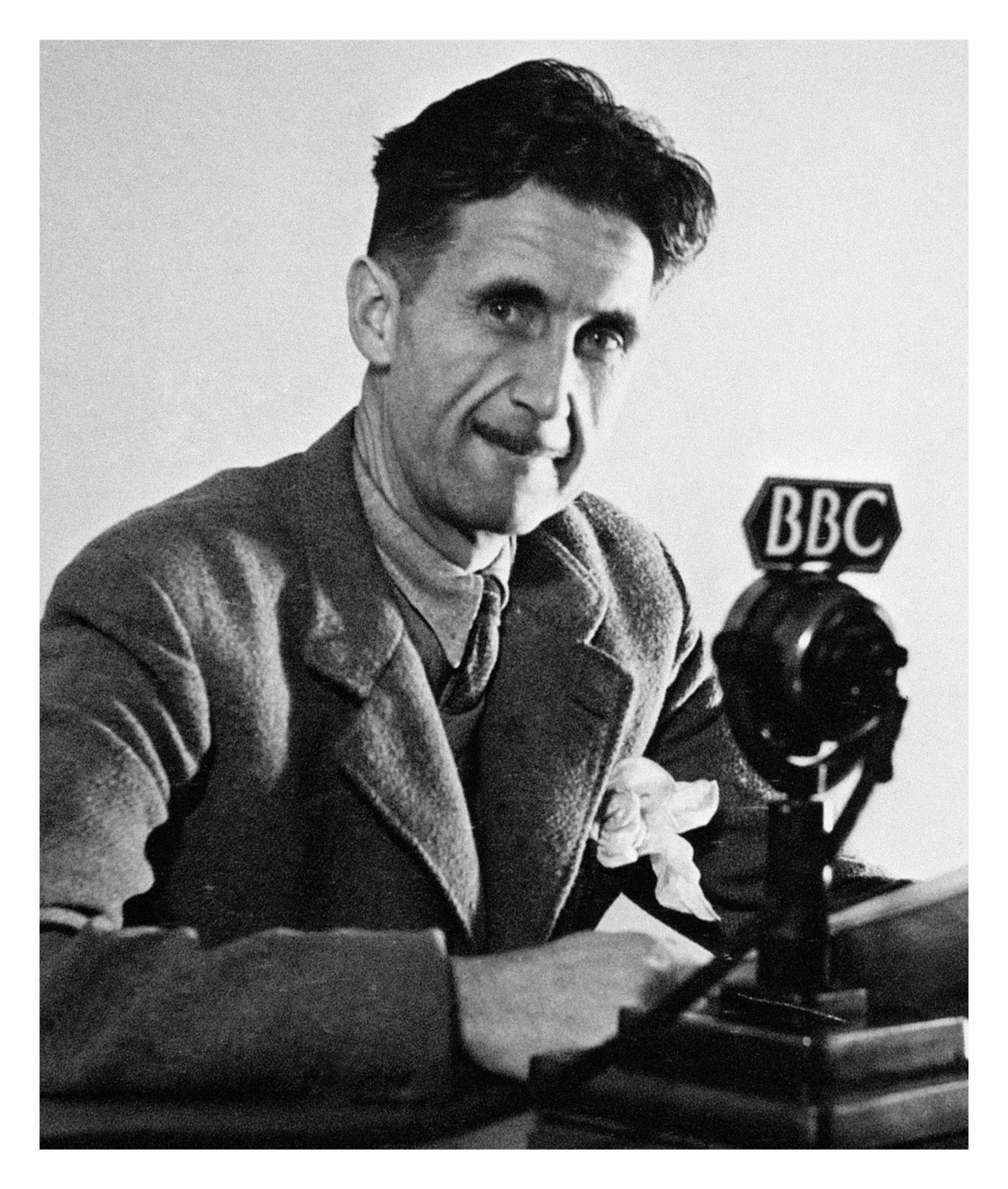
بعد الانهيار الاقتصادي في عام ١٩٢٩، هوت الولايات المتحدة الأمريكية إلى كساد اقتصادي حاد، وفي منتصف الثلاثينات كان ربع السكان عاطلين عن العمل. وانخفضت أسعار المحاصيل إلى ٦٠٪، وتسبب مجموعة من العوامل مثل فرط زراعة الأرض، وتعرية التربة، والجفاف، في تحويل مساحات السهول الهائلة الخصبة إلى قصعة غبار (أرض جرداء). استولى ملاك الأراضي والمصارف على منازل وأراضي الآلاف من أصحاب الحيازات الصغيرة، ثم هاجروا إلى الغرب الأمريكي مُغرّرين بوعود العمل وكسب الرزق من حقول كاليفورنيا الوفيرة، لكنهم لم يواجهوا سوى العداء والرفض حينما وصلوا إلى هناك.

عائلة تتخذ مأوى من عاصفة في قصعة الغبار

> ما يجده بعض الناس في الدين، قد يجده الكاتب في حِرفته... نوعاً من الارتقاء نحو المجد.
>
> **جون ستاينبيك.**

◄ **ستاينبيك، ١٩٣٩**
يظهر المؤلف في هذه الصورة في السنة التي نُشرت بها روايته «عناقيد الغضب» الفائزة بجائزة بوليتزر. ذهبَ بُعيدها إلى بحر كورتيز لجمع عيّنات بحرية مع صديقه المقرّب، الأحيائي البحري، إد ريكتس.




BBC

جورج أورويل

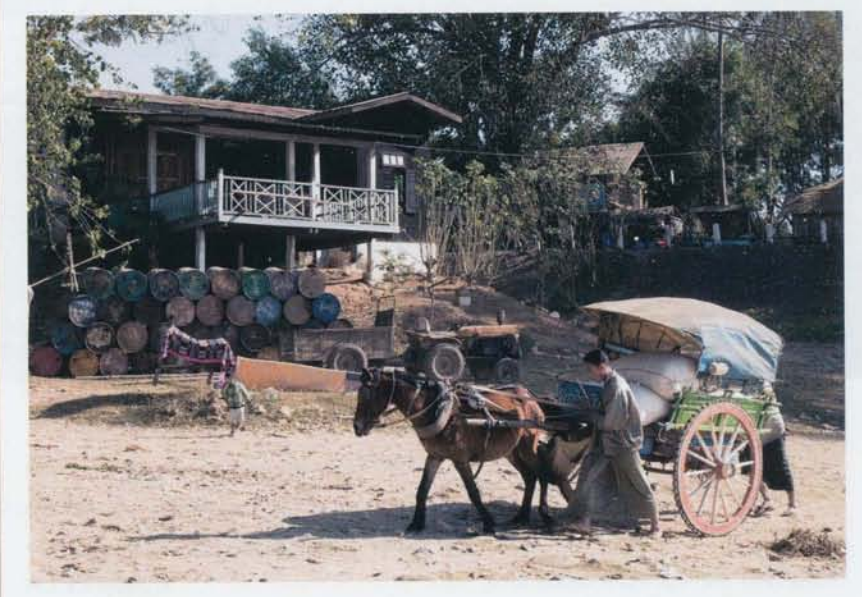
(١٩٠٣-١٩٥٠) إنجليزي

كتب أورويل أعمالا ساخرة قاتمة تصف السخط ونذير الشؤم في أعقاب حربين عالميتين مدمرتين. ولكونه اشتراكيًا وأخلاقيا مُلتزمًا؛ غالبا ما كان أورويل يعرّض نفسه للخطر في سبيل السعي وراء الحقيقة.

كان جورج أورويل الاسم المستعار لإريك آرثر بلير. ولد أورويل عام ١٩٠٣ في موتيهاري (بيهار حاليا) في مستعمرة الهند، حيث عمل والده في قسم الأفيون في دائرة الخدمات المدنية الهندية مشرفًا على التصدير القانوني للأفيون. عاد أورويل مع والدته إيدا إلى إنجلترا قبل أن يُتم عامه الأول، حيث استقرت إيدا مع أطفالها في أكسفوردشاير، وانفصلت العائلة عن والدهم عدة سنوات حتى عام ١٩١٢. وصف أورويل لاحقا المكانة الاجتماعية لعائلته بأنها من «الطبقة الدنيا من الطبقة المتوسطة العليا»: انحدرت من عليّة المجتمع الإنجليزي لكن بدخلٍ ينفد سريعًا.

التعليم المدرسي الخاص

عاش أورويل طفولة منعزلة لكنه وجد سلواه في كتابة القصص والقصائد، والتي نُشر بعضها في الصحيفة المحلية. أرسل في سن الثامنة إلى مدرسة داخلية «متعجرفة» في شرق ساسيكس بمنحةٍ جُزئية، وهناك، واجه حقيقة النظام الطبقي الإنجليزي، ملاحظًا التباين بين التعامل السيئ الذي تلقاه وبين ذاك الذي حظي به الأطفال الأثرياء «رفيعي النسب». حصل أورويل على منحة دراسية في مدرسة إيتون الخاصة رفيعة المستوى، حيث اشترك في إصدار مجلة الكلية، لكنه فشل في التميز أكاديميا. وعندما أنهى دراسته، ولعدم قدرته على تحمل تكاليف الجامعة، التحق بدائرة الشرطة الإمبراطورية الهندية. اختار أورويل وظيفة في بورما، حيث تعيش جدته.



▲ كاثا، ميانمار

عربة وحصان يمرّان أمام مركز شرطة في كاثا، ميانمار (بورما سابقًا) حيث جرت وقائع رواية أورويل «أيام بورميّة».

ويصف أورويل استياءه من هذه الوظيفة في مقالة بعنوان «إطلاق النار على الفيل»، والتي افتتحها ببيان جريء: «في مولمين ببورما، كُنت مكروهًا من أناسٍ كثيرين: إنها المرة الأولى في حياتي التي أشعر فيها بأني مهم كفاية ليحدث لي هذا». لقد التمعَ انعدام ثقته في السلطة واشمئزازه من الحكم الملكي، لكن حبّه للوطن نفسه قد نُقلَ في نثر مُنمّق على نحوٍ غير معهود في رواية «أيام بورميّة (١٩٣٤)».

لندن وباريس

عاد أورويل إلى إنجلترا في عام ١٩٢٨، عازمًا على أن يصبح كاتبًا. ومع وجود الغُرف المفروشة للسكن في غرب لندن، غامر أورويل بالذهاب إلى الطرف الشرقي ذي الوضع الصحي المتردي، حريصا على خوض تجارب مباشرة من حياة الطبقة العاملة. وللقيام بذلك، ابتكر شخصية بديلة: لبس ثيابًا رثّة، ونام في أماكن العمل والمهاجع الرخيصة، حتى إنه دخل الحبس. وسرعان ما امتد بحثه إلى باريس، حيث كان بمقدوره الاعتماد بين حين وآخر على دعم عمته التي كانت مستقرة في تلك المدينة. رفض أورويل المجموعات الأدبية الباريسية، وفضّل عوضا عن

تأثيرات بارزة

كان طموح أورويل في شبابه أن يكتب كتابًا مشابها لكتاب هـ. ج. ويلز «المدينة الفاضلة المعاصرة»؛ بعضه تحليل فلسفي وبعضه الآخر سردي. كان عمل جاك لندن «سكّان الهاوية (١٩٠٣)»، والذي فصّل فيه الكاتب تجاربه في أحياء لندن المُعدمة، من الأعمال التي ألهمته كثيرا. صرّح أورويل قائلا: «الكتّابُ الذين أكترث بشأنهم كثيرًا ولن أملّ أبدا من القراءة لهم هم: شيكسبير، وسويفت، وفيلدنغ، وديكنز، وتشارلز ريد، وفلوبير. ومن بين الكتّاب المعاصرين: ت. س. إليوت، و د. هـ. لورانس، وجيمس جويس، لكن الكاتب الحديث الذي أثّر فيّ أكثر من غيره هو وليم سومرست موم، فأنا معجبٌ به بشدّة لقوته في سرد القصة بمباشرة ووضوح دون زخرفة.



الروائي وليم سومرست موم

▸ أورويل في BBC

يظهر أورويل هنا مقدما إذاعيًا في BBC في لندن عام ١٩٤٣، خلال الحرب العالمية الثانية. انضمّ إلى الإذاعة عام ١٩٤١ ليعمل منتجَ حوارات للخدمة الشرقيّة، لكنه استقال في عام ١٩٤٣.

> «جميع الحيوانات متساوية، لكن بعض الحيوانات تساوي أكثر من الأخرى»
>
> مزرعة الحيوان – جورج أورويل.



▲ **منشور جمهوريّ**
قاتل أورويل في الحرب الأهلية الإسبانيّة لكنه فرَّ في آخر المطاف من الشيوعيين المدعوين من السوفيت الذين كانوا يضطهدون الاشتراكيين المنشقِّين.

▲ **رصيف ويغان،** ١٩٣٩
يظهر في الصورة رصيف ويغان، مانشستر الكبرى، على اليمين بجانب القناة. ركَّزت رواية أورويل الكئيبة «الطريق إلى رصيف ويغان» على الفقر ونفاق الطبقة المُشغِّلة الإنجليزية.

ذلك التغلغل في المدينة وفي حياة سكّانها، ونسج تجاربه في مخطوطة كانت بعضها تعليقًا اجتماعيا وبعضها الآخر رواية سفر.

تلقى العمل -الذي تضمن قصصا مثيرة للجدل جدًا حول الاغتصاب وتجارة المخدرات- الرفض في البداية من قبل المؤسسة الأدبية. خلُص أورويل، مثله في ذلك مثل معاصره المقرّب الروائي الإنجليزي د. هـ. لورانس، إلى أنَّ الناشرين الإنجليز ليسوى سوى مجموعة من «الجبناء». بيد أن أورويل عثر لنفسه على وكيلٍ أدبي يدعى «ليونارد موور»، وعلمَ في صيف عام ١٩٣٢ أنَّ دار فيكتور جولانكز كانت على استعداد لنشر مذكّراته. ظهر العمل في السنة التالية بعنوان «متشردًا في باريس ولندن».

الفقر في الشمال

عمل أورويل مدرسًا في النهار، وطوَّر روايته الكاملة الأولى «أيام بورميّة (١٩٣٤)». ترك التعليم بعدها واستقرَّ في هامبستيد، شمال غرب لندن، للعمل في متجر كتب، والتقى من خلال دائرة أصدقائه بإيلين أوشونيسي التي تزوّجها بعد عام. سرد عمله «أبقِ الزنبقة طائرة Keep the Aspidistra Flying» المنشور في عام ١٩٣٥ قصةً خيالية عن عصرها، وزامن في هذا الوقت أنَّ تدابير الزوجين المنزلية المريحة نسبيًا لم تدم طويلا.

دفعه ناشروه للكتابة عن شمال إنجلترا الكئيب، حيث كان الملايين يواجهون الفقر، فانطلق مرة أخرى في طريقه. جمع أورويل ملاحظاته حول الحياة في البلدات الشمالية بالإضافة إلى بيانه الاشتراكي الشخصي، وكتب «الطريق إلى رصيف ويغان (١٩٣٧)». جذب هذا العمل انتباه أجهزة الأمن البريطانية التي اشتبهت بأنه شيوعي؛ جزء من ذلك يعود «لارتدائه أزياءً بوهيمية»، ووُضع تحت المراقبة لأكثر من عقد.

الحرب الأهلية الإسبانيّة

قرر أورويل في عام ١٩٣٦ الانضمام إلى المتطوعين الذين يحاربون انتفاضة الجنرال فرانكو الفاشية في إسبانيا. وفي طريقه إلى برشلونة، التقى بالكاتب هنري ميلر في باريس الذي حذَّره بأنَّ كل معتقداته حول هزيمة الفاشية ما هي إلا «محض غباء». وفي حقيقة الأمر، فقد أمضت الفصائل الجمهورية الكثير من وقتها في قتال بعضها بعضًا أكثر من قتال الفاشيين. تقدَّم أورويل إلى الجبهة، لكنَّ مشاركته في الحرب انتهت برصاصة قناص في حَنجرته وكادت أن تُودي بحياته.

> كُلُّ القضايا سياسية، والسياسة في حد ذاتها كتلة من الأكاذيب والتملّصات والحماقة والكراهية.
>
> جورج أورويل.

أبرز أعماله:

- ١٩٣٣: متشردًا في باريس ولندن: سجّل فيها الزمن الذي عاشه بالقرب من المشردين والعمّال غير النظاميين.
- ١٩٣٧: الطريق إلى رصيف ويغان: قدم فيها وصفا قاتما ولكنه واقعي للفقر في الشمال الصناعي.
- ١٩٣٨: الحنين إلى كاتالونيا: وصف فيها مشاركته في الحرب الأهلية الإسبانية.
- ١٩٣٩: الصعود إلى الهواء: ممارسة حنين إلى الماضي تدور حول طفولة أورويل.
- ١٩٤٥: مزرعة الحيوان: قصة خيالية برؤية مُوحشة للحكم الشمولي، ولاقت بعد نشرها استحسانا عظيما.
- ١٩٤٩: رواية ١٩٨٤: تقدم تصويرا كابوسيًا للحياة في ظل الدكتاتورية.

دوَّن أورويل في طريق عودته إلى إنجلترا تجاربه في الحرب الأهلية الإسبانيّة في كتاب «الحنين إلى كاتالونيا»، ونُشِرَ في عام ١٩٣٨. تدهورت صحة أورويل الجسدية، التي كانت هشّة منذ طفولته، وشُخِّص بإصابته بمرض السل. وبعد أن قضى فصل الشتاء في موناكو الفرنسية مدعومًا ماليًا من راعٍ مجهول الاسم، كتب أورويل «الصعود إلى الهواء (١٩٣٩)»، وهي رواية مليئة بالحنين إلى إنجلترا التي صرّح بأن التطور والتحول إلى التجارة قد أفسداها.

أعمال ما بعد الحرب

ومع تهديد الحرب التي تلوح في الأفق، تولّت إيلين منصبا في إدارة الرقابة بوزارة الإعلام في لندن، في حين عمل أورويل لصالح BBC، في إنتاج الترويج الإعلامي لصالح الإمبراطورية البريطانية الشرقية. ترك أورويل العمل ساخطًا فيما بعد للكتابة لصالح مجلة Tribune الاشتراكيّة الديمقراطيّة، حيث أصبحَ محررًا أدبيًا في عام ١٩٤٣، وقرر الشروع في كتابة روايته «مزرعة الحيوان»، وهي قصة رمزيّة تحكي خيانة ستالين للثورة الروسية. رفض الناشرون الكتاب أول الأمر، وأخضعته المؤسسة للرقابة نظرا لأن ستالين كان في ذلك الوقت حليفَ بريطانيا في الحرب. لكن الرواية حققت نجاحًا هائلا عندما نُشرت في عام ١٩٤٥.

تبنَّى أورويل وزوجته في أواخر الحرب العالمية طفلًا -ريتشارد هوراشيو- لكنَّ حياتهما معًا انتهت على نحو مأساوي بعد وقت قصير. في البداية، دمّرت قنبلة ألمانية منزلهما في لندن، ثم توفيت إيلين تحت التخدير أثناء خضوعها لعملية إزالة الرحم، ليجد أورويل نفسه في دور الأب الوحيد. مكلومًا وفي حالةٍ صحيّة سيئة؛ أغرق أورويل نفسه في العمل، فشرع في كتابة المقالات والأعمدة الصحفية، وبدأ بكتابة العمل الذي سيصبح فيما بعد أعظم أعماله الكلاسيكية؛ «أربعٌ وثمانون وتسعمئة وألف ١٩٨٤». قبل أورويل بعرضٍ قدّمه له راعيه، مالك الصحيفة «ديفيد أستور»، للإقامة في مزرعته المنعزلة في هيبردين في جزيرة جورا. وهناك، أكمل كتابه اللاذع الذي حمل نظرته الديستوبيّة المروّعة لعواقب سيطرة الدولة في ظل نظامٍ دكتاتوري. تُوفي جورج أورويل في شهر يناير من عام ١٩٥٠ بعد زواج متسرِّع من سونيا برونيل، التي تبرَّعت بأعمال زوجها إلى الأوساط الأكاديمية بعد وفاته.

الألفاظ الجديدة

يُعدُّ تقديم أورويل لكلمات جديدة لا تُنسى وألفاظ مبتكرة واحدًا من أعظم إسهاماته في الأدب، وفي اللغة الإنجليزية. دمج أورويل في روايته ١٩٨٤ الكلمات اليومية من أجل صياغة كلمات جديدة مثل «جرائم الفكر» و«التفكير المزدوج» و«التفكير الصالح» و«اللغة الجديدة». وبقيت مقاطع أورويل الصوتية ذات صلة بالواقع حتى يومنا هذا، ولها صدى كبير في عصر التواصل الجماهيري الحديث. استخدم أورويل الألفاظ الجديدة لتوضيح إيمانه بأن اللغة قوّة. وكان حريصا على إظهار كيف يُمكن للناس أن يصبحوا مُلقّنين عبر اللغة والإعلام، وكيف أن الأنظمة قادرة على السيطرة على الناس من خلال إرباكهم عمدًا وتقويض بصيرتهم.

غلاف الطبعة البريطانية الأولى من رواية ١٩٨٤

مبنى مجلس الشيوخ

ألهمَ مبنى مجلس الشيوخ، المركز الإداري لجامعة لندن، أورويلَ في إبداعه المرعب لوزارة الحقيقة في روايته «١٩٨٤»، والتي كانت مسؤولة عن الترويج الإعلامي للدولة وتعديلية التاريخ.

بابلو نيرودا

(١٩٠٤-١٩٧٣) تشيلي

خلّف نيرودا، الشاعر غزير الإنتاج، أعمالًا ثريّة ومتنوعة، شملت قصائد الحب الملتهب والرقيق، والملاحم، والشعر السياسي، والشعر حول الأشياء المألوفة والحيوانات.

ولد بابلو نيرودا - الشاعر والدبلوماسي والسياسي - ريكاردو إليسير نفتالي ريبس باسوالتو في بلدة بارال جنوب تشيلي. توفيت والدته، وهي معلمة، بعد ولادته بمدة وجيزة، وبعد عامين انتقل والده، وهو عامل سكة حديد، إلى مدينة تيموكو حيث تزوج مرة أخرى. بدأ نيرودا كتابة الشعر في سن العاشرة، على الرغم من معارضة والده، وساهم منذ عام ١٩١٨ إلى ١٩٢٠ بالعديد من الأعمال في المجلات والصحف المحلية، بتشجيع من غابرييلا ميسترال. اتّخذ في عام ١٩٢٠ اسم قلم «بابلو نيرودا (سيتبناه رسميًا في عام ١٩٤٦) ليتجنب رفضَ والده. انتقل نيرودا إلى سانتياغو، عاصمة تشيلي، في عام ١٩٢١ والتحق بالجامعة لدراسة الفرنسية، عازمًا على أن يُصبحَ مدرسًا. بعد سنتين وبسن الثامنة عشرة، نشر أول مجلداته الشعرية «أضواء الشفق»، وأتبعه في عام ١٩٢٤ بـ«عشرون قصيدة حب وأغنية اليأس»، وهو كتاب من قصائد الحب السوداوية التي دفعت به إلى الأضواء، مُثيرةً ضجةً كبيرة لشهوانيتها الصريحة، فتبتدئ أولى قصائده بـ: «جسدُ امرأة، تلال بيضاء أفخاذ بيضاء/ تبدين كعَالَمٍ مستلقٍ في حالة خضوع».

استخدم نيرودا صورًا واستعارات أصليّة لتتبع مسار علاقاته الغرامية، واستحضار البحر، والطقس، والريف البري لأرض وطنه، فضلا عن تجسيده لعشقه. ثم نشر ديوانه الشعري الثالث «محاولة الرجل اللا متناهي» في عام ١٩٢٦، إلى جانب نشره لرواية، ساعدت جميعها في ترسيخ سمعة المؤلف.

▼ **الهروب الأورغوياني**
يظهر مكتب نيرودا في الصورة داخل منزل في منتجع أتلانتيدا، بالقرب من مونتيفيدو، الأورغواي، حيث غالبا ما استقرّ الشاعر وزوجته، ماتيلدا.



غابرييلا ميسترال

كانت الشاعرة والدبلوماسية والتربوية التشيلية غابرييلا ميسترال (المولودة باسم لوسيلا غودوي يا ألكاياغا [١٨٨٩-١٩٥٧]) أول امرأة وأول أمريكي لاتيني ينال جائزة النوبل في الأدب في عام ١٩٤٥. التقت ببابلو نيرودا -الذي كان مراهقًا وقتها- حين كانت تعمل ناظرة في ثانوية للبنات في تيموكو، وحسم تشجيعها لنيرودا في نشأته شاعرًا. نظرًا لوظيفتها معلمة مدرسة، فقد ساهمت غابرييلا بفعّالية في إصلاح أنظمة المدارس في كلٍّ من تشيلي والمكسيك. نُشر أول أعظم مجاميعها الشعرية «اليأس» في عام ١٩٢٢.

هذا النصب في مونتيغراند إحياءً لذكرى حياة ميسترال

تعيينات قُنصليّة

وافق نيرودا في عام ١٩٢٧ على منصب القنصل الفخري في رانغون، بورما (ميانمار الآن)، وبقي متنقلًا في السنوات القلائل اللاحقة بين مناصب دبلوماسية، قاضيًا حياته في سيلان (سريلانكا الآن)، وجاوا، وسنغافورة. كان وجوده متواضعا جدًا، لأن منصب القنصل غير مدفوع الأجر، وتأثر من أعماق روحه من الحرمان الذي كان شاهدًا عليه. وقاده ارتباطه المتزايد بالجماهير المُعدمة في آسيا إلى نشره ديوان «السُكنى على

◀ **نيرودا**، ١٩٥٢
بقي نيرودا شخصية بارزة في التاريخ والسياسية التشيليّين، لكنه حياته المليئة بالأحداث والمغامرات لم تلقِ بظلالها على كتاباته، ويصفه غابرييل غارسيا ماركيز: «شاعر القرن العشرين الأعظم في كل لغة».

> ليس لأي شاعر عدوٌ سوى عجزه الشخصي عن جعل نفسه مفهومًا عند أكثرَ الأشخاص نسيانا واستغلالا...
>
> **بابلو نيرودا – محاضرة نوبل**



ليس هناك ما يسمى بالصراع الوحيد، ولا ما يسمى بالأمل الوحيد.

بابلو نيرودا – محاضرة نوبل.

▼ **لا سيباستيانا**

منح منزل بابلو نيرودا في أعلى تل الشاعرَ مناظرَ مُذهلة مُطلَّة على مدينة فالبارايسو التشيلية النابضة بالحياة والمحيط الهادئ. زيَّن نيرودا منزله على نحو مُبهج، وطلى جدران منزله بأشكال مشرقة «ليجعلها ترقص». احتوى مكتبه على بورتريه بحجم كبير للشاعر والت ويتمان الذي كنَّ له نيرودا إعجابًا عظيما.



الأرض (١٩٣٣-١٩٣٥)». تختلف هذه القصائد التي رسخت سمعته العالمية تمام الاختلاف في أسلوبها عن القصائد الغنائية التقليدية في ديوان «عشرون قصيدة حب». وعكست هذه القصائد بشكلها السريالي شعورَ نيرودا بالغربة وردة فعله تجاه فوضى العالم ولا معقوليته. وفي جاوا، التقى نيرودا بماريا أنتونيتا هاغينار، وهي امرأة هولندية تزوجها عام ١٩٣٠. عاد الزوجان عام ١٩٣٢ إلى تشيلي، وعُيِّنَ نيرودا بعد ذلك بعام قنصلا في بوينس آيرس، عاصمة الأرجنتين، حيث أصبح صديقا للشاعر والمسرحي الإسباني فيديريكو غارسيا لوركا.

الجمهورياتية الإسبانية

شغل نيرودا في عام ١٩٣٤ منصب القنصل في مدينة برشلونة، ثم انتقل إلى مدريد حيث وُلِدت ابنته مالفا. ومن خلال صداقته مع لوركا، أصبح نيرودا جزءًا من دائرة أدبية كان أعضاؤها منخرطون في السياسة اليسارية. ومع اندلاع الحرب الاهلية الإسبانية في عام ١٩٣٦، عمل نيرودا على حشد الدعم للجمهوريين، وانغمس في الساسية على نحو أكبر عندما قُتل لوركا على يد فرقة إعدامات قومية. تحول شعر نيرودا في تلك الأثناء ليكون أقلَّ شخصيّة وأكثر في توجهاته الاجتماعية والسياسية، ونشر في عام ١٩٣٧ قصيدة «إسبانيا في قلبي» الداعمة للحركة الجمهورية، وكلَّفته هذه القصيدة منصبه. استُدعي نيرودا إلى تشيلي، وانخرط بعد عودته في السياسات اليسارية. وفي تلك الأثناء، انفصل نيرودا عن زوجته وعاش مع عشيقته، الرسامة الأرجنتينية، ديليا ديل كاريل. عُين نيرودا مجددًا قنصلا في باريس، قبل أن يصبح القنصل العام في مكسيكو ستي، حيث تزوَّج ديليا ديل كاريل في عام ١٩٤٣. وخلال ذلك العام، زار دولة البيرو، وتسلّق قلعة الإنكا في ماتشو بيتشو، التجربة التي ألهمته لكتابة «مرتفعات ماتشو بيتشو (١٩٤٥)». احتفت هذه القصيدة الطويلة المكونة من اثني عشر جزءًا بالحضارات القديمة لأمريكا الجنوبية. وشكَّل هذا العمل جزءًا رئيسًا من عمله «النشيد الشامل»، المُؤلَّف الملحمي الذي عمل عليه نيرودا على نحو متقطع منذ عام ١٩٣٨.

السياسة والنفي

بعودته إلى تشيلي، رمى نيرودا بنفسه في السياسات الوطنية، وأصبح عضوًا في مجلس الشيوخ، وانضمَّ بعد ذلك بوقتٍ قصير إلى الحزب الشيوعي. شارك نيرودا في حملة دعم المرشح الرئاسي «غابرييل غونزاليز فيديلا» الذي انتُخِبَ رئيسًا في عام ١٩٤٦ ثم انتقل على نحو غير متوقع نحو اليمين. طُرد نيرودا من منصبه عضوا في مجلس الشيوخ ثم أصبح مهددًا بالاعتقال في نهاية المطاف بسبب نقده الصريح لإجراءات فيديلا القمعية. وأُجبر في عام ١٩٤٨ على الاختفاء، وبعد أكثر من سنة من العيش سرًّا، ارتحل إلى المنفى، هاربًا على صهوة حصان عبر جبال الأنديز نحو الأرجنتين. سافر نيرودا على مدى السنوات الثلاث التالية حول أوروبا، بما في ذلك زيارة إلى الاتحاد السوفيتي الذي كان نيرودا يكن حينها الإعجاب الكبير لطاغيته جوزيف ستالين. بدأ نيرودا علاقة غرامية مع امرأة تشيلية تدعى ماتيلدا أوروتيا، التي ستصبح حبه الكبير وأعظم مصدر إلهام له في حياته، وتزوَّج الاثنان في عام ١٩٦٦.

واصل نيرودا العمل على ديوانه «النشيد الشامل» الذي نُشر أخيرًا في المكسيك عام ١٩٥٠. كان هذا الديوان تتويجا لشعره العام، وانطلق في نظمه من تعاطفه مع الشيوعيين واعتزازه القومي. يتألف الديوان من ٣٣٠ قصيدة

▲ **احتجاج ضد حكم العسكر**

عزل الانقلاب العسكري التشيلي في عام ١٩٧٣ صديقَ نيرودا والقائد ألليندي، جالبًا نهاية الحكم الديمقراطي. احتجَّت الجماعات اليساريّة ضد حكم العسكر.

أبرز أعماله:

١٩٢٤ عشرون قصيدة حب وأغنية يائسة: أصبح فيما بعد الديوان الأكثر مبيعا باللغة الإسبانية.

١٩٣٥ السُّكنى على الأرض: نُشر في مجلدين، وأتبعهما بثالث في عام ١٩٤٥.

١٩٤٥ مرتفعات ماتشو بيتشو: احتفى فيه نيرودا بالمدينة المقدسة وسكانها المضطهدين.

١٩٥٠ النشيد الشامل: نُشر في المكسيك أثناء نفي نيرودا، ونُشرت طبعة سرية في تشيلي.

١٩٥٤-٥٧ القصائد الأولية (ثلاث مجلدات): تناولت هذه القصائد الأشياء اليومية، والنباتات، والحيوانات، بوضوح ولغة مباشرة

١٩٥٩ سوناتات الحب: أهدى هذه القصائد إلى ربة شعره وزوجته الحبيبة الثالثة أوروتيا.

١٩٦٤ إسلا نيغرا Isla Negra: يضم هذا الكتاب أكثر من مئة قصيدة تأملية في سيرته الذاتية.

موزعة في خمسة عشر فصلا، استعرضَ فيه ماضي أمريكا الجنوبية وحاضرها. تحتفي بالعالم الطبيعي للمنطقة وكذلك مُستكشفيها وغُزاتها وأبطالها وشهدائها وحتى أفرادها العاديين.

أعمال في تشيلي

تمكن نيرودا في عام ١٩٥٢ من العودة إلى تشيلي، حيث قدم دعمه للحملة الرئاسية (غير الناجحة) للمرشح سلفادور الليندي، وأصدر ديوان قصائد حب، «أشعار النقيب» مُهداة إلى أوروتيا، الذي نشره تحت اسم مجهول حتى لا يجرح ديل كاريل التي كانت ما تزال زوجته. انفصل الزوجان بالتراضي في عام ١٩٥٥، وعاش نيرودا وأوروتيا معًا.

تنعَّم نيرودا في تلك المرحلة من حياته بالثراء والشهرة وتُرجمت أعماله إلى عديد من لغات العالم. استمرَّ بالكتابة على نحو محموم في آخر عقدين من عمره، ناشرًا أكثر من عشرين كتابًا. وأصدرَ في عام ١٩٥٤ ديوان «القصائد الأولية» التي شهدت تغييرًا في أسلوبه، بسطورٍ شعرية قصيرة ركّزت على المصطلحات الواضحة للغة الشارع. وعلى سبيل المثال، تتألف «قصيدة للخمر» من: خمرٌ نهاريٌّ مُلون/ خمرٌ ليليٌّ ملون/ خمرٌ بأقدام أرجوانية/ أو خمر بدم التوباز.

كان «Estravagaria» المنشور في عام ١٩٥٨ عمله الرئيس التالي، بقصائده الاستبطانيّة وبعضًا من قصائد الحب. كتب نيرودا خلال هذه المرحلة في شعر الطبيعة، بالإضافة إلى الشعر الشخصي والسياسي والعام.

حلَّ التغيير في حياة نيرودا بفوز الرئيس الاشتراكي المُنتخب حديثا سلفادور الليندي في عام ١٩٧٠، والذي عيَّنه سفيرًا في فرنسا. وفي العام التالي، نال نيرودا جائزة نوبل في الأدب. لم يستمر نيرودا في منصبه طويلًا إذ عاد إلى تشيلي في عام ١٩٧٢ إثر تشخيصه بمرض السرطان وتدهور صحته على نحو سيئ جدًا، ليموت في السنة اللاحقة، بُعيد أيام قلائل من الانقلاب العسكري الذي رأى فيه موتَ صديقه سلفادور ألليندي وتحطُّمَ آماله حول وطنه. تحولت حشود الحداد في جنازته إلى احتجاجاتٍ عامة مُرتجلة ضد الدكتاتورية الجديدة. وما تزال الشائعات حول اغتيال نيرودا على يد قائد الانقلاب العسكري، الجنرال بنكوتشيت، مستمرة حتى وقتنا هذا.

▲ **ماتشو بيتشو**

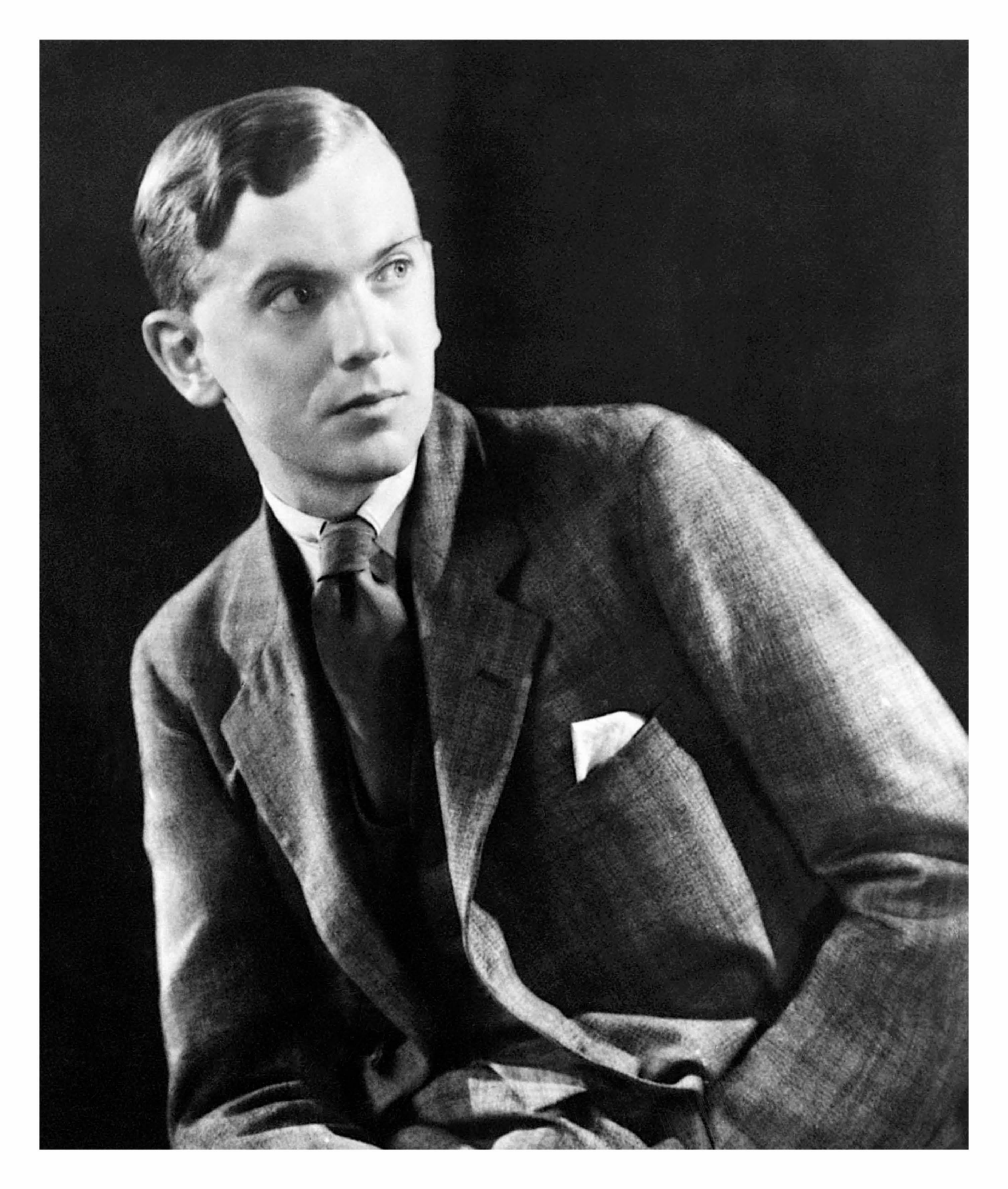
إنَّ كتاب «مرتفعات ماتشو بيتشو» واحدٌ من أعظم أعمال نيرودا الذي يروي رحلة الشاعر إلى المدينة المفقودة لشعب الإنكا في جبال الإنديز البيروفيّة. احتفى الشاعر بإنجازات هذا الشعب الذي بنى المدينة وعلّمَ هويتها بمعاناته، عائدًا بالزمن إلى الوراء من أجل الحقائق الكونية للشرط الإنساني.

العاطفة الشيوعية

بقي بابلو نيرودا بعد الحرب الأهلية الإسبانية شيوعيًا متحمسًا حتى آخر حياته. ودعم نيرودا -من بين العديد من الشخصيات اليسارية المثالية ومفكري عصره- الاتحاد السوفيتي وطاغيته جوزيف ستالين. كتب العديد من القصائد المُشيدة بحكمه، مثل «أغنية ستالينغراد (١٩٤٢)»، ونال في عام ١٩٥٣ جائزة ستالين (لينين لاحقا) للسلام. نظم نيرودا قصيدة رثاء في ستالين في ذات السنة، وأعجب بالمثل بلينين، وأطلق عليه «عبقري هذا القرن العظيم». تخلى نيرودا عن مناصرته لستالين لاحقًا على الرغم من أنه لم يفقد إيمانه بالشيوعية.



منشور دعائي سوفيتي من عام ١٩٤٨ مكتوب عليه «ستالين رايتنا!»



غراهام غرين

(١٩٠٤-١٩٩١) إنجليزي

أنتجَ غراهام غرين، الروائي وكاتب المقالات والمسرحيات، أعمالاً قُرئت على نطاق واسع وحظيت بحفاوة شعبية، وعالجت مواضيع تعقيد الأخلاق السامية وغالبًا من منظور كاثوليكي.

وُلد هنري غراهام غرين عام ١٩٠٤ في هيرتفوردشاير بإنجلترا لعائلة كبيرة ذات نفوذ. تعرَّض غرين للتنمر عندما كان طالبًا في مدرسة بيركهامستيد الداخلية، حيث كان والده الناظر، وحاول الانتحار نتيجة لذلك عدة مرات قبل أن يُرسل لمراجعة محلل نفساني في سن السادسة عشرة. في عام ١٩٢٦، وبعد عام من تخرجه من جامعة أكسفورد، تحول غرين (الملحد) إلى الكاثوليكية الرومانية، بعد أن وقع تحت تأثير فيفيان ديريل براوننج التي تزوجها عام ١٩٢٧.

كانت رواية غرين الأولى، «الرجل في الداخل (١٩٢٩)»، تحكي قصة «حب ميؤوس منها» تدور في أجواء من التهريب والخيانة. شجَّعه الاستقبال الرائع للرواية على ترك وظيفته محررا في مجلة التايمز، من أجل التركيز على العمل في الصحافة المستقلة والكتابة.

◂ غراهام غرين، ١٩٤٠
يظهر غرين في هذه الصورة في سنة نشر روايته «القوة والمجد»، والتي تُوصف غالبا بأنها أعظم رواياته، وواحدة من أعماله المفضلة.

التسالي الرزينة

هبَّت رياح النجاح التجاري على غرين الروائي مع عمله «قطار إسطنبول (١٩٣٢)»، وهي رواية ذات حبكة مثيرة متسارعة وكانت الأولى ضمن مجموعته التي أطلق عليها غرين «تسالي» ـ (أعمال شعبية مكتوبة بإتقان). أما عمله «صخرة برايتون (١٩٣٨)» فقد أصبح أول أشهر رواياته، وامتاز بعناصر تساليه -حبكة مثيرة وشخصية مُطاردة- لكنها عالجت مواضيعَ أعمق كالأخلاق والشر. وفي عام نشرها، فرَّ غرين إلى المكسيك هاربا من دعوى قضائية، وكتب نتيجة لذلك رواية الرحلات «طرق بلا قانون (١٩٣٩)»، وركَّز في روايته «القوة والمجد (١٩٤٠)» على الفساد الأخلاقي الكاثوليكي خلال سنوات قمع الكنيسة في المكسيك.

بدأ غرين، زير النساء المتسلسل، علاقة غرامية مع كاثرين والستون، وهي امرأة كاثوليكية متزوجة، في عام ١٩٤١. انتهت العلاقة بعد عقد من الزمن، وألهمته كتابة رواية أخرى من أشهر رواياته «نهاية علاقة غرام» التي نشرت في السنة ذاتها (١٩٥١). كان غرين قد ترك زوجته فيفيان عام ١٩٤٧، لكنَّهما لم يتطلقا رسميًا قط.

رحلات واسعة

سافر غرين إلى الأماكن «البرية والنائية» في العالم، واستخدم أجواء الصراع والحرب من أجل تكثيف التناقض الأخلاقي والمعضلات الأخلاقية التي تواجهها شخصياته. ألهمته إقامته في هايتي عام ١٩٥٤ كتابةَ رواية «المهرّجون The Comedians» التي نشرت في عام ١٩٦١، وهو عمل يستعرض القمع السياسي للبلاد. أما زيارته لمستعمرات الجذام في الكونغو البلجيكية فقد أدت إلى كتابة «حالة مُحترقة (١٩٦٠)»، وهي رواية مأساوية تدور حول إمكانيّة الخلاص الشخصي. ونتج عن رحلات غرين في كوبا رواية «عميلنا في هافانا (١٩٥٨)»، وهي كوميديا سوداء تدور أحداثها قبيل ثورة كاسترو مباشرة.

وفي عام ١٩٦٦، انتقل غرين إلى مدينة أنتيب بفرنسا، حيث عاش مع محبوبته إيفيت كلويتا، ثم انتقلا إلى فيفي بسويسرا، حيث قضى الكاتب سنوات حياته الأخيرة. كان غرين ضمن القائمة القصيرة للمرشحين بجائزة نوبل لعامي ١٩٦٦ و١٩٦٧. استمرَّ بالكتابة حتى وفاته، ناشرا رواية «القنصل الفخري» عام (١٩٧٣) ورواية «العامل البشري» عام (١٩٧٨)، والتي أصبحت معروفة على وجه خاص. أمّن له أسلوبُه الواضح في الكتابة، ومحاوراتُه الواقعيّة، وحبكاتُه المُحكمة، بالإضافة إلى الجديّة الأخلاقية في أعماله، مكانة في مجمّع عظماء الأدب في القرن العشرين.

◂ فندق المدينة، فريتاون
خدمَ غرين برتبة ضابط استخبارات في سيرا ليوني. يظهر فندق المدينة في فريتاون (حوّله إلى فندق بيدفورد الخيالي) في هذه الصورة، الذي رمزَ لطموحات مُهلكة لإمبراطورية في حالة إنحدار في روايته «قلب المسألة».

اقتباسات الشاشة

كان أسلوب غرين الكتابي ملائما لأعمال الشاشة، وتحوّلت العديد من حبكات تساليه المثيرة إلى أفلام. وكتب سيناريوهات أفلام الجريمة الهوليووديّة لكارول ريد، من ضمنها سيناريو فيلم «الرجل الثالث»، لكنه كتب الرواية القصيرة للعمل أولا بهدف تطوير عناصرها وشخصياتها وجوها العام. ولغايات بحثيّة، زار مدينة فيينا ما بعد الحرب، وتجوّل في الأزقة وأنفاق المجاري والنوادي الليلية للمدينة المُقسّمة، والتقى بأفراد من الجيش ومحتالين مشبوهين من السوق السوداء. اختلفت نهاية رواية غرين الأصلية السعيدة عن نهاية الفيلم المتشائمة، لكنه أقرَّ لاحقًا بأن كارول ريد «أثبتَ بأنّه محقّ بتميُّز».

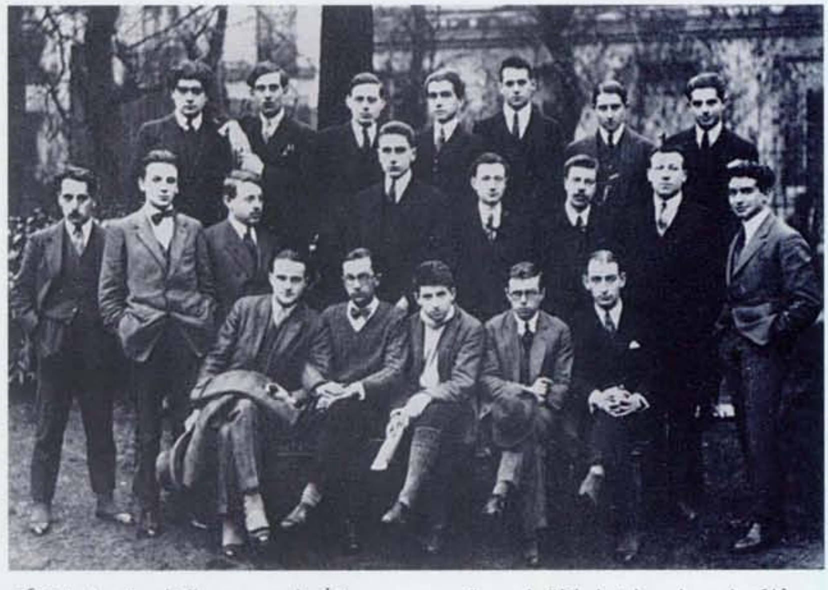


منشور فيلم كارول ريد «الرجل الثالث»

جان - بول سارتر

(١٩٠٥-١٩٨٠) فرنسي

آمن سارتر، الفيلسوف الوجودي والروائي والكاتب المسرحي، بأن البشر «محكومٌ عليهم أن يكونوا أحرارا». وقضى حياته متشبثًا بأفكار الحرية والفعل، التي تميَّزت بها فلسفته وكتابته.

◂ **فصل عام ١٩٢٢**
تُظهر هذه الصورة فصل الإنسانيات التحضيري للقبول في Ecole Normale Superieure. يقعد سارتر في الصف الأول، الثاني على اليمين. والثالث على يمينه هو صديقه بول نيزان.

وُلدَ جان-بول سارتر لعائلة باريسية من الطبقة المتوسطة. كان والده ضابطًا بحريًا، ومات بالحمى الصفراء ولم يكن سارتر قد بلغ السنتين من عمره بعد، لتعود أمه إثر ذلك إلى بيت والديها في إحدى ضواحي باريس. كان جده، تشارلز شوارزر مفكرًا قديرا (حاز أخوه الأكبر ألبيرت شوارزر على جائزة نوبل للسلام)، وعلَّمه في المنزل، معرِّفًا إياه على الأدب الكلاسيكي.

التعليم والتأثير

عندما كان سارتر في الثانية عشرة من عمره، تزوجت والدته وانتقلت العائلة إلى لاروشيل على الساحل الأطلسي لفرنسا. تعرض سارتر للتنمر في المدرسة الثانوية للمدينة، وانتقل بعدها إلى مدرسة في باريس بسن الخامسة عشرة. تفوّق سارتر في دراسته وقُبِلَ عام ١٩٢٤ في Ecole Normale Superieure، وهي واحدة من أفضل الجامعات العريقة في فرنسا، واشتهر بشخصيته المضحكة بقدر شهرته بقدراته الفكرية.

التقى سارتر، حينما كان يتحضَّر للتخرج مدرسَ فلسفة، بسيمون دي بوفوار، التي ستصبح رفيقة حياته و«حبه الضروري»؛ المرأة التي سيبقى ملتزمًا لها أكثر من أي شخص آخر، على الرغم من العلاقة المفتوحة الشهيرة التي بذرها الاثنان.

وبعد أدائه للخدمة العسكرية من عام ١٩٢٩ إلى عام ١٩٣١، أمضى سارتر السنوات الأربع عشرة التالية في تدريس الفلسفة في مدارس ثانوية متعددة. ودرَّس أيضا في برلين، حيث تعرّف على الفلسفة الظاهراتية لإدموند هوسرل، التي سيكون لها تأثير كبير على تفكيره.

بيان وجودي

نشر سارتر في عام ١٩٣٨ روايته الأولى «الغثيان»، وهي رواية فلسفية تتخللها جزئيًا سيرة ذاتية، وبدا تأثره بالظاهراتية (دراسة الأشياء كما نختبرها في وعينا) واضحًا. تمتلئ شخصية روكونتين في هذه الرواية باليأس والقنوط، وتُقهر من ناوسيا التي تُمثّل لا معنى الوجود الذي يكشف عن نفسه. آمن سارتر بأنَّ هذا الشرط الإنساني للحرية -في فلسفة سارتر الوجودية- يُمكن أن يتكشَّف فحسب للناس الذي يتحملون مسؤولية وجودهم. تناول سارتر أفكارًا مماثلة كذلك في مجموعته القصصية القصيرة «الجدار»، والتي نُشرت في العام التالي.

جُنِّد سارتر بنشوب الحرب العالمية الثانية في الجيش الفرنسي، ليعتقلَ بعدها من الألمان في عام ١٩٤٠، وسلخ تسعة شهور كاملة في مخيم الاعتقال- التجربة التي قادته إلى يقظته السياسية.

الأزمنة الحديثة

أُسِّست هذه المجلة ذات النزعة اليسارية في عام ١٩٤٩ من مجموعة مفكرين من ضمنهم سارتر وسيمون دي بوفوار. وبيَّن سارتر في العدد الافتتاحي بأنَّ هدف المجلة هو نشر «الأدب المُلتزم engaged literature» بما يتماشى مع مفهومه الوجودي حول الالتزام الشخصي والسياسي. نشرت مجلة الأزمنة الحديثة أعمالًا للعديد من الكتاب الجُدد، وكان لها تعقيبات مهمة حول أحداث العالم، من ضمنها حرب فيتنام، ونضال الاستقلال الجزائري، والصراع العربي الإسرائيلي.



Les Temps Modernes

DIRECTEUR : JEAN-PAUL SARTRE

27e année — Octobre 1970 — N° 291

LUTTES AMÉRICAINES

ÉTATS-UNIS

JIM JACOBS. — D.R.U.M. : La construction de la « Ligne des ouvriers révolutionnaires noirs » à Detroit.
KEN COKREL et MIKE HAMLIN. — Comment nous travaillons.

MEXIQUE

BERNARD-HENRI LÉVY. — Nationalisation de l'impérialisme.

ARGENTINE

ERNESTO LACLAU. — Stratégie impérialiste et crise de Mai 1969.

URUGUAY

MARYSA GERASSI. — Guerilla urbaine.

CUBA

CLAUDE COURCHAY. — Cuba - Été 70.

•

RUY MAURO MARINI. — Les mouvements étudiants en Amérique latine.

CHRONIQUES

RENÉ LEIBOWITZ. — Une nouvelle science : la discologie.
RENÉE SAUREL. — L'introuvable muette de Portici.
CHRISTIAN ZIMMER. — Tous les films sont politiques.

TM

RÉDACTION, ADMINISTRATION, 26, RUE DE CONDÉ, PARIS-6e

عدد تشرين الأول ١٩٧٠ من مجلة الأزمنة الحديثة

«محكوم على الإنسان أن يكون حرا، لأنه بمجرد قذفه إلى هذا العالم، يصبحُ مسؤولا عن كل ما يفعله»

جان–بول سارتر – الوجود والعدم.

◂ **جان-بول سارتر، ١٩٤٦**
يظهر سارتر في هذه الصورة خلال إنتاج مسرحية «العاهرة المحترمة» في مسرح أنتوني في باريس. استعرضت المسرحية الانقسامات العرقية وأفكار الحرية في الولايات المتحدة الأمريكية.



أبرز أعماله:

- ١٩٣٨ الغثيان: أول روايات سارتر التي عرض فيها فلسفته الوجودية بشكل روائي.
- ١٩٤٣ الذباب: مسرحية سياسية تجنَّبت المنع الرقابي النازي في باريس المحتلة.
- ١٩٤٣ الوجود والعدم: العمل الهائل الذي يُرى بأنه أعظم أعمال سارتر الفلسفية.
- ١٩٤٤ لا مخرج: وصفت هذه المسرحية الرؤية الوجودية للجحيم، والتي تضمنت الكلمات الشهيرة «الجحيم هو الآخرون».
- ١٩٤٥ سن الرشد، وقف التنفيذ: شكَّل هذان الكتابان جزء من عمل بثلاثة أجزاء.
- ١٩٤٨ الأيدي القذرة: استثمر سارتر في هذه المسرحية دوافع الجريمة التي قد تكون شخصيّة أو سياسية.
- ١٩٦٠ نقد العقل الجدلي: عمل فلسفي قال عنه سارتر إنه العمل الذي يتمنى أن يخلد ذكره بسببه.

▼ **لا مخرج، إنتاج ١٩٤٦**
أُدِّيتْ مسرحية سارتر هنا في نيويورك، والمؤلَّفة من ثلاث شخصيات تجتمع في حجرة في الجحيم. تُمثِّل رفقتُهم المشتركة عذابًا أبديًا لحياتهم الأثيمة. أُشيد بالمسرحية من نقَّاد أمريكا وسمَّتها إحدى المراجعات بأنها «ظاهرة في المسرح الحداثي».

ففي الوقت الذي صبَّت أعماله جام ثقلها على أفكار الحرية الفردانية، والنزر اليسير على قضايا العالم، فقد منحت كتاباته اللاحقة الكثير من التشديد على المسؤولية الاجتماعية والالتزام السياسي.

أُطلِق سراح سارتر في عام ١٩٤١ لأسباب صحيّة، وحصل على وظيفة تدريسية في باريس. انخرط سارتر في المقاومة، ولكن بعد فشل جماعةٍ سرّية ساهم في تأسيسها، قرر بأن قلمه أفضل أسلحته. وفي عام ١٩٤٣، كتب مسرحية «الذباب» التي ألفها استنادًا إلى أسطورة إلكترا. أُدِّيت هذه المسرحية في باريس المحتلّة في مسارح شبه فارغة، بعد أن تمكنَّ من إفلاتها من الرقابة الألمانية باستخدامه رمزية الميثولوجيا الإغريقية لإخفاء رسالتها بالمقاومة ضد الاضطهاد، بالإضافة إلى دمج الموضوعات الوجودية للحرية والمسؤولية. وفي ليلة الافتتاح، التقى سارتر بألبير كامو الذي جنَّده في مجموعة المقاومة «قتال Combat»، وبدأ سارتر بالمساهمة بمقالات في المجلة السريّة التي حملت الاسم ذاته.

نشر سارتر في ذات السنة أطروحته الفلسفية بارزة الأثر «الوجود والعدم»، والتي قلب فيها الفكرة الفلسفية التقليدية القائلة بأن «الجوهر يسبق الوجود» رأسا على عقب. بدلا من ذلك، اعتنق سارتر مفهوم «الوجود يسبق الجوهر»، ومجَّد فيها أهمية الاختيار الحر. وفي مسرحيته «لا مخرج» المكونة من فصل واحد والتي عرضت في مايو من عام ١٩٤٤، تفحّص سارتر مفهوم «الآخر»، والذي من خلاله يُصبح وعي الفرد بذاته ملموسًا، وهي فكرة أساسية في «الوجود والعدم».



المشاركة السياسية

أسَّس سارتر مجلة «الأزمنة الحديثة» التي خصصها لنشر الأدب الوجودي، بأعمال ذات قيمة اجتماعية لا ثقافية فحسب. كانت هذه المجلة منفذًا لأعمال سارتر الشخصية، بالإضافة إلى أعمال مفكري ما بعد الحرب من أمثال سيمون دي بوفوار، والفيلسوف رايمون آرون (عمل الاثنان في مجلس التحرير)، وجان جيني، وصامويل بيكيت.

نشر سارتر في عام ١٩٤٥ «سن الرشد» و«وقف التنفيذ»، وسيُؤلف هذان الكتابان المجلدين الأولين من ثلاثية «دروب الحرية». أما المجلد الثالث «الحزن العميق» (يُترجم أيضا إلى [حديد في الروح]) فقد نُشر عام ١٩٤٨. تتناول ثلاثية سارتر، والتي كانت شبه سيرة ذاتية، موضوعاته النموذجية الخاصة بالالتزام، والحرية، والمسؤولية، وخداع الذات، والأصالة. وكان قد

سيمون دي بوفوار

كانت سيمون دي بوفوار، الروائية المشهورة وكاتبة المقالات والفيلسوفة الوجودية والنسوية، رفيقة حياة سارتر. لم يتزوج الاثنان أو يعيشا معا قط لكنهما قرآ أعمال بعضهما البعض وكتبا عنها، ودون أدنى شك فقد أثّر أحدهما في فكر صاحبه. لسيمون حياة مضطربة، إذ كان لديها الكثير من العشاق، وطُردت من وظيفة التعليم بعد أن أغوت إحدى طالباتها، وكثيرا ما كانت تتشارك هي وسارتر ذات العشيقات. أصدرت سيمون في عام ١٩٤٩ دراستها العظيمة «الجنس الآخر»؛ الكتاب الذي مثّل حجر الزاوية في الفكر النسوي، والذي مزجت فيه ما بين الفلسفة الوجودية والأفكار النسوية. تُوفيت سيمون في باريس عام ١٩٨٦ ودُفنت بجوار سارتر في مقبرة Montparnasse.

سيمون دي بوفوار وجان-بول سارتر، ١٩٧٠

كتب «وقف التنفيذ» بأسلوب تجريبي بوجهات نظر متغيرة وعلامات ترقيم فضفاضة، كاشفًا تأثره بالتقنيات الحداثية لجون دوس باسوس وفرجينيا وولف.

يظهر تطور الثلاثة عموما آراء سارتر من تركيزه قبل الحرب على الفرد إلى إيمانه بأهمية العمل والمشاركة وتوجهاته السياسية المتنامية. أبدى تقديره للماركسية أكثر من الوجودية بكونها «فلسفة العصر»، وعلى الرغم من دعمه في البداية للاتحاد السوفيتي، فإنه لم ينضم إلى الحزب الشيوعي.

تزعزع التزام سارتر بالشيوعية السوفييتية بغزو النظام للمجر عام ١٩٥٦ وباضطهاده للكتّاب، لكنه بقيَ نشطًا سياسيًا ومعارضًا لمعاداة السامية والاستعمارية، وشن كذلك حملة ضد الحكم الفرنسي في الجزائر، الأمر الذي تسبّب في تعرضه لهجوم بالقنابل عام ١٩٦١. وبما أنه داعم للثورة الكوبية، فقد سافر سارتر إلى كوبا رفقة سيمون في عام ١٩٦٠ والتقى بفيدال كاسترو وتشي جيفارا، ووصف الأخير بأنه «الإنسان الأكثر كمالا في عصرنا».

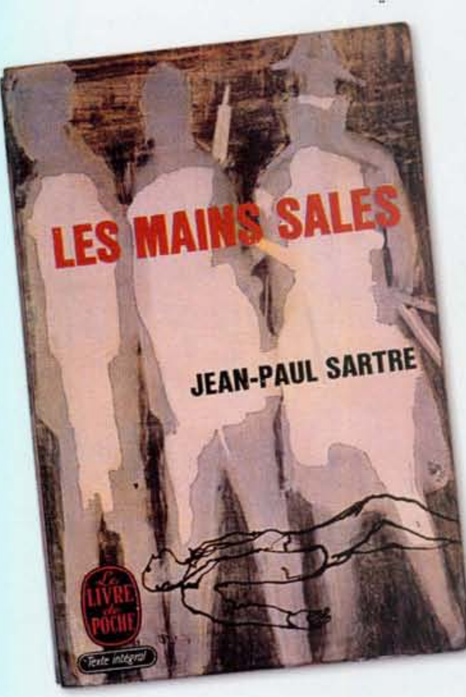
بقي سارتر مناصرًا متّقد الحماس لقضايا اليسار طوال حياته، بما في ذلك ثورة أيار ١٩٦٨ في فرنسا. ومن ضمن القضايا التي شغلت اهتمامه، الغزو الأمريكي لفيتنام الذي وقف منه موقف المعارض، والقمع السوفيتي لربيع براغ، وقاد كذلك حملة من أجل حقوق الفلسطينيين وسكان القوارب الفيتناميين. وحتى في سنواته الأخيرة، وعندما كان يعيش منعزلًا تماما في باريس، وجد سارتر الوقت لإرشاد مجموعات الطلاب الراديكالية والعمل محررا فخريا للمنشورات اليسارية.

السنوات الأخيرة

نال سارتر جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٦٤، لكنه رفَض هذا التكريم رغبةً منه في «ألا يتحول إلى مؤسسة». ونشر في ذات السنة «كلمات»، سيرة ذاتية لامعة وحاذقة شكلت وداع سارتر للأدب، ليعتزل الكتابة بعدها بتدهور بصره في منتصف السبعينات، تاركًا وراءه سيرة حياة فلوبير غير المكتملة التي بدأها في الستينات.

مات سارتر مُتأثرًا بوَذمة الرئة بعمر الرابعة والسبعين، وشارك نحو خمسين ألف شخصٍ في وداعه في موكب جنائزي عبر شوارع باريس.

▼ الأيدي القذرة، ١٩٤٨
استعرض سارتر في هذه المسرحية الالتزام السياسي وبالتحديد استخدام العنف السياسي في الحدث الثوري.



> مسؤوليتنا أعظم بكثير من تلك التي قد نعتقدها لأنها تشمل جميع الجنس البشري.
>
> **جان-بول سارتر – الوجودية، مذهب إنساني.**

صمويل بيكيت

(١٩٠٦-١٩٨٩) أيرلندي.

اشتهرَ بيكيت بمسرحياته العبثية الكئيبة لكنه كان أيضًا شاعرًا حداثيًا مرموقًا وروائيًا. قضى بيكيت كثيرًا من حياته في باريس، وكتب العديد من أشهر أعماله في فرنسا.



◀ **كلية ترينيتي، دبلن،** ١٩٢٠
برع بيكيت في الجامعة، ونال قلادة ذهبية في تخرجه. يأس أثناء عمله محاضرًا في الجامعة من تكلّفات الأكاديمية واصفا إياها بـ «فظاظة التعليم».

وُلد بيكيت لعائلة بروتساتنيّة من الطبقة المتوسطة في دبلن على غرار كل من أوسكار وايلد، وجورج برنارد شو، ووليم بتلر ييتس. كان والده مسّاح كمّيات (خبير في تقدير تكاليف البناء)، وبنى منزلا عائليا كبيرا في ضاحية فوكسروك المُورقة، حيث أبصر بيكيت نور الحياة في الثالث عشر من نيسان/ أبريل عام ١٩٠٦. استمتع بيكيت بحياة الوجاهة والتعليم المتوقّع للعائلات الإنجليزية الأيرلندية الثريّة في ذلك الوقت، وأُرسِل إلى مدرسة بورتورا الملكية في إنيسكيلين. كان طالبا جيدا ورياضيا بالفطرة، اهتمّ بالرياضة وبالأخص اللعبة الإنجليزية في جوهرها، «الكريكيت»، التي لعبها بمستوى احترافي، وبقيَ شغوفًا بها طوال حياته.

التحق بيكيت في عام ١٩٢٣ بكلية ترينيتي في دبلن لدراسة اللغات الرومانسية، وشرع في مسيرته الأكاديمية بعد نيله درجة البكالوريوس في الفنون BA عام ١٩٢٧. درّس بيكيت برهةً في بلفاست ثم شغل منصب قارئ للإنجليزية في جامعة Ecole Normale Superieure في باريس، إثر انتقاله إلى المدينة عام ١٩٢٨.

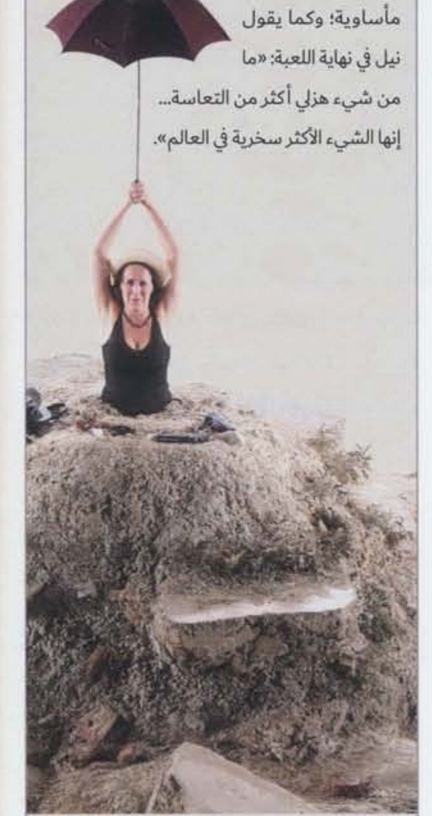
جويس وبيكيت

أحبَّ بيكيت باريس، لكنه شعر بالإحباط من الحياة الأكاديمية. ولحسن حظه، فقد وجد التحفيز الذي سعى إليه حين التقى جيمس جويس؛ أيرلندي آخر استوطن المدينة. كان جويس قد اكتسب سمعة سيئة كونه مؤلف العمل المثير للجدل «يوليسيس»، لكنه كان وقت لقائه ببيكيت شخصية بارزة في الأوساط الأدبية الباريسيّة. أخذ جويس الشاب بيكيت في كنفه، وقدّمه إلى كتّاب وفنانين آخرين، وطلب منه مساعدته في البحث لأجل روايته «يقظة آل فينيغان» بعد أن لمس موهبة بيكيت اللغويّة الهائلة.

عندما بدأ بيكيت في شقِّ دربه الأدبي الخاص، خشي ألا يخرج أبدًا من ظل مُرشده، وكتب عن إحدى قصصه القصيرة: «تفوح منها رائحة جويس». أخذت علاقة الرجلين منحدرًا ارتجاعيًا حينما أُحرج بيكيت بالزحف الجنسيّ غير المرغوب به لابنة جويس «لوسيا»، التي لم تلقَ قبولا في نفسه. عاد بيكيت في عام ١٩٣٠ إلى دبلن حيث درّس الفرنسية في جامعة كلية ترينتي، لكنه استقال في السنة اللاحقة.

مسرح العبث

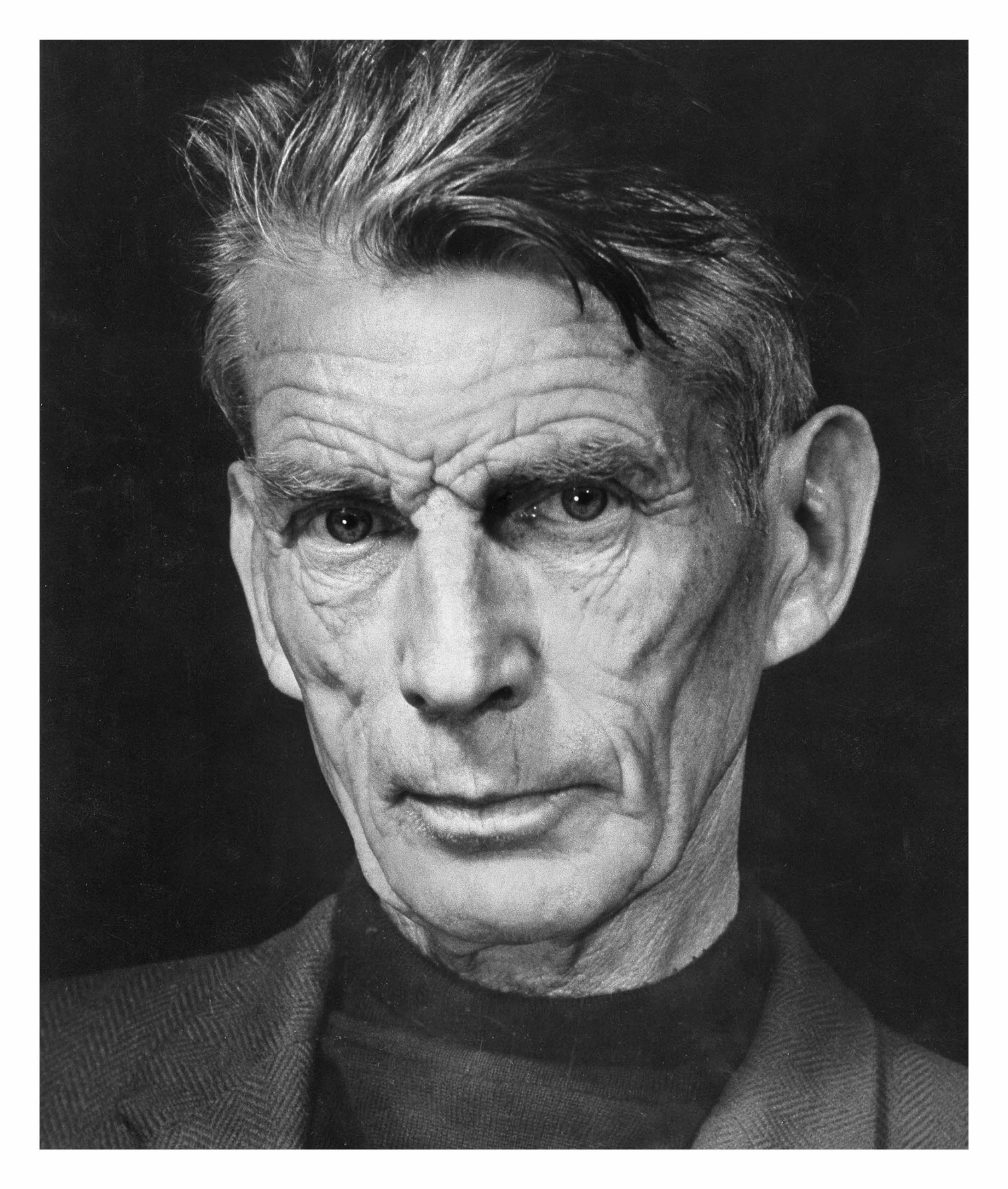
صاغ الناقد المجري المولد مارتن إيسلين مصطلح «مسرح العبث» لوصف نوع المسرحيات التي ظهرت في خمسينيات القرن العشرين، والتي تميّزت بروح الدعابة السوداوية، والحبكات السيريالية أو غير المنطقية. من بين هذه الأعمال كانت مسرحيات بيكيت: في انتظار غودو، ونهاية اللعبة، والأيام السعيدة، والتي رأى فيها إيسلن تجسيدًا لمفهوم كامو الوجودي حول عبثية الوجود. أنكر بيكيت نفسه أيّ ادعاءات بالفلسفة، مقدّمًا أعماله عوضا عن ذلك تصويرا للحياة الإنسانية على أنها ملهاة مأساوية؛ وكما يقول نيل في نهاية اللعبة: «ما من شيء هزلي أكثر من التعاسة... إنها الشيء الأكثر سخرية في العالم».



صورة من مشهد مسرحية بيكيت «أيام سعيدة»، إنتاج نيويورك، ٢٠٠٨

◀ **بيكيت،** ١٩٧٦
كان لمظهر بيكيت الصلب دورٌ في بناء سمعته شخصيةً صارمة ومنيعة. ووفقا لأصدقائه وزملائه فقد كان ذا شخصية حميمية وصاحب دعابة.

> «كُلُّ شيء ماضٍ. لا شيء يدوم. حاولت مرة. فشلت مرة. لا يهم. حاولْ مجددًا. افشلْ مجددًا. افشل على نحوٍ أفضل».
>
> **صمويل بيكيت** – ورستورد هو.





▲ **في انتظار غودو،** ١٩٥٣

أُديت مسرحية بيكيت الباذرة للمسرح العبثي أول مرة في مسرح بابل، باريس. كتب الناقد الشهير، فيفيان ميرسير على نحو مشهور عن المسرحية ذات المشهدين بأنها «لا شيء يحدث مرتين».

شرعَ بيكيت بعد أن أدار ظهره لمسيرته الأكاديمية في رحلات حول أوروبا دامت ستَّ سنوات. وخلال ذلك الوقت، بدأ بالكتابة بجدية وأنتج ديوانا شعريا وعددا من القصص القصيرة، ورواية بعنوان «أحلام نساء عاديات Dream of Fair to Middling Women» التي فشل في إيجاد ناشر لها في حياته لكنها زوَّدته بمواد لمجموعته اللاحقة «وخزات أكثر من ركلات More Pricks than Kicks» المنشورة في عام ١٩٣٤.

تُوفي أثناء هذا والده المحبوب في عام ١٩٣٣، وحفَّزت هذه الوفاة الأزمة الوجوديّة ونوبات القلق التي عالجها الكاتب خلال سنتين من جلسات التحليل النفسي في لندن. ومستندًا على هذه التجربة فقد أبدع بيكيت سيناريوهاتٍ شبيهةً بالأحلام ونفسيَّاتٍ معذَّبةً ستقطنُ أعماله اللاحقة. قضى بيكيت وقته في لندن في كتابة روايته الثانية وتحفته العبثيّة «مورفي». تتركز هذه الرواية الهزلية الكئيبة على رجل يتقهقر إلى كرسيّه الهزاز بعد إدراكه عدم قدرته على تحقيق الرضا في العالم المادي.

الإقامة في باريس

عاد بيكيت -بعد سفره إلى ألمانيا- إلى أيرلندا عام ١٩٣٧، لكن عودته إلى الوطن لم تدم طويلاً. كان هناك صراعات في المنزل، وقادت الجدالات مع والدته إلى صدع حقيقي بينهما. قرَّر بعدها مغادرة أيرلندا لاستقرار مريح ودائم في باريس.

وبمجرد عودته إلى فرنسا، انضمَّ بيكيت من جديد إلى المجتمع الفنيّ الباريسيّ، وأجرى الدماء في علاقته مع جويس، وبدأ بعلاقة عاطفية مع الشخصية البارزة مجتمعيا والثرية جدا «بيغي غوغنهايم». كاد بيكيت أن يفقد حياته خلال أول شتاء له في باريس عندما طعنه قوّاد في صدره. وبعد مدة قضاها راقدًا في المستشفى برئة مثقوبة، واجه بيكيت مُهاجمه في المحكمة، وسأله عن سبب هجومه. أجاب الرجل «لا أدري سيدي. أعتذر»؛ الجواب الذي نقر على وتر بيكيت، وأسقط جميع التهم عنه. كان بيكيت أثناء تعافيه يُزار من سوزان ديستشيفاو-دومسنيل، وشرع الاثنان في علاقة دامت إلى آخر عمريهما.

الحرب والمقاومة

سُمح لبيكيت مع سوزان بالبقاء في باريس عندما غزتها القوات الألمانية في عام ١٩٤٠ كونه من بلد محايد. انضمَّ بيكيت إلى المقاومة الفرنسية لغضبه من الاحتلال والوحشيّة النازية، وعمل ساعيًا سرِّيًّا. غير أنه أُجبر هو وسوزان على الاختباء في عام ١٩٤٢ عندما ألقت الشرطة السرية النازية «غيستابو» القبض على أفرادٍ من وحدته، وفرَّ الزوجان في النهاية إلى قرية روسيون في الجنوب الفرنسي غير المحتل. يُعتقد بأن ذكريات رحلتهما الطويلة والبائسة جنوبا عبر الريف قد شكلت مصدر إلهام لسيناريو مسرحية «في انتظار غودو».

عاد بيكيت بعد انتهاء الحرب إلى باريس ليستأنف مسيرته الأدبية، ثم زار أيرلندا لرؤية والدته، واختبر في غرفة نومها ما وصفه بـ «الكشف» حول التوجه المستقبلي لعمله، وهو أنّ عليه تقبّل ظلامه الداخلي الذي «يشمل الحماقة والفشل، والعجز والجهل». بدأ بيكيت الكتابة

> «يلدن أطفالهن إلى جانب القبر، تباشيرُ ضوء سريع التلاشي، ثم يحل الليل مجددا».
>
> **صمويل بيكيت – في انتظار غودو.**

◂ **صليب الشجاعة**
عمل بيكيت مع المقاومة في باريس وجنوبي فرنسا. وشُرِّف بعد الحرب بقلادة صليب الشجاعة وقلادة المقاومة.

من مقام الحيرة ونقصِ المعرفة؛ من خلال طرح الكلمات بدلًا من إضافتها. كتب بيكيت بالفرنسية أيضا، الأمر الذي سمح له بالكتابة «بدون أسلوب»؛ متحرّرًا من إرثه الأدبي الإنجليزي. أردفَ هذا حقبة من الإبداع الفيّاض، كتب بيكيت فيها ثلاثية القصص النثرية الخارقة النجاح «مولوي، مالون يحتضر، واللا مسمّى». افتقرت مونولوجات المرجعيّة الذاتية في هذه الأعمال إلى الحبكة أو السمات المُحدَّدة وغالبًا ما رُئيتَ بأنها المعادل الأدبي للوحات التجريدية. نجحت سوزان في النهاية في العثور على ناشر لـ «مولوي» في عام ١٩٥١، وأمّن نجاحها المتواضع نشرَ العديد من كتب بيكيت الأخرى.

أعمال مسرحية

بدأ بيكيت في عام ١٩٤٨ بكتابة المسرحية التي ستصبح تحفته الفنية باللغة الفرنسية (ترجمها بيكيت إلى الإنجليزية لاحقا بعنوان «في انتظار غودو»)، وهي قصة وصول مؤجل إلى الأبد، تُسرد من خلال شخصيات شبه هزليّة مُبهمة. أشاد النقاد بالمسرحية بعد أن أديت على خشبة المسرح لأول مرة في باريس عام ١٩٥٣، ووصفوها باللحظة الثورية في المسرح، وسرعان ما ذاع صيتها إثر ذلك. لم يحقق بيكيت مكانته كاتباً فحسب، بل وجد كذلك أسلوبه ونوعه الأدبي الذي شعر فيهما بالراحة. ومنذ ذلك الحين، كرّس جلَّ وقته وجهده للمسرح؛ كاتبًا ومخرجًا. وفي أواخر الخمسينات، وسّع بيكيت نشاطه الكتابي ليشمل الإذاعة كذلك، وكثيرا ما كان يقضي وقتا في لندن بالعمل لدى هيئة الإذاعة البريطانية. وهناك، التقى محررة سيناريو شابة أرملة تدعى باربارا براي، وبدأ الاثنان علاقة غرامية استمرت لبقية حياته، على الرغم من أنه تزوّج سوزان في مراسم مدنيّة سريّة في عام ١٩٦١.

العزلة والشعر المتأخر

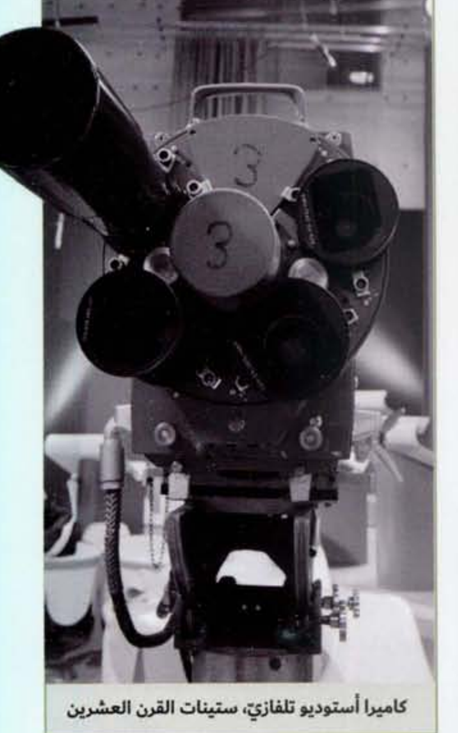
استمرّ بيكيت بالعيش في باريس، لكنه وجد العزلة التي يحتاجها للعمل في منزل بعيد في وادي مارن. كان بيكيت بطبعه رجلا يحب الخصوصية، إذ تجنّب الظهور العلني ورفض إجراء المقابلات. وعندما وصلته أخبار فوزه بجائزة نوبل في الأدب عام ١٩٦٩؛ اختبأ هو وسوزان -اللذان كانا يقضيان عطلة في تونس وقتها- وأرسل صديقًا إلى ستوكهولم لاستلام الجائزة نيابة عنه.

عاد بيكيت في سن متأخرة إلى كتابة النثر والشعر. وفي عام ١٩٨٦، شُخِّص بمرض انتفاخ الرئة، ومن المحتمل أيضا معاناته من مرض باركنسون (اضطراب تنكُّسي في الجهاز العصبي) وانتقل بعدها إلى بيت تمريض. تُوفيت سوزان زوجة بيكيت في تموز/ يوليو عام ١٩٨٩، ولحقها بعد خمسة أشهر، ودُفن الاثنان معًا في باريس.

◂ **لست أنا، ٢٠١٤**
لا يظهر شيء في مسرحية بيكيت القصيرة «لست أنا» (يدوم عرضها أربع عشرة دقيقة) سوى فم ممثل بلا جسد يحوِّطه الظلام، وقُدِّم عبر الفم، بمونولوج تيار الوعي، حديثًا عن حياة مضطربة.

سيد الإعلام

أتى بيكيت إلى المسرح في وقت متأخر نسبيًا لكنه سرعان ما أصبح خبيرا فيه. وطوّع مهاراته لدفع التخوم إلى نطاق إعلامي أوسع لا سيما المسرحيات التي كتبها للتلفاز، مثل Eh joe في عام ١٩٦٣. تميّزت تجربته الحداثية في التلفاز بالتعابير اللفظية المحدودة، والحد الأدنى من الطواقم، والتركيز على الحركة الجسدية البطيئة جدًا؛ ففي نهاية Eh joe مثلا، تتحرك الكاميرا تدريجيًا بمنتهى البطء تجاه الشخصية جو، وتنتهي بلقطة مقربة جدا من وجهه. كانت مسرحيات بيكيت للإذاعة مبتكرة كذلك، لا سيما في التفاعل الخلّاق ما بين الصوت والموسيقى والكلام. صنع بيكيت فيلمًا قصيرًا من بطولة Buster Keaton.



كاميرا أستوديو تلفازي، ستينات القرن العشرين

أبرز أعماله:

١٩٣٤
وخزات أكثر من ركلات: أول عمل طويل لبيكيت، وهو مجموعة قصصية قصيرة.

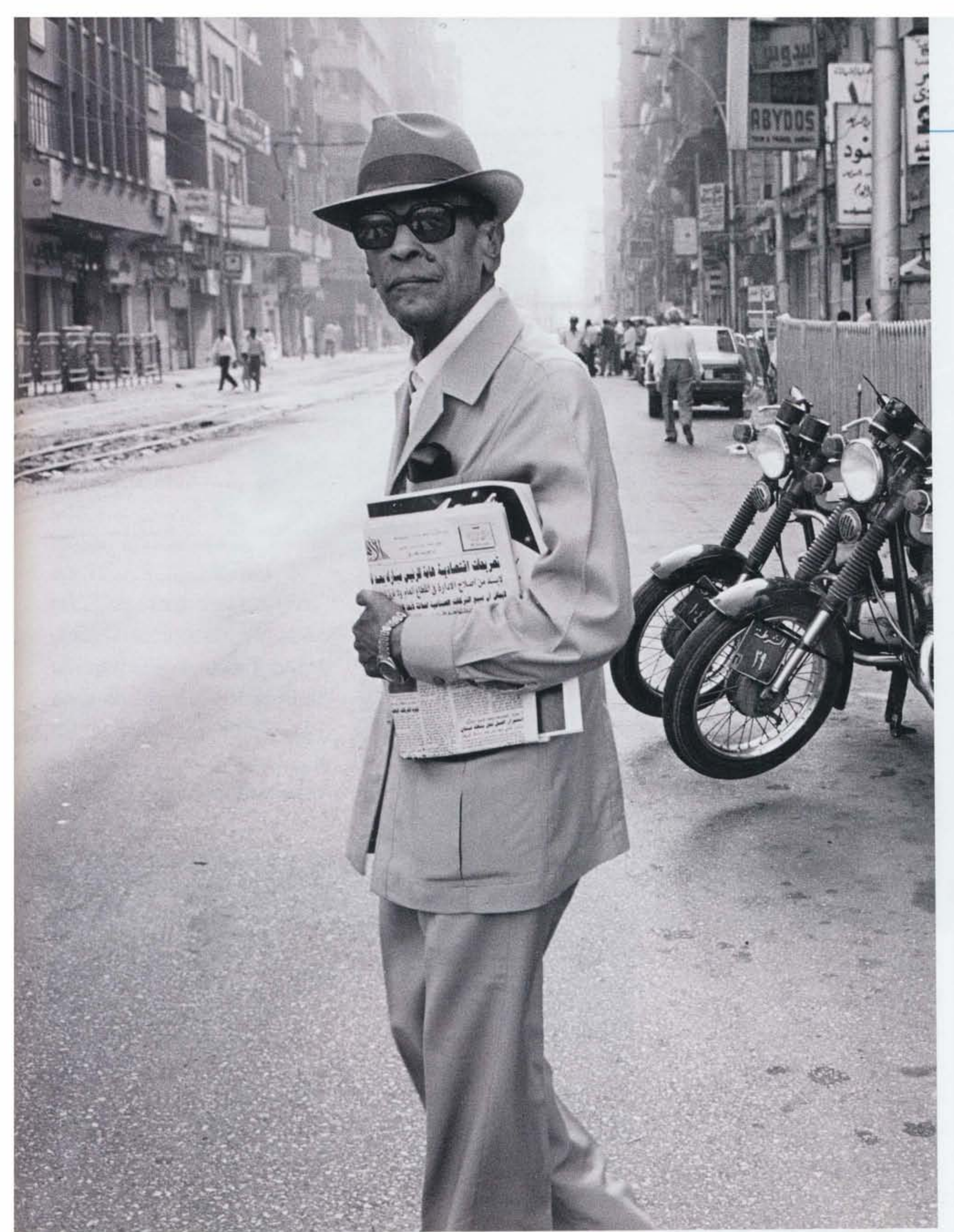
١٩٣٨
مورفي: طُبعت هذه الرواية بعد سنتين من كتابتها إثر رفض الناشرين لها.

١٩٤٨-٤٩
في انتظار غودو: بدأ بيكيت في هاتين السنتين العمل على أول أعماله الرئيسة للمسرح، وأُديت لأول مرة في باريس عام ١٩٥٣

١٩٥١
مولوي: أول أجزاء «الثلاثية» المكتوبة باللغة الفرنسية: أتبعها بعد ذلك بوقت قصير بـ«مالون يحتضر» و«اللا مسمّى»

١٩٧٢
مسرحية لست أنا: أُديت لأول مرة في مركز لينكولن بنيويورك.

1989
Nohow On: يتألف هذا الكتاب من مجموعة روايات قصيرة هي «Company» و « Ill Seen Ill said» و «Worstward Ho».



محفوظ في القاهرة

صُوِّر محفوظ هنا عام ١٩٨٩ في حي الجمالية في القاهرة، حيث ترعرعَ. كان محفوظ كاتبًا غزيرًا جدًا، نشر أربعا وثلاثين رواية ومئات القصص القصيرة. وحُولت بضع أعماله إلى أفلام.

نجيب محفوظ

(١٩١١-٢٠٠٦) مصريّ

أول كاتب عربي يفوز بجائزة نوبل في الأدب، واشتهر برواياته الواقعية التي رسمت صورة زاهية للحياة في القاهرة في النصف الأول من القرن العشرين.

«هذا الرجل القادم من العالم الثالث، كيف وجد السلام النفسي لكتابة القصص؟»

نجيب محفوظ – من كلمة قبوله لجائزة نوبل.

وُلدَ نجيب محفوظ في عام ١٩١١ في الجمالية، واحدة من أقدم مناطق القاهرة، حيث الشوارع والأزقة الضيقة التي تعود للقرون الوسطى والتي تضم عددا كثيفا من السكان الذين يتبعون أسلوب حياة إسلامي تقليدي. كان محفوظ الابن الأصغر لموظف حكومي، رجل متزمت من الطراز القديم فرض على أسرته قواعد سلوك إسلامية صارمة. شهد محفوظ بسن الثامنة الأحداث العنيفة المصاحبة لثورة ١٩١٩ المصريّة. ارتقى محفوظ في النظام التعليمي من حلقات تدريس القرآن المحليّة إلى الدراسة الجامعية، وبرز في ثلاثينات القرن الماضي مؤيدا لحزب الوفد الوطني المناهض للوجود البريطاني.

شغل نجيب محفوظ لتأمين وضعه المادي وظيفة في الخدمة المدنية المصرية، حيث حقق حياة مهنية ناجحة. لكنّ طموحه الحقيقي كان كتابة الروايات. وبعد تجربته مع الروايات التاريخية التي تدور أحداثها في مصر الفرعونية، وجد موضوعه وأسلوبه مع رواية «زقاق المدق (١٩٤٧)». تدور أحداث هذه الرواية في القاهرة القديمة خلال الحرب العالمية الثانية، وتصف الرواية مجتمعًا يبدو فيه تبني الحداثة الغربيّة السبيل الوحيد للخروج من الفقر والإحباط. وتتراوح شخصيات الرواية المبهرة من تاجر مخدرات مثلي الجنس إلى خطّابة، ومن امرأة جميلة بلا قلب تعرض جسدها على الضباط الأجانب إلى مُشوِّه مُتمرّس (زيطة) يشوّه الفقراء حتى يتمكنوا من التسول للحصول على لقمة العيش معطوبين.

أفكار تقدميّة

أُتبِعت رواية زقاق المدق بـ «ثلاثيّة القاهرة». هذا العمل الملحمي الرائع -الذي يُصوّر حياة أسرة عبد الجواد منذ العقد الأول من القرن العشرين وحتى أربعيناته- قد جعل شهرة محفوظ تجوب العالم العربي بأسره. يصف الجزء الأول من الثلاثية «بين القصرين (١٩٥٦)» العالم الذي عاشه محفوظ عندما كان طفلا. تبرز شخصية رب الأسرة عبد الجواد الذي يحبس زوجته في منزلها اعتمادا على المبادئ الإسلامية، في حين ينغمس هو في علاقات خارج إطار الزواج. توفر ردود الفعل لأفراد أسرته المتعددين تجاه هذا الاستبداد الأبوي الحبكةَ المركزيّة للكتاب. أتبع محفوظ هذا الجزء بروايتي «قصر الشوق» و «السكّريّة» في عام ١٩٥٧. يرسم هذان الجزءان مسار الصراعات السياسية والاجتماعية في مصر خلال أوقات متغيرة بسرعة خاطفة، وكذلك النضال من أجل الاستقلال عن النفوذ البريطاني والوجود العسكري.

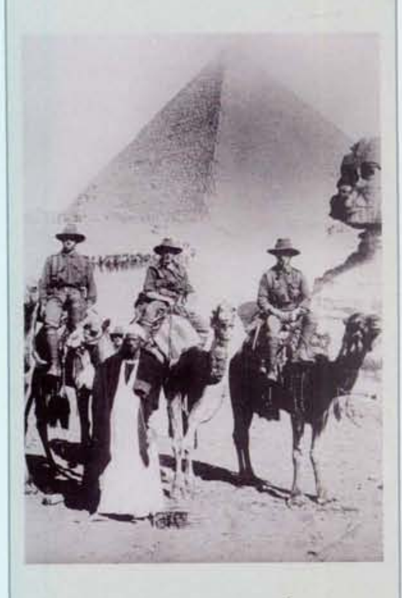
أصبحت روايات محفوظ اللاحقة أكثر تجريبية من حيث التركيب، وغالبًا ما تكون ذات طبيعة مجازية. أدان الإسلاميون المحافظون رواية «أبناء حارتنا (١٩٥٩)» التي ظهر فيها النبي محمد بدور شخصيّة فيها، وحُظر العمل في مصر. وكانت رواية «ميرامار» التي تقع أحداثها في مدينة الإسكندرية عملًا جديدًا بأسلوبه لدى محفوظ إذ يسردُ أربعة رواة قصصًا مختلفة للأحداث ذاتها.

جلبت جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٨٨ غير المتوقعة انتباه العالم غير العربي، وإن في وقتٍ متأخر، إلى نجيب، وتصدّرت رواياته الواقعية مبيعات الكتب في أمريكا الشمالية وأوروبا.

ظل نجيب محفوظ حتى سن متأخرة شخصية مثيرة للجدل ومنخرطة في السياسية، ونجا في عام ١٩٩٤ من محاولة اغتيال نفّذها إسلاميّ متعصب. توفي محفوظ في عام ٢٠٠٦ عن عمر يناهز أربعة وتسعين عاما.

ثورة عام ١٩١٩

أصبحت مصر خلال الحرب العالمية الأولى تحت الحماية البريطانية وقاعدة عسكرية لها. روّعت القوات البريطانية والأسترالية الفظّة سكّانَ القاهرة بُعيد الحرب العالمية الأولى، إثر تقديم الوطنيين المصريين بقيادة سعد زغلول عريضة إلى المندوب السامي البريطانيّ لإنهاء الحماية البريطانيّة. نظّم المواطنون المصريون احتجاجات واسعة في عام ١٩١٩ منادين بخروج الأجنبي، وراح ضحية هذه الاضطرابات مئات القتلى جرّاء القمع البريطاني. منحت بريطانيا بتأثير من المقاومة المستمرة في مصر الاستقلال الرسمي للبلاد عام ١٩٢٢، لكنها بقيت محافظة على حضورٍ كبير لها في البلاد. ظهرت أحداث ثورة عام ١٩١٩ في رواية نجيب محفوظ بين القصرين.



جنود مشاة أستراليون عند هرم الجيزة الأكبر، ١٩١٥

سوق في القاهرة

شكّلت القاهرة الحضريّة -تظهر هنا في خمسينات القرن الماضي- خلفية معظم بواكير أعمال محفوظ الروائية. كانت شخصياته أناسًا عاديين يعيشون حياة صِدام ما بين المجتمع التقليدي وبين تزايد التغريب.

ألبير كامو

(١٩١٣-١٩٦٠) فرنسيّ

رفض كامو -الشخصية المفتاحية لحركة الحداثة وأحد أعضاء مجموعة المفكرين الثوريين في باريس- تقاليدَ النثر الأدبي الكلاسيكي من أجل كتابة فلسفته عن عبثية الوجود الإنساني في شكل رواية ومسرحية.

«ماتت أمي اليوم. أو ربما أمس، لا أعلم». هكذا افتتح كامو روايته الأولى «الغريب» افتتاح يُلتقط فيه الانفصال العاطفي لبطل روايته «ميرسولت»، ويُغلِّف أيضا فلسفة العبث للمؤلف في أنَّ على كل البشرية أن تتقبل وجودها عديمَ المعنى والفوضوي. تجنَّبت جملة كامو القصيرة والواضحة أيَّ مجاز وزخرفة، واستعاضت عنها بتقرير أفكار ميرسولت المباشرة ودوافعه الجليّة.

أوائل الضرّاء

ولد كامو في فقرٍ نسبي في موندوفي (المعروفة الآن باسم دريان) في الجزائر الفرنسية عام ١٩١٣. تُوفي والده «لوسيان» في السنة التالية خلال إحدى معارك الحرب العالمية الأولى، تاركًا زوجته «كاثرين» الأمية وشبه الصمَّاء لتربي ابنهما في حيّ فقير في الجزائر. قُبل كاموا لاحقا في جامعة الجزائر لدراسة الفلسفة. وهناك، انضمَّ للحزب الشيوعي، وأسَّس مع زملائه الطلاب مسرح Theatre du Travail ليكون منصة لمسرح اليسار. أنتج كامو في هذا المسرح وأخرج، وشارك في كتابة مسرحيات من ضمنها أولى مسرحياته المنشورة «ثورة في النمسا». وكان لكامو شغفٌ بكرة القدم امتدَّ طوال حياته، لكنه أُجبر على التخلي عنه بعد أصابته بمرض السل في عام ١٩٣٠. وعندما طُلب منه في وقت لاحق الاختيار بين حبّه للمسرح وكرة القدم، أجاب كامو «كرة القدم بلا تردد».

رُفض كامو من الجيش بسبب صحته السيئة، وكتب لمجلات في باريس إبّان احتلال المدينة من الألمان (١٩٤٠-١٩٤٤) قبل أن ينتقل إلى بوردو لإكمال رواية «الغريب» وعمله غير الروائي «أسطورة سيزيف» (نشر كلاهما في عام ١٩٤٢). قلّل كامو بعدها من عمله الصحافي للتركيز على كتابة روايته الثانية «الطاعون (١٩٤٧)» التي استخدم فيها رمزية الطاعون المدمر الذي ضرب مدينة وهران الجزائرية من أجل سبر أغوار الحالة الإنسانية(يؤول الطاعون في الرواية إلى الحركة النازية). تضمَّنت إنتاجاته الأخرى عددًا من المسرحيات والمقالات التي استكشف من خلالها مفهوم الحرية الفردية في عالم عدائي ومُبهم. نال كامو جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٥٧.

حبٌّ مضطرب

كان لدراما حياة كامو الشخصيّة تأثيرها في أعماله، فقد كان زير نساء وزانيًا متسلسلًا. انتهى زواجه الأول من سيمون هيي بالطلاق، وعلى الرغم من حبّه لزوجته الثانية، فرانسين فاور، فقد رفض علنًا مؤسسة الزواج وصوّر انهيار فرانسين العقلي الذي حدث في وقتٍ لاحق في روايته الاعترافية «السَّقطة (١٩٥٦)».

توفي كامو بحادثة سيارة بعمر السادسة والأربعين بصحبة صديقه الناشر ميشيل غاليمارد.



▸ الجزائر الفرنسية

كان كامو ناقدًا صارمًا في المستعمرة الفرنسية في الجزائر. ودعم في ثلاثينات القرن الماضي المقترحات الجزائرية لمنح الجزائريين المواطنة الفرنسيّة التامة.

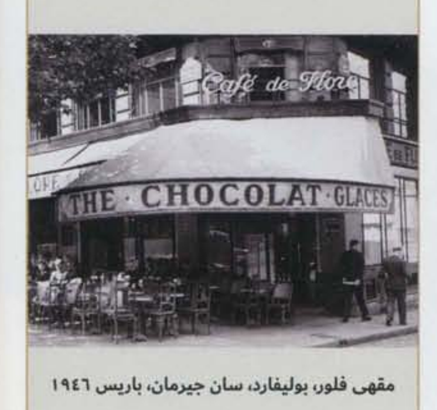

COMBAT Numéro spécial
VIVE LA FRANCE
Charles de Gaulle
A TOUS LES FRANCAIS
SOMMAIRE
VIVE LA FRANCE !

▴ المقاومة

كان كامو عضوا فعّالًا في المقاومة الفرنسية خلال الحرب وعمل محررًا لمجلة «قتال»، التي نادت بالحرية والعدالة ومحاسبة أولئك المدانين بالأعمال الوحشية.

جان بول سارتر

التقى كامو بالكاتب الوجودي جان بول سارتر من خلال عمله في المقاومة الفرنسية، وبزغ نجم الاثنين برهةً من الزمن في دائرة مفكري الجناح اليساري التي دارت لقاءاته في كافيه فلور في باريس. كتب الاثنان مراجعات عن أعمال بعضهما، حتى إنَّ سارتر عرض على كامو دورًا في مسرحيته «لا مخرج». لكن سرعان ما تسبّبت الخصومات الشخصية والسياسية بينهما في تخريب صداقتهما: أغوى كامو حبيبة سارتر «واندا»، وهاجم معتقده الشيوعي.



مقهى فلور، بوليفارد، سان جيرمان، باريس ١٩٤٦

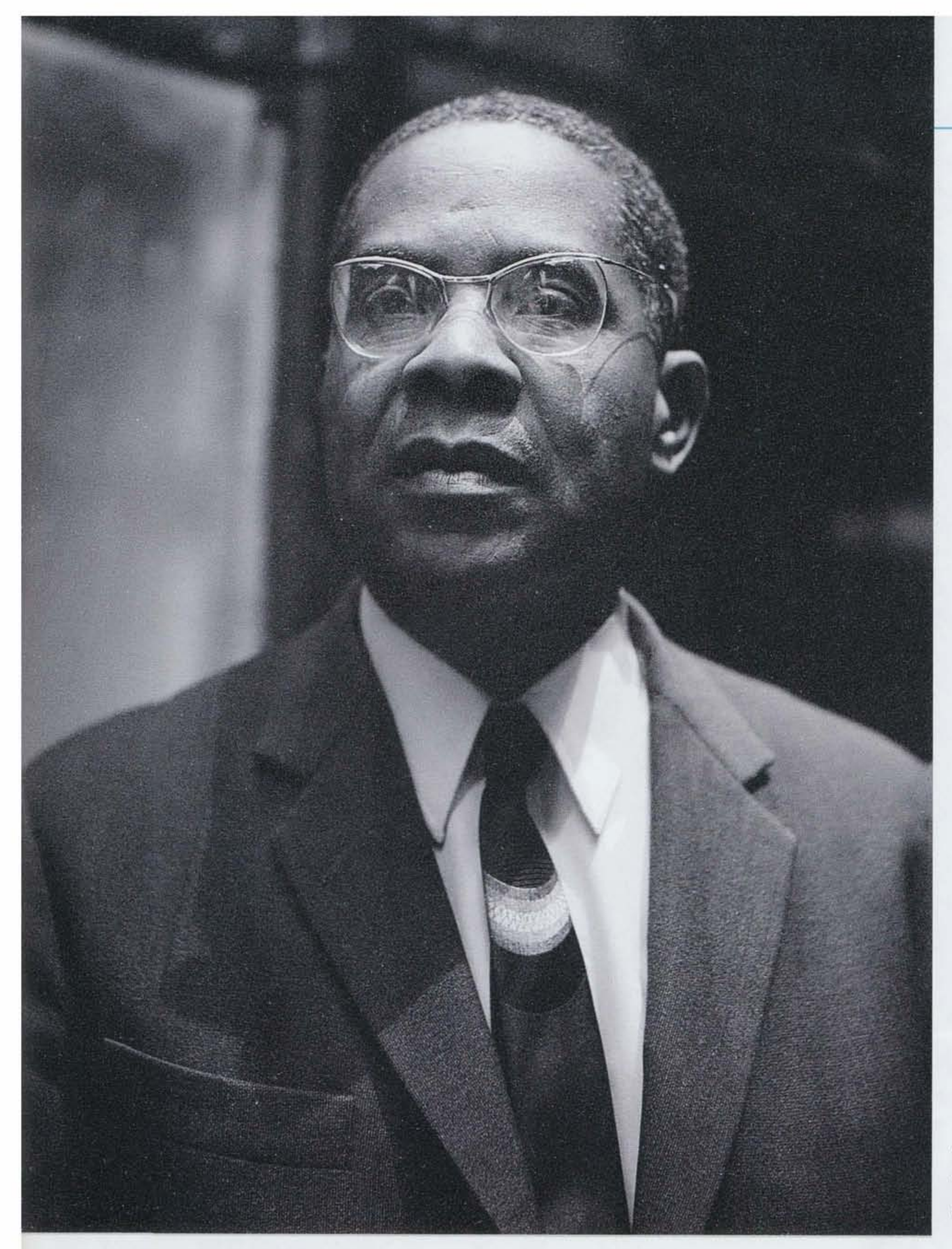
«يُسارع الناس في الحكم حتى لا يُتسنَّى للآخرين الحُكم عليهم»

السَّقطة – ألبير كامو.

◂ اللا منتمي

كامو واحدٌ من عمالقة الأدب الفرنسي، ومنحه مولده الجزائري وخلفيته الحياتية منظورًا أدبيًا فريدًا. يظهر في هذه الصورة الملتقطة عام ١٩٤٧ الذي نشر فيه روايته الطاعون.





إيمي سيزير، ١٩٦٧
يظهر سيزير المُصوَّر هنا بسن الرابعة والخمسين، خلال الحقبة التي ركّز عمله الأدبي فيها على «مسرحيات شعرية» مشحونة بالسياسة، وكتبت محاوراتها بصيغ شعرية.

إيمي سيزير

(١٩١٣-٢٠٠٨) مارتينيكيّ

كان سيزير شاعرًا وسياسيًا كاريبيًا شاركَ في تأسيس حركة الزّنوجة، وحثَّ الشعوب المُستعْمَرة على الاعتزاز بتراثها ورفض سياسات الاستيعاب في ظلِّ الحكم الاستعماري.

أنا في صف أولئك المُضْطَهَدين.

إيمي سيزير



◂ **باسي-بونتي**
طابع مطبوع في المارتينيك في ستينات القرن الماضي، يظهر بلدة باسي-بونتي مسقط رأس إيمي سيزير.

وُلدَ سيزير في مستعمرة مارتينيك الفرنسيّة، وهي جزيرة تقع في شرق الكاريبي. ترعرع سيزير، الابن الثاني من بين ستَّة أطفال، في ظروف حياتية سيئة في باسي-بونتي، البلدة التي كانت قد دُمّرت بالكامل جرّاء ثوران بركان مونت بيليه قبل عقد من الزمن. كان سيزير طالبًا نجيبًا في المدرسة الثانوية، وفاز بمنحة دراسية في باريس في ثانوية Lycee Louis-le-Grand المرموقة، وانتقل منها إلى المدرسة العليا Ecole Normale Superieure.

وفي باريس، اختلط سيزير بمجموعة من المثقفين السود، وشارك في تأسيس مجلة «الطالب الأسود L'Etudiant noir» التي طوَّر فيها مع مجموعةٍ من المُفكّرين الآخرين وسائل جديدة للرد على العنصرية الفطرية والتاريخ الاستغلالي للاستعمار. ابتكرت هذه المجموعة مفهوم الزنوجة Negritude: تهدف بصفة عامة إلى مناشدة الشعوب المُستعمرة في منطقة الكاريبي على عدّ نفسها مُوحَّدَة بتراثها الإفريقي المشترك، ثم رفض المكانة الثانوية التي فرضها عليهم المُستعمرون الأوروبيون البيض.

العودة إلى المارتينيك

بُعيدَ زواجه وولادة ابنٍ له، عاد سيزير للتدريس في مدرسة Lycee Schoelcher في عاصمة المارتينيك، «فور دو فرانس»، قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية. أسَّس سيزير مع زوجته سوزان مجلة أدبية تدعى «Tropiques»، والتي نافحت عن الهُوية المارتينيكيّة والشعر الكاريبي الإفريقي.

وخلال تلك المدة، نشر سيزير عمله الرائد «كرّاس العودة إلى أرض الوطن» في مجلة أدبية فرنسيّة. في هذا الكتاب الطويل، وهو قصيدة شبه سيرة ذاتية، ابتكر سيزير لغتَه الخاصة من خلال الجمع بين صور الأحلام، واللغة العامّية، والوثائق التاريخية، والأدب الفرنسي، مستخدمًا هذا الشكل الثوري في التعبير لاستكشاف الهويّة السوداء.

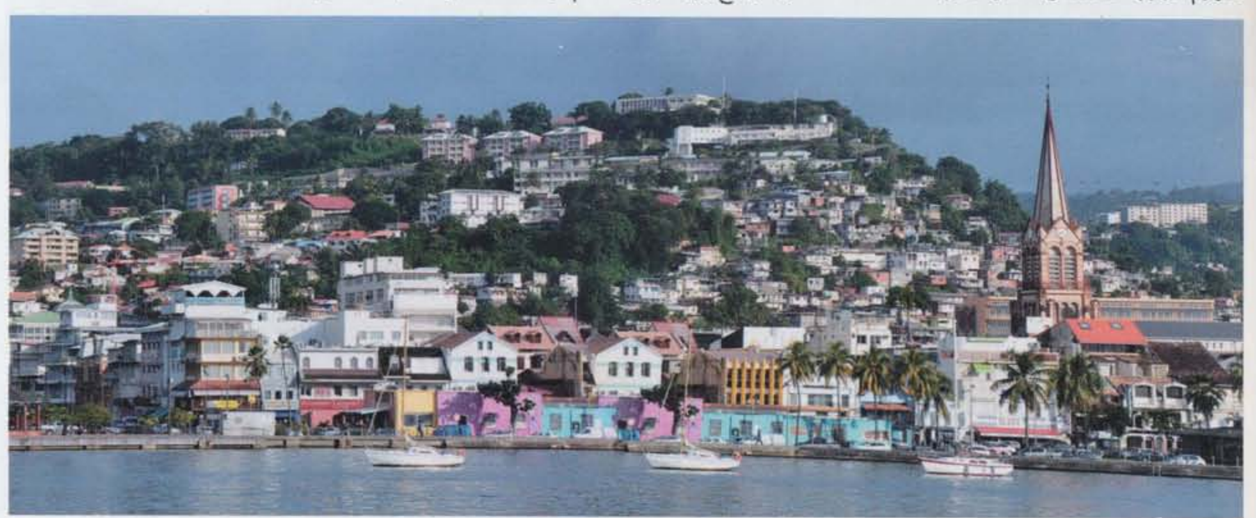
تأثر عمل سيزير خلال العقد التالي بالحركة السريالية تأثرًا شديدا (أصبح صديقًا لأندريه بريتون)، واستمر في كتابة المزيد من المجموعات الشعرية، بالإضافة إلى المسرحيات والمقالات التي تتوافق مع مشاركته المتزايدة في السياسة. أُنتخِبَ سيزير رئيسا لبلدية فور دو فرانس في عام ١٩٤٥، وباستثناء انقطاع قصير، فقد شغل هذا المنصب ستة وخمسين عامًا، وكان له دور فعَّال في مساعدة المارتينيك على نيل مكانة «إقليم خارجي تابع لفرنسا».

رأى بعض المعلقين من الأجيال اللاحقة سيزير شخصية متضاربة، لأنه وعلى الرغم من مناهضته للمستعمرين الأوروبيين السابقين، فقد كتب بالفرنسية الكلاسيكية، وقُبل في البانثيون الفرنسي، وكان له دور في تقريب المارتينيك من فرنسا.

الزنوجة Negritude

كان سيزير واحدا من مجموعة الطلاب الذين وصفوا مفهوم الزنوجة، أو الوعي الأسود، في المجلة الأدبية «الطالب الأسود». ضمَّت المجموعة الكاتب ليوبولد سيدار سينغور، والذي أصبح في عام ١٩٦٠ أول رئيس للسنغال. روّجت المجموعة لفكرة الهُوية الإفريقية لجميع الشعوب الكاريبي المُستعْمَرة، وعرضت الزنوجة على أنها ظاهرة تاريخية تطورت من التجارب المشتركة للمُستَعمرين، ولا سيما العبودية. أصبح سيزير مُرشدًا للمؤلف فرانز فانون الذي دعا لرفضٍ أكثر جذريّة للاستعمار، والذي أثّر في شخصيات مثل تشي جيفارا في كوبا ومالكوم إكس في الولايات المتحدة.


القائد السنغاليّ المستقل ليوبولد سيدار سينغور



▾ **فور دو فرانس**
ألهمَ سيزير من أراضي المارتينيك الطبيعية، وأصبح عمدة العاصمة فور دو فرانس. وسُمّي مطار الجزيرة باسمه تكريما له.



توماس في عام ١٩٣٦
كان توماس، المُصوَّر هنا في أوائل عشريناته، مسرحيًّا متوهجًا أحبَّ أن يقرأ أعماله بصوت عالٍ بإيقاع موسيقي ويلزيّ شدَّدَ على السجع والتناغم الصوتي في شعره المتقن النظم. ألهمَ العديدَ من الشعراء الآخرين أن يقرأوا أعمالهم في العلن.

ديلان توماس

(١٩١٤-١٩٥٣) ويلزيّ

تمتَّع ديلان الويلزيّ، كاتب الشعر والنثر الشعري، ببلاغةٍ عالية التدفُّق وحسّ دعابةٍ ماكر، وكان أديبًا بارزًا في منتصف القرن العشرين. بَتَرَ إسرافه في معاقرة الشراب حياته.

«جعلني الزمنُ غضّا ومحتضرا رغم أني غنَّيتُ في أصفادي مثل البحر»

تل السرخس – ديلان توماس.

المسرحية الإذاعية

كتب ديلان توماس خلال العصر الذهبي للمسرحية الإذاعية، التي روّجت لها هيئة الإذاعة البريطانية BBC على نحو ملحوظ، إذ كان لإرادتها التزامٌ جاد تجاه الفنون. اجتذبت المسرحيات الإذاعية شريحة كبيرة من الجمهور قبل ظهور التلفاز، إذ قدمت المسرحيات لملايين الناس الذين لا يستهويهم الذهاب إلى المسارح قط. كلّفت هيئة الإذاعة البريطانية توماس بكتابة مسرحية «تحت غابة الحليب»، وبُثّت إذاعيًا في شهر كانون الثاني/ يناير عام ١٩٥٤، بعد شهرين من موته، ببطولة الممثل ريتشارد بورتون. كتب العديد من المؤلفين لإذاعة BBC من بينهم صمويل بيكيت وهارلود بنتير وجو أورتون.



الممثلان سيبيل ثورنديك وريتشارد بورتون وهما يقرآن «تحت غابة الحليب»

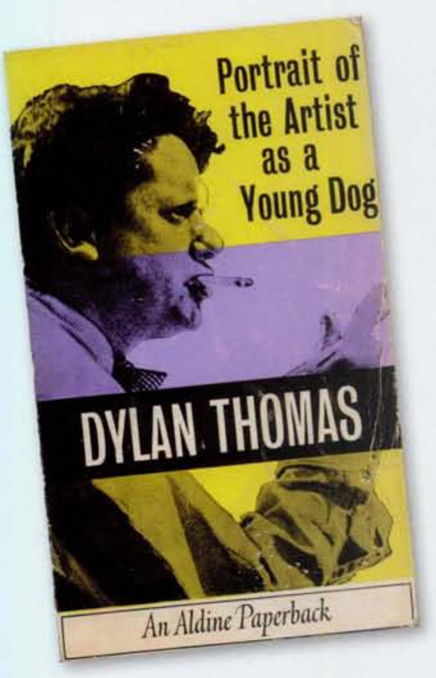
وُلِدَ ديلان توماس في سوانسي، ويلز، حيث كان والده يدرّس الأدب الإنجليزي. اشتُقّ اسم ديلان الأول من الميثولوجيا الويلزيّة، لكنه لم يتعلم اللغة الويلزيّة قط. افتقر ديلان تماما إلى القدرة الأكاديمية التي تمتّع بها والده، وكان أداؤه في المدرسة ضعيفا. أفسده بعد ذلك دلالُ والدته المُبالغ فيه، واكتسب سمعةَ فتًى شقيّ بسلوكٍ غير مهذّب في وقتٍ مبكّر، غير أنه أظهر موهبة شعرية مبكرة. بدأ توماس بملء دفاتره بالقصائد وهو في سن الخامسة عشرة، وكتب عددًا من أشهر أعماله حين أصبح بسن التاسعة عشرة، من ضمنها قصيدة «لن يكون للموت سلطان». كما نظم ديلان وهو ما يزال في العشرين من عمره - ربما تحت تأثير تشخيص والده بالسرطان- سلسلة من القصائد المظلمة والسرياليّة على نحوٍ مكثّف، من بينها «القوة التي تدفع الزهرة خلال السيقان الغضّة» و «ينبلجُ الضوءُ حيث لا تُشرق الشمس». نشر ديلان هذه القصائد في مجموعته « القصائد الثماني عشرة» عام ١٩٣٤، وأشاد بها النقّاد بعدّها تمثّل صوتًا جديدًا قويًّا في الشعر. وبعد ذلك بعامين، نشر توماس مجموعته الثانية «القصائد الخمس والعشرون»، والتي أخذ أكثر من نصفها من دفاتر أشعاره في مرحلة المراهقة. كانت القصائد الجديدة في تلك المرحلة من حياته بطيئة الظهور.

من لندن إلى لارن

انتقل ديلان وهو ما يزال في أوائل العشرينيات من عمره إلى لندن، وأصبح شخصية مألوفة في حانات سوهو التي كان يتردد عليها الكتّاب والفنانون. وفي عام ١٩٣٧،تزوّج ديلان كايتلين ماكنامارا التي عملت راقصة وويلزيّة متقدة الحماس ونموذجًا فنيًّا للفنانين. رُزق الزوجان بثلاثة أطفال في علاقة عاصفة، شوّهتها الخيانات من الطرفين، والنقص الدائم في المال. بدأ الكاتب في نشر القصص القصيرة والمذكرات بجانب القصائد، ومن أبرز أعماله «صورة الفنان بهيئة كلبٍ صغير (١٩٤٠)» الذي كتبه استنادًا إلى تجارب نشأته في سوانسي.

ألفى ديلان ذو الصحة العليلة على الدوام نفسه غير مناسب للخدمة العسكرية في الحرب العالمية الثانية، وكتب إبّان الحرب سيناريوهات لأفلام وثائقية بادئًا مسيرة كتابية مثمرة في الراديو والبث الإذاعي.استعاد توماس إلهامه كذلك لكتابة الشعر، فكتب قصائد حربية، من ضمنها «تل السرخس» التي استلهمها من زياراته الصيفيّة لمزرعة عمته في ريف ويلز، وقصيدته حول قصف لندن «رفضُ رثاء موت طفلٍ -حرقًا- في لندن». أدى نشر هذه القصائد، وقصائد أخرى مثل «وفيّات ومداخل» في عام ١٩٤٦، إلى اكتساب توماس شهرة أدبية واسعة.

عاش توماس منذ عام ١٩٤٩ في كوخ بوت هاوس بمدينة لارن على الساحل الويلزيّ. وكانت قرية لارن النموذج الذي بُنيت عليه قرية لاريجغوب الخيالية، التي وقعت فيها أحداث مسرحيته الإذاعية الشهيرة «تحت غابة الحليب». أُدّيت هذه المسرحية على خشبة المسرح للمرة الأولى في عام ١٩٥٤. أعدّ ديلان في عام ١٩٥٢ قصائده المُجمّعة، من بينها «على تلة السير جون» المُستوحاة من مشهد في لارن، وقصيدته ذائعة الصيت «لا تمض بهدوء في ذلك الليل البديع» المنظومة وفقَ الشكل الفيلاني villanelle (يتكون من خمس مقاطع ثلاثية الأسطر متبوعةً بمقطع رباعي الأسطر)، التي يخاطب فيها والده المحتضر. انطلق ديلان منذ عام ١٩٥٠ في رحلات إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث فتنَ الجمهور بقراءاته وأفزعَ مضيفيه بسلوكياته المخمورة. مات ديلان في نيويورك بالتهاب رئوي في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٥٣ بعمر التاسعة والثلاثين.



▲ قصص سيرة ذاتية

تحكي «صورة الفنان في هيئة كلب صغير»، والكلب هنا توماس نفسه، عن مغامراته الشبابية وعلاقاته الغرامية، والعديد من الشخصيات الغريبة التي التقاها في سنواته الأولى في ويلز.



◄ كوخ الكتابة، لارن

يظهر في الصورة كوخ كتابة توماس، بوت هاوس في لارن، حيثُ ألهمته مصبّاتُ الأنهار. كانت أول قصيدة يكتبها «على تلة السير جون» التي وصف فيها الأفق.



مارغريت دوراس

(١٩١٤-١٩١٦) فرنسيّة

كانت دوراس روائيّة ومسرحيَّة وكاتبة سيناريو ومقالة ومخرجة أفلام تجريبيّة فرنسية، وغالبًا ما طمست أعمالها الخطَّ الفاصل ما بين خيالها وسيرتها الذاتية، ما جعل القبض على حياتها الزئبقية أمرًا صعبا.



◄ هيروشيما حبيبتي

إنَّ الذاكرة والنسيان -أستعرضا ضمنيًا في حوار طويل لعاشقين- هما المواضعان الرئيسان لهذا الفيلم (الصادر ١٩٥٥)، وما جعلا دوراس تكتب سيناريوهات الأفلام.

ولدت دوراس باسم مارغريت دوناديو في غيا دينه بالهند الصينية الفرنسية (فيتنام حاليا). تُوفي والدها حين كانت بسن الرابعة، وانتقلت والدتها مع مارغريت وشقيقيها إلى ملكية صغيرة على الساحل الكمبودي. كانت الأرض عُرضة للفيضانات باستمرار، ومن العسير زراعتها، لذا فقد عانت العائلة من فقر مُدقع. خَبَرت دوراس الفقر منذ طفولتها، والعنف والإهانة من أمها وأخيها الأكبر، وغالبا ما ميَّزت هذه الأحداث كتاباتها. ادّعت لاحقًا أيضا بأنَّ قصة روايتها «العاشق»، التي تدور حول علاقة غرامية بين فتاة بسن الخامسة عشرة ورجل صيني بسن السابعة والعشرين، كانت سيرة ذاتية لها. جعلَ هذا التأكيد من دوراس نجمة الإعلام، لكن تفاصيل حياة دوراس بقيت جدليّة، وثمة اشتباه ما بين الحقيقة والخيال التي كانت دوراس وحدها سعيدة بجذل باستغلاله.

◄ دوراس، عام ١٩٥٥

كانت دوراس شخصية استفزازية في كلا حياتها وعملها، وعُرف عنها مِراسها الصعب مع المخرجين والناشرين. وعلَّقت ذات مرة بأنه من «المُذهل» تمكنها من الكتابة مع أنها كانت ثملةً بنحوٍ مفرط.

الحب والسياسة

التحقت دوراس بالجامعة في باريس وهي بسن الثامنة عشرة، ثم تزوجت في عام ١٩٣٩ الكاتب روبرت أنتيلم؛ أنجب الاثنان طفلًا مات أثناء الوضع. بدأت دوراس في شرب الكحول بإفراط، واتخذت كاتبًا آخر «دينوس ماسكولو» عشيقا لها. انضمّت دوراس وزوجها أنتيلم إلى المقاومة الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية. وفي مذكراتها الحربية «La Douler»، تصف دوراس تطبيبها لظهر زوجها حتى تعافيه بعد أن كان مسجونًا في المعسكرات الألمانية.

تطلّق الزوجان، ثم تزوّجت ماسكولو وأنجبت منه ابنًا. انضمَّت دوراس بعد ذلك إلى الحزب الشيوعي في عام ١٩٤٥، وكانت عضوًا فعّالا مدة عشر سنوات قبل أن تغادره إثر خلاف حول الحرية الفنيّة.

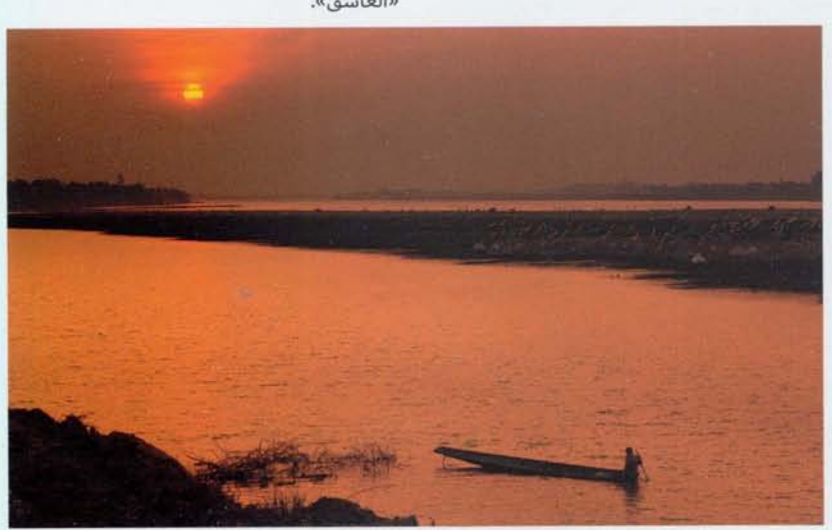
كانت روايتها «Les Impudent» المنشورة في عام ١٩٤٣ أول عمل رئيس لها يُنشر باسم قلم «دوراس». وكتبت أيضًا سيناريوهات من ضمنها سيناريو فيلم العقيدة الكلاسيكي «هيروشيما حبيبتي»، وبدأت في إنتاج أفلامها الخاصّة أيضًا، لتصبح عنصرا أساسيا في عالم السينما الفرنسية السّاحر. شُخِّصت دوراس بمرض تليّف الكبد، وحاولت الإقلاع عن الشراب -كادت أن تموت أثناء تلك العملية- وتعافت لاحقا من غيبوبة استمرت خمسة أشهر. استسلمت دوراس في نهاية المطاف لسرطان الحلق عام ١٩٩٦.

الرواية الفرنسية الجديدة

ترتبط دوراس، إلى جانب كتّاب مثل ميشيل بوتور وكلاودو سيمون، بحركة الرواية الفرنسية الجديدة Nouveau Roman التي تطورت في خمسينات القرن العشرين. ووجَّد روّاد هذه الحركة أنَّ الرواية الكلاسيكية بتقاليد حبكتها، وحواراتها، والسرد الخطي، والاهتمام الإنساني، غير مناسبة لوصف عالم ما بعد الحرب. اتَّسم عمل دوراس بعلامات مميزة لا سيما الافتقار في وصف الشخصيات، والسرد، والحوارات غير المنسوبة غالبًا. ومع ذلك فإنَّ دوراس كانت متأثّرة برغبةٍ تحرّكها النظريات الرّامية إلى تغيير الأدب أكثر من تأثرها بإحساسها بأنَّ هذه هي الطريقة الوحيدة التي تستطيع من خلالها التعبير عن التعقيد النفسي والشغف في أعمالها.

▼ دلتا ميكونغ

قضت دوراس شطرًا من طفولتها في سا ديك، بلدة على دلتا ميكونغ، فيتنام. وفي هذا المكان، الواضح في الصورة، جرت وقائع رواية شبه سيرتها الذاتية «العاشق».



«عليكِ أن تكوني مغرمةً بالرجال جدًا. مغرمة جدًا جدًا. عليكِ أن تكوني مغرمةً جدًا بهم لتحبيهم. وإلا فإنهم، بوضوح، لا يُطاقون»

مارغريت دوراس.

سول بيلو

(١٩١٥-٢٠٠٥) كنديّ المولد - أمريكيّ

نقّب بيلو، الأستاذ والروائي وكاتب المقال، في جنون وماديّة العالم الحديث بحثًا عن السلامة العقليّة. لقد مزج بين صوت العقل والعاطفة، والدعابة والأحزان من أجل خلق تأثير مُدمِّر.

وُلد بيلو باسم سولومون بيلوز في كويبيك لعائلة يهوديّة ذات أصول ليتوانيّة. انتقل بيلو بسن التاسعة إلى شيكاغو؛ المدينة التي ستحضر في بعض رواياته. تخرّج بيلو في قسم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا من جامعة نورث ويسترن عام ١٩٣٥، وتزوّج بعد عامين زواجه الأول (من أصل خمس زواجات). كتب بيلو أول رواية له «الرجل المُدلّى (١٩٤٤)» أثناء خدمته في القوات البحرية، وهي قصة مضطربة لرجل قلق في انتظار أن يُرسل إلى الحرب. وانتقدت هذه الرواية لاحقًا لمحاكاتها الأسلوب الأدبي الأوروبي.

الأدب الحَضَريّ

في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن الماضي، عاش بيلو في نيويورك، المدينة التي فتنته «طاقتها المُرتجفة». لكنّه كتب روايته الناجحة «مغامرات أوغي مارتش (١٩٥٣)» في باريس أثناء زمالة غويغنهيم. تجري أحداث الرواية في شيكاغو، وتميزت بحيويّتها وابتكارها، وكُتبت بصوتٍ عاميّ فضفاض. صوّرت الرواية المجتمع اليهودي الذي عرفه بيلو في طفولته، وحققت نجاحًا نقديًا وتجاريًا وربحت جائزة الكتاب الوطني.

تزوّج بيلو مجددًا في عام ١٩٥٥، ونشر في السنة التالية روايته القصيرة المبنية على الحياة في نيويورك «اغتنم الفرصة» التي عاد فيها إلى أسلوب كتابته المحكم في أعماله الأولى. أمّا روايته الأخرى «هندرسون ملك المطر (١٩٥٩)» التي تدور أحداثها في إفريقيا، فقد كانت مغامرة تشرديّة مترامية الأطراف لكهلٍ يبحث عن «السمات الرفيعة». مزجت الرواية ما بين الهزل الحيويّ والبصيرة الفلسفيّة، واختيرت ضمن أعمال المؤلف المفضّلة. وبعد التدريس في جامعة مينيسوتا في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، عاد بيلو إلى شيكاغو مع زوجته الثالثة. تتناول روايته «هيرتزوغ Herzog» المنشورة في عام ١٩٦٤ أستاذا مضطربا يكتب بهوسيّة رسائل (غير مرسلة) إلى سلسلة من الناس -الأصدقاء، والفلاسفة والرب- في محاولةٍ منه لفهم يأسه بعد خيانة زوجته له مع أفضل أصدقائه (تعكس أحداثا واقعية من حياته).

وعلى الرغم من طبيعتها الفكريّة، فقد ظلّت هذه الرواية المثيرة للمشاعر وذات الطابع الهزليّ السوداويّ متصدرة لقوائم المبيعات مدة اثنين وأربعين أسبوعًا. نال بيلو جائزة بوليتزر عن روايته «هديةُ همبولت Humboldt's Gift»، وهي «رواية هزلية عن الموت» كتبها استنادًا إلى علاقته مع الشاعر ديلمور شوارتز، العبقريّ ذو النزعة التدميرية لذاته الذي كان بيلو تحت رعايته.

الأسلوب الناضج

جوّد بيلو أسلوبه المُميّز جدا في أعماله اللاحقة بعد نيله جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٧٦، فمزج في أسلوبه الجديد «حذاقة الشارع» بالتطور الثقافي، وروحًا عبثيّة غنية بالانفعالات العاطفيّة. على الرغم من رفض بيلو أن يصنّف كاتبًا يهوديًا فقد كانت شخصياته الرئيسة المتعمّقة والمفكّرة والنافرة في غالبها شخصيات يهوديّة، وبيلو نفسه تميّز بكونه مفكرًا يهوديًا أتى من عائلة يهودية مهاجرة ناجحة وثرية.

تزوّج بيلو في عام ١٩٨٩ للمرة الخامسة، وأنجب ابنته الوحيدة من بين أربعة أطفال في عام ١٩٩٩. نُشرت روايته الأخيرة «Ravelstein» في عام ٢٠٠٠، وهي تصوير خياليّ على نحوٍ طفيف لصديقه وزميله آلان بلوم. حصل بيلو على العديد من الأوسمة، وتوفي عام ٢٠٠٥.

◄ **المدينة العاصفة (شيكاغو)**
أقرّ بيلو بتأثير مدينة مسقط رأسه في أول سطر من رواية «مغامرات أوغي مارتش»: أنا أمريكي، ولدت في شيكاغو، -شيكاغو تلك المدينة النكدة- وأتماشى مع الأمور كما علّمتُ نفسي، بنمط حياة حر، وسأدونها بطريقتي الخاصة...

آلان بلوم

كتب بيلو روايته الأخيرة «Ravelstein» بسنّ الخامسة والثمانين بعد انقطاع دام ثلاث عشرة سنة، وهي تحكي قصة السنوات الأخيرة من حياة صديقه العظيم آلان بلوم (١٩٣٠-١٩٩٢). كان بلوم شخصية مهمة جدًا، فهو مفكر محافظ وفيلسوف وأكاديمي في جامعة شيكاغو، واشتهر بوقوفه ضد اتجاهات التعليم الجديدة. انتقد بلوم في كتابه «إغلاق العقل الأمريكي (١٩٨٧)» التقليلَ من قيمة التعليم الكلاسيكي، وحقق الكتاب نجاحًا غير متوقّع، مسترعيًا انتباه الجمهور إليه.

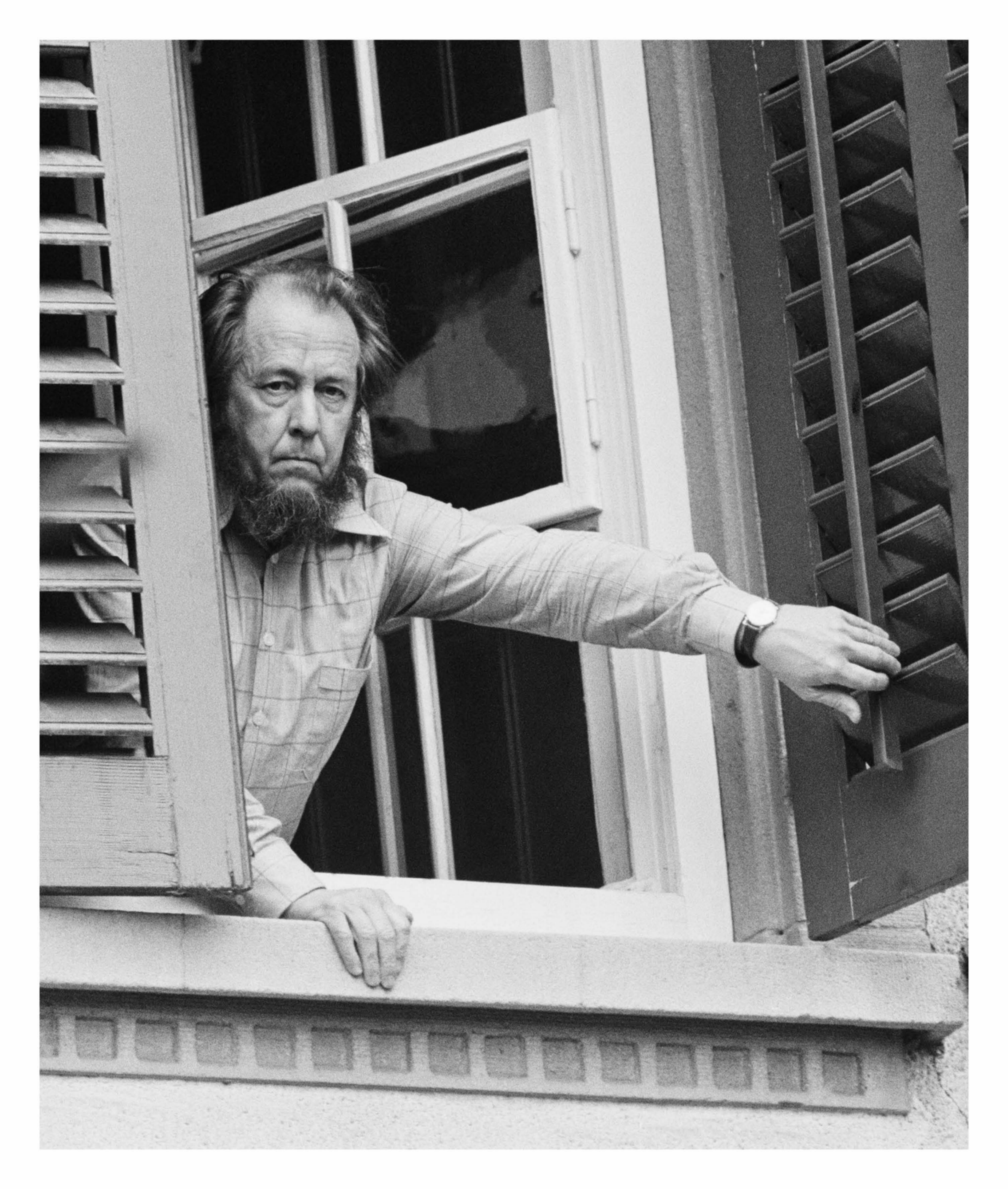
تدور أحداث رواية بيلو Ravelstein حول شخصيتها الرئيسة Abe Ravelstein، وهو يقترب من الموت، وعن عشيقه الذكر الذي استوحاه بيلو من عشيق بلوم في حياته، وكان السارد/ كاتب سيرته هو بيلو نفسه. أثارت الرواية ضجة كبيرة باقتراحها أن بلوم مات بسبب مرض الإيدز المتعلق بميوله الجنسية (التي لم تكن بالمخفيّة، وغير معروفة للعامة).

Saul Bellow
Ravelstein

الطبعة الأمريكية الأولى لرواية سول بيلو Ravelstein

◄ **بيلو في باريس، ١٩٨٢**
كانت شخصية بيلو معقدة، وكان وسيمًا وجذّابًا للنساء، ولكنه لم يكن ذاك الشخص الذي يتقبل النقد بسهولة، ولطالما استهوته المشاجرات مع الأصدقاء.





ألكسندر سولجنستين

(١٩١٨-٢٠٠٨) روسيّ

كان سولجنستين أخلاقيًا محافظًا رسم صورة ساخرة بمرارة عن الحياة في ظل الاتحاد السوفيتي الشيوعي، لا سيما في معسكرات الاعتقال التي خَبَرها عيانًا.

وُلدَ ألكسندر إيسايفتش سولجنستين في كيسلوفودسك في القوقاز بعد سنةٍ واحدة من الثورة الروسية. ترعرعَ سولجنستين في كنف والدته، وواصل دراسته الفيزياء والرياضيات في الجامعة، في الوقت الذي كان يحلم دائمًا بأن يكون كاتبًا. خدم سولجنستين أثناء الحرب العالمية الثانية بكل كفاءة ضابط مدفعية في الجيش الأحمر السوفيتي.

اعتُقِل سولجنستين في شباط/ فبراير عام ١٩٤٥ على يد الشرطة السرية بتهمة التعليقات المسيئة بحق الزعيم السوفيتي جوزيف ستالين في مراسلاته السرية، وأُرسل إلى معسكرات الاعتقال بعد أن حُكم عليه بثماني سنوات، وقضى جزءًا من هذا الوقت في معسكر خاص حيث كان النّزلاء من خريجي الجامعات يتابعون البحث العلمي خدمة للنظام السوفيتي، التجربة التي ستشكّل أساس روايته «الدائرة الأولى (١٩٦٨)». وعانى سولجنستين في باقي الوقت من الأعمال البدنية الشاقة والظروف الصعبة التي سيصفها لاحقا في رواية «يوم واحد من حياة إيفان دينيسوفيتش (١٩٦٢)».

إطلاق السراح والنشر

أُطلق سراح سولجنستين من السجن عام ١٩٥٣ في يومٍ صادف وفاة ستالين، لكنّه كان محكومًا عليه بالنفي الدائم في كازاخستان. شجبَ القائد السوفيتي الجديد نيكيتا خروتشوف في عام ١٩٥٦ إرهابَ حقبة ستالين. استعاد سولجنستين حقوق مواطنته كاملة لكنه لم يكن يتوقع وقتها أنه كتاباته ستظهر مطبوعة.

لكن في عام ١٩٦١، قبلت مجلة نفوي مير رواية «إيفان دينيسوفيتش»، ونُشرت بموافقة خروتشوف في السنة التالية. تسبّبت روايتها الصريحة والمباشرة للحياة في معسكرات الاعتقال في حدوث ضجة كبيرة في الاتحاد السوفيتي، وظهرت في عام ١٩٦٣ مجموعته القصصية القصيرة «في صالح القضية».

شُنت حملة مضايقات ضدّ سولجنستين بعد سقوط حكم خروتشوف، ولم يكن بالإمكان تداول أعمال الكاتب في الاتحاد السوفييتي إلا سرًّا، أدب «ساميزدات»، على الرغم من ظهورها مترجمة في الأقطار الغربيّة.

نال سولجنستين جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٧٠، وبقي يعمل خلال هذه السنوات على تاريخ نظام معسكرات الاعتقال السوفيتي «أرخبيل معسكرات العمل»، وكان نشره في الغرب عام ١٩٧٣ القشة الأخيرة التي قصمت ظهر القيادة السوفيتية. أُرسِل سولجنستين بعدها إلى المنفى، واستقرّ منعزلًا في فيرمونت في الولايات المتحدة الأمريكية متجنّبًا مقام الشهرة في الوقت الذي كان يستنكر فيه كذلك المادية غير الدينية للمجتمع الغربي. شرع سولجنستين بعدها بكتابة روايته ضخمة، «العجلة الحمراء»، قاصدًا أن تكون ملحمةً تولستويّة في تصويرها للتاريخ الروسي الحديث. نُشر الجزء الأول «آب ١٩١٤». في عام ١٩٧١ لكن ظهرت منها مقتطفات قليلة فحسب بعدها. تمكّن سولجنستين من العودة إلى روسيا عام ١٩٩١، وتُوفي في عام ٢٠٠٨ شخصيةً نصف منسية من حقبة خَلَت.

◄ **سولجنستين في المنفى**

صرّح القائد السوفيتي ليونيد بريجنيف بعد نشر عمل سولجنستين، أرخبيل معسكرات العمل: «إنّ الهمجي سولجنستين غُير مسيطر عليه». أُرسل الكاتب إلى المنفى عام ١٩٧٤، وعاش مدة في زيورخ مع زوجته ناتاليا وأطفاله قبل الانتقال إلى أمريكا.

معسكرات العمل «غولاج»

يُشير اختصار «غولاج» إلى معسكرات العمل في السجون التي أُنشئت في السنوات الأولى للاتحاد السوفيتي وتطورت على نطاق واسع في عهد ستالين منذ ثلاثينات القرن الماضي وحتى عام ١٩٥٣. أرسل ما لا يقل عن ١٤ مليون شخص إلى هذه المعسكرات خلال الحقبة الستالينيّة، ومات الملايين بسبب الصعوبات التي قاسوها هناك. استخدم سولجنستين في عمله المكون من ثلاثة أجزاء، «أرخبيل معسكرات العمل»، الجزر كناية عن المعسكرات السرية المنتشرة في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي، ونسج تجربته الشخصية وتجارب المئات من زملائه السجناء لتصوير المعاناة الجماعية والظلم.

Solženicyn

ARCIPELAGO GULAG

ARNOLDO MONDADORI EDITORE

طبعة إيطالية من كتاب «أرخبيل معسكرات العمل»



◄ **التحرير، ١٩٥٣**

صُوِّر سولجنستين هنا في يوم تحريره من مسعكرات العمل. وكان وقتها يصارع مرض السرطان، الصراع الذي انعكس لاحقًا في روايته «جناح السرطان (١٩٦٦)».

بريمو ليفي

(١٩١٩-١٩٨٧) إيطاليّ

تُعدُّ قصة السنة التي قضاها ليفي في جحيم معسكر الاعتقال أوشفيتز على نطاق واسع واحدة من أكثر الأعمال المؤثرة والشجيَّة في أدب الهولوكوست.

ولد بريمو ليفي في عام ١٩١٩، وكان طفلا رقيقًا ومواظبًا على الدراسة في البيت لسنوات بسبب المرض. ترعرعَ ليفي وشقيقته الصغرى آنا ماريا في شقة عائلية كبيرة في كورسو ري أومبرتو في تورينو، والتي منحها والده لوالدته إيستر «رينا» هدية زواج لتعزيز أواصر القِران بينهما. كانت والدته مُثقّفة من الطبقة المتوسطة، أما والده سيزار فكان مهندسًا يكبر زوجته بعشرين عاما. لم تكن يهوديّة الصغير ليفي إلا شأنًا ثقافيًّا ثانويًّا مقابل حرمانه من شجرة عيد الميلاد، وتعلّمه العبريّة من أجل طقس سن البلوغ أل«بار ميتسفاه»، ومنعه من أكل السلامي (مع أنّه كان يأكلها رغم ذلك).

ونشأ توترٌ بعد ذلك ما بين أمه ذات النزعة المستبدة وطبيعة والده المنشرحة، لكن ما تشاركته العائلة فكان الشغف للفنون والأدب. قرأ بريمو بكثرة مثل والديه، كما التحق بالمدرسة الثانوية في سن الرابعة عشرة، وبَرعَ في الكلاسيكيات والأدب، لكنّه صبّ تركيزه على الكيمياء وعلم الأحياء بعد أن أسره كتاب «حول طبيعة الأشياء»، وهو استكشاف للعلوم مبنيّ على محاضرات السير وليم براغ الحائز على جائزة نوبل.

وكما كان يُتوقَّع من جميع طلاب المدارس في إيطاليا في عهد موسليني؛ انضمَّ ليفي إلى حركة الطليعيين للشباب الفاشي، لكنه اختار التزلج في الجبال بدلا من التدرّب على البندقية.

التحق ليفي في عام ١٩٣٧ بجامعة تورين لدراسة الكيمياء، وكانت سنة سعده إذ قُدِّم وقتها بيان العِرق الإيطالي الذي حظر على اليهود الالتحاق بمدارس الدولة والجامعات، إلا إنَّ ليفي كان طالبًا سلفًا مما سمحَ له بالاستمرار، وكانت الجامعة في مأمن عن العداء المتزايد تجاه اليهود. تخرَّج ليفي في الجامعة بعلامات عالية عام ١٩٤١ لكن مع كلمات «من العرق اليهودي» أُضيفت إلى شهادته.

سنوات الاضطهاد

أُجبرَ ليفي على حمل هوية مزيفة من أجل العمل بعد الغزو الألماني لشمال ووسط إيطاليا، ووجد عملا في استخراج النيكل من نفايات مناجم الأسبست، وعمل لاحقًا في شركة كيماويات سويسرية في ميلان.

كانت وقتها عملية إرسال اليهود إلى معسكرات العمل تجري على قدم وساق. وبعد وفاة والدهما في عام ١٩٤٢، وضع ليفي والدته وأخته في نُزل صغير بالقرب من الحدود السويسرية للحفاظ على سلامتهما.

انضمَّ ليفي لمجموعة مقاومة عشوائية لكنه سرعان ما أُعتقِل مع رفيقيه. أقرَّ ليفي بيهوديته بعد أن واجه الاختيار بين الموت المؤكد لأنه معادٍ للاحتلال وبين الترحيل لأنه يهودي.

كان ليفي في شباط/ فبراير عام ١٩٤٤ واحدًا من بين ٦٥٠ رجلًا وامرأةً وطفلًا مُكدّسين في شاحنات سكك الحديد في قرية فوسولي من أجل رحلة الأيام الخمسة نحو مجموعة المخيمات التي شكَّلت معسكر الاعتقال «أوشفيتز» في بولندا. وبلا ماء ولا طعام ولا مكانٍ لقضاء الحاجة،

◀ تورين الوطن

انتمى قلب ليفي إلى جبال بيدمونت المطلّة على مدينة تورين التي ترعرعَ فيها. ووصفَ شفاءه الروحي بتنزهاته في الجبال.

تقدُّم الحرب

وقَّع قائد إيطاليا الفاشيّ بينيتو موسوليني في عام ١٩٣٩ على «معاهدة الفولاذ» مع ألمانيا النازيّة بتأثير من هتلر، قدَّم موسوليني نفسه معاديًا للساميّة ببيان سياسة العِرق وأعلنت إيطاليا الحرب على بريطانيا وفرنسا في حزيران عام ١٩٤٠ إثر احتلال ألمانيا لأوروبا. بعد ثلاث سنوات من الإخفاق، عُزلَ موسوليني ثم أُعيد تنصيبه زعيمًا دُمية إثر غزو القوات الألمانية للشمال الإيطالي ونفي يهود إيطاليا إلى معسكرات الموت النازية. أُرسل قرابة ١٠ آلاف يهودي إلى أوشفيتز في بولندا، حيث أُبيد معظمهم، وفي المجموع مات ١,١ مليون إنسان هناك.

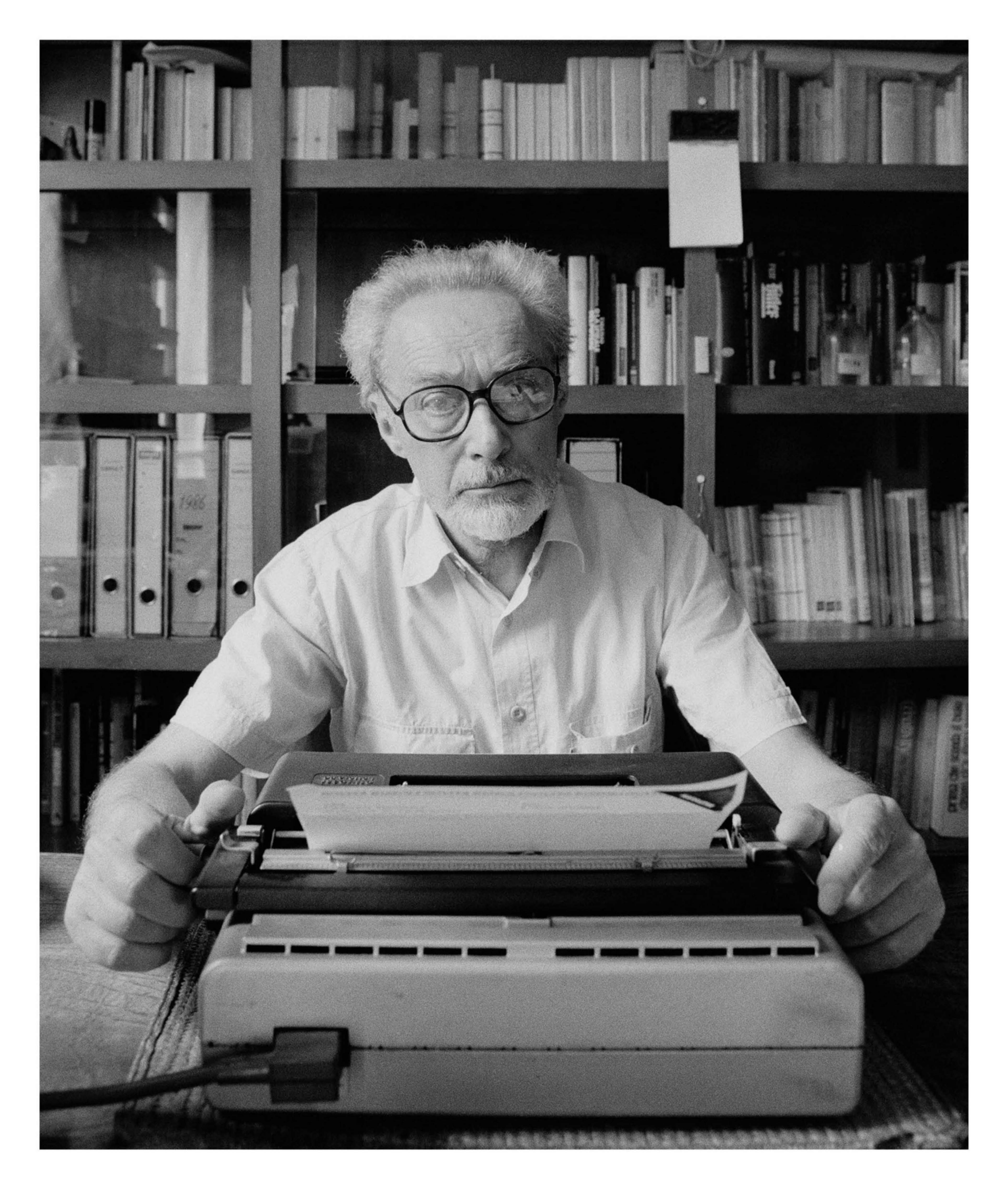


بطاقة بريدية احتفالًا بمعاهدة الفولاذ

◀ بريمو ليفي، كانون الثاني، ١٩٨٦

يظهر بريمو ليفي في هذه الصورة في مكتبه في روما قبل وفاته. أنتجَ ليفي أكثر من اثني عشر عملا خلال حياته، تضمَّنت المذكَّرات والقصة القصيرة والرواية والشعر والمقالات.

> «لماذا يُترجم ألمُ كلِّ يوم إلى أحلامنا باستمرار، في المشهد المُتكرّر باستمرار للقصص غير المُسموعة؟»
>
> **هل هذا هو الإنسان – مذكرات بريمو ليفي.**


1986

▲ مرأى الجحيم على الأرض

جنود نازيون «يصنِّفون» السجناء في منطقة التقاء سكك القطار خارج أوشفيتز-بيركيناو في عام ١٩٤٤. لم يعمل أغلب الداخلين قط بل أُرسلوا مباشرة إلى عنابر الغاز لإبادتهم.

قضى ثلاثة رجال نحبهم خلال الرحلة، أما البقية فاختير منهم ٩٦ رجلًا و٢٩ امرأةً كونهم قادرين على العمل فور وصولهم إلى وجهتهم الأخيرة: اقتيد ما تبقى من النساء والأطفال والعجزة والضِّعاف إلى عنابر الإبادة بالغاز.

عُيِّن ليفي عاملا بالسخرة في معسكر مونوفيتس، والذي كان يعمل لصالح مصنع بونا للمطاط. ربما افتقر الشاب، الذي لم يتجاوز الأربعة والعشرين ربيعا، إلى القوة البدنية، لكنّه عثر في داخله على روح المقاومة التي مكّنته من النجاة لعام كامل من المشقَّة المُروّعة. أبقاه عزمه على تدوين جميع ما شهده صامدًا، وأنتجَ ليفي بعد الحرب واحدًا من أكثر الكتب تعريفًا بأدب الهولوكوست.

يصفُ ليفي في مذكراته «هل هذا هو الإنسان؟» بواقعية وبدون مرارة الحياة في المعسكر: التجريد من الثياب، وحلق الرؤوس، والرقم الموشوم الذي جعل منه مجرد سجين، ١٧٤٥١٧، والثياب القُطنية الخفيفة والمخطّطة، والأحذية ذات القياسات غير مناسبة، والليالي التي قضاها في تكدّس على أسرة ضيقة متعددة الطوابق، والنداء المُخيف للعمل عند الرابعة فجرًا. وصف ليفي كذلك حصص الطعام التي كادت أن تدخلهم في مجاعة، والمكونة من كسرات خبز وحساء خضار خفيف، والإرهاق الناجم عن العمل الشاق في درجات الحرارة المنخفضة جدا. وفي معسكر بيركيناو القريب من معسكرهم، كانت الجثث تحترق ليلًا ونهارًا. وبعد عمليات الانتقاء المُنظّمة التي يثب فيها السجناء العُراة وثباتٍ قويّة من أجل النجاة، كان الضعفاء والمسنون يختفون من معسكر ليفي، إذ كانوا يُرسلون إلى عنابر الغاز ليقتلوا.



▲ الدفاع عن العِرق

نُشر بيان العِرقية الإيطالي في عام ١٩٣٨. وضعَ تفاصيل بنوده العشرة مجموعةٌ من أساتذة جامعيين برعاية وزارة الثقافة الشعبية الإيطالية. كان هدفه من أجل «تجنُب إيطاليا البلاء الكارثي للمهجَّنين

أبرز أعماله:

- **١٩٥٨** — هل هذا هو الإنسان؟: نُشر هذا الكتاب دوليًا وأعلن عن قصة نقيّة لنزول رجل إلى الجحيم.
- **١٩٦٣** — الهدنة: يصف العمل رحلة ليفي الفوضوية عبر القطار من بولندا إلى تورين.
- **١٩٧٥** — الجدول الدوري: اتّخذ هذا العمل العناصر الكيميائية المختلفة نقطة انطلاق لواحدة وعشرين قصة سيرة ذاتية.
- **١٩٧٨** — الوجع: استثمر هذا العمل حكاية إطارية لمهندس، يعالج حل مشكلة معاشرة النساء، في ضم مجموعة قصص قصيرة.
- **١٩٨٢** — إذا لم يكن الآن، فمتى؟ سرد خيالي لمحاربين روس وبولنديين ويهود معادين للنازية يجدون أنفسهم محاصرين خلف خطوط العدو.
- **١٩٨٦** — الغريق والناجي: أكثر أعمال ليفي يأسًا، ويسبر فيه أغوار عقلية المُضطهِدين والمُضطهَدين.

«هناك أوشفيتز، ولا يُمكن أن يكون هناك إله. لا أجد حلًّا لهذه المعضلة. أستمرُّ بالبحث لكنّي لا أجد شيئًا».

بريمو ليفي.

التحمل والنجاة

من خلال جمعه بين الشهادة الدقيقة وبين الموقف الأخلاقي الراسخ، أكدت رواية ليفي لما جرى على كرامة الأشخاص الذين حوصروا في واحد من أعظم المشاريع غير الإنسانية على الإطلاق. وبدلاً من التحدث عن مجموعة غير محددة من الضحايا، يصف ليفي الأفراد الذين نجوا عن طريق الإقدام والذكاء وحسن الطالع.

ضمَّت المعسكرات معتقلين من كل الجنسيات، ولم يفهم العديد منهم الأوامر الألمانيّة التي كانت تبتُّ في مصيرهم خلال ثوانٍ. نجا ليفي عبر مقايضة الخبز بدروس اللغة الألمانية، وبصداقته المقرَّبة مع زميله الإيطالي ألبيرتو دالا فولتا. كان هناك أيضًا اللطف المحض للعامل المدني الإيطالي، لورنزو بيروني، والذي كان يشاركه حصصه من الطعام بانتظام. كتب ليفي: «بفضل لورنزو، تمكنت من ألا أنسى بأنني إنسان».

أخلى الألمان المتقهقرون معسكر ليفي من السجناء في كانون الثاني/ يناير عام ١٩٤٥ أثناء دنو زحف قوات التحرير الروسيّة، واقتيدَ أغلب السجناء ومن بينهم لورينزو إلى مصيرهم المحتوم لكن الحظ حالف ليفي الذي عانى من حمّى شديدة وكان مع ٨٠٠ مريض آخر تُركوا في الخلف في المشفى.

العودة إلى الإنسانية

يستذكر ليفي في كتابه اللاحق «الهدنة» الأيام التي قضاها في انتظار الإنقاذ. أُخذَ ليفي رفقة مئة ناج أو نحو ذلك من الروس في رحلة قطار غير ضرورية امتدَّت سبعةَ أشهر نحو أقاصي بيلا روسيا، قبل أن يصل إلى تورين في خريف عام ١٩٤٥. كان ليفي واحدًا من بين ثلاثة أشخاص فقط تمكنوا من العودة إلى وطنهم من أولئك الذين نُقلوا في الرحلة الأصلية.

النجاح الأدبي

بدأ ليفي بالكتابة في غضون أشهر من عودته إلى منزله، وشارك قصته مع قارئته الأولى ومحررته «لوسيا موربورجو» التي أصبحت زوجته. لم تُحدث الطبعة الأولى من كتاب «هل هذا هو الإنسان؟ (١٩٤٧)» سوى تأثير ضئيل، وعاد ليفي للعمل كيماويًا ثم أصبح مدير مصنع أصباغ في ضواحي مدينة تورين. ثم حققت الطبعة الجديدة من الكتاب في عام ١٩٥٨ نجاحًا وتُرجمت على نطاق واسع وتصدرت قوائم المبيعات، ليتبعها بكتاب «الهدنة» في عام ١٩٦٣. وأُكدت سمعة ليفي في عام ١٩٧٥ واحدًا من أكثر الكتّاب الموهوبين في القرن العشرين بصدور، «الجدول الدوري»، مجموعة القصص القصيرة المتشبثة بالحياة ، وارتبطت فيها كل قصة بواحد وعشرين عنصرًا من عناصر جدول مندلييف الدوري.

تقاعد ليفي ليكرّس كامل وقته للكتابة، فأنتج مجموعات جديدة من مذكرات أوشفيتز، والقصائد، وفاز بجائزة ستريجا عن روايته «الوجع The Wrench»، وهي احتفاءٌ بالعمل الفني الذي يُروى من خلال مغامرات مهندسٍ إيطالي. وفي عام ١٩٨٧، انقلب ليفي من على الدرابزين خارج شقته وعُثر عليه ميتًا في قاع بيت الدرج. أكّد حكم الطبيب الشرعي انتحاره، ورأى كثيرون أنّ ليفي قد لبى نداء أوشفيتز في النهاية، بيد أنّ هناك آخرون ممّن يؤكدون على أنّ سقوطه كان مجرّد حادثة.

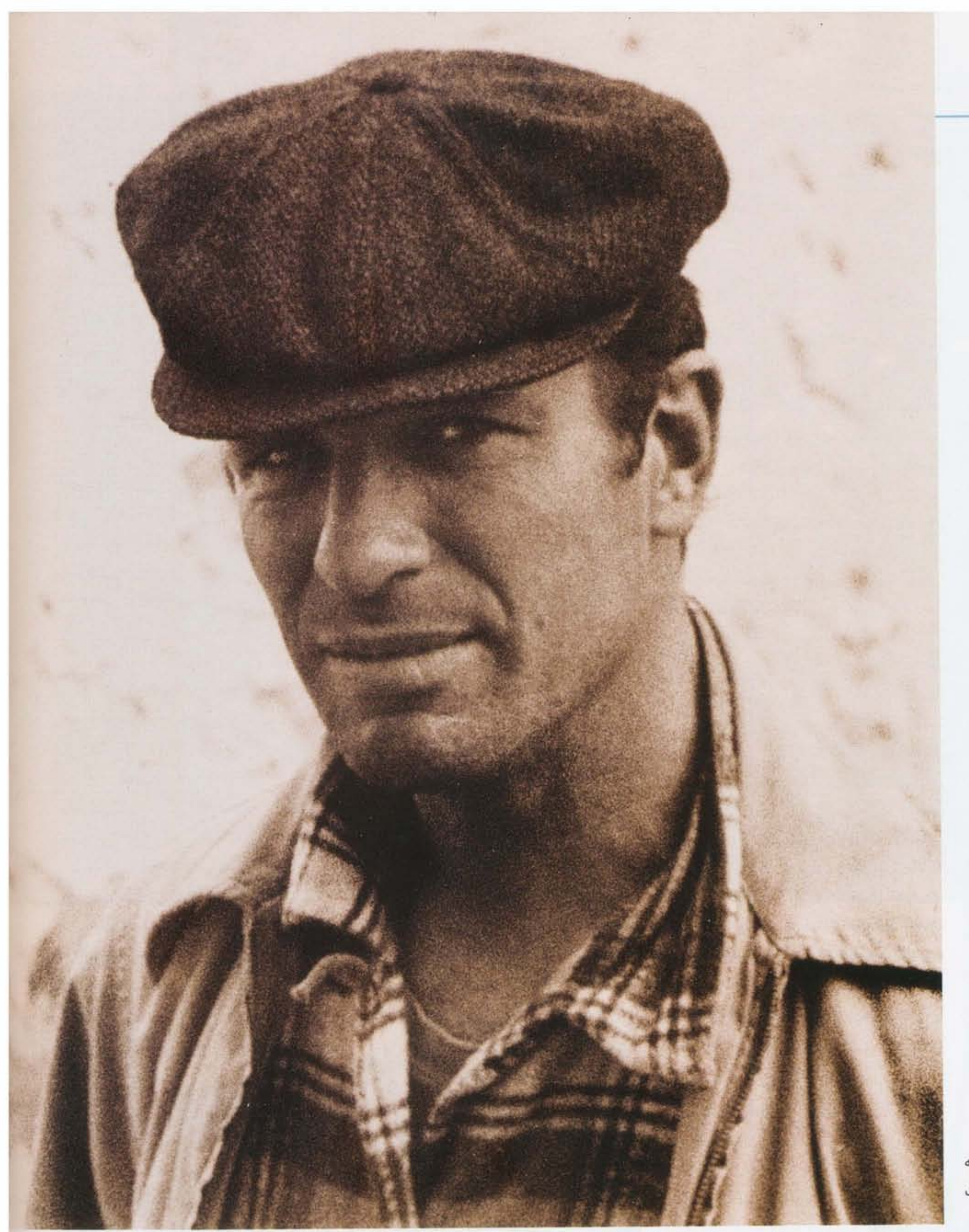
◄ **أوشفيتز-مونوفيتز، ١٩٤٢**
سُجن بريمو ليفي في معسكر مونوفيتز للعمل، الذي زُوِّد بالعمّال من أجل مصنع فارين آي جي، الظاهر في الصورة. أنتجَ المصنع العديد من المواد الكيميائية من بينها الغاز السام زايكلون بي.

الشهادة

وصف ليفي أوشفيتز بلغة شَاهدٍ أكثر من لغة ضحيّة. إنه يصف طقوس المعسكر، والعمل، واقتراب الموت جوعًا، محافظًا على النقاش الفلسفي لتحليله حال المتفائلين والمتشائمين، والمتعاونين، والوصوليين، والسجناء الذين عُيِّنوا مراقبين (كابو). تفصح حكاياته الصغيرة عن الكثير حول الطبيعة البشرية؛ على سبيل المثال، كيف يفقد السجين المُراقِب كل مشاعره وهو يمسح يده المتسخة في كتف سجين آخر، كما يقصُّ ليفي
موجة السعادة التي غمرته وهو يلقي مقطع دانتي عن يوليسيس على سجين فرنسي.



طبعة بريطانية لكتاب هل هذا هو الإنسان؟



جاك كيرواك

أصبحَ جاك شخصية عامة لجيل البِيْت. أما ارتباطه بهذه الحركة فقد عَدها العديد من النقّاد موضة حجّمت من نجاحه كاتبًا خلال حياته.

جاك كيرواك

(١٩٢٢-١٩٦٩) أمريكي

غالبًا ما وُصِفَ كيرواك بأنه المُتحدث باسم جيل البِيتْ Beat في الخمسينات، وكان كاتبًا متميزًا رسمت أعماله مسعًى روحانيًّا مستمرًا مدى الحياة. اشتهر بمذكراته الخياليّة «على الطريق».

«الأشخاص الوحيدون في نظري هم المجانين؛ أولئك الذين جنوا ليحيوا».

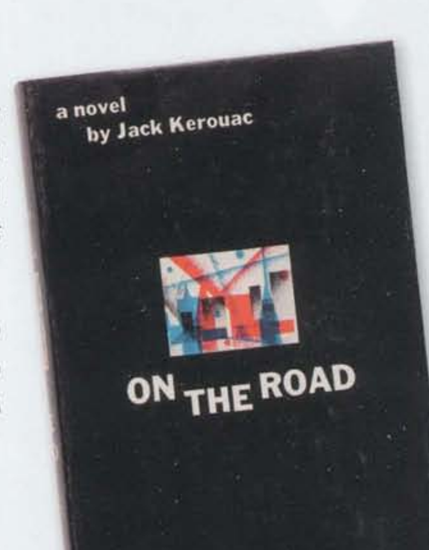
على الطريق – جاك كيرواك.

ولدَ كيرواك لأبوين فرنسيين كنديين في بلدة الطواحين القديمة في لوويل بماساتشوستس. كان يتحدث بالفرنسية في طفولته، ولم يتحدث الإنجليزية بطلاقة حتى بلوغه. انحدر والده إلى منزلق الكحول حين انهار عمله في الطباعة إبّان الكساد الكبير، وهكذا نشأ كيرواك على نحوٍ أساسي في كنف والدته. كان كيرواك موهوبًا في الرياضة، وفاز بمنحة دراسية لكرة القدم في جامعة كولومبيا في نيويورك لكنه تخلّى عنها للعمل مدة من الزمن في التجارة البحرية.

اشترك كيرواك في منتصف الأربعينات حين كان في نيويورك مع مجموعة الكتّاب الصاعدين، من بينهم الشاعر آلين غينسبيرغ ووليم بوروز ونيل كاسادي، الذين تبنّوا جميعا أسلوب الحياة البوهيمية، فرفضوا الماديّة واستكشفوا تعاطي المخدرات والصوفيةَ والحبَّ الحر. أطلق كيرواك لاحقا على هذه المجموعة اسم «البيتز The Beats» للمرة الأولى.

النثر العفويّ

كانت رواية كيرواك الأولى، «البلدة والمدينة»، عملا تقليديا إلى حد ما، لذا فلم تجذب إلا اهتمامًا يسيرًا عندما نشرت في عام ١٩٥٠. لكن بحلول ذلك الوقت، كان كيرواك قد بدأ بالكتابة مستخدمًا أسلوبًا مختلفًا على نحوٍ جذريّ، أطلق عليه «النثر العفوي»، وهو عملية تدفق ارتجالي للكلمات تأثرت بعض الشيء بمثال موسيقى الجاز الحديثة. ثم في عام ١٩٥١، وباستخدام هذا الأسلوب، كتب كيرواك عمله «على الطريق»، وهو وصف حر لرحلاته عبر الولايات المتحدة الأمريكية برفقة نيل كاسادي. وبقيت مخطوطة رواية «على الطريق» ستَّ سنوات مع العديد من المخطوطات غير المنشورة التي حملها في حقيبة ظهره. تحرّك كيرواك غربًا حينما انتقلت بؤرة حركة البيت إلى سان فرانسيسكو. وهناك، طوّر كيرواك اهتمامًا بالبوذية تحت تأثير الشاعر غاري سنايدر، وكتب «Dharma Bums» في عام ١٩٥٧، وهو سرد لرحلة تسلّق استكشافيّة مع سنايدر بحثًا عن الهواء النقي والتنوير. تغيّرت حياة كيرواك في السنة ذاتها عندما نُشرت نسخة مُشذَّبة من عمله «على الطريق»، محققةً نجاحًا عظيمًا. تلقى كيرواك الإشادة وعُدَّ صوتًا لجيله، وأصبح مشهورًا، لتظهر أعماله الأخرى مطبوعةً في تتابع سريع، مثل «Dharma Bums» و«الباطنيون Subterraneans» في عام ١٩٥٨ و«دكتور ساكس» و«ماغي كاسيدي» في عام ١٩٥٩».



◂ على الطريق، الطبعة الأولى

تؤرخ رواية على الطريق، التي مُزج فيها التخيُّل بالسيرة الذاتية، لرحلة ممتعة شابتها الفوضى غالبا عن اكتشاف الذات، قام بها سال باراديس (شخصية بُنيت على كيرواك نفسه) وصديقه الغامض دين موريارتي.

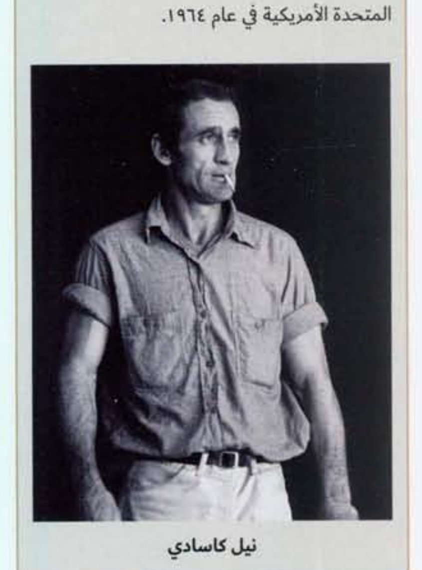
ثمن الشهرة

على الرغم من حبّ الشباب لكتابات كيرواك، فقد كان النقّاد ساخرين منه بحدّة، ونتيجة لذلك فقد انحدر كيرواك إلى تعاطي الكحول، وقلّت كتابته وأصبحت متقطّعةً تدريجيًا أكثر من أي وقت مضى. وأبان في روايته «Big Sur» المنشورة في عام ١٩٦٢ عن صراعه مع الكآبة والإدمان، وعاد في رواية «غرور دولوز (١٩٦٨)» لقصة سنواته التكوينيّة. لكنه بقي مسرفًا بشرب الكحول ولعب الورق معظم الوقت ساكنًا مع أمه في كوينز، نيويورك.

كان لكيرواك آراءٌ سياسية جدليّة من بينها دعمه لأمريكا في حرب فيتنام، القرار الذي وضعه على طرفي نقيض مع ثوري وهيبيي الستينات. مات كيرواك نتيجة لأضرار معاقرة الكحول المديدة بعد أن ناهز السابعة والأربعين من عمره.

نيل كاسادي

وُصِفَ كاسادي (١٩٢٦-١٩٦٨)، الذي ظهر بشخصية «دين موريارتي» في رواية «على الطريق»، بأنه مُلهم كيرواك. كان لكاسادي، صاحب الميول المزدوجة، سجل إجرامي طفيف وسابقة بدخول السجن، وقد طوّر طموحاته الأدبية مع ارتباطه بكتّاب حركة البيت. على ما يبدو أنّ أسلوب كاسادي العفوي في كتابة الرسائل غير المترابطة هو ما ألهم نهج كيرواك المُبتكر في كتابة «على الطريق». انضمّ كاسادي في الستينات إلى حلقة «Acidhead» التابعة للمؤلف كين كيسي التي انطلقت في رحلة الباص المعروفة -الذي قاده كاسادي- ميري برانكستيرز Merry Pranksters (المخادعون المرحون) عبر الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٦٤.

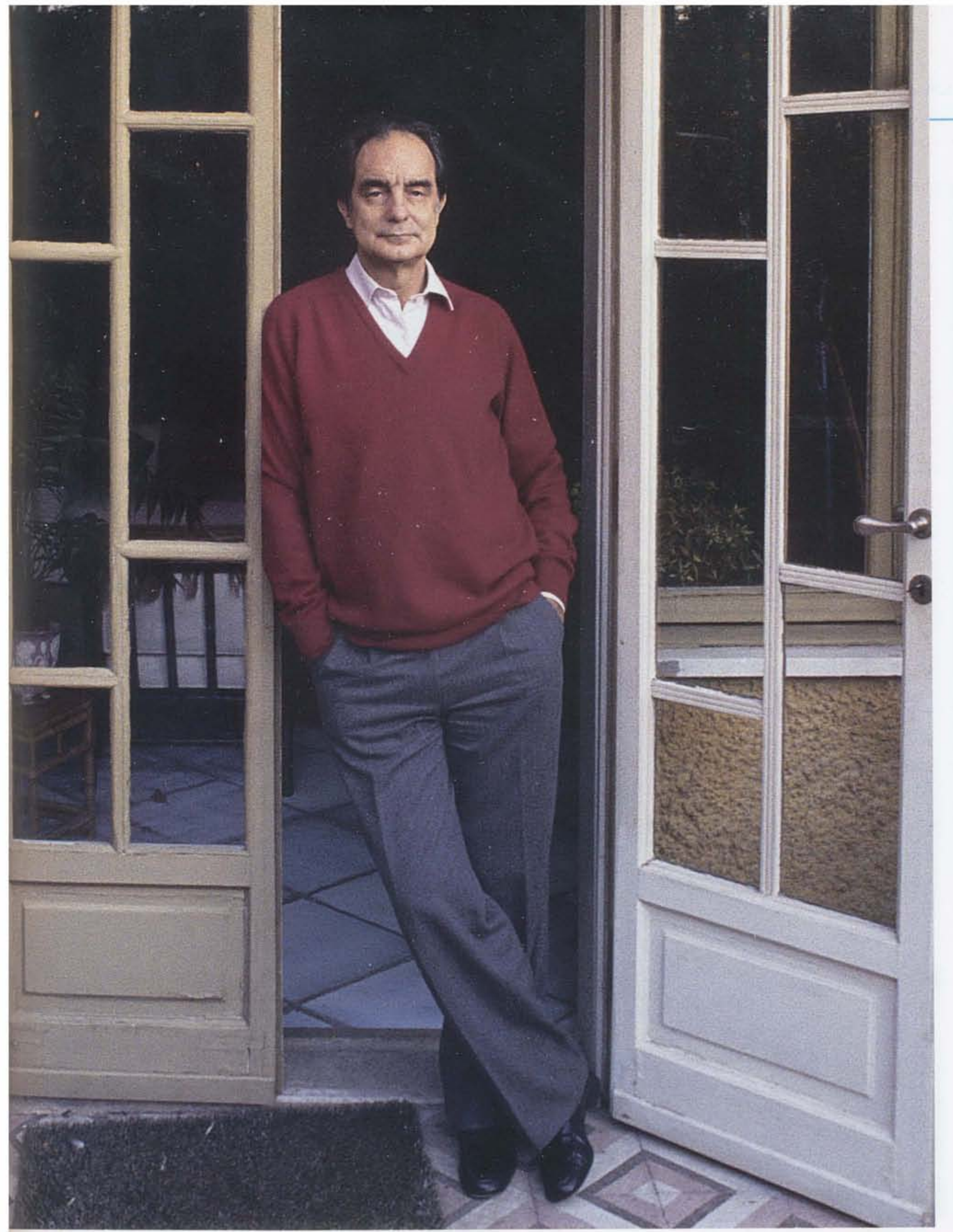


نيل كاسادي

▾ المخطوطة الملفوفة

من أجل أن يسمح لنفسه بالكتابة من دون مقاطعة؛ ألصق كيرواك الأوراق مع بعضها في لفيفة واحدة حتى يُزوِّد طابعته بالورق. كان لمخطوطة روايته «على الطريق» طولٌ مُدهش بلغ ٣٦ مترًا.





إيتالو كالفينو، ١٩٨٤
صُوِّر كالفينو هذه الصورة في منزله في روما قبل وفاته بسنة. عزَّزت رسائل التعزية من البابا ورئيس إيطاليا من مكانته وشعبيته في إيطاليا. وكان لحذاقته البارعة وإبداعه اللا منتهي دورًا في تمييزه من بين معاصريه.

إيتالو كالفينو

(١٩٢٣-١٩٨٥) إيطاليّ

أمَّنت قصص كالفينو ما بعد الحداثيّة الواسعة المعرفة والهزلية مقامًا لمؤلفها بين أهمِّ أدباء القرن العشرين. قلبت أعماله السردية التوقعات التقليدية للشكل والمحتوى والمؤلفين والقرَّاء.

وُلد إيتالو كالفينو في كوبا عام ١٩٢٣ لأبوين إيطاليين، كلاهما عالم. انتقلت العائلة إلى سان ريمو بإيطاليا، حيث قضى كالفينو طفولته، والتحق بسن الثامنة عشرة -رغم حبه للأدب- بجامعة تورين لدراسة الزراعة (انتقل لاحقًا إلى فلورنسا).

عاد كالفينو بعد الحرب العالمية الثانية -والتي أصبح خلالها شيوعيًا وانضمَّ للمقاومة المناهضة للفاشيين- إلى جامعة تورين، تخرج فيها بعد نيله شهادة الماجستير في الأدب. ونظرًا لالتزامه السياسي، فقد شغل كالفينو وظيفة كاتب في الصحيفة الشيوعية L'Unita،لكنه ترك الحزب بعد اثنتي عشرة سنة إثر تبدد أوهامه بغزو قوات الاتحاد السوفيتي هنغاريا في عام ١٩٥٦.

زوَّدته تجاربه في المقاومة بالمواد لاثنين من أعماله الروائية: الرواية الواقعية الجديدة «الطريق إلى عش العناكب (١٩٤٧)»، والتي تنظر إلى المقاومة من منظور صبيّ، ومجموعته القصصيّة القصيرة «آدم، ذات ظهيرة، وقصص أخرى (١٩٤٩)». وفي عام ١٩٥٥، كان كالفينو على علاقةٍ عاطفية مع امرأةٍ متزوّجة تدعى إلسا دي جيورجي. تسبّبت رسائله الداعرة إلى الممثلة في خلق فضيحة عندما نشرت بعد وفاته في عام ٢٠٠٤. وبصفته رجلًا شديد الخصوصية؛ كان هذا الانتهاك لحياته الخاصة ليُسبّب له انزعاجًا شديدا.

صنعة الرواية

تحوَّل كالفينو في خمسينات القرن الماضي إلى الفانتازيا والرمزية بثلاث حكايات ساهمت في اكتسابه الاعتراف الدولي، وهي: الفيسكونت المشطور (١٩٥٢)، والبارون في الأشجار (١٩٥٧)، وفارس بلا وجود (١٩٥٩). سيتخلى كالفينو منذ ذلك الحين عن الواقعية في أعماله؛ والتي يتردد فيها بوضوح صدى بورخيس وسرفانتس وكافكا، جنبا إلى جنب مع فكرة أن الكاتب يتحكم في المعنى. وهكذا، اتخذت كتاباته منذ عقد الستينات مسارًا جديدًا، إذ كان يكتب أعماله على شكل لُعبة مُفصلة يشجع فيها القارئ على المشاركة في كشف جوانب القصة: من الأمثلة على ذلك مجموعته القصصية القصيرة «ت صفر١٩٦٧».

تزوّج كالفينو المترجمة الأرجنتينية «إيستر جوديث سينغر» في عام ١٩٦٤. وبعد انتقاله إلى روما حيث ولدت ابنته جيوفانا؛ صبَّ جام اهتمامه بعد عودته إلى روما حيث ولدت ابنته جيوفانا- على القصص القصيرة التي ستُشكِّل مجموعة «الهزل في قصص الأزل Cosmicomics» الابتكارية والمعتبرة جدًا. ضمَّت هذه المجموعة القصصية إحالات إلى صمويل بيكيت ولويس كارول وعلم الجبر وعلم الفلك والسيميائية والبنيويّة ومجلات رسوم بباي، ووضعت هذه القصص لتعيد سرد الخلق وتطور العالم الأرضي.

انتقل كالفينو مع عائلته قُبيل ثورة عام ١٩٦٨ في فرنسا إلى باريس، وانضمَّ إلى مجموعة Oulipo الأدبية الثورية. نشر كالفينو في عام ١٩٧٢ كتاب «المدن المخفية» بمادة نصه المسمومة التي تستعرض فكرة أنَّ «المعنى» غير ثابت وهو في حالة إزاحات غير منتهية، ولاغيًا احتمالية حقيقة مفردة وواحدة.

تكوَّن أشهر عمل ميتا سردي (ما وراء السرد) له «لو أنَّ مسافرًا في ليلة شتاء (١٩٧٩)» من عشر روايات غير منتهية، وكان عن فن القراءة وتطور الأدب نفسه وقد كُتبت بعض المقاطع فيه بضمير المخاطب «أنت»، موجهةً إلى القارئ الذي يصبح شخصية مركزية في النص: «أنتَ على وشك قراءة رواية كالفينو الجديدة لو أنَّ مسافرًا في ليلة شتاء. استرخِ، وركّز، وتخلص من أي فكرة أخرى».

وفي عام ١٩٨٠، عاد كالفينو إلى روما، ونشر آخر أعماله، «السيد بالومار»، بعد ثلاث سنوات من ذلك. تُوفي كالفينو عام ١٩٨٥ في مستشفى في سيينا بعد إصابته بنزيف في المخ، عن عمر يناهز الواحد والستين عاما. كان كالفينو وقتها أكثر كاتبٍ إيطالي معاصر تُترجمُ أعماله حول العالم.

▸ منشور شيوعي
اعتقد كالفينو بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بأنَّ الحزب الشيوعي الإيطالي بإمكانه قيادة التجديد الشيوعي العالمي.



▸ البارون في الأشجار، ١٩٥٧
يحكي عمل كالفينو الخيالي المذهل قصة كوزيمو، فتى نبيل المولد، الذي يتسلق شجرة ويعيش كامل حياته -الزاخرة بالأحداث- بدون أن ينزل قط. إنها حكاية طوباوية عن التمرد والهروب والانفصال.

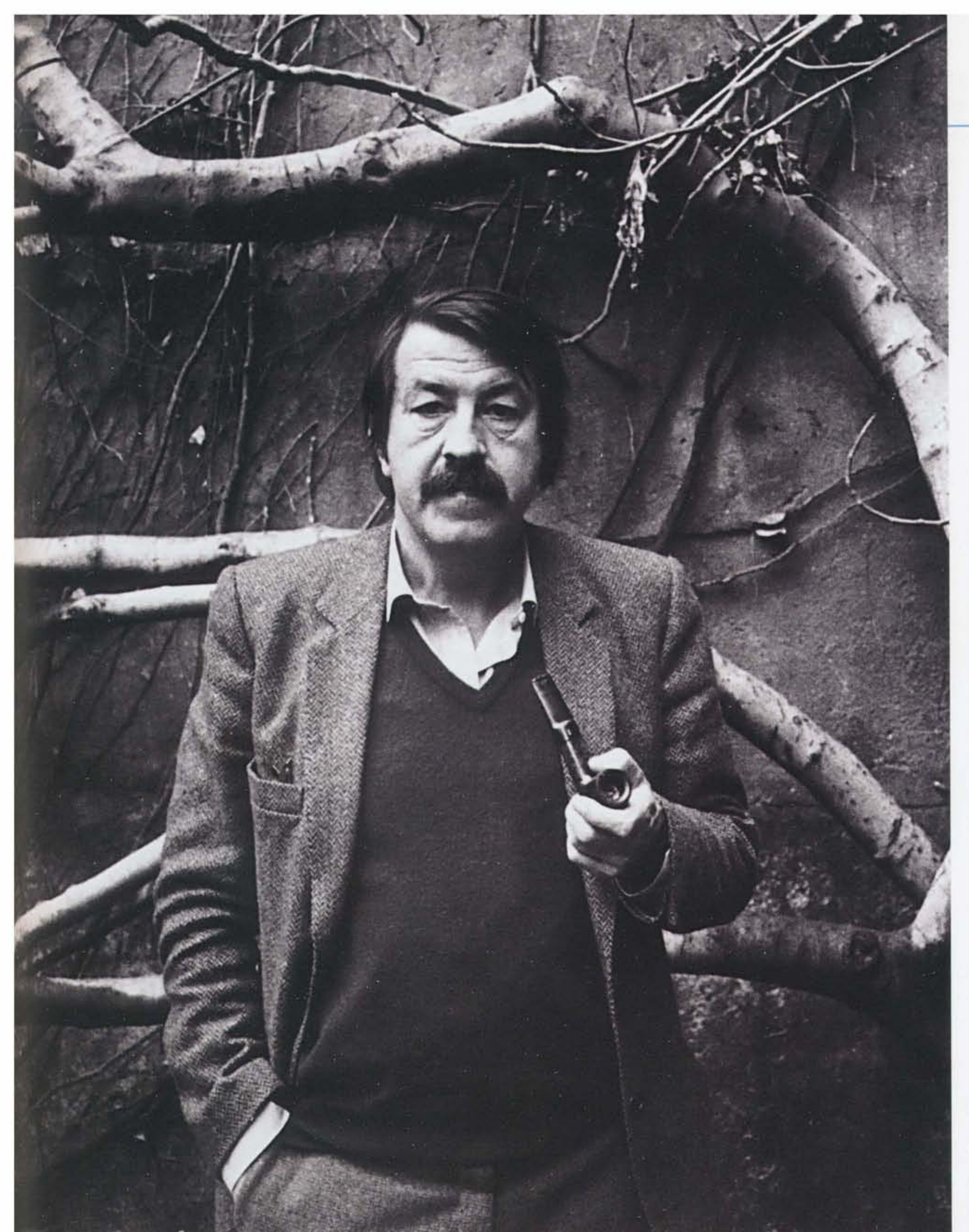
أوليبو Oulipo

أصبح كالفينو في أواخر الستينات عضوًا فعّالًا في مجموعة الكتّاب التجريبيّة الباريسيّة التي عُرفت باسم أوليبو، اختصار لـ Ouvroir de litterature potentielle (ورشة الأدب المُحتمل). وهناك، التقى بنخبة من الكتّاب والمنظّرين، من بينهم رولان بارت وريمون كينو وكلاوف ليف شتراوس وجورج بيرك، وكان لهذه المجموعة الأثر الكبير في نهج كالفينو النظري في الأدب والكتابة. استكشفت المجموعة العديدَ من الأمور، من بينها الرّوابط المحتملة بين الأرقام، والنُظم، والأدب، و«الإمكانات اللا نهائية التي تحملها اللغة للأشكال الجديدة».


رونالد بارت، باريس، ١٩٧٩

«أغلب كتبي التي كتبتها نتجت من فكرة أنه من المستحيل عليَّ أن أكتب كتابًا من هذا النوع»

إيتالو كالفينو.



صوت الجيل

كتب غونتر غراس، المصوَّر هنا في عام ١٩٨١، قرابة أربعين عملا تضمَّن الرواية والمذكَّرات والقصة القصيرة والقصائد والمسرحيات والمقالات السياسية. تزوَّج مرتين، وكان أبًا لثمانية أطفال وجدًّا لثمانية عشر حفيدًا.

غونتر غراس

(١٩٢٧-٢٠١٥) ألمانيّ

وُصِفَ غراس، المؤلف والفنان والشاعر، بأنه «ضمير الأمة» بعد روايته «طبل الصفيح» التي رسمت صورة قاتمة لألمان من عامة الناس في ظل الحكم النازي وإنكارهم الماضي.

«رفضت لعقود أن أعترف بالكلمة ولا بالحرف المضاعف س. س.»

تقشير البصلة – غونتر غراس.

وُلد غونتر فيلهلم غراس في عام ١٩٢٧، وكان يبلغ من العمر أحد عشر عاما عندما ضَمت ألمانيا النازية مدينته دانزيغ (غدانسك حاليا، بولندا). وعلى الرغم من أن مدينة دانزيغ مدينة حرّة تابعة لعصبة الأمم، فقد كان العديد من مواطنيها الألمان موالين للرايخ. نشأ غونتر مع شقيقته الصغرى في كنف والدٍ ألمانيّ وأمٍ كاشوبيّة، وشهد غونتر الزحف النازي لمدينته والاضطهاد الممارس على الأقليات فيها. كان غونتر فتى والدته المُتعلّم بنفسه، فنما لديه شغفٌ تجاه تاريخ الفن الذي تعلّمه من مجموعة بطاقات السجائر card-cigarette خاصّته التي كان موضوعها الأعمال العظمية.

القتال في سبيل وطن الآباء

أصبح غونتر عضوًا في منظمة الأطفال النازية «Jungvolk» والتحق بالتدريب العسكري الإلزامي، وانضمّ لفرقة المدفعية التابعة لقوات الحماية س. س. المُخيفة عندما كان بسن السابعة عشرة فحسب. بلغ غونتر سن الرشد خلال السنوات الاخيرة للحرب الوحشيّة، وأصيب في قتاله ضد الجيش السوفيتي المتقدم، وكان يتعافى من إصاباته في مصحّة حين احتجزته القوات الأمريكية أسير حرب. وفي كتابه «تقشير البصلة (٢٠٠٧)»، وهو جزء من مذكراته الثلاثية، يكافح غونتر من أجل تطابق التماهي مع هذه الذات الشابة المحصنة ضد معاناة الآخرين إبّان صعود «الفوهرر، الشعب، وطن الآباء». لعبت الأفلام الإخبارية للأبطال الألمان على الجبهة دورًا، إذ يقول: «لقد كنت فريسة سهلة «للحقيقة» الثابتة المُجمَّلة التي قدَّموها». ندم غونتر أشدَّ الندم على إخفائه وضعه في قوات الحماية س. س. نحو نصف قرن.

النجاح وإثارة الجدل

عمل غونتر بعد انتهاء الحرب في المزارع ومنجم البوتاس قبل أن يسعى وراء شغفه بالفن في دوسلدورف وبرلين. وفي باريس، انضمَّ إلى مجموعةٍ من الكتّاب المؤثرين (المجموعة ٤٧)، ونشر الشعر والمسرحيات وأولى رواياته «طبل الصفيح» في عام ١٩٥٩. استثار الكتاب الاتهامات ضد التجديف والإباحية في ألمانيا وحُظر في مدينة غدانسك -المدينة الشيوعية الآن- حيث جرت أحداث الرواية. أكسبت هذه الرواية الكاتب الإشادة العالمية، ونال جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٩٩.

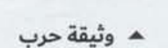
استخدم غراس بطله الضئيل والشرس «أوسكار ماتزيرات»، بطبله الصفيحي وصرخته التي تكاد لقوّتها أن تكسر الزجاج، لاستحضار ذكريات فظائع الحرب وما تلاها من رضى عن النفس، وإلقاء الضوء عليها بمزيج من السحر والفانتازيا والإدراك المتأخر. واصل غونتر تطوير أسلوبه في الكتابة في عمليه «القط والفأر (١٩٦١)»، و«سنوات الكلاب (١٩٦٣)»، واللذين شكّلا مع «طبل الصفيح» ثلاثية دانزيغ. وفي روايته «في خطو السرطان (٢٠٠٢)»، ركّز المؤلف على حقيقة حادثة الغرق لسفينة فيلهلم غوستلوف، والتي كانت تحمل آلاف اللاجئين الألمان، على يد الغواصة الروسية إس - ١٣.

أصبح غونتر الأخلاقي الصريح كاتب الظل لسياسات الحزب الاجتماعي الديمقراطي التابع لويلي براند، وألّف مجموعة من الأعمال السياسية، ونفّر الكثيرين من حوله حين عارض اتحاد ألمانيا مجددًا في عام ١٩٩١ خوفًا من أن إعادة الاتحاد قد يُرجعها دولة قومية عنيفة. مات غونتر بعمر السبعة والثمانين بالقرب من بيته في لوبيك، شمالي ألمانيا.

الواقع المُوسّع

غالبًا ما توصف روايات غونتر بأنها «واقعية سحرية» لما تضمه من تفاعل بين الأحداث التاريخية الدقيقة وبين رحلات الخيال والانحرافات الغنائية. وفضّل غونتر إطلاق مسمى «الواقع المُوسّع» على أسلوبه في الكتابة. يقوّض غونتر في رواية «طبل الصفيح» توقعات الكتابة الواقعية مع أوسكار «السارد غير الموثوق به» الذي يبدأ قصته في مصحة عقليّة. وفي الرواية، ينقل غونتر السرد من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب، بل ويسلّم القلم لشخصية أخرى لتقديم منظورٍ مُختلف.

صُمم غلاف رواية «طبل الصفيح» وفقًا لتصاميم غراس الشخصية



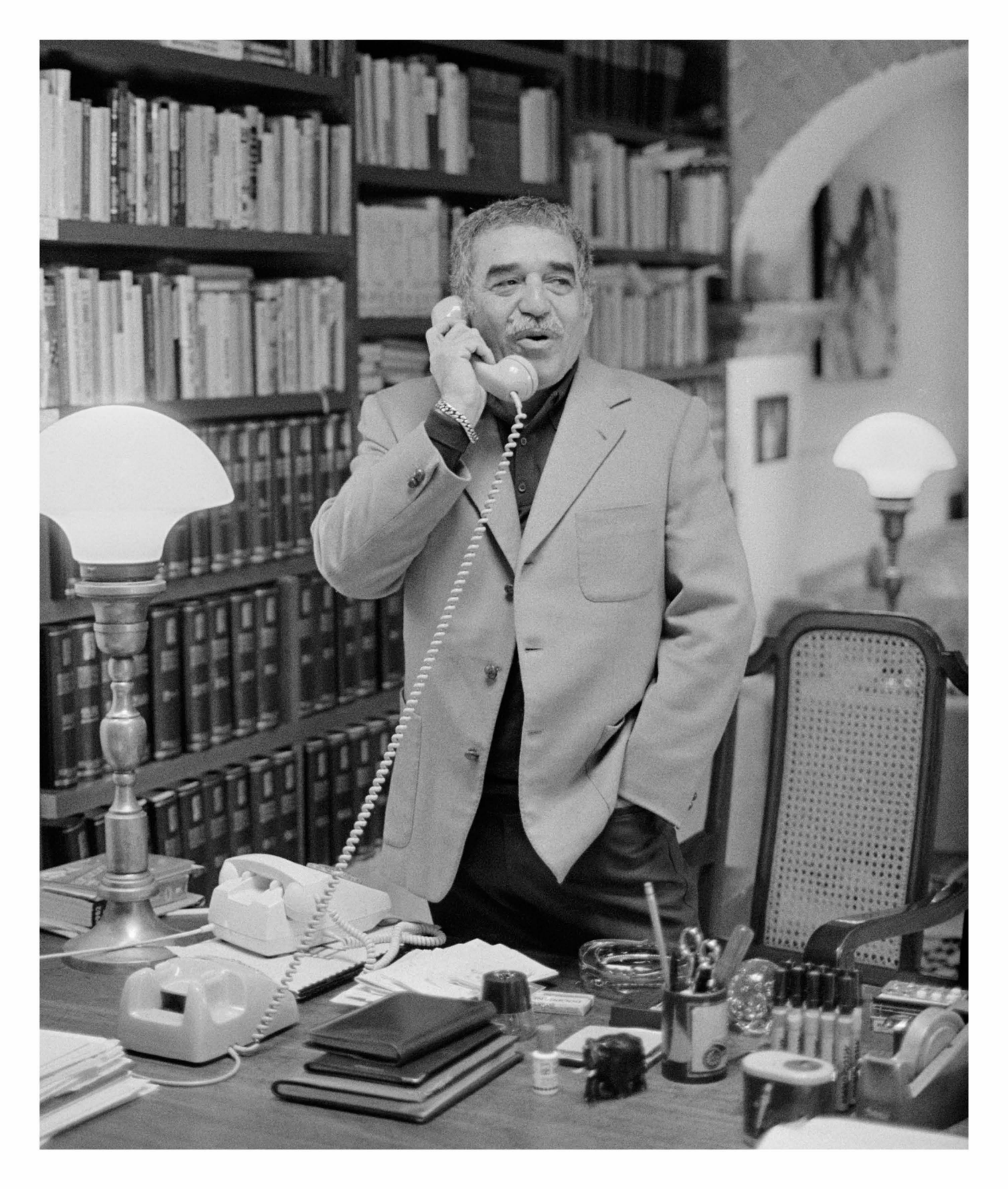
▲ وثيقة حرب

تكشف هذه الوثيقة، واحدة من الوثائق الألمانية التي استولت عليها قوات الاحتلال الأمريكي لألمانيا ما بعد الحرب، أنَّ غونتر غراس كان ضمن قوات الحماية النازية س. س. ادّعى الكاتب أنه كان ضمن سن التجنيد الإلزامي وأنه لم يطلق رصاصة قط.



▼ سمك فلاوندر في اليد

صنع غونتر، النحّات الموهوب، هذه التحفة البرونزيّة، بعد نشره روايته سمك فلاوندر Flounder في عام ١٩٧٧. كانت الرواية خيالية على نحو فضفاض، وتصدَّرت قوائم البيع في ألمانيا.



غابرييل غارسيا ماركيز

(١٩٢٧-٢٠١٤) كولومبيّ

واحدٌ من أعظم المؤلفين باللغة الإسبانية عبر التاريخ. كان غارسيا ماركيز أستاذ الواقعيّة السحرية، ومزجت قصصه ما بين الفانتازيا والفولكلور والتاريخ لكشف جمال أمريكا اللاتينيّة وجنونها.

كتب غابرييل غارسيا ماركيز في عام ١٩٦٧ روايته التي ستُنقذ عائلته من الفقر وتبيع أكثر من ٣٠ مليون نسخة حول العالم. في سن الأربعين، أبدع ماركيز رواية «مئة عام من العزلة» في نوبةٍ إبداعية، لكن بذورها كانت قد نُثرت قبل ذلك بزمن طويل. ترتكز تحفة ماركيز الفنية على قرية تسمى «ماكوندو» محاطة بمزارع الموز، والتي أعاد تصويرها من طفولته التي قضاها في البلدة الكولومبيّة الصغيرة «أراكاتاكا».

أشرقت شمس ماركيز على القارة اللاتينية في السادس من آذار/ مارس عام ١٩٢٧، الطفل الأول من بين أحد عشر طفلا وُلدوا للويزا سانتياغا ماركيز إيغواران وغابرييل إليغيو غارسيا، عامل التليغراف الذي تحوَّل إلى صيدلاني. عاش ماركيز في سنوات طفولته الثمانية الأولى مع جدَّيه في بلدة أراكاتاكا. أصبح جدّه «نيكولاس ماركيز ميجيا»، وهو جنرال جيش متقاعد حارب لصالح الليبراليين في حرب الألف يوم الأهليّة الكولومبيّة، مركز العالم لحفيده، وسيُكون مصدر الإلهام للعديد من شخصيّاته المُستقبلية. امتَّص ماركيز حكايات المقاتل العريق الحربيّة، وتأثر على نحوٍ كبير كذلك بجدته «دونا ترانكويلينا إيغواران» التي جعلت المنزل القديم مسكونا بالأشباح، ونقلت أوهامها وهواجسها مقتنعةً بصدقها. التمّ شمل ماركيز بوالديه، وتنقَّل الصبي بين البلدات الكولومبيّة مع والده الذي كافح لكسب لقمة العيش بالعمل بالطّب البديل. وجد ماركيز مهربًا عبر منحة دراسية في مدرسة داخلية تُديرها الدولة خارج بوغوتا، وضمنَ ثلاث وجبات في اليوم. أصبح «طفل الساحل» دودةَ كتب وشاعرًا وطالبًا لامعًا.

كانت العائلة تأمل في أن يمارس ابنها الأكبر مهنة محترمة، لذلك بدأ غارسيا ماركيز بدراسة القانون في بوغوتا ثم قرطاجنة. استمرَّ ماركيز بتغذية شغفه بالكتابة، فساهم بكتابة المقالات في الصحف، لكنه تخلّى في النهاية عن دراساته القانونية، واثقًا من رغبته في أن يصبح كاتبًا.

التجارب الأولى

سكنَ ماركيز في عشرينياته فوق ماخور في مدينة بارانكويلا حينما كان يكسب رزقه من الصحافة. ادَّعى في سيرته الذاتية بأن أول ممارسة جنسيّة له كانت مع عاهرة وهو في سن الثالثة عشرة فقط، وأُغوي في سن الخامسة عشر من زوجة قبطان لباخرة، وأُجبرَ فيما بعد على لعب الروليت الروسي والمسدّس موجّه نحو رأسه بعدما وجده ضابط شرطة في فراشه مع زوجته.

عادة الكتابة
ادَّعى ماركيز أنه ليس بمقدوره الكتابة في الفنادق أو الغرف المستأجرة أو آلات الطباعة المستأجرة، وأصبحت آلة الطباعة نفسها التي استخدمها أيقونة معروضة على نطاق واسع.



مسقط الرأس
ترعرعَ ماركيز في هذا المنزل في أراكاتاكا حيث امتصَّ حكايات جدَّيه. تحوَّل المنزل إلى متحف في حياة المؤلف.

حياة في الكتابة
التقط غابرييل غارسيا ماركيز هذه الصورة في سنة فوزه بجائزة نوبل في الأدب عام ١٩٨٢. استمرَّ ماركيز بالكتابة حتى سبعينات عمره، ونشرت روايته الأخيرة «ذكرى غانياتي الحزينات» في عام ٢٠٠٤.

ما وراء الواقع

يضفي ماركيز نكهة من التاريخ -لا من حقائقه- في سرده لقصصه، مُستخدما مجموعة من التقنيات المبتكرة لاستحضار ثراء أمريكا اللاتينية وتعقيدها. كانت الرموز التي يوظّفها -كالطيور والأزهار الناطقة- تستدعي معانٍ من الأدب الغربي والثقافة الكاريبية. تميّزت رواياته بالسرد غير الخطّي أو المتنقّل أو المتقطّع أو الدائري (كما في مئة عام من العزلة)، ويمكن للمنظور السّردي فيها أن يتغير من السرد الكلي إلى تيار الوعي إلى تعقيبات ما وراء سرديّة. يتألّف الواقع لدى ماركيز من كل من الأحداث العادية والسحرية، والتي يصفها بتوازن وإنصاف، ويجعلها مُفعمةً بالرائحة والطعم والصوت واللمس والرؤية، في نهجٍ مُتعدّد الحواس يرسّخ الشخصيات وقصّتها في بيئتها.



إنَّ الرمزية الغامضة سمة بارزة لكتابات غارسيا ماركيز.

> «يملك جميع البشر ثلاث حيوات: عامة وخاصة وسريّة».
>
> **غابرييل غارسيا ماركيز.**

«الحقيقة أنَّه ما سطر واحد في أعمالي كلّها لا يملك أساسا في الواقع. المشكلة هي أن الواقع الكاريبي يشبه أكثر الخيالات جنونًا».

غابرييل غارسيا ماركيز.



▲ **تركيز فريد**

ذكرَ ماركيز، العامل المهووس والمدخِّن المشهور، بأنه «لم ينتصب قائمًا خلال ثمانية عشر شهرًا عندما كان يعمل على روايته مئة عام من العزلة».

وأصبحت هذه اللقاءات الجنسية الفاحشة وسخاء البغايا من السّمات البارزة في كتاباته.

انضمَّ المراسل الشّاب لمجموعة كتَّاب وصحفيي بارانكويلا، وأصبحَ قارئًا نهمًا لهمنغوي وتوين، وملفل، وفوكنر الذي أُعجِب بأسلوب استحضاره للجنوب العميق في خيال الجمهور. التهم ماركيز كذلك ديكنز وتولستوي وكافكا وبروست، والمونولوجات الداخليّة لفرجينيا وولف وجيمس جويس. وقال في إحدى مقابلاته: «لا يمكنني أن أتخيل أبدًا كيف يمكن لشخص أن يفكر في كتابة رواية دون أن يكوّن لديه في الأقل فكرة عامة عن الأدب خلال العشر آلاف سنة الماضية».

الكتابات الروائية الأولى

زادت صلابة الانتماءات السياسية لماركيز في مواجهة La Violencia، وهي حقبة من الحرب الأهلية والقمع في كولومبيا امتدت عشر سنوات وراح ضحيتها ما يصل إلى ٣٠٠,٠٠٠ شخص. وفي عام ١٩٥٥، نشر غارسيا أوّل رواية قصيرة له، «عاصفة أوراق»، ونشر في العام ذاته قصةً عن بحار جرفه التيار من على سفينة بحرية كانت مُحمّلة بالسلع المُهَّربة. نُشرت هذه المقالات تحت عنوان «قصة بحار غريق»، وأتت مُعارضة للروايات الرسمية. سعى غارسيا -الذي أصبح في تلك الأثناء رجلًا معروفًا- للحصول على لجوءٍ مؤقّت في أوروبا، فسافر إلى لندن وباريس وروما وفي أرجاء أوروبا الشرقية قبل أن يعود إلى أمريكا الجنوبية، وبالتحديد إلى فنزويلا. عمل ماركيز في وكالة الأنباء الكوبية Prensa Latina، وأصبح مراسلها في نيويورك. أقفل ماركيز راجعًا إلى كولومبيا لزواج ميرسيدس بارخا باردو، حبيبة أيام الابتدائية. واتباعًا لخطى فوكنر، استكشف ماركيز برفقتها الولايات الجنوبية الأمريكية، قبل أن يحطَّا الرحال في نيو مكسيكو حيث وُلدَ ابناهما.

الكفاح والنجاح

استمرَّ ماركيز في الكتابة الخيالية، فكتب المجموعة القصصية القصيرة «مأتم الأم الكبيرة» التي تدور أحداثها في بلدة ماكوندو الخيالية (والتي ستظهر مجددًا في رواية مئة عام من العزلة). كتب كذلك رواية «ليس للكولونيل من يراسله»، وهي قصة ضابط جيش فقير تشبه إلى حد كبير قصّة حياة جده، وقد حقّقت له أوّل نجاحاته الأدبيّة. بين كل مدد النجاح؛ كان ثمة فترات تراخٍ لا سيما حين رهنت العائلة ممتلكاتها من أجل النجاة في هذه الحياة. وبعد مضي أربع سنوات متوترة من انعدام تام تقريبا في الإنتاجية، انبثق أوّل سطرٍ من رواية «مئة عام من العزلة» في ذهن الكاتب حينما كان يقود سيارته نحو مدينة أكابولكو: «بعد سنوات عديدة، كان الكولونيل أوريليانو بوينيديا يتذكَّر، وهو يواجه فرقة إطلاق النار، تلك الظهيرة الغابرة حينما اصطحبه أبوه لاكتشاف الثلج». اكتملت الرواية في شهر آب/أغسطس عام ١٩٦٦، بعد ثمانية عشر شهرًا من الكتابة. بيعت الطبعة الأولى بنسخها الثماني آلاف في أسابيع قلائل وغمرت راحة كبيرة العائلة التي امتلكت إيجار سنة كاملة.

▲ **رمزية الأصفر**

أصبحتْ الفراشة الصفراء التي تدور حول شخصية ماوريسيو في رواية «مئة عام من العزلة» شعار ماركيز نفسه.

مئة عام من العزلة

يعود ماركيز في هذه الرواية إلى الحرمان الذي عاشه في طفولته، وأسرار البالغين في منزل أراكاتاكا، والمذبحة الحقيقة لعمال مزرعة الموز الذين أضربوا ضد شركة الفواكه المتَّحدة، وتجارب جدّه في زمن الحرب. لقد اعتمد على تراث ثقافته المفقود من السحر، والبعث، والتجديد، وذلك لتشكيل نوع جديد من السرد، بتعليقات مجازية على قرون من الاضطهاد والتغريب في أمريكا

أبرز أعماله:

١٩٦٧

مئة عام من العزلة: تُرجمت هذه الرواية إلى أكثر من ٣٥ لغة في العالم، وهي تصف توسع عائلة بوينيديا في بلدة ماكوندو.

١٩٨١

قصة موت معلن: قصة تحقيق رسمي ومتشظّي تُسرد عكسيًا، وكتبها بناءً على جريمة قتل واقعيّة.

١٩٨٥

الحب في زمن الكوليرا: احتفاء رومانسي بالعلاقات الجنسية التي تدور حول إعادة اتحاد مشبوب بين عاشقين قديمين.

١٩٨٩

الجنرال في متاهته: يجمع ماركيز ما بين الخيال والحقيقة التاريخية في تصوير غير جذَّاب للأيام الأخيرة في حياة القائد الفنزويلي

٢٠٠٢

عشتُ لأروي: يرفع ماركيز الحجاب في مذكراته المثيرة عن المؤثرات والأحداث التي عبّأت سنوات حياته الخمس

الجنوبية. وكما فعل فوكنر في خلقه للجنوب الأمريكي العميق، فقد وجدَ ماركيز وسيلةً لاستحضار أمريكا الجنوبية وتعقيداتها في أذهان القرّاء.

بطل ثقافي

تناغمت رواية مئة عام من العزلة مع الثورة الثقافية المضادة في الستينات، وأصبحت الشعلة الأكثر إشراقًا في الانفجار الأدبي الإبداعي في أمريكا الجنوبية، والذي عُرف بظاهرة «الازدهار الأمريكي اللاتيني». لم يبتكر ماركيز الواقعية السحرية، لكن براعته الفنّية ألهمت الكتّاب حول العالم، من ضمنهم إيزابيل الليندي في تشيلي وسلمان رشدي في بريطانيا. كان المؤلف يخشى من أن تأتي أعماله مستقبله مُخيّبةً للآمال، لكن روايات مثل «خريف البطريريك (١٩٧٥)» و«قصة موت معلن (١٩٨١)» و«الحب في زمن الكوليرا (١٩٥٨)» قد أصبحت من أكثر الروايات مبيعا. استمرَّ ماركيز في الكتابة حتى أتمَّ في مسيرته الأدبية سبعَ عشر رواية ومجموعات قصصية، وثمانية أعمال غير روائية، بالإضافة إلى كتابته سيناريوهات لأكثر من عشرين فيلمًا.

جعل كل هذا من ماركيز بطلًا لأمريكا الجنوبية لكنه منع من دخول الولايات المتحدة بسبب آرائه السياسية. تسلّم ماركيز العديد من التكريمات في حياته، وأبرزها جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٨٢،



▸ **بداية جديدة**
نُشرت رواية مئة عام من العزلة في إسبانيا عام ١٩٦٧ لتحظى بشعبية مهولة. وبيع منها إثر ذلك أكثر من ثلاثين مليون نسخة حول العالم.

وكانت له صداقات مع عدة رؤساء، من ضمنهم بيل كلينتون الذي كان من معجبيه منذ زمن طويل والذي رفع الحظر المفروض على دخوله الولايات المتحدة الأمريكية بعد ثلاثة عقود.

كتب ماركيز بتمرّس حتى السبعينات من عمره، إذ نشر مذكراته بعنوان «عشتُ لأروي (٢٠٠٢)»، وروايته الأخيرة «ذكرى عاهراتي الحزينات (٢٠٠٤)». توفي ماركيز بعمر السابعة والثمانين نتيجة سرطان الغدد اللمفاويّة في منزله في مكسيكو ستي.

الانخراط السياسي

كانت حقبة ازدهار أمريكا اللاتينية انفجارًا للإبداع الأدبي الذي استرعى أنظار العالم أجمع نحو مؤلفين مثل غابرييل غارسيا ماركيز وماريو فارغاس يوسا وخوليو كورتاثر. كان هؤلاء المثقفون منخرطون بعمق في الصراعات السياسية في أمريكا الجنوبية وكانت كتاباتهم مدفوعةً بقوّة الثقافة المضادة في الستينات. كان ماركيز صديقًا دائما ومناصرًا للزعيم الكوبي فيدال كاسترو، وخصمًا مريرًا للديكتاتور التشيلي الجنرال أوغستو بينوشيه.


فيدال كاسترو، ١٩٩٨



▸ **أراكاتاكا (ماكوندو)**
كانت بلدة ماركيز أراكاتاكا الكولومبية نموذجًا لقرية ماكاندو التي ظهرت في بضعة مؤلفات الكاتب. كانت البلدة في زمن ماركيز محورا تجاريًا مهمًا ومُسيطرًا عليه من القوة المالية لشركات الفواكه الأمريكية.

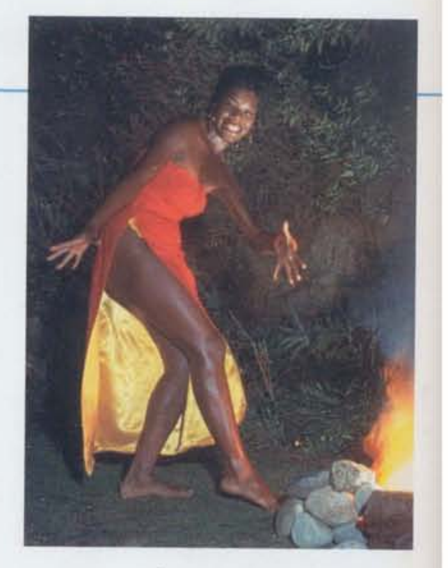


◂ **مايا أنجلو، ١٩٧٦**
التقطت هذه الصورة للمؤلفة بعد سنوات قلائل من نشرها مذكَّراتها المُروِّعة «أعرف لماذا يُغرِّد الطائر الحبيس»، التي أصبحت بفضلها مشهورة. ووفقًا لمايا فإنها كانت أثناء كتابتها الكتاب «نصف مخمورة في الظهيرة وباكية طوال الليل».

مايا أنجلو

(١٩٢٨-٢٠١٤) أمريكيّة

بزغت مايا أنجلو، الشجاعة والجسورة، من طفولةِ الأذيّة والإهمال لتصبحَ كاتبةً أسطوريّة وشخصية رئيسة ضمن حركات تمكين السود، فضلًا عن كونها باهرةً في ذاتها وكتاباتها.



▸ **الآنسة كاليبسو**
قامت مايا أنجلو في خمسينات القرن الماضي بجولة عبر الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا يرافقها أداؤها الناجح على المنصة لموسيقى الكاليبسو.

كانت الطفلة مايا تحلم بأن تصبح وكيلة عقارات، لكنها بحلول وقت وفاتها كانت شاعرة مجيدة وكاتبة مسرحيات ومقالات ومخرجة أفلام ومغنّية وأستاذة وناشطة في الحقوق المدنيّة. خدمت مايا في لجنتين رئاسيتين، واستلمت العديد من الشهادات الفخرية، وثلاث جوائز غرامي عن كلمات ألبومات غنائية، وكُرّمت بوسام الحرّية الرئاسي المرموق في عام ٢٠١٠. لكن حياة مايا أنجلو لم تكن ساحرةً دائما.

الصدمة المبكّرة

ولدت مايا أنجلو باسم مارغريتا آن جونسون في سانت لويس بولاية ميزوري. انفصل والداها في عام ١٩٣١ وأُرسلت عبر القطار -مع شريط مثبّت حول معصمها مكتوب عليه «لمن يهمه الأمر»- لتعيش مع جدّتها في منطقة ستامبس الريفيّة في أركانساس. عندما أصبحت بسن الثامنة، عادت إلى البيت في سانت لويس حيث تعرضت للاغتصاب من صديق والدها الحميمي، والذي عُثرَ عليه ميتًا في وقت لاحق. رفضت مايا أن تنبس ببنت شفة مدة خمس سنوات تقريبا بعد هذه الواقعة، وتقول: «ظننتُ بأنّ صوتي قتله. لقد قتلتُ ذاك الرجل لأنني نطقتُ اسمه».

ثم في سنوات المُراهقة المبكّرة، تركت مايا المدرسة للعمل في سان فرانسيسكو مُشغّلة ترام لتكون أول امرأة، وأسود تشغل هذه الوظيفة، بيد أنها عادت إلى التعليم مجددًا في العام وأصبحت حبلى بعدها. وُلِد ابنها الوحيد «غاي جونسون» في عام ١٩٤٥ بعد تخرّجها بوقتٍ قصير. عملت مايا نادلة، وطاهية، بل وحتى عاهرة من أجل رعاية ابنها، وبدأت في عام ١٩٥٢ العمل راقصة ومغنية في ملهى ليلي في سان فرانسيسكو. في ذلك الوقت، اتَّخذت لنفسها اسم مايا أنجلو وشرعت في أول زواج من زيجاتها الثلاثة.

انخرطت مايا بعد انتقالها إلى نيويورك في أواخر عقد الخمسينات في حركة الحقوق المدنيّة وانضمّت إلى نقابة كتّاب هارلم (منتدى للكتّاب الأمريكيين من أصل أفريقي، تأسّس عام ١٩٥٠)، حيث طوّرت مهاراتها في كتابة الشعر، والتقت بالعديد من الكتّاب السود البارزين. سافرت في عام ١٩٦٠ إلى القاهرة للعمل محررةً لصالح مجلة «المراقب العربي»، ثم لاحقًا إلى غانا محررةً لصالح مجلة «إفريقيا ريفيو».

البروز الأدبي

عادت أنجلو إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٦٤، ونشرت بغزارة على مدار العقود الأربعة التالية. كان كتابها «أعرفُ لماذا يغرّد الطائر الحبيس (١٩٧٠)» أوّل وأفضل جزء من أجزاء سيرتها الذاتية السبعة. شكل الكتاب وصفا صريحا لعنف العنصرية ولطفولتها في الجنوب الأمريكي، وحقق نجاحًا فوريًّا ومدويًّا، وأُشيدَ به كثيرا لمزجه المبتكر بين السيرة الذاتية والخيال الأدبي.

اشتهرت أنجلو بكونها شاعرة، ونظمت شعرًا أكسبها مقامًا مُبجّلا؛ كما في ديوانيها «وما زلت أنهض» و«امرأة استثنائية» اللذين نُشرا في عام ١٩٧٨. تنوعت موضوعاتها من الحب والروح البشرية التي لا تقهر إلى القضايا المُتعلّقة بالعِرق والجندر والتمييز.

كانت مايو أنجلو امراة ذات كاريزما قدّمت لأعمالها بنفسها، ويتجلّى ذلك في حفل تنصيب الرئيس بيل كلنتون في عام ١٩٩٣ عندما قرأت قصيدتها «على نبض الصباح»؛ باحتفالها بالتنوّع ورسالة أملها القويّة: «والتاريخ، برغم آلامه المُوجِعة، لا يُمكن ألّا يُعاش، لكن إذا واجهناه بشجاعة، فلن نضطر إلى عيشه مجدداً». وعندما منحت أنجيلو الميدالية الوطنية للفنون في عام ٢٠٠٠، غامر كلينتون بقوله إنّ الولايات المتحدة تدين لها «بدين عظيم» لإصرارها الدؤوب على تقديم «الحقيقة الصافية»، و«لإبقائنا نتطلّع نحو الصباح» كذلك.

كتبت مايا أنجلو الكتاب الأخير من سيرتها الذاتية، «أمي وأنا وأمي»، تكريمًا لوالدتها وجدتها، ونشر في ٢٠١٣ قبل عام من وفاتها في منزلها في كارولينا الشمالية.

▴ **أزرار الحملة**
التقت مايا أنجلو، خلال مسيرتها من أجل الحقوق المدنية، بمالكوم إكس، وخططت معه لبدايات منظمة الوحدة الأمريكية-الإفريقية. ألهمها مارتن لوثر كنغ لجمع أموال من أجل المؤتمر القيادة المسيحيّ الجنوبيّ.

التأثيرات الأدبية

تابعت بعض كتابات مايا أنجلو ركب تقليد بدأته أغاني العبيد الأمريكيين من أصل إفريقي وروايات العبيد، بما في ذلك السّيرة الذاتية الرائعة والاستثنائية «قصة حياة فريدريك دوغلاس (١٨٤٥)» للعبد الهارب مايكل دوغلاس. وكانت ضليعة كذلك من أعمال المؤلفين السود في القرن العشرين، مثل زورا نيلي هورستون، و و. ي. ب. جو بويس، وبول لورنس دونبار، ورالف إليسون. كان لهؤلاء إما تأثيرهم الأدبي وإما تأثيرهم النشاطي في «نهضة هارلم»، وكانوا صفوة الفخر الثقافي الإفريقي-الأمريكي الذي بزغ في نيويورك في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي واعتنقوا الأدب والمسرح والفن والموسيقى والفنون البصرية.

قصة حياة فريدريك دوغلاس، صفحة الواجهة، ١٨٤٥

ميلان كونديرا

(١٩٢٩-) تشيكيّ المولد - فرنسيّ

اشتهر ميلان، الروائي وكاتب المقال، لسرده الإيروتيكي المرح الذي سلّط الضوء على الاضطراب السياسي في وطنه، تشيكوسلوفاكيا.

عاش ميلان نصف حياته تقريبا في فرنسا منفيًا بعيدًا عن وطنه تشيكوسلوفاكيا (جمهورية التشيك)، لكنَّ أغلبَ القراء يرونه تشيكيًّا نتيجةً لأبرز عملين له، «كتاب الضحك والنسيان (١٩٧٩)» و«كائن لا تحتمل خفته (١٩٨٤)» اللذين هاجم فيهما بنقد حادٍّ غزو وطنه في منتصف القرن العشرين.

التحرّر والظلم

وُلدَ ميلان كونديرا في برنو عام ١٩٢٩، ابنًا لعازف بيانو وموسيقيّ، فدرس الموسيقى قبل أن يتحول إلى الكتابة. شهد كونديرا في شبابه أثناء الحرب العالمية الثانية التدمير الذي سببه الغزو الألماني لتشيكوسلوفاكيا. وبعد أن استولى الحزب الشيوعي على السلطة في عام ١٩٤٨، انضمَّ كونديرا إلى الحزب لكنّه طُرد منه حينما كان لا يزال طالبًا بسبب «نشاطاته المناهضة للحزب». درس كونديرا الأدب والأستطيقا في براغ قبل أن ينتقل إلى كتابة السيناريو وإخراج الأفلام، وأصبحَ مُدرسًا للأدب بعد تخرجه في عام ١٩٥٢. أُعيدَ كونديرا إلى الحزب الشيوعي في عام ١٩٥٦.

شهدت تشيكوسلوفاكيا في عقد الستينات حقبةً من التحرر الاجتماعي عُرفت بربيع براغ تحت حكم ألكسندر دوبتشيك. وجذب الكتّاب الثوريون من بينهم ميلان كونديرا والمسرحيّ فاكلاف هافيل في هذه الحقبة الاعترافَ الدوليّ. انتقل كونديرا من كتابة المسرحية والشعر إلى الرواية، وكانت أول رواياته «المزحة (١٩٦٧)»، والتي استحضر فيها الحقبة الستالينيّة في تشيكوسلوفاكيا. في القصة، تُرسل بطاقة بريدية تخريبية إلى حبيبةٍ ذات تفكير جاد، فتطلق العنان لسلسلة من العواقب، بما في ذلك الأشغال الشّاقة في المناجم.

نتج عن غزو السوفيت لتشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٦٨ حظرَ أعمال الكتّاب الثوريين. طُردَ كونديرا من الحزب مرة أخرى، ومن وظيفته الجامعيّة كذلك. سُمح لكونديرا في عام ١٩٧٥ بالهجرة مع زوجته «فيرا هرابانكوفا» التي تزوجها قبل ثمان سنوات، وبدأ التدريس في جامعة رين في فرنسا.

السنوات الفرنسية

ركّزت رواياته كونديرا الثلاث التالية على الأشخاص المستضعفين والمغلوبين على أمرهم تحت رحمة القوى الخارجية. وكانت رواية «كتاب الضحك والنسيان» سردًا فضفاضًا لقصصٍ شخصيّة ومُتخيَّلة حول إنكار الذاكرة وطمس الحقائق التاريخية؛ وهي ممارسة زاولها النظام السوفيتي حينما كانوا يطمسون صور المسؤولين غير المرغوب فيهم وإبقائهم بعيدًا عن الأنظار تنقلّت رواية «كائن لا تحتمل خفته» عبر حياة أربعة مفكرين بين ربيع براغ والغزو الروسي. أتبعها في عام ١٩٩٠ بكتاب «الخلود» الذي كان آخر عمل يكتبه كونديرا باللغة التشيكية. بعدها انشغلت أحدث أعماله المكتوبة بالفرنسية، مثل روايتي «الجهل (٢٠٠٠)» و«حفلة التفاهة (٢٠١٤)»، ومقالاته، بالفلسفة أكثر من السياسة.

على الرغم من أن الثورة المخملية في عام ١٩٨٩ قد أعادت الديمقراطية إلى ما أصبحا يُعرفان منذ ذلك الحين بجمهورية التشيك وسلوفاكيا، فنادرًا ما عاد كونديرا إلى وطنه. ويعرِّف نفسه في الوقت الحالي بأنه كاتب فرنسي وأعماله أدبٌ فرنسيٌّ.



الغزو، ١٩٦٨
يحاصر مواطنو براغ الدبابات السوفيتية إبّان الغزو لتشيكوسلوفاكيا في العشرين من آب/ أغسطس ١٩٦٨. أطلقَ الزعيمُ السوفيتي، ليونيد بريجنيف، أمرَ الغزو للحد من الإصلاحات الإصلاحات وزيادة الحماسة الثورية في البلاد.

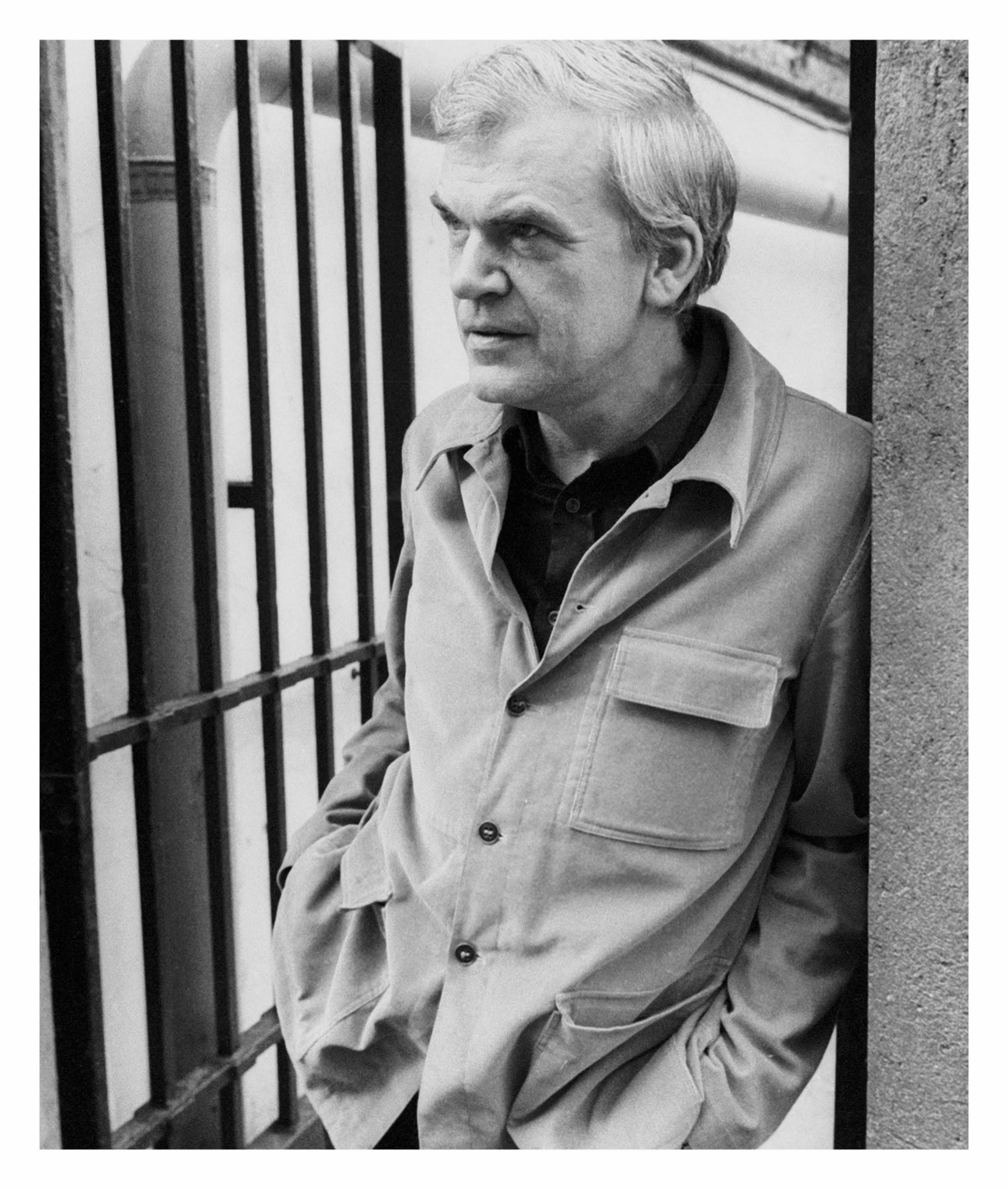
كونديرا في باريس، ١٩٧٩
يظهر المؤلف في هذه الصورة في ذات سنة نشر روايته «كتاب الضحك والنسيان» التي يسردها سبعة رواة منفصلين.

تخريب الواقعيّة

استنكر ميلان كونديرا في عمله الفلسفي «فن الرواية» الكتابة الواقعية، وأثنى على البهجة المُطلقة في قصص سيرفانتس ورابليه. وغالبا ما تطفّل المؤلف في رواياته على النص للتشكيك في خيار الكلمات والأفعال. كان كونديرا يرسم شخصياته على نحوٍ جزئي وحسب لتُملأ بخيال القارئ، وكانت سخريته السياسية ممزوجة بالإيروتيكية والمرح، لكن الصور المُزعجة للجنس والعربدة غير المرحة توحي بتعليق على الإنسانيّة. وغالبًا ما يكون السرد الخطّي مقوّضا بسبب كسر التسلسل الزمني والتأملات الفلسفيّة، لكن تطوير موضوعات متنوعة مثل «النسيان» و«الملائكة» يمنح النصّ تماسكه.



الطبعة الألمانية من كتاب المزحة



تشينوا آتشيبي

(١٩٣٠-٢٠١٣) نيجيريّ

يُشاد بآتشيبي على أنه الأب المؤسس للأدب الأفريقي. قدمت رواياته ما بعد الاستعماريّة عن نيجيريا صوتًا للأناس المحرومين، وساهمت في تشكيل أنموذج باهر للأدب العالمي.

وُلِدَ الروائي تشينوا آتشيبي عام ١٩٣٠ في موطن أسلافه في أوغيدي، وهي بلدة صغيرة في إغبولاند في جنوب شرق نيجيريا. عُمِّد باسم ألبرت تشينوالوموغو آتشيبي من والديه اللذين تحولا إلى الكنيسة البروتستانتية التبشيريّة وتخلّيا عن دينهم القبلي. التحق تشينوا بمدرسة الأحد المسيحية وتعلم الإنجليزية فيها، لكنه تحدث بلغة الإغبو في المنزل حيث كانت رواية القصص والاحتفالات التقليدية جزءًا لا يتجزأ من طفولته. يتذكر تشينوا -الذي أسقط لاحقا الجزء الإنجليزي من اسمه- تلك الأيام، فيقول: «لقد كنا نعيش على مفترق طرق من الثقافات». انتمى تشينوا إلى آخر أجيال الأفارقة التي استمعت إلى ما قصَّه الكبار عن شكل الحياة قبل أن يصل الرجل الأبيض.

أصبح التوتر بين التقاليد القبلية وقوة الاستعمار التخريبية حجر الأساس لكتاباته.

ثقافة الإغبو

إنّ ارتداء القناع أثناء أداء الرقصات، والموسيقى، والتمثيل، سمةٌ مهمة في ثقافة الإغبو. بُنيت قصص آتشيبي بنحوٍ كبير على الحكايات الغنائية، والأناشيد الشعبية، والحكايات الخرافية.

الوعد الأكاديمي

تمكن تشينوا بسن الثالثة عشرة من اجتياز امتحانات القبول في المدرسة الثانوية الحكومية المرموقة في أوموهيا، وهي مدرسة استعمارية معدَّة لتثقيف نخبة المجتمع النيجيري المستقبلية. اتَّبعت هذه المدرسة طراز المدارس الإنجليزية الخاصة، وفرضت الإنجليزية لغةً مشتركة على الأولاد الذين يتحدثون مجموعة متنوعة من اللغات النيجيرية.

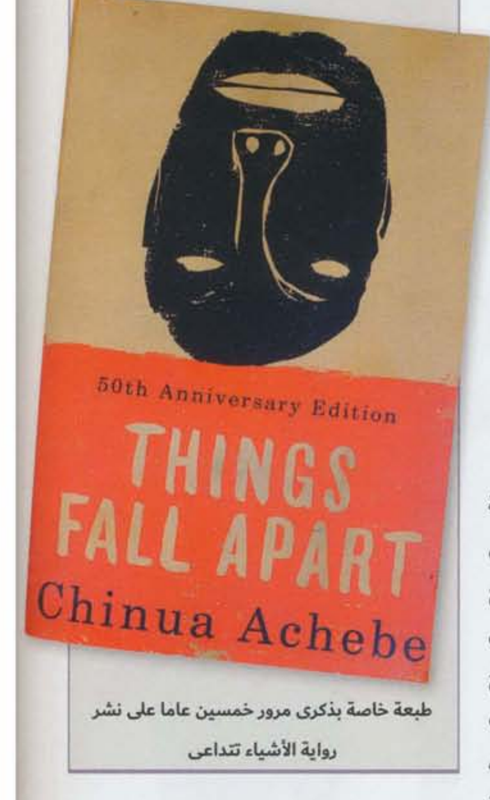
يستذكر تشينوا المرة التي عُوقبَ فيها لاستخدامه لغة الإغبو حين طلب من شخص تمرير الصابون إليه. فاز تشينوا بعدها بمنحة دراسية لدراسة الطب في الكلية الجامعية في إدابان، لكنه تحوّل إلى الأدب الإنجليزي. تابعَ تشينوا اهتمامه بالأديان العالمية والثقافات الإفريقية وقرأ كلاسيكيات الأدب، إلا إنه وجد التمثيلات الأدبية عن إفريقيا مُهينة. وعُرضت رواية جيمس جويس الأيرلندي «السيد جونسون» مثالًا حسنًا عن الكتابة حول إفريقيا لكن تشينوا ورفاقه وجدوا في بطلها النيجيري أنه «ذو خفة دم حمقاء مُحرجة» وصُوِّرَ بتيار خفي من النفور. يدَّعي تشينوا آتشيبي في شبه سيرته الذاتية «الوطن والمنفى (٢٠٠٠)» بأن أوصاف جوزيف كونراد الوحشيّة للمتوحشين في رواية «قلب الظلام» جسَّدت الأدب العنصري المُنتَج خلال ٥٠٠ عام من الوجود الأوروبي في إفريقيا.

الثلاثية الإفريقية

درَّس تشينوا آتشيبي بعد تخرجه اللغة الإنجليزية في مدرسة متداعية في أوبا، قبل أن ينتقل إلى لاغوس للمساعدة في إنتاج برامج إذاعية لخدمات الإذاعة النيجيرية. وسافر لأول مرة إلى إنجلترا في عام ١٩٥٦ جزءا من برنامجٍ تدريبيّ لموظَّفي هيئة الإذاعة البريطانية. اصطحبَ تشينوا معه في هذه الرحلة قصةً كان يكتبها، وفي نيته إعادة سرديّة ما تُسمى بـ «القارة المُظلمة» إلى شعبها. أصبحت هذه القصة، «الأشياء تتداعى»، الجزء الأول من ثلاثية بُنيت على قرية نيجيرية مُتخيَّلة، واتصالها الكارثي بالمُستعمِرين الإنجليز في أواخر القرن التاسع

إثراء الإنجليزية

ترعرع تشينوا وهو يتحدث الإغبو لكنه كتب رواياته باللغة الإنجليزية لأنه شعرَ بأنّ بمقدوره استخدام لغة الاستعمار سلاحًا قويًا في كفاحه لإعادة سرد قصة شعبه. أثرى تشينوا في كتاباته اللغةَ الإنجليزية المعيارية باللغة الإنجليزية المُيسّرة وإيقاع كلام الإغبو، وبعناصر من الأمثال والأساطير من التراث الشفوي النيجيري الثري. كتب تشينوا في رواية الأشياء تتداعى «عرفتُ أنّي لن أتمكن من الكتابة مثل ديكنز أو كونراد. إذ لن تتقبّل قصتي ذلك. لذا كان عليّ خلقَ لغةٍ إنجليزية جديدة. أما إذا كانت ستُفلح أم لا فهذا ما لم يكن بمقدوري معرفته». دفعت لغته الفريدة الكتابَ إلى النجاح النقدي.



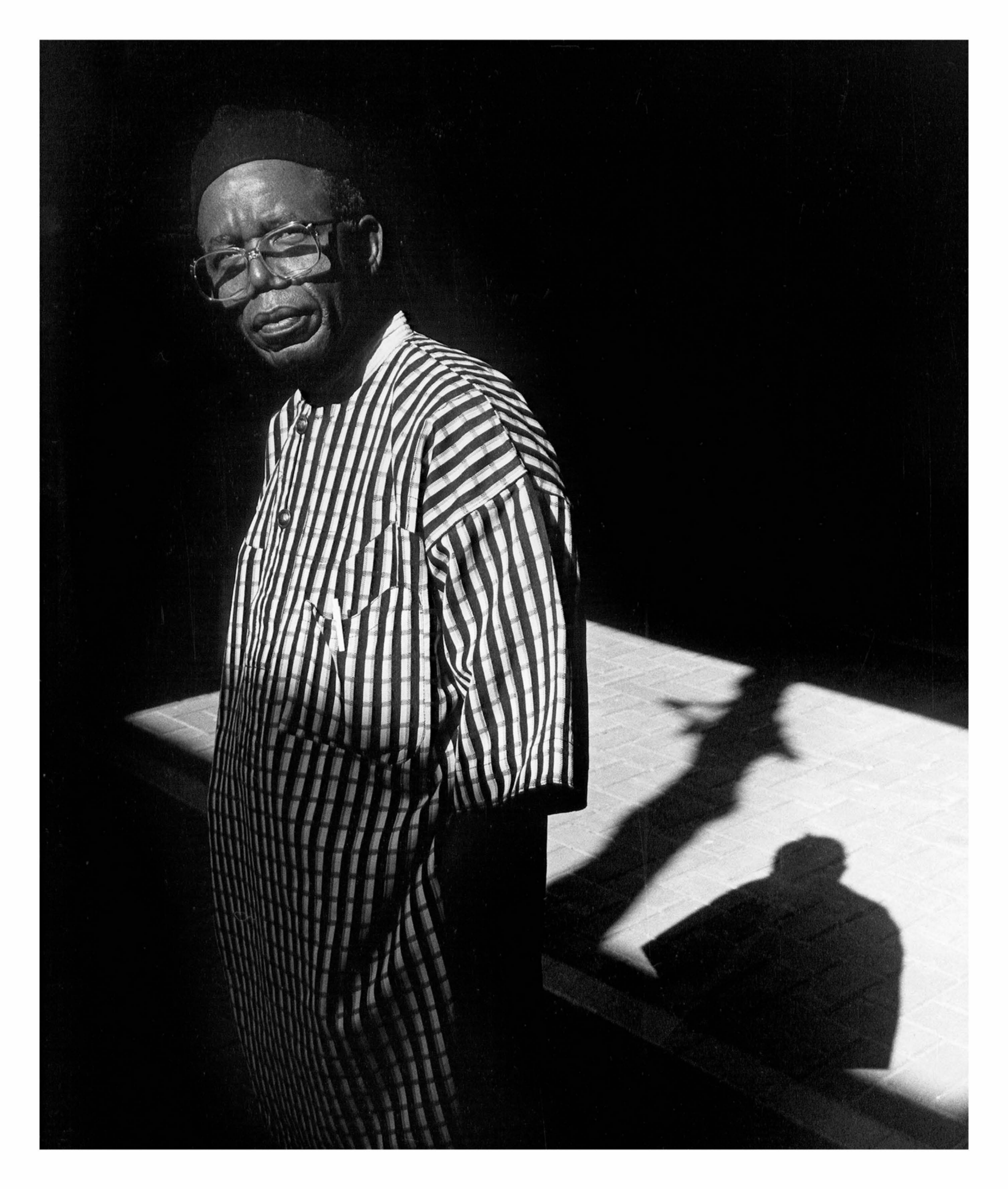
طبعة خاصة بذكرى مرور خمسين عاما على نشر رواية الأشياء تتداعى

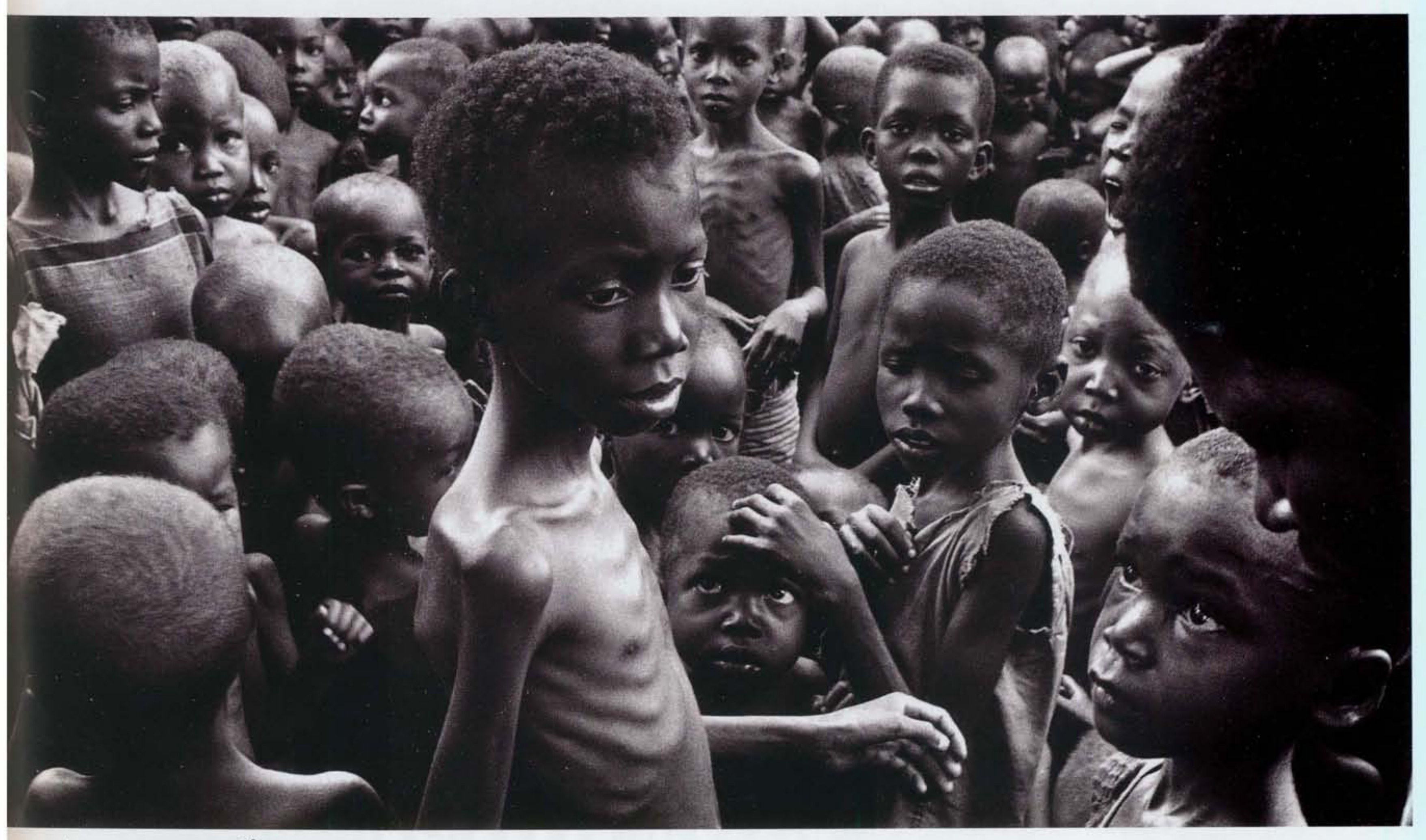
◂ **تشينوا آتشيبي، نيويورك**

التقطت هذه الصورة لآتشيبي إبّان توليه منصبًا في كلية بارد في نيويورك. زوّد الكاتب عبر كتاباته بنسخة جديدة ومحررة من التاريخ الإفريقي.

«كان هناك كاتب اسمه تشينوا آتشيبي برفقته تهاوت جدران السجن»

نيلسون مانديلا.





▲ **الحرب الأهلية البيافريّة**
أسس سكان الإغبو، شرقي نيجيريا، دولة بيافرا الجديدة. تسببت الحرب اللاحقة ضد نيجيريا بموت الملايين، أغلبهم جرَّاء الجوع.

◄ **سهم الله**
نُشر الجزء الثالث مما عُرف بثلاثية آتشيبي الإفريقية أول مرة في عام ١٩٦٤. والعنوان «سهم الله» كما يقول آتشيبي هو الشخص الذي يُوصل عدالة الله.

عشر. وصفت الرواية، بمحاربها العنيد والفخور أوكونكو الموجود في مركزها، مجتمعا عشائريا غنيا بالتجارة والثقافة والدين والعدالة. كُتبت هذه الرواية باللغة الإنجليزية لتُظهر للعالم بكلمات آتشيبي «أنَّ الأفارقة لم يسمعوا عن الحضارة للمرة الأولى من الأوروبيين».

عرض عليه صديق روائي في لندن أن يساعده على نشر الكتاب، لكن تشينوا قرّر مواصلة العمل على المخطوطة في نيجيريا قبل إرسال نسخته الوحيدة إلى وكالة في لندن: وُضعت المخطوطة في المكان الخطأ وألقيت في زاوية مكتب لأشهر قبل أن تحظى في آخر المطاف بتأييد محرّر في دار نشر هينيمان التعليمية.

استعار تشينوا عنوان روايته من قصيدة و. ب. ييتس، «المجيء الثاني»، والتي كتبها بعد مآسي الحرب العالمية الأولى. يصف بقوله: «الأشياء تتداعى؛ ولا يمكن للمركز الصمود...» تأثير المُستعمِرين في المجتمعات القبلية بجدارة. نشرت الرواية في عام ١٩٥٨ وأثبتت مكانتها العالمية، حتى إنها تُرجمت إلى ٥٧ لغة، وبقيت الرواية الإفريقية الأكثر قراءة في العالم. أعلن نيلسون مانديلا بأنَّ هذا الكتاب كان سلواه في حبسه الذي امتدَّ سبعًا وعشرين سنة في جزيرة روبن بجنوب إفريقيا.

الفساد والاستعمار

بالعودة إلى لاغوس؛ المدينة التي تعجّ بالمهاجرين من القرى وفي حالة مضطربة مع اقتراب نيجيريا من الاستقلال، أنتج آتشيبي روايته الثانية من الثلاثية، «لم يعد هناك إحساس بالراحة ١٩٦٠»، والتي تتناول قصة حفيد أوكونكو الذي يشق طريقه في مدينة غارقة في الفساد. أما روايته الأخيرة في الثلاثية، «سهم الله (١٩٦٤)»، فتستند إلى قصة سبق وأن رفع تشينوا الحجاب

«من ينتصر يحكي القصة، أمّا أولئك المهزومون فلا يسمعهم أحد».

الوطن والمنفى – تشينوا آتشيبي.

أبرز أعماله:

١٩٥٨
الأشياء تتداعى: تتعامل هذه الرواية مع قبيلة مُتخيَّلة وتواصلها الكارثي من المُستعمِرين.

١٩٦٠
لم يعد هناك إحساس بالراحة: تدور أحداثها خلال مرحلة النهوض إلى الاستقلال، وتتركز حول صراع رجل مع الرشوة والفساد.

١٩٨٣
مُشكلة نيجيريا: يتناول تشينوا في كتابه الجدلي فشل القيادة في بلده.

١٩٨٧
كثبان النمل في السافانا: تتبع تشينوا في هذه الرواية حياة ثلاث أصدقاء مُضطهدين من النظام العسكري.

٢٠٠٠
الوطن والمنفى: ناقش تشينوا قوة القصص في التجريد أو التمكين اعتمادًا على من بيده القلم.

٢٠١٢
كان هناك بلد؛ التاريخ الشخصي لبيافرا: أعاد هذا الكتاب فتح النقاش حول الحرب الأهلية النيجيريّة.

عنها أثناء عمله في الإذاعة، وهي تاريخ كاهن من الإغبو سُجن لرفضه التعاون مع المُستعمِرين الإنجليز. التقى تشينوا خلال هذه الحقبة في لاغوس بكريستي تشينوي أوكلي، الطالبة من جامعة إبادان، وتزوّج الاثنان في عام ١٩٦١.

شعب مستقل

كُتبت رواية «ابن الشعب (١٩٦٦)» لتكون هجاءً هزليًّا من انقلاب عسكري مُتخيَّل، لكن حينما سعى إقليم بيافرا الانفصالي خلف الاستقلال عن نيجيريا، عومل آتشيبو بريبة وتشكّك بسبب قصّته التنبّؤية. وفرَّ إثرها إلى إغبولاند، حيث شرع في مُهمّات حفظ السلام التي ركّزت انتباه العالم على تجويع وذبح آلاف الأطفال من شعب الإغبو في الحرب الأهلية في بيافران. قُصف منزل تشينوا وقُتل أفضل أصدقائه؛ الشاعر كريستوفر أوكيغو. ورُسمت مجموعة قصائد تشينوا «احترس أخي (١٩٧١)» والمجموعة القصصية القصيرة «فتيات في الحرب، وقصص أخرى (١٩٧٢)» استنادًا على تجارب هذه الحرب.

عاد تشينوا إلى التدريس في جامعة نيجيريا في نسوكا بعد أن استعادت الحكومة النيجيرية زمام السيطرة على الإقليم في عام ١٩٧٠. وعمل برفقة هينيمان على تأسيس مرجعيّة أدبية للكتَّاب الأفارقة. وشطر وقته خلال الثمانينات ما بين النشاط السياسي وبين التدريس الجامعي في نيجيريا والولايات المتحدة الأمريكية.

تعكس روايته «كثبان النمل في السافانا (١٩٨٧)» مجتمعًا نيجيريا غارقًا في الفساد والقيادة الفاشلة والخضوع للتلاعب الأجنبي. ويصف أحد أبطاله الثلاثة، «إيكيم»، فشل القادة في بناء الأواصر مع الفقراء والمسلوبة حقوقهم من أبناء وطنه بأنّه «القلب المكدوم الذي يخفق بألم في صميم كيان الأمة».

في الولايات المتحدة الأمريكية

عاد تشينوا مجددًا إلى نيجيريا قادمًا من الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٩٠ ليحتفل بعيد ميلاده الستين، لكنّه تعرض لحادث سيارة خلَّفه مُقعدًا وعاجزًا عن تحريك نصفه السفلي. قبلَ تشينوا بوظائف تدريسية من شأنها أن تضمن له الرعاية المستقبلية في كلية بارد، نيويورك، ثم في جامعة براون، رود إيلاند، لكنه ظل محافظًا على انخراطه السياسي في شؤون وطنه، معلّقًا على نهب ثروات بلاده على يد الطاغية العسكرية الجنرال «ساني أباتشا» في التسعينات، والتحريض الحديث على الصراع بين المسلمين والمسيحيين لتحقيق مكاسب سياسية.

وفي رحلة مؤثرة إلى وطنه في عام ٢٠٠٩، استُقبل آتشيبي بصفته شخصيةً وطنيّة مشهورة، وكُرّم لتفانيه في خدمة أساطير أسلافه وحكاياتهم. كتب تشينوا خلال حياته خمس روايات وخمسة كتب غير روائية وبعض المجموعات القصصية والقصائد، ونال جائزة مان بوكر الدولية للرواية، من بين العديد من الجوائز الأخرى.

استمرَّ تشينوا بالتدريس في الولايات المتحدة الأمريكية حتى وفاته عام ٢٠١٣ بعمر الثانية والثمانين، ودُفن في قريته أوغيدي.

▲ **الجنرال ساني أباتشا**
سُرقت ثروة نيجيريا النفطية من قبل الطغمة العسكرية (١٩٩٣-١٩٩٨) تحت حكم الطاغية أباشا، وتدهورت البنية التحتية، وقيّدت حرية التعبير- الحركة التي عُرفت باغتيال الكاتب كين سارو-ويوا في عام ١٩٩٥.

حياة في نيجيريا

ترتبط حياة آتشيبي ورواياته ارتباطا وثيقا بالتاريخ النيجيري المُضطرب. وضمَّت كثير من كتاباته معلومات عن ذكريات عائلته القبلية المُبكرة، وأيام المدرسة الاستعمارية، والتناقض بين حياته مفكرا من النخبة الثقافية وبين فقر عامة الشعب. كُبّلتْ نيجيريا بعد خمسين سنة من الاستقلال عن الاستعمار البريطاني بالانقلابات العسكرية والانقلابات المضادة، واغتيال القادة والكتّاب والناشطين، والتبذير الرئاسي لثروة حقول النفط الوطنية الاستثنائية. شهدَ آتشيبي في عام ١٩٦٧ محاولة بيافرا الفاشلة للحصول على حكم ذاتي، والحرب الأهلية الوحشيّة التي دارت فيها. تجدّدت الاحتجاجات والمطالبُ بالاستقلال في الذكرى الخمسين لتلك الحرب.



علم بيافرا يرفرف في الذكرى الخمسين للانفصال البيافريّ

ملحق الفصل الخامس

لويس فرديناند سيلين

(١٨٩٤-١٩٦١) فرنسيّ

كان سيلين روائيًا من الطبقة الأولى الذي دمّر سمعته بسبب مواقفه السياسيّة. جُرح سيلين المنحدر من الطبقة الوسطى في الحرب العالمية الأولى، وأصبح طبيبًا بعد نهايتها في أخشن منطقة في باريس. كانت أولى رواياته «رحلة في آخر الليل» مُذهلةً وكوميديا سوداء كُتبت بأسلوب بلاغي وطافحة بالألفاظ السوقيّة. ووسّعت رواية التكوين الشبابي (موت بالآجل) من ابتكاره الأسلوبي من خلال تكرار أسلوب الحذف (وضع ثلاث نقاط ...) الذي سيصبح سمة سيلين الفارقة.

نشر سيلين في عقد الثلاثينات كتابات بذيئة معادية للسامية واشترك مع المتعاونين أثناء الاحتلال النازي لفرنسا في الحرب العالمية الثانية. قضى سيلين سنة في سجن دنماركي بعد الحرب، وسُمح له بعدها بالعودة إلى فرنسا حيث نشر سلسلة من القصص المتخيلة عن تجاربه شاهد عيان على انهيار الرايخ الثالث، وكانت مونولوجات هلوسات غير متماسكة متنقلة ما بين المرارة والهزلية والمأساة.

أبرز أعماله:

رحلة في آخر الليل ١٩٣٢، موت بالتقسيط ١٩٣٢، عصبة جيوجنول ١٩٤٣، شمال ١٩٦٠.

جوزيبي توماسي دي لامبيدوزا

(١٨٩٦-١٩٥٧) إيطاليّ

اشتهر توماسي دي لامبيدوزا بسبب رواية وحيدة لم يحيَ حتى يراها تُطبع. ولدَ لامبيدوزا لعائلة أرستقراطية صقليّة متهاوية، وورث لقب أمير لامبيدوزا بعد وفاة والده عام ١٩٣٤. قاتل لامبيدوزا الشاب في الحرب العالمية الأولى وعدا ذلك لم تكن حياته حافلة بالأحداث، وتجنّب المشاكل في حقبة إيطاليا الفاشيّة على الرغم من أنّ منزله دُمّر بقنبلة من الحلفاء عام ١٩٤٣. بدأ لامبيدوزا بكتابة تحفته الأدبية «الفهد» في أواخر الأربعينات بعدما كان يذهب ماشيًا إلى مقهى يقعد فيه للكتابة. تجري روايته الفاخرة في صقلية أثناء الريزورجيمنتو (الحركة التي رأت إيطاليا بلدا موحّدا واحدًا) ورُفضت من ناشرَين اثنين اللذين قدّمها إليهما. نُشرت الرواية بُعيد وفاته محققة شهرة كبيرة، وتكوّنت كتاباته الأخرى من قصة قصيرة واحدة «الأستاذ والحورية» وبعض اليوميات والمقالات النقدية.

أبرز أعماله:

الفهد ١٩٥٨، قصص ١٩٦١.

فيتولد غومبروفيتش

(١٩٠٤-١٩٦٩) بولنديّ

وُلد الشاعر والمسرحي غومبروفيتش لعائلة كاثوليكية رفيعة الشأن من مالكي الأراضي-المجموعة التي خرّبت سلوكياتها الاجتماعية والثقافية خلال حياته. نشر غومبروفيتش بمرور الوقت كتاب قصصه الأول «مذكرات زمن الرعونة»، وكان قد أسّس نفسه في عام ١٩٣٣ شخصيةً في الدوائر الأدبية البولنديّة. كانت روايته الأولى «فيرديدوركي» هجاءً مُدهشًا حول بالغ يعود إلى زمن المراهقة؛ تعدُّ اليوم تُحفة حداثية. أصبح غومبروفيتش بنشوب الحرب العالمية الثانية منفيًا في الأرجنتين، واستقرّ هناك أربعًا وعشرين سنة عاش في أغلبها حياة شحيحة. حظر الحكم الشيوعي في بولندا ما بعد الحرب أعمالَه (روايات ومسرحيات) التي بدأت تسترعي الاهتمام بترجمتها. أقفل غومبروفيتش عائدًا إلى أوروبا في عام ١٩٦٣، وعاش معظم وقته في فرنسا مستمتعًا بشهرة متواضعة. نُشرت يومياته الغريبة الأطوار ما بين عام ١٩٥٧ و١٩٦٦ التي تعد واحدة من بين أفضل أعماله المهمة.

أبرز أعماله:

فيرديدوركي ١٩٧٣، يوفوني: أميرة بورغوندي ١٩٣٨، عبر الأطلسي ١٩٥٣، إباحية ١٩٦٠.

و. هـ. أودين

(١٩٠٧-١٩٧٣) إنجليزيّ

كان ويستن هيو أودين شاعرًا غزيرًا أبدعَ استخدامًا تقنيًا حاذقًا لصيغ الشعر التقليدية. واتّسمت بواكير أشعاره بأنها غير مباشرة ومُبهمة ومسكونة بهاجس الأراضي الطبيعية التي انتشرت فيها المصانع وسط إنجلترا حيث ترعرع.



▲ و. هـ. أودين

نُظر إلى أودين في ثلاثينات القرن الماضي بأنّه قائد شعراء الجناح اليساري الذين التقاهم في جامعة أكسفورد. وأظهر التزامًا صارمًا تجاه قضية معاداة الفاشيّة خلال الحرب الأهلية الإسبانيّة (١٩٣٦-٣٩)، وأبانت قصائده عن إحباط الحب المثلي والضيق الثقافي المُعمَم أكثر من وجهة نظر سياسية محددة. انتقل أودين في عام ١٩٣٩ إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأصبح مواطنًا أمريكيًا في عام ١٩٤٦. وأعلن معارضته للشعر المُلتزم مدَّعيًا بأنَّ «الشعر لا يُحدثُ فارقًا» عكست أعماله الأخيرة عن معتقداته الكاثوليكية وتشاؤميته من الحضارة الحديثة. تضمَّنت أشهر أشعاره قصائد مثل «الآنسي غي (١٩٣٨)» و«حزن جنائزي (١٩٣٨)» و«الأول من أيلول/ ١٩٣٩ (١٩٤٠)».

أبرز أعماله:

قصائد ١٩٣٠، انظر يا غريب ١٩٣٦، عصر القلق ١٩٤٧، درع آخيل ١٩٥٥.

ألبرتو مورافيا

(١٩٠٧-١٩٧٣) إيطاليّ

كان ألبرتو بنتشيرلي، الذي عُرف باسمه المستعار مورافيا، روائيًا وكاتب قصة قصيرة أرّخ حياة الطبقة البرجوازية الإيطاليّة مُعرّيًا مكتسباتها المالية ورغباتها الجنسية وتفاهتها ونفاقها. عانى مورافيا في طفولته من السل العظمي الذي وصفه بأنه ثاني أهم التجارب المُشكِّلة لحياته، والأخرى هو العيش تحت الحكم الفاشي. بنى مورافيا لنفسه سمعة كاتب خلال حقبة موسوليني، ونشر أولى رواياته في عام ١٩٢٩. وعمل مراسلَ صحيفة، وساعد في إعداد مجلتيْ مراجعات أدبية. حُظرت العديد من كتبه من قبل السلطات الفاشية.

وتمثلت حقبة الحرب العالمية الثانية مرحلة تأسيس مورافيا الروائي المشهور لدى العامة، وكتب بأسلوب مُستقيم وواقعيّ لكنّه ذو نظرة حادة للجذور النفسية القائمة للمجتمع الإيطالي الجديد المُستهلك، وديمقراطيته المعيوبة. انحدرت كتابات مورافيا في العقد الستيني، وانتُخب في آخر حياته نائب الحزب الشيوعي الإيطالي في البرلمان الأوروبي.

أبرز أعماله:

زمن اللا مبالاة ١٩٢٩، المُمتثل ١٩٥١، الحكايات الرومانيّة ١٩٥٤، امرأتان ١٩٥٧.

إليزابيث بيشوب

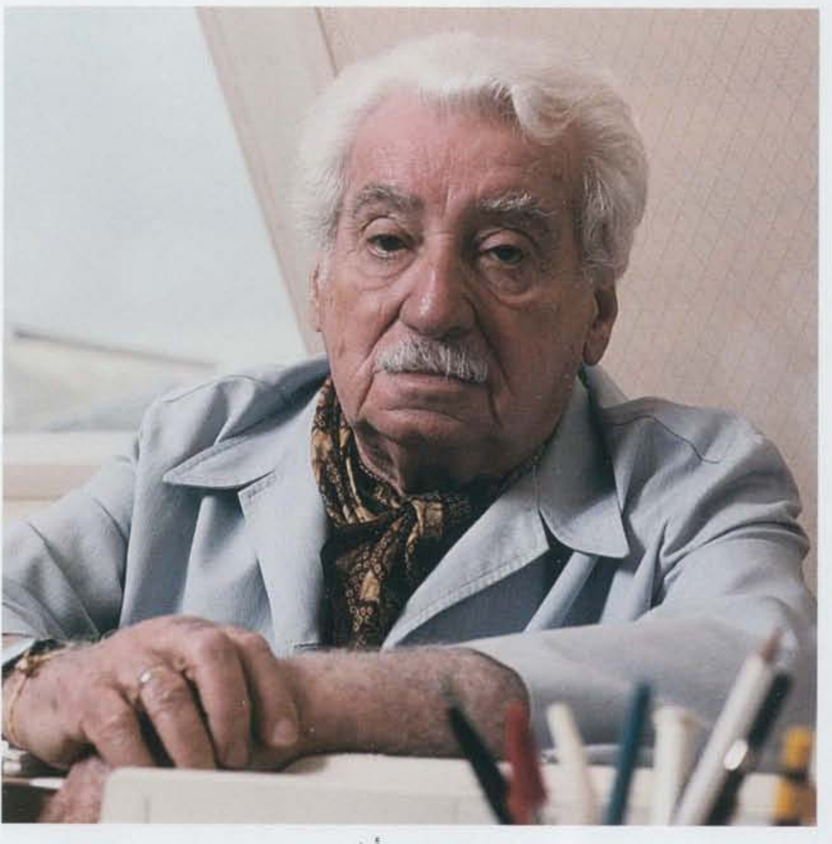
(١٩١١-١٩٧٩) أمريكيّة

وُلدت بيشوب، واحدة من أفضل الشعراء الأمريكيين في القرن العشرين، في ماساتشوستس لكنَّها قضت الكثير من طفولتها لدى أقاربها في نوفا سكوتيا بعد وفاة والدها وحجز والدتها في مؤسسة أمراض عقلية.

بدأت بيشوب بنظم الشعر في كلية فاسار - نيويورك، تحت تأثير الشاعرة ماريانا موري، وعكست أعمالها حياتها كثيرة الرحلات، وغُربتها الطويلة في باريس وفلوريدا والبرازيل. أنعشت شعرها بالمراقبة الدقيقة وغالبًا ما وظَّفتها في صيغ شعرية تقليدية، متجنِّبة النمط الاعترافي ومع ذلك فغالبا ما تعلَّق شعرها بأسلوب غير مباشر بالكآبة المتكررة، وتعاطي الكحول والعلاقات السحاقية. نشرت بيشوب الباحثة عن الكمال مئة قصيدة وقصيدة في حياتها فقط، وعلى الرغم من نيلها الاعتراف منذ خمسينات القرن العشرين فصاعدا، فلم تحقق المكانة المرموقة التي تستحقها أعمالها إلا بعد وفاتها. تضمَّنت أشهر أشعارها قصائد مثل «معجزة عند الفطور (١٩٣٥)»، و«السمكة (١٩٤٦)» و«الفن الأوحد (١٩٧٦)».

أبرز أعمالها:

شمال وجنوب ١٩٤٦، تساؤلات السفر ١٩٦٥، القصائد الكاملة ١٩٦٩، جغرافية ١٩٧٦.



▲ خورخي أمادو

خورخي أمادو

(١٩١٢-٢٠٠١) برازيليّ

كان الروائي أمادو ابن مالك مزرعة في باهيا، شمالي البرازيل. نشر أول كتبه بسن الثامنة عشرة، وكتب مثل ماركسي واقعي واصفًا الوحشية والاستغلال في قلب المجتمع البرازيلي. أُحرقت كتبه في عهد الطاغية جيتوليو فارغاس وأُجبرَ على المنفى. عاد أمادو إلى البرازيل في عام ١٩٥٤ واتّجه إلى كتابة روايات غنيّة بالفانتازيا، والفكاهة، والشهوانية. كانت روايات مثل «غابرييلا، قرنفل وقرفة» من أوائل أعمال أسلوبه الجديد، وتصدَّرتا قوائم المبيعات في البرازيل. واقتربت روايته «دونا فلور» الناجحة التي شابهت سابقتيها- من الواقعية السحرية بحلِّها الروحاني للصراع اللا متناهي التعقيد.

بقي أمادو كاتبًا جدليًا على الرغم من شهرته العامة بسبب أوصافه الصريحة للجنسانية النسائية. واستمرَّ في أواخر حياته بمعالجة قضايا مهمة مثل ضرورة تسوية العناصر الأوروبية والإفريقية في الثقافة البرازيلية.

أبرز أعماله:

جوبيابا ١٩٣٥، الأرض العنيفة ١٩٤٣، غابرييلا، قرنفل وقرفة ١٩٥٨، دونا فلور وزوجاها الاثنان ١٩٦٦.

أوكتافيو باث

(١٩١٤-١٩٩٨) مكسيكيّ

وُلد أوكتافيو باث، الشاعر وكاتب المقال، لعائلة من المفكرين في مكسيكو سيتي. نظم باث الشعر منذ سن مبكرة ناشرًا أولى مجلدات شعره في عام ١٩٣٣. تأثر باث كثيرًا بالحداثة الأوروبية لا سيما السرياليين الفرنسيين على الرغم من اهتمامه العميق بوطنه المكسيك (كتب مقالته «متاهة العزلة» التي كانت تأملًا عميقًا في الهوية والثقافة المكسيكية). خدم باث منذ عام ١٩٤٥ دبلوماسيًا خارج البلاد، وأُلهم ديوانه «المنحدر الشرقي» عندما كان في الهند حيث خدم سفيرًا منذ عام ١٩٦٢. وبحلول عام ١٩٦٢، استقال باث من السلك الدبلوماسي احتجاجًا على مذبحة الطلاب الحكومية في مكسيكو ستي. وعُدَّ شخصية مفكرة مكسيكيّة قياديّة بالإضافة إلى كونه شاعرًا بارزًا نال جائزة سرفانتس المرغوب بها في عام ١٩٨١، وجائزة نوبل في الأدب عام ١٩٩٠.

أبرز أعماله:

ما بين الحجر والزهرة ١٩٤٠، متاهة العزلة ١٩٥٠، حجر الشمس ١٩٥٧، المنحدر الشرقي ١٩٦٩.

كاميلو خوسيه ثيلا

(١٩١٦-٢٠٠٢) إسبانيّ

استخدم الروائي كاميلو خوسيه ثيلا يا ترولوك تقنيات أدبيّة ابتكاريّة لتقديم رؤية بغيضة بقسوة عن المجتمع الإسباني، وصمَّم على ألا «يُخفي الحياة بقناع الأدب». وُلد ثيلا في غاليسيا، إسبانيا، وقاتل مع قوات فرانكو في الحرب الأهلية الإسبانية. وصفت روايته المثيرة «عائلة باسكوال دوارت» التأثيرات الوحشيّة للفقر والتخلُّف من خلال اعترافات فلَّاح قاتل وقاسٍ في حجرة انتظار الإعدام. حُظرت بعض كتبه في البداية داخل إسبانيا، من ضمنها رواية «الخمسة» التي عُدَّت من قبل العديد تُحفته الأدبية، بنظرتها الكئيبة عن الحياة في مدريد التي قدَّمها عبر عدة مئات من الشخصيات بالتتابع خلال ثلاثة أيام. تطرَّف ثيلا في تجريباته الروائية في أعماله اللاحقة. وكُتبت رواية «المسيح مقابل أريزونا (١٩٨٨)» من جملة واحدة امتدَّت إلى قرابة ثلاثمئة صفحة. نال ثيلا جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٨٩.

أبرز أعماله:

عائلة باسكوال دورات ١٩٤٢، جناح النقاهة ١٩٤٤، الخمسة ١٩٥٠.

كارسون ماكولرز

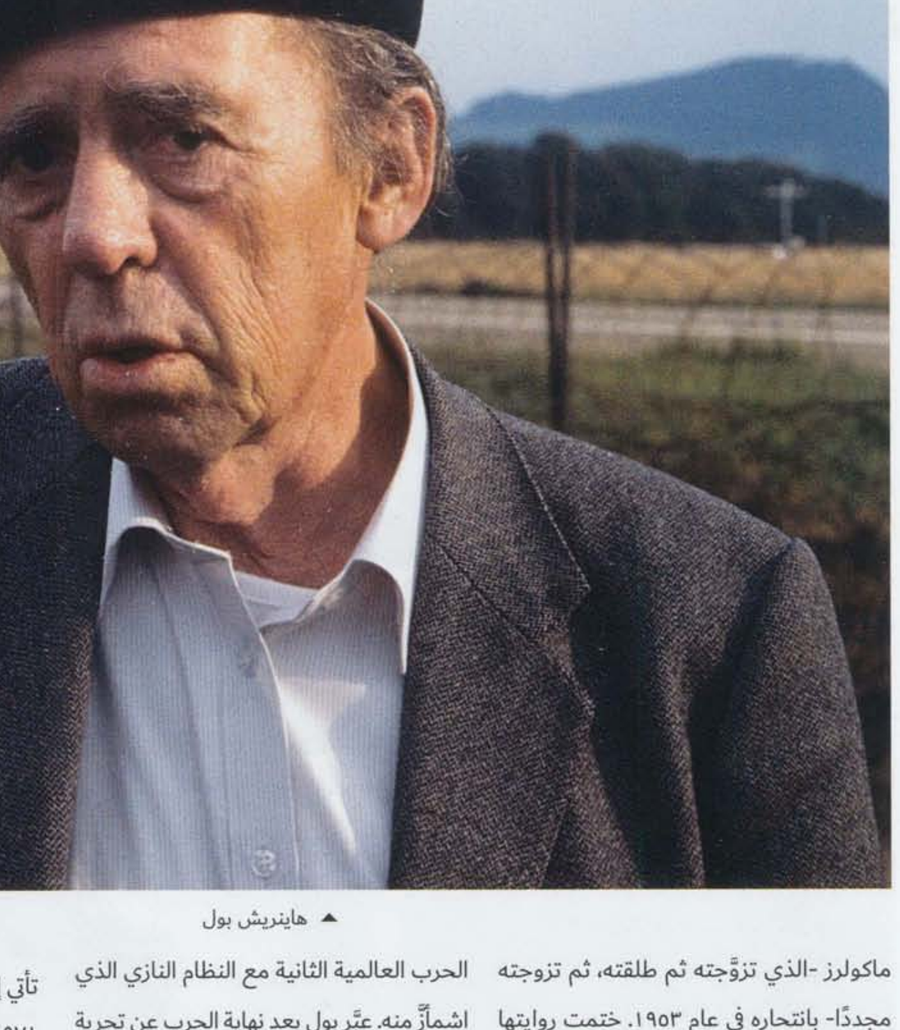
(١٩١٧-١٩٦٧) أمريكيّة

وُلدت الروائية كارسون ماكولرز باسم لولا كارسون سميث في كولومبوس، جورجيا. وعلى الرغم من قضاء كارسون معظم حياة بلوغها في نيويورك وباريس فقد بقى الجنوب الأمريكي العميق منطقة خيالها. نشرت كارسون قصتها القصيرة الأولى «العبقري» في عام ١٩٣٦. وبدأت في العقد اللاحق نشر رواياتها المشهورة مثل: القلب صياد وحيد، وتأملات في عين ذهبية، وطرف في الزفاف. اتَّسمت هذه الروايات بالقوة والتأملات المُرهفة في مجتمع منعزل، وعاجز جسديًا، ومضطرب نفسيًّا. وعاشت كارسون نفسها في وجود مُستشكل وملعون بأمراض حادة وإدمان الكحول، وانتهت علاقتها مع ريفيز ماكولرز -الذي تزوَّجته ثم طلقته، ثم تزوجته مجددًا- بانتحاره في عام ١٩٥٣. ختمت روايتها القصيرة «أنشودة المقهى الحزين» أعمالها البارزة. وكتبت أيضًا مسرحية «الجذر المربع الرائع» في عام ١٩٥٨، ورواية «ساعة بلا عقارب» في عام ١٩٦١، لكنهما لم يحققا نجاح أعمالها المُبكرة.

أبرز أعمالها:

القلب صياد وحيد ١٩٤٠، تأملات في عين ذهبية ١٩٤١، طرف في الزفاف ١٩٤٦، أنشودة المقهى الحزين ١٩٥١.





▲ هاينريش بول

هاينريش بول

(١٩١٧-١٩٨٥) ألمانيّ

انحدر هاينريش بول، الروائي وكاتب القصة القصيرة، من عائلة فنيّة كاثوليكيّة في كولونيا. وكان مفتاحُ التجربة التكوينية في حياته القتالُ جنديًّا في الحرب العالمية الثانية مع النظام النازي الذي اشمأزَّ منه. عبَّر بول بعد نهاية الحرب عن تجربة الصراع للجندي الألماني العادي، وتبدد أوهام العودة إلى وطن مدمر ماديًّا وأخلاقيًّا. تأثر أسلوبه المبكر بكتّاب الولايات المتحدة مثل إرنست همنغوي، وكان واقعيًا، ومباشرًا وساخرًا. طوَّر عمله بالتعقيد التقني عندما أصبحَ الناقد المتحدث لمجتمع ألمانيا الغربية بماديّته عديمة الرحمة وفقدانه الذاكرة بشأن الحقائق التاريخية المُحرجة.

غالبًا ما كان عمل بول قتاليًّا، وموجَّهًا نحو الكنيسة الكاثوليكية كما في رواية «المهرج (١٩٦٣)»، ونحو الحياة الخاصة كما في «شرف كاتارينا بلوم الضائع». وكان الروائي الألماني الغربيّ الوحيد الذي قُرئت أعماله على نطاق واسع في ألمانيا الشيوعية الشرقيّة.

نال بول جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٧٢.

أبرز أعماله:

وصل القطار في الموعد ١٩٤٩، أيها المسافر هل تأتي إلى مُنتجع ١٩٥٠، صورة جماعية مع سيدة ١٩٧١، شرف كاتارينا بلوم الضائع ١٩٧٤.

ج. د. سالينجر

(١٩١٩-٢٠١٠) أمريكيّ

ولد جيروم ديفد سالينجر، مؤلف رواية المراهقة الكلاسيكية «الحارس في حقل الشوفان»، لعائلة يهودية في نيويورك، بدأ ببناء سمعته كاتبًا بعد العودة من الخدمة في الحرب العالمية الثانية، ناشرًا قصة «اليوم المرتجى لسمك الموز» في مجلة نيويوركر عام ١٩٤٨. وحققت روايته «الحارس في حقل الشوفان» نجاحًا فوريًا عندما ظهرت في عام ١٩٥١، استعرضت مواضيع مثل تغيرات المراهقة والتمرد من خلال صوت شخصيتها المضطرب «هولدن كولفيلد»، وعززت شعبيتها بين البالغين بمرور السنين. انتقل سالينجر بعد نشره «تسع قصص» -ضمَّت قصته المعتبرة جدًا «لإسمي - مع الحب

والقذارة»- من نيويورك إلى نيو هامبشاير مدافعًا بعنفٍ عن حياته الشخصية. وانخفض بعدها إنتاجه الأدبي، وظهرت أربع قصص فقط في العقد التالي منذ عام ١٩٥٣، وجميعها مرتبطة بشخصية عائلة غراس النيويوركيّة الخيالية. وحازت روايته «Franny and Zooey» الاتفاق النقدي والجماهيري على أنها آخر أعماله الناجحة بحق. لم ينشر سالينجر منذ عام ١٩٦٥ وحتى وفاته شيئًا قط.

أبرز أعماله:

الحارس في حقل الشوفان ١٩٥١، تسع قصص ١٩٥٣، فراني وزووي ١٩٦١.

دوريس ليسنغ

(١٩١٩-٢٠١٣) بريطانيّة

وُلدت ليسنغ باسم دوريس مي تايلور، وترعرعت في حقل جنوبي روديسيا (زيمبابوي الآن) الذي ملكه والداها البريطانيان. انتقلت ليسنغ إلى إنجلترا في عام ١٩٤٩، وكانت شيوعية مخلصة وملتزمة بمناهضة الاستعمارية، واستمرّت بالحياة بعد طلاقها مرتين. وقعت أحداث كتبها المُبكرة في إفريقيا، من ضمنها روايتها الأولى «العشبُ يغني» وأربعة من خمسة مجلدات من سلسلة سيرتها شبه الذاتية «أطفال العنف». تبددت أوهام ليسنغ عن الشيوعية في عقد الخمسينات، ونشرت في عام ١٩٦٢ «المذكرات الذهبية» التي أظهرت فيها ابتعادها السياسي مقادة بالواقعية نحو التحليل النفسي والابتكار الشَكْليّ. تحدّت ليسنغ ما بين عام ١٩٧٩ و١٩٨٣ التوقعاتَ بتجربتها رواية الخيال العلمي بسلسلة «Canopus in Argos». وكانت روايتها «الإرهابي الطيب» عودة مثيرة للإعجاب بمادة موضوعها السياسية. فازت ليسنغ بجائزة نوبل في الأدب عام ٢٠٠٧.

أبرز أعمالها:

العشب يغني ١٩٥٠، المذكرات الذهبية ١٩٦٢، شيكاستا ١٩٧٩، الإرهابي الطيب ١٩٨٥.

شوساكو إندو

(١٩٢٣-١٩٩٦) يابانيّ

وُلدَ الروائي شوساكو إندو لعائلة يابانية كاثوليكية الأمر الذي كان شاذًا في مجتمعها. درس إندو في الخمسينات في مدينة ليون الفرنسيّة، وتعرَّض لتأثير الكتاب الكاثوليكين الفرنسيين الثوريين مثل الروائي جورج بيرنانوس. خَبَر إندو في هذا الوقت أمراضًا مزمنة (واتّسمت رواياته نتيجة لذلك بالمستشفيات على نحو بارز). أقفل إندو راجعًا إلى موطنه ونشر رواياته النقدية للمجتمع الياباني الذي استنكره واصفًا إياه بـ«مستنقع الطين» عديم الرأفة الذي لا يمكن له تقبُّل رسالة الحب المسيحية. وكانت أشهر رواياته «الصمت» قصةً مكروبة للتبشيريات الكاثوليكية التي أُختبرَ إيمانها بلا مبالاة وجِدّة اليابانيين. انتقد إندو كذلك الموقف السلطوي للكنيسة الكاثوليكية، معتقدًا بأن يسوع شخصية شفوقة شارك معاناته أكثر من كونه شخصية سلطة وقضاء. تناولت أعماله الأخير مثل «النهر العميق» رحلة مجموعة يابانيين يزورون الهند ووصفها بأنها مليئة بالإنسانية الدافئة.

أبرز أعماله:

الرجل الأبيض ١٩٥٥، البحر والسم ١٩٥٧، الصمت ١٩٦٦، النهر العميق ١٩٩٣.

يوكيو ميشيما

(١٩٢٥-١٩٧٠) يابانيّ

عُرِفَ كيميتاكي هيراوكا باسمه المستعار يوكيو ميشيما، وكان أبرز شخصية ثقافية يابانية في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وُلد ميشيما لعائلة من علية مجتمع اليابان الإمبراطوري لكنه قاسى شبابا مجروحا ومربوطا بالانضباط السادي والإذلال الناجمين عن هزيمة اليابان في الحرب. فضح في روايته الأولى «اعترافات قناع» ميوله السادية-المازوخية المثليّة لحياة خيالية، جعلت منه الرواية مشهورًا بسن الثالثة والعشرين. دمجَ ميشيما ما بين الحداثة ونظرته ذات النزعة الرومانسية لماضي الساموراي الياباني، ولم يقتصر اشتهار ميشيما على الرواية والقصة القصيرة فحسب بل وتعدى إلى الكتابة المسرحية والتمثيل وصناعة الأفلام. كان ميشيما سياسيًا ضمن اليمين المتطرف الملتزم باسترجاع قوة التقليدية للإمبراطور، وارتكب في عام ١٩٧٠ السوبوكو Suppuku (طقس الانتحار ببقر البطن بالسيف) بعد قيادته مليشيا شخصية فشلت في محاولة انقلاب عسكري. وكان قد أكمل قُبيل وفاته آخر أعماله- رباعية «بحر الخصوبة» وهي ملحمة عن الحياة اليابانية في القرن العشرين.

أبرز أعماله:

اعترافات قناع ١٩٤٨، معبد الفسطاط الذهبي ١٩٥٦، البحار الذي لفظه البحر ١٩٦٣، رباعية بحر الخصوبة ١٩٦٥-٧٠.

سيلفيا بلاث

(١٩٣٢-١٩٦٣) أمريكيّة

اشتهرت بلاث لشعرها ونثرها الاعترافي وحياتها الشجيّة التي انحدرت من ماساتشوستس. كان أبوها، ألمانيُّ المولد، أستاذًا في علوم الأحياء، ومات عندما كانت ابنته بسن الثامنة. نشرت بلاث الشعر والقصص القصيرة بسن الشباب وتخرَّجت في كلية سميث في عام ١٩٥٥. كانت بلاث قبل حلول هذا الوقت قد حاولت الانتحار أول مرة وخضعت لعلاج نفساني تضمن جلسات صدمة كهربائية. شكّلت هذه الأحداث لاحقًا روايتها الوحيدة «الناقوس الزجاجي». تزوَّجت بلاث الشاعر الإنجليزي تيد هيوز وانجبت منه طفلين بعد أن انتقلت للدراسة في جامعة كامبيردج - إنجلترا بفضل منحة فولبرايت الدراسيّة. جذب ديوانها الشعري الأول «العملاق» اهتماما محدودًا، وتفاقمت حياتها سوءًا بعد انفصالها من زوجها في أيلول/ سبتمبر ١٩٦٢ إثر خيانته لها. كتبت بلاث خلال هذه المرحلة أفضل قصائدها المشهورة من ضمنها «دادي» و«السيدة لازاروس» اللتين نُشرتا بعد موتها في مجموعة «آرييل» الشعرية. أقدمت بلاث على الانتحار في عام ١٩٦٣.

أبرز أعمالها:

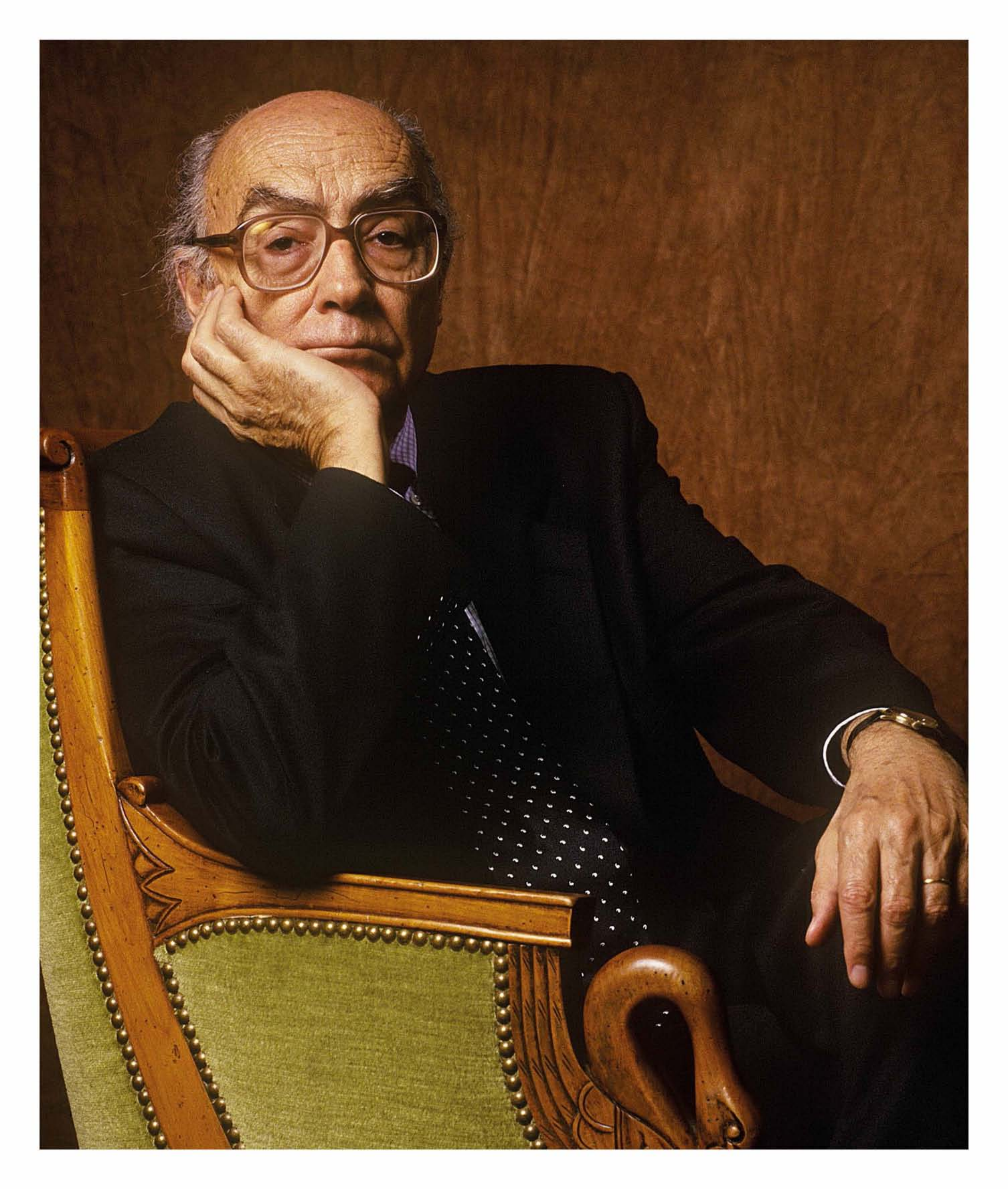
العملاق وقصائد أخرى ١٩٦٠، الناقوس الزجاجي ١٩٦٣، آرييل ١٩٦٥، القصائد المختارة ١٩٨١.



▲ سيلفيا بلاث

أدباء عصرنا

الفصل السادس



جوزيه ساراماغو

(١٩٢٢-٢٠١٠) برتغاليّ

أنتجت المعتقدات السياسية التي اعتنقها ساراماغو من أعماقه جملةً من الأعمال المثيرة التي تناولت مواضيع كالدين والسلطة والاستغلال والفساد والتفكك الاجتماعي، وغالبًا ما يكون ذلك من خلال الهجاء المجازي.

أشار جوزيه ساراماغو في نهاية حياته بأن نقطة الانطلاق لأعماله كانت «إمكانية المُستحيل. إنني أطلبُ من القارئ قبول اتفاقية. فحتى وإن كانت الفكرة سخيفة، ما يهم هو تصوُّر تطوراتها». وهكذا، دفعت جُمله الطويلة والأنيقة وغير التقليدية -كان استخدامه لعلامات الترقيم وتقسيمه للفقرات ضئيلا، مع إبرازه لبداية الحوار بالحروف الكبيرة- القارئ في قلب رحلات مجازيّة رائعة ومبتكرة تجمع التاريخ بالفانتازيا، والواقعي بالخيالي.

نرى هذه القفزات الخيالية مؤرخة مثلا في مآثر الجنديّ المُشوَّه، وعشيقته المُستبصرة، وآلة طيران مدهشة في رواية «بالتاسار وبليموندا (١٩٨٢)»، وفي انفصال شبه الجزيرة الإيبيرية عن أوروبا في «الطوف الحجري (١٩٨٦)»، وفي المدينة التي تنحدر إلى الهمجية إثر وباء العمى في الحكاية الرمزية السياسية المُروعة «العمى (١٩٩٥)».

قاد أسلوب ساراماغو الما وراء السردي والواقعيّ السحريّ والعذب في رواياته إلى مقارنته مع أعمال مؤلفين مثل سيرفانتس وغارسيا ماركيز وبورخيس وكافكا.

▸ **جوزيه ساراماغو، ١٩٩٧**

التقط ساراماغو هذه الصورة في باريس أثناء جولة ترويجية. واستمرَّ بالكتابة حتى سنٍّ متأخرة، حتى إنه جرَّب الكتابة في مدونة يومية.

خطأ كتابي

وُلدَ ساراماغو لعائلة فقيرة في قرية أزينهاغا الريفية، وكان اسم والده الأخير دي سوسا لكن سُجِّل اسمه عن الولادة -بسبب حالة سُكر أو عبر خدعة- ساراماغو (الذي كان لقب والده). تدرَّب ساراماغو في مراهقته ليصبح ميكانيكي سيارات، ثم عمل لاحقا على كسب لقمة العيش في العمل مترجما وصحفيا. كانت رواية «أرض الخطيئة» أول رواياته التي نُشرت حين كان بسن الرابعة والعشرين في عام ١٩٤٧، وهي السنة ذاتها سنة التي ولدت فيها ابنته «فيولانتي» من زوجته إلدا ريس.

مهجة الحياة

كتب ساراماغو في سنتي ١٩٦٦ و١٩٧٦ ثلاثة دواوين شعرية، لكنه نال الشهرة عن رواياته. انضمَّ في عام ١٩٦٩ إلى الحزب الشيوعي البرتغالي المحظور -المعارضة الرئيسة للطاغية الفاشي أنطونيو دي أوليفيرا سالازار- وبقي شيوعيًا مُخلصًا وملحدًا طوال حياته. في عام ١٩٧٤-٧٥، وبعد أن أطاحت ثورة القرنفل بخليفة سالازار، عمل ساراماغو محررا للصحيفة اليومية الثورية Diario de Noticias لكنه أُقيلَ بسببه نهجه المُتعصّب: يُقال بأنّه طُرد جميع الأفراد غير الشيوعيين من الصحيفة. ولعل سمعته شخصًا صارمًا ومتعجرفًا ورجلا فولاذيًّا نوعا ما قد نشأت في هذه المرحلة، عندما كانت معتقداته السياسية -التي لا تحظى بشعبية كبيرة في بلدٍ غمرته طويلا أيديولوجية اليمين المتطرف- ظاهرة للعيان.

لم يحظ ساراماغو بشُهرة الدولية حتى بلغ الستين من عمره، وذلك مع ترجمة روايته «بالتاسار وبليموندا» إلى الإنجليزية. تبع ذلك مجموعة كبيرة من الأعمال الناجحة، ليصبحَ في عام ١٩٩٨ أول كاتبٍ باللغة البرتغاليّة يفوز بجائزة نوبل في الأدب. تُوفي ساراماغو في لانزاروت بعد معاناة مع سرطان الدم عام ٢٠١٠، وحضر أكثر من ٢٠ ألف شخص جنازته التي أُقيمت في عاصمة البرتغال، لشبونة.



▸ **مكتب الكاتب**

يظهر مكتب ساراماغو في الصورة في لانزاروتي. انتقل الكاتب إلى جزر الكناري مع زوجته الثانية، بيلار دو ريو، عام ١٩٩١ احتجاجًا على رقابة الحكومة البرتغالية على أعماله.

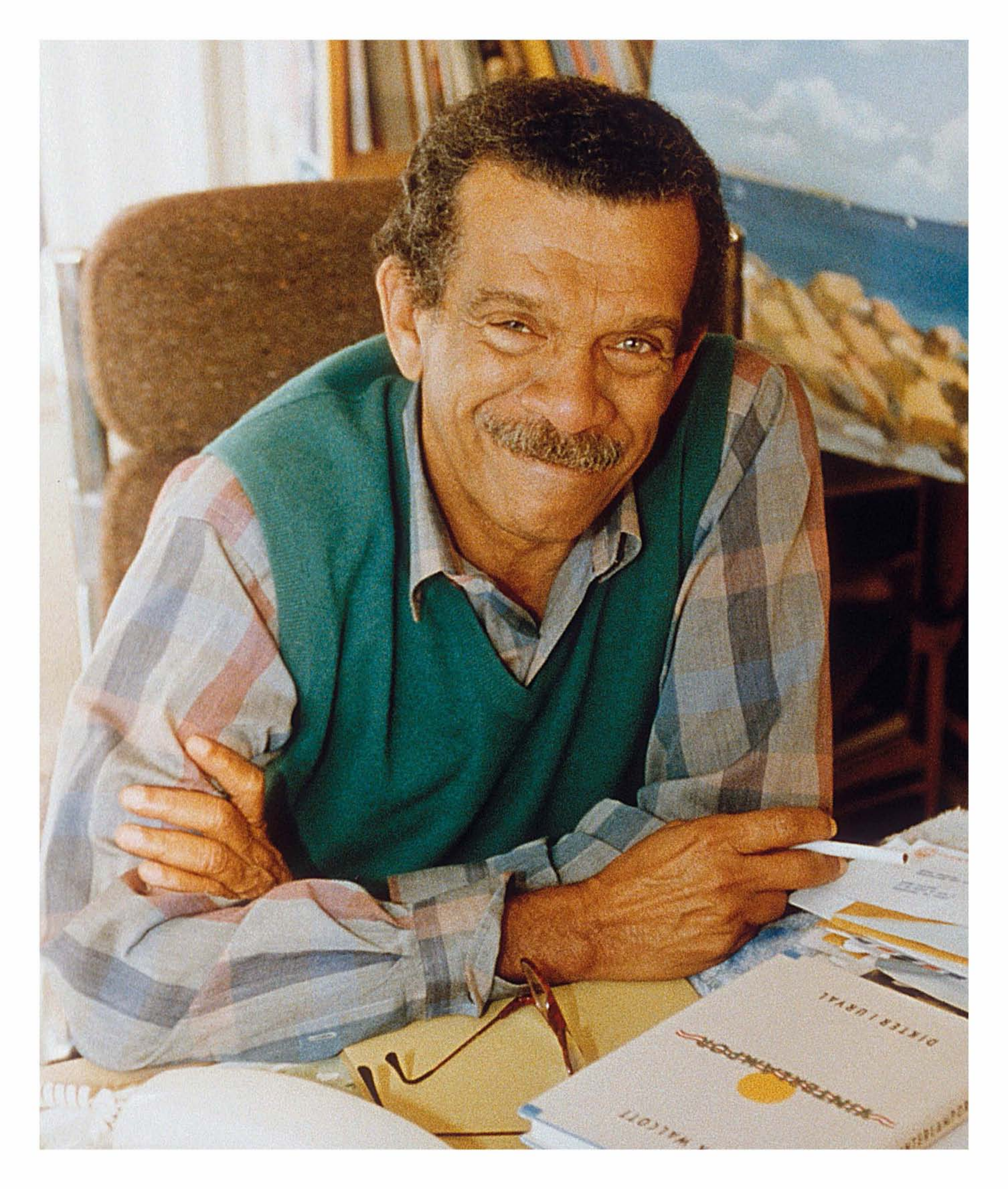
SVENSKA AKADEMIEN
har vid sin sammankomst
den 8 oktober 1998 i överens-
stämmelse med föreskrifterna
i det av
ALFRED NOBEL
den 27 november 1895
upprättade testamentet
beslutat att 1998 års
Nobelpris i litteratur
skall tilldelas
JOSÉ SARAMAGO
"som med liknelser burna av
fantasi, medkänsla och ironi
ständigt på nytt gör en und-
flyende verklighet gripbar"

▴ **شهادة جائزة نوبل**

أشادت الأكاديمية السويدية بساراماغو لأجل «حكاياته الرمزية المُعزَّزة بالخيال، والشفقة، والسخرية» عندما سلمته الجائزة في عام ١٩٩٨.

كاتب ومناضل

صرّح ساراماغو بأنه لا يتخيل نفسه موجودا «خارج أي نوع من الانخراط السياسي أو الاجتماعي». شكَّلت معتقداته الدينية والسياسية القلبَ النابضَ للكثير من أعماله، وكثيرا ما أثارت الغضب والجدل. من ذلك مثلا رواية «الطوف الحجري» (قصة رمزية عن انفصال شبه الجزيرة الإيبيرية عن أوروبا) التي نُشرت في عام ١٩٨٦ بالتزامن مع انضمام إسبانيا والبرتغال إلى المجتمع الأوروبي. كانت الرواية بمثابة اتهام لهذا الاتحاد، وتعرضت للنقد داخل البرتغال وخارجها. وجاءت بعد خمس سنوات عام ١٩٩١ روايته «الإنجيل يرويه المسيح» التي هزَّت البرتغال الكاثوليكية بوصفها للمسيح كائنًا تسكنه الرغبة وغير معصوم من الخطأ وإلهًا مُتلاعبًا متعطشا للسُّلطة. وبضغطٍ من الكنيسة، حظرت الحكومة البرتغالية النص في البرتغال، ومنعت ترشيح الكاتب لجائزة أدبيّة أوروبيّة في عام ١٩٩٢. وفي عام ٢٠٠٢، تسبَّب الكاتب في إثارة نوبة غضب أكبر خلال جولته في الضفة الغربية، حينما ساوى معاناة الفلسطينيين تحت الاحتلال الإسرائيلي بمعاناة اليهود في أوشفيتز.


DIKTER I URVAL
WALCOTT

ديريك والكوت

(١٩٣٠-٢٠١٧) سانت لوسيّ

يستكشف والكوت -غالبًا في مقاطع نثرية ذات جمال غنائي بديع- العلاقة بين الماضي الاستعماري الوحشي لبلده وبين هويّتها الحديثة المُعقّدة، وذلك عبر قضايا الأصل والانتماء والطبيعة والذاكرة.

نشر ديريك والكوت في عام ١٩٩٠ «أوميروس Omeros»، وهي قصيدة ملحمية ذات ثراء مُدهش دفعت به إلى الشهرة العالمية. لينال بعد سنتين جائزة نوبل في الأدب بسن الثانية والستين. وعلى الرغم من الشهرة العالمية المتأخرة فقد كان اسم والكوت معروفًا جدًا لدى القارئ الكاريبي نظرًا لأعماله المُذهلة السابقة.

إرث استعماري

وُلد والكوت في سانت لوسيا، وهي جزيرة صغيرة ذات جمالٍ أخّاذ. كان والده رسّامًا وشاعرًا والدته ناظرة مدرسة، قرأت على مسامعه الكثير من الكلاسيكيات. تحدّثت العائلة في البيت باللغة الإنجليزية، على الرغم من استخدام اللغة الفرنسية المحلية على نطاق واسع في الجزيرة. وقّر والكوت «تعليمه الجيّد للغة الإنجليزية»، والذي تضمن الانغماس في المرجعيّة الأدبية الغربية، بأعمال هومير وشيكسبير ودانتي وميلتون وإليوت وعزرا وجويس وييتس الذين أصبحوا المؤثرين البارزين فيه.

غالبًا ما تشير أعمال والكوت إلى لغة هذا التراث الغربي وأشكاله، لكن دائما ما يكون ذلك بهدف استكشاف ارتباطاته الشخصية الفريدة، والتي تركز الكثير منها على قضايا الاستعمار والهوية الكاريبية والإفريقية. يشير عمله أوميروس على سبيل المثال إلى إلياذة وأوديسة هوميروس، في تفحُّصه لموضوعات التشريد والمنفى في بيئة كاريبية حديثة.

الإشادة والجدل

نشر والكوت وهو لا يزال في مراهقته أول مجموعة شعريّةٍ له، بمبلغ مئتي دولار اقترضه من والدته. وبعد ذلك بعامين، كتب مسرحيته الأولى ومثّل فيها، وكانت بمثابة الانطلاقة لمسيرته المسرحيّة التي تضمنت المسرحية الحائزة على جائزة، مسرحية «حلم على جبل القرد (١٩٧٠)»، ومسرحية «تي جين وأخوته (١٩٧٢)»، ومسرحية «مهرّج إشبيلية (١٩٧٨)». أسّس والكوت ورشة مسرح ترينيداد عام (١٩٥٩)، ومسرح كتّاب بوسطن المسرحيين في جامعة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية (١٩٨١). لكن على الرغم من جهوده المسرحية هذه، فقد كان شعره سبب شهرته.

تخرّج والكوت في جامعة جزر الهند الغربية عام ١٩٥٣، وانتقل إلى ترينيداد للعمل مراسلا وناقدا أتت أولى نجاحاته الكبيرة في عام ١٩٦٩ مع نشر مجموعته الشعرية «في ليلة خضراء» في الولايات المتحدة الأمريكية. شغل والكوت منذ ثمانينات القرن العشرين وحتى عام ٢٠١٧ عدة وظائف جامعية، بما في ذلك جامعتي هارفارد وبيل، حيث درّس الشعر والكتابة الإبداعية والمسرح. نال العديد من الجوائز المرموقة، من بينها جائزة ت. س. إليوت للشعر عن مجموعته الشعرية الأخيرة «البلشون الأبيض» في عام ٢٠١٠.

كانت حياة والكوت مضطربة في كثير من الأحيان: انتهت ثلاث زيجات له بالطلاق، وتحولت صداقته مع المؤلف الهندي ف. س. نيبول إلى عداءٍ صريح. في عام ٢٠٠٩، سحب طلبه لمنصب أستاذ الشعر بجامعة أكسفورد ليصبحَ أستاذ الشعر في جامعة إسيكس من ٢٠١٠ إلى ٢٠١٣.

أكّدت صداقات والكوت مع شعراء رائدين مثل شيموس هيني وجوزيف برودسكي، والإعجاب المتبادل بينهم، على مكانته واحدا من أعظم الشّعراء الموقّرين على السّاحة العالميّة. ومع ذلك، عرّف والكوت نفسه بأنه كاتب كاريبيّ «دائما وقبل كل شيء»، واستمرَّ بالعيش والعمل في سانت لوسيا. تُوفي والكوت في السابع عشر من شهر آذار/ مارس عام ٢٠١٧ في منزله، ومُنح جنازةً رسمية.

▲ **البلشون الأبيض**

اختار والكوت، في مجموعته الشعرية «البلشون الأبيض» المنشورة قبل سبع سنوات من وفاته، طائر البلشون الأبيض الرائع الذي تزدان به سماء الكاريبي ليمثّل تأملاته الحميمية عن الصداقة، والفناء، ومرور الوقت. وربط جشع هذه «الملائكة الفضّة» بفضوله الحاذق «منقارٌ قلمي يلتقط الحشرات المتلوّية/ مثل الأسماء ويبتلعها».

الفردوس المفقود

كانت المناظر الطبيعية للكاريبي، ولا سيما بحرها، قوّةً مُحفّزة لأعمال والكوت الأدبية. وكان ناقدًا شرسا لصناعة السياحة بتأثيرها المدمّر في النظام البيئي الهش في المنطقة، وجشع الحكومات وعدم احترامها للتراث البيئي والثقافي والوطني. غضِبَ والكوت في عام ٢٠١٣ على نحو خاص من خطة حكومة سانت لوسيان لبناء فندق فخم عند سفح الصخور المُذهلة للجزيرة: «ما الذي يسعني قوله،» علّق يائسًا «عندما يوافق بلد على تشويه نفسه؟»



سفح الجبل المُسنن، مَعْلَمٌ بارز ومشهور لسانت لوسيا.

◀ **فنان وكاتب**

تدرّب ديريك والكوت، الظاهر هنا في الصورة، في بداية مشواره ليصبحَ فنانًا. وأعيد إنتاج لوحاته المائية النابضة بالحياة عن مشاهد الكاريبي على أغلفة بعض كتبه. تظهر واحدة من لوحاته عن مشاهد البحر أعلى اليمين الصورة.



توني موريسون

(١٩٣١-٢٠١٩) أمريكيّة

تعد روايات موريسون بمثابة استكشافاتٍ شعريّة قوية لتاريخ الأمريكيين السود. نالت كتاباتها الصادقة والمُكثَّفة الإشادة الدولية، وجعلتها أول امرأة من ذوي البشرة السوداء تنال جائزة نوبل في الأدب.

وُلدت كلوي ووفورد في بلدة لورين الصناعية الصغيرة بولاية أوهايو. عُرفت في شبابها بلقبها «توني» ثم نشرت لاحقًا تحت اسم موريسون؛ لقب عائلة زوجها هارولد الذي تزوجته في عام ١٩٥٨ وتطلقا في عام ١٩٦٤.

كانت موريسون الطفل الثاني لجورج عامل اللحام، وراما العاملة المنزلية، اللذين انتقلا من جورجيا هربًا من العنصرية والفصل العنصري السائد في الجنوب الأمريكي. تمتعت والدتها الميثوديّة بمهارة في الموسيقى والغناء وسرد الحكايات، لا سيما حكايات الأشباح التي تشرَّبتها من والدتها. علّمت الحكايات والأغاني الروحانيّة بوضوح مواضيع موريسون اللاحقة وساعدت في تشكيل أسلوب كتاباتها النثري التعويذيّ وحواراتها المُراقبة بحدَّة.

طالبة وأستاذة

تفوّقت موريسون في المدرسة بتشجيع من والديها، ووجدت إلهامًا عظيمًا في الأدب، حين أخذت تلتهم كل شيء من مسرحيّات حُجرة الرسم إلى الكلاسيكيات. التحقت في عام ١٩٤٩

◄ مسيرة متعددة الوجوه

نشرت موريسون، الظاهرة في الصورة هنا في عام ١٩٧٧، أحدَ عشر رواية وذات العدد تقريبًا من الكتب غير الروائية. كانت مدافعة بارزة عن حقوق السود، وتدريسيّة ذات إنجازاتٍ. وشغلت ما بين سني ١٩٨٩ و٢٠٠٦ مقعدًا في جامعة برينستون، حيث بقيت حتى وفاتها أستاذة فخرية.

بجامعة هاورد في واشنطن، وهناك، اختلطت ببعضٍ من أكثر المفكرين السود تميّزا في ذلك العصر، لكنها أُجبرت كذلك على مواجهة حقائق العيش في مدينة فصل عنصري يعكِّر صفوها هرمية عرقيّة خانقة.

شرعت موريسون بعد نيلها لدرجة الماجستير من جامعة كورنيل في نيويورك، بالعمل أستاذة للغة الإنجليزية. وعادت للتدريس في جامعة هاورد، وانضمت إلى مجموعة الكتابة الإبداعية. وهناك، طوّرت موريسون قصة قصيرة شكّلت الأساس لما ستصبح روايتها الأولى، «العين الأشدّ زُرقة (١٩٧٠)»، التي تستكشف فيها إقصاء النساء السود من الثقافة الشعبية.

طغت الروايات التاريخية على أغلب رواياتها، واستحضرت من خلال أعمالها التي كتبتها جوانبَ قصة الأمريكيين من أصل إفريقي ما عدَّتها سابقًا «غير المسرودة ولا المُتفحَّصة». كانت المؤلفة تهدف، بالكتابة من الداخل، إلى تحرير الأصوات التي تعرضت لإخراسٍ شرس؛ الفعل الذي وصفته شخصية سيث في روايتها «محبوبة» بـ «إعادة الذكريات». استمرّت موريسون بالكتابة الروائية، ونُشرت آخر رواياتها «ليكن الرّب في عون الطفلة» عام ٢٠١٥. تُوفيت موريسون في بلدة مسقط رأسها في لورين، أوهايو عام ٢٠١٩.



▲ مجتمع مُقسَّم

تظهر هذه الحفلة في مزرعة في ألاباما بوضوح حقائق التمييز والفصل العنصري في جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية- غياب العدالة الذي عالجته موريسون في رواياتها.

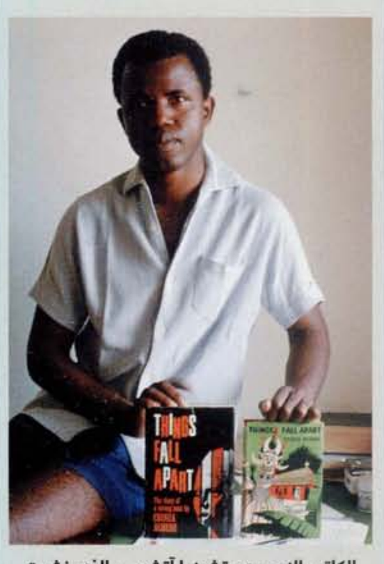


▲ التشريف الرئاسي

احتُفي بموريسون روائيةً على نطاق واسع. نالت في عام ١٩٩٣ جائزة نوبل في الأدب عن أعمالها «التي تميَّزت بالقوة الخيالية والمضمون الشِّعري». واستملت قلادة الحرية الرئاسية (الظاهرة أعلاه) -أعلى وسام مدني في الولايات المتحدة الأمريكية- في عام ٢٠١٢.

نجاحات النشر

عملت موريسون، المطلقة والأم لطفلين، محررة في دار نشر راندوم هاوس في نيويورك منذ عام ١٩٦٧، وكانت تكتب فقط في ساعات النهار الأولى حين يكون طفلاها نائمين. كانت موريسون بطلة الكتابة السوداء، مُطوِّرة مجموعة «الأدب الإفريقي المعاصر (١٩٧٢)»، وهي مجموعة استعرضت أعمالَ وولي سوينكا، وتشينوا آتشيبي، وأثول فوغارد، وكتّاب آخرين. نشرت أيضًا سيرة ذاتية مثيرة للجدل عن محمد علي، وأنتجت «الكتاب الأسود (١٩٧٤)» الذي وثّق حياة السود في الولايات المتحدة الأمريكية منذ عصر العبودية فصاعدًا.



الكاتب النيجيري، تشينوا آتشيبي، الذي نشرت أعماله من قبل موريسون

> «كانت قصتها مُحتملة لأنها كانت قصّته هو الآخر؛ ليسردها ويجوّدها ويسردها مرة أخرى».
>
> **محبوبة – توني موريسون.**

أليس مونرو

(١٩٣١-) كنديّة

اشتهرت مونرو، الحائزة على جائزة نوبل في الأدب، بكشفها الحجاب عن عجائب الحياة اليومية، فكتبت أروع القصص القصيرة المُستخلصة من حياة وأفكار أبناء شعبها العاديين في موطنها كندا.

وُلدت أليس آن ليدلو عام ١٩٣١، ونشأت على مزرعة والدها المُتعثرة التي تُنتج فراء حيوانات المنك والثعالب في ضواحي وينغهام، وهي بلدة ريفية في مقاطعة هورون، أونتاريو، كندا.

لم تكن أليس ووالدتها في مكانهما الطبيعي والملائم داخل هذا المجتمع: تحوّلت والدتها المُعلّمة إلى زوجة مزارع، وكانت طفلتها «الذكية لدرجةٍ قد لا تكون في صالحها» تختلق القصص في طريقها الطويل إلى المدرسة. عندما أُصيبت والدتها بمرض التصلب العصبي التعددي، بقيت أليس في المنزل لرعاية والدتها المريضة وشقيقتها وشقيقها الأصغر.

فازت أليس بمنحة دراسية لدراسة اللغة الإنجليزية والصحافة في جامعة ويسترن أونتاريو، لكنَّ مُدّخراتها نفدت قبل التخرج. وتزَّوجت بسن الواحدة والعشرين طالبًا هو «جيمس مونرو»، وانتقلا معا إلى ويست فانكوفر وأنجبت طفلها الأول. أنتجت أليس على مدار الخمس عشرة سنة اللاحقة قصصا قصيرة للمجلات والإذاعة، وكتبت على نحو محموم أثناء مراحل حملها، ثم في أوقات قيلولة أطفالها، وساعات المدرسة، وخلال الليل، خشية ألّا تحظى بهذا الوقت للكتابة مجددًا. أنجبت أليس ثلاث بنات أخريات، لكن طفلتها الثانية ماتت بعد وقت قصير من ولادتها. قالت بعد سنوات في المقابلة التي أجرتها بخصوص جائزة نوبل: «كنتُ أستهلكُ نفسي بشدة عندما أكتب، لكني كنتُ أنهض دائما لأعدّ الغداء لأطفالي».

▾ **مقاطعة هورون**

استخرجت مورنو ثراءها من أصولها المتواضعة في مقاطعة هورون، أونتاريو. عادت قصصها بالزمن مرة، وفي أخرى إلى المجتمعات الريفية بتعقيد شخصياتها وتواريخها السريّة.

إتقان القصّة

كانت أليس بسن السابعة والثلاثين عندما نشرت مجموعتها القصصية المختارة الأولى «رقصةُ الظلال السعيدة (١٩٦٨)» وفازت عنها بجائزة "The Governor General's Award"، وهي أعلى جائزة أدبية في كندا. انتقلت العائلة في هذه الأثناء إلى تورنتو وفتحت متجرَ كتب. بعد ذلك، حاولت أليس كتابة رواية من نوع رواية التكوين الشبابية (انتقال من الشباب إلى البلوغ)، لكنها عادت في منتصف الطريق إلى الشكل المألوف لديها، القصة القصيرة، ونشرت العمل في مجموعة قصصية بعنوان «حياة الصبايا والنساء» في عام ١٩٧١. تتذكر أليس قائلة «حينها علمت بأنّي لن أكتب رواية حقيقية أبدا لأنني لا أستطيع التفكير بتلك الطريقة». كانت أليس أستاذة في الكشف لا السرد، فهي تكتب قصصها بأحداث قليلة لكنها تتمتع بعمق الروايات. لقد رسمت شخصياتٍ معقّدة وثرية، وامتلكت عبقرية التنقيب في جوهرها للكشف عمّا يجعل جميع الأرواح رائعة وشريرة في معظمها.



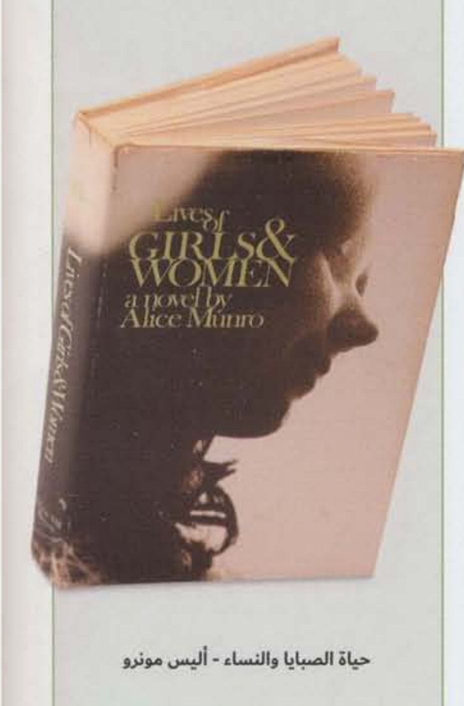
الأعمال الأخيرة

نشرت أليس منذ الثمانينات مجموعة قصصية واحدة في الأقل كل أربع سنوات. وفازت بقرابة عشرين جائزة كندية وأمريكية وبريطانية كبرى، عن أعمالٍ مثل «أسرار مُعلنة (١٩٩٤)»، و «حب امرأة طيبة (١٩٩٨)»، و «الهاربة (٢٠٠٤)»، بما في ذلك جائزة مان بوكر الدولية عام ٢٠٠٩، وجائزة نوبل في الأدب عام ٢٠١٣.

انتقلت أليس بعد زواجها الثاني من الجُغرافيّ جيري فريملين إلى بلدة كلنتون في ريف أونتاريو، التي تقع على بُعد ٣٠ كيلو مترا من المنطقة التي ترعرع الزوجان فيها. اعتزلت الكتابة في عام ٢٠١٣ بسن الحادية والثمانين، وكان كتابها الأخير «عزيزتي الحياة» مجموعة من أربع قصص «ليست قصصًا بالمعنى الحرفي» شكلّت ما قالت عنها «أقرب الأشياء التي عليّ قولها عن حياتي».

السرد غير الخطّي

كانت أليس من أوائل المبتكرين للسرد غير الخطي، والذي يقفز بين الحاضر والماضي والمستقبل. كانت تحجب أحداث قصصها وأحيانا كان كشفها لتلك القصص جزئيا فحسب: أثرٌ قديم تمسكه الشخصية فيستحضرُ ذكرى من الماضي، أو سرٌّ يطفو على السطح في الحاضر من خلال قصاصة صحيفة أو من على شفاه شاهد غير موثوق. قد تأتي شخصية أخرى على ذكر ما سرده الراوي من أحداث، مسلطةً الضوء على فعل السرد نفسه. تصف أليس كتابتها بأنها «طبيعية» لكنها ليست عطيّةً سهلة. كانت تُعيد نسخ تدويناتها القصيرة المكتوبة بخط اليد وتكتبها على الآلة الكاتبة، وتُخضع كتاباتها كذلك لتنقيح ومراجعة مُكثّفين من أجل التقاط دقّة الحياة وتعقيدها في نثرها البلّوري.



حياة الصبايا والنساء - أليس مونرو

◂ **تشيخوف الكنديّ**

فازت أليس مونرو بجائزة نوبل في الأدب بسن الثانية والثمانين، وكانت واحدة من بين ثلاث عشرة امرأة نالت الجائزة. قُوبلت أعمالها مع أعمال تشيخوف، أحداث قليلة لكنها تكشف الكثير.



نوال السعداوي

(١٩٣١-) مصريّة

كرّست السعداوي كثيرًا من حياتها لفضح الاضطهاد الواقع على المرأة في العالم العربي ومعالجة قضايا الجندر والطبقية. تعرضت للاضطهاد في وطنها في الوقت الذي كان العالم كله يشيد بها.

تستمدّ كتابات نوال السعداوي جذورها من النسوية والسياسة ومن خبرتها طبيبة وأخصائية نفسية في العالم العربي. كتبت العديد من الأعمال التي تناولت قضية المرأة، ومن أشهرها رواية «امرأة عند النقطة صفر (١٩٧٠)» التي تحكي قصة فردوس، امرأة أبيّة فصيحة حُكم عليها بالإعدام لقتلها قوّادًا. حُظرت الرواية في العديد من دول الشرق الأوسط، وكانت الرواية مبنية على قصّة حقيقية وفقًا للقاءٍ أجرته السعداوي مع امرأةٍ كانت بانتظار تنفيذ حكم الإعدام في سجن القناطر النسائي سيئ السمعة في مصر.

وُلدت نوال السعداوي عام ١٩٣١ في كفر طلحة، وهي قرية على ضفاف نهر النيل. تطوَّر وعيها السياسي في وقتٍ مبكّر من حياتها: تروي نوال في سيرتها الذاتية كيف أنها عندما أخبرتها جدّتها بأنَّ «ولد واحد يساوي خمس عشرة بنتًا... البنات لعنة»، ضربت الأرض بقدمها في غضب. قاست السعداوي تجربة الختان المرعبة في سن السادسة، وهي عادة تُطبَّق على نطاق واسع في مصر لأسباب دينية واجتماعية. تكتب السعداوي عن هذه التجربة «كان الألم هنالك مثل دُمَّلة مغروزة عميقًا في لحمي»، ولم تتوقف قط عن تحدّي الممارسات المُسيئة للمرأة في أعمالها.

النشاط السياسي

خاضت السعداوي بلا هوادة حملات ضد ختان الإناث وغيره من أشكال اضطهاد الرجل للمرأة في العالم العربي. عملت ما بين ١٩٧٩-٨٠ مُستشارة للأمم المتحدة لبرنامج النساء في إفريقيا والشرق الأوسط. عارضت الإسلام السياسي وناهضت الإمبريالية الغربية والبُنية الطبقيّة في البلدان العربية، التي تعدها قوى متآمرة لإبقاء النساء مواطنات من الدرجة الثانية. انضمَّت السعداوي في عام ٢٠١١ إلى الاحتجاجات في ميدان التحرير بالقاهرة، التي أطاحت بالرئيس حسني مبارك.



فتاة في ساحة التحرير إبّان الثورة المصريّة، والتي بدأت احتجاجًا على وحشيّة الشرطة.

طبيبة، ونسويّة، وناشطة

تدرّبت السعداوي طبيبة في جامعة القاهرة، وتخصصت في الطب النفسي. عادت لممارسة المهنة في قريتها، حيث شهدت عيانًا الفظائع التي تتعرض لها النساء، وكتبت رواياتها الأولى «مذكرات طبيبة (١٩٥٨)». عُينت السعداوي مديرة للصحة العامة في مصر عام ١٩٦٣، لكنها فُصلت من منصبها إثر نشرها كتاب «المرأة والجنس (١٩٧٢)»، تناولت فيه موضوع ختان الإناث والممارسات القمعيّة الأخرى بحق المرأة في إطار نقاش نقدي. لتصبح بعد ذلك شخصية مراقبة من السلطات التي عدَّتها مُخرِّبة خَطِرة إلا إنها استمرَّت بالكتابة بغزارة. سُجنت السعداوي بعد نقدها لرئيس مصر السادات في سجن القناطر بتهمة «ارتكاب جرائم ضد الدولة». وكتبت في السجن «مذكرات من سجن النساء» على ورق حمام مستخدمة قلم كُحلٍ مُهرَّب. أُطلِق سراح السعداوي بعد ثلاثة أشهر من اغتيال السادات.

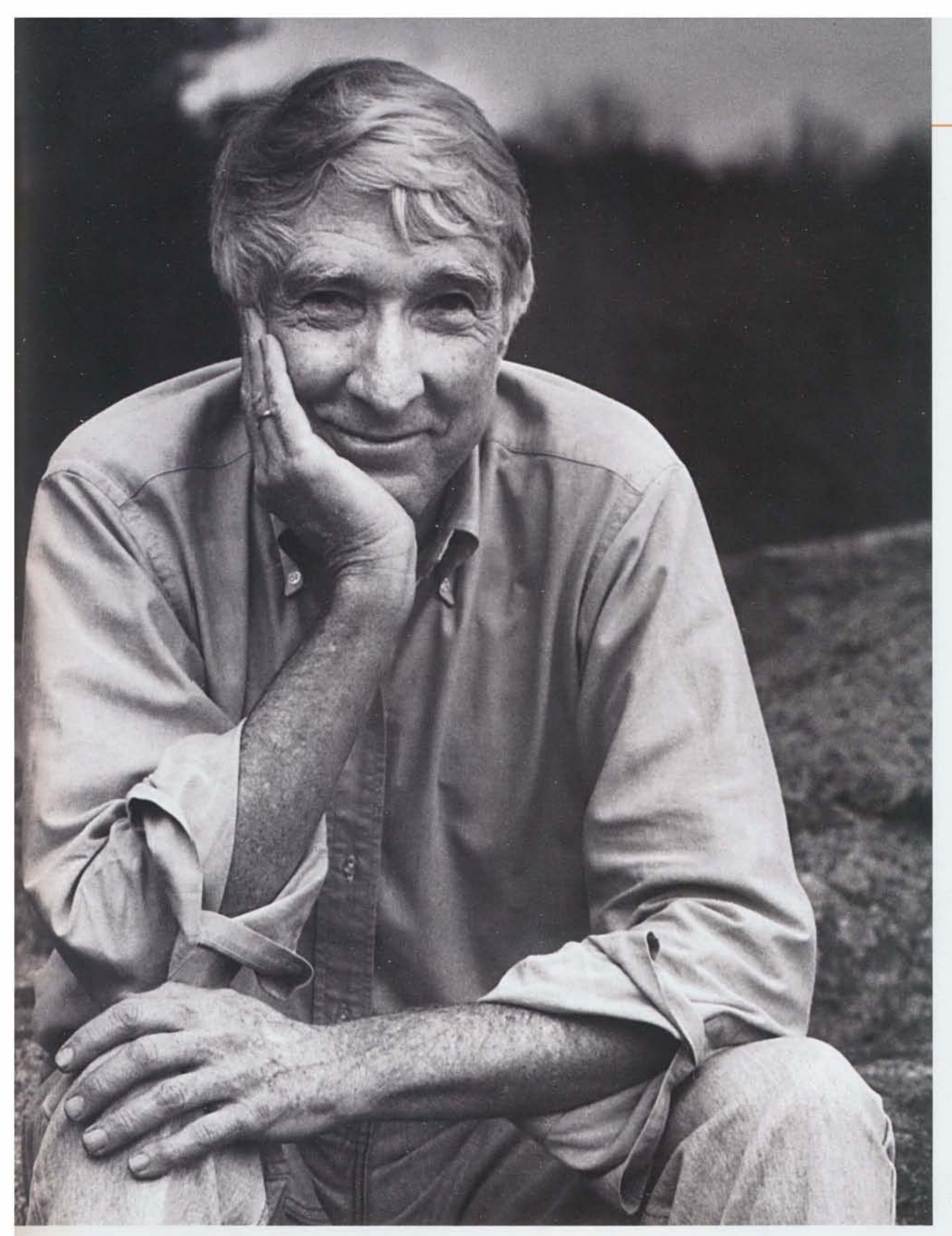
دفعها تزايد الاضطهاد والتهديدات بالقتل آنذاك إلى الفرار هي وزوجها من مصر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث شغلت العديد من المناصب الأكاديمية. عادت نوال إلى مصر في عام ١٩٩٦ وواصلت الكتابة والنشاط السياسي. تضمَّنت أحدث أعمالها رواية «زينة (٢٠٠٩)»، وهي رواية تَقفي أثر حياة امرأتين، بدور وابنتها المُتخلّى عنها زينة، اللتان تواجهان قمع النظام الأبوي بوسائلَ متباينة.

> «أصبحَ الخطرُ جزءًا من حياتي منذ أن التقطت القلم وكتبتُ. لا شيء محفوفًا بالمخاطر أكثر من الحقيقة في عالم يكذب».
>
> **نوال السعداوي.**

◂ قوة الطبيعة

إنَّ نوال السعداوي كاتبةٌ غزيرةُ الإنتاج وناشطة متّقدة. نشرت أكثر من خمسين كتابًا على الرغم من الرقابة النظامية والتقريع الرسمي، وأبانت مؤخرًا بأنها «أصبحت أكثر أصولية مع تقدُّمها بالسن».





جون أبدايك، ١٩٩١
في زمن التقاط هذه الصورة، كان أبدايك يعيش في بيفيرلي، ماساشوستس، مع زوجته الثانية، مارثا راغلز بيرنارد، التي تزوجها عام ١٩٧٧.

جون أبدايك

(١٩٣٢-٢٠٠٩) أمريكيّ

ظلّ كاتب القصة القصيرة والروائي غزير الإنتاج، أبدايك، على قمة مهنته طوال مسيرته. كانت موهبته وصفَ مشاغل الحياة اليومية بنثر فريد وحسّاس وكاشف.

«كان واجبي الوحيد وصفَ الواقع كما أتى إليَّ، وأن أرد للدنيويّ دَيْنَه الجميل»

القصص الأولى – جون أبدايك.

وُلد جون أبدايك في ريدنغ بولاية بنسلفانيا عام ١٩٣٢. وعلى الرغم من فقر والديه، فقد حقق أبدايك علامات رائعة في المدرسة، وفاز بمنحة دراسية في جامعة هارفارد، حيث أصبح محررا لصحيفة هارفارد لامبون. رغب أبدايك بأن يصبح رسَّام رسوم متحركة لكنه وقبل أن يشرع بتغذية هذه المسيرة كان قد بدأ بجني مال لا بأس به عن طريق الكتابة. تزوّج أبدايك في خمسينات القرن الماضي وعاش مع زوجته الحبلى مدة يسيرة في مدينة نيويورك. وساهم في شبابه بمجلة The New Yorker المعتبرة حيث عملَ محررًا مع العظيم وليم ماكسويل، الذي تبنّى العديد من المؤلفين الرئيسيين في القرن العشرين من بينهم ج. د. سالينجر، وأودورا ويلتي، وجون تشيفر. انتقل أبدايك في عام ١٩٥٧ مع عائلته إلى الريف الذي شعر بالانتماء إليه، واستقرَّ في إيبوتش بولاية ماساشوستس، حيث كان جيرانه من أهل الضواحي الذين يعملون بجد، ويذهبون إلى الكنيسة، ويعيشون حياة الطبقة المتوسطة؛



مجلة النيويوركر

كان أبدايك مساهما في مجلة النيويوركر خلال حياته بالكتابة الخيالية، والشعر، والمقالات والنقد.

السمات التي ستزوده بمواضيع ومواد لأعماله الروائية لسنوات عديدة. مثل أيّ كاتب شاب فقد كان أبدايك كاتبًا غزيرًا، وطُلب عمله جدًا فتمكّن من أن ينفق على عائلته عن طريق الكتابة وبسن الرابعة والعشرين فحسب.

وقائع الضواحي

نشرَ أبدايك في عام ١٩٥٩ روايته الأولى «معرض الملجأ» وألحقها بعد سنة برواية «رابيت، اركض»؛ الرواية الأولى من سلسلة «رابيت» التي ستجعله واحدًا من كتّاب أمريكا الطلائعيين، وهو الكتاب الذي ما يزال كثيرون يعدُّون أفضل ما كتب. تتّبع السلسلة المكونة من أربع روايات ونوفيلا هاري «رابيت» أنغستروم، وهو رجل عادي من الطبقة المتوسطة في بريوير بنسلفانيا، ابتداءً من شبابه العبثي ومرورًا بحياته الثريّة في كهولته (وإن كانت تعيسة وساخطة) ثم انتهاءً بموته. تميّزت هذه السلسلة بنثر أبدايك الغني والاستثنائي الذي جعل كل تفاصيل الحياة اليومية تُشرق بالجمال والدلالة. كانت شخصية رابيت مميزة لأنها بذات سن أبدايك، وكتبت السلسلة في فواصل زمنية نحو كتاب كل عشر سنوات. فازت السلسلة (١٩٦١-٢٠٠٠) بجائزتيْ بوليتزر، وتقف مَعْلَمًا للوحدة والتمرُّد واليأس في قلب الازدهار الاقتصادي للولايات المتحدة الأمريكية في مرحلة ما بعد الحرب.

كتب أبدايك عن تدهور الأخلاق المسيحية في الخمسينات من القرن الماضي وتأثيرات الثورة الجنسية في الستينات في المجتمع، وذلك في روايته «أزواج (١٩٦٨)». أثار الكتاب جدلًا بسبب أوصافه الدقيقة -التي عدها بعض النقّاد مُتكلّفة ومبالغًا فيها- للشهوانية والعلاقات الجنسية بين مجموعة من العاملين من أهل الضواحي الذين يستخدمون الجنس لإخفاء مخاوفهم الوجوديّة.

ظلّت إنتاجية أبدايك وفضوله متّقدين حتى مع تقدّمه في السن، وجرب في وقت لاحق من حياته الكتابة حول مجموعة متنوعة من الموضوعات، فكتب عن الدكتاتورية الإفريقية «الانقلاب (١٩٧٨)» وعن مستقبل ما بعد الكارثة الأرضية (خيال علمي) «نحو نهاية الزمان (١٩٩٧)»، ومقدّمة لهاملت «جيرترود وكلوديوس (٢٠٠٠)». توفي أبدايك في دار رعاية ماساتشوستس بعد معركةٍ طويلة مع سرطان الرّئة.

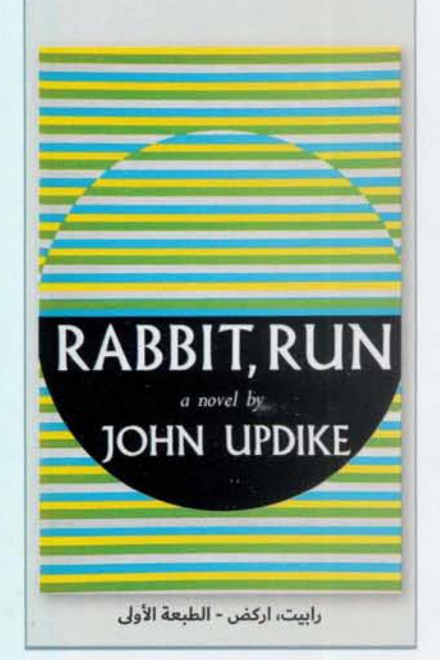


منزل بُولي دُولي

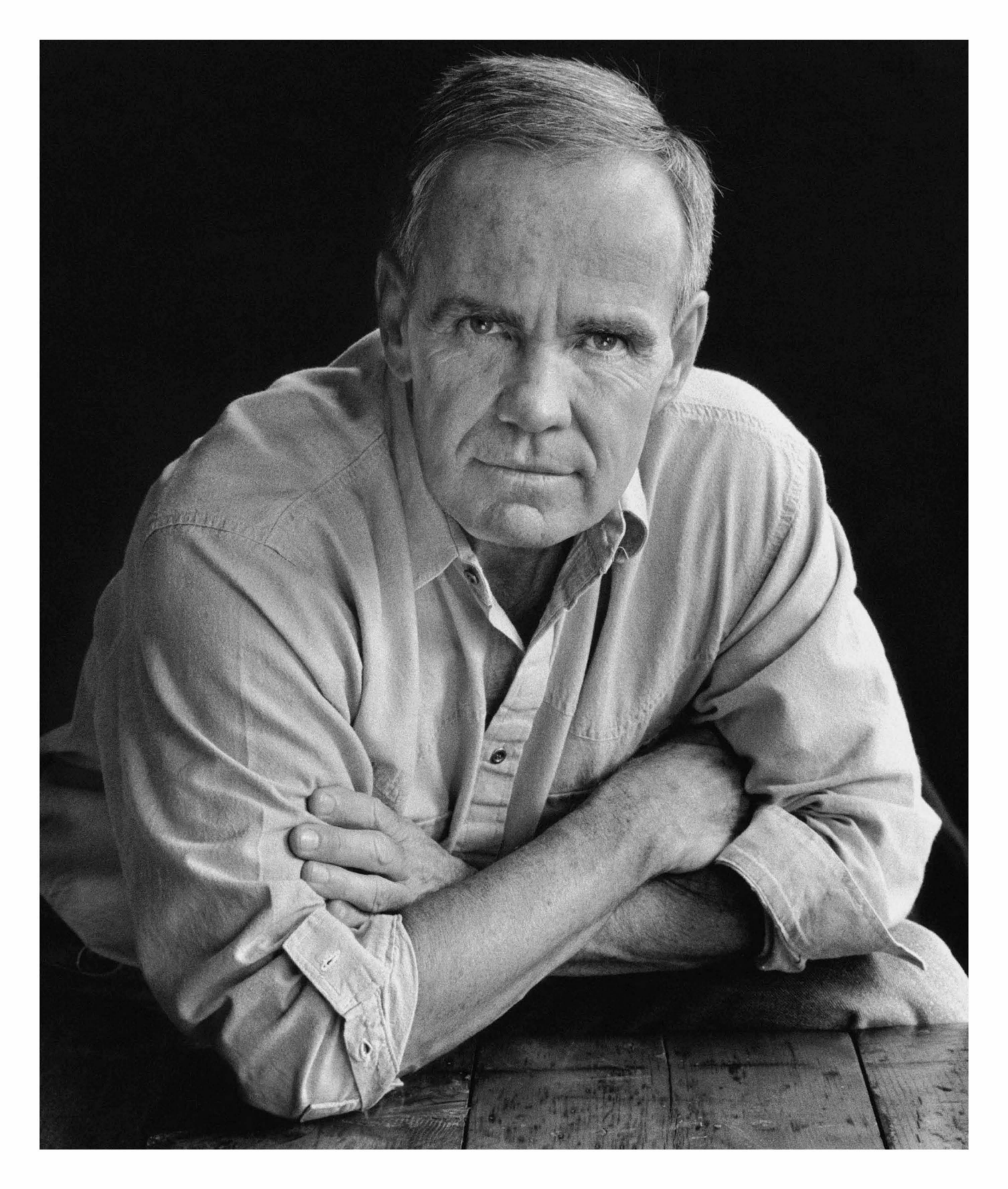
يعود تاريخ أجزاء من بناء هذا المنزل التاريخيّ البديع في إبسويتش، ماساشوستس، إلى سنة ١٦٨٠. قطن أبدايك هنا مع زوجته الأولى، ماري، وربّما أطفالهما الأربعة فيه. تطلّق الزوجان عام ١٩٧٤.

تكرار الشخصيات

اشتهر الروائيون الأدبيون، مثل جون أبدايك ومعاصره فيليب روث (الذي كتب تسع روايات حول شخصيته الروائية البديلة ناثان زوكرمان)، بكتابة سلسلة من الكتب التي تتبع شخصية واحدة. تسمح مثل هذه السلاسل للمؤلف برسم تطوّر شخصيته بمرور الوقت، واستعراض التغيير في خلفيته السياسية والاجتماعية على نحو يستحيل وجوده في كتابٍ واحد. من الجليّ أن الألفة والمعرفة تمنح ميزة تجارية كذلك: يحبّ القرّاء متابعة تقدُّم الشخصية، ويستمتع المؤلفون بالعودة إلى الموضوعات ذاتها. كانت كتابة أبدايك عن رابيت: «مثل العودة إلى المنزل كل عشر سنوات وأداء زيارة له».



رابيت، اركض - الطبعة الأولى



كورماك مكارثي

(١٩٣٣-) أمريكيّ

يُعدُّ مكارثي واحدًا من أكثر الكتّاب الأمريكيين غموضا، وأصبحَ واحدًا من أكثرهم شعبيةً بفضل رواياته الكئيبة والرصينة عن الرجال الذين يصارعون من أجل البقاء في الطبيعة القاسية.

وُلد كورماك (وُلد باسم تشارلز) مكارثي في ولاية رود آيلاند لكنه ترعرعَ في نوكسفيل بولاية تينيسي. عمل والده لدى سلطات تينيسي فالي، وكان جزءًا من وظيفته الاشتراك في نقل السكّان من التلال التي قطنوها لأجيال، حتى يكون بالإمكان غمر تلك المناطق بالمياه بعد بناء سدٍ هناك. ويبدو أنَّ هذا كان له تأثير كبير في الصبي مكارثي الذي حافظ على تعاطفه وافتتانه بأولئك الريفيين، مُستلهمًا رواياته الأربع الاولى من حياتهم وأوضاعهم.

القوطيّة الأمريكيّة

التحق مكارثي في الخمسينات بجامعة تينيسي قبل أن يقضي أربع سنوات في القوات الجوية الأمريكية، ثم اختار ألا يُنهي دراسته، وأن يحاول شقَّ طريقه كاتبًا. كانت بداية رواياته الأربع الأولى مع «حارس البستان» في عام ١٩٦٥، وقد نالت جميعها مراجعات حسنة، وأكسبت مكارثي جوائزَ ومنحاً كافية أتاحت له الاستمرار بالكتابة. لكنَّ مواضيع رواياته التي غلبت عليها البشاعة في معظم الأحيان؛ بما في ذلك قتل الأطفال وسفاح المحارم المُثلة ونكاح الأموات، لم تُمكّن من إصدار طبعة ثانية من كتبه، ما جعل مكارثي في عوز دائم إلى المال.

انتقل مكارثي في منتصف الثمانينات -كان قد تطلّق مرتين- إلى إلباسو في تكساس، حيث كان بمقدوره البحث على نحوٍ أفضلَ عن المواد التي يحتاجها لكتابة روايته «خط الدم» وهي رواية نصف تاريخية وعنيفة بتطرف في معاداتها لنوع رواية «الغرب الأمريكي» التي علّمت النضوج الجديد في أعماله. اتَّخذت مسيرته المهنية مسارًا جديدًا بروايته الناجحة «كل الخيول الجميلة (١٩٩٢)»، الفائزة بجائزة الكتاب الوطني. كانت هذه الرواية الجزء الأول من ثلاثية الحدود، التي عرض فيها حياتيْ شابّين في مرحلة البلوغ في جنوبي غرب الولايات المتحدة والمكسيك.

يكتب مكارثي عن الرجال الذي يصارعون في عالم عديم الشفقة، مجابهين بقدراتهم الشخصية الشرَّ وسط أماكن طبيعية موحشة وقاتمة بالقدر ذاته. عُدَّ عمله مساهمة جادة في نوع الرواية القوطية الجنوبية، جنبًا إلى جنب مع أعمال وليم فوكنر وفلانيري أوكونور، كما أنه أضاف أبعادًا قاتمة لرواية الغرب الأمريكي.

تزوّج مكارثي للمرة الثالثة في حياته جينيفر وينكلي في عام ١٩٩٧، وأنجب منها ابنًا (ابنه الثاني). قال مكارثي إنّ كونه أبًا هو ما دفعه لكتابة رواية «الطريق» التي تصدَّرت قوائم المبيعات، وهي قصة رحلة رجل مع ابنه في طبيعة ما بعد الخراب المستقبلي (خيال عملي عن الكارثة الأرضية).

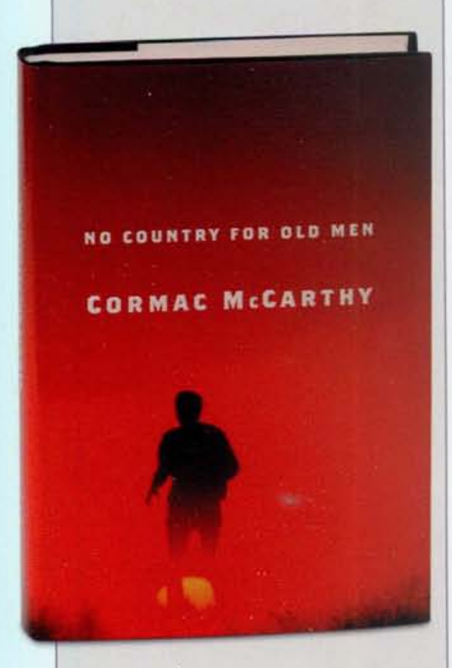


▲ **الأسلوب الجنوبيّ**
عُرِفَ مكارثي لقصصه ذات الأخلاقية المُحيِّرة، والتي جرت على نحو كبير في الولايات الجنوبية لأمريكا. استخدم هذه الأراضي الطبيعية لتخريب التمثيلات التقليدية لراعي البقر البطولي في الفولكلور الأمريكي.

▸ **كورماك مكارثي**
تُظهر هذه الصورة الكاتب المُنعزل في عام ١٩٩١. نادرًا ما ظهر مكارثي في العلن، وصدم العالم الأدبي بظهوره مع في برنامج أوبرا وينفري عام ٢٠٠٧.

تقليل الإلهاء

رفَض مكارثي دائما استخدام علامات الاقتباس للإشارة إلى الحوار، ونادرًا ما يشير إلى المتحدث. في الحقيقة، أعرَض مكارثي عن استخدام علامات الترقيم بقدر ما أُتيحَ له ذلك، واقتفى في هذا أثرَ وليم فوكنر وجيمس جويس. يقول ماكارثي: «ما من سبب يجعلني ألُطّخ الورقة بعلاماتٍ صغيرة غريبة... إذا كتبت على نحو لائق فلن تضطر إلى الترقيم». ونتيجة لذلك فقد ظهرت صفحات أعماله المطبوعة واضحة ومتناثرة، وغالبًا ما كررت كتابات مكارثي صدى الطبيعة العنيفة والصارمة التي تدور فيها أعماله، وربما أيضًا البساطة المُقلّصة والقسوة لسرده.



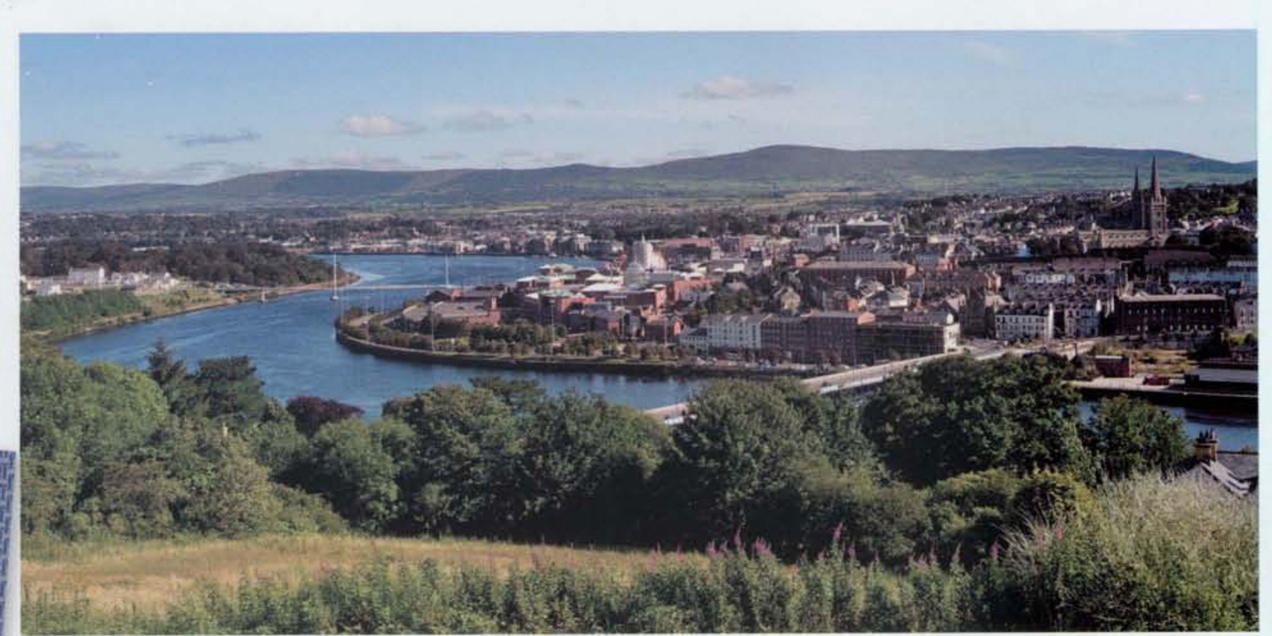
الكبار لا وطن لهم (٢٠٠٥)، جسّدت أسلوب مكارثي

> «يومي المثالي هو الجلوس في غرفة مع بعض الأوراق البيضاء. هذا هو النعيم. هذا هو الذهب، وكل ما سواه محض مضيعة للوقت».
>
> **كورماك مكارثي.**

شيموس هيني

(١٩٣٩-٢٠١٣) أيرلنديّ

يُعدُّ هيني واحدًا من أعظم الشعراء الرثائيين المعاصرين وناقدًا أدبيًا مرموقًا ومترجمًا. نالت أعماله التي استعرضت النصوص القديمة، واضطرابات أيرلندا الشمالية والحبَّ بكل أنواعه إعجابَ العالم أجمع.



▲ **ديري ونهر فولي**
شكّلت أيرلندا الشمالية خلفية حياة هيني وعمله. كانت طفولته مباركة بالحب الأسري والمترسّخة بقوة بالمجتمع المحليّ.

وُلدَ شيموس جاستين هيني في عام ١٩٣٩، الابن الأول من تسعة أطفال، لتاجر ماشية يدعى «باتريك» وزوجته «مارجريت». نشأ هيني كاثوليكيًّا في مزرعة العائلة في مقاطعة ديري، في ريف أيرلندا الشمالية، وبدأ التعليم في مدرسة أناهوريش الابتدائية، بالقرب من قريته بيلاغي. أدرَك هيني في وقت لاحق القيم التي غرستها المدرسة، فأكبرها في نفسه مُفتخرًا بأنه تعلّمها في «أكواخ الصفيح». ولا يزال سكّان مقاطعة ديري يكيلون الثناء لهيني بكونه «رجل بيلاغي المتواضع».

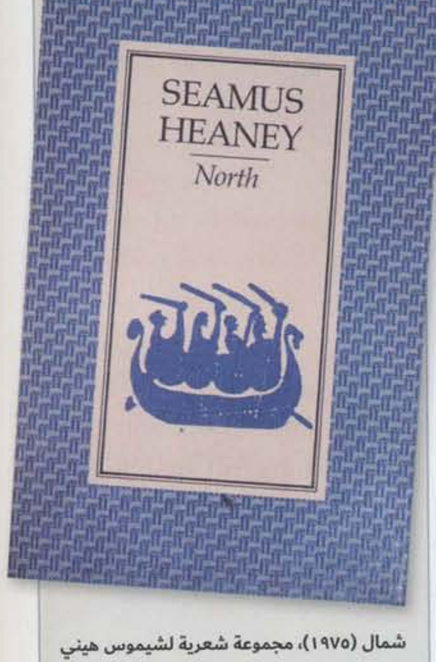
اشتركت العديد من قصائد هيني في توقير الماضي، مستمدًا إياها من طفولته والقيم والتراث في مجتمعه المحليّ، وغالبًا ما ركّز على التفاصيل الدقيقة للوجود. فيتذكر مثلًا في «شروق الشمس» خَبزَ عمته، وفي «الصَّهر» عملَ حدَّاد القرية (الذي كان استعارة لحِرفة الشاعر). لكن بما أنه فتى ترعرع في الحرب العالمية الثانية فقد شهدَ أيضًا المناورات في القاعدة الجوية الأمريكية القريبة من سُكناه التي ألمحت إلى عالمٍ مُختلف جدًا يتجاوز أمن بيلاغي وأُلفتها. كانت هذه التأثيرات المبكرة هي التي شكلت المشهد الشخصي والثقافي والوطني لهيني، والتي غذّت فيما بعد شعره.

الجنة والجحيم

فاز هيني في عام ١٩٥١ بمنحةٍ دراسية لمدرسةٍ كاثوليكية داخلية في ديري، على بُعد ٤٠ ميلًا عن بيته. تعلّم في هذه المدرسة اللغتين اللاتينية والأيرلندية اللتين كانتا محوريّتين في نضوجه شاعرا. أشار لانتقاله الأول هذا بأنه التحول من «أرض العمل الزراعي إلى جنة التعليم»، لكن هذه الجنّة لم تدم طويلا: تُوفي أخوه كريستوفر ذو الأربعة أعوام في حادثة سيارة. وصف هيني هذه الخسارة بشعر قصير في قصيدة «استراحة

بداية الاضطرابات

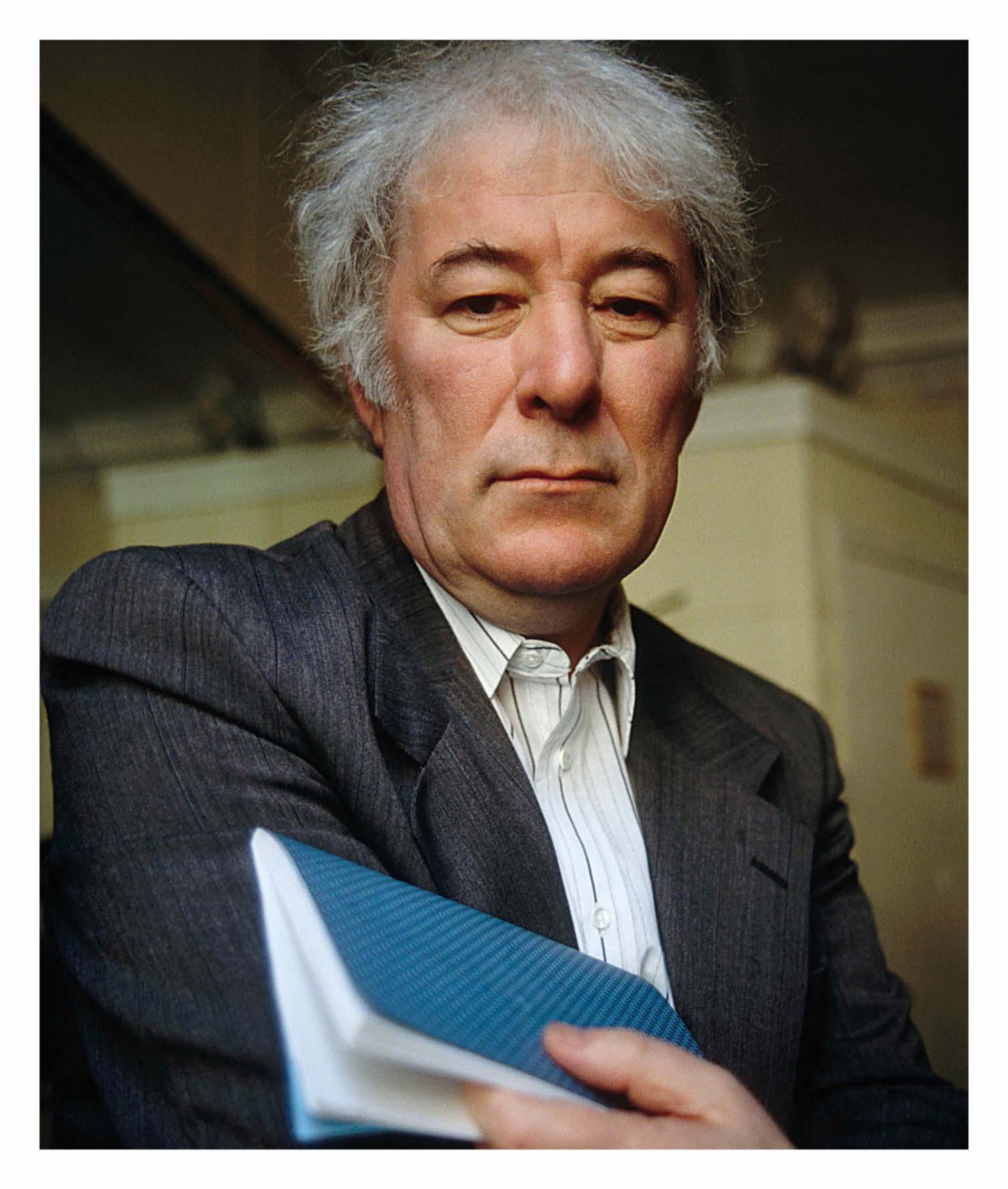
ماج الوضع السياسي لأيرلندا الشمالية واضطرب في أواخر الستينات، وكان المتطرفون الكاثوليكيون مستعدين للقتال ضد الحكم البريطاني لصالح جمهورية أيرلندا الموحّدة. وفي الخامس من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٦٨ منعت شرطة Royal Ulster Constabulary مسيرةً مطالبة بالحقوق المدنية في مقاطعة ديري من التقدُّم، وأُصيب العديد من المحتَّجين خلال المسيرة. تزايدت العداوات في العقد اللاحق ما بين النقابيين (مؤيدو الحكم البريطاني) والجمهوريين الكاثوليكيين، وبدأ هيني إثرها في تصوير الصراع الذي اتَّسم بالعنف في معظم الأحيان في سياق تاريخي أوسع، كما في مجموعته الشعرية «نهاية الشتاء (١٩٧٣)» و«شمال (١٩٧٥)».



شمال (١٩٧٥)، مجموعة شعرية لشيموس هيني

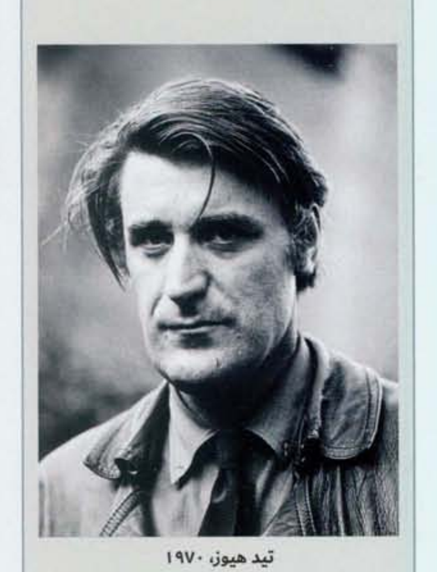
> «والشاعر يرسم من كلماته المخزونة حكاية عجيبة عن الحياة والحبِّ المُحبّطين»
>
> **شيموس هيني.**

◀ **شيموس هيني، ١٩٩٥**
كان هيني، ذو الشعبية ونزعة الأُنس، مدرِّسًا ذا كاريزما ومذيعًا وقارئًا بارعًا لأعماله. صُوِّر هنا في سنة فوزه بجائزة نوبل في الأدب



التعاون الأدبي

ضمَّت شبكة هيني الأدبية العديد من الهامات الباسقة من ضمنهم ديريك والكوت، وروبرت لوويل، وجوزيف برودسكي. لكنه عمل على نحو أكبر مع الكاتب تيد هيوز (١٩٣٠-١٩٩٨)، الذي علَّمت فضائع الحرب -كما لدى هيني- الكثير من شعره. جمَّع الشاعران وحرَّرا «The Rattlebag ١٩٨٢» و«The Schoolbag ١٩٩٧» المختارات الشعرية الموجزة والمختصرة للشعر الإنجليزي التي استعان بها المعلمون على نطاق واسع في جميع أنحاء العالم في تدريس الشعر.



تيد هيوز، ١٩٧٠

الفصل الدراسي»: رقدَ في صندوقه، طوله أربع أقدام كمهْدِه/ ما من ندوب جليّة، فقد رطَمهَ المِصدُّ بوضوح/ يرقد في صندوق بطول أربع أقدام؛ قدم لكل سنة.

درس هيني بعد مغادرته المدرسة في جامعة كوينز في بلفاست، ونال المرتبة الأولى في قسم اللغة الإنجليزية. بقي هيني في بلفاست وتدرَّب معلمًا في مركز سانت جوزيه (أصبحت الآن جزء من الكلية الجامعية)، ثمَّ درَّس في ثانوية القديس توماس التي كان ناظرها الكاتب الأيرلندي العريق ميشيل ماكلافيرتي، والذي أصبح مرشدًا لهيني (أهداه هيني قصيدة «Fosterage») وقدَّمه إلى عدد من الشعراء من بينهم باتريك كافناف. اكتشف هيني في بلفاست كذلك ورشة الكتَّاب المعروفة بـ«المجموعة»، التي أسسها فيليب هوبسباوم -كان قد درَّس في جامعة كوينز- واجتهدَ في البحث عن أعمال معاصريه، لا سيما الكِتاب المشاد به لتيد هيوز «Lupercal ١٩٦٠».

رسالة من الرب

أصبح هيني بحلول عام ١٩٦٢ شاعرًا صاحب أعمال منشورة، وستدعم في السنوات القليلة اللاحقة نشر أعماله مجلات مثل Irish Time و New Statesman. لكنَّ النجاح الخارق أتى في عام ١٩٦٤ عندما كتب الشاعر الأيرلندي الشمالي المولد تشارلز مونتيث ومدير دار النشر البريطانية البارزة «Faber & Faber» إلى هيني يطلب فيها رؤية عمله. قال هيني بعدها إنه كان مذهولًا من هذا الطلب، وإنه كان «مثل استلام رسالة من الإله الأب». نشرت الدار بعد سنتين أولى مجموعات هيني الشعرية المهمة «موتُ الرجل الطبيعيّ»، التي فازت بأربع جوائز من ضمنها جائزة سومرست موم وجائزة جيفري فابر.

أهدى هيني المجموعة إلى ماري (ديفلان) التي تزوَّجها في عام ١٩٦٥. وتنوَّعت مواضيع القصائد الأربع والثلاثين في المجموعة من أوصاف الحب وتوقُّعات العيش معًا إلى الطفولة والعائلة والطبيعة وريف أيرلندا والحرب.

أصبح هيني أكثرَ انخراطًا في الوضع السياسي ونقدًا للوجود البريطاني عندما تصاعدت الأعمال العدائية في أيرلندا الشمالية في أواخر الستينات، وعالج الاضطرابات والعنف في وطنه على نحوٍ متزايد في شعره. عبَّر هيني أحيانًا عن تناقض في كونه متحدِّثًا باسم أيرلندا الشمالية وفي إقرار

▲ **شوارع ديري**
تظهر قوات الاحتلال البريطاني مسلَّحة وحاملة لدروع صدِّ الشَّغب وهي تسيطر على شوارع ديري خلال ذروة الاضطرابات في السبعينات.

أبرز أعماله:

١٩٦٦ موت الرجل الطبيعي: أولى مجموعات هيني الشعرية، وحققت فور نشرها إشادة نقدية.

١٩٧٥ شمال: أولى مجموعات هيني الشعرية التي تتبع فيها الاضطراب السياسي والعنف في أيرلندا الشمالية.

١٩٨٠ انشغالات: أولى مجموعات هيني النثرية، وتضمَّنت مقالات عن ييتس ووردزورث وهوبكنز.

١٩٨٤ في جزيرة ستيشن: ركَّز هيني في هذه الأشعار على العلاقة بين التاريخ والقضايا المعاصرة.

٢٠٠٠ بيوولف: فازت ترجمة هيني لملحمة بيوولف الأنغلو-سكسونيّة بعدة بجوائز معتبرة بعد نشرها.

٢٠٠٤ الدفن في طيبة: مسرحية هيني الثانية التي قارن فيها بين كريون «حاكم طيبة» وبين جورج بوش الابن «رئيس أمريكا».

٢٠١٠ سلسلة بشرية: مجموعة هيني الشعرية الأخيرة التي يعدُّها بعضٌ من بين أجود أعماله.

«بين سبابتي وإبهامي / يستقرُ القلم القصير / دافئًا مثل بندقية»

حَفْرٌ – شيموس هيني.

شعره رغم ذلك بالخسارة المأساوية في الأرواح ودعوته إلى التحليل والتعقيب. واستمرَّ أيضًا بالكتابة عن مواضيع الحياة الوديعة والمناظر الطبيعية، مدافعًا عن حق الشاعر في الاحتفاء بنظرته المحدودة والضيقة.

الهروب من الصراع الأهلي

في عام ١٩٧٠، وجدَ هيني وأسرته بعض الراحة من المتاعب بقضائه عاما دراسيا في العمل الأكاديمي بجامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث شغل وظيفة تدريسية.

استقال هيني من جامعة كوينز في بلفاست بعد عودته إلى أيرلند الشمالية في عام ١٩٧١، واتَّخذ بعدها بسنة الخطوة الكبرى بهجرته إلى جمهورية أيرلندا، ليستقر في مِلكيّةٍ في مدينة غلانمور بويكلو، والتي كانت ذات يوم منزلا للكاتب المسرحي ج. م. سينج. أشار في نهاية مجموعته الشعرية «شمال (١٩٧٥)» إلى وضعه بأنه «هاربٌ من المذبحة». أحبَّ هيني هذا المكان النائي، وأصبحت غلانمور أشبه بربّة شعره: إذ عاش هناك بلا هاتف، ويكتب غالبًا بضع ساعات في حالةٍ أشبه بغيبوبة.

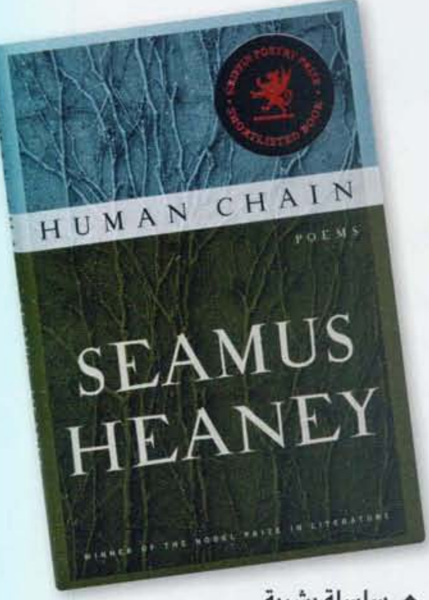
عدَّ بعض المعلّقين مجموعة هيني التالية، «حقل العمل (١٩٧٩)»، خطوة ابتعاد عن الاشتباك السياسي المباشر، في حين نظر إليها آخرون -مثل الشاعر الأمريكي جوشوا وينر- بأنه «التزامٌ متزايد بالبقاء منخرطا، لكن مع المحافظة على الرؤية البعيدة التي تطرح الأسئلة أكثر مما تتبنى المواقف».

نال هيني في نهاية السبعينات التقدير العالمي لأعماله، لا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية. ودرَّس في عام ١٩٧٩ فصلًا لمادة الشعر في جامعة هارفارد، وحظي بشهادتي دكتوراة فخرية من جامعتين في نيويورك. ثم عاد في عام ١٩٨١ إلى هارفارد حيث بدأ بتدريس مُقرّر واحد في السنة حتى عام ١٩٩٧.

عمل هيني في ثمانينات القرن العشرين مع الكاتب المسرحي بريان فريل والممثل ستيفن ريا لتأسيس «شركة مسرح فيلد دي» في ديري، مقتفيًا أثر تراث ييتس ومسرح آبي في دبلن. تحوّل شعره بعدها إلى موضوع الأسى والرثاء عندما فقد كلا والديه في سنتين، واحدًا تلو آخر. وتضمَّنت مجموعته «The Haw Lantern ١٩٨٧» سونيتة وحَدوية (ذات وحدة موضوع) تُدعى «تصاريح» أهداها لأمه الراحلة، وترجم أيضًا الشعر الأيرلندي في «Sweeney Astray ١٩٨٤» وأنهى القرن عند أعلى قمّة بفوزه بجائزة عن ترجمته قصيدة بيوولف عام ٢٠٠٠، والتي عُدَّت تحفة فنية وملحمة حديثة ومُجدِّدة.

فاز هيني بجائزة نوبل في الأدب عام ١٩٩٥ لما وصفه المُحكّمون بأنّها «أعمالٌ ذات جمال غنائي وعمق أخلاقي». قال المؤلف عند استلامه الجائزة وانضمامه إلى زملائه الأيرلنديين المشهورين الذي نالوها من قبل، كـ ييتس وبرنارد شو وبيكيت، بأنّ الأمر يشبه «أن تكون تلًا صغير في أسفل سلسلة جبليّة». وجلبت له السنة اللاحقة تكريمًا آخر عندما فازت مجموعته الشعرية «صعيد الروح» بجائزة « Whitbread Book of the Year Award".

عالج شعر هيني المتأخر موضوع الفَناء، وجدد إنيادة فرجيل في عمله «رؤية الأشياء (١٩٩١)» مشيرًا إلى الحياة الآخرة: «عندما ينبلج النور فوقي بأيّ درجة... سأتماشى مع ما يُهرب مني». دفعته سكتة دماغية في عام ٢٠٠٦ إلى «حافة الهاوية»، ملهمةً إياه مجموعته الشعرية الأخيرة «سلسلة بشرية (٢٠١٠)». مات هيني بعمر الرابعة والسبعين في عام ٢٠١٣ في دبلن، لكنه اختار أن يُدفن في قرية بيلاغي، لتضمّه التربة التي وصفَ كدح والده وجدّه فيها بقصيدة «حَفْرٌ»، واحدة من أولى قصائده.



▲ **سلسلة بشرية**

فازت مجموعة شيموس الشعرية الأخيرة «سلسلة بشرية» أخيرًا بجائزة فورورد للشعر -واحدة من أهم الجوائز الشعرية البريطانية المعتبرة- بعد فشله مرتين في نيلها.



▼ **قبر هيني، بيلاغي**

مكتوب على شاهِدُ قبرِ هيني: «امضِ قُدُمًا راسخَ الخُطى ولا تتثبَّط»، وهو سطر من قصيدته «مماشي الحصى» (١٩٩٣)، واقتبس هيني هذه الكلمات أيضًا في خطبة قبول النوبل.

ج. م. كوتزي

(١٩٤٠-) جنوب إفريقيّ

فاز كوتزي، المؤلف واللغوي والمترجم وكاتب المقال، بالعديد من الجوائز الأدبية، وفي مقدمتها جائزة نوبل، لأعماله الآسرة والمعقَّدة التي أخذت الكتابة الروائية إلى فضاءات خيالية جديدة.



◄ بلدة كابي الجامعية، ١٩٨٥
حضر الطلاب والأساتذة مسيرة احتجاجية على قيود الفصل العنصري، التي تضمنت بنودًا عنصرية للقبول في الجامعة.

يعد جون ماكسويل كوتزي -الذي يبلغ في أيامنا هذه عقده السابع- أشهر كاتبٍ في جنوب إفريقيا، بعد أن بنى سمعته بسلسلة من الروايات التي غوّشت الحدود المُميّزة ما بين الرواية والمقالة والسيرة الذاتية. وعلى الرغم من شهرته فقد بقي كوتزي متحفظًا على حياته الشخصية بشدّة، وتنحصر الرؤى المتعمقة في حياته الشخصية إلى حد كبير في ثلاث قصص من السيرة الذاتية المُتخيَّلة، والتي كتبها جميعًا بضمير الغائب: «الصبا: مشاهد من الحياة الإقليميّة (١٩٩٧)»، و«شباب (٢٠٠٠)»، و«وقت الصيف (٢٠٠٩)».

وُلدَ كوتزي في عام ١٩٤٠ لوالدين من العِرق الأفريكانيّ، وهما زاكاريا (جاك)، وفيرا. كان والده محاميًا لكن إدمانه الكحول وسوء ممارساته أوديا بحياة العائلة إلى الفقر والفوضى، وعندما أرسلَ بعيدًا إلى الحرب العالمية الثانية، كافحت فيرا -معلمة المدرسة- للعناية بجون وشقيقه الرضيع ديفد، ساكنين في سلسلة من المنازل المؤقتة. كانت عودة الأب بمثابة تطفل على وحدة العائلة الأمومية المتماسكة.

مسار أكاديمي

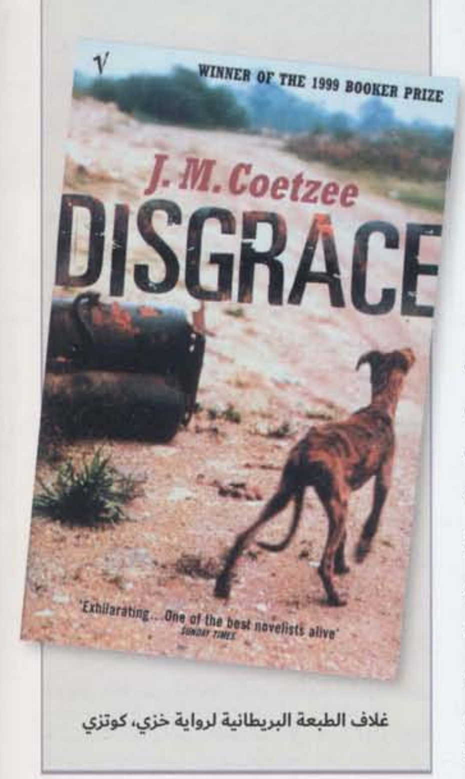
كان آلُ كوتزي من الليبراليين الناطقين بالإنجليزية، وغير متوافقين مع حكومة جنوب إفريقيا المتعصبة التي فرضت قوانين الفصل العنصري، ومع ذلك فقد كانوا موافقين ضمنيًّا على الطريقة التي يُدار بها المُجتمع، ووظّفوا في أثناء إقامتهم في كيب تاون صبيًا «مُلوَّنا» بسن السابعة يُدعى إيدي. لم يحمل الانتقال للعيش في حيٍّ إسكاني متنامٍ على تخوم ورسيستر في محافظة كيب الغربيّة سوى مزيّة وحيدة، ألا وهي جعل كوتزي قريبًا من مزرعة عمّه في صحراء كارو. كان هذا المكان أرض الحريّة التي ستصبح موطنا للحنين والتوق لدى كوتزي.

الثقافة الأوروبيّة

كان كوتزي في المدرسة الوحيد المتشبّث بإنجليزيّته لأنه لم يرغب بأن يُنقل إلى الصفوف المخصصة للناطقين بالأفريكانيّة. وقد ترك تعليمه بصمة دائمة. في روايته «عصر الحديد» المنشورة عام ١٩٩٠، يشبّه الكاتب السياسيين الأفريكانيّين بـ «المتنمرين الذين يجلسون في مقاعد الصف الأخير في الفصل؛ أولاد نحيلون وبليدون كبروا الآن ودُعِموا ليحكموا البلد». وفي أثناء دراسته في المدرسة الثانوية الكاثوليكية في كيب تاون، واصل كوتزي تطوير شغفه بالثقافة الأوروبية، منجذبًا إلى الشعراء الحداثيين من أمثال ت. س. إليوت، وعزرا باوند، وإلى موسيقى باخ. التحق بعدها بجامعة كيب تاون لدراسة الرياضيات والإنجليزية، والتي كانت مرتعًا لاحتجاجات اليساريين ضدَّ السياسات المستبدة المتزايدة للحكومة. راقبَ كوتزي الأوضاع من

روايات ما بعد الحداثة

يصف كوتزي أسلوبه في الكتابة بأنه محاولة لإنتاج رؤى وأشكال جديدة للسرد. تميزت قصصه بالغموض والمراوغة والانشغال ما بعد الحداثيّ باللغة. كان يتعمّد بأن يجعل سارديه غير جديرين بالثقة، وغالبًا ما كانوا يقدّمون نسخًا مُتضاربة من القصة. هدف كوتزي في أعماله إلى «تاريخ منافس» في وقت كان الكثير فيه من الأدب الصادر من جنوب إفريقيا في سنوات الفصل العنصري متجذّرًا في الواقعية الاجتماعية والسياسة. يطارد التاريخُ في رواياته الحاضرَ، ويُدرج في طيّاته السيرة الذاتية، والخيال، والمقالات، فيخلق رواياتٍ تتجاوز المكان والزمان.



غلاف الطبعة البريطانية لرواية خزي، كوتزي

◄ ج. م. كوتزي
كتب كوتزي ثلاث عشرة رواية، وثلاثة مجلدات من السيرة التخيُّلية، وسبع مجاميع قصصية، وتسع مجاميع عن النظرية الأدبية والنقد والرسائل، وأنتجَ بعض الترجمات من الشعر الهولندي.

> «أخشى أن أجعل من عدم مناقشة أعمالي قاعدةً عامّة»
>
> ج. م. كوتزي





▲ **منطقة كارو**
قضى كوتزي مراحلَ طويلة من طفولته في منطقة كارو في جنوب إفريقيا، وتنامى لديه حبٌّ عميقٌ للأراضي القاحلة في هذه المنطقة. كانت منطقة كارو بيئة روايته الثانية، «في قلب الريف»، وهي قصة امرأة أفريكانيّة تعيش في مزرعة منعزلة.

على الهامش لأن حشود الناس المتجمعة قد أثارت في نفسه «شيئًا أقرب ما يكون إلى الهلع». يتذكّر أستاذٌ في جامعة كوتزي أنَّ تلميذه السابق كان مغمورًا جدًا لدرجة أنه كان غير مرئي تقريبًا. غاب كوتزي عن يوم تخرجّه لأنه أبحر على متن سفينة إلى ساوثهامبتون بإنجلترا لتجنب الخدمة العسكرية الإلزاميّة.

لندن والولايات المتحدة الأمريكية

وبعد انتقاله إلى لندن، عمل كوتزي مبرمجَ حاسوب برهةً من الزمن حينما كان يعمل على إتمام أطروحة الماجستير حول الكاتب الإنجليزي الحداثي «فورد مادوكس فورد». يتذكّر كوتزي في كتابه «شباب» غراميّاته وعلاقاته الفاشلة بخزيٍ دائم، لكنَّه أعرض عن التطرق لـ فيليبا جوبر، طالبة قسم المسرح التي التقاها في كيب تاون، وعودته القصيرة إلى جنوب إفريقيا ليتزوجها.

ألهبت السنواتُ الستُّ من الدراسة والتعليم في الولايات مُخيِّلةَ كوتزي، وتضمَّنت رسالته في الدكتوراة التي حصل عليها في جامعة تكساس اللغات الجرمانية، واللسانيات، والتحليل الحاسوبي لأعمال صمويل بيكيت. ويمكن العثور على أصداء مونولوجات بيكيت الكارهة للبشرية في عمل كوتزي «في قلب الريف (١٩٧٧)»، إذ تسرد ماجدة العزباء والعذراء نسخًا متضاربة من تاريخها الشخصي في مزرعة نائية في جنوب إفريقيا.

واصل كوتزي حياته في الأوساط الأكاديمية، فشغلَ وظيفة في جامعة بوفالو بنيويورك، حيث درَّس فصلًا عن أدب إفريقيا الجنوبيّة. كان كوتزي حريصا على البقاء في الولايات المتحدة بعد ولادة طفليه نيكولاس وغيسلا، لكن طلب الإقامة الذي قدّمه قوبل بالرفض بسبب مشاركته في مظاهرة احتجاجية ضدَّ حربِ فيتنام.

العودة للوطن على مضض

عاد كوتزي إلى جنوب إفريقيا في عام ١٩٧١ وبحوزته بدايات روايته الأولى «Dusklands»، والتي رسم فيها أوجه التشابه بين الانحطاط الأخلاقي لمُستعمِري جنوب إفريقيا في القرن السابع عشر وبين فظائع الولايات المتحدة في

«ما يمر بيننا الآن هو محاكاة ساخرة. لقد ولدتُ في لغة التسلسل الهرمي، ومسافة المنظور. لقد كانت لغة والدي».

ج. م. كوتزي – في قلب الريف

أبرز أعماله:

- **١٩٧٤** — Dusklands: تستعرض أوجه التشابه بين قصة انتقام البوير من قبيلة هوتنتوت وبين قنابل النابالم الحارقة في حرب فيتنام.
- **١٩٧٧** — في قلب الريف: أرَّخت، هذه الرواية انحدار شخصية سبينستر إلى الجنون من خلال قصص خيالية عن الجنس والموت.
- **١٩٨٠** — في انتظار البرابرة: تناولت تعقيد النُظم الحاكمة التي ترفض العدالة والأخلاق.
- **١٩٨٣** — عصر مايكل ك وحياته: تتبع هذه الرواية رحلة متسمة بالتهور لرجل يحمل أمه المُحتضرة عائدًا بها إلى وطنها.
- **١٩٩٩** — خزي : تجري الرواية بقصتها الكئيبة على النقيض من التفاؤل الوطني بعد أول انتخابات حرَّة في جنوب إفريقيا.
- **٢٠٠٧** — يوميات سنة سيئة: يمزج المؤلف ما بين تأملاته الاحترافية وبين قصة وساوس محاضر مُسن

فيتنام. شغلَ بعد ذلك منصبا تدريسيا في جامعة كيب تاون، وارتقى خلال السنوات الثلاثين اللاحقة بالمناصب حتى وصل إلى منصب أستاذ مُبجَّل في الأدب. بدأ كوتزي بكتابة روايته «في انتظار البرابرة (١٩٨٠)» خلال أوقات الإجازة من الدراسة والتدريس في الولايات المتحدة الأمريكية، مُقدِّمًا موضوعات التعذيب، والاستجواب، والعنف في إمبراطورية مُتخيَّلة في حقبة زمنيّة غير محددة. فاز كوتزي عن عمله هذا بجائزة James Tait Black Memorial وحظي بالاعتراف الدولي.

ما وراء التاريخ

وضعت سلسلةٌ من الروايات المكتوبة باحترافية دقيقة كوتزي في طليعة الكتاب ضدَّ الفصل العنصري، لكنَّه عدَّ نفسه قاصًا تجريبيًّا أكثر من كونه ناشطًا. كان يريد لرواياته الانفصال عن التاريخ؛ أن تقف على مسافةٍ ما من موضوعها المُباشر، مثل الصّراع الطبقي والعِرق. وهكذا، نجد أنه في الوقت الذي حُظرت فيه أعمال العديد من كتّاب جنوب إفريقيا المعاصرين الآخرين، فقد نالت -ويا للمفارقة- رواياتُ كوتزي ما بعد الحداثيّة وشديدة التعقيد بعض الحماية: كافحت الرقابة للكشف عن الإساءات السياسية أو الجنسية في بيئات أعماله المُعمَّمة، وقرّروا بأنَّ من غير المُرجّح لكتُبه «العسيرة» أن تقرأ على مستوى شعبي.

جوائز البوكر

يحكي كوتزي في روايته «عصر مايكل ك وحياته» قصة بستانيّ أشرم الشفة ينطلق لإعادة والدته المريضة إلى كارو على ظهر عربة يد، وينال بعض الحرية بعد اختباره السجن المتكرر والمجاعة. فاز العمل القاسي والمثير للمشاعر والمُذهل بجائزة البوكر عام ١٩٨٣. كرر كوتزي الفوز بجائزة البوكر عن روايته «خزي (١٩٩٩)» التي نشرت بعد خمس سنوات من أول انتخابات حرَّة في جنوب إفريقيا، وكانت تتناقض تناقضا صارخا مع أدب «شهر العسل» المتفائل بحقبة ما بعد الفصل العنصري. وعلى الرغم من القصة العنيفة التي تلقَّى العمل بسببها بعض النقد، فقد كان عملًا متوازنًا بدقة يستعرض حالات الخزي التاريخية والمستمرّة.

حظي كوتزي بسمعة كونه صعب المراس مع الصحفيين والنقاد لرفضه المتكرر الإجابة عن أسئلتهم حول مقاصد أعماله. وركَّز في أواخر الثمانينات والتسعينات على النقد والنظرية الأدبية. وتفحَّص مثلا في كتابه «الكتابة البيضاء: عن ثقافة الأدب في جنوب إفريقيا» أعمال كتَّاب جنوب إفريقيا الحداثيين، فيقول عنهم: «ليسوا بأوروبيين بعد، لكنهم لم يبقوا أفارقة كذلك».

فلسفات شخصيّة

أصبح كوتزي نباتيًّا منذ كان في الثلاثينات من عمره، وهو مدافع شغوف عن حقوق الحيوان، سواء كان ذلك شخصيًا أم من خلال شخصيته الأدبية البديلة «إليزابيث كوستيلو» في روايته «حياة الحيوانات (١٩٩٩)». نالَ كوتزي هوية المواطنة الأسترالية في عام ٢٠٠٦ بعد انتقاله إليها برفقة المؤلفة دوروثي درايفر. تعاون كوتزي في عام ٢٠١٢ مع كاتب السيرة الأفريكانية «جون كانيمار» في كتابه «ج. م. كوتزي: حياة في الكتابة». كشفت هذه السيرة تفاصيل سنواته المبكرة، وأماطت اللثام عن سلسلة الأحزان التي ابتدأت بوفاة ابنه بسن الثالثة والعشرين، وأمراض ابنته المُوهنة، وفقدانه لأخيه ولزوجته السابقة فيليبا. لعل كوتزي تلاشى اجتماعيا في سنواته الأخيرة، لكنَّه واصل دفع الحدود بموضوعات رواياته ذات الطابع الفلسفي، كما في روايته «طفولة المسيح (٢٠١٣)» و«أيام مدرسة المسيح (٢٠١٦)».

LIFE & TIMES OF MICHAEL K
J.M. COETZEE
author of WAITING FOR THE BARBARIANS

عصر مايكل ك. وحياته
نشرت رواية كوتزي في عام ١٩٨٣، وهي قصة رجل يكافح للنجاة والبحث عن كرامته في

الفصل العنصري الاستبدادي

شكّلت مظالم الفصل العنصري الخلفية لحياة كويتزي في جنوب إفريقيا، فعندما كان بسن الثامنة، كان جميع سكان جنوب إفريقيا تحت فصل عنصري ضمن مجموعات عِرقية: ملوّنة، وسوداء، وبيضاء، وهندية. فُرضت قوانين التمييز العِرقي في التوظيف، والتعليم، وحُظِرَ الزواج وممارسة الجنس بين الأعراق المختلفة، وأُعيد الملايين من السود إلى «أوطانٍ قبليّة» مُحدّدة. شهد كوتزي في سنوات دراسته العصيان المدني وعمليات التخريب والصراع المسلح الذي نتج عنه ردة فعل حكومية وحشيّة. أصبحت جنوب إفريقيا إثر ذلك دولة منبوذة ومعزولة بسبب العقوبات التجارية والرياضية. قادت المفاوضات مع حزب المؤتمر الوطني الأفريقي إلى انتقال مُبهج للديمقراطية في عام ١٩٩٤، بانتخاب نيلسون مانديلا رئيسًا.



احتفال نيلسون مانديلا بفوزه بالانتخابات في الثاني من أيار ١٩٩٤

إيزابيل الليندي

(١٩٤٢-) تشيليّة

استخدمت الليندي -واحدة من أكثر المؤلفين المحبوبين في أمريكا اللاتينية- الواقعيةَ السّحرية للتعبير عن القوة التي لا تُقهر لشخصياتها في مواجهة القمع السياسي والاضطراب العاطفي.

كانت الكاتبة التي ناصرت الغرباء والمُستضعفين إيزابيل الليندي، ربما على نحو مفاجئ، جزءًا من المؤسسة في بواكير شبابها. تمتعت إيزابيل خلال الستينات وبداية سبعينات القرن العشرين في موطنها تشيلي بنجاحها صحفية ومقدمة برامج تلفزيونية، وكان ابن عم والدها «سلفادور الليندي» رئيسًا للبلاد. ثم أتى الحدث الذي سيشكِّل كلًّا من حياتها وحياة بلدها: الانقلاب العسكري المدعوم من الولايات المتحدة، والذي أُطيح فيه بالرئيس الشيوعي المنتخب ديمقراطيًا لصالح الجنرال بينوشيه الذي فرض الدكتاتورية العسكرية.

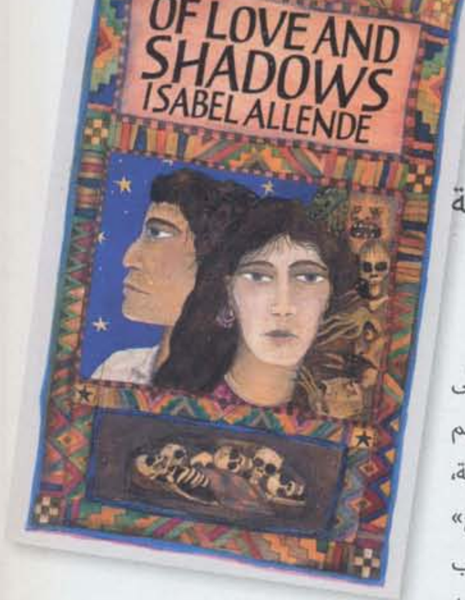
حكاية الأجيال

فرَّت إيزابيل إلى فنزويلا حيث استقرَّت ثلاث عشرة سنة، وبدأت بما أصبحت روايتها الأولى والأكثر شهرة، «بيت الأرواح»، في عام ١٩٨١ التي كانت رسالة لجدِّها المُحتضِر البالغ من العمر مئة عام والذي ساعد في تنشئتها بعد اختفاء والدها عن الأنظار. كانت نيتها من العمل إخباره بأنه سيبقى دائما في قلوب من تركهم خلفه. غير أن نصّ الرواية تطوّر ليصبحَ حكايةً متعدّدة الأجيال لعائلة تشيليّة، تُروى من خلال كفاح نسائها. نُشرت الرواية في عام ١٩٨٢، ورسّخت سُمعةَ الليندي قوّةً رئيسة ومهمة في أدب أمريكا اللاتينية. ومنذ ذلك الحين، ألفت أكثر من عشرين كتابًا، من بينها مجموعات قصصيّة قصيرة، ومذكّرات، وكتب أطفال، وبِيعَ منها أكثر من خمسين مليون نسخة. انتقلت الليندي في عام ١٩٨٩ إلى كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث استمرَّت بالكتابة.

الواقعية السحرية

غالبًا ما عُدَّت الليندي من كتّاب الواقعية السحرية؛ تحضر في أعمالها الأحداث الخارقة للطبيعة -مثل الاستبصار والتحليق وظهور الأشباح- في بيئة عادية وواقعية. تستخدم مثل هذه الأحداث السحرية لتوضيح الوقائع أو الأفكار المُفزعة جدًا أو الرائعة جدا لدرجةٍ تجعلها تتخذ في الغالب تعقيدًا سرياليًا. وعلى الرغم من أن الليندي غالبًا ما توسّعت إلى ما وراء تخوم السرد الواقعي، فقد حققت أيضا تفاعلا عاطفيًا مُكثَّفًا مع موضوعاتها، وركَّزت كتابتها باستمرار على القصص غير المرويّة للمُضطَهَدين (غالبيتهم من النساء)، مُبيِّنةً جَلَدَهم ومرونتهم العاطفية، وانتصار الحب أيضًا. ففي رواية «بيت الأرواح» مثلا، تُسجن أصغر امرأة في القصة وتُعذَّب وتُغتصب، لكنها تنجو وتتغلب على صدمتها. وفي مذكراتها «باولا»، تقدم الليندي سردا عاطفيا للوفاة المأساوية لابنتها في سن الثمانية والعشرين جرَّاء مضاعفات مرض البُرفيريّة.

أعلنت الليندي أنَّ أعمالها لا تضم أيّ نيات سياسيّة، لكنها ترغب -بوضوح- بسرد قصة الإنسان. أصبح هذا الالتزام الآسر والصادق عاطفيًا بسرد للقصة مفتاحَ شعبيتها، وسيكون بلا شك إرثها.



▲ **الحب والظلال**
نُشرت رواية الليندي الثانية، الحب والظلال، وهي قصة حب وخيانة وتضحية في عام ١٩٨٥، التي تجري وقائعها في بلد رازحٍ تحت حكم إرهاب واضطهاد.

◄ **إيزابيل الليندي**
صُورت المؤلفة هنا في سنة نشر روايتها مملكة التنين الذهبي. وبقيت مؤلفة غزيرة الإنتاج؛ وظهر أحدث أعمالها، بتلة بحر طويلة، في عام ٢٠٢٠.

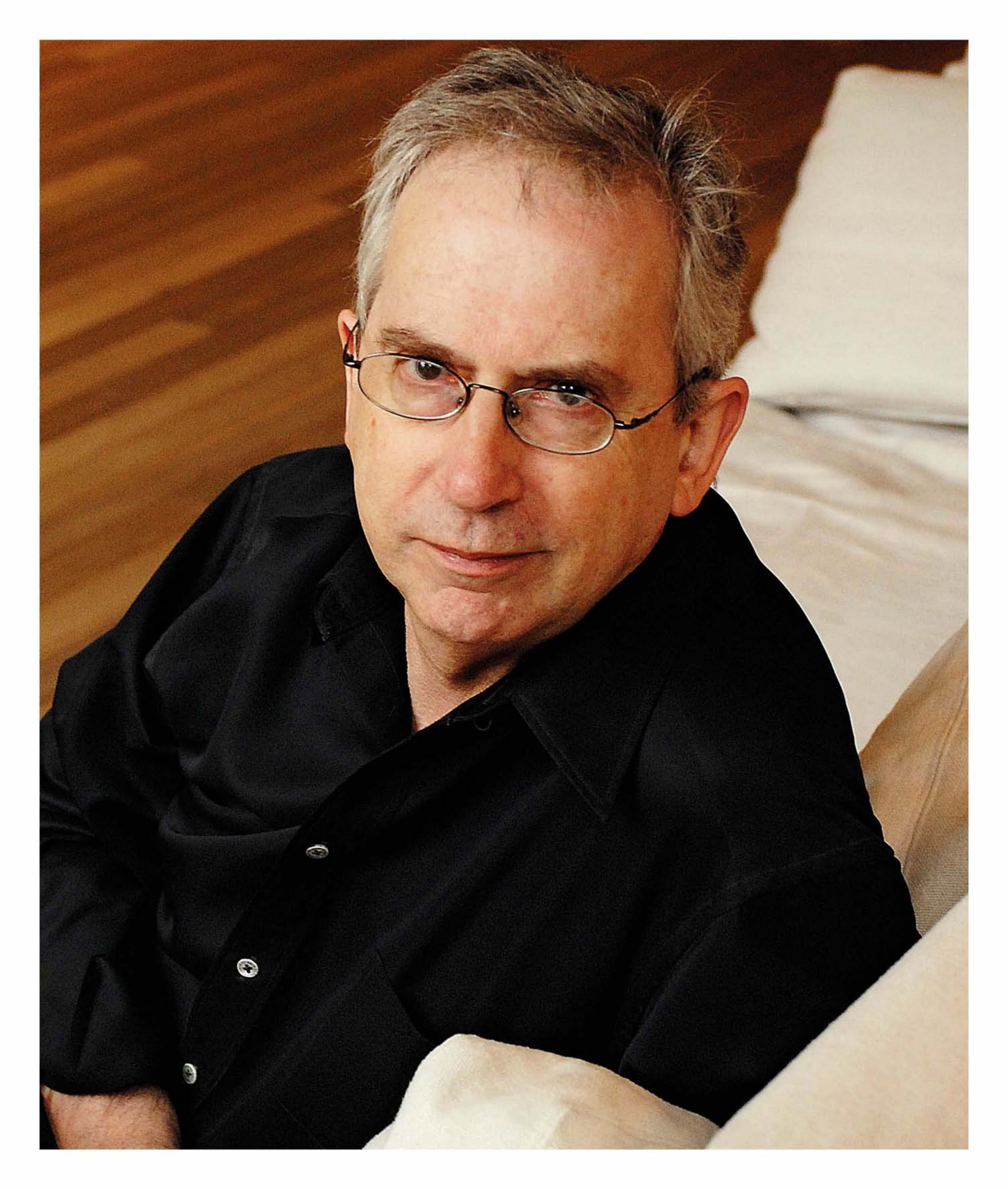
«الثورة» التشيلية

أطاحت «الثورة» في تشيلي عام ١٩٧٣ بالرئيس الشيوعي سلفادور الليندي، مدعومةً من وكالة المخابرات المركزية «سي آي إيه» التي رأت في انتشار الشيوعية تهديدًا لاستقرار الولايات المتحدة الأمريكية. استُبدل الطاغية العسكري الجنرال بينوشيه بسلفادور الليندي. أعدمَ بينوشيه في حكمه الآلافَ من أعدائه السياسيين أو «اختفوا» وعُذِّب عشرات الآلاف الآخرين. أقرّ بينوشيه استجابة للضغط الدولي قانونًا يجيز تأسيس أحزابٍ معارضة في عام ١٩٨٧، الأمر الذي أدّى إلى إنهاء حكمه في استفتاء عام ١٩٨٨. أُعتقل بينوشيه في عام ١٩٩٨ ليصبحَ أول رئيس دولة سابق يُلقى القبض عليه بسبب جرائمه، وعلى الرغم من ذلك فلم يرَ السجن قط، ومات في عام ٢٠٠٦ قبل أن تُرفع قضيته إلى المحكمة.



الجنرال أوغستو بينوشيه (في الوسط) في سانتياغو، تشيلي، ١٩٨٣



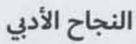


بيتر كاري

(١٩٤٣-) أستراليّ

واحدٌ من أكثر الروائيين الذين حققوا نجاحًا أدبيًا على مستوى العالم، فهو كاتب الأحاسيس المُدهشة والطاقة العظيمة الذي تناول قضايا مهمة من التاريخ الأسترالي.

شقَّ كاري مسيرته روائيًا أدبيًا متصدِّرةً كتبه قوائم المبيعات، وهو واحد من أربعة كتَّاب فقط فازوا بجائزة البوكر المرموقة مرتين. وُلدَ كاري في عام ١٩٤٣ في قرية باكشوس مارش بالقرب من ملبورن، لعائلة متواضعة الحال جدًا التي ادَّخرت المال لإرساله إلى واحدة من أفضل المدارس الداخلية في البلاد «غيلونغ غرامر». لاحَظ كاري لاحقًا أنّ إرساله بعيدًا في سن مبكّرة كان سبب ظهور العديد من الشخصيات اليتيمة في رواياته، في حالة مشابه لديكنز. لاحقا، وفي إشادة تمرّدية تجاه ديكنز، كتب كاري رواية «جاك ماغز» تكملة غير رسمية لرواية ديكنز «آمال عظيمة».



النجاح الأدبي

انطلق كاري بعد تركه الجامعة للعمل في شركة إعلانات، واكتشفَ حبَّه للأدب وشرع بالكتابة. فأنتج خلال السبعينات عددًا من القصص القصيرة التي ظهرت في المجلات ثم في مجموعة عام ١٩٧٤، لكن روايته الأولى «النعيم» نُشرت في عام ١٩٨١ وهو في سن متأخرة نسبيًا (لروائي محترف)؛ كان يبلغ الثامنة والثلاثين من العمر.

◂ **في منزله، نيويورك،** ٢٠٠٧
انتقل كاري إلى نيويورك في عام ١٩٩١، وما زال يعيش ويُدرِّس هناك. وفي الوقت الذي اشتهر بأنه روائيّ، فقد تضمَّن إنتاجه القصص القصيرة، والرحلات، وسيناريوهات الأفلام وكتب الأطفال.



◂ **نيد كيلي**
منحت رواية كيلي «التاريخ الحقيقي لعصبة كيلي» صوتًا للخارج عن القانون الاستعماري، نيد كيلي، الذي أرهبَ شمالي شرق فيكتوريا في مسعاه لنيل الحرية. ونجا من الموت بإطلاق نار بارتدائه درعًا معمولًا يدويًا، ليشنقَ بعدها بوقت قصير.

لم ينتظر كاري طويلًا ليحققَ نجاحه، ففاز بجائزة البوكر في عام ١٩٨٨ عن روايته الثالثة «أوكسار ولوسيندا»، وتكرر الإنجاز الفذ في عام ٢٠٠١ عن روايته «التاريخ الحقيقي لعصبة كيلي».

تورّط كاري في فضيحة عام ٢٠٠٦ عندما اتَّهمته زوجته السابقة بأنه كتب نسخة بغيضة وسلبية عنها في روايته «سرقة: قصة حب»، حيث صُوِّرت زوجة الراوي السابقة، والتي يشار إليها باسم «المُدّعية»، شخصية مُبذِّرة تافهة. أنكر كاري أن يكون هذا هو الحال، على الرغم من أن الكثيرين لاحظوا في ذلك الوقت أن الراوي المعني كان يشبه كاري، فقد وُلد هو أيضًا عام ١٩٤٣ في باكشوس مارش، فيكتوريا.

وتتكرر مواضيع الأصالة والخداع والاحتيال في أعمال كاري، فكانت روايته الثانية بعنوان «Illywhacker ١٩٨٥» وهو اسم من العاميّة الأسترالية يُطلق على «لص المهرجانات»، وتحكي قصة ثقة فنان يدَّعي بأنه يبلغ من العمر ١٣٩ عاما. تتناول روايتيه «سرقة» و «حياتي ككُذعة» الاحتيال في قطاعاتٍ مُختلفة من عالم الفن.

كتب كاري أيضًا عن التاريخ الأسترالي، فتناول جرائم الماضي الاستعماري الأسترالي في رواية «درب طويل من المنزل (٢٠١٧)»، وانهيار الحكومة في منتصف السبعينات في رواية «فقدان ذاكرة (٢٠١٤)»، وقصة البطل الأسترالي الخارج عن القانون نيد كيلي في رواية «التاريخ الحقيقي لعُصبة كيلي».

يشتهر كاري بمهارته الهائلة في خلق أصواتٍ سردية مُختلفة وآسرة، وربما يتجلى هذا على نحوٍ أفضل في اللهجة العامية غير النحوية والصعبة والتعبيرية جدا التي ابتكرها لنيد كيلي. غالبا ما يلاحظ المراجعون أنّ كاري كاتب لا يكلّ، وغزير الإنتاج، ومُبدعٌ، وفضوليٌ جدًا بشأن الناس في مختلف الأزمنة والأمكنة، وهو كاتبٌ من الصعب جدًا اختزاله وحصره.

الإلهام الأدبي

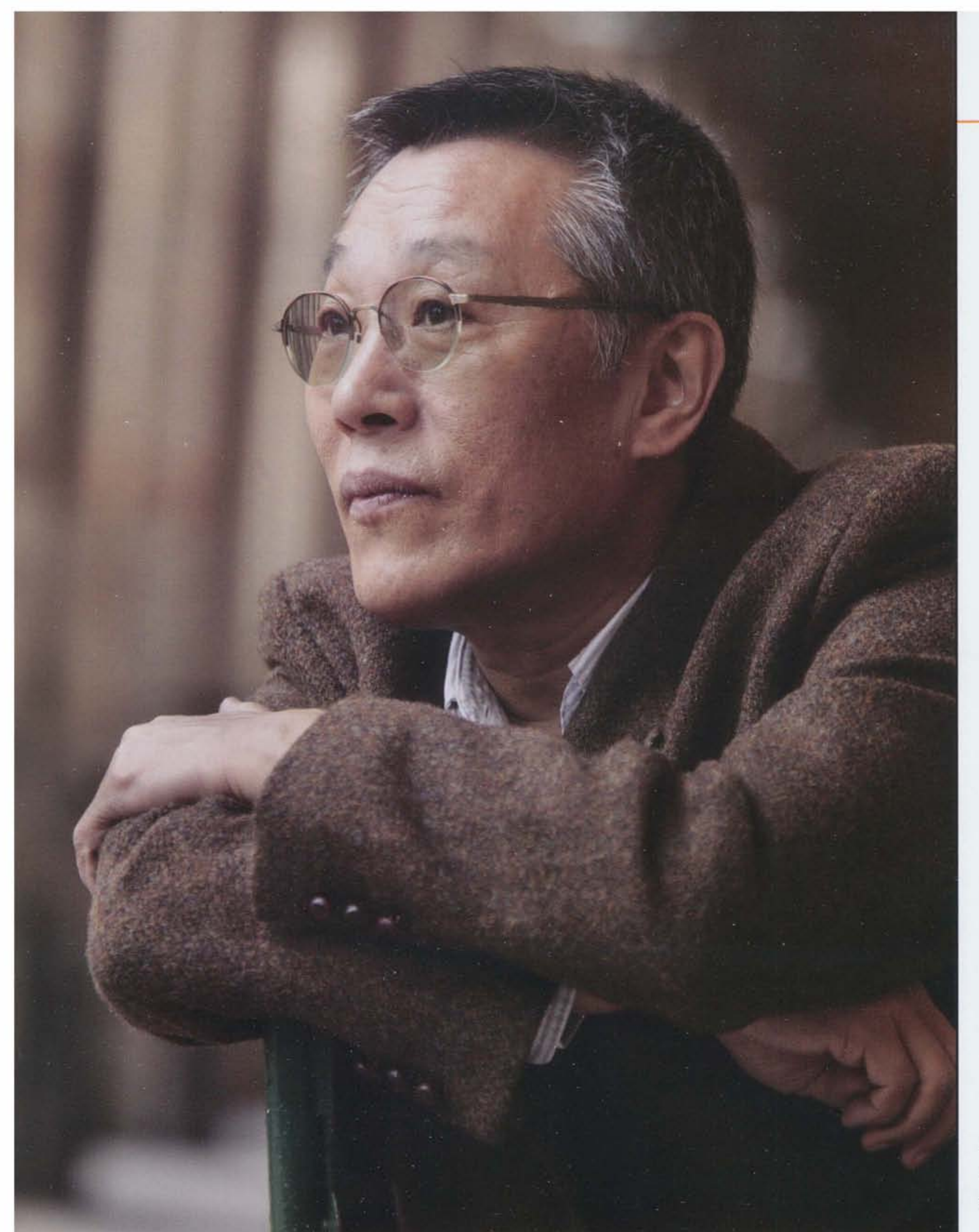
على الرغم من أنّ الكثير من أعمال كاري تدور حول موضوعات أستراليّة جوهريّة، فقد استلهم بعض رواياته مباشرةً من التاريخ الأدبي لبريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأمريكية. إذ تقتفي رواية جاك ماغز أثرَ شخصية ماغويتش في رواية آمال عظيمة بعد أن حكم عليه بالنفي إلى أستراليا، وتُعدّ رواية «الحياة غير العادية لتريستان سميث (١٩٩٤)» تحويرا لموضوع رواية لونيس ستيرن «حياة السيد النبيل ترايسترام شاندي وآراؤه»، أما روايته «باروت وأوليفير في أمريكا (٢٠١٠)» فهي نسخة مُتخيَّلة عن حياة ألكسيس دي توكوفيل، النبيل الفرنسي الذي كتب «الديمقراطية في فرنسا»- وهي دراسة مؤثِّرة عن الأخلاق والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية.



غلاف رواية باروت وأوليفر في أمريكا

«لم أشرع برواية قط لم تكن لتتوسعَ بي أبعد مما كنت قد توسعته يومًا من قبل».

بيتر كاري.



◀ **هوانغ في باريس،** ٢٠٠٥
تحوَّلَ هوانغ سوك-يونغ من منشَّقٍ سياسي إلى شخصية مُحتفى بها وطنيًّا ومؤلِّفٍ من الصف الأول عاصرَ حقبة طويلة من الاضطراب في تاريخ بلده وقدَّم تضحية شخصية كبرى.

هوانغ سوك ـ يونغ

(١٩٤٣-) كوري جنوبيّ

أرَّخ هوانغ، المؤلف الكوري الريادي لجيل ما بعد الحرب، في رواياته وقصصه القصيرة حياة الناس في منطقة مزَّقتها الحروب وألاعيب القوى السياسية.

«ما لم نجد وسيلة ليغفر بعضنا لبعض، فلن يكون بمقدور أيّ منا أبدًا أن يرى الآخر مجددًا»

الضيف - هوانغ سوك-يونغ.



▲ **سول الحديثة**
استمرَّ هوانغ في أكثر أجواء تحررية لكوريا الجنوبية في القرن الحادي والعشرين بتسليط الضوء على مساوئ تقسيم البلاد في رواياته مثل «الضيف ٢٠٠١» و«أشياء مألوفة ٢٠١١».

وُلدَ هوانغ سوك - يونغ في هسينكنغ بالصين، حيث عاشت أسرته في المنفى حتى عام ١٩٤٥ عندما حُرِّرَ وطنهم كوريا من الحكم الإمبراطوري الياباني. وعلى إثر ذلك، عادوا إلى بلدٍ مقسَّمٍ إلى قسمين؛ يحتل السوفييت قسمًا ويحتَّل الأمريكيون الآخر.

ترعرعَ هوانغ في كوريا الجنوبية ودرس الفلسفة في جامعة دونغوك في سول العاصمة، لكنَّ تقسيم البلاد في ظل الحرب الباردة كان حاضرًا دائمًا، بالإضافة إلى الشعور بفقدان الهُوية الوطنيّة. أصبح هوانغ نتيجة لذلك ناشطًا سياسيًا محتجًّا على سيطرة القوى الخارجية على بلاده، بالرغم من استقلالها المُفترض. وقاده نشاطه السياسي إلى السجن مدةً قصيرة في عام ١٩٦٤، لكنَّه وجَّه طاقته نحو الكتابة بعد إتمامه للخدمة العسكرية أثناء حرب فيتنام أواخر الستينات.

شرع هوانغ الذي عاش تحت وطأة دكتاتورية قمعية بالمشاركة الفعَّالة في حركات المقاومة، والتي بلغت ذروتها في عام ١٩٨٠ في انتفاضة غوانغجو ضد الحكم العسكري. كان هوانغ أكثر حذرًا في كتاباته، فنشرَ مجموعته القصصية «في الطريق إلى سامبو» عام ١٩٧٤ والملحمة المُتسلسلة «Jang Gilsan»، واستخدم في هذه الأعمال حكايات رمزية في الإشارة إلى مظالم الدكتاتورية من أجل التملُّصِ من الرقابة. أصبحَ هوانغ أكثر صراحة في مرحلة الثمانينات في رواياته، بما في ذلك رواية «ظلّ السلاح (١٩٨٥)» التي كتبها عن حرب فيتنام، وفي انتقاده المباشر للحكومة.

العدالة القاسية

كان هوانغ، الديمقراطي المُلتزم، يأمل في توحيد كوريا عبر مدِّ الجسور بين الفنانين من الكوريتين، وارتحلَ - خارقًا القانون- عبر اليابان والصين إلى بيونغيانغ في كوريا الشمالية. وبدلا من العودة إلى كوريا الجنوبية ومواجهة العدالة، فقد ذهبَ إلى منفى اختياري في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث حاضرَ في جامعة لونغ إيلاند، وقضى بعض الوقت في ألمانيا.

لكنَّ جاذبية الوطن كانت أقوى من أن تُقاوم، فأقفل هوانغ راجعًا إلى كوريا الجنوبية في عام ١٩٩٣، ليحبس ويُحكم عليه بالسجن سبع سنوات بتهمة خرق الأمن القومي، وحُرم من أدوات الكتابة وتلقى معاملة سيِّئة أثناء حبسه.

ردّ هوانغ على ذلك بالإضراب عن الطعام، وهو فعل حظي فيه بدعم منظمات حقوق الإنسان؛ بما في ذلك منظمة العفو الدولية ومنظمة PEN America. قاد الضغط على الرئيس الجديد المنتخب كيم داي جونغ إلى إطلاق سراحه في عام ١٩٩٨ والاعتذار منه، بعد أن قضى خمس سنوات من حكمه.

استمرَّت كتاباتُ هوانغ السياسيةُ والتاريخيةُ واسعة النطاق في منح صوت لمشاعر «التشرُّد»: سبَّبت الحربُ والاحتلالُ مشاعرَ العزلةِ والخسارة، ونتجَ عن الحداثة الانسلاخُ واختفاءُ القيم التقليدية.

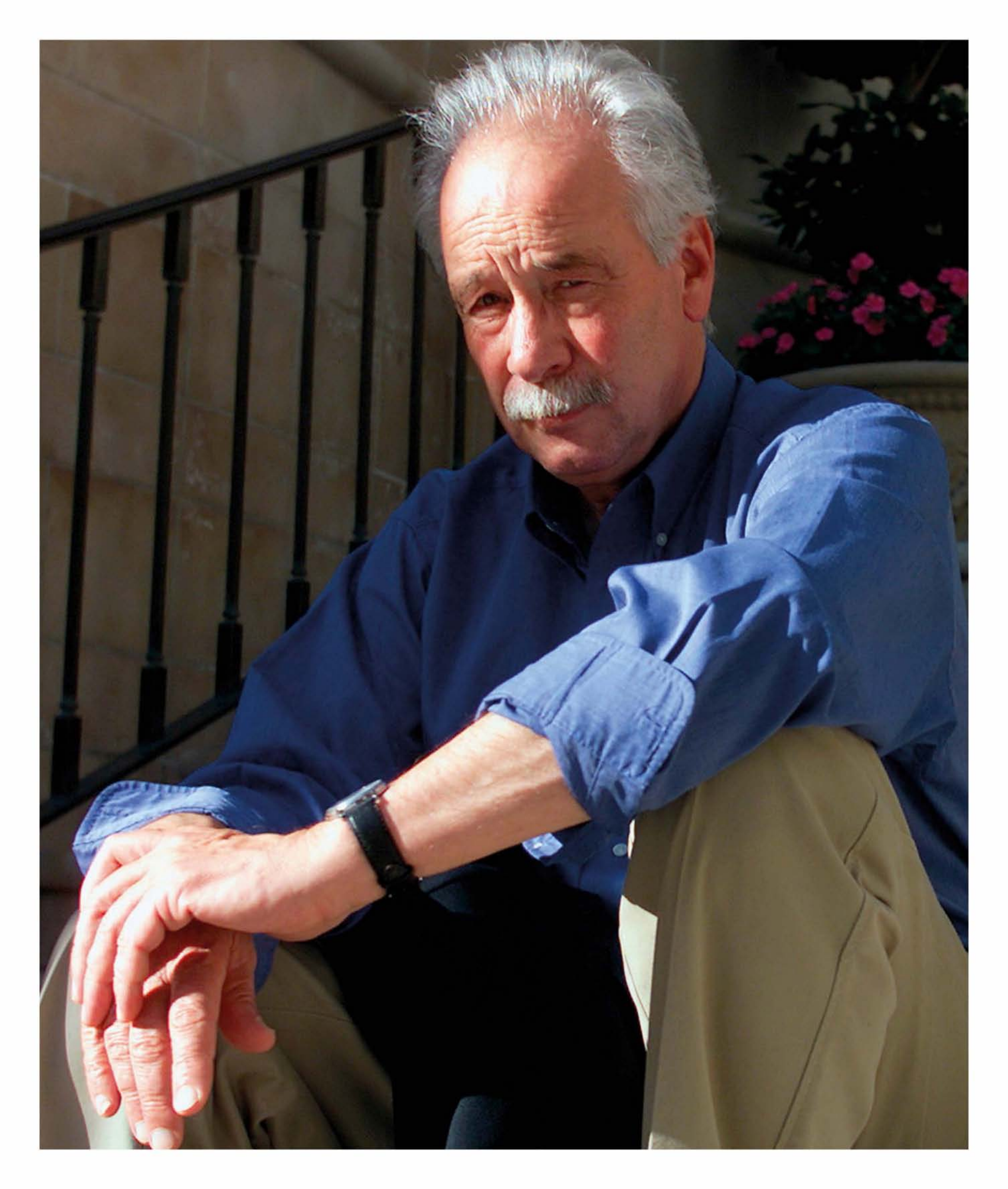
▸ **رواية الصراع**
أعلمت تجارب هوانغ الكتابية عن «تنظيف» أدلة المذابح في الحرب الفيتنامية في قصته القصيرة «الباغودا» المنشورة عام ١٩٧٠. وأتَم في ذات السنة روايته الأولى «تاريخ السيد هان» وهي قصة رجل يُفصل عن زوجته بسبب الحرب الكورية.

خط عرض ٣٨

كانت كوريا حتى عام ١٩٤٥ بلدًا واحدًا تحت الحكم الياباني، لكن شهدت البلاد تقسيمًا عند خط عرض ٣٨ بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. أحتُلَّت كوريا الشمالية من قبل السوفيت وكوريا الجنوبية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، وثبت أثناء الحرب الباردة التي تبعت ذلك استحالة اتحاد الكوريتين مجددًا. وعوضا عن ذلك، تأسَّست جمهورية كوريا في الجنوب عام ١٩٤٨ وجمهورية كوريا الشعبية الشيوعية الديمقراطية في الشمال، وادَّعى كل طرف بأنَّ له الحقوق على كوريا بأكملها، الأمر الذي قاد إلى حرب ١٩٥٠-٥٣، وفُصل بينهما منذ ذلك الحين بمنطقة منزوعة السلاح عند خط عرض ٣٨ تقريبًا، مُجزِّئة شبه الجزيرة الكوريّة إلى قسمين.



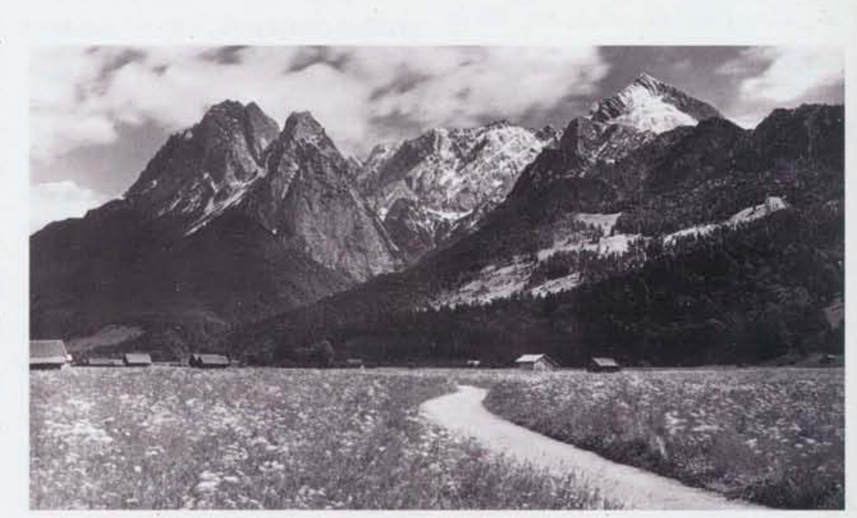
عبور خط عرض ٣٨ أثناء الحرب الكورية عام ١٩٥٠



و. ج. سيبالد

(١٩٤٤-٢٠٠١) ألمانيّ

نسج الأكاديمي الألماني سيبالد في كتاباته السيرة الذاتية وأدب الرحلات والمقالات التأملية والتاريخ ليصنع نثره الفريد والقوي. لكنّه، ويا للفاجعة، تُوفي في ذروة إبداعه عن عمر يناهز السابعة والخمسين.



وُلِدَ وينفريد جورج سيبالد في قرية ويرتاتش إم ألغاو البافاريّة، جنوبي ألمانيا في عام ١٩٤٤، قبل بضعة أشهر فحسب من معاناة بلاده الهزيمة في الحرب العالمية الثانية.

انحدر والداه الكاثوليكيان من الطبقة الكادحة العاملة في المزارع، على الرغم من أن والده «جورج سيبالد» قد ارتقى به الحال حتى أصبح نقيبًا في الجيش، فقد احتُجز في معسكر لأسرى الحرب في فرنسا حتى عام ١٩٤٧ لذا فقد ترعرع ابنه إلى حدٍّ كبير في كنف جده العطوف، والذي أصبحَ شخصية مهمة في حياته.

▸ و. ج. سيبالد

عاش سيبالد في إنجلترا عديد السنوات: كان متعلقًا على نحو خاص بمنزله في نورفولك، وحس الدعابة الإنجليزي.

صمت الأجيال

كان نهوض ألمانيا سريعًا بعد فظائع الحرب، ورغم ذلك فلم يُهتك ستر صور الاضطهاد في معسكرات الاعتقال الألمانية لعيني سيبالد حتى كان في سن السابعة عشرة عندما عُرِض له ذلك في فيلم وثائقي عن بيلسين. يقول سيبالد عن ذلك: « كان علينا -بطريقةٍ ما- محاولة فهم ذلك، وهو ما لم نفعله بالطبع». دُعيت حقبة الخمسينات بـ «مؤامرة الصمت» التي طالت كل ما يخص اضطهاد اليهود والأقلّيات. لم يُشِر المواطنون الألمان -الذين أصابهم الرعب في الحرب وشعروا بالعار والذنب- إلى هذا الجانب المهول من تاريخهم، والمثير للدهشة أنَّ سيبالد وجيله بأكمله قد نشأوا في حالة جهل تام بشأن ما حدث. ويرى الكاتب أنَّ الهولوكوست أصبحت

▸ جبال الألب البافاريّة

ترعرع سيبالد عند سفح جبال الألب في قرية من ألف نسمة أو ما يقارب ذلك من السكان، وكانت تغمر بالثلوج أغلب أوقات السنة. ووصفها بأنها «مكان صامت».

«السر الذي يربط الألمان جميعا»، وأردف بأنَّ الأمر «استغرق سنوات» لمعرفة ما وقعَ فعلًا. أثارت هذه العلاقة المضطربة جدا مع الماضي فيما بعد حنقًا في نفوس العديدين من أبناء جيله.

اضطراب و«منفى»

حظي سيبالد في أوائل الستينات بمقعدٍ في جامعة فريبورغ لدراسة الأدب الألماني والإنجليزي. تخرّج في الجامعة عام ١٩٦٥ وانتقل في السنة التالية إلى مدينة مانشستر في إنجلترا، حيث عمل ثلاث سنوات قارئًا جامعيًا. كان مالك سكنه يهوديًا، واستلهم الكاتب منه لاحقًا شخصية ماكس فيربير في روايته «المغتربون (١٩٩٢)»، واتّسم قسم فيربير في الكتابة بنغمة اعترافية: يصوّر السارد يقظته الشخصية فيما يتعلق بتأثير الهولوكوست في الألماني اليهودي فيربير وعائلته. وفي مدينة مانشستر، تأمّل سيبالد في حياته المحميّة في مقاطعة بافاريا، حيث كان لديه خبرة قليلة بشأن التنوّع، وكان -بلا أدنى شك- منقطعًا عن أي اتصال بالثقافة اليهودية.

تزّوج سيبالد يوت، شريكة سكنه النمساوية

تمثيل الفظاعة

يُعدُّ سيبالد، مع بريمو ليفي، من الكتّاب الرئيسين للهولوكوست. ومع ذلك، كان يرى بأنّ من المستحيل تمثيل الفظائع الفعليّة لمعسكرات الاعتقال بالكلمات. ففي أعمال مثل رواية «أوسترليتز (٢٠٠١)»، والتي يُرسل فيها البطل اليهودي "جاك" في طفولته إلى إنجلترا للتبنّي والرعاية، نجد مشاهد الرعب غائبة عن مرأى الطفل لكنها تظل مع ذلك ساكنة في قلب الرواية، في نوع من الحضور الغائب. لقد أراد سيبالد من خلال قراءه معالجة الفظائع على نحو غير مباشر التوضيح للقارئ بأنَّ «هذه الموضوعات موجودة باستمرار؛ أن حضورها يُلقي بظلاله على كل تصريف لكل جملة يكتبها المرء».



وصول أطفال يهود إلى إنجلترا على متن السفينة «Kindertransport» عام ١٩٣٩

> «يتضح في عقلي جليًا بأنَّ أولئك الذين لا ذاكرة لهم يملكون فرصة أعظم في أن يعيشوا حياةً هنيّة»
>
> **و. ج. سيبالد.**



▲ جامعة إيست أنجليا
درَّس سيبالد في هذه الجامعة منذ عام ١٩٧٠ حتى موته المفاجئ في كانون الأول لعام ٢٠٠١. هذه الإطلالة على الجامعة من مخيّم بروتاليست في نورويتش، نورفولك، عبرَ بحيرة عُرفت باسم «الفسيحة».

أبرز أعماله:

١٩٩٠
فيرتيجو: الكتاب الأول من ثلاثية سيبالد، ويسرد حلقات من حياة ستندال وكافاكا وكازانوفا وسيبالد نفسه.

١٩٩٢
المغتربون: الكتاب الثاني من الثلاثية، ويُستعرض فيه حياة أربعة مهاجرين ألمان يعيشون في إنجلترا والولايات المتحدة.

١٩٩٥
حلقات زحل: الكتاب الأخير من الثلاثية، ويتأمل السارد فيه حول الحقيقة والفن والتاريخ.

٢٠٠١
أوسترليتز: تبتدئ هذه الرواية مع البطلة التي كانت ذات يوم رضيعة لاجئة أُنقذت من معسكر للاعتقال.

المولد، في عام ١٩٦٧. وبعد ذلك بعامين، وخلال مرحلة ذات نمط ترحاليّ إلى حد ما من حياته، حاول الكاتب العيشَ في سويسرا وفي نيته البقاء مُعلّمًا هناك، لكنه شعر بعدم الاستقرار وانتقل إلى إنجلترا، حيث شغل منصب محاضر في جامعة إيست أنجليا (UEA). عاش سيبالد بقية حياته في إنجلترا، لكن لم يشعر قط بأنه في وطنه، هناك أو في أيِّ مكانٍ آخر تقريبا.

أكمل سيبالد الدكتوراة عن المؤلف الألماني ألفريد دوبلين في عام ١٩٧٣، ومما لا شكّ فيه أنّ إبداعه تأثّر بنهج دوبلين الانتقائي في الكتابة، والذي تضمَّن الرحلات والأطروحات الفلسفية والخيال العلمي والروايات التاريخية. وأشار سيبالد أيضا إلى الروائي النمساوي الجريء توماس برنارد بكونه مؤثرا رئيسا في كتاباته، وتضمَّنت روايتاه «المغتربون» و«حلقات زحل (١٩٩٥)» إشارات إلى أعمال بورخيس وكافكا ونابوكوف.

عُيِّن سيبالد في عام ١٩٨٧ رئيسا لقسم الأدب الأوروبي في جامعة إيست أنجليا، وظلّ أستاذا للأدب الألماني الحديث هناك لبقيّة مسيرته الأكاديمية. أسّس سيبالد المركز البريطاني للترجمة الأدبية في عام ١٩٩٩، والذي يواصل دعمه لفصل ماجستير الفنون في جامعة إيست أنجليا في هذا المجال والبرامج الأكاديمية المشابهة. يعقد المركز الآن دورات سنوية حول سيبالد، تكريما للمؤلف المؤثر والأكاديمي. كتب سيبالد على مدار ما يقرب من عشرين عامًا نصوصًا أكاديمية متخصصة، وكان ناقدًا مرموقًا للأدب الألماني والنمساوي، ناشرًا الدراسات والمقالات المُجمّعة.

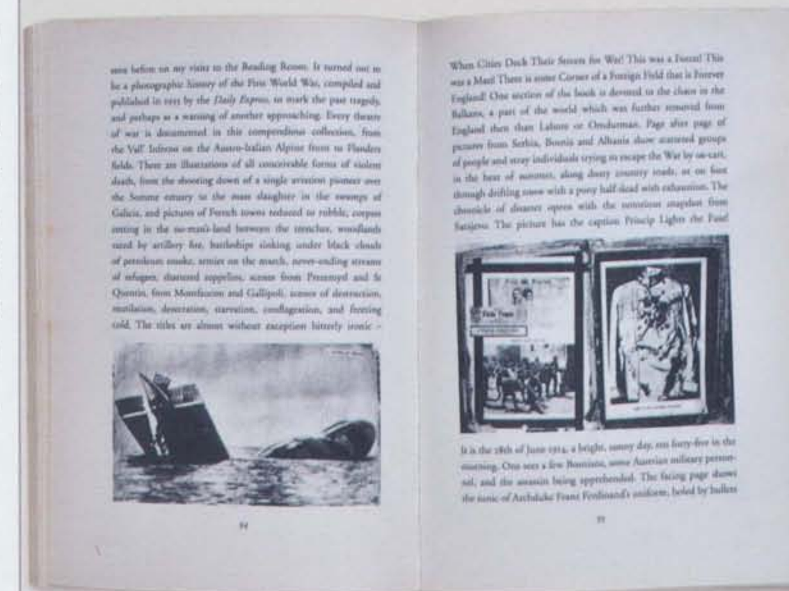
مقام مُقدَّس

بعد أن تكيَّف سيبالد، وهو في منتصف الأربعينات من عمره، على الحياة في نورفولك مع يوت وابنتهما «آنا»، بدأ في كتابة النثر بلغته الأم، بأسلوبٍ وإيقاع يشبه النثر الألماني في القرن التاسع عشر والمقالات الإنجليزية لكتَّاب مثل دي كوينسي. كانت جمل سيبالد الطويلة والرسمية قليلة في لغتها الوصفية، لكنها كانت مُتعدّدة المصادر. صرّح سيبالد بأنه يشعر بالخجل من الكتابة باللغة الإنجليزية: «على النقيض من كونراد ونابوكوف، لم تكن لدي ظروف تجبرني على التخلي عن لسان قومي تمامًا».

كانت رواية «المغتربون (نُشرت بالإنجليزية في عام ١٩٩٦)» أول أعماله التي تُترجم من الألمانية بقلم مايكل هولس، والذي واصل ترجمة الكثير من أعماله إلى الإنجليزية. حققت هذه الرواية ضربة أدبية وفازت بجائزة برلين في الأدب، وجائزة نورد في الأدب، وقلادة يوهانس بوبروفسكي، وأذهلت النقّاد وأربكتهم؛ جاعلةً من سيبالد ذا مقام مقدّس. تُرجم عملاه الآخران -المنشوران سلفًا بالألمانية- إلى الإنجليزية عبر هولس، وهما رواية «فيرتيجو» ورواية «حلقات زُحل». وأشادت الناقدة الثقافية سوزان سونتاج في مراجعتها لرواية فيرتيجو «بالكآبة العاطفية لذهن سيبالد المُضطرب والمُستاء على نحوٍ مزمن».

التقنيات الأدبية

كان نثر سيبالد المكتوب بالألمانية ذا نزعة تجاه الجمل الطويلة، مع فقرات متعددة وندرة في تقسيم النص إلى مقاطع. امتدَّ نطاق رواياته عبر القرون، وتشابكت الموضوعات المتنوعة والمراجع التاريخية والشخصية الأدبية التي تبدو في ظاهرها غير مترابطة، متضمّنة الذكريات الحيّة -وإن كانت غير مثالية- والرحلات، وزيارة المواقع الأثرية. استخدم سيبالد أيضا صورًا بالأسود والأبيض لتوضيح كتبه: عملت الصّور الخالية من التعليقات -التي أبهرت القارئ وحيّرته- على تشويش المعنى واليقين في النص. وقُوبلت أحيانا السمات السوداوية والإدراك المفاجئ في أسلوب كتاباته بكتابات مارسيل بروست.



استخدام الصور في حلقات زحل

W·G·Sebald
THE RINGS OF SATURN
by the author of The Emigrants

«ولذا فهم دائما ما يعودون إلينا، أولئك الموتى».

المغتربون – و. ج. سيبالد

استعادة الصمت

أتى الطلب على المزيد من كتب سيبالد بعد نجاحه الأدبي، بيد أنه عمل في أواخر القرن العشرين على مشروع غير روائي بعنوان «عن التاريخ الطبيعي للتدمير (١٩٩٩)»، وهو مجموعة من المقالات عن الأدب الألماني تركّز على قصف الحلفاء للمدن الألمانية في الحرب العالمية الثانية (تُرجم بعد وفاته ونُشر في عام ٢٠٠٣). ينحرف عمله هذا عن أعمال المذكرات النثرية في استعراضه الأوصاف الأدبية لمعاناة المواطنين الألمان بدلا من اضطهاد الهولوكوست. لكن هذا العمل غير الروائي يشترك مع الأعمال الروائية في عزم مؤلفها على استعادة لحظة مُخرسة في التاريخ وفضح الكتابات غير الشاملة في وصفها للخسارة البشرية والدمار بدقة كافية.

كان ثمة حماس عظيم بخصوص نشر «أوسترليتز»، والتي تبيّن أنها الرواية الأخيرة لسيبالد، كان قد انتقل للتو إلى دار بنغوين قادما من دار نشر أصغر، وحظي كذلك بمترجمة جديدة تدعى «أنثيا بيل». كان سيبالد قد استلهم روايته هذه من فيلم وثائقي مثير للمشاعر من إنتاج BBC حول طفلة يهودية تبلغ من العمر ثلاث سنوات تدعى «سوزي بيتشهوفر»، التي أُجليت من ألمانيا عام ١٩٣٩. وعندما وصلت إلى بريطانيا، تبنّاها وزير ويلزي وزوجته. وفي مرحلة البلوغ، اكتشفت سوزي بأن أمها قد ماتت في معسكر أوشفيتز وأنّ والدها كان جنديًا نازيًّا. صدر هذا الكتاب في تشرين الثاني/ نوفمبر عام ٢٠٠١، لكن سيبالد -ويا للفاجعة- توفي بعد ذلك بشهر واحد فقط إثر معاناته من تمدد الأوعية الدموية الذي جعله ينحرف بسيارته أمام شاحنة بالقرب من منزله في نورفولك. نجت ابنته التي كانت برفقته من الحادث.

فازت رواية أوسترليتز بجائزة دائرة نقاد الكتاب الوطنية، بيد أنّ عظمة سيبالد كانت مترسّخة بالفعل، وكان من ضمن المرشحين لنيل جائزة نوبل. رثى الكثير من الناعين فقدان مؤلف أثرى الثّقافة الأوروبية، وتحدّى الطريقة التي نكتب بها عن الذاكرة والماضي.

▲ حلقات زُحل

يقوم الراوي المجهول في هذه الرواية المنشورة عام ١٩٩٥ -التي وظّف سيبالد فيها مزية مزيج الخيال والتاريخ والرحلات- برحلات في سوففولك وإنجلترا على الأقدام.



▼ طائرات الحلفاء أعلى كيل، ١٩٤٤

نقد سيبالد في كتابه «عن التاريخ الطبيعي للتدمير» كتّاب ألمانيا ما بعد الحرب لبقائهم صامتين عن مئات الآلاف من المواطنين الذي راحوا ضحية قصف قوات الحلفاء للمدن الألمانية.

لورنا غوديسون

(١٩٤٧-) جامايكيّة

تُعدُّ غوديسون واحدة من أفضل الكتَّاب الكاريبيين في جيل ما بعد الحرب، واتَّسمت بأنها مؤلفة ذات قوة تخيُّلية عظيمة، استكشفت قصائدها وقصصها القصيرة التاريخَ والعائلة والجندر والهوية العِرقية.

تقول لورنا غايا غوديسون أنَّ والدتها غمست إصبعها بالسكَّر و«دعكت به أسفل لساني لتمنحني مَلكَة الكلمات»، وذلك حين ولدت في كنغستون، جامايكا، عام ١٩٤٧. وتعزو لورنا حبها للشعر إلى التعليم الاستعماري الذي تلقّته في المدرسة الابتدائية حيث كانت المناهج الدراسية تُصدَّر من «البلد الأم» وتركِّز على الكتَّاب الإنجليز الذكور مثل شيكسبير وكيتس وإليوت ولورانس، والذين غالبًا ما كانت إحالاتهم ومرجعياتهم الثقافية لا تحمل أي معنى أو دلالة لسكَّان الجزر. تقول غوديسون إن قصيدة وردزورث الشهيرة «النرجس البري» هي التي أزعجتها لدرجة جعلتها ترغب في كتابة الشعر الذي يعكس ثقافتها.

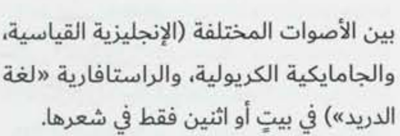
عملت غوديسون بعد إنهائها للمدرسة أمينة مكتبة ثم كاتبة إعلانات. لكنها كانت تحلم منذ صغرها بأن تصبح فنانة، وهكذا، التحقت في عام ١٩٦٧ بمدرسة الفنون الجامايكية، ثم لاحقا برابطة طلاب الفنون في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية. درَّست غوديسون الفنَّ منذ ذلك الحين في أوقات متفرقة، وعملت مصممة ورسامة تصويرية، كما عُرضت أعمالها الفنية على نطاق واسع وظهرت على العديد من أغلفة كتبها.

استحوذَ عليها الشعر عندما كانت في العشرينات من عمرها في نيويورك، وكان كما تصفه مثل «طاغية مُتسلّط ومُتطفّل». كانت مجموعتها الشعرية الأولى «موسم التمر الهندي»، بقصائدها التي تزخر بموضوعات النضال والبقاء والعائلة والهُوية الوطنية، وأدوار النوعين (الجندر) بمثابة ركلة البداية لمسيرتها الأدبية. نُشرت المجموعة في عام ١٩٨٠ وهي ذات السنة التي وضعت فيها غوديسون ابنها «مايلز»، وأصبحت بعد ثلاث سنوات كاتبة زائرة في جامعة أيوا، حيث اكتسبت سمعة مُؤدّية رائعة لأعمالها. تضمَّنت مجموعتها الشعرية الثانية «أصبحتُ أمّي (١٩٨٦)» تأمّلات حول المرأة الكاريبيّة بكونها عاملةً مُعجزة (كانت تصنع ثوبًا من مربع قماش/ في مدة مُتحديةً الزمن)، وقلاقل الأمور الناتجة عن ذلك الأمر، كالتضحية بالذات وإنكارها. لكن يُمكن القول بأن مجموعتها الشعرية «ورود: قصائد (١٩٩٥)» هي ما أكَّدت مقام غوديسون واحدة من أفضل شعراء غرب الهند في جيل ما بعد الحرب.

الكتابة التصويريّة

شبّهت غوديسون أسلوبها في الكتابة بتقنية Chiaroscuro (الضوء والظل) في الفن: «أضع جميع هذه الصور المضيئة في مواجهة الحقائق التاريخية المُظلمة أو أرفعهما معًا تعويذاتٍ ضد الشعور باليأس والقنوط اللذين قد يستحوذان علينا نحن البشر». لكن شعرها يروق لجميع الحواس تقريبا في إشادته المتكررة بالحياة اليومية: أوصافها الحسيّة لأكل ثمر المانجو، أو رائحة النعناع، أو الغسيل، أو غداء يوم الأحد، على سبيل المثال.

تمتاز غوديسون أيضًا بمهارتها في انتقاء الإيقاعات المميزة للخطاب الجامايكي، وفي المزج بين الأصوات المختلفة (الإنجليزية القياسية، والجامايكية الكريولية، والراستافارية «لغة الدريد») في بيتٍ أو اثنين فقط في شعرها.



تعلَّمت غوديسون، الأستاذة الفخرية في جامعة ميشيغان، أن تعيش حياتها في عدة أماكن في آن واحد، مُقسِّمة وقتها ما بين جامايكا وأمريكا الشمالية، حيث شغلت عدة مناصب جامعية مختلفة خلال مسيرتها المهنيّة المتميزة.

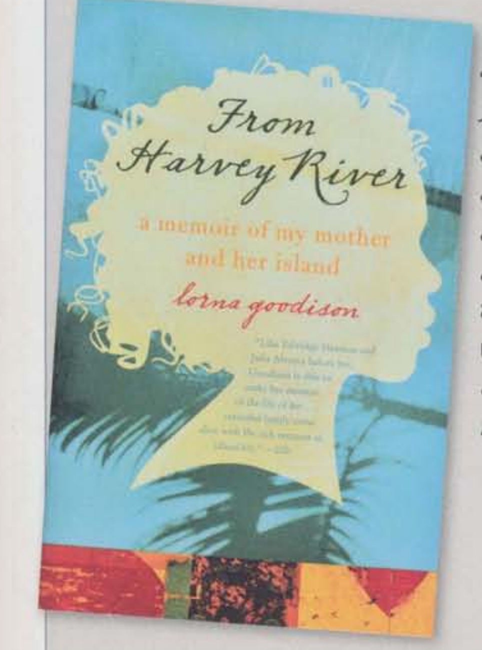


▲ **اتحاد طلاب الفنون**

انخرطت غوديسون في مدرسة فنون نيويورك، الظاهرة أعلاه، في أوائل العشرينات من عمرها. وتكرر صدى موهبتها الفنية في كتاباتها، منتجةً نسيجًا من المناظر الطبيعية الأدبية الغنيّة والنابضة بالحياة.

تاريخ الأسلاف

كُتب عمل غوديسون النثري الأول الكامل، مذكرات «من نهر هارفي»، بأسلوب فاتن وشاعري ومثير للمشاعر، وذكرى رقيقة عن أسلافها تمزج ما بين تاريخ جامايكا وسرد عائلي ساحر، مقدمةً القارئ إلى مجموعة من الشخصيات الاستثنائية. يُشير عنوان الكتاب إلى جد غوديسون الأكبر «وليم هارفي»، الرجل الإنجليزي الذي أطلق اسمه على القرية الصغيرة والنهر المجاور لأبرشية هانوفر في شمالي غرب جامايكا التي أصبحت منزل عائلته. نال كتاب «من نهر هارفي» إشادة على نطاق واسع، وفاز بجائزة كولومبيا البريطانية الوطنية لأفضل عمل غير خيالي كندي (٢٠٠٨).



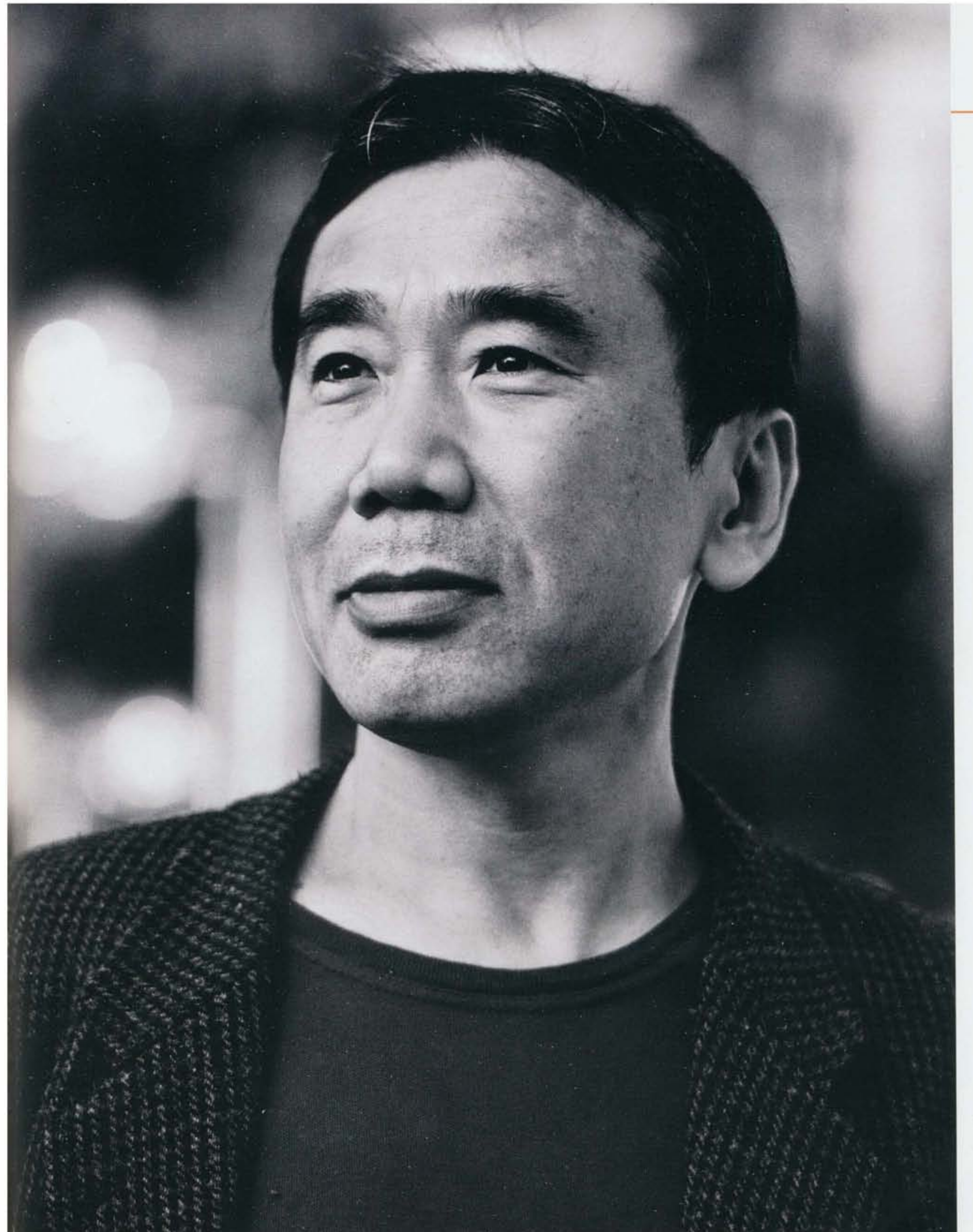
غلاف من نهر هارفي

> «الشِّعرُ الجيّد مثل الصلاة المُثمرة، فهو يُطعم الروح البشرية، ويُغذِّيها، ويضعنا في تماس مع قوى أعظم من ذواتنا بكثير»
>
> **لورا غوديسون.**

◄ **لورنا غوديسون،** ٢٠١٧

أُختيرت غوديسون في سنة التقاط هذه الصورة لتنال جائزة ثاني أفضل شاعر جامايكي على الإطلاق، المقام الذي شغلته حتى عام ٢٠٢٠.





هاروكي موراكامي، ٢٠٠٤
التقطت هذه الصورة لموراكامي هو بسن الرابعة والخمسين، الذي اشتهر عبر العالم لكنه وُقِّر في بلده. وغالبا ما اشترك، نظرًا لأنه أشهر مفكر ياباني، بنقاشاتٍ عامة حول وطنه. جرَّب أيضًا الجري مسافاتٍ طويلة، وترجمة مؤلفات كتَّاب آخرين.

هاروكي موراكامي

(١٩٤٩-) يابانيّ

المؤلف وكاتب المقالات ذائع الصيت الذي مزجت رواياته الشائعة بين عناصر السريالية والواقعية السحرية من أجل استكشاف أسئلة عالمية حول معنى أن تكون إنسانًا.

«تُدفِّئنا الذكريات من الداخل لكنها تمزِّقنا إرْبًا كذلك»

كافكا على الشاطئ – هاروكي موراكامي.

وُلدَ هاروكي موراكامي في كيوتو المُحتلّة من الولايات المتحدة لوالدين معلّمِيْن للأدب الياباني، ودائما ما كان يشعر بالغربة في بلده. ترعرع موراكامي أغلبَ الوقت في منطقة كوبي الساحلية، حيث غمرَ نفسه بالأدب الغربي والروسي -لا سيما القصص البوليسية الواقعية القاسية- وموسيقى الجاز. زعمَ موراكامي بأنه رفض قراءة الأدب الياباني لأن قراءته ستحتِّم عليه مناقشته مع والده، الأمر الذي لم يكن يرغب بفعله. لكنّ موراكامي كان منجذبًا بوضوح أيضًا إلى الأنماط البديلة من الحياة التي تقدّمها الثقافة الغربيّة.

التمرد والكتابة

بعد دراسته المسرح في جامعة واسيدا في طوكيو، حيث التقى بزوجته يوكو، تمرّد على مستقبله في العمل «موظفًا مجتهدًا» في شركة، فأطال شَعره، وعمل في متجر تسجيلات صوتية (المسار الذي شارك به شخصيته تورو واتانابي في روايته التأملية عن الحب والشباب «الغابة النرويجية (١٩٨٧)»). ادَّخر موراكامي من عمله بعض المال وافتتح حانة لموسيقى الجاز في ضاحية بطوكيو، وأنعشَ أجواء حانته بوضعه لبيانو عمودي تُعزف عليه أنغام حيَّة في البار.

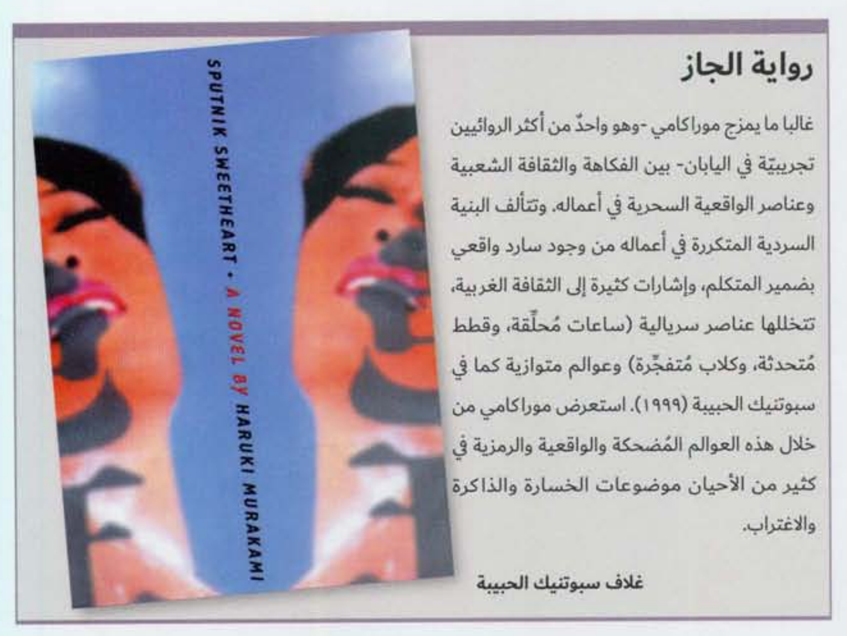
أوضح موراكامي في مقدمة روايته «ريح/ بنبول: روايتان (٢٠١٥)» كيف بدأ مسيرته الكتابية، مشيرًا إلى نوع من التجربة الروحانية التي حلّت عليه عندما كان جالسًا يحتسي الجعّة ويشاهد مباراة كرة القاعدة في طوكيو بين فريقي ياكولت سوالوز وهيروشيما كارب في عام ١٩٧٨. وفي اللحظة التي حقق فيها اللاعب الأمريكي دايف هيلتون نقطة بعد ضربه الكرة؛ غشيت موراكامي فجأة الرغبة في أن يكتب رواية، ليخرج بعد نهاية المباراة مباشرة ويشتري أوراقا وقلما.

كتب موراكامي في الشهور العشرة التالية رواية «اسمع الريح تغنّي (١٩٧٩)»، مُستلهمًا إياها من الأعمال المضادة للثقافة لكورت فونيجت وريتشارد براوتيغان، وفازت روايته بجائزة للكتَّاب الجدد. لم ينظر موراكامي إلى الوراء قط، وباع حانة الجاز التي أدارها عشر سنوات وبدأ بالكتابة طوال الوقت.

الانضباط البدني

كانت رواية «الغابة النرويجية (١٩٨٧)» أشهر رواية بين شباب اليابان، وبيعَ منها ملايين النسخ، وحوَّلت مؤلفها إلى نجم مشهور لكنَّ موراكامي لم يكن مرتاحًا مع هذا الوضع إطلاقًا، فغادر اليابان عام ١٩٨٦ وحطَّ رحاله في الولايات المتحدة الأمريكية. قسَّم وقته منذ ذلك الحين بين المنازل في هاواي واليابان، وكان ملتزمًا طوال الوقت بنظام يومي صارم وضعه لتيسير عملية كتابته: النهوض في الساعة الرابعة فجرًا للكتابة خمس أو ست ساعات، قبل السباحة والجري لمسافات طويلة، ثم العودة في الساعة التاسعة مساءً. أتمَّ موراكامي أول ألترامارائون له في هوكايدو باليابان، ووصف أهمية الجَّري في مذكراته «ما أتحدث عنه عندما أتحدث عن الجَّري (٢٠٠٧)».

وسُرِّبت في عام ٢٠١٧ أخبارٌ على نطاق واسع بأنّه ضمن المرشحين لنيل جائزة نوبل في الأدب، لكن لعلّه -كونه قد صرّح ذات مرّة قائلا: «لا أرغب بالجوائز، لأنها تعني أنني انتهيت»- شعر بالارتياح قليلا عندما ذهبت الجائزة بدلا من ذلك إلى زميله الياباني المولد الكاتب كاوزو إيشيغورو.



رواية الجاز

غالبا ما يمزج موراكامي -وهو واحدٌ من أكثر الروائيين تجريبيّة في اليابان- بين الفكاهة والثقافة الشعبية وعناصر الواقعية السحرية في أعماله. وتتألف البنية السردية المتكررة في أعماله من وجود سارد واقعي بضمير المتكلم، وإشارات كثيرة إلى الثقافة الغربية، تتخللها عناصر سريالية (ساعات مُحلِّقة، وقطط مُتحدثة، وكلاب مُتفجِّرة) وعوالم متوازية كما في سبوتنيك الحبيبة (١٩٩٩). استعرض موراكامي من خلال هذه العوالم المُضحكة والواقعية والرمزية في كثير من الأحيان موضوعات الخسارة والذاكرة والاغتراب.

غلاف سبوتنيك الحبيبة



◂ الموسيقى والكتابة

اشتعل فتيل شغف موراكامي بموسيقى الجاز في عام ١٩٦٤ أثناء حضوره حفلًا موسيقيًّا في كوبي لفرقة آرت بلايكي ورُسُل الجاز. شكّلت موسيقى الجاز مصيره وأسلوب كتابته الارتجالي- ادَّعى بأنه لم يكن يعرف مُطلقًا ما الذي سيكتبه في الصفحة التالية.



أورهان باموق

(١٩٥٢-) تركيّ

قضى باموق -باستثناء ثلاث سنوات في نيويورك- حياته بأكملها في ذات الحي من مدينته إسطنبول. وغالبًا ما انعكست التوترات ما بين الشرق والغرب والقديم والمعاصر على موضوعات رواياته.

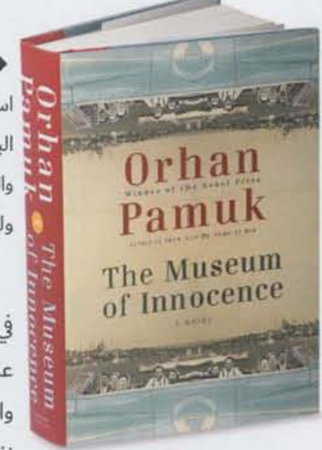
عندما حلّت الجمهورية التركية التي أسسها كمال أتاتورك في عام ١٩٢٣ محل الدولة العثمانية القديمة، مرّت الدولة الجديدة بحقبة من التحديث السريع. وتطلّع التأسيس العلماني الجديد إلى الغرب ليكون نموذجًا للمجتمع ببروز الطبقة الوسطى الجديدة التي أثريت عبر التصنيع. كان جدُّ أورهان باموق من هذه النخبة، الذي صنع ثروته من بناء سكك الحديد في تركيا.

التعليم وبواكير الأعمال

وُلدَ أورهان في عام ١٩٥٢ لعائلة غنية تضاءلت ثروتها، لكنه مع ذلك ترعرعَ في واحدٍ من أرقى أحياء إسطنبول، نيشانتاشي Nisantasi، على الجانب الأوروبي من مضيق البوسفور. كان يُتوقّع من أورهان اتباع تقليد عائلة باموق في أن يصبح مهندسًا مدنيًا، لكنَّه كان يحلم بأن يصبحَ فنانًا بدلًا من ذلك. استسلم باموق لضغط أسرته بعد أن تخرج في مدرسة روبرت الأمريكية في إسطنبول، فالتحق بكلية إسطنبول التقنية لدراسة الهندسة المعمارية. تخلّى باموق عن دراسة الهندسة المعمارية لأنه لم يكن سعيدًا، فانتقل بعد ثلاث سنوات من الدراسة في ذلك التخصص إلى جامعة إسطنبول، حيث تخرّج

◂ أورهان باموق، ١٩٩٢

التقطت هذه الصورة في إسطنبول لباموق الذي أصبحَ أنجحَ روائي تركي على الرغم من شخصيته الجدليّة في وطنه. نُشرت روايته العاشرة، ذات الشعر الأحمر -وهي قصة حفّار ماهر وبداياته مبتدئًا- في عام ٢٠١٦.



◂ حب هَوَسيّ

استعرضت رواية باموق، متحف البراءة، السلوكيات تجاه الحب والجنس في إسطنبول، عبر حكاية ولهِ رجلٍ بابنة عمه الفتيّة.

في قسم الصحافة عام ١٩٧٦. عاش باموق منذ سن الثالثة والعشرين مع والدته، وكرّس نفسه لكتابة الروايات. نُشرت أولى رواياته «جودت بك وأبناؤه» في عام ١٩٨٢، وهي حكاية ثلاثة أجيال لعائلة ميسورة في حي نيشانتاشي. لاقت الرواية استحسان النقّاد، وفازت بجائزتين أدبيتين مرموقتين في تركيا، وأتاح نجاحها لباموق مغادرة المنزل والزواج.

من الشرق إلى الغرب

نشر باموق بعد ذلك بعام رواية «المنزل الهادئ»، ثم رواية «القلعة البيضاء» في عام ١٩٨٥، وهي دراسة للعلاقة ما بين السيد والعبد تدور أحداثها في القرن السابع عشر في إسطنبول. انتقل باموق في تلك السنة إلى نيويورك حيث شغل وظيفة محاضر زائر في جامعة كولومبيا، لكنه سرعان ما عاد إلى وطنه في عام ١٩٨٨ لمواصلة مسيرته المهنيّة روائيًا. عكست روايته «اسمي أحمر (١٩٩٨)» -مثلها في ذلك مثل العديد من أعماله- التوترات الثقافية بين العالم الإسلامي القديم وبين القيم الغربية؛ هذه المرة عبر قصة دسيسة بين فنّانين في بلاط السلطان العثماني مراد الثالث.

أكسبت لغة باموق المبتكرة واستخدامه الواسع للأدوات الأدبية ما بعد الحداثية، مثل الرواة المتعدّدين وغير المعتادين (بما في ذلك كلب وجثة) الشهرة العالمية، ومنحته الحكومة التركية اللقب الرفيع «فنان الدولة»؛ الشرف الذي رفضه. فاز باموق بجائزة نوبل في الأدب عام ٢٠٠٦، ولا يزال يعيش ويعمل في شقته في نيشانتاشي.

▾ إطلالة البسفور

كتب باموق في مكتب مطلٍّ على البسفور في إسطنبول، عاصمة الإمبراطورية العثمانية السابقة، التي ضمّت جنباتها أغلب أعمال باموق.



إهانة تركيا

لا يعد باموق نفسه كاتبًا سياسيًا صراحة، لكنه دعا إلى انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، وانتقد -لكونه مدافعا عن حريّة التعبير- الحكومة التركيّة علنًا بسبب رقابتها على أعمال الكتّاب المعارضين، وبسبب تعاملها مع الشعب الكردي كذلك. وفي عام ٢٠٠٥، أشار باموق علانية إلى مجزرة الأرمن -المذبحة التي ارتكبها الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى- قائلا: «ثلاثون ألف كردي قُتلوا هنا، ومليون أرميني. ولا أحد تقريبًا يجرؤ على ذكر ذلك». رُفعت عليه إثر ذلك قضية إهانة الدولة لإثارته هذا الموضوع المحظور. وقادت الإدانة الدولية لمقاضاته إلى إسقاط القضية، ولكن بعد الاستئناف، وُجدَ المؤلف مُذنبًا وحكم عليه بدفع ١٧٠٠ دولار تعويضات.



مو يان

(١٩٥٥-) صينيّ

طوَّر مو يان، الذي عُرفَ برواياته الهزلية السوداء، صوتًا أصيلا جدا مزج فيه بين الواقعية الاشتراكية والواقعية السحرية والأدب الصيني والفولكلور، ليمنح نظرةً سرياليةً ساخرة للحياة في الصين.

لم تكن «البلدة الشمالية الشرقيّة» التي تدور فيها العديد من روايات مو يان سوى النسخة المتخيلة من مسقط رأسه، بلدة غاومي في مقاطعة شاندونغ شمال شرقي الصين. كان والداه مزارعين هناك عندما وُلدَ (مُنحَ اسم غوان موبي) خلال حقبة «القفزة العظيمة إلى الأمام»، وهي الحقبة ما بين ١٩٥٨-١٩٦٢ عندما أدّت السياسات التي نفّذها الرئيس ماو بهدف تحديث الاقتصاد الزراعي الصيني إلى انتشار مجاعةٍ ضربت عموم الصين.

في ظل ثورة ماو الثقافية، ترك غوان موبي المدرسة عام ١٩٦٦ وهو بسن الحادية عشرة للعمل في الأرض. ثم شغلَ بعد سبع سنوات وظيفة في مصنع قطن، وأثناء عمله هناك، بدأ اهتمامه بالأدب يتنامى. كانت قراءات غوان خلال تلك الأوقات تقتصر على الكتب الواقعية الاجتماعيّة التي تسمح بها السلطات، ولم يكتشف الأدب الكلاسيكي الصيني والمؤلفات المترجمة إلا في وقتٍ لاحق. وفي حين كان إعجابه بالواقعية الاجتماعية للكتاب الصينيين من أمثال لو شون لا يزال قائما، فقد وجد غوان أعمال وليم فوكنر وغابرييل غارسيا ماركيز بمثابةٍ نوعٍ من التجلّي.

جُنِّدَ غوان موبي في جيش التحرير الشعبي (PLA) لكنَّه كرّس الكثير من وقته فراغه للقراءة والكتابة. نُشرت واحدة من قصصه القصيرة في مجلة أدبية تحت الاسم المستعار مو يان في عام ١٩٨١. أظهرت قصص مو يان المبكّرة بدايات أسلوب مميز ومتأثر بواقعية غارسيا ماركيز السحريّة والأدب الصيني التقليدي، لكنّه كان يعكس كذلك قوله بأنَّ واجب الكاتب مرتبط بالسياسة قبل الفن.

تنامي السمعة

انخرط مو يان بهدف توسيع آفاقه كاتبا في أكاديمية جيش التحرير الشعبي الصيني للفنون PLA حيث درس فصلا في الأدب مدّته سنتين عام ١٩٨٤. وفي أثناء دراسته هناك، نشر قصصًا قصيرة من ضمنها «الفجل الأحمر الشفاف» و«انفجارات»، اللتين لاقتا استحسان النقّاد، لكن النجاح أتى مع روايته الأولى «سورغم أحمر» التي تجري وقائعها خلال السنوات الوحشية للحرب الصينية اليابانية، ونال على إثرها الشهرة الوطنية ثم الدولية. نُشرت الرواية أول الأمر متسلسلة في خمسة أجزاء في مجلات عام ١٩٨٦ وقادت شعبيتها إلى أن تُنشر في كتاب في ذات السنة، ثمّ تحولت إلى فيلم في السنة التالية. توسَّعت العديد من أعمال مو يان اللاحقة لتمزج ما بين الأسطورة والواقعية التي استخدمها لتكوِّن تأثيرًا عظيمًا في رواية الذرة الرفيعة الحمراء. فعلى سبيل المثال، تبتعد روايته «جمهورية النبيذ (٢٠٠٢)» عن السرد الواقعي، وتستقي من أنواع أدبية متنوعة كأدب الجريمة والحكايات الخارقة للطبيعة الصينية التقليدية، وذلك لإبداء تعليقات ساخرة على المجتمع الصيني. وفي حين كان يُنظر إلى أعماله ذات الهيكل التجريبي بأنها تنتمي إلى تيار ما بعد الحداثة وفقًا للمنظور الغربي، فقد أشار مو يان بأنَّ إلهامه يتنزَّل عليه من الفولكلور الصيني وتقاليد البلاد التراثية في سرد القصص.

نال مو يان جائزة نوبل في الأدب عام ٢٠١٢، وأصبحَ أول كاتب باللغة الصينية يتلقَّى هذا الشرف. وجعلت منه أعماله المبتكرة والمتنوعة واحدًا من أكثر الكتّاب إجلالًا واحترامًا في وطنه.



▲ **سورغم أحمر**
تحكي رواية مو يان «سورغم أحمر» قصة أحد أفراد عائلة غاومي في سنوات القرن العشرين المضطربة. تحول الكتاب إلى فيلم فاز بجائزة عبر زانغ ييمو

▶ **مو يان، ٢٠٠٦**
التقطت هذه الصورة في معرض الكتاب الفرنسي، وقد بنى مو يان وقتها سمعته الدولية. كان اسم مو يان المستعار يعني «لا تتكلم» وهو في الأرجح بمثابة تحذير للكاتب أثناء نشأته في صين الرئيس ماو زيدونغ.

السرد التراثي

يُعدُّ الـ«بينغشو» -الفن التراثي الصيني في سرد القصص الذي يرجعُ إلى أكثر من ٣٠٠٠ سنة- المؤثرَ البارزَ في خيال مو يان الأدبي. يتعلّم ممارسو هذا السرد فنّهم (تتضمن تدريباته تذكُّر فقرات طويلة من النص) أثناء مرحلة تمهُّن طويلة مع مُعلّم يُجوِّد لهم قصصهم ببعض الدعائم السهلة، فعلى سبيل المثال فتح المروحة كنايةً عن استلال سيف. زوَّدت حكايات البينغشو عن الجنود الشجعان والضباط النزيهين (مثل القديس لورد باو «بطل العدالة») بنماذج القيم المجتمعية المُحبَّبة التي دخلت إلى فولكلور الشعب الصيني.



طابع لعام ٢٠١٥ يُظهر السيد باو، شخصية من الفولكلور الصيني



أرونداتي روي

(١٩٦١-) هنديّة

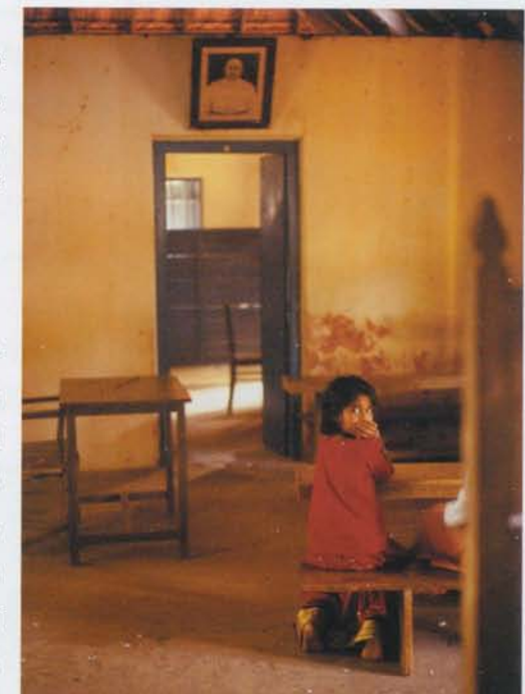
فازت روايتها الأولى -والوحيدة خلال عشرين عاما- بجائزة البوكر، محققةً نجاحًا تجاريًا. عُرفت روي بكونها ناشطة ثابتة الجنان تجاه البيئة والقضايا السياسية، وكثيرًا ما هُددت بالحبس.

وُلدت سوزانا أرونداتي روي لعائلة غير تقليدية، فقد كانت والدتها ماري سوريّةً كاثوليكيةً، ووالدها بنغاليًّا هندوسيًّا. انفصل والداها حينما كانت في الثانية من عمرها، وانتقلت روي لبعض الوقت مع والدتها وأخيها للعيش في منزل جدّها. انتقلت العائلة بعد ذلك إلى ولاية كيرلا، جنوب الهند، حيث أنشأت ماري مدرسة (ضمّت في الأصل سبعة أطفال فقط، اثنان منهم من أطفالها) وبدأت في صنع اسم لنفسها ناشطةً في مجال حقوق الإنسان.

تشكّلت حياة روي المبكرة من خلال تأثير أمها المستقلة القويّة وغياب القمع الأبوي، ورفضت أثناء نضجها الامتثال لما كان متوقعا من المرأة الهندية في العادة. وفي سن السادسة عشرة، غادرت قريتها «أيمينم» لدراسة الهندسة المعمارية في دلهي، حيث عاشت مع حبيبها في ذلك الوقت.

عادت روي بعد إقامة قصير في غوا إلى العاصمة، والتقت بصانع الأفلام «براديب كريشين» الذي أعطاها دور البطولة في فيلمه «Massey Sahib ١٩٨٥» الفائز بجائزة، وتزوّج الاثنان، لكنهما انفصلا لاحقًا.

▸ **أرونداتي روي،** ٢٠١٧
كانت روي ضمن قائمة مجلة التايم لأفضل مئة شخصية مؤثرة. وأشعلت روايتها الثانية المنشورة بعد عشرين سنة من الفراغ الاهتمام بها مجددًا.



▸ **أيام المدرسة**
فتاة في المدرسة التي أدارتها أم روي. ساعدت روي في أعمال خارج المدرسة، وقالت لاحقًا بأن هذا ما جعلها تؤجّل فكرة الإنجاب إلى وقت لاحق.

النجاح التجاري

بدأت روي في سن الحادية والثلاثين بكتابة روايتها الأولى «إله الأشياء الصغيرة» وهي حكاية شبه سيرة ذاتية عن عائلة هندية تتلاشى وتتدهور، تمزّقها سلسلة من المآسي والفضائح. أخذت الرواية منها أكثر من أربع سنوات لتكتمل، لكنها حققت ضجة تجارية عندما نُشرت في عام ١٩٩٧. بالإضافة إلى النجاح، فقد سببت الرواية كذلك المتاعب لمؤلفتها، ووُجّهت إليها تُهم الفُحش في مسقط رأسها في ولاية كيرلا.

الكتابة والنشاط

كتبت روي منذ التسعينات عشرات المقالات والكتب غير الروائية، وصنعت الوثائقيات، واشتركت في الاحتجاجات ضد السياسة الخارجية للولايات المتحدة في أفغانستان، وبرنامج التجارب النووية الهندي، وبناء السدود، والعولمة، والقومية الهندوسية. أودت بها نشاطاتها إلى السجن، وتركتها في مواجهة الرشق بالحجارة من قبل الغوغاء، ومحاربة تُهم التحريض، حتى إنها هربت من الهند مدةً وجيزةً في عام ٢٠١٦ خوفًا على حياتها. وغالبًا ما كانت مواقفها السياسية متعارضة مع توجّه الهند نحو التحديث، لكنها منحت صوتًا لأولئك الذين خلّفهم الصعود الاقتصادي للهند وراءه.

في عام ٢٠١٧، أصدرت روي أخيرا روايتها الثانية «وزارة السعادة القصوى» وزعمت أنها سألت شخصياتها -التي كانت لامعة وعنيدة مثل خالقتهم- أن تقرر أيّ ناشرٍ يجب اختياره للكتاب، ووقع اختيار الشخصيات على أحد العروض رغم أنّ قيمته المالية بنصف العروض الأخرى.



إبداع لغة

استعرضت روي في روايتها «إله الأشياء الصغيرة» تجاربها في حياة ما بعد الاستعمار في الهند، مُفكّكة اللغة الإنجليزية بأسلوب يُمثّل جزئيًا شكلا من أشكال المقاومة للهيمنة الاستعمارية البريطانية. لقد خرقت كتاباتها المرحة والزاهية والمبتكرة القواعد النحوية الإنجليزية، فعلى سبيل المثال: ابتدأت كلمات محددة بحروف كبيرة، وابتكرت عبارات غير معتادة وكلمات مركّبة، وقد أشاد بها الكاتب الأمريكي أبدايك لإبداعها «لغتها الخاصة».



غلاف رواية إله الأشياء الصغيرة

«ما تفعله الكلمات الطائشة أنها تجعل الناس يتهاونون في حبك».

إله الأشياء الصغيرة – أرونداتي روي.

ملحق الفصل السادس

روالد دال

(١٩١٦-١٩٩٠) بريطانيّ

أصبحَ دال خلال حياته واحدًا من أكثر مؤلفي كتب الأطفال المحبوبين في العالم. وُلد دال في ويلز لأبوين نرويجيين، والتحق بمدرسة داخلية في ديربيشاير -التجربة التي وجدها قاسية- ثم عمل بعد ذلك مدة وجيزة في صناعة النفط. خدمَ دال طيارًا حربيًّا في الحرب العالمية الثانية، وتحطَّمت طائرته أثناء هبوطها في ليبيا وأصيب بجراحٍ بليغة، كما ألهمت مآثره في الحرب بواكير أعماله المنشورة. اتَّسمت كتب دال الموجَّهة للأطفال بشخصيات شريرة مُدهشة، وأخرى غريبة الأطوار، وشخصيات لوحظَ فيها تفاصيل شيطانية.

اكتسبت قصصه القصيرة الموجَّهة للكبار شعبية عظيمة أيضًا، وكانت تُبنى حول تقديم تحولات حبكات شريرة، وتُبنِّيت على نطاق واسع في المسرح والتلفزيون. كتب دال كذلك كتابي سيرة ذاتية ذاع صيتهما بين العامة.

أبرز أعماله:

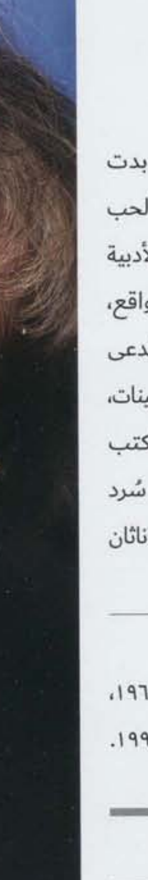
جيمس والخوخ العملاق ١٩٦١، سيد فوكس الخارق ١٩٧٠، حكايات اللا متوقع ١٩٧٩، ماتيلدا ١٩٨٨.

فيليب روث

(١٩٣٣-٢٠١٨) أمريكيّ

كتب روث روايات سيرة ذاتية بكثافة، وشهدت حياته المهنية الطويلة والناجحة موجة إبداعية رائعة في أواخر حياته. وُلد روث في مدينة نيوارك بولاية نيو جيرسي، لمهاجرين يهود من الجيل الأول. كانت طفولة روث ومرحلة بلوغه -بالإضافة إلى علاقاته الجنسية مع النساء- مصدرًا مهمًا وهائلًا لمواد رواياته.

ربحَ روث جائزة الكتاب الوطني الأمريكي عن روايته الأولى «وداعا كولومبوس (١٩٥٩)»، ونال الشهرة الدولية بعد عشر سنوات عن روايته «شكوى بورتنوي»، وهي الرواية التي بدت وكأنها تلخّص مواقف جيله المؤلمة تجاه الحب والجنس. سعى روث في منتصف مسيرته الأدبية إلى طمس الخط الفاصل بين الخيال والواقع، وغالبًا ما كان يكتب روايات تضمَّنت ساردا يُدعى فيليب روث. بعد نجاته من السرطان في التسعينات، شهد كتاباته تجديدا مُذهلا ومُباغتا، فكتب مجموعة روايات عُدَّت من الروائع الأدبية، سُرد العديد منها عبر شخصياته الخيالية البديلة «ناثان زوكرمان» و«ديفد كابيش».



أبرز أعماله:

وداعا كولومبوس ١٩٥٩، شكوى بورتنوي ١٩٦٩، مسرح السبت ١٩٩٥، الرعوي الأمريكي ١٩٩٥.

كنزابورو أوي

(١٩٣٥-) يابانيّ

يُعدُّ أوي واحدا من أكثر الكتَّاب اليابانيين إبداعًا في جيل ما بعد الحرب. وُلدَ في عام ١٩٣٥ في جزيرة «شيكوكو»، أصغر الجزر اليابانية وأبعدها. عانى أوي في الجامعة من خجله، وفاقم الأمر سوءًا حرجُه من لكنته الريفية وتلعثمه. وهكذا، تخلى عن الصحبة واجتهد بدلًا من ذلك بالعمل ليلًا على مسيرته الأدبية.

ربما ساهم خجله في طبيعة أعمال أوي التي تنظر نحو الداخل، والتي تأثرت على نحو عظيم بالفلسفة الوجودية. تغيّرت حياة أوي في عام ١٩٦٠ بولادة ابنه الأول «هيكاري» الذي كان يعاني من صعوبات خطيرة في التعلم. شكَّل أوي رابطة قوية مع ولده، وأصبحت صعوبات التواصل بين الاثنين عنصرا أساسيا في رواياته وقصصه القصيرة. نال أوي جائزة نوبل في عام ١٩٩٤ ليصبح المؤلف الياباني الثاني فحسب الذي ينال هذه الجائزة.

أبرز أعماله:

اقضم البراعم، واطلق النار على الأطفال ١٩٥٨، الصيد ١٩٥٨، مسألة شخصية ١٩٦٤.



▲ آني برولكس

آني برولكس

(١٩٣٥-) أمريكيّة

وُلدت برولكس، الروائية وكاتبة القصص القصيرة والناقدة، في نورويتش، بولاية كونيتيكت. تخرَّجت برولكس في الجامعة بسن الرابعة والثلاثين، وكانت وقتها قد تزوَّجت وتطلَّقت ثلاث مرات وأنجبت أربعة أطفال. دائما ما انجذَبت برولكس إلى الحياة في البريّة، وعاشت -بعد أن أكملت درجة الماجستير في الفنون عام ١٩٧٣- في كوخ في غابات فيرمونت، ورعت أطفالها بالكتابة الصحفيّة حول اصطياد الحيوانات والسمك، والاكتفاء الذاتي.

تلقّت برولكس اهتماما إيجابيًا لقصصها القصيرة، لكن لم يكن لديها طموح لكتابة رواية، ومع ذلك فقد أجبرت على كتابتها على أي حال بموجب بندٍ في عقد النشر الخاص بها، وقد تفاجأت بأنها وجدت الشكل الأطول أسهل. اشتهرت برولكس بروايتها الثانية «أخبار الشحن»، العمل الذي كان ثريًا في ملاحظته الاجتماعية ونال العديد من الجوائز المعتبرة، لا سيما على نحو لافت لتصويره الجريء للواقع القاسي للحياة الريفية في الولايات المتحدة الأمريكية.

أبرز أعمالها:

أخبار الشحن ١٩٩٣، جرائم الأكورديون ١٩٩٦، جبل بروكباك ١٩٩٧.

ماريو فارغاس يوسا

(١٩٣٦-) بيروفيّ

وُلدَ فارغاس يوسا لعائلة من الطبقة الوسطى في أريكويبا، بيرو. انفصلَ والداه قبيل ولادته لذا فقد ترعرع مُدلَّلًا من قبل عائلة أمه. عندما كان في العاشرة، تصالح والديه وأرسله والده الذي رفض طموحاته الأدبية ليتعلّمَ في أكاديمية عسكرية. استمدَّ يوسا من تجربته هذه أولى رواياته «زمن البطل» التي هاجم فيها القمع في كلا فضائيه العام والخاص، وسبب نقد يوسا

للمؤسسة البيروفية جدًّا في وقتها. عاش يوسا مددًا في باريس ولندن ومدريد، لكن رواياته بقيت متجذِّرة في الحياة البيروفية، فاضحةً (غالبًا بإبداع هزليّ عظيم) فساد الكنيسة والديكتاتورية. كان يوسا جزءًا مما أصبح يُعرف بـ«الازدهار»؛ التطور السريع الذي شهده أدب أمريكا الجنوبية (والذي حمل جزء كبير منه مسؤولية سياسية) في ستينات القرن العشرين، واشترك يوسا نفسه في الحياة السياسية البيروفية، وترشَّح للرئاسة في عام ١٩٩٠. فاز يوسا بجائزة نوبل في الأدب عام ٢٠١٠.

أبرز أعماله:

زمن البطل ١٩٦٥، محادثة في الكاتدرائية ١٩٦٩، العمة جوليا وكاتب السيناريو ١٩٧٧.

جورج بيريك

(١٩٣٦-١٩٨٢) فرنسيّ

وُلِدَ بيريك لعائلة يهودية بولندية في فرنسا، وفقد كلا والديه في الحرب العالمية الثانية: ماتت أمه في معسكر أوشفيتز. نشأ بيريك في كنف أقاربه وأظهر بسن العشرين اهتمامًا بالغًا بالكتابة التجريبية. وأثبتت روايته الأولى «الأشياء» -والتي تمتعت بهيكل دراسة حالة اجتماعية- نجاحًا عظيمًا كما فعلت روايتاه اللاحقتان.

انضمَّ بيريك لاحقًا -بعد أن انتابه شعور بالعجز الإبداعي- لورشة الأدب المحتمل التي أسّسها الروائي ريموند كوينو وعالم الرياضيات فرانسوا لو ليونيه، وسعى إلى إنشاء توليفة من الرياضيات والأدب. مُزدهرًا في ظل هذه القيود، كتب بيريك رواية «الاختفاء» (وتُسمى أيضًا A Void) وهي رواية حذف منها حرف "e" تماما. أتبع تلك الرواية بسلسلة من الأعمال التجريبية، بما في ذلك متناظرة من ٥٠٠٠ كلمة (أي تُقرأ كلماتها من اليمين لليسار والعكس دون أن يتغيّر لفظها أو معناها)، وكذلك رواية «حياة: كُتيّب المستخدم»؛ قبل أن يداهمه موت مُبكِّر في عام ١٩٨٢.

أبرز أعماله:

الأشياء ١٩٦٥، الاختفاء ١٩٥٩، حياة: كُتيِّب المستخدم ١٩٧٨.

توماس بينشون

(١٩٣٧-) أمريكيّ

تميّز بينشون بأنه واحدٌ من أكثر الأدباء الأمريكيين غموضًا. وُلِدَ في لونغ إيلاند ودرس في جامعة كورنيل، وخدم سنتين في البحرية الأمريكية. اختفى بينشون عن الأنظار طويلًا بعد أن نشر روايته الأولى «V.»، التي نشرها وهو بسن السادسة والعشرين فحسب حينما كان كاتبًا تقنيًا في شركة بوينغ. ساعدته حياته الخاصّة الغامضة على أن تجني كتاباته مكانة مقدّسة، وبسبب رواياته المتجذّرة في جنون الارتياب في الثقافة المضادّة في الستينات فقد تكوّنت مع الوقت بعض النظريات الجامحة حول الكاتب وأعماله. لكن كل ما هو مُؤكد حقا عن بينشون أنه عاش في المكسيك وكاليفورنيا ونيويورك، وتزوّج وكيلته الأدبية وأنجبَ منها ابنه. انجرفَ بينشون في العقود المتأخرة تجاه الروايات التاريخية الخطابية المطوّلة، والتي كانت بعيدة كل البعد عن حملة ماسون/ ديكسون الاستكشافية في القرن التاسع عشر وعن فقاعة الإنترنت في أواخر التسعينات، وجرَّب أيضًا في نوع الأدب المُحاكي للأعمال الأخرى (المعارضة الأدبية).

أبرز أعماله:

V. (١٩٦٣)، صيحة القطعة ٤٩ (١٩٦٦)، قوس قزح الجاذبية ١٩٧٣.

ريموند كارفر

(١٩٣٨-١٩٨٨) أمريكيّ

يُعدُّ كارفر واحدًا من أعظم كتّاب القصة القصيرة الأمريكيين. وُلد في ولاية أوريغون، وتزوّج وأنجب طفلين ولم يكُ قد تجاوز العشرين من عمره. عمل كارفر في وظائف متعددة من أجل الحفاظ على تماسك عائلته، وتوّجه إلى الكتابة بعد أن التحق بورشة كتابة إبداعية. ترك كارفر الجامعة مرتين، وتطوّرت مسيرته المهنية معلمًا وكاتبًا ببطء: لم تصبح عبقريّته موضع تقدير إلا قبيل وفاته بسرطان الرئة وهو بعمر الخمسين. أرّخت قصص كارفر ذات الشاعرية الكئيبة معاناة العلاقات، وصراعات شخصياته في التواصل والصمود في وجه حياة المِحَن (عانى في حياته الشخصية من تعاطي الكحول). كان ثمة جدل في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين عندما بات جليا للعيان حجم التعديلات الجذرية التي أجراها مُحرّره على أفضل قصصه، وكيف ارتقى بها إلى العظمة. ومع ذلك، يحتفظ الكاتب بمكانته في المرجعية الأدبية لكُتّاب القصّة القصيرة.

أبرز أعماله:

من فضلك هل ستهدأ، رجاءً؟ ١٩٧٦، عمَّ نتحدث حين نتحدث عن الحب ١٩٨١، كاتدرائية ١٩٨٣.

نغوغي وا ثيونغو

(١٩٣٨-) كينيّ

وُلِدَ نغوغي، الروائي والمسرحيّ وكاتب المقالات، في كاميريثو، كينيا. كانت أسرته متورّطة في حرب الماو ماو في الخمسينات، والتي عُذّبتْ والدته خلالها. فاز نغوغي في عام ١٩٦٤ بمنحة دراسية في جامعة ليدز في شمالي إنجلترا، حيث كتب روايته «النهر في الوسط» وهي رواية عن تمرد الماو ماو أصبحت اليوم ضمن المقرّرات الدراسية في كينيا. رفض نغوغي في عام ١٩٦٧ الديانةَ المسيحية، واللغةَ الإنجليزية، واسمَه الذي وُلد به (جيمس)، واختار الكتابة بلغة كيكويو أو السواحيلية. اشتهر نغوغي بعد ذلك بإبداعه نوعًا جديدًا من المسرح الذي، وباستخدامه الواسع للارتجال وتفاعل الجمهور، كان في متناول الجماهير غير البرجوازية. سُجن نغوغي عام١٩٧٧ مدة سنة بسبب الرسالة السياسية في مسرحيته Ngaahika Ndeenda) سأتزوج حين أرغب بذلك) قبل أن يُطلق سراحه ويفرّ إلى الولايات المتحدة. درّس المؤلّف في بلده الجديد بجامعتي ييل وكاليفورنيا، ويُعدُّ مرشحًا متوقَّعًا لنيل جائزة نوبل في الأدب في وقتنا الحالي.

أبرز أعماله:

النهر في الوسط ١٩٦٥، حبة حنطة ١٩٦٧، سأتزوج حين أرغب بذلك ١٩٧٦.



▲ جورج بيريك



▲ أليس ووكر

مارغريت أتوود

(١٩٣٩-) كنديّة

ولدت أتوود -الرّوائية الغزيرة والفائزة بعدة جوائز والشاعرة- في أوتاوا بأونتاريو. قضت أصياف طفولتها في استكشاف البرية في بلد الأدغال، كويبك. اهتمّت في مراهقتها بالرسم وتصميم الملابس قبل أن تكرّس نفسها للكتابة. تلقَّت أتوود في جامعة تورنتو النصح والتوجيه الدقيق من الناقد نورثروب فراي، الذي شجّع شِعرها. نشرت أتوود عدة دواوين شعرية، ابتداءً من ديوان«Double Persephone» في عام ١٩٦١ الذي نال إشادة عظيمة، لكن نجاحها العظيم أتى مع رواياتها. اشتهرت أتوود بالروايات التاريخية والخيال العلمي (فضَّلت تسميته بـ «الخيال التفكُّري»)، واستخدمت هذه النوع في استكشاف التدهور البيئي، وعلاقات الناس بالطبيعة، وخاصة موضوعات كراهية الرجال للنساء ومكانة النساء في المجتمع. قدَّمت أشهر رواياتها «حكاية الجارية» رؤية قاتمة عن النظام الأبوي داخل بلد شمولي في عالم ديستوبي يقع في نيو إنغلاند. كانت هذه الرواية أول نص أدبي يُدرّس في المدارس الأمريكية عام ١٩٩٥، وانتقل إلى السينما والتلفزيون.

أبرز أعمالها:

صعود ١٩٧٢، حكاية الجارية ١٩٨٥، السفاح الأعمى ٢٠٠٠.

أليس ووكر

(١٩٤٤-) أمريكيّة

ابتكرت ووكر، الفائزة بجائزة بوليتزر، بمفردها تقريبا مجال دراسات النساء الأمريكيات من أصلٍ أفريقي. وُلدت ووكر لعائلة من المؤاكرين في جورجيا، وأصبحت شبه عمياء إثر حادث عندما كانت في الثامنة من عمرها. كانت ووكر فتاة خجولة ونجيبة في المدرسة، وفازت، بتشجيع من أمها، بمنحة دراسية في كلية أتلانتا، حيث اكتشفت أعمال الكاتبة والفلكلورية الأمريكية زورا نيل هيرستون (١٨٩١-١٩٦٠) واستوحيت إلهامها منها.

اشتركت ووكر في حركة الحقوق المدنية، ودرَّست في العديد من الجامعات، وأنتجت عدة روايات وقصص قصيرة وأعمال شعرية قبل أن تحظى بجمهور كبير عن عملها «اللون الأرجواني (١٩٨٢)»، وهو رواية رسائلية عن فتاة مُعنَّفة وأمية من جورجيا، وتحولت الرواية إلى فيلم نال الأوسكار. تعيش ووكر اليوم في كاليفورنيا، وما زالت نشطة سياسيًا، ومستمرَّة بالكتابة عن الجنوب الأمريكي وحياة النساء الأمريكيات من أصلٍ أفريقي.

أبرز أعمالها:

ميريديان ١٩٧٦، اللون الأرجواني ١٩٨٢، إفشاء سر البهجة ١٩٩٢.

بول أوستر

(١٩٤٧-) أمريكيّ

وُلد أوستر لعائلة يهودية في ساوث أورانج بولاية نيو جيرسي، وطوَّر شغفه بالأدب من خلال التبحُّر في مكتبة عمه المترجم «ألين مانديلباوم». درس أوستر في جامعة كولومبيا، وحصل على درجة الماجستير في عام ١٩٧٠، ثم انتقل بُعيدها إلى باريس ثم بروفانس، حيث وجد وظيفة قيِّم لمنزل ريفيّ، وأقفل راجعًا إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٧٤. تمكَّن أوستر من العيش في عقد السبعينات وأوائل الثمانينات باشتغاله شاعرًا وكاتب مقالات ومحررًا، الأعمال التي ساعدته على نيل بعض المنح المرموقة، قبل أن يبدأ بكتابة عمله الرائع «ثلاثية نيويورك»، ويتألف من ثلاث روايات قصيرة استكشف فيها موضوعات الهوية والوهم بأساليب باهرة وغير متوقعة. اتَّسمت كتب أوستر عمومًا بالمفارقات أو الأحاجي الكافكويّة التي أثَّرت في الشخصية الرئيسة التي غالبا ما كانت كاتبًا. تميَّزت أعماله

كذلك بكونها صعبة فكريًا ومقروءة على نطاق واسع في آن واحد، بجاذبيّةٍ جعلتها تتصدر قوائم أفضل الكتب مبيعا على مستوى العالم. يعيش أوستر اليوم في بروكلين، نيويورك.

أبرز أعماله:

ثلاثية نيويورك ١٩٨٥-٨٦، كتاب الأوهام ٢٠٠٢، حماقات بروكلين ٢٠٠٥.

سلمان رشدي

(١٩٤٧-) بريطانيّ

عُرف سلمان رشدي، الفائز بالجوائز الأدبية، بسبب روايات الواقعية السحرية التي واجهت القضايا الإشكاليّة لحقبة ما بعد الاستعمار والإسلام. وُلدَ رشدي لعائلة مسلمة ثرية في بومباي، وتعلّم في الهند وإنجلترا وعمل محرر إعلانات في لندن عندما كان يعمل على أول روايتين له. تفرّدت روايته الثانية «أطفال منتصف الليل» بمزية الفوز بثلاث جوائز للبوكر: الأولى في عام ١٩٨٢، ومرتان عن جائزة «أفضل بوكر» الاستذكارية التي نالها مرة عام ١٩٩٣ والأخرى عام ٢٠٠٨.

انقلبت حياة رشدي رأسا على عقب في عام ١٩٨٩ حين أُصدرت فتوى بهدر دمه من قبل آية الله الخميني، «المرجعية الدينية الإيرانية»، لما فُهم على أنه إهانات بحق النبي محمد في روايته "آيات شيطانية». عاش رشدي سنوات حياته التالية في الخفاء محاطا بحُرّاس مسلّحين، وعلى الرغم من إلغاء الحكومة الإيرانية الفتوى عام ١٩٩٨ فإنها لم تسقط قط. تزوّج رشدي أربع مرات ويعيش اليوم في نيويورك.

أبرز أعماله:

أطفال منتصف الليل ١٩٨١، آيات شيطانية ١٩٨٨، تنهيدة المستنقع الأخيرة ١٩٩٤.

خافيير ماریاس

(١٩٥١-) إسبانيّ

ولد الروائي والمترجم ماریاس في مدريد ابنًا للفيلسوف الإسباني الشهير «خوليان ماریاس» الذي سُجنَ بسبب معارضته للطاغية الإسباني الجنرال فرانكو. قضى ماریاس جزءا من طفولته مع والده في الولايات المتحدة الأمريكية لكنه عاد إلى جامعة مدريد، حيث بدأ بترجمة بعضٍ من روائع الأدب العالمي إلى الإسبانية، التي تضمّنت أعمال كتّاب مثل فوكنر وأبدايك وكونراد ونابوكوف وهاردي. حصل ماریاس على الجائزة الإسبانية الوطنية لترجمته رواية حياة السيد النبيل ترايسترام شاندي.

دارت روايات ماریاس في فلك الترجمة، فأكثر شخصياته كانوا مترجمين أو مترجمين فوريين، الذين تبرعوا بأصواتهم أو تخلّوا عنها بوسائل متنوعة، مُظهرين كيف يُمكن للأدب التأثير في الحياة، والعكس. يعد أكثر أعماله الروائية طموحا حول هذا الموضوع «وجهُك غدا»، وهي ثلاثية أُنجزت في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. أُنتُخب في عام ٢٠٠٦ للعضوية الأكاديمية الملكية الإسبانية المرموقة، على الرغم من أنه صرّح أثناء تنصيبه بأنه وجد كتابة الروايات «صبيانية جدا».

أبرز أعماله:

قلب ناصع البياض ١٩٩٢، عودة زمن قاتمة ١٩٩٨، وجهُك غدا ٢٠٠٢-٢٠٠٤-٢٠٠٦.

كازو إيشيغورو

(١٩٥٤-) بريطانيّ

يُعدُّ إيشيغورو واحدًا من أكثر المؤلفين ذوي اللغة المُزيّنة في العالم الناطق بالإنجليزية. وُلدَ في ناغازاكي وجلبه والداه إلى إنجلترا في عام ١٩٦٠ عندما كان في الخامسة من العمر وحسب. بعد تخرجه في جامعة كنت، أصبح إيشيغورو من أوائل الخريجين الذين تخرجوا من دورة الكتابة الإبداعية اللامعة في جامعة إيست أنجليا، حيث درسوا تحت إشراف مالكولم برادبري وأنجيلا كارتر.

وقعت أحداث أولى روايته «منظر شاحب للتلال(١٩٨٢)» و«فنان من العالم العائم ١٩٨٦» في اليابان، لكنه اعترفَ لاحقًا بأنها كانت أرضا خيالية في نظره كونه لم يزُر قط بلد ولادته مُذ غادره في طفولته. نال إيشيغورو هوية المواطنه البريطانيّة في عام ١٩٨٣، على الرغم من أنه يقول اليوم إنه دائما عدّ نفسه في الحقيقة فنانًا يابانيًا. كُتبت رواياته غالبًا بضمير المتكلم، إذ تكشف شخصياته عن نفسها بأنها شهود ذوو نقص أو عيوب أثناء انفكاك عقد حبكات أعماله تدريجيًا. جعلته «رواياته ذات القوة العاطفية العظيمة» يفوز بجائزة نوبل في الأدب عام ٢٠١٧.

اشترك إيشيغورو بكتابة أغانٍ لمغني الجاز الأمريكي «ستايسي كينت»، ووصف نفسه بأنه شخصٌ مولع بالسينما. يعيش إيشيغورو اليوم في لندن.

أبرز أعماله:

بقايا النهار ١٩٨٩، من لا عزاء لهم ١٩٩٥، لا تدعني أذهب أبدًا ٢٠٠٥.

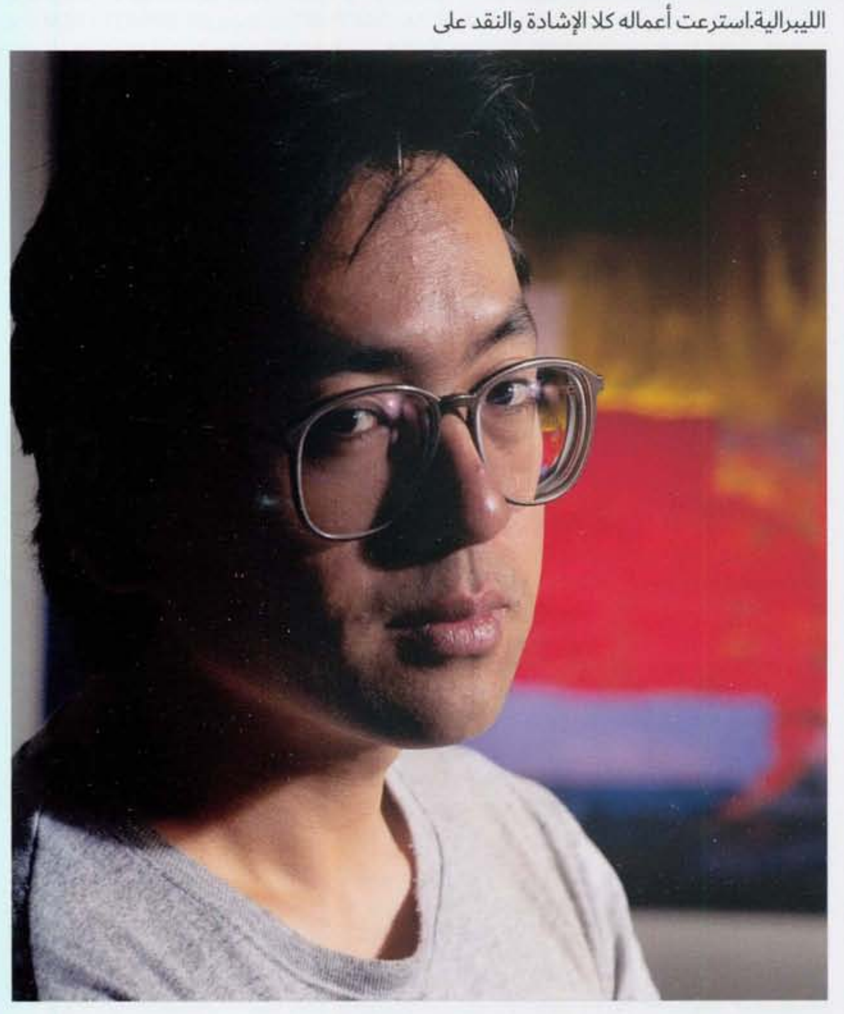
ميشيل ولبيك

(١٩٥٦-) فرنسيّ

ولد ولبيك، المؤلف والناقد وكاتب السيناريو، في جزيرة ريونيون في المحيط الهندي. تخلّى عنه والداه في سن السادسة وأرسل إلى جدته في إحدى الضواحي الباريسية. شرع ولبيك في التسعينات بكتابة الروايات التي ستجعل منه مشهورًا على مستوى العالم، واتّسمت رواياته بالتصوير السوداوي والكئيب لخواء الحياة الحديثة. غالبًا ما اجتذبت أعماله المديح والنقد في آن، بعدميتها وفحشها ونقدها اللاذع للأرثوذكسية الليبرالية.استرعت أعماله كلا الإشادة والنقد على نحو متساوٍ. اُتُّهم هولبيك خلال جولته العمومية لـPlatform في عام ٢٠٠١ بتحريضه على الكراهية الدينية بعد مزاعمَ بإهانته الإسلام. عزز الجدل مبيعات كتبه، لكنه تطلب في بعض الأحيان إجراءات أمنية لضمان سلامته. صادف ظهور صورة كارتونية لهولبيك في غلاف المجلة الفرنسية الساخرة «شارلي إبدو» في يوم الهجوم على مكاتب المجلة في عام ٢٠١٥ من قبل فصيل تابع لتنظيم القاعدة.

أبرز أعماله:

أيًّا كان ١٩٩٤، الجسيمات الأوليّة ١٩٩٨ The Elementary Particles (نُشرت أيضًا بعنوان Atomised).



▲ كازو إيشيغورو

شكر وتقدير

ترغب شركة Cobalt بشكر هيلين بيترز على قيامها بالفهرسة. وترغب الدار الناشرة بتوجيه الشكر للمعنين أدناه على جميل ترخيصهم إعادة إنتاج صورهم:

(Key: a-above; b-below; c-centre; l-left; r-right; t-top)

2 GETTY IMAGES: Stock Montage / Contributor (c). **3 ALAMY STOCK PHOTO:** maurice joseph (c).

5 GETTY IMAGES: ullstein bild Dtl. / Contributor (c). **12 GETTY IMAGES:** Fine Art / Contributor (ca). **12 ALAMY STOCK PHOTO:** ART Collection (crb). **13 GETTY IMAGES:** UniversalImagesGroup / Contributor (c). **14 GETTY IMAGES:** DEA / G. DAGLI ORTI / Contributor (bl). DEA / A. DAGLI ORTI / Contributor (tr). **15 ALAMY STOCK PHOTO:** Alexei Fateev (tl). **15 GETTY IMAGES:** De Agostini Picture Library / Contributor (cr). **16 ALAMY STOCK PHOTO:** Hemis (bl). **16 GETTY IMAGES:** Heritage Images / Contributor (crb). **17 GETTY IMAGES:** Leemage / Contributor (c). **18 ALAMY STOCK PHOTO:** Art Collection 3 (cb). jamesjagger / StockimoNews (crb). **19 ALAMY STOCK PHOTO:** Classic Image (c). **20 GETTY IMAGES:** UniversalImagesGroup / Contributor (tl). Fine Art Photographic / Contributor (bl). **20-21 GETTY IMAGES:** David Goddard / Contributor (tr).

21 BRIDGEMAN IMAGES: © Christie's Images (cr). **22 ALAMY STOCK PHOTO:** Hemis (cla).

ART Collection (crb). **23 BRIDGEMAN IMAGES:** Chateau de Versailles, France (c). **24 TOPFOTO:** Roger-Viollet (tl). **24 GETTY IMAGES:** Heritage Images / Contributor (tr). DEA / V. PIROZZI / Contributor (bl). **25 GETTY IMAGES:** DEA / J. E. BULLOZ / Contributor (br). **26 GETTY IMAGES:** Christophel Fine Art / Contributor (c). **27 ALAMY STOCK PHOTO:** Hemis (bl). **27 GETTY IMAGES:** Culture Club / Contributor (br). **28 GETTY IMAGES:** Leemage / Contributor (ca). Culture Club / Contributor (br). **29 ALAMY STOCK PHOTO:** Granger Historical Picture Archive (c). **30 GETTY IMAGES:** ullstein bild Dtl. / Contributor (tl). CURTO DE LA TORRE / Stringer (tr). Photo Josse/ Leemage / Contributor (br). **31 ALAMY STOCK PHOTO:** robertharding (br). **32 ALAMY STOCK PHOTO:** DavidCC (cla). **32 GETTY IMAGES:** Scott Barbour / Staff (crb). **33 GETTY IMAGES:** Fine Art / Contributor (c). **34 ALAMY STOCK PHOTO:** Falkenstein / Bildagentur-online Historical Collect (tc). North Wind Picture Archives (cl). **35 ALAMY STOCK PHOTO:** Hirarchivum Press (t). **36 GETTY IMAGES:** Print Collector / Contributor (cl). DEA PICTURE LIBRARY / Contributor (tr). **37 ALAMY STOCK PHOTO:** ART Collection (tr). Michael Brooks (b). **38 BRIDGEMAN IMAGES:** National Portrait Gallery, London, UK (c). **39 GETTY IMAGES:** Culture Club / Contributor (cla). De Agostini Picture Library / Contributor (cr). Universal History Archive / Contributor (br). **40 GETTY IMAGES:** DEA PICTURE LIBRARY / Contributor (tr). **41 GETTY IMAGES:** PHAS / Contributor (tr). **41 ALAMY STOCK PHOTO:** PjrStatues (bl). parkerphotography (br). **42 ALAMY STOCK PHOTO:** Lebrecht Music and Arts Photo Library (tr). **42 GETTY IMAGES:** Photo Josse / Leemage / Contributor (br).

43 GETTY IMAGES: Photo Josse / Leemage / Contributor (c). **44 ALAMY STOCK PHOTO:** Artokoloro Quint Lox Limited (c). **45 BRIDGEMAN IMAGES:** London Metropolitan Archives,

City of London (tr). **45 ALAMY STOCK PHOTO:** Peter Horree (br). **46 ALAMY STOCK PHOTO:** PersimmonPictures.com (bl). JTB MEDIA CREATION, Inc. (crb). **47 GETTY IMAGES:** Apic / RETIRED / Contributor (c). **48 GETTY IMAGES:** Stock Montage / Contributor (c). **49 GETTY IMAGES:** Print Collector / Contributor (tl). **49 ALAMY STOCK PHOTO:** Peter Horree (br). **50 ALAMY STOCK PHOTO:** Florilegius (tc). **50 GETTY IMAGES:** Culture Club / Contributor (bl). **51 ALAMY STOCK PHOTO:** AF Fotografie (tr). **51 GETTY IMAGES:** MARTIN BERNETTI / Staff (b). **52 ALAMY STOCK PHOTO:** Ian Dagnall (tr). **53 ALAMY STOCK PHOTO:** Ian Dagnall (bl). AF Fotografie (cra). Chronicle (br). **54 GETTY IMAGES:** Photo Josse / Leemage / Contributor (c). **55 BRIDGEMAN IMAGES:** Wallace Collection, London, UK (cr). **55 GETTY IMAGES:** AFP / Stringer (br). **56 ALAMY STOCK PHOTO:** Classic Image (bc). **57 GETTY IMAGES:** Christophel Fine Art / Contributor (tl).

60 ALAMY STOCK PHOTO: Heritage Image Partnership Ltd (c). **61 ALAMY STOCK PHOTO:** Novarc Images (bl). **61 GETTY IMAGES:** Ulrich Baumgarten / Contributor (br). **62 ALAMY STOCK PHOTO:** FALKENSTEINFOTO (cl). **62 GETTY IMAGES:** Heritage Images / Contributor (br). **63 GETTY IMAGES:** DEA PICTURE LIBRARY / Contributor (tl). **63 AKG-IMAGES:** Joseph Martin (br).

64 ALAMY STOCK PHOTO: Simon Whaley Landscapes (cl). **64 GETTY IMAGES:** Culture Club / Contributor (crb). **65 ALAMY STOCK PHOTO:** Granger Historical Picture Archive (c). **66 ALAMY STOCK PHOTO:** SuperStock (tl). Richard Allen (clb). **66 GETTY IMAGES:** Olaf Protze / Contributor (br). **67 ALAMY STOCK PHOTO:** nobleIMAGES (ca). Paul Fearn (cb). **67 ALAMY STOCK PHOTO:** Pictorial Press Ltd (crb). **68 ALAMY STOCK PHOTO:** Peter Titmuss (bl). **68 GETTY IMAGES:** Culture Club / Contributor (tc). DEA PICTURE LIBRARY / Contributor (br). **69 BRIDGEMAN IMAGES:** Private Collection (c). **70 ALAMY STOCK PHOTO:** Ruby (tl). **70 BRIDGEMAN IMAGES:** Private Collection / The Stapleton Collection (bc). **71 ALAMY STOCK PHOTO:** Steve Vidler (t).

71 BRIDGEMAN IMAGES: British Library, London, UK / © British Library Board. All Rights Reserved (br). **72 GETTY IMAGES:** Heritage Images / Contributor (c). **73 GETTY IMAGES:** DEA /

G. DAGLI ORTI / Contributor (bl). **73 ALAMY STOCK PHOTO:** Everett Collection Inc (crb). **74 ALAMY STOCK PHOTO:** Glyn Genin (bl). Paul Fearn (crb). **75 AKG-IMAGES:** Pictures From History (c).

76 ALAMY STOCK PHOTO: Peter Horree (tr). **77 TOPFOTO:** ©Roger-Viollet (tr). **77 AKG-IMAGES:** Erich Lessing (bl). **77 BRIDGEMAN IMAGES:** Musee de la Ville de Paris, Maison de Balzac, Paris, France / Archives Charmet (br). **78 GETTY IMAGES:** Photo Josse / Leemage / Contributor (c). **79 GETTY IMAGES:** Apic / RETIRED / Contributor (c). Mondadori Portfolio / Contributor (br).

80 GETTY IMAGES: Photo Josse/Leemage / Contributor (clb). **80 ALAMY STOCK PHOTO:** age fotostock (bc). **80 TOPFOTO:** Roger-Viollet (tr). **81 GETTY IMAGES:** Christophel Fine Art / Contributor (t). Popperfoto / Contributor (c). **83 GETTY IMAGES:** Bettmann / Contributor (tr).

83 ALAMY STOCK PHOTO: Chronicle (bl). **83** Dorling Kindersley: Dreamstime.com / Thomas Barrat / Tbarrat (br). **84 GETTY IMAGES:** Bettmann / Contributor (tr). **85 GETTY IMAGES:** Culture Club / Contributor (tl). Barry Winiker (bl). **85 ALAMY STOCK PHOTO:** BFA (br). **86 BRIDGEMAN IMAGES:** Charles Dickens Museum, London, UK (tr). **86 GETTY IMAGES:** Culture Club / Contributor (br). **87 GETTY IMAGES:** Historical Picture Archive / Contributor (c). **88 ALAMY STOCK PHOTO:** Entertainment Pictures (bl). **88 GETTY IMAGES:** Culture Club / Contributor (tc). Epics / Contributor (br). **89 ALAMY STOCK PHOTO:** VIEW Pictures Ltd (t). **90 GETTY IMAGES:** Culture Club / Contributor (tl). **90 ALAMY STOCK PHOTO:** Paul Fearn (tr). **90 GETTY IMAGES:** Culture Club / Contributor (b). Mondadori Portfolio / Contributor (t). **92 GETTY IMAGES:** Fine Art / Contributor (c). **93 ALAMY STOCK PHOTO:** Steve Morgan (cr). **93 GETTY IMAGES:** Rischgitz / Stringer (br). **94 ALAMY STOCK PHOTO:** Granger Historical Picture Archive (t). **94 BRIDGEMAN IMAGES:** Bronte Parsonage Museum, Haworth, Yorkshire, U.K. (bl). **95 ALAMY STOCK PHOTO:** Paul Fearn (tl). Virginia Velasco (br). **96 ALAMY STOCK PHOTO:** darryl gill (t). **96 BRIDGEMAN IMAGES:** Bronte Parsonage Museum, Haworth, Yorkshire, U.K. (bl). **97 GETTY IMAGES:** Culture Club / Contributor (tr). Fine Art Photographic / Contributor (br). **98 GETTY IMAGES:** Mondadori Portfolio / Contributor (bl). **99 ALAMY STOCK PHOTO:** GL Archive (tl). **100 GETTY IMAGES:** Print Collector / Contributor (tr). **101 GETTY IMAGES:** Print Collector / Contributor (br). **104 GETTY IMAGES:** DEA PICTURE LIBRARY / Contributor (c). **105 GETTY IMAGES:** Culture Club / Contributor (tr). **105 ALAMY STOCK PHOTO:** Chronicle (br). **106 ALAMY STOCK PHOTO:** David Lyons (cla). **106 GETTY IMAGES:** Michael Nicholson / Contributor (crb). **107 GETTY IMAGES:** Bettmann / Contributor (c). **108 GETTY IMAGES:** Apic / RETIRED / Contributor (c). **109 ALAMY STOCK PHOTO:** Randy Duchaine (ca). Premium Stock Photography GmbH (crb). **110 GETTY IMAGES:** Otto Herschan / Stringer (clb). Library of Congress / Contributor (cra). **111 LIBRARY OF CONGRESS:** (tr). **111 GETTY IMAGES:** GraphicaArtis / Contributor (b). **112 GETTY IMAGES:**

De Agostini Picture Library / Contributor (cla). Photo 12 / Contributor (crb). **113 GETTY IMAGES:** Apic / RETIRED / Contributor (c). **114 AKG-IMAGES:** arkivi (tl). **114 BRIDGEMAN IMAGES:** Tallandier (tr). **115 GETTY IMAGES:** De Agostini Picture Library / Contributor (tr). Christophel Fine Art / Contributor (br). **116 ALAMY STOCK PHOTO:** Lebrecht Music and Arts Photo Library (c). **117 GETTY IMAGES:** Hulton Archive / Stringer (cla). adoc-photos / Contributor (crb). **118 BRIDGEMAN IMAGES:** Tallandier (tl). **118 GETTY IMAGES:** Photo Josse/Leemage / Contributor (b). **119 GETTY IMAGES:** Culture Club / Contributor (tl). **119 ALAMY STOCK PHOTO:** Granger Historical Picture Archive (crb). **120 GETTY IMAGES:** De Agostini Picture Library / Contributor (tr). Heritage Images / Contributor (br). **121 GETTY IMAGES:** Fine Art / Contributor (c). **122 ALAMY STOCK PHOTO:** Paul Fearn (t). **122 GETTY IMAGES:** UniversalImagesGroup / Contributor (bl). **122 TOPFOTO:** RIA Novosti (br). **123 TOPFOTO:** RIA Novosti (tr). RIA Novosti (crb). **124 GETTY IMAGES:** Culture Club / Contributor (tr). **125 ALAMY STOCK PHOTO:** Paul Fearn (tr). **125 GETTY IMAGES:** Robbie Jack / Contributor (br). **126 GETTY IMAGES:** Bettmann / Contributor (c). **127 GETTY IMAGES:** Bettmann / Contributor (tr).

Collection / Prismatic Pictures (c). **194 ALAMY STOCK PHOTO:** Lebrecht Music and Arts Photo Library (b). **195 GETTY IMAGES:** Mondadori Portfolio / Contributor (tl). **195 ALAMY STOCK PHOTO:** INTERFOTO (bl). **195 AKG-IMAGES:** Archiv K. Wagenbach (br). **196 GETTY IMAGES:** Historical / Contributor (tr). **197 GETTY IMAGES:** Bettmann / Contributor (bl). **197 ALAMY STOCK PHOTO:** Paul Fearn (crb). **198 ALAMY STOCK PHOTO:** Art Kowalsky (b). **199 GETTY IMAGES:** David Lees / Contributor (tc). **199 ALAMY STOCK PHOTO:** Granger Historical Picture Archive (clb). **199 GETTY IMAGES:** Print Collector / Contributor (crb). **200 ALAMY STOCK PHOTO:** Granger Historical Picture Archive (cla). **200 GETTY IMAGES:** Central Press / Stringer (crb). **200 LEBRECHT:** Lebrecht Music & Arts 2 (br). **201 GETTY IMAGES:** Hulton Deutsch / Contributor (c). **202 GETTY IMAGES:** John Springer Collection / Contributor (bl). **202 COBALT ID:** (crb). **203 ALAMY STOCK PHOTO:** Pictorial Press Ltd (c). **204 MARY EVANS PICTURE LIBRARY:** IDA KAR (tr). **205 ALAMY STOCK PHOTO:** Granger Historical Picture Archive (cr). **205 GETTY IMAGES:** Picture Post / Stringer (br). **206 BRIDGEMAN IMAGES:** Pearl Freeman (tr). **207 GETTY IMAGES:** Bettmann / Contributor (ca). **207 ALAMY STOCK PHOTO:** Darryl Brooks (bl). **207 COBALT ID:** (br).

208 BRIDGEMAN IMAGES: © Tobie Mathew Collection (cla). **208 ALAMY STOCK PHOTO:** PRISMA ARCHIVO (crb). **209 ALAMY STOCK PHOTO:** Paul Fearn (c). **210 GETTY IMAGES:** Oli Scarff / Staff (cla). **210 ALAMY STOCK PHOTO:** Everett Collection Inc (crb). **211 ALAMY STOCK PHOTO:** Everett Collection Historical (c). **212 GETTY IMAGES:** Bettmann / Contributor (t). Culture Club / Contributor (clb). **213 GETTY IMAGES:** Hulton Archive / Stringer (cra). **213 ALAMY STOCK PHOTO:** Hemis (bc). **214 ALAMY STOCK PHOTO:** Pictorial Press Ltd (c). **215 ALAMY STOCK PHOTO:** Bhammond (bl). **215 GETTY IMAGES:** Chicago History Museum / Contributor (br). **216 GETTY IMAGES:** Transcendental Graphics / Contributor (tr). Photo 12 / Contributor (b). **217 GETTY IMAGES:** Bettmann / Contributor (tc). **217 ROYAL BOOKS, INC:** (br). **218 GETTY IMAGES:** John D. Kisch / Separate Cinema Archive / Contributor (tl). Popperfoto / Contributor (crb).

219 AKG-IMAGES: Olivier Martel (bl). **219 GETTY IMAGES:** John Springer Collection / Contributor (cra). **220 GETTY IMAGES:** ullstein bild Dtl. / Contributor (tr). **221 AKG-IMAGES:** ullstein bild (tr). **221 GETTY IMAGES:** Imagno / Contributor (bl). Robbie Jack / Contributor (br). **222 ALAMY STOCK PHOTO:** MARKA (c). **223 GETTY IMAGES:** DEA / P. JACCOD / Contributor (cra). **224 ALAMY STOCK PHOTO:** Greg Wright (t). **225 AKG-IMAGES:** Album / Kurwenal / Prisma (ca). **225 GETTY IMAGES:** Rafa Samano / Contributor (bl). Ulf Andersen / Contributor (crb).

226 GETTY IMAGES: Raymond Boyd / Contributor (cla). Herbert Orth / Contributor (crb).

227 GETTY IMAGES: Lloyd Arnold / Contributor (c). **228 ALAMY STOCK PHOTO:** Cosmo Condina (tl). Brian Jannsen (tr). Granger Historical Picture Archive (clb). **229 GETTY IMAGES:** Europa Press / Contributor (b). **230 LEBRECHT:** Lebrecht Music & Arts 2. From **The Old Man and the Sea** by Ernest Hemingway, published by Jonathan Cape, London. Reproduced by permission of The Random House Group Ltd. ©September 2018 (tr). **230 GETTY IMAGES:** Hulton Archive / Stringer (bl). **231 ALAMY STOCK PHOTO:** john norman (tl). **231 GETTY IMAGES:** Keystone / Stringer (cr). **232 GETTY IMAGES:** Mondadori Portfolio / Contributor (cr). John S Lander / Contributor (bc). **233 GETTY IMAGES:** The Asahi Shimbun / Contributor (c). **234 ALAMY STOCK PHOTO:** The Granger Collection (bl). **235 ALAMY STOCK PHOTO:** Archivart (ca). **236 ALAMY STOCK PHOTO:** Paul Fearn (ca). **237 GETTY IMAGES:** Haywood Magee / Stringer (br). **240 GETTY IMAGES:** Carl Mydans / Contributor (c). **241 AKG-IMAGES:** (tr). **241 GETTY IMAGES:** Carl Mydans / Contributor (br). **242 ALAMY STOCK PHOTO:** Granger Historical Picture Archive (tr). **242 GETTY IMAGES:** Arthur Rothstein / Contributor (br). **243 GETTY IMAGES:** Hulton Archive / Stringer (c). **244 ALAMY STOCK PHOTO:** Granger Historical Picture Archive (c). **245 ALAMY STOCK PHOTO:** Julio Etchart (c). **245 GETTY IMAGES:** Hulton Deutsch / Contributor (br). **246 GETTY IMAGES:** Kurt Hutton / Stringer (t). Hulton Archive / Stringer (clb). **247 ALAMY STOCK PHOTO:** Scott Sim (bl). Granger Historical Picture Archive (crb). **248 GETTY IMAGES:** MIGUEL ROJO / Stringer (bl).

249 GETTY IMAGES: Keystone-France / Contributor (c). **250 ALAMY STOCK PHOTO:** Sueddeutsche Zeitung Photo (clb). World History Archive (tr). **251 GETTY IMAGES:** Justin Setterfield / Contributor (t). Heritage Images / Contributor (br). **252 ALAMY STOCK PHOTO:** Everett Collection Historical (c). **253 ALAMY STOCK PHOTO:** Philip Dunn (bl). Everett Collection Inc (crb). **254 GETTY IMAGES:** RDA/RETIRED / Contributor (cla). **254 BRIDGEMAN IMAGES:** PVDE (crb). **255 GETTY IMAGES:** Lipnitzki / Contributor (c). **256 GETTY IMAGES:** Horst P. Horst / Contributor (bl).

257 GETTY IMAGES: STF / Staff (tr). **257 TOPFOTO:** (br). **258 GETTY IMAGES:** Hulton Archive / Stringer (cla). Hiroyuki Ito / Contributor (cr). **259 GETTY IMAGES:** ullstein bild / Contributor (c). **260 GETTY IMAGES:** Lipnitzki / Contributor (tl). **261 DORLING KINDERSLEY:** Gary Ombler / Wardrobe Museum, Salisbury (tl). **261 LEBRECHT:** John Haynes (clb). **261 ALAMY STOCK PHOTO:** ClassicStock (crb). **262 MAGNUM PHOTOS:** Chris Steele-Perkins (tr). **263 GETTY IMAGES:** Frederic Lewis / Staff (bl). Paul Thompson / FPG / Stringer (cr). **264 ALAMY STOCK PHOTO:** John Frost Newspapers (tr). Old Paper Studios (bl). **264 GETTY IMAGES:** Keystone-

127 ALAMY STOCK PHOTO: Alexey Zarubin (bl). Art Collection 3 (br). **128-129 AKG-IMAGES:** Elizaveta Becker (tl). **128 ALAMY STOCK PHOTO:** SPUTNIK (bl). **129 ALAMY STOCK PHOTO:** SPUTNIK (cra). **129 GETTY IMAGES:** Elliott & Fry / Stringer (crb). **130 ALAMY STOCK PHOTO:** Granger Historical Picture Archive (tr). **131 GETTY IMAGES:** Universal History Archive / Contributor (tr). Hulton Archive / Stringer (br). **132 ALAMY STOCK PHOTO:** Norman Eggert (bl). Granger Historical Picture Archive (cr). **133 ALAMY STOCK PHOTO:** IanDagnall Computing (c). **134 GETTY IMAGES:** Buyenlarge / Contributor (bl). Historical Picture Archive / Contributor (cr). **135 GETTY IMAGES:** Hulton Archive / Staff (c). **136 ALAMY STOCK PHOTO:** International Photobank (cla). **136 GETTY IMAGES:** Universal History Archive / Contributor (crb). **137 ALAMY STOCK PHOTO:** Granger Historical Picture Archive (c). **138 ALAMY STOCK PHOTO:** Pictorial Press Ltd (cl). **138-139 ALAMY STOCK PHOTO:** David Noton Photography (tr). **139 BRIDGEMAN IMAGES:** British Library, London, UK / © British Library Board. All Rights Reserved (bl). **139 ALAMY STOCK PHOTO:** Chronicle (br). **140 GETTY IMAGES:** Christophel Fine Art / Contributor (c).

141 GETTY IMAGES: Photo 12 / Contributor (tr). DEA PICTURE LIBRARY / Contributor (br).

142 ALAMY STOCK PHOTO: IanDagnall (c). **143 ALAMY STOCK PHOTO:** Tim Jones (cb). **143 GETTY IMAGES:** Bettmann / Contributor (cr). **144 ALAMY STOCK PHOTO:** World History Archive (tr).

145 GETTY IMAGES: DEA / A. DAGLI ORTI / Contributor (tl). PHAS / Contributor (cra).

145 LEBRECHT: Tristram Kenton (br). **146 GETTY IMAGES:** Heritage Images / Contributor (c). **147 GETTY IMAGES:** DEA / J. L. CHARMET / Contributor (cla). Mondadori Portfolio / Contributor (cr). **147 ALAMY STOCK PHOTO:** Hemis (br). **148 ALAMY STOCK PHOTO:** Heritage Image Partnership Ltd (tr). **149 ALAMY STOCK PHOTO:** Paul Fearn (bl). **149 BRIDGEMAN IMAGES:** British Library, London, UK / © British Library Board. All Rights Reserved (tr). **149 ALAMY STOCK PHOTO:** Pictorial Press Ltd (br). **150 ALAMY STOCK PHOTO:** ART Collection (bl). Everett Collection Inc (cr). **151 ALAMY STOCK PHOTO:** Granger Historical Picture Archive (c). **152 GETTY IMAGES:** API / Contributor (tl). Universal History Archive / Contributor (tr). **152 ALAMY STOCK PHOTO:** Chronicle (bl). **153 GETTY IMAGES:** Caterine Milinaire / Contributor (t). **154 ALAMY STOCK PHOTO:** Peter Brown (bl). **154 BRIDGEMAN IMAGES:** Private Collection / The Stapleton Collection (cr). **155 GETTY IMAGES:** DEA PICTURE LIBRARY / Contributor (c). **156 BRIDGEMAN IMAGES:** Tretyakov Gallery, Moscow, Russia (c). **157 TOPFOTO:** SCRSS (tr). **157 ALAMY STOCK PHOTO:** Heritage Image Partnership Ltd (crb). **158 ALAMY STOCK PHOTO:** ITAR-TASS News Agency (tl). **158 GETTY IMAGES:** SVF2 / Contributor (b). **159 GETTY IMAGES:** Heritage Images / Contributor (ca). **159 TOPFOTO:** SCRSS (bl). **159 ALAMY STOCK PHOTO:** Heritage Image Partnership Ltd (br). **160 GETTY IMAGES:** Estate of Emil Bieber / Klaus Niermann / Contributor (tr). **161 ALAMY STOCK PHOTO:** volkerpreusser (bl). Xinhua (cr). **162 GETTY IMAGES:** De Agostini Picture Library / Contributor (tr). **163 ALAMY STOCK PHOTO:** Granger Historical Picture Archive (br). **164 ALAMY STOCK PHOTO:** Art Collection 3 (br). **165 GETTY IMAGES:** Imagno / Contributor (tr). **168 ALAMY STOCK PHOTO:** George Munday (bl). **168 BRIDGEMAN IMAGES:** Private Collection / Photo © Christie's Images (crb). **169 GETTY IMAGES:** DEA PICTURE LIBRARY / Contributor (c). **170 GETTY IMAGES:** Edward Steichen / Contributor (tr). **171 GETTY IMAGES:** Universal History Archive / Contributor (cl). Evans / Stringer (cra). **171 ALAMY STOCK PHOTO:** ITAR-TASS News Agency (br). **172 ALAMY STOCK PHOTO:** JTB MEDIA CREATION, Inc. (bl). **172 GETTY IMAGES:** Popperfoto / Contributor (br). **173 TOPFOTO:** TopFoto.co.uk (c). **174 ALAMY STOCK PHOTO:** Masterpics (c).

175 GETTY IMAGES: FRANCOIS GUILLOT / Staff (tr). **175 TOPFOTO:** The Granger Collection, New York (clb). **175 GETTY IMAGES:** Leemage / Contributor (br). **176 GETTY IMAGES:** GAROFALO Jack / Contributor (tl). **176 AKG-IMAGES:** Catherine Bibollet (bl). **177 GETTY IMAGES:** Apic / RETIRED / Contributor (bl). **177 TOPFOTO:** Roger-Viollet (br). **178 GETTY IMAGES:** New York Times Co. / Contributor (tr). **179 ALAMY STOCK PHOTO:** Michael Snell (bl). Paul Fearn (crb). **180 GETTY IMAGES:** Edward Steichen / Contributor (c). **181 ALAMY STOCK PHOTO:** Keystone Pictures USA (cr). AF archive (bl). INTERFOTO (br). **182 GETTY IMAGES:** Bettmann / Contributor (tr).

183 AKG-IMAGES: Pictures From History (cla). **183 ALAMY STOCK PHOTO:** SPUTNIK (cr). Henry Westheim Photography (cb). **184 GETTY IMAGES:** Photo 12 / Contributor (c). **185 ALAMY STOCK PHOTO:** Alain Le Garsmeur James Joyce Ireland (tl). ART Collection (br). **186 TOPFOTO:** Fine Art Images / Heritage Images (cl). **186 GETTY IMAGES:** Hulton Deutsch / Contributor (br).

187 GETTY IMAGES: Bettmann / Contributor (tl). **187 BRIDGEMAN IMAGES:** Private Collection / Courtesy of Swann Auction Galleries (cr). **188 ALAMY STOCK PHOTO:** IanDagnall Computing (c). **189 ALAMY STOCK PHOTO:** Christopher Nicholson (bl). **189 GETTY IMAGES:** Culture Club / Contributor (cr). **190 ALAMY STOCK PHOTO:** INTERFOTO (tl). Art Collection 3 (bl). **190 GETTY IMAGES:** Hulton Deutsch / Contributor (br). **191 ALAMY STOCK PHOTO:** The National Trust Photolibrary (tr). **191 GETTY IMAGES:** Lenare / Stringer (cr). **192 AKG-IMAGES:** Archiv K. Wagenbach (tr). **192 GETTY IMAGES:** Three Lions / Stringer (br). **193 GETTY IMAGES:** Private

315 ALAMY STOCK PHOTO: The Protected Art Archive (br). **316 MARION ETTLINGER:** (c). **317 GETTY IMAGES:** Education Images / Contributor (ca). Christian Science Monitor / Contributor (br). **318 ALAMY STOCK PHOTO:** scenicireland.com / Christopher Hill Photographic (cl). Helen Thorpe Wright (crb). **319 GETTY IMAGES:** Richard Smith / Contributor (c). **320 BRIDGEMAN IMAGES:** British Library, London, UK / © British Library Board. All Rights Reserved (cl).

320 ALAMY STOCK PHOTO: Alain Le Garsmeur "The Troubles" Archive (tr). **321 GETTY IMAGES:** Tara Walton / Contributor (tr). **321 ALAMY STOCK PHOTO:** Paul McErlane (br). **322 GETTY IMAGES:** Bernard Bisson / Contributor (cla). **322 LEBRECHT:** Lebrecht Music & Arts 2. From **Disgrace** by J. M. Coetzee, published by Vintage, London, 2000. Reproduced by permission of The Random House Group Ltd. ©September 2018 (cr). **323 GETTY IMAGES:** Micheline Pelletier Decaux / Contributor (c). **324 ALAMY STOCK PHOTO:** AfriPics.com (t). **325 LEBRECHT:** Lebrecht Music & Arts 2. From **Life & Times of Michael K** by J. M. Coetzee, published by Sacker & Warburg. Reproduced by permission of The Random House Group Ltd. ©September 2018 (bl). **325 GETTY IMAGES:** Per-Anders Pettersson / Contributor (crb). **326 LEBRECHT:** Lebrecht Music & Arts 2. From **Of Love and Shadows** by Isabel Allende, published by Jonathan Cape, London 1987. Reproduced by permission of The Random House Group Ltd. ©September 2018 (tr). **326 GETTY IMAGES:** ILA AGENCIA / Contributor (br). **327 GETTY IMAGES:** The Sydney Morning Herald / Contributor (c). **328 GETTY IMAGES:** Ulf Andersen / Contributor (c).

329 ALAMY STOCK PHOTO: GL Archive (c). **329 GETTY IMAGES:** Rick Madonik / Contributor (br). **330 GETTY IMAGES:** Raphael GAILLARDE / Contributor (tr). **331 GETTY IMAGES:** ED JONES / Staff (t). Dominique BERRETTY / Contributor (bl). **331 ALAMY STOCK PHOTO:** Science History Images (br). **332 GETTY IMAGES:** Gina Ferazzi / Contributor (c). **333 GETTY IMAGES:** ullstein bild Dtl. / Contributor (cla). Popperfoto / Contributor (crb). **334 ALAMY STOCK PHOTO:** Jim Laws (tl). **334 COBALT ID:** (bc). **335 COBALT ID:** (tr). **335 ALAMY STOCK PHOTO:** Photo 12 (b). **336 ALAMY STOCK PHOTO:** Sam Kolich (tr). **336 COBALT ID:** (br). **337 ALAMY STOCK PHOTO:** GARY DOAK (c). **338 ALAMY STOCK PHOTO:** INTERFOTO (tr). **339 GETTY IMAGES:** Imagno / Contributor (bl).

339 LEBRECHT: Lebrecht Music & Arts 2 (tr). **340 LEBRECHT:** Ulf Andersen/Aurimages (c).

341 GETTY IMAGES: Steve Russell / Contributor (cla). **341 ALAMY STOCK PHOTO:** MARKA (br). **342 GETTY IMAGES:** Ulf Andersen / Contributor (c). **343 COBALT ID:** (tr). **343 ALAMY STOCK PHOTO:** zhang jiahan (br). **344 GETTY IMAGES:** Hindustan Times / Contributor (c). **345 ALAMY STOCK PHOTO:** Ruby (c). **345 COBALT ID:** (crb). **346 GETTY IMAGES:** Fairfax Media / Contributor (tr).

347 GETTY IMAGES: DEUTSCH Jean-Claude / Contributor (bc). **348 GETTY IMAGES:** Harcourt Brace / Stringer (t). **349 GETTY IMAGES:** David Levenson / Contributor (br).

ENDPAPER IMAGES: Front: ALAMY STOCK PHOTO: Andrejs Pidjass; **Back: ALAMY STOCK PHOTO:** Andrejs Pidjass

France / Contributor (br). **265 GETTY IMAGES:** Kurt Hutton / Stringer (c). **266 GETTY IMAGES:** Lipnitzki / Contributor (tr). **267 ALAMY STOCK PHOTO:** Neftali (tl). **267 GETTY IMAGES:** Andia / Contributor (bl). Hulton Deutsch / Contributor (br). **268 GETTY IMAGES:** Hulton Archive / Stringer (tr).

269 GETTY IMAGES: Evening Standard / Stringer (cl). **269 ALAMY STOCK PHOTO:** Antiques & Collectables (tr). Aled Llywelyn (br). **270 GETTY IMAGES:** Lipnitzki / Contributor (c). **271 ALAMY STOCK PHOTO:** Everett Collection, Inc. (cla). ERIC LAFFORGUE (br). **272 GETTY IMAGES:** Bettmann / Contributor (bl). **272 COBALT ID:** (crb). **273 GETTY IMAGES:** Ulf Andersen / Contributor (c).

274 GETTY IMAGES: James Andanson / Contributor (c). **275 GETTY IMAGES:** Mondadori Portfolio / Contributor (bl). Apic / RETIRED / Contributor (br). **276 ALAMY STOCK PHOTO:** Zoonar GmbH (clb). **276 BRIDGEMAN IMAGES:** Peter Newark Military Pictures (cr). **277 GETTY IMAGES:** Gianni GIANSANTI / Contributor (c). **278 ALAMY STOCK PHOTO:** Shawshots (t). **278 GETTY IMAGES:** Fototeca Storica Nazionale. / Contributor (bl). **279 AKG-IMAGES:** ullstein bild (bl).

279 LEBRECHT: Lebrecht Music & Arts 2. **If This Is a Man** by Primo Levi, Little, Brown Book Group (br). **280 BRIDGEMAN IMAGES:** Prismatic Pictures (tr). **281 ALAMY STOCK PHOTO:** AF Fotografie (ca). **281 GETTY IMAGES:** Ted Streshinsky Photographic Archive / Contributor (cr). **281 BRIDGEMAN IMAGES:** © Christie's Images (br). **282 GETTY IMAGES:** Gianni GIANSANTI / Contributor (tr). **283 ALAMY STOCK PHOTO:** MARKA (bl). **283 AKG-IMAGES:** Fototeca Gilardi (tr). **283 GETTY IMAGES:** Ulf Andersen / Contributor (br). **284 AKG-IMAGES:** Marion Kalter (tr).

285 GETTY IMAGES: Sean Gallup / Staff (tr). Bloomberg / Contributor (bl). **285 ALAMY STOCK PHOTO:** dpa picture alliance archive (br). **286 GETTY IMAGES:** Bettmann / Contributor (c).

287 GETTY IMAGES: EITAN ABRAMOVICH / Staff (ca). **287 ALAMY STOCK PHOTO:** Xinhua (bl). StellaArt (br). **288 ALAMY STOCK PHOTO:** Everett Collection Inc (cl). Organica (tr). **289 AKG-IMAGES:** Album / Oronoz (tc). **289 ALAMY STOCK PHOTO:** dpa picture alliance (bl). **290 ALAMY STOCK PHOTO:** Everett Collection Historical (tr). **291 GETTY IMAGES:** Gene Lester / Contributor (tl). The Frent Collection / Contributor (tr). **291 BRIDGEMAN IMAGES:** Newberry Library, Chicago, Illinois, USA (br). **292 GETTY IMAGES:** Sovfoto / Contributor (bl). **292 ALAMY STOCK PHOTO:** INTERFOTO (crb). **293 TOPFOTO:** Roger-Viollet (c). **294 ALAMY STOCK PHOTO:** PRAWNS (bl). Jonny White (cr). **295 LEBRECHT:** Hollandse Hoogte (c). **296 GETTY IMAGES:** Romano Cagnoni / Contributor (t). **296 LEBRECHT:** Lebrecht Music & Arts 2 (bl). **297 GETTY IMAGES:** ISSOUF SANOGO / Stringer (tr). STEFAN HEUNIS / Stringer (br). **298 GETTY IMAGES:** ADALBERTO ROQUE / Stringer (cr). Erich Auerbach / Stringer (br). **299 GETTY IMAGES:** Ulf Andersen / Contributor (ca). **300 ALAMY STOCK PHOTO:** dpa picture alliance (tr). **301 ALAMY STOCK PHOTO:** Granger Historical Picture Archive (br). **304 GETTY IMAGES:** Ulf Andersen / Contributor (c). **305 ALAMY STOCK PHOTO:** Martin A. Doe (tr). Martin A. Doe (bl). **306 GETTY IMAGES:** Brooks Kraft / Contributor (c). **307 ALAMY STOCK PHOTO:** Brian Jannsen (br).

308 REX/SHUTTERSTOCK: SNAP (c). **309 ALAMY STOCK PHOTO:** Science History Images (ca).

dpa picture alliance archive (tr). **309 GETTY IMAGES:** Eliot Elisofon / Contributor (br).

310 ALAMY STOCK PHOTO: Christopher Stewart (bl). **310 GETTY IMAGES:** Rene Johnston / Contributor (crb). **311 MARION ETTLINGER:** (c). **312 GETTY IMAGES:** FILIPPO MONTEFORTE / Staff (cra). David Levenson / Contributor (c). **314 GETTY IMAGES:** Boston Globe / Contributor (tr). **315 GETTY IMAGES:** Apic/RETIRED / Contributor (tl). Boston Globe / Contributor (bl).

«هدفُ الكاتب أن يحمي الحضارة من تدمير نفسها».

ألبير كامو

احتفاءٌ آسرٌ بأكثر من ثمانين روائيًا وشاعرًا وكاتبًا مسرحيًا عظيمًا من العصور الوسطى وحتى وقتنا الحاضر. يستعرض هذا الكتاب قصص حياة الأدباء الفاتنة وأعمالهم.



